الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
* تلمسان *

كلية العلوم الإنسانية والعلوم
الاجتماعية

قسم التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط

نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين

دراسة مقارنة (ق 5-7هـ/ 11-13م)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ تخصص المغرب الإسلامي

إعداد الطالبة الباحثة:
مغنية غرداين

إشــراف :
أ.د/ لخضر عبدلي

لجنة المناقشة:

أ.د/ مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د/ هلايلي حنيفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د/ مكيوي محمد	أستاذ محاضر(أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د/ بوساليم صالح	أستاذ محاضر(أ)	جامعة غرداية	عضوا مناقشا
د/ حمدي أحمد	أستاذ محاضر(أ)	جامعة وهران 2	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية:1436-1437هـ / 2015- 2016م

إهداء

أهدي هذا العمل الى روح كل من دفع حياته ثمنا

لانبعاث أمة جزائرية محضة بهويتها الامازيغية العربية الاسلامية ،

روح ماسينيسا وروح عقبة بن نافع وروح عبد المؤمن بن علي وروح الأمير عبد القادر

وأرواح أبطال الحركة الوطنية والثورة التحريرية و مجاهدي الاستقلال ،

وإلى كل من ساروا على دربهم في الدفاع عن هذا الوطن الحبيب.

شكر وعرفان

أشكر الله عز وجل الذي وفقني لإتمام هذا العمل ،

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف البروفسور لخضر عبدلي على توجيهاته لي

ونصائحه التي كانت بمثابة السراج الذي أنار لي الطريق طيلة فترة البحث ،

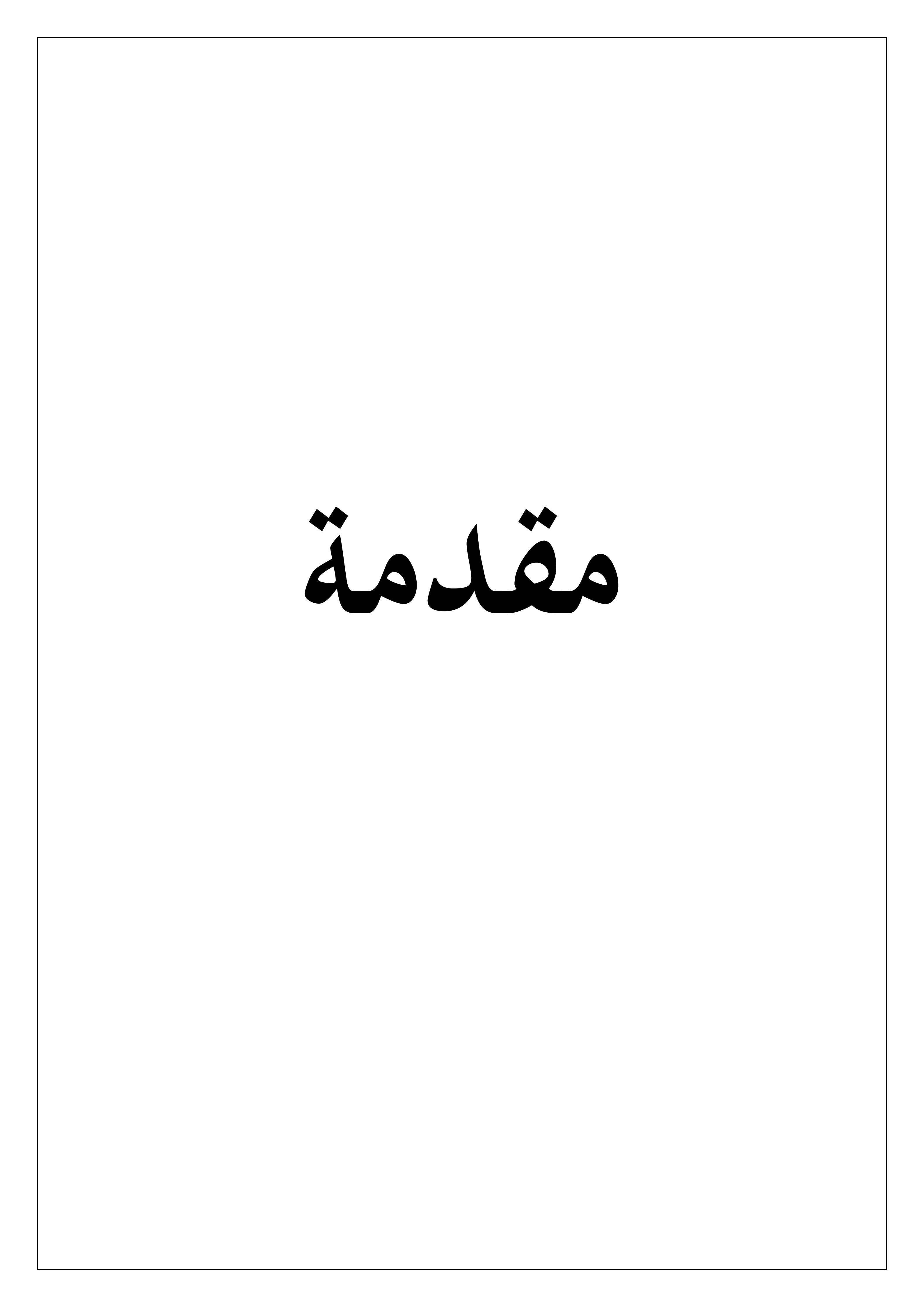
كما أتقدم بالشكر إلى كل من قدم لي يد المساعدة اثناء البحث سواء من قريب

أو من بعيد وساهم في ان يخرج هذا العمل إلى النور، كما أتقدم بالشكر الجزيل

لأعضاء اللجنة المناقشة الذين شرفوني ووافقوا على مناقشة هذا العمل

من أجل تصحيحه وتوجهي فيما أغفلت عنه

أو لم أتوصل إليه .



مقدمة

لقد عملت الدولتان المرابطية والموحدية منذ قيامهما على توحيد بلاد المغرب بكل أقطاره بما في ذلك بلاد الأندلس تحت سلطة دينية وسياسية واحدة، إلا أنه قد سجل اختلاف الدارسين حول نظامي حكمهما وانعكاساته على مختلف الميادين والعلاقة بين النظامين من حيث الفكر الديني و السياسي ، وفي هذا الاطار يندرج هذا البحث الموسوم ب: **نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين –دراسة مقارنة– ق 5ه –7ه/ 11 –13م** وهي الفترة الابرز في التاريخ السياسي للغرب الاسلامي باعتبارها فترة اهم دولتين قامتا بتوحيد بلاد الغرب الاسلامي.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يمتاز بالجدية عند معظم الباحثين ، ويسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ السياسي لبلاد المغرب، وكان اختيارنا للموضوع مبنيا على عدة عوامل موضوعية؛ منها ضرورة البحث في مدى تاثير نظامي الحكم المرابطي و الموحدي على بلاد الغرب الاسلامي في علاقاته الخارجية وسياسته الداخلية وعلى مجتمعه ، إضافة إلى تحديد خصائص كل نظام من خلال تسليط الضوء على الطابع المميز لكل نظام ، مما يدفع بالباحث إلى توخي الدقة حتى يتمكن من تتبع الأحداث بشكل سليم ليخلص إلى استنتاجات هامة حول الموضوع.

والإشكالية التي يدور حولها الموضوع تشغل ذهن اي باحث هي المقارنة في المميزات السياسية والعسكرية و التي ميزت هذه الفترة في كل من المغرب والأندلس ، والوقوف على اوجه الشبه والاختلاف بين نظامي الحكم ؛ وانطلاقا من هذه الإشكالية يمكن أن نطرح عدة تساؤلات منها:

- ما مراحل تاسيس كل دولة ؟وماهي السياسة التي اتخذتها في بسط نفوذها على بلاد المغرب الإسلامي والى اين امتد سلطانها ؟
- بماذا تميز نظام الحكم المرابطي ؟وماهي نظمه السياسية والادارية ؟ وماهي الاختلافات التي سجلت بينه وبين نظام الحكم الموحدي ؟
- ما هي الانعكاسات الناتجة عن كل نظام في المغرب والاندلس ؟
- وهل سقوط النظام المرابطي وقيام النظام الموحدي محله يعود للاختلاف المذهبي بين النظامين أوللتنظيم السياسي والاداري أوالى أبعد من ذلك ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اعتمدنا على خطة بحث تضمنت بعد المقدمة مدخلا للموضوع وثلاثة فصول، وقد جاء في المدخل **لمحة عامة عن جغرافية وتاريخ بلاد المغرب الاسلامي**، وأما الفصول الثلاثة فقد ألزمتنا الأحداث التاريخية على دراستها بالشكل التالي، حيث تضمن الفصل الأول **المقارنة في ظروف قيام دولتي المرابطين والموحدين بالمغرب الاسلامي** وأما الفصل الثاني تطرقنا فيه الى **المقارنة في التنظيم السياسي والاداري للدولتين المرابطية والموحدية** و اما الفصل الثالث فقد اوردنا فيه **المقارنة في انعكاسات كل نظام على مجتمع بلاد المغرب والاندلس في مختلف الميادين** ، وأنهينا البحث بخاتمة استنتاجية حول الموضوع، حاولنا فيها الإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة.

كما دعمنا االبحث بملاحق؛ وهي عبارة عن خرائط تتعلق بالموضوع؛ إضافة إلى بعض الجداول التوضيحية لكل فترة كل دولة ، وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي العلمي القائم على جمع المادة التاريخية المتوفرة حول الموضوع، وسرد الأحداث وذكر المعلومات، وتحليلها تحليلا عقلانيا، وتوظيفها لخدمة الموضوع وذلك بعد الوقوف على أهم المصادر المتعلقة بالموضوع ومقارنة نصوصها وتفسير الأحداث ومناقشتها اضافة الى المنهج المقارن الذي الزمتنا به طبيعة الدراسة ، وقد تحرينا في ذلك الدقة والموضوعية قدر الإمكان.

- دراسة المصادر:

تطلبت طبيعة الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر المغربية والأندلسية من كتب التاريخ، إضافة إلى مصنفات الرحالة الجغرافيين وبعض كتب الطبقات والتراجم.

- كتاب " أعز ما يطلب " لصاحبه محمد بن تومرت صاحب فكرة المهدوية والدعوة الموحدية، ويعتبر من أهم المصادر الموحدية، كونه أحد أهم الشخصيات الموحدية أو صاحب فكرة التوحيد إن صح التعبير، وجاء فيه التفصيل الدقيق لعقيدة التوحيد عند المهدي بن تومرت، والمبادئ التي دعا إليها مثل : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعض الأمور الدينية الأخرى التي كان يدعو إليها المهدي بن تومرت ويوليها أهمية كبيرة، وقد كان من تحقيق وتقديم عمار طالبي، الجزائر 1985.

- كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " لصاحبه أبو عبد الله محمد بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي المتوفى سنة 548هـ/ 1154م، ويعتبر أعظم كتاب جغرافي يحتوي على دراسة جغرافية وصفية للأقاليم والمدن بطابع سياسي واقتصادي واجتماعي في آن واحد، وقد استعنا بالمجلد الأول وجزئه الخاص بإفريقيا والأندلس، وقد أفادني كثيرا في التعريف جغرافيا بمعظم المناطق المذكورة في الاطروحة

- كتاب " معجم البلدان " لصاحبه ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله المتوفي سنة 626هـ/1228م، ويعتبر هذا الكتاب من المعاجم الجغرافية المهمة بالنسبة للعالم الإسلامي، وهو أيضا يجمع بين الجغرافيا والتاريخ والأدب.

- كتاب " نظم الجمان في أخبار الزمان " لمؤلفه ابن القطان أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي (ت 628هـ/ 1230م)، وقد حققه محمد علي مكي، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة في تاريخ المغرب خلال هذه الفترة، ذلك أنه وقف عند الكثير من الأحداث في المغرب والأندلس وقوفا مفصلا.

- كتاب " الكامل في التاريخ " وهو من تأليف المؤرخ المشرقي ابن الأثير عز الدين ابن الحسن علي المتوفى في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري، ولد بالموصل سنة 558هـ الموافق لـ 1165م، وانتقل لخدمة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة 587هـ، ثم خدم ولده نور الدين حتى صار وزيرا له، وقد كتب ابن الأثير كتابه بعيدا عن مسرح الأحداث في المغرب والأندلس وتحت تأثير البلاط الأيوبي، مما يجبر الباحث على مقارنة المعلومات التي أوردها بخصوص الموحدين بالمعلومات الواردة في المصادر الموحدية.

- كتاب " أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين " لصاحبه أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، من تحقيق ومراجعة عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، الرباط 2004، وقد جاء الكتاب يروي سيرة المهدي بن تومرت بالتفصيل الدقيق، حيث كان المؤلف مرافقا للمهدي ابن تومرت وأحد تلاميذه، كما رافق أيضا عبد المؤمن بن علي، وتحدث المؤلف أيضا

عن حروب الموحدين ضد المرابطين، و كان من أشد المخلصين للدعوة الموحدية، مما جعله يعاصر بعض الأحداث، وكان شاهد عيان في الكثير من الأحيان، فنجده يصف لنا بعض الأحداث بعناية شديدة، إلا أنه يميل أحيانا إلى المدح والمبالغة والذاتية لصالح الموحدين.

- كتاب " المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين " لمؤلفه عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي ، المتوفى أواخر المائة السادسة للهجرة، وقد حققه الهادي التازي، ويستمد أهميته من كون مؤلفه معاصرا للأحداث الموحدية، فهو مفيد لتتبع أحداث الصراع خاصة في الأندلس، كما ينقل لنا الكتاب بعض الرسائل بين مسلمي الأندلس والخلفاء الموحدين، وبعض القصائد التي ألفت في شأن الموحدين، هذا بحيث عايش المؤلف بعض الأحداث المهمة في الدولة الموحدية بالأندلس.

- كتاب " رحلة التجاني " لأبي عبد الله بن محمد التجاني المتوفي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وقد أفادنا هذا الكتاب فيما يتعلق بالصراع بين الموحدين وبنو غانية، كما أنه تضمن تفصيلا دقيقا حول توحيد بلاد المغرب بعد فتح المهدية سنة 555هـ/ 1160م.

- كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لصاحبه محيي الدين أبو محمد عبد الواحد المراكشي،المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وقد شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، بيروت 2006، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية لدولة الموحدين، بحيث ان صاحبه عاش في مطلع حكم الخليفة يعقوب المنصور مما سمح له بمعاصرة الكثير من أحداث هذه الدولة، ويبدو أن المؤلف التزم الموضوعية والصدق في سرد الأحداث التاريخية، ذلك لأنه ألفه في بغداد أي وهو بعيد كل البعد عن الضغوط السياسية والمشاعر الذاتية.

- كتاب " الحلة السيراء " لصاحبه ابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المتوفى سنة 658هـ/ 1260م ،حققه حسين مؤنس، ويتناول الكتاب طائفة من تراجم رجال الثقافة بالمغرب والأندلس من القرن الأول الهجري حتى أوائل القرن السابع، كما

يتعرض الكتاب للكثير من الأحداث التاريخية خاصة فيما يتعلق بالصراع بين الموحدين وابن مردنيش.

- كتاب " الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلفه ابن سماك العاملي ابي القاسم محمد بن ابي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي عاش في القرن الثامن الهجري ويعد من علماء هذا القرن، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر للدولة المرابطية والموحدية، فهو يتناول بدقة تاريخ الأندلس والمغرب في عهد المرابطين وكذا الموحدين، حتى نهاية خلافة عبد المؤمن بن علي بشكل مفصل ، وقد اعتمدنا على النسخة المحققة من طرف عبد القادر بوباية لما تضمنته من توثيق لكل المصطلحات التاريخية والجغرافية واللغوية بالشرح والتفصيل وعرض الاراء المتباينة من مختلف المصادر مع ما جاء به المؤلف لبعض الوقائع والاحداث التاريخية مما ساعدنا على الالمام بجميع المعلومات التي تخص موضوعنا من حيث الوقوف على صحة بعض الاحداث ،كما اطلعنا على النسخة المحققة ايضا من طرف كل من سهيل زكار و عبد القادر زمامة، الطبعة الأولى دار الرشاد الحديثة ،والتي نسبت الى مؤلف مجهول.

- كتاب " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس " لصاحبه علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي، ويتناول هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من سنة 145هـ إلى 724هـ أي أنه يتضمن فترة خمس دول قامت في بلاط المغرب، بداية بدولة الأدارسة ومرورا بدول أخرى منها الموحدية، وينتهي عند الدولة المرينية، والتي كان دائما مؤيدا لها باعتباره كان كاتبا للسلطان المريني أبي سعيد عثمان (719- 731هـ)، والملاحظ أن ابن أبي زرع اعتمد في كتابه على عدة مصادر أغفل ذكر معظمها.

- كتاب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لصاحبه ابن خلكان المتوفى سنة 681هـ/ 1283م، ويحتوي هذا الكتاب على تراجم لمشاهير علماء وشخصيات العالم الإسلامي حتى عصر المؤلف.

- كتاب " تاريخ إسبانيا الإسلامية " أو كتاب " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام " وهو كتاب جاء مختصرا وشاملا لتاريخ إسبانيا الإسلامية والمسيحية لصاحبه ابن الخطيب لسان الدين (776هـ/ 1374م)، من تحقيق إ. ليفني بورفنسال، بيروت 1956، وقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في الجزء الخاص بالأندلس من البحث لما تميز به من الدقة في المعلومات، كون المؤلف استقاها من المخطوطات والوثائق والرسائل الرسمية عن تاريخ المغرب والأندلس، وكذلك استعنا بكتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة " لنفس المؤلف، والذي أفادني كثيرا في الجزء الخاص بالأندلس من الاطروحة

- كتاب " سير أعلام النبلاء " لمؤلفه شمس الدين الذهبي المتوفى سنة 804هـ/ 1400م، وقد احتوى على تراجم العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء من المشرق والمغرب والأندلس.

- كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لصاحبه أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م، ولد ونشأ في تونس، تولى الكتابة بين الملوك في الأندلس والمغرب، ثم ارتحل إلى مصر، ويتكون كتابه هذا من سبعة مجلدات، المجلد الأول والمعروف بالمقدمة، ويشير فيه إلى الموحدين خاصة في التعريف بأبي العباس الصقلي قائد الأسطول الموحدي، وأما الجزء السادس فإنه يحتوي على جزء كبير من تاريخ الموحدين مما اعتمدنا عليه بشكل كبير.

- كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " لصاحبه أبو العباس أحمد القلقشندي المتوفى سنة 821هـ، هو من الموسوعات العلمية والأدبية المهمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي، وقد أفادني في بعض الأحداث التاريخية الخاصة بالمغرب والأندلس.

- كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " لصاحبه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة 866هـ/ 1461م، من تحقيق إحسان عباس، فرغم أن الكتاب يصنف ضمن المعاجم الجغرافية لمدن الأندلس، إلا أن هذا لا يمنع من أنه يحتوي على معلومات تاريخية هامة عن المدن الأندلسية.

- كتاب " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" لصاحبه أبي عبد الله بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار، على الأرجح كان حيا سنة 1110م، وهو كتاب يتضمن تاريخ المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى أواخر الدولة الحفصية، ونجده قد تفصل في ذكر بعض الأحداث التاريخية ويختصر البعض الآخر، كما يعرف بعض المناطق والمدن.

- كتاب " رحلة القلصادي " المسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب لأبي الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي المتوفى سنة 891هـ/ 1486م، ويحتوي الكتاب على تراجم لشيوخ المؤلف الذين أخذ عنهم بالمغرب ومصر، والتعريف ببعض المناطق والمدن والأقاليم، وقد أفادني في التعريف ببعض المدن.

- بالإضافة إلى هذه المصادر اعتمدت أيضا على كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " لمؤلفه أبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري، من تحقيق إ.ليفني بروفنسال و ج.س كولان، بيروت 1980، وقد أفادنا هذا الكتاب في البحث خاصة قسم الموحدين لأنه تتبع الأخبار المتعلقة بالفترة المدروسة في البحث ، كما أنه سرد الأحداث المتعلقة باستيلاء الموحدين على مدينة بياسة وبذة ، وقد اعتمد ابن عذاري في مؤلفه على مصادر مغربية وأندلسية أغلبها الصادرة أو المؤلفة في القرنين الخامس والسادس الهجريين، منها المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، كما اعتمدنا أيضا على كتاب " تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية " لصاحبه أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم المعروف بالزركشي، الذي حققه محمد ماضور، تونس (د.ت)، وقد تضمن الكتاب الأحداث التاريخية للدولتين الموحدية والحفصية، بحيث اعتمد على الدقة والاختصار، وذكر المؤلف أهم الأحداث المتعلقة بنهاية الموحدين، و أفادنا كثيرا في هذا البحث خاصة في صراع الموحدين مع بنو غانية، وكتاب " رحلة ابن جبير " لأبي الحسن بن جبير، وقد أفادني في ذكر بعض الأحداث التاريخية، وهناك مصادر أخرى مذكورة في قائمة المصادر والمراجع، كما استعنا أيضا في إنجاز هذه المذكرة بمجموعة من المراجع باللغة العربية وكذلك مراجع باللغة الأجنبية، وبعض الدراسات الحديثة، منها المنشورة

وغير المنشورة وهي متخصصة جميعها في تاريخ بلاد المغرب والأندلس سياسيا مثل كتاب " الاستقصاء في اخبار المغرب الأقصى " لصاحبه ابي العباس أحمد بن خالد الناصري المعروف بالسلاوي نسبة إلى مدينة سلا، المتوفى سنة 1315هـ/ 1890م، ويتكون الكتاب من جزئين الجزء الأول كان من تحقيق محمد عثمان، الطبعة الأولى، بيروت 2007، وأما الجزء الثاني فقد حققه ولدا المؤلف جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء 1954، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه ينبه الباحث إلى المصدر الذي توجد فيه المعلومة التاريخية، ذلك لأنه اعتمد هو بدوره على مجموعة مصادر منها: ابن عذاري ، و ابن الخطيب ، وابن أبي زرع الفاسي، وابن الأثير وابن خلكان.

هذا ومن بين الصعوبات التي واجهتنا أثناء دراستنا لهذا الموضوع هي قلة المعلومات المتعلقة بالموضوع في المصادر أو نقص التفاصيل في الأحداث التاريخية ، إضافة إلى تضارب الآراء حول بعض الأحداث التاريخية، وكذلك عدم الوصول إلى بعض المصادر المرابطية خاصة و الموحدية والوثائق الخاصة بابالنظامين خلال تلك الفترة، وصعوبات الوصول إلى البعض الآخر.

مدخل

لمحة عامة عن جغرافية وتاريخ بلاد المغرب الاسلامي

1 – الحدود الجغرافية لبلاد المغرب:

إن أحداث هذا الموضوع لا تخرج عن نطاق بلاد المغرب مما يدفعنا إلى وجوب التعريف بالمنطقة ، وتوضيح معنى التسمية ومدى صحة المصطلح، فيمكن القول أن لفظ المغرب : اسم لمنطقة كانت غير معروفة وغريبة عند العرب قبل دخولهم إليها، ويُنطق لفظ المغرب عند الأوربيين بـ :"مُغْرِبْ" من الفعل العربي غَرَبَ ، وتعني غير معروف وأجنبي أي غريب [1]، وهناك من يقول أن لفظ المغرب نسبة إلى الجهة التي تغرب فيها الشمس، وهناك من يربطه بعصر الفتنة التي كانت بين معاوية بن أبي [2] سفيان و علي بن أبي [3] طالب – رضي الله عنهما – أي قبل منتصف القرن الأول هجري، و يبدو أن هذا المصطلح استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، هذا الأخير الذي كان يشمل مصر [4] بملحقاتها و

---

[1] – Benachenhou, Connaissance du Maghreb- Notions d'Ethnographie ,d'Histoire et de Sociologie, édition Populaire de l'Armée , Alger, 1971, p 09- 10.

[2] – معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، ولد بمكة قبل الهجرة بعشرين سنة، وتوفي سنة 60هـ الموافق لـ 680م، أسلم قبل فتح مكة، وهو أحد دهاة العرب الأربعة الكبار في صدر الإسلام (عمر بن العاص، المغيرة بن شعبة، زياد بن أبية ومعاوية)، أنظر: شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 4، ط1، مكتبة الصف، (د.م)، 2003، ص 285، وأنظر أيضا: محمد الصالح صديق: شخصيات ومواقف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 192، ابن الابار الاندلسي :درر السمط في خبر السبط–من ادب التشيع الاندلسي – تح :عبد السلام الهراس ،سعيد احمد اعراب ،رسائل نادرة ،ع 13، 1992،ص 188 www.kitab2013.org 18-10-2014، 14:30.

[3] – علي بن أبي طالب: هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نصر بن كنانة، وهو ابن عم الرسول – صلى الله ليه وسلم – والده أخ شقيق لوالد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأمه فاطمة بنت أسد ، ولد قبل الهجرة بـ 21 سنة أو أكثر، ولما أرسل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان علي مراهقا وكان مقيما معه – صلى الله عليه وسلم– في بيته تخفيفا على أبيه أبي طالب، فكان من الأوائل الذين أجابوا الإسلام، وقد أدرك بذلك الشرف العظيم حتى تلقب بـ – علي كرم الله وجهه – ذلك لأنه لم يسجد لصنم البتة، بل كان أول سجود له لله الواحد الأحد عز وجل، أنظر: عبد الوهاب النجار: الخلفاء الراشدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص 366- 367 ،احمد بن يوسف القرماني :اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ،تح: فهمي سعد ،أحمد حطيط ،مج 1،ط1،عالم الكتب ،بيروت ،لبنان ، 1992،ص 304-305.

[4] – مصر: تتصل حدودها من جهة الجنوب ببلاد النوبة ومن جهة الشمال البحر الشامي ومن جهة الشام بفحص التيه ومن جهة الشرق ببحر القلزم ومن جهة المغرب بالواحات، يتصل فيها البحر الأحمر بالبحر الأبيض عن طريق قناة السويس، أرضها سبخة غير خالصة التراب وبلاد مصر عامرة بالناس تشتهر بالبساتين وقصب السكر وحسن اللباس والمطاعم والمشارب تعرف بنهرها العظيم نهر النيل وبأهراماتها المدهشة، وهي التي ذكرت عدة مرات في القرآن الكريم، لها تاريخ عريق قبل وبعد الإسلام، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان ، 1989، ص322-326.

الشام[1] وما جاورهما، ويقابله من الناحية الأخرى المشرق الإسلامي، الذي كان يشمل الفرات[2] وبلاد فارس[3] وما وراء النهرين[4]، هذا ويذكر ابن الأثير أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– أثناء استعداده في الكوفة[5] لمحاربة معاوية في الشام خاطب رجاله قائلا : " تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب "، وأنه عندما أرسل إلى عامله في البصرة[6] يأمره بالاستعداد وتهيئة الناس للحرب قال له أو كتب له:"...قد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب...[7] ".

---

[1]– الشام: اسم لجملة بلاد وأكوار، أول طول بلاد الشام من ملطية إلى رفح والطريق من ملطية إلى منيج وبينهما أربع مراحل، ومن منيج إلى حلب يومان ومن حلب إلى حمص خمسة أيام، ومن حمص إلى دمشق خمسة أيام، ومن دمشق إلى طبرية أربعة أيام ومن طبرية إلى الرملة ثلاثة أيام ، ومن الرملة إلى رفح يومان وبذلك خمس وثلاثون مرحلة، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 378.

[2]– الفرات : أحد نهري بلاد العراق والتي سميت باسمهما – بلاد الرافدين – وعلى شاطئ هذا النهر عدة مدن كثيرة النخيل ، مثل الكوفة، وهو نهر كبير واسع لا تقل أهميته عن نهر دجلة بالنسبة للعراق، وبالنسبة للبلاد الواقعة على ضفتي النهر ، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص 381.

[3]– بلاد فارس: هذه البلاد مربعة الطول والعرض، وطولها أربعمائة وخمسون ميلا في أربعمائة وخمسين ميلا، وهي ذات أرض مستوية على خط من لدن أرجان إلى النوبنجان إلى كازرون إلى جرة، وقاعدة بلاد فارس هي مدينة شيراز، وهي دار مملكة فارس وينزلها الولاة والعمال ، وبها الديوان ، وهي مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل بن عم الحجاج ، ومعنى كلمة شيراز جوف الأسد، وبأرض فارس قلاع منيعة وحصون حصينة، وبها أنهار كثيرة كبار وأودية صغار ، وبها أيضا بحيرات كثيرة عليها عمارات وقرى مسكونة ومزارع، ومن أشهر البحيرات الفارسية بحيرة بدشت أرزن، وبجميع بلاد فارس بيوت نيران كثيرة ، منها بيت الكاريان وهو بيت معظم لناره موقده منذ ألف سنة، أنظر: نفس المصدر، مج1، ص 405- 424.

[4]– ما وراء النهرين: المقصود بها الأرض الواقعة وراء نهري دجلة والفرات ، فالبلاد الواقعة وراء دجلة تتمثل في مدينة بيان وهي على الضفة الشرقية من النهر، وهي مدينة صغيرة حسنة الداخل والخارج ، وتعد أيضا كل من مدن : الأبلة والمفتح والمذار من الأرض الواقعة وراء نهر دجلة ، وهي مدن صغيرة بها بعض الأسواق والمصانع ، وكذلك أرض خوزستان، وأشهر مدنها مدينة الأهواز، وأما الأرض الواقعة خلف نهر الفرات فهي بلاد الأتراك ، وهي تقع في أقصى بلاد فرغانة والشاش والطوران، والترك أصناف عدة فمنهم التبتية والتغز غزية والكيماكية والشركس وأذكش وغيرها، وكلها من خلف النهر، إلى جانب البحر الشرقي المظلم، أنظر: نفس المصدر: مج1، ص 384، 517.

[5]– الكوفة: مدينة من مدن العراق، تقع على شاطئ نهر الفرات، لها مكانة قيمة في تاريخ الإسلام ، ينسب إليها الكثير من العلماء، وتبعد عن بغداد بخمس مراحل وعن القادسية بمرحلتين وعن البصرة باثني عشرة مرحلة ، ومن الكوفة إلى مدينة واسط على طريق البطائح ست مراحل، ذات بناء حسن وأسواق عامرة وحصن حصين ، ولها ضياع ومزارع ونخل كثير، وأهلها مياسير، وتشبه بناياتها بنايات البصرة في الإتقان ومياهها عذبة، وأهلها من صرح العرب، أنظر: نفس المصدر، مج1، ص 371- 383.

[6]– البصرة: مدينة عظيمة لم تكن في أيام العجم ، وإنما اختطها المسلمون ، وهي في استواء من الأرض لا جبال فيها، ينسب إليها الكثير من الأئمة، وذكر أنه وجد بها سبعة آلاف مسجد، وفي حدود البصرة بطائح ماء معمورة، ومن البصرة إلى واسط سبع مراحل ومن البصرة إلى البحرين مرحلة، أنظر: نفسه، مج1، ص 383- 386.

[7]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، دار صادر، بيروت، 1982، ص 17.

وهناك من حدد هذه الرقعة الجغرافية بالمنطقة الواقعة غرب مصر، وأن المغرب ضد المشرق وهو بلاد واسعة ويقصد بها تلك البلاد الواقعة من حدود مصر شرقا أو من طرابلس [1] شرقا إلى بحر الظلمات أو المحيط[2] الأطلسي غربا، ومن بحر الروم[3] شمالا إلى الصحراء[4] الكبرى جنوبا[5].

وبعض الجغرافيين جعلوا الحدود الشرقية لبلاد المغرب تمتد حتى العقبة على الطريق بين برقة [6] والإسكندرية[7]، ومنهم من أخرج برقة منه، والبعض الآخر ضمنه مصر، هذا وقد قسّم المؤرخون المغرب إلى ثلاثة مناطق طبيعية حسب قربها و بعدها عن مركز الخلافة [8] وجاء التقسيم كما يلي:

---

[1]- طرابلس: تعتبر طرابلس الغرب وتقع على البحر، وهي مدينة قديمة كان بها سور صخر جليل البنيان، فتحها عمرو بن العاص سنة 23هـ فأصبحت مدينة إسلامية ذات أسواق ومساجد، أنظر: أبي الحسن علي بن محمد القرشي الأندلسي القلصادي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص124.

[2]- بحر الظلمات (المحيط الأطلسي): وهو بحر غربي يقع من جهة المغرب ولا يعلم ما خلفه ، وفيه جزيرتان تسميان بالخالدتان، ومنهما بدأ بطليموس يأخذ الطول والعرض، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص 17.

[3]- بحر الروم: اسم أطلقه العرب على البحر الأبيض المتوسط، ذلك أن العرب حين حملوا راية الإسلام وأخذوا يفسحون لأنفسهم في ظل هذا الدين الجديد مكانا في عالم القرن السابع ميلادي كان البحر المتوسط بحيرة داخلة في النطاق السياسي والحضاري للعالم الروماني، وبفتح المسلمين للإسكندرية سنة 22هـ/ 642م تم فتح مصر وبذلك صارت مصر القاعدة التي انطلق منها العرب المسلمون على سواحل بحر الروم غربا في عنف وصبر واحتمال مدى سبعين سنة، وصلوا عندها إلى مدينة سبتة سنة 91هـ/ 709 م، وبحر الروم خليج من البحر المحيط مخرجه بين أرض الأندلس وأرض طنجة، أنظر: ابن حوقل: صورة الأرض ط 2، مطبعة ليدن، (د.م)، 1938، ص 190، و أنظر الموقع : **www.omanss.com** بتاريخ 15- 11- 2009.

[4]- الصحراء الكبرى: هي المنطقة التي تفصل في قارة إفريقيا الجزء الشمالي عن الجزء الجنوبي، فمنذ حوالي اربعة الاف سنة فصلت منطقة شمال إفريقيا عن منطقة جنوب إفريقيا بالصحراء الكبرى، وبلاد المغرب يقع في شمال قارة إفريقيا وبالتالي تعتبر الصحراء الكبرى الحدود الجنوبية لبلاد المغرب، وهي الصحراء التي يدخل عليها المسافرون إلى أودغست وغانة؛ وهي صحراء قليلة الأنس ولا عامر بها وماءها قليل، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 107، وأنظر أيضا: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، تقديم: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية ، مصر، (د.ت)، ص31.

[5]- شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص 179- 180.

[6]- برقة: هي مدينة متوسطة المقدار، ليست بكبيرة القطر ولا بصغيرة وهي أول منبر ينزله القادم من بلاد مصر وهي برية بحرية، حاليا تقع بليبيا، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص 310.

[7]- الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فطش المقدوني فنسبت إليه وهي على ساحل بحر الملح بها آثار عجيبة ورسوم قائمة تشهد لبانيها ويقال أنها أول ما بنيت بعد الطوفان في زمان مصر عهد أيم بن بيصر بن نوح عليه السلام، وقد كانت الإسكندرية وجميع بلاد مصر في يد السلطة الفاطمية، أنظر: أبو الحسن علي القلصادي: المصدر السابق، ص 123، وأنظر كذلك: الإدريسي: المصدر السابق، ص 319، وأنظر أيضا: عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 54، وأنظر كذلك: عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ص 207.

[8]- سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20- 798هـ/ 640- 1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص 14.

منطقة المغرب الأدنى وهي أقرب نواحي بلاد المغرب إلى الحجاز [1] ، وسميت المنطقة أيضا بإفريقية أي صاحبة السماء أو نسبة إلى إفريقش [2] ، وقد حددت المنطقة من برقة إلى جبل نفوسة [3] ، وأما القسم الثاني من بلاد المغرب فهو منطقة المغرب الأوسط، ويمتد من وادي [4] ملوية غربا إلى بجاية [5] شرقا، والقسم الثالث فهو منطقة المغرب الأقصى ويعتبر هذا القسم من بلاد المغرب أبعد أجزاء المنطقة عن الحجاز، و يمتد هذا القسم من البحر المتوسط[6] شمالا إلى جبال درن[7] جنوبا و من وادي ملويـــة

[1]– الحجاز: هي في الأصل سلسلة جبال السروات التي تبدأ جنوبا من اليمن وتمتد شمالا إلى قرب الشام، وسميت حجازا لأنها تحتجز تهامة والغور عن نجد، وتقع الحجاز على طول سلسلة جبال الحجاز ، وتمتد بمحاذاة البحر الأحمر " بحر الحجاز " ، وبين بلدتي القنفذة والليث جنوبا مرورا بمكة المكرمة والطائف والباحة وجدة ورابغ والمدينة المنورة وينبع وقراهم وضواحيهم وباديتهم، وحدود الحجاز ونهايته من الشرق جبل حضن الواقع في عالية نجد شمالي تربة، كما هو معروف عن العرب قديما حسب المقولة المشهورة من رأى حضنا فقد أنجد– أي من كان متجها من مكة المكرمة شرقا ورأى جبل حضن فقد دخل نجد – ، والحجاز حاليا مقسم إلى قسمين: منطقة مكة المكرمة ، ومنطقة المدينة المنورة، أنظر : المنجد في اللغة والإعلام، المكتبة الشرقية، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2005، ص 118.

[2]– إفريقية: اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس ، وسميت بإفريقية نسبة إلى إفريقش ، وهو إفريقش بن أبرهة بن الزائش، وقال أبو المنذر هشام بن محمد هو إفريقش بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وهو من اختطها ، أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2، دار صادر، بيروت، 1986، ص 227، وأنظر : عبد المنعم الحميري:المصدر السابق، ص 80.

[3]– جبل نفوسة: يبعد هذا الجبل عن مدينة طرابلس حوالي ست مراحل وعن صفاقص تسع مراحل وعن جبل دمر ثلاث مراحل، ويسكن الجبل قوم من البربر يسمون رهانة، ويذكر أنهم كلهم دخلوا الإسلام لكنهم خوارج على مذهب الإباضية، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص 299.

[4]– وادي ملوية: يقع هذا الوادي إلى وادي صاع فيجتمعان معا ويصبان في البحر ما بين جراوة وابن قيس وبين مليلية، أنظر: نفس المصدر، مج1، ص 247.

[5]– بجاية: قاعدة من قواعد بلاد المغرب الاسلامي ، مدينة عظيمة على ضفة البحر وهي على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى (جبل سام)، سماها الفينيقيون بـ " صلدة " وسماها الرومان بـ " صلاتي " ، ثم خربت على أيدي الوندال ، بناها الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي سنة 457 هـ سماها الناصرية ،وتضاربت الاراء حول تسمية بجاية فراي اخر يقول سميت بجاية نسبة إلى القبيلة االبربرية التي تخيم حولها ، في عهد المنصور بن الناصر صارت عاصمة للحماديين ولعل الفرنسيين هم من أطلقوا عليها اسم بوجي " Bougie" يعني الشمعة وذلك نسبة لشهرة أهلها بتجارة الشمع منذ القديم، أنظر: أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، (د.ت)، ص 82، وأنظر أيضا: الغبريني: عنوان الدراية فيمين عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية ، تح: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 4-5.

[6]– هو نفسه بحر الروم وقد سبق التعريف به، أنظر: هامش رقم 3، ص 12.

[7]–جبال درن: جبل بالمغرب يعرف بسقنقور، وهو جبل معترض في الصحراء ، يبدأ من المحيط الأطلسي ويمر إلى المشرق، حتى يصل إلى جبل نفوسة وهناك يمسى بجبل نفوسة، ويتصل بعد ذلك بجبال طرابلس ويقال أنه متصل بجبل المقطم في مصر، وقال البكري أنه متصل بجبل الأوراس ، ويطلق أهل فاس ، وسجلماسة على هذا الجبل اسم درن، أما المصامدة فيسمونه جشكو، أنظر: عيسى بن الذيب: التجارة في عهد المرابطين (480- 540هـ/ 1056- 1145م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 1990، ص 16.

وممر تازا[1] شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا[2].

وأما حسين مؤنس فيقسم بلاد المغرب في كتابه "فتح العرب للمغرب " إلى قسمين : الأوسط ويمتد من بجاية حتى وادي ملوية، والمغرب الأقصى وهو ما يلي ذلك حتى المحيط الأطلسي، وأما المغرب الأدنى فيذكره باسم " إفريقية "[3].

وهناك من يعّرف المغرب بتقسيمه إلى نصفين نصف شرقي وهو شمال إفريقيا ، ونصف غربي وهو الأندلس[4]، ويجمعهما في مصور جغرافي [(5)] واحد، ويبدو أن ابن عبد الحكم من أصحاب هذا الرأي، إذ يذكر هذا الأخير أن المغرب لفظة تطلق على كل البلاد العربية التي تمتد من الحدود المصرية الليبية إلى المحيط، وقد أضاف إلى هذا النطاق أيضا صقلية[6] و البلاد

---

[1]- تازا: معناها في اللغة العربية الصخرة العظيمة ،وهناك ثلاث مدن بهذا الاسم: في الأندلس قرب مدينة لوقا، وفي العراق على طريق كركوك وجلولاء وبعقوبة وبغداد، وتازة في المغرب، وهذه الأخيرة هي المقصودة هنا في البحث، وهي مدينة في المغرب تعتبر مضيقا جبليا عاما يربط بين المغرب الشرقي والمغرب الغربي،ويشكل هذا الموقع نقطة تحول بين حوض ملوية الشبه جاف من جهة الشرق وحوض إيناون الخصب من جهة الغرب الذي يمتد في اتجاه الحوض الأسفل لسهل سايس، ويذكر صاحب الروض المعطار ان تازا من بلد المغرب في اولها حد ما بين المغرب الاوسط وبلاد المغرب في الطول و في العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة وغيرها وفي جبال تازا تم بناء مدينة الرباط. وترسم أيضا تازة، وهي مدينة متوسطة من أقدم المدن المغربية، تقع وسط قبيلة غياثة في منتصف الطريق بين مكناس ووجدة في موقع جبلي ممتاز بين الأطلس المتوسط وجبال الريف في ممر إستراتيجي عظيم بين المغرب الشرقي وسهول فاس. أنظر : ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 35، محمد القبلي واخرون ،المرجع السابق ، ص 74انظر الموقع:**www.aljazeeratolt.net** بتاريخ 25- 10- 2009 ، وأنظر: محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي – المغرب العربي -، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1966، ص 14- 15،الحميري : المصدر السابق ،ص128.

[2]- سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في المغرب والأندلس، ص 14.

[3]- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص 4.

[4]- بلاد الأندلس: الأندلس كلمة أعجمية كانت تنطق سابقا بالسين المعجمة، وسيأتي التفصيل في أصل الكلمة في الصفحات الموالية.

[5]- موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 15.

[6]- صقلية: جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين ، زاويتها حادة من غربي الجزيرة، طولها سبعة أيام في أربعة أيام، وهي في شرقي الأندلس في لج البحر، وتحيط بها من الغرب بلاد إفريقية، وباجة وطبرقة إلى مرسى الخزر، وقد تعرف على انها جزيرة في قطعة من البحر الشامي بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلا افتتحها المسلمون في صدر الإسلام، وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميرا وقاضيا سنة 212هـ، وقال بعضهم لا أدري جزيرة في البحر أكثر منها بلادا ولا عمارة أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 118، الحميري: الروض المعطار،367 ، ابو محمد الرشاطي ،ابن الخراط الاشبيلي :الاندلس في اقتباس الانوار وفي اختصار اقتباس الانوار ،تق وتح :ايميليو مولينا ،خاثينتو بوسك بسيلا ،تر:معهد التعاون مع العالم العربي ،ط1،المجلس الاعلى للابحاث العلمية ،مدريد ،اسبانيا ،1990،ص 171 .

الأندلسية، بما فيها إسبانيا[1] و البرتغال[2] وكل بقعة فتحها المسلمون في أوروبا[3]الغربية.[4]

اما عن الموقع الفلكي لبلاد المغرب ،فهو يقع بين الخط 28° و37° من خطوط العرض الشمالية كما يقع بين الدرجة 13 غربا والدرجة 10 شرقا من خطوط الطول وتبلغ مساحته تقريبا 950.000 كلم مربع هذا بغض النظر عن توابعه الصحراوية[5].

هذا وقد اختلف المؤرخون في تحديد الموقع الجغرافي للأندلس وفي معنى تسميتها مثلما اختلفوا في شأن بلاد المغرب، فالأندلس كلمة أعجمية لم يستعملها العرب قديما وإنما عرفها العرب في الإسلام، وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام وهي جزيرة عامرة [6]، وبلاد الأندلس على شكل مثلث طوله من المشرق إلى المغرب على ساحل البحر، فالأندلس كلها محاطة بالبحر، المحيط الغربي والبحر المتوسط القبلي، ويصعد منه قليل إلى ناحية الشرق، فحد

---

[1]– إسبانيا: نجدها في بعض المراجع والدراسات مرادفا لكلمة الأندلس ، ونجدها ترسم أيضا هسبانيا، وفي هذه الحالة تدل على شبه جزيرة إيبيريا أي بما فيها الأراضي البرتغالية، لكن المقصودة في هذه الحالة إسبانيا الحديثة أو الحالية، إن صح التعبير، وهي تشمل على الأقل نصف المساحة الإجمالية من مساحة شبه جزيرة إيبيريا، حيث تبلغ مساحة إسبانيا الحالية 195 ميل مربع، وهي تتكون أساسا من هضبة وسطى فسيحة، وتشمل قشتالة القديمة Castilla La vieja وقشتالة الجديدة Castilla la Nuevo والاسترامادور Estramadurao، وتكتنف منحدرات جبلية عالية، وإلى الشمال سلسلة جبال كانتريا، وإلى الشمال الشرقي والرشق سلسلة الجبال الإيبيرية، وإلى الجنوب الصفوف المتتابعة لجبال الشارات، وإلى الغرب هضاب جليقية (غاليسيا) والبرتغال المرتفعة، أنظر: ج.س. كولان: الأندلس، تر: لجنة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، (د.ت)، ص 61-63.

[2]– البرتغال: مدينة أزلية من غرب الأندلس، وكان بها جامع عظيم غيره الروم حين ملكوها وهي من قواعد الملك الرومي، ومساحة البرتغال الحالية أقل من خمس المساحة الكلية لشبه جزيرة إيبريا، والتي تبلغ حوالي 229 ميل مربع، أنظر: نفس المرجع، ص 61، و أنظر: مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تقديم لويس مولينا، ج1،مدريد، 1983،ص55.

[3]– أوروبا الغربية: هو مصطلح حديث ويعتبر دخيل على الفترة الزمنية التي نحن بصددها والمقصود بأوروبا الغربية في الاطار الزمني الذي يحيط بنا في البحث انها الجهة الغربية من القارة الأوروبية وبشكل مفصل حسب المصطلح الحديث فتعني الدول الاوروبية التالية: إسبانيا ، البرتغال، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، النمسا، سويسرا، المملكة المتحدة البريطانية، أيرلندا، الدانمرك، لوكسمبورغ، هولندا، بلجيكا، مالطا، الفاتيكان، أندورا، سان مارينو، ليختنشتاين، وأوروبا الغربية تمتد من جبال الألب إلى جبال البرانس ، ومن نهر الراين إلى المحيط، أنظر: كريستوفر دوسن: تكوين أوروبا ، تر و مر: عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967، ص 109.

[4]– ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس ، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، 1964، ص 37.

[5]– محمد محي الدين المشرقي: إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1969، ص 7.

[6]– ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 311.

الأندلس في الشرق والغرب وبعض البحر المحيط، وحدها في بعض القبلة والشرق البحر المتوسط[1].

ويرتبط اسم الأندلس فرضا باسم الوندال[2] (الأندليش) وأما موقعها الطبيعي فإنها تقع جنوبي غرب أوروبا، تصلها بالقارة سلسلة جبال البرانس [3]، وأما الجوانب الباقية فتحيط بها جبال سلسلة الأطلس التلي والبحر المتوسط[4]، أما الموقع الفلكي للمنطقة فإن بلاد الأندلس تقع بين خطي عرض 43° 27 " 25 و 35° 59. 30" شمالا وخطي طول 9° 30' و 3° 19 شرقا، ومساحتها حوالي 229000 ميل مربع، وتتضمن مساحتي البرتغال وإسبانيا الحالية[5].

2- أصل سكان بلاد المغرب والاندلس:

وأما عن سكان المنطقة فقد عرفوا قديما باسم البربر (Berbère)، وهو اسم أطلقه الرومان على سكان المغرب، بحيث اعتبروهم أعاجم بالنسبة لحضارتهم، فسموهم بربرا[6]، وقد فسر العرب هذه هذه التسمية تفسيرا لغويا، فلهجة البربر أعجمية، تختلط فيها الأصوات، وفسّرها بعضهم حسب عاداتهم

[1]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ط1، تح ومر: ج.س كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، 1980، ص 209.

[2]- الوندال: هم قبائل جرمانية أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى القائد الجرماني ستليخو الوندالي، الذي نزح إلى غاليا (فرنسا) ثم إلى إسبانيا في جماعات من أتباعه، أنظر: كريستوفر دوسن: المرجع السابق، ص 109.

[3]- جبال البرانس: ويقصد جبال البيرينيه وهي التي تحد الأندلس مع بلاد الإفرنج، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 435.

[4]- مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوبابة، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص 40.

[5]-ج.س كولان: المرجع السابق، ص 58- 61.

[6]- البربر: اسم أطلقه اليونان ثم الرومان على الأجانب من الأمم، والبربر الشعوب الجرمانية والمغولية التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية في القرن 3 و 4 و 5 ميلادي، أما البربر سكان بلاد المغرب في إفريقية الشمالية الأصليين من الجنس الأبيض، وهناك فرق بين البربر (Berbère) والبرابرة (Barbare) فالبربر هم السكان الأصليين لبلاد المغرب، والمقصود بالكلمة أن البربر جمع لكلمة بربري أي نسبة الى جدهم بر بن بربر بن كنعان بن حام ، هذا ويذكر ابن خلدون ان افريقش هو الذي سمى اهل المغرب بالبرابرة لما دخل بلادهم وسمع رطانتهم قال ما اكثر بربرتهم فسموا برابرة والبربرة في اللغة هي اختلاط اصوات غير مفهومة ، وأما مفهوم مصطلح البرابرة في مفهوم بعض المراجع الحديثة انها تختلف عن البربر المنتسبين الى جدهم بربر بن كنعان والبرابرة فهم اصحاب اللغة غير الواضحة و غيرالمفهومة من الاقوام الوحشية مثل أقوام القوط الجرمانيين وتعني الكلمة برابرة أي همجيين ومتوحشين ولا علاقة لهم بالسلوكات الحضارية، أنظر: ابن عبد الحكم : المصدر السابق، ص 27، ابن خلدون :العبر ،ج2، 85-86 وأنظر: كريستوفر دوسن: المرجع السابق، ص 81- 95.

في تقسيم الشعوب، فقالوا أنهم ينتسبون إلى جدهم البعيد "بر" كما ينتسب العرب إلى جدهم يعرب بن قحطان، سكنوا فلسطين[1] منذ سنة 670 قبل الميلاد، بعد الطوفان، فأخرجهم منها النبي داود[2] – عليه السلام – في القرن 10 قبل الميلاد بعد أن قتل ملكهم جالوت[3] فاتجهوا نحو المغرب حيث نزلوا الجبال والرمال، لأنهم أصحاب مواشي وخيام[4].

وفي القرن الرابع (4) هجري كانت أنساب البربر قد دونت بالعربية من طرف بعض النسابة البربر[5] حيث اتخذوا شجرة الأنساب العربية نموذجا لذلك، فقسموا قبائل البربر إلى " برانس "[6] و " بتر"[7]، فالبرانس ينتسبون إلى برنس بن بر، و أما البتر فينتسبون إلى جدهم مادغيس الأبتر،

---

[1]– فلسطين: من أطباق هذه البلاد القدس وكورة عمواس وكورة لد وكورة يبنا وكورة يافا وكورة قيسارية وكورة نابلس وكورة جبرين، وفي جنوب هذه البلاد فحص التيه وهي الأرض التي هام فيها بنو إسرائيل، وماء فلسطين من الأمطار والسيول، وأشجارها قليلة، وديار فلسطين حسنة البقاع بل أزكى بلاد الشام، ومن فلسطين إلى مدينة عسقلان مرحلة كبيرة، وبين عسقلان وغزة نحو عشرين ميلا، وتعتبر فلسطين أول أحواز الشام، وحدود ها مما يلي المغرب مقدار أربعة أيام وذلك من رفح إلى اللجون وعرضه من يافا إلى أريحا مسيرة يومين، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 354- 376.

[2]– النبي داود– عليه السلام –: هو داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل – عليه السلام – ،وجمع الله لداود عليه السلام بين الملك والنبوة، وهو الذي قتل جالوت بن ضريس، حيث يذكر بن جرير في تاريخه أن جالوت لما برز لطالوت قال له: أخرج إليّ وأخرج إليك فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت، أنظر اسماعيل بن نصر بن عبد المحسن السلاحي المعروف بابن القطعة :ابتلاء الاخيار بالنساء الاشرار ،تح :رياض مصطفى العبد الله ،ط1 ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان 1992، 150، 215-217.

[3]– جالوت: هو جالوت بن ضريس بن جانا وهو أبو زناتة المغرب، وجانا هو ابن لواء بن بر بن قيس بن إلياس بن مضر، ولما قتل داود – عليه السلام– جالوت البربري رحل البربر إلى المغرب، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص 222.

[4]– أبي القاسم عبيد الله بن خرد ذابة: المسالك والممالك، مطبعة المثنى، بغداد، (د.ت)، ص 91.

[5]– أشهر النسابة البربر: سالم بن سليم المطماطي، هانئ بن مسدور الكومي وأيوب بن يزيد الكهلان، أنظر: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج6، ط2، المكتبة العصرية، بيروت،1995، ص 89.

[6]– البرانس: هم بنو برنس بن بربر، وهم سبعة قبائل : أوربة، صنهاجة،كتامة، زواوة، مصمودة، أريغة، أزداجة، وقيل عشرة يضاف إليها: لمطة وهكسورة، أنظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، ط 3، دار الكتب المصرية، مصر، 1991، ص 290،ابن خلدون :العبر ،ج6،ص85-86

[7]– البتر: وينقسمون إلى أربعة قبائل وهي: ضريسة، نفوسة، أداسة ولواتة، وتنقسم ضريسة إلى فرعين هما: مكناسة وزناتة والتي يعتبرها البعض فرعا قائما بذاته، أنظر : القلقشندي: نهاية الإرب، ص 292،ابن خلدون :العبر ،ج6،ص89

ويشك ابن خلدون وبعض المؤرخين في رجوعهم إلى البربر، بل يؤكد ابن خلدون على أن زناتة[1] البترية من أصل شامي فلسطيني، ويذكر أن البربر من نسل برنس فقط، والبتر ليسوا من البربر لكنهم أخوة البربر لرجوعهم كلهم إلى كنعان[2] بن حام[3].

هذا عن السكان الأصليين لبلاد المغرب، أما عن الوافدين إلى المنطقة، فحسب ما تذكره المصادر تواجدت ببلاد المغرب طبقة تسمى الأفارقة، وهم فئة مسالمة امتهنت الفلاحة والتجارة ولم يكن الحكم بأيديهم و لا أصحاب سلطة، و هم خليط من الوافدين أو المستعمرين الأجانب ،

---

[1]- زناتة: اسم قبيلة نسبة إلى جانا بن يحي بن صولات بن ورساك بن ضري بن مقبو بن يملا بن مادغيس بن زجيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هريك بن بر بن بربر بن كنعان بن حام وفيه روايات أخرى، وهي قبيلة من فرع ضريسة وتنتمي إلى كتلة البربر البتر و يوجد صعوبة في تحديد موقعها الجغرافي إلا أنها انتشرت في المغرب الأوسط فيقال المغرب الأوسط وطن زناتة ويؤكد ابن خلدون أن نسب زناتة من أصل شامي فلسطيني من البتر نسبة إلى مادغيس الأبتر، ولقبيلة زناتة عدة فروع وطبقات وفي الأغلب موطنهم يمتد من تاهرت إلى وادي ملوية، أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 7،ص2-14، وأنظر أيضا:محمدبن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984،ص17-18، و أنظر كذلك: لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/ 1236- 1554م)، رسالة دكتوراه دولة ، قسم التاريخ، كلية الآدا ب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2004-2005، ص 19.

[2]- كنعان بن حام: هو كنعان بن حام بن نوح – عليه السلام – يحمل الإسم معنى اللون الأحمر الأرجواني، وقد اختلف المؤرخون حول سبب التسمية، فهناك من قال نسبة للون البشرة الحمراء ، وهناك من قال نسبة لصبغة حمراء أرجوانية كان كنعان وذريته يتقنون إنتاجها، والكنعانيون في الأصل حاميين، وقد استقروا في جنوب سوريا وفلسطين، وسيطروا على المنطقة سيطرة تامة، حتى أنها عرفت باسم أرض كنعان، ويذكر أن النوبيون أيضا من ولد كنعان بن حام ويذكر ابن خلدون ان البربر هم من العرب التي هاجرت من بعض قبائل حمير وسبأ في اليمن، ومن بلاد الشام، ومن ثم فإذا كان البتر من أصل شامي فلسطيني فان البرانس هي من قبائل حمير وسبا في اليمن حيث يذكر ابن خلدون ايضا ان افريقش ساق العرب الى افريقية من ارض كنعان وفي موضع اخر يذكر انه من اهل اليمن من التبابعة من حمير وتتفق معه مصادر اخرى في هذا وقد يكون رافق افريقش وقومه بعض الكنعانيين الى افريقية من ارض المغرب ، وبذلك فإنه فعلا البتر إخوة البرانس في رجوعهم إلى الأصل كنعان بن حام مثلما ورد عند ابن خلدون، أنظر: ابن خلدون: العبر ، ج2،ص85-86 ، 290-292، العبر، ج7، ص 2-3، ، وأنظر كذلك: محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص 17.

[3]- ابن خلدون: العبر ، ج7، ص 2- 3، وأنظر كذلك: محمد بن عميرة: المرجع السابق ، ص 17، وأنظر أيضا:

Tauxier (E) : Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mohamet, Revue Africaine, 1964, p59.

ويلقبون بالكولون (Colons) وبقايا الشعب القرطاجي [1] القديم ومزارعي البيزنطيين [2] وصناعهم، ونفر من البربر ممن استقروا ودخلوا في طاعة البيزنطيين[3].

و هناك طبقة أخرى وهي الروم ويقصد بهم البيزنطيون الذين كانوا يدعون للمسيحية ببلاد المغرب، فيذكر بعض المؤرخين العرب بأن الروم هم رعايا الإمبراطورية المسيحية و ليسوا بمسيحيي أوروبا الغربية[4]، ووُجِدَت بعد الفتح[5]الإسلامي للمنطقة طبقة أخرى من الوافدين إلى بلاد المغرب وهم العرب الذين استقروا بالمنطقة وتصاهروا مع البربر حتى صاروا طبقة واحدة ومجتمعا واحدا، حيث تعرَّب البربر بدخولهم إلى الإسلام.

هذا عن سكان بلاد المغرب، أما عن سكان بلاد الأندلس أو الجزء الآخر من بلاد المغرب إعند بعض المؤرخين ، فيذكر ابن عذاري المراكشي أن أول من نزل بالأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون " بالأندلش "بسين معجمة، فسميت بهم الأندلس بالسين غير المعجمة، وهم قوم كانوا مجوسا فاقتلعهم الله عنها بحبس المطر عنهم، فجفت أنهارها ووديانها، فتفرقوا حتى أصبحت خالية لمدة 100 سنة تقريبا[6].

---

[1]- الشعب القرطاجي : يقصد بهم بقايا سكان المملكة القرطاجية وهو خليط من الفينيقيين (القادمين من لبنان) والليبيين (البربر) والإيبيريين والسردينيون، وحتى بعض الجاليات اليونانية، حيث بلغ عدد سكان مملكة قرطاجة ما بين ثلاثة ملايين و أربعة ملايين نسمة، حيث كانت قرطاجة تحكم 300 مدينة في شمال إفريقية، وبلغ عدد سكان مدينة قرطاجة 700 ألف نسمة، أنظر : أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور- من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي- ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 34- 41.

[2]- البيزنطيون: هم شعب مملكة بيزنطا، الإمبراطورية التي برزت إلى الوجود في العصور الوسطى على يد قسطنطين، الذي جعل منها إمبراطورية قوية واتخذ القسطنطينية مركزا لحكمه، والمسيحية دينا ومذهبا له ولأتباعه، أنظر: الباز العريني : الدولة البيزنطية (323م-1071م) ، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 115- 116.

[3]- يذكر ابن عبد الحكم أن الأفارقة كانوا خدما للروم وخاضعين لهم، وقد امتهنوا الزراعة والصناعة فقط، أنظر : ابن عبد الحكم ، المصدر السابق، ص 29.

[4]- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص 58.

[5]- الفتح الإسلامي لبلاد المغرب: بدأ الفتح الإسلامي للمنطقة بحملة عمرو بن العاص نحو برقة وطرابلس بغرض تأمين حدود مصر الغربية من خطر الروم بعد فتح الإسكندرية سنة 21هـ الموافق لـ 642م ونشر الدعوة الإسلامية من جهة أخرى، ومن أشهر قادة الفتح الإسلامي ببلاد المغرب ، عقبة بن نافع، أبي المهاجر دينار، زهير بن قيس البلوي، حسان بن النعمان، أنظر: نفس المرجع، ص 54، وأنظر أيضا: صالح مصطفى مفتاح مزيني: ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الدار العربية، طبرقة، 2002، ص 26.

[6]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 209.

وقد سكن الأندلس بالإضافة إلى القوم الذين سبق ذكرهم ، قوم آخرون عرفوا باسم " الإشبان" نسبة لرجل ظهر بإشبيلية اسمه " إشبان "؛ وكان رجلا ضعيفا ثم علا شأنه وشاع ذكره، فتغلب على بقايا قوم " الأندلش"، فسكن المنطقة برفقة أتباعه، ثم دخلها قوم القوط [1]، ولم تكن أثناءها تحت سلطة روما[2] وكان ملوك القوط في الأندلس حوالي 16 ملكا، آخرهم " لذريق "[3]، وفي أيامه شهدت الأندلس حركة الفتح الإسلام[4]

3- الحياة السياسة بعد الفتح الإسلامي:

ومما سبق ذكره يمكن القول أن الخصائص الطبيعية والبشرية لمنطقة بلاد المغرب بما في ذلك الأندلس، إضافة إلى الأوضاع السياسية التي عرفتها المنطقة قبل وبعد الفتح الإسلامي، خاصة ما تعرضت له من ضغط بعض الولاة المسلمين الذين استغلوا بعد المنطقة عن مركز الخلافة الإسلامية

---

[1]- القوط (Goths): قبائل جرمانية شرقية، والأرجح أنهم قدموا من اسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، كان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي، وينقسمون إلى قوط شرقيين Ostrogoths وقوط غربيين Visgoths، لكنهم توحدوا تحت حكم ملك قوطي واحد في أوائل القرن السادس ميلادي وهو الملك القوطي الشرقي ثيودوريك العظيم، حيث استطاع أن يدخل مملكة القوط الغربيين تحت حكمه لفترة تزيد عن العقدين، وكل المعلومات الخاصة بالقوط قبل 551 م توجد في مصدر وهو بعنوان "جيتيكا" للمؤرخ يوردانس، أنظر : كريستوفر دوسن: المرجع السابق، ص 111.

[2]- روما :كانت هذه المدينة في القديم دار مملكة الروم ،نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكا ،ثم ملك بها قسطنطين الاكبر الذي تركها وانتقل الى بيزنطا ،وهي حاليا عاصمة ايطاليا احدى دول اوروبا الغربية .انظر عبد المنعم الحميري :المصدر السابق ،ص 481.

[3]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 209- 210.

[4]- الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس: إن حركة الفتح الإسلامي بدأت عندما بعث موسى بن نصير والي إفريقية مولاه طريفا إلى الأندلس سنة 91 هـ ووصل حتى الجزيرة التي تحمل اسمه الآن، وفي سنة 92هـ بعث مولاه وعامله على طنجة طارق بن زياد بن عبد اله بن رفه بن ورفجون بن بترغاسين بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاوة إلى الأندلس وأعانه على الدخول إليها " إليان "، الذي اختلفت المصادر في ذكره إذا كان صاحب طنجة أو صاحب سبتة ، إلا أنها تتفق في أنه استنجد مرة بموسى بن نصير ضد لذريق ملك الأندلس فأنجده موسى فرد الجميل وأعان طارق على الدخول إلى الأندلس، وقد كانت عاصمة مملكة لذريق طليطلة ، فركب طارق البحر ونزل بجبل طارق الذي حمل اسمه بعد نزوله به ولازال يحتفظ بهذا الاسم إلى الآن، وبعد نزوله بهذا الجبل سمع به لذريق فجمع جيشه وقابله فالتقيا ودامت أيام القتال بين الطرفين ثمانية أيام ، فانتصر طارق بن زياد رغم قلة جيشه مقارنة بجيش لذريق، إذ بلغ جيش لذريق ضعف جيش طارق الذي قدر بحوالي اثنا عشر ألف مسلم من العرب والبربر إلا أن النصر كان حليفهم لثقتهم في إيمانهم وحبهم لنشر الإسلام في المنطقة، أنظر : ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 250، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، تح : محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص 36، وأنظر كذلك:عمار هلال: العلماء الجزائريون في الأندلس فيما بين القرنين 10- 14م/ 4-8هـ) مجلة الدراسات التاريخية، العدد 8، معهد التاريخ، الجزائر، 1993- 1994، ص 7.

هذه الأسباب كلها وهذه الظروف أدت بسكان المنطقة إلى البحث عن حاكم بديل للولاة المسلمين، مما فتح المجال إلى تنوع المذاهب [1] الدينية، و الحركات السياسية للمنطقة، وأدى إلى ظهور عدة دول[2] بالمنطقة حيث كانت تقوم كل دولة على أنقاض دولة أخرى بعد سقوطها ، و قد كان يرتبط قيام كل دولة بالدعوة إلى مذهب ديني معين، وعلى هذا المنوال بقيت المنطقة تشهد سقوط دولة وقيام أخرى؛ وبإتباع مراحل الحياة السياسية لبلاد المغرب الاسلامي فإن الموضوع الذي نحن بصدد دراسته يجبرنا علىالتوقف عند عدة محطات تاريخية لعدة دول قامت بالمغرب الاسلامي بعد عصر الولاة.

فباتباع المسار التاريخي لدول المغرب الإسلامي فإننا نجد أول دولة نشأت بمنطقة بلاد المغرب الإسلامي بعد عصر[3] الولاة ،هي الدولة الرستمية والتي تأسست على يد عبد الرحمن [4]بن رستم سنة

[1]- من بين المذاهب الدينية التي عرفتها منطقة بلاد المغرب بما فيها الأندلس: المذهب الإباضي، المذهب الصفري وأتباعهما خوارج ، والمذهب الشيعي وأتباعه شيعة، والمذهب المالكي وأتباعه سنة ، وهناك مذاهب أخرى، أنظر:رابح بونار: المغرب العربي ، تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 30-50، وأنظر أيضا: عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982، ص89-100.

[2]- من بين أهم الدول التي تعاقبت على بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي : الدولة الرستمية ذات المذهب الإباضي، الدولة المدرارية ذات المذهب الصفري، الدولة الإدريسية ذات المذهب الشيعي، الدولة الأغلبية كانت تابعة للخلافة بالمشرق، الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعي ونظرية المهدي المنتظر، الدولة المرابيطة صاحبة المذهب المالكي، الدولة الموحدية والتي مزجت ما بين المذهب السني والشيعي والخارجي، حيث جاءت بنظرية التوحيد ونظرية المهدي المنتظر، أنظر: سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، ج 1 وج2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993، ص 423-424، وأنظر كذلك: سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في المغرب... ، ص 101.

[3]- عصر الولاة : يطلق هذا المصطلح في التاريخ الاسلامي على الفترة الواقعة بين الفتح الاسلامي لبلاد المغرب وقيام اول دولة مستقلة فيه اي هو الذي يمتد من الفتح االاسلامي حتى قيام الدولة الأموية في الأندلس والخوارج بالمغرب أي منذ عام 91هـ حتى 138هـ الموافق لـ711م -756م. أنظر :ابراهيم بن اسحاق الرقيق :تاريخ افريقية والمغرب ،تح:عبد الله العلي الزيران ،عزالدين عمر موسى ،ط 1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان 1990،ص38 ،حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب والاندلس ،دار الرشاد ،مصر ، 2004،ص65.

[4]- عبد الرحمن بن رستم الخارجي :هو عبد الرحمان بن رستم بن بهراما الفارسي ،كان مولى لعثمان بن عفان و كان خليفة لأبي الخطاب أيام تغلبه على إفريقية ،و لما دخل إبن الأشعث القيروان ،فر عبد الرحمان إلى الغرب بما خلف من أهله و ماله فاجتمعت إليه الإباضية ،وتجمع المصادر على انتمائه الى الفرس من طبقة الحكام الاكاسرة ، الا انها تختلف في التفاصيل حيث يذكر ابن خلدون انه من ولد رستم امير الفرس بالقادسية بينما يذكر البكري انه من ولد سابور ذي الاكتاف الملك الفارسي ،ومصادر اخرى للخوارج تذكر ان نسبه يتصل بكسرى انو شروان ملك الفرس. أنظر إبن عذارى المراكشي :المصدر السابق، ج 1 ،ص 196 ،محمود اسماعيل عبد الرزاق :الخوارج في بلاد المغرب – حتى منتصف القرن الرابع هجري – ط2، دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب ، 1985،ص144-145 ،ابن حيان القرطبي : المقتبس من انباء اهل الاندلس تح :محمود علي مكي ،لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ،مصر ،1994،(د.ط)،ص267.

140 هـ الموافق لـ 777م ،وقد جاءت هذه الدولةلتطبق تعاليم الاسلام وفق المذهب الاباضي[1]الخارجي نسبة الى الخوارج [2]و ينتسب هذا إلى صاحبه عبد الله بن إباض [3]، و قد نشأت هذه الدولة بالمغرب[4] الأوسط و اِتخذت تيهرت[5] عاصمة لها.

---

[1]- المذهب الإباضي : لم تتفق المصادر بشأن هوية صاحب الإباضية فهناك من يرى أنه ظهر في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بن أمية، وهناك من يرى أنه يعود لعبد الله بن إباض، وهناك من يقول أنه قبل أن يكون مذهبا كان فرقة من الفرق التي تفرعت من حركات الخوارج ، و تنسب الفرقة إلى عبد الله بن إباض التميمي ومن أئمتها أبو الشعث ، جابر بن زيد الأزدي وهو مؤسسها الحقيقي هذا الآخر الذي ولد سنة 22 هـ كان من أعظم علماء عصره بالشريعة متعمقا في أحوال الفقه ، أخذ العلم عن الكثير من الصحابة ينادي بالقضاء على النظام الذي ابتدعه بني أمية ، وخلف جابر بن زيد الأزدي أبي عبيدة مسلم الذي أدرك مدى صعوبة الدعوة للمذهب الجديد في الشرق الإسلامي و رأى أن ينطلق بدعوته من أطراف الدولة الإسلامية ، فكان اختياره المغرب حيث بعث إلى المطقة أحد تلامذته وكان رجلا معروفا بحماسته للإباضية و هو سلمة بن سعد و قد بدأ في نشر الدعوة أوائل القرن الثاني هجري ، فأنشر المذهب بشكل كبير و رائع و أقبل البربر عليه بشكل مريع و كثيف مما مهد لقيام دولة إباضية ، أنظر : معروف نايف : الخوارج في العصر الأموي ، نشأهم ، تاريخهم و عقائدهم ، أدبهم، ط و ، دار الطبع بيروت، 1981 ، ص 237 . أنظر أيضا: أبو زكريا يحيى : بغية الرواد ، ص 143 .

[2]- الخوارج: عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات كثيرة منها تعريف أبو الحسن الأشعري حيث قال أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب ،وينسب أن خروجهم عليه هو السبب في تسميتهم بهذا الاسم ، وخرجوا على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله لتحكيم في موقعه صفين ، و لهم ألقاب أخرى عرفوا بها منها الحرورية و الشراة و المارقة و المحكمة ، و هم يرضون بجميع الألقاب إلا المارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السمين الرمية و اتخذت حركة الخوارج بعد ظهور أنصار الخليفة علي، و بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حرض دعاة الخوارج على الخروج عن الأموين و نشطت حركتهم اِنطلاق من ثورة ميسرة سنة 122هـ الموافق لـ: 740م هذا و تذكر المراجع آن السياسة الجائرة للخلفاء الأمويين ساهمت في بروز دعاة الخوارج أنظر : أبو زكرياء يحي اِبن خلدون ،المصدر السابق ،ص 5،رشيد بوريبة وآخرون:الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني المؤسسة الوطنية للعنوان المطبعية ،الجزائر 1984،ص642 ، محمود اسماعيل عبد الرزاق:المرجع السابق ، ص24-49،جعفر السبحاني :المذاهب الاسلامية –كتاب يبحث عن المذاهب الاسلامية تاريخيا وعقائديا على ضوء المصادر الموثوق بها،الملل والنحل – دار الولاء ،بيروت ،لبنان ،2005،ص 130-131 .

[3]- عبد الله بن إباض :أهملت مصادر و مراجع التاريخ الإسلامي ميلاد و تاريخ و نشأة عبد الله بن إباض لكنها كلها تجمع على أنه عبد الله بن إباض المقاعسي المري التميمي من بني مرة بن مقاعس من دعاة الإباضية ،يقال أنه عاصر معاوية بن أبي سفيان في خلافته أدرك خلافة عبد الملك بن مروان توفي سنة 86هـ انظر ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني :الملل والنحل ،تصحيح و تعليق :محمد فهمي محمد،ج1 ،ط2،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان 1992،ص131،حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب والاندلس ،ص 115، سفر الحوالي :عبد الله بن اِباض التميمي www.alhawali.com 08-05-2012.

[4]- المغرب الأوسط :هومصطلح غير صالح لفترة بحثنا هذه لأنه متأخر عنها فمصطلح المغرب الأوسط ظهر في عهد الدولة الزيانية وهو المنطقة الممتدة من وادي ملوية غربا إلى بجاية شرقا ،أنظر سعدون نصر الله :تاريخ العرب السياسي في المغرب والأندلس،ص 14و أيضا حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،(د .ت)،ص 4.

[5]- تيهرت :و ترسم أيضا تاهرت كانت سابقا مدينتان كبيرتان، إحداهما قديمة والثانية محدثة ، والقديمة ذات سور، وتاهرت أسسها و قام ببنائها عبد الرحمان بن رستم في حوالي 160 هـ ، بينها و بين البحر 4 مراحل وبين تلمسان و تاهرت تسكن القبائل البربر تشتمل زناتة ،أنظر :الإدريسي: المصدر السابق 177 ،ص 255.

هذا و بعد فترة زمنية معينة قامت بالمغرب الأقصى [1] دولة الأدارسة [2] لتكون ثاني دولة مستقلة بالمغرب الإسلامي، و قد كان قيامهـــا في حـوالي 170هـ المـــوافق لـ : 770م و قد نشأت على يد إدريس [3] بن عبد الله ، و قد قامت هذه الدولة على أسس شيعيـــــة لأنهـــا جـــاءت تبعث أفكـــــار إحـــدى الفـــــرق الشيـــــعية [4]

---

[1]– المغرب الأقصى :هو مصطلح غير صالح لفترة بحثنا لأنه ظهر متأخر عنها وساد غي عهد الدولة المرينية وهو أحد أجزاء منطقة بلاد المغرب عن الحجاز و يمتد من البحر المتوسط شمالا إلى المحيط الأطلسي غربا و جبال درن ووادي ملوية وممر تازا شرقا أنظر: سعدون نصر الله :تاريخ العرب السياسي في المغرب و الأندلس ،ص14.

[2]– دولة الأدارسة :هي ثاني دولة مستقلة بالمغرب الإسلامي تأسست 170 هـ–770م بالمغرب الأقصى على يد إدريس بن عبد الله الكامل اتخذت من مدينة و ليلى عاصمة لها إلى غاية 807م ثم نقلها إلى فاس أنظر :سعد زغلول عبد الحميد :تاريخ دولة الأغالبة والرستميين و بني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين ،ج 1 ،ج2،منشأة المعارف الإسكندرية ، 1999، ص 67-79 ،أنظر أيضا سعدون نصر الله :دولة الأدارسة في المغرب و الأندلس –القسم الثاني ص 14 ومايليها ، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي لنفس المؤلف ،ص 12 وما يليها.

[3]– إدريس بن عبد الله :هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– و أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. أنظر علي الجزنائي :جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس ،تح:عبد الوهاب بن منصور ،ط2،المطبعة الملكية ،الرباط ،1991،ص12–14، حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والاندلس ،ص125.

[4]– الفرق الشيعية :تنقسم فرق الشيعة إلى الكيسانية و هناك من يقول أنها سميت كذلك نسبة إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب ،بينما ينسبها اِتجاه آخر إلى شخص آخر و هو كيسان أبي عمرةرئيس شرطة المختار الثقفي الذي تولى زعامة الحركة الثورية ، و هذا هو الأرجح لأن كيسان مولى علي قتل في معركة صفين ، بينما ثبت أن كيسان أبا عمرة هو الذي نظر للمذهب إبان حياة محمد بن الحنفية إمام الكيسانة و المختار قائد الدعوة و الثورة . و قد كان كيسان أبا عمرة مولى للحسن ، ثم تلميذا لمحمد بن الحنيفة بن علي بن أبي طالب و تهتم عقائد الكيسانية بتجاوز الإقطاعية الأموية بإقامة نظام سياسي يحقق طموحات المستضعفين في إطار عدالة الإسلام ، هذا و قد خص الكيسانية محمد بن الحنفية بالإمامة لأنه يلي مكانة الحسن و الحسين ، باعتباره ابن علي بن أبي طالب و هو أول من اختص بلقب المهدي و اقترنت المهدوية من بعده بالكثير من دعوات الفرق الأخرى ، واشترط الكيسانية شرطان. للإمام هو الإجماع و عدم إسالة الدماء ،و يرتبط موضوع الإمامة عندهم القول بالوصية وإختصاص الإمام بالتأويل الباطني و هي صفة تجمع بين كل فرق الشيعية ،أما الزيدية فهم فرقة علوية تنتسب إلى الإمام زيد بن الحسين بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،و قد نشأت هذه الفرقة في المدينة و تقلبت ما بين الكوفة و البصرة ،و ساق الزيدية الإمامة على مذهبهم باِختيار أهل الحل و العقد لا بالنص ، و حجتهم في ذلك أنها لا تستحق على وجه الإرث و لا جزاء على الأعمال،كما رفض الزيدية مبدأ ألتقية و أوجبوا أن يكون الإمام عالما زاهدا شجاعا غير حوار و لا جزوعا ،عليه أن يشهر سيفه على جماعة المسلمين أن يعرفوه ليمكنهم إجابته و نصرته ،كذلك لم يقولوا بمبدا العصمة للإمام ،ومن ثم جوزوا إمامه المفضول مع وجود الأفضل ،و هناك أيضا فرقة الإسماعلية و تنسب إلى الإمام الشيعي السابع إسماعيل بن جعفر الصادق لذلك عرفوا باسم االاسماعيلية تمييزا لهم عن الأئمة الإثنا عشرية ،و قد حولت الحركة منذ إمامة محمد بن إسماعيل إلى الاستشار و الدعوة لإمامة المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ،و قد قدس الإسماعلية أئمتهم إلى حد جعلهم في منزلة أعلى من منزلة النبوة ،و أنهم يؤولون القرآن تأويلا باطنيا إلى مد عدم الاعتراف بالسنة النبوية ، ثم فرقة الدروز ،و هناك من يقول أنها فرقة من فرقة الشيعية ، و =

و هي الفرقة الزيدية[1].

و في المغرب الأدنى [2] قامت دولة أخــرى مستقلة لكن ليس [3]كليا عن الخلافـة بالمشـرق [4]و هي الدولـة الأغلبيـة [5]، و كــان قيــامها على يـــد

=هناك من يقول أن الدروز ليس مسلمون إطلاقا و إنما ملاحدة و هناك من يرى أنهم فرقة من فرقة الإسماعلية بعد أن تفرعت ،و هذا هو الأرجح ، ومؤسس مذهبهم هو حمزة بن علي ،و أما فرقة الإثنا عشرية فقد اِرتبطت بالعصر بين الأموي و العباسي و كانا على عداء معها حيث وصف أهل السنته هذه الفرقة بأنهم رافضة "غلاة" ،إلا أن مذهب هذه الفرقة يوحي بالإعتدال ،و يعني عندهم الإمام صاحب الحق الشرعي لكون الإمامة أصل من أصول العقيدة ،و اعتقدوا بوجوبها و إستمرارها في كل عصر و يقول الإمام الصادق منهم :" لو بقيت الأرض بغير إمام لساحت " و يشترطون في الإمامة صفات مثل العلم و البأس و الشجاعة ، وتعد "المهدوية" من أكثر ركائز الفكر السياسي عند الإثناعشرية،فقد قالوابغيبة الإمام محمد المهدي و رجعته . و هناك فرقة العلويون النصرية ،و تنسب هذه الفرقة إلى محمد بن نصير الذي كان داعية للإمام الحادي عشر للشيعة الإثناعشرية و هو الحسن العسكري ،أما اِسم العلويين فقد اِختلفوا فيه هناك من يرى أنها حديثة اِرتبطت بالاِحتلال الفرنسي لسوريا ،و هناك من يرى أنه اِسم قديم و لأنهم كانوا على المذهب الشيعي الإثناعشرى منذ وقت مبكر و هذا هو الأرجح .أنظر: محمود إسماعيل :فرق الشيعة بين التفكير السياسي و النفي الديني،ط 1،سينا للنشر القاهرة ،مصر ، 199 ،ص 11-112،الشهرستاني : الملل والنحل ،ج1،ص144.

[1]- الزيدية :ظهرت هذه الطائفة بعد مقتل الحسن رضي الله عنه فلم يجدوا في زين العابدين الإمام الذي يسير على هواهم بل يدعهم و ما يدعون و أصبح من أولياء بني أمية و جليس يزيد بن معاوية لذلك اِنتسب الفرقة إلى ابنه زيد الذي خرج على حكام بن أمية وأشهرسيفه ولذلك سموا بالزيدية و استملت هذه الطائفة الإمامة في أبناء زيد و تعتبر هذه الفرقة من أقرب طوائف الشيعة لأهل السنة ،فهم لم يكفروا الصحابة رضي الله عنهم ،و لم يتطاولوا عليهم ،بل اِعترفوا بإمامة الخلفاء أبو بكر و عمرو عثمان رضي الله عنهم لمبايعة علي لهم و إن كان بعض فرق الزيدية خالفت ذلك وخرجت على مبادئ زيدإلاأنهم قلة، وقد قتل زيد بن علي –رضي الله عنه–،بعدما غدر به الشيعة من أتباعه و تركوه في أرض المعركة منفردًا.و الزيدية يقولون بولاية المفضول و بعدم عصمة الأئمة و لايدعي بوجود الغائب المكتوم و لكنهم وافقوا المعتزلة بمرتكب الكبيرة و أنه بين منزلتين ،أنظر :محمود إسماعيل :المرجع السابق ،ص 29 -40 ،الشهرستاني :الملل والنحل ،ج1،ص 153-156 .

[2]- المغرب الأدنى :أقرب نواحي بلاد المغرب إلى الحجاز و سميت المنطقة أيضا إفريقية أي صاحبة السماء أو نسبة إلى إفريقيش ،قد حددت المنطقة من برقة إلى جبل نفوسة .أنظر :ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج 2،دار صادر ،بيروت 1986،ص277 ،عبد المنعم الحميري :المصدر السابق ،ص 80.

[3]- المقصود بذلك أن الدولة الأغلبية كانت مستقلة سياسيا و عسكريا و اِقتصاديا عن الخلافة العباسية بالمشرق و تابعة لها إسميا ،و ذلك مقابل أنه كان الأمير الأغلبي يدفع لأمير المؤمنين بالمشرق أربعون ألف دينار سنويا ويستغني عن مائة الف دينار كانت ترسل من مصر معونة لوالي افريقية .أنظر :عبد العزيز الثعالبي :تاريخ إفريقية الشمالية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ط 1 ،دار المغرب الإسلامي ، بيروت،1987،ص203-204، حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب والاندلس ،ص 96 .

[4]–يقصد به هنا حدود الخلافة الإسلامية بالمشرق أي الحدود الجغرافية لدولة العباسية حسب التسلسل الزمني و المزيد من االتفصيل في تاريخ المشرق الإسلامي. أنظر:حسين مؤنس :اطلس تاريخ الاسلام ،ط 1،الزهراء للاعلام العربي ،القاهرة ،مصر ، 1987،ص 145-148، 153

[5]- الدولة الأغلبية : هي ثالث دولة مستقلة بالمغرب الإسلامي تأسست بالمغرب الأدنى سنة 184 هـ الموافق ل: 800م بعد أمر هارون الرشيد الخليفة العباسي أنذاك و بعزل والي إفريقية آنذاك محمد بن مقاتل العكي و تولية إبراهيم بن الأغلب الذي أسس دولة عرفت بإسمه=

إبراهيم[1] بن الأغلب ،و قد سقطت هذه الأخيرة على يد الفاطميين [2] بعد زحفهم من المغـرب الأوسط و الأقصى إلى المغـرب الأدنى ،حيث تعد الدولة الفاطمية [3] الدولة الشيعية الثانية في بلاد المغرب الإسلامي بعد الدولة الإدريسية ،التي لم تسلم هي الأخرى من زحف الفاطميين ،

=و اِستمرت إلى غاية 296هـ ،الموافق لـ 909م ،الموافق لـ 909م ،حيث سقطت على يد الفاطميين، اهتم الأغالبة بالسياسة و الاقتصاد والجيش وحتى بالأسطول البحري، حيث قسم الأغالبة جيشهم إلى ثلاثة أقسام :الحرس الملكي و الجيش البري و الجيش البحري مما مكنهم من الاستيلاء على سواحل مملكة فرنسا و إيطاليا و كورسيكا و سردينا و صقلية ،أنظر :سعد زغلول عبد الحميد :المرجع السابق ،ص 28 ،ستنالي لين بول :الدولة الإسلامية ،تر : محمد صبحي فرزات ج 1،مكتب الدراسات الإسلامية ،دمشق ،(د.ت) ،ص 79، حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب والاندلس ،ص 95-97.

[1]- إبراهيم بن الأغلب :يذكر اِبن حزم أن إبراهيم بن الأغلب ينتسب إلى اِبن سالم بن عقال بن خفاجة بن عباد بن عبد الله بن محمد بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ،و يرجع اِبن خلكان نسبة إلى شجرة أعرق من ذلك و يقول أنه إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محراث بن سعد بن زيد بن منأة بن تميم بن مد ابن بن طابخة بن إلياس بن مغر بن نزال بن معد بن عدنان ،دخل والده الأغلب إفريقية مع قوات محمد بن الأشعث سنة 144هـ الموافق لـ:761م وعهد إليه المنصور ولاية إفريقية في أواخر سنة 148هـ الموافق لـ:765م أوائل 766م و مات سنة 150هـ الموافق لـ :767م و كان عمر ولده إبراهيم آنذاك عشر سنوات و قضى ابنه إبراهيم بعده صباه في التعلم و التحصيل بالفسطاط و عندما وصل سن الشباب دخل في جند مصر و سار إلى المغرب على نهج والده الأغلب. أنظر :محمد طنابجي :الدولة الأغلبية ،تر: المنجي الصيادي ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان 184-296هـ ،1985 ،ص102 ،أنظر: سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ،ص27.

[2]- الفاطميون :ظهروا ما بين القرن 10-12م في شمال إفريقيا و أجزاء من منطقة الشرق الأوسط و هم من الشيعة من المذهب الإسماعيلي،تلقبوا بالفاطميين نسبة إلى فاطمة اِبنة النبي – صلى الله عليه و سلم- ،حيث يدعون أنهم من نسلها و أحفادها ،و تمكنوا من إنشاء دولة شيعية ببلاد المغرب الإسلامي ثم اِرتحلوا إلى مصر و أقاموا الدولة الفاطمية بمصر أنظر :اِبن أبي دينار القيرواني :المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ص52 -73 ،أنظر أيضا: المرشد للفنون الإسلامية amwaj.org.il 15-05-2012.

[3]- الدولة الفاطمية :هي ثاني دولة شيعية ببلاد المغرب الإسلامي و على أنقاضها سقطت كل دويلات المغرب الإسلامي المستقلة و ظهرت على إثر دعوة أبو عبد الله الشيعي الذي اِنتقل إلى بلاد المغرب سنة 280هـ -893م و بدأ باِستمالة قبائل البربر في بلاد المغرب الذي أقبلوا على الدعوة دون تردد ،و بذلك تمكن أبو عبد الله الشيعي من إرساء قواعد تأسيس دولة فقامت على يده وكان أول خليفة لها هو عبيدة الله بن محمد يقال من نسل الإمام جعفر الصادق من نسل علي – رضي الله عنه – و قامت الدولة الفاطمة ببلاد المغرب سنة296 هـ الموافق ل:908م ،و قد اِستتب الحكم بيد عبيدة الله الشيعي ببلاد المغرب طيلة 24 سنة بداية من 297هـ -322 هـ الموافق لـ 910-934م ، و أخضع له قبائل البربر و العرب ،و لما صار الأمر بيده أجبر أهل البلاد على أن يدينوا بالشيعة ،و كان يبيد كل من يخالف عقيدته أنظر القيرواني :المصدر السابق ،ص 52-58 ،جمال سرور :الدولة الفاطمية في مصر ،ص 87 ،أنظر أيضا .عزت أندزاوس موسوعة تاريخ أقباط مصر ،منهم الفاطميون www.coptichistory.org15-05-2012 ،محمد علي لصلابي :الدولة الفاطمية ،ط 1،مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع والترجمة ،القاهرة ،مصر ، 2006،ص 69 ،علي حسن الخربوطلي :ابو عبد الله الشيعي – مؤسس الدولة الفاطمية – الطبعة الفنية الحديثة ،(د.ط)، (د.م)،1972،ص52.

وسقطت على أيديهم مثلما سقطت الدولة الأغلبية و من قبلها الدولة [1]الرستمية هذا ولم يتوقف زحف الفاطميين عند المغرب الأدنى فحسب بينما اِتجهوا نحو بلاد المشرق الإسلامي، وتوقف الفاطميون بمصر حيث اِستقروا بأمور دولتهم وكيانها هناك[2]،و أما بلاد المغرب الإسلامي فتركه الفاطميون بيد الدولة الزيرية [3]، و التي انشقت عنها هي الأخرى بدورها الدولة

[1]- سقوط الدولة الرستمية :سقطت الدولة الرستمية سنة 296هـ الموافق على يد الدولة الفاطمية .أنظر :السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق،ج2 ،ص556-557، محمود اسماعيل عبد الرزاق :المرجع السابق ،ص229.

[2]- الدولة الفاطمية بمصر :بعد أن أصبح أمر بلاد المغرب بيد عبيدة الله وجه أنظاره نحو مصر و أصبح أمر مصر هو هدفه الوحيد فأرسل ثلاث جيوش لغزوها على مر ثلاث مرات لكنها باءت بالفشل ،و في سنة 322هـ الموافق ل934م خلفه اِبنه الأكبر في الحكم و هو أبي القاسم محمد و تلقب باِسم "القائم بأمر الله الذي تطلع إلى توسيع ملكه جغرافيا لكن دون أن ينسى حلم أبيه ،فأعد جيشا قويا و أرسله إلى مصر لكن جيشه اِنهزم أمام جيش الإخشيد حاكم مصر خاصة بعد اِنشغاله بالأوضاع الداخلية لبلاد المغرب و ثورة أبي يزيد الخارجي سنة 336هـ الموافق ل947م و لما تولى الإبن الرابع الخلافة و هو أبو تميم و تلقب بالمعز لدين الله الفاطمي سنة 341هـ الموافق لـ: 953م ،ازدهرت الحياة بكل جوانبها في الدولة الفاطمية أو العبيدية و عاشت الدولة نوعا من الاستقرار مما أدى بالخليفة إلى التفكير مجددا في أمر مصر و التخطيط لدخول و الاستيلاء عليها خاصة و أن مصر كانت تعيش نوعا من الفوضى و اِختلاط الأمور بعد موت الإخشيد وتولي اِبنه الصغير قاسم الحكم تحت وصاية حبشي اِسمه كافور إلى حين بلوغ قاسم السن القانونية للحكم حسب الشريعة الإسلامية و يصل لقب "بانجور" في الحكم ،لكن قاسم لم يصل إلى الحكم بعد أن توفي في ظروف غامضة هوو أخوه فاِستقل كافور بالحكم لكنه لم يهنأ به طويلا و كان قاسيا على الرعية الذين لم يتلقوا مساعدة من الدولة العباسية لانشغال هذه الأخيرة بصد غارات القرامطة مما دفع بأعيان مصر إلى الكتابة إلى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي لم يتأخر عنهم ،حيث أرسل أكبر قادته و هو جوهر الصقلي المملوك الرومي بجيش من المغرب مجهز بأفخر الأسلحة و عدد مقاتليها حوالي مائة ألف و وضع الخليفة مبلغ أربعة و عشرون مليون دينار تحت تصرف قائد هـ وجيشه فدخلوا مصر بلا قتال و في زمن قصير زحف الجيش إلى الإسكندرية ثم الفيوم ثم الفسفاط ،ودخلها و لم يلق مقاومة تذكر بسبب تفتت الدولة الإخشيدية و اِنقسامها ،و في 361 هـ الموافق لـ: 973م دخل المعز لدين الله إلى أرض مصر ،ونقل دولته إلى مصر و أصبحت بذلك مصر مقر الدولة الفاطمية و القاهرة التي بناها معه قائده الصقلي عاصمة لها.انظر حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب والاندلس ،ص 150-151، القيرواني :المصدر السابق ،ص 64-73،محمود السعدني :مصر من تاني ،دار الكتاب ،مصر (د.ت)،ص 31،انطنيوس الانطوني :وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها من بعد الاباء والرسل حتى عصر الرئيس الراحل السادات (منذ عام 150م الى عام 1981)،دار الطباعة القومية ،الفجالة ،مصر ،(د.ت)،ص149

[3]- الدولة الزيرية :سميت الدولة الزيرية بهذا الإسم نسبة إلى بني زيري و هم ينتمون إلى قبيلة تلكاتة أحد بطون صنهاجة البرنسية ، وبالضبط إلى زيري بن مناد الصنهاجي هذا الأخير الذي اِنحاز إلى الفاطميين إكراما لهم ولأصلهم الذي يعود لعلي بن أبي طالب وكانت قبيلة صنهاجة قبل ظهور زيري بن مناد الصنهاجي محايدة عما يجري من أحداث خطيرة في بلاد المغرب ،لكن بعد ظهور زيري ابن مناد و ذيوع صيته بشجاعته و بسالته ،و أمام ما واجه الدولة الفاطمية في المغرب من ثورات و اضطرابات وكان مصدرها قبيلة زناتة الموالية للأموين بالأندلس كان لابد للفاطميين أن يتحالفوا مع قبيلة صنهاجة ضد زناته بعد ظهور زيري بن منادهاا ، وبدأت تظهر مصالح سياسية و اِستراتيجية بين صنهاجة و الفاطميين ،و في 324هـ الموافق لـ: 924م ، قرر زيري بن مناد بناء مدينة أشير واِتخذها كعاصمة لبني زيري و قاعدة عسكر و حصن منيع و قد بناها بموافقة الخليفة الفاطمي الذي ساهم في ازدهارها ، و في=

الحمادية[1]،و شغلت الدولتين بلاد المغرب الإسلامي في غياب الدولة الفاطمية إلى حين سقوطهما، ويصل بنا المسار التاريخي في دراسة التطور السياسي لبلاد المغرب عند الدولتين المرابطية والموحدية،وتلزمنا اشكالية بحثنا في التوقف عند هذه النقطة ومحاولة دراسة نظام حكم كل دولة ببلاد المغرب والمقارنة بينهما ، لكن قبل ذلك نحن مجبرين على التطرق الى دراسة ظروف قيام الدولتين.

=361هـ الموافق ل971م رحل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة و ترك أمر بلاد المغرب أو إفريقية ما عدا صقلية بيد بني زيري و تركها بيد بلوكين بن زيري بن مناد ،حيث يذكر القيراوني ذلك فيقول :".....ملوك الصناهجة و إن كانوا في الحقيقة عمالا لبني عبيد، فإنهم بلغوا درجة الملوك...." .و في عهد المعز بن

=الفاطمية بالعلاقة و محاولة توطيدها ،لكن المعز سنة 434هـ الموافق ل: 1043م أعلن الدعوة لبني عباس و سنة 440هـ الموافق ل:1048م أنقطع نهائيا عن الدعاء للفاطميين مما جعل الدولة الفاطمية تطلق بني هلال و بني سليم على الدولة الزيرية و نتيجة الحروب المتواصلة بين الطرفين ضعفت الدولة الزيرية و ضاقت حدودها الجغرافية بعد إستيلاء بني هلال و بني سليم على أغلب أقاليمها و سقطت المهدية في أيدي النورمانديين سنة 543هـ الموافق ل: 1050م و ذلك بعد الاستيلاء على جزيرة صقلية و جربه و طرابلس و كانت فيما بين 484هـ – 542هـ الموافق ل: 1049م و بالتالي اِنهيار الدولة و سقوطها.أنظر القيرواني :المصدر السابق ص76،79. العربي إسماعيل ،دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر، 1980 ص70–72 ،سعد زغلول عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي الفاطميون و بنو زيري الصناهجة إلى قيام المرابطين ،ج 3،منشأة المعارف ،الإسكندرية ، 1990 ،ص294 ، ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب ج 1 ،ص 273 –274 ،محمد الصالح مرمول :السياسة الداخلية للدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ،ديون المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1983 ،ص174.

[1]– الدولة الحمادية :امتد حكمها من 408هـ الموافق ل:1018م إلى غاية 547هـ الموافق ل:1152م بالمغرب الأوسط ،قامت على يد حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي ، و اِتخذ القلعة أو قلعة بني حماد بالمسيلة عاصمة لدولته ،و توسعت حدودها الجغرافية بمرور الزمن فحكمت تونس و القيروان و صفاقص و جربة و الجريد ،و توترت بعض الوقت العلاقات الزيرية الحمادية لكن بعد فترة زمنية محددة تحسنت و تجاوزت من التحسن إلى المصاهرة حيث زوج حماد ابنه عبد الله بأخت المعز بن باديس الزيري و كان اِسمها أم العلو ،و بعد فترة زمنية نقل بنو حماد العاصمة الى بجاية و اِهتمت الدولة الحمادية بالإدارة و الوزارة و الجيش و الفقهاء و الأسطول و العملة ،و العلم و العلوم ، اِستمر وجودها في عهد المرابطين رغم توتر العلاقة لبعض الوقت لكن في أغلب الأوقات كانت العلاقة حميمة نظرا لصلة القرابة بينها فكلاهما ينتميان إلى صناهجة فضلا عن عدم إختلافهما في المذهب الديني فكلاهما ينتميان إلى المذهب السني مما خفف الصراع بين الطرفين، وشارك العساكر الحماديون المرابطون في حروبهم ضد الموحدين بتلمسان ،و كان سقوط الحمادين على يد الموحدين سنة 540هـ الموافق ل: 1152م أنظر :لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب في العصر الوسيط القسم الثالث .من كتاب أعمال الأعلام ، تح:أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم ، دار الكتاب ،الدار البيضاء، المغرب، 1964 ،ص 87 .

رشيد بورويبة :الدولة الحماديةتاريخها و حضارتها ،سحب الطباعة الشعرية للحديث ،الجزائر ، 2007 ،ص116 ،رابح بونار: المغرب العربي: تاريخه و ثقافته ،الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ،1981 ،ص209 .

السيد عبد العزيز سالم :تاريخ المغرب في العصر الإسلامي .مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2006 ،ص599 ،إسماعيل العربي :دولة بن حماد ملوك القلعة و بجاية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1987 ،ص159 .

الفصل الأول

ظروف قيام دولتي المرابطين والموحدين بالمغرب الاسلامي

1- مراحل النشأة والدعوة:

لقد مرت الدولتان المرابطية والموحدية بمرحلتي النشأة ثم التأسيس، إلا أن مرحلة النشأة تكون دائما مرتبطة بالدعوة لتأسيس هذه الدولة، ثم تتواجد ظروف إجبارية تساهم في نشر هذه الدعوة وانتشارها مما يجعل الدولة تنتقل من مرحلة النشأة إلى مرحلة التأسيس لكن قبل دراسة شكل الدعوتين المرابطية والموحدية واهدافهما ومراحل إنتشارهما والظروف التي ساعدت على ذلك لابد من دراسة الأصول العرقية لمن جاء بالدعوتين أي أصول المرابطين والموحدين.

أ- الأصول العرقية:

أ-1- أصول المرابطين:

يعود أصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة[1] البربرية وهي فخذ من صنهاجة[2]، وتنحدر هذه القبيلة من أصل بني عبد شمس بن وائل بن حمير، جاء بهم الملك إفريقش[3] بن أبرهة إلى المغرب أثناء

---

[1]- لمتونة: أولاد لمت وجدالة ولمط ومصطوف حيث أن لمط جد لمتونة وجدال جد جدالة ولمط جد لمطة ومسطوف جد مسوفة وكلهم يتنسبون إلى صنهاجة. أنظر ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، تح :عبد القادر بوباية ،ط 1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، 2010،ص 57-60

[2]- صنهاجة: نسبة إلى صنهاج بن حمير بن سبأ ولد حمير بن سبأ لصلبه، وقيل صنهاجة فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حمير يمانيون من ولد الصوار بن وائل بن حمير، وإنما سموا هوارة لأن أباهم المشهور لما جال في البلاد ووقع بالمغرب بقبيلة القيروان من بلاد إفريقية قال لقد تهورت في البلاد فسموا هوارة نسبة إلى ذلك، هذا وتنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة أشهرهم: لمتونة، كدالة (جدالة)، مسوفة، لمطة، مسراتة، تكلاتة، منداسة، بني وارث، بني مسفير، بني دخير، بني زياد، بني موسى(موس)، بني لماس، بني قشتال، وفي القبيلة بطون وأفخاذ وكلها صحراوية. أنظر: ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 ، ص 119- 120.

[3]- إفريقش: هو إفريقش بن أبرهة ذي المنار بن الحرث الزائش بن شداد بن الملطاط بن عمرو بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن حمير ملك من ملوك التبابعة من اليمن ولم يبلغ أحد ممن سبقه من ملوك التبابعة باليمن ما بلغه هو من فضل وعزة وملك وصاهره العرب والعجم،ويذكر ابن خلدون انه حكم مائة وستون عاما وانه افريقش بن قيس بن صيفي احو الحرث الزائش وهو الذي ذهب بقبائل العرب الى افريقية وساق البربر اليها من ارض كنعان ،ثم يضيف ويقول انه في انساب التبابعة تخليط واختلاف لايصح منها ومن اخبارهم الا القليل، هذا وفي سبب خروجه من اليمن يذكرصاحب الحلل الموشية أن سبب خروجه من اليمن أن بعض الأحبار أخبروه بحوادث الأيام وبالكتب المنزلة من الله على رسله- عليهم الصلاة والسلام أجمعين- وأن الله يبعث رسولا وهو خاتم الأنبياء ويرسله إلى جميع الأمم فآمن به وصدق بما يأتي به وقال فيه:

شَهِدتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّه رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِئُ النَّسَمِ
فَلَوْ مُدَّ عُمُرِي إِلَى دَهْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيًرا لَهُ وابْنَ عَـــمٍّ

وقد سار إلى اليمن داعيا أهل مملكته إلى الإيمان به فلم يجبه إلى ذلك إلا طائفة من قومه حمير والباقي حاربوه فلجأ إلى الخروج من اليمن. أنظر: ابن خلدون:العبر، ج 2 ،ضبط المتن :خليل شحادة ،مر:سهيل زكار ،(د.ط)،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان،2001، ص85-290،86-292، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 119، ابن السماك العاملي :الحلل الموشية ، ص 61- 63.

خروجه غازيا إليها[1]، وقبيلة لمتونة قبيلة صحراوية وبلادهم في القبلة مسيرة ستة أشهر ولا علم لهم بأمور الزرع والحرث والصناعة ويعتمدون في غذائهم على اللحم واللبن ويقال لهم ظواعن[2] الصحراء، لا يستقرون بمكان وإنما يرتحلون من مكان إلى آخر وليس لهم مدينة يستقرون بها وهم على دين الإسلام مع أهل السنة والجماعة[3]. هذا ويقال أنه عند نزول المرابطين بالصحراء تملكها تيرلثان بن تيكلان إلى غاية 222هـ حيث توفي وخلفه حفيده الأفرين ابن نصير بن فلويومان فأقام بأمر صنهاجة وتوفي 287هـ، فخلفه في إمارة صنهاجة من بعده نضيم بن الأثير إلى 306هـ حيث خالفوه أشياخ صنهاجة وقتلوه وتفرق أمرهم حوالي مئة وعشرون سنة إلى أن قام فيهم محمد بن عبد الله بن تيفان اللمتوني[4] وإجتمع إليه أمر صنهاجة[5] لما فيه من خصال حميدة في الفضل والصلاح، إلا أنه لم يمكث بإمارته طويلا حيث قتل في غارة قامت بها قبيلة على دين اليهودية من السودان، وقد اجتمعت صنهاجة على أن يخلفه يحيى بن إبراهيم الكدالي[6] صهره، وقد رعى أمور صنهاجة إلى غاية 427هـ حيث قرر أن يرحل إلى الحج ويترك ابنه إبراهيم بن يحيى خليفته على قبائل صنهاجة[7].

رغم أن أمر صنهاجة أصبح بيد يحيى بن إبراهيم ومن بعده بأمر ابنه إبراهيم الكدالي (الجدالي) من قبيلة(جدالة)(كدالة) إلا أن كل المصادر تتفق على أن أصل المرابطين يعود لقبيلة

---

[1]- القيرواني: المصدر السابق ، ص 104.

[2]- ظواعن الصحراء: أثناء خروجهم من اليمن إرتحلوا إلى الصحراء وهي موطنهم بالمغرب، ويذكر القيرواني أن بلادهم في الصحراء في القبلة مسيرة ستة أشهر طولا وأربعة أشهر عرضا، ويذكر ابن أبي زرع أنهم يسكنون آخر بلاد الإسلام ويحاربون السودان، وفي هذا الصدد يذكر القيرواني أنه يقال لهم التوارق وهم أول من تملك بالصحراء وأقام الحكم بها نيولثان بن تيكلان ودانت له ملوك السودان وأدوا له الجزية. أنظر القيرواني، ص 104، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 122.

[3]- القيرواني: المصدر السابق، ص 104.

[4]- ورد عند القيرواني بأبي عبد الله محمد بن تيفات اللمتوني، وعند ابن أبي زرع الفاسي في روض القرطاس بمحمد بن تارشتا اللمتوني. أنظر القيرواني:المصدر السابق، ص 104، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 122.

[5]- القيرواني: المصدر السابق، ص 104.

[6]- يحي بن إبراهيم الكدالي: ورد في بعض المصادر بالجدالي وورد عند صاحب الحلل الموشية بأحد بني جدالة وذلك أن بعض المصادر جعلت اسم القبيلة يبدأ برسم حرف الجيم(ج) أي جدالة، وبعض المصادر جعلت اسم القبيلة يبدأ برسم حرف الكاف(ك) أي كدالة، والمقصود نفس القبيلة أي رسمت في المصادر ب: جدالة وكدالة، فيقال يحي بن إبراهيم الكدالي ويحي بن إبراهيم الجدالي كلاهما صواب. أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 122، القيرواني: المصدر السابق، ص 104، ابن السماك العاملي :الحلل الموشية، ص 63.

[7]- القيرواني: المصدر السابق، ص 104، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 122، ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 63.

لمتونة وهذا يرجع إلى أن أول من قام بأمر الصنهاجيين المرابطين فيما بعد واجتمع إليه أمرهم هو من قبيلة لمتونة وهو أبو عبد الله محمد بن تيفات اللمتوني، يبدو ان لمتونة وكدالة(جدالة) إخوة ويجتمعون في أب واحد حسب ما ذكره ابن أبي زرع الفاسي[1] .

هذا وإن اللمتونيين الملثمين حسب معظم المصادر والمراجع تذكر أنهم من قبيلة صنهاجة البربرية، رغم أن تتبع مسار أصلهم يعود إلى اليمن، ولا يعرف من أهل اليمن أنهم يضعون لثاما ولا أنهم بربرا. ويمكن الفصل في هذه القضية بترجيح ما ذكره صاحب الحلل الموشية وذلك عن" لقب الملثمين" أنه أثناء خروجهم من اليمن تلثموا كنساء زمانهم حتى لا يتعرف عليهم أعداؤهم وهم أول من تلثم من الرجال، فاستحسنوه ولازموه وصار زيا خاصا بهم ، أما عن صلتهم بالأصل البربري ففي هذا الصدد يذكر دائما صاحب الحلل أن ألسنتهم تبربرت لمجاورتهم البربر وإقامتهم معهم ومصاهرتهم[2]، هذا وترجح بعض المصادر أنهم تجاوروا وتصاهروا مع قبائل بربرية برنسية لذلك مع مرور الزمن صارت صنهاجة تعد إحدى أكبرالقبائل البربرية[3] البرنسية.

ومما سبق ذكره فإنه يمكن القول ان نسب المرابطين ينتهي إلى قبيلة صنهاجة، وسواء انتهى أصل صنهاجة إلى اليمن أم إلى بربر البرانس فإن أصل المرابطين يعود إليها وينحدر منها، وبالتالي فإن أصل المرابطين يعود لقبيلة واحدة هي صنهاجة وهذا ما قد يختلف فيه معهم أصل الموحدين[4] .

الموحدين[4] .

أ-2- أصول الموحدين:

فأصل الموحدين لا يعود لقبيلة واحدة بحيث ان جماعة الموحدين [5] تضم أكثر من شخص واحد وكل شخص من قبيلة تختلف عن الأخرى، فزعيم جماعة الموحدين ومؤسسها هو محمد بن

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 122.

[2]- ابن السماك العاملي :الحلل الموشية، ص 63.

[3]-أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: نهاية الإرب، ص 290.

[4]- الموحدون: هو لقب اتخذه المهدي بن تومرت لأتباعه وذلك لأنه اعتمد على مبدأ التوحيد في دعوته وسيأتي التفصيل في معنى هذا المصطلح في البحث الحالي.

[5]- جماعة الموحدين: هي الجماعة التي كونها المهدي بن تومرت والمقصود بها في البحث أصحاب المهدي بن تومرت العشرة وسيأتي التفصيل فيهم في البحث الحالي.

تومرت الملقب بالمهدي بن تومرت بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام(همام)[1] بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء(عطار)[2] بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-[3] وقد ورد هذا النسب عند الزركشي ويتفق معه في ذلك القيرواني وصاحب الحلل الموشية وابن أبي زرع الفاسي [4]، وأما صاحب المعجب فيذكر أنه محمد بن عبد الله بن تومرت وأن نسبه ينتهي إلى الحسن بن الحسن بن علي- رضي الله عنه- دون ذكر سلسلة النسب، ويذكر أن هذا النسب طبقا لماوجد من دليل كتب بخط ابن تومرت يوضح اتصال نسبه بالحسن بن علي- رضي الله عنه-[5]، وأما صاحب الاستقصاء فيذكر أن نسبه نسبه يتصل بسليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-[6] .

---

[1]- تمام(همام): هذا الاسم ورد في بعض المصادر مرسوما بحرف التاء في البداية أي(تمام)، وفي مصادر أخرى ورد مرسوما في البداية بحرف الهاء أي(همام). أنظر ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 172، اب عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تح:محمد ماضور ،المكتبة العتيقة ،تونس ،(د.ت)، ص 03، كما رسم عند القيرواني ص 111 بحرف آخر وهو العين(ع) ورسم الاسم على شكل(عام)، ورسم عند ابن السماك العاملي في الحلل ص 170 بحرف التاء لكن مع تثبيت ألف الميم أي(تمام). وأي من الأسماء هو مقبول سواء تمام أو همام ما عدا الاسم الذي رسم عند القيرواني بحرف العين(عام) فهو مستبعد لندرة أو إنعدام الاسم في الاسماء العربية.

[2]- عطاء(عطار): ورد هذا الاسم مرسوما في بعض المصادر بالهمزة على السطر في الأخير أي على شكل(عطاء)، وورد في مصادر أخرى مرسوما في الأخير بحرف الراء أي على شكل(عطار) وكلاهما مقبول لكن الأرجح الاسم المرسوم بالهمزة على السطر لأنه الأقرب إلى الأسماء العربية القديمة. أنظر القيرواني: المصدر السابق، ص 111، الزركشي: المصدر السابق، ص 03.

[3]- علي بن أبي طالب: أنظر المدخل من البحث الحالي ص 1

[4]- القيرواني: المصدر السابق، ص 111، مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 103، الزركشي: المصدر السابق، ص 03، ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 172.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: صلاح الدين الهواري، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت 2006، ص 13.

[6]- الناصري: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: محمد عثمان ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2007، ص 229.

وتذكر مصادر أخرى ومراجع لابن تومرت أصله البربري منها عبد الرحمان ابن خلدون[1] أن ابن تومرت ينتسب إلى قبيلة هرغة [2] أحد بطون المصامدة[3]كماورد هذا عند صاحب المعجب [4] أيضا،

[1]– ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج 6، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص 301.

[2]– هرغة: قبيلة مصمودية اسمها البربري ارغن، مساكنها جنوبي وادي سوس إلى الشرق من مدينة رودانة، تشتمل على البطون التالية: بني عثمان، بني تامودان، آران، الجرف. أنظر ابي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تح: عبد الوهاب بن منصور ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط،المغرب ، 1971،ص 33.

[3]– المصامدة: أهل وأفراد قبائل مصمودة، ومصمودة مجموعة كبرى من قبائل عظيمة من البرانس، وقد كان للمصامدة التقدم على غيرهم من قبائل بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي وبعده ويستقر المصامدة منذ القدم بجنوب أم الربيع والأطلس الكبير إلى شواطئ المحيط، وهي أكثرالقبائل البربرية عددا وأشدها بأسا وأعرضها نفوذا في الجاهلية والإسلام،كما لعب المصامدة دورا كبيرا في تاريخ بلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين والحفصين. أنظر الطيب محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية، مج 3، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 751، عبد الله علي علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1968، ص 44.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 136.

حيث يذكر أنه رجل من أهل السوس[1]ولد بضيعة تعرف بإجلي أن اوراغن[2] وهومن قبيلة هرغة[3].

أما ابن أبي زرع الفاسي [4] فينفرد بذكر أن ابن تومرت من قبيلة جنفيسة [5]، ويذكر عبد الله علي علام سلسلة نسب ابن تومرت البربري نقلا عن ليفي بروفنسال هذا الأخير الذي يذكر أنه ورد عند البيذق وأنه محمد بن عبد الله بن اجليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله ابن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة [6] بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وورد هذا النسب أيضا عند ابن خلدون[7].

---

[1]– السوس: أي من اهل بلاد السوس وهي منطقة بالمغرب كانت الروم تسميه قمونية قرب طنجة وهناك السوس الأقصى والسوس الأدنى بينهما مسيرة شهرين وبعده بحر الرمال، وورد عند الإدريسي أن بلاد السوس هي تارودانت وتعرف بلاد السوس بأنها البلاد التي أختيرت للسحرة والمشعوذين وأهلها بربرا جفاة خشنون في مظهرهم الخارجي كما في طريقة حياتهم وهم أساتذة علم العرافة والتنجيم والقوى الخفية يأمرون الجن ويكشفون عن الكنوز المختفية ويخشاهم الناس ويحترمونهم، إذ لا يستطيع أحد أن =يلحق بهم أذى ، وبلاد السوس بها عمارات متصلة فيما بينها، وبها أنواع مختلفة من الفواكه كالجوز والتين والعنب والسفرجل والرمان ورجالها ونساؤها سمر اللون، وفي نسائها جمال فائق وحسن بارع وحرف صناعة أيديهن، وهي بلاد حنطة وشعير وأرز، وسكانها أخلاط من بربر المصامدة، زيهم غالب ما يكون من الصوف، لهم في رؤوسهم شعور كثيفة يصبغونها كل جمعة بالحناء ويغسلونها مرتين بالدقيق الأبيض وال زهر الأندلسي، ويأكلون الجراد. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 152،182، الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 227- 228، 257. إ. ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، تر: السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مرا: لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص 256- 257 ،محمد العبدري البلنسي :الرحلة المغربية ،تق :سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ،عنابة ،الجزائر ،2007،ص 23.

[2]– إيجلي أن أوراغن: النطق الصحيح للكلمة إيكلي هرغة وأصلها بالشلحة" إيكلي أن أوراغن" وقد إشتبهت الكلمة عند المؤلفين والنساخ فكتبوها بإيجليو أيجليز، ومنهم من كتبها الجيلين. أنظر البيذق: المصدر السابق، ص 32- 33، عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 44.

[3]– الزركشي: المصدر السابق، ص 03، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 136، القيرواني: المصدر السابق، ص 111، ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 172، الناصري: الإستقصاء، ج 1، ص 229، عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 44.

[4]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 172.

[5]– جنفيسة: ورسمت عند ابن أبي زرع بحرف الكاف(ك) في البداية أي(كنفيسة) لكن الأصل والأرجح جنفيسة بحرف الجيم(ج) في البداية أي جنفيسة، كما وردت عند ابن صاحب الصلاة وهي قبيلة تقع جنوب جدميوة وتعتبر الطبقة العاشرة من أصحاب المهدي بن تومرت. أنظر: ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ممن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين) تح:عبد الهادي التازي،ط3 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان،1987، ص 199.

[6]– عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 144.

[7]– ابن خلدون: العبر، ج 6، ص301.

كما يذكر حسين مؤنس أن اسمه ليس محمدا بل اتخذه هو فيما بعد ثم ينفي هذا ويقول أن اسم محمد شائع بين المسلمين جميعا، وأما لقبه فهو- تومرت- ، ثم يذكر حسن مؤنس نقلا عن ليفي بروفنسال أن تومرت اسم جدته ونسب إليها وأما اسم جده فهو أجليد ومعناه الشيخ أو الزعيم[1]، هذا ويذكر حسين مؤنس أن ابن تومرت يلقب بأمغار ومعناه العالم [2] أو الفقيه ويذكر أن البيذق يلقبه ب" أمغار آن سوس" أي فقيه السوس، ويقول أنه لقب أيضا بأسافو ومعناه السراج ويذكر أنه نال هذا اللقب في شبابه وذلك لأنه كان يوقد السرج في المساجد من أجل القراءة على نورها في الليل[3] طلبا للعلم.

ونجد أن الكثير من المؤرخين قد شكّكوا في أن يكون نسبه عربيا كما شككوا في إتصال نسبه بآل البيت، لكن الأرجح أن نسبه بربري عربي كما ذكره البيذق ذلك لأن البيذق المصدر الوحيد الأقرب للمهدي بن تومرت ويتفق هذا منطقيا مع شخصية المهدي بن تومرت التي تحمل ملامح بربرية أمازيغية وأخرى عربية إسلامية، ولعل هذا وارد من إختلاط النسب بين العرب المسلمين الفاتحين والبربر السكان الأصليين لبلاد المغرب في منطقة قبيلة المصامدة.

وكما تضاربت الآراء في نسبه نجدها تضاربت أيضا في تاريخ ميلاده، فيذكر صاحب الإستقصاء نقلا عن ابن خلكان أنه ولد يوم عاشوراء سنة 485هـ[4]، ويذكر الزركشي أنه ولد سنة سنة 491هـ ثم يذكر ابن الخطيب الأندلسي يقول أنه ولد سنة 486هـ، وأما الغرناطي فيذكر أنه ولد سنة[5] 471هـ. رغم هذا الإختلاف في سنة ميلاده إلا أن معظم المؤرخين يتفقون على أن ابن تومرت ولد في الثلث الأخير من القرن الخامس هجري، ورغم الإختلاف في نسبه ما بين عربي وبربري فإن معظم المؤرخين أيضا يتفقون على أن ابن تومرت من أسرة ذات نسب عريق وشرف ودين فقد ورد هذا عند ابن خلدون [6] وعند صاحب المعجب حيث يقول: «... من قوم يعرفون

[1]- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج 2، ج2، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992، ص 63.

[2]- الناصري: المصدر السابق، ج1، ص 229، حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ج2، ص 63.

[3]- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ج2، ص 63.

[4]- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1970، ص 138.

[5]- الزركشي: المصدر السابق، ص 04.

[6]- ابن خلدون: العبر، ج6، ، ص 464- 465.

ب" إيسرغينن" وهم الشرفاء»[1]، ويذكر هذا أيضا شارل أندري جوليان عندما يتحدث عن مكانة والد ابن تومرت أنه كان من شرفاء قومه ورئيسا لقبيلته[2].

ومما سبق ذكره يمكن القول أنه إن كان أصل الموحدين يعود إلى المهدي بن تومرت فبذلك هو يعود إلى قبيلة مصمودة، هذا إذا أجزمنا أن أصل ابن تومرت من قبيلة مصمودة وإن أجزمنا أن أصله عربي ونسبه متصل بعلي بن أبي طالب فإن أصل الموحدين يعود إلى نسب علي بن أبي طالب، لكن الأرجح ما أسلفنا في ذكره وهو أن أصل المهدي بن تومرت مزيج ما بين العرب المسلمين الفاتحين وبربر قبيلة مصمودة لما انصهر وتصاهر فيها من عرب وبربر، وبالتالي فإنه حتى العرب الذين تصاهروا مع المصامدة بمرور الزمن أصبحوا منهم، وبذلك فالمهدي ابن تومرت مصمودي والموحدون مصامدة وذلك إن فعلا أجزمنا أن أصل الموحدين يعود إلى المهدي بن تومرت كونه صاحب فكرة جماعة الموحدين و الداعي اليها، لكن إن إرتأينا أن أصل الموحدين يعود إلى عبد المؤمن بن علي [3] مؤسس الدولة الموحدية سياسيا وعسكريا [4] وقبل ذلك صاحب إستمرارية جماعة ودعوة الموحدين فبالتالي أصل الموحدين يعود إلى أصل عبد المؤمن بن علي وهذا الأخير أيضا تضاربت المصادر في أصله فيذكر صاحب المعجب أنه عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي أمه حرة كومية [5]، ولد بضيعة من أعمال تلمسان تدعى تاجرا سنة 687هـ [1]، ثم يذكر

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 136.

[2]- C.H Julien. .Histoire de l'afrique , p. 90-92.

[3]-يذكر ابن ابي زرع الفاسي ان والد عبد المؤمن بن علي كان فخارا يصنع النوابيخ ،وان عبد المؤمن كان محبا لطلب العلم منذ صغره ، ولازم المساجد لحفظ القران ودراسته .انظرابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص119.

[4]- سياسيا وعسكريا:يقصد بذلك بث دعائم تاسيس الدولة بين كسب رضى المصامدة ومواجهة المرابطين ،فسياسة عبد المؤمن في تحاشي لقاء المرابطين في مراكز سلطانهم في سهل مراكش ومايليه ،وسيره بجيوشه شرقي جبال درن ،ثم صعوده شمالا الى تلمسان ونواحيها ،كذلك كتمانه مع مجموعة العشرة لخبر وفاة المهدي لمدة ثلاث سنين فيها دهاء سياسي لغرض تولي امر الدولة السياسي والعسكري وهذا ان دل على شيئ انما يدل على اولى اللحظات في جدية تاسيس الدولة من الناحيتين السياسية والعسكرية .انظر عبد الواحد المراكشي :وثائق المرابطين والموحدين ،ص 100،ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص119-120

[5]- كومية: من قبيلة كومية وهم المعروفون قديما بصطفورة اخوة مطايةو مطغرة ،وهم من ولد فاتن وهم ثلاثة بطون هي ندرومة ومغارة ويقال لها صفارة وبنو يلول ،وهي قبيلة زناتية صغيرة تسكن في تلمسان في قرية تسمى تاجرا ،صاروا من اعظم قبائل الموحدين لما ظاهروا المصامدة على امر المهدي و كلمة توحيده . انظر ابن خلدون :العبر ،ج 6،ص164-165،عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تح:حسين مؤنس ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،مصر ،1997،ص75

يذكر أن عبد المؤمن بن علي كان ينفي نسبه عن قبيلة الكومية بقوله: « لست منهم وإنما نحن لقيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم، وهم الأخوال [2]».

هذا ويذكر صاحب الحلل أن نسبه عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير أبو موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورزايغ بن صطفور بن ينورابن مطماط بن خزرج بن قيس بن عيلان [3]، كما لا يذكر أي صلة تربط عبد المؤمن بقبيلة كومية، وورد في المؤنس في أخبار إفريقية وتونس أنه أبو محمد عبد المؤمن بن علي الكومي[4] الزناتي[5].

أما ابن زرع الفاسي فيذكر أنه أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلى بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى(موس) بن عون الله بن يحيى بن ورزايغ بن صطفور بن نفور ابن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان، هذا ويؤكد ابن أبي زرع أنه زناتي الأصل[6] أي من قبيلة زناتة[7].

أما صاحب الإستقصاء فيذكر أن عبد المؤمن بن علي من قبيلة كومية من بني عايد وهم من عرفوا قديما بصطفورة ويضعف صاحب الإستقصاء هو الآخر انتساب عبد المؤمن بن علي إلى الأصل العربي[8].

هذا ونجد بعض المصادر تمزج في نسبه ما بين الأصل العربي والبربري فتبدأ هذه المصادر سلسلة نسبه بالأسماء العربية ثم تتخللها أو تتوسطها أسماء بربرية متفق عليها في معظم المصادر ثم

---

[1]- تاجرا: هي قرية تقع على بعد ثلاثة أميال من مرسى هنين ، وهي من أعمال تلمسان ، وتقع وسط منطقة غنية بغاباتها، وكانت كالحصن في الجبل المطل على هنين من جهة الشرق، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 82.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 148.

[3]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 142.

[4]- ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 114.

[5]- الزناتي : نسبة إلى قيلة زناتة.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي يضعف نسبه إلى الأصل العربي ويؤكد على أن نسبه زناتي من قبيلة زناتة، ويستدل على ذلك لما ذكره مؤرخي دولته، وأن المعلومة منقولة من خط حفيده عبد الواحد، أنظر: ابن أبي زرع الفاسي: القرطاس، ص 183.

[7]- زناتة: أنظر: ص19، هامش رقم 1.

[8]- الناصري السلاوي: الاستقصاء، ج1، ص 243.

تنهي سلسلة النسب بالأسماء العربية، والأسماء البربرية التي ينسب إليها عبد المؤمن بن علي أو النسب البربري الذي ينسب إليه والمتفق عليه في أغلب المصادر هم ورزايغ بن صطفور بن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر [1]، ولابد أن هذا هو نسب عبد المؤمن بن علي الحقيقي مزيج ما بين الأصل العربي والبربري مثله مثل نسب المهدي بن تومرت وهذا نتيجة لأحد السببين إما لانصهار العنصرين العربي والبربري في بعضهما البعض بعد الفتوحات الإسلامية أو لتسمي أفراد الأسر البربرية بالأسماء العربية بعد دخولهم للإسلام خاصة القبائل التي كانت السباقة إلى الدخول في الإسلام وقد كانت قبيلة كومية من أوائل القبائل التي اعتنقت الإسلام[2].

هذا وهناك بعض المصادر التي لا تذكر نسبه إذا كان يتنمي لقبيلة كومية أو لقبيلة زناتة فقط تذكر أنه ينتسب إلى صطفور بن نفور بن مطماط وهذا النسب في حد ذاته يعود به إلى قبيلة كومية لأن قبيلة كومية بطن من بطون فاتن وعرفت سابقا بصطفورة نسبة إلى صطفور وتجتمع مع زناتة في ضري بن زجيك [3]، وهناك من يرى أنها بطن من بطون [4] زناتة، فيقال عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي مثلما ورد عند القيرواني وعند ابن أبي زرع [5]الفاسي.

وفي الأخير فإننا نرجح وتستقر دراستنا بأن أصل الموحدين يعود لكليهما للمهدي بن تومرت،لأنه جاء بفكرة التوحيد وانشا جماعته ولقنها فكرته ،وأطلق عليهم اسم الموحدين، و يعود ايضا لعبد المؤمن بن علي كونه خلف المهدي في خدمة اهداف الدعوة من اجل تحقيق اغراضه السياسية كما سيرد فيما سياتي.

أ-3- دراسة مقارنة:

من خلال ما أوردناه عن أصول المرابطين وأصول الموحدين فنجد على وجه المقارنة أن:

---

[1]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 143، ابن أبي زرع الفاسي: القرطاس، ص 183، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 114، ابن خلدون : العبر، ج6، ص 126.

[2]- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص 274.

[3]- العبر، ج6، ص 118.

[4]- نفسه،ص 164-165

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: القرطاس، ص 183، القيرواني: المصدر السابق، ص 117.

– أصل المرابطين يعـود لقبيلة واحـدة ذلك أن القائـم على نشـر الدعـوة[1] والأمير الأول للمرابطين[2] ينتميان لنفس القبيلة وهـي قبيلة صنهاجة[3]، أما أصل الموحدين فيعود لقبائل شتى بحيث أن جماعة الموحدين تضم أشخاص من عدة قبائل أغلبها مصمودية وأخرى زناتية، إذ أن صاحب الدعوة[4] ينتمي لقبيلة مصمودة بينما حامي الدعوة والقائم على استمراريتها [5] كما سيرد في المباحث اللاحقة هو من قبيلة زناتة، ومن ثم فإننا نسجل أول نقطة اختلاف بين الطرفين.

– كما نسجل نقطة اختلاف ثانية بين الطرفين حسب ما توصلنا إليه يفيد أن المرابطين من بربر البرانس[6]، أما الموحدين فيبدو حسب هذه الدراسة أن أصلهم مزيج ما بين بربر البرانس وبربر البتر[7].

– وحتى في حالة إعتبار أن أصول المرابطين والموحدين تعود لأصول عربية نسجل اختلافا واضحا بين أصول الطرفين، بحيث أصل المرابطين العربي يعود إلى بني عبد شمس بن وائل بن حميرباليمن[8]، أما أصل الموحدين فيعود لعلي بن أبي طالب– رضي الله عنه– ولقيس بن عيلان بن بن مضر[9] بن نزار بن سعد بن معد[10].

---

[1]– يقصد به عبد الله بن ياسين الجزولي من قبيلة جزولة(كزولة) وهم بطون كثيرة وإخوة صنهاجة من بني تصكي، وكانت منازلهم تشمل وادي سوس ووادي درعة. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 270– 271. عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين، ص 9.

[2]– يقصد بذلك شخصين الأول وهو يحي بن إبراهيم الجدالي الذي اجتمع بيده أمر قبائل صنهاجة، وسعى إلى فكرة نشر تعاليم الإسلام بها عن طريق استقدام عبد الله بن ياسين إلى بلاده، وأما الثاني فهو يحي بن عمر بن إبراهيم زعيم قبيلة لمتونة والذي حرص على حماية عبد الله بن ياسين أثناء نشره لتعاليم الإسلام في ديار جدالة ولمتونة الصنهاجيتين. أنظر: عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13. ابرالسماك العاملي: المصدر السابق، ص 65– 66.

[3]– أهم قبائل صنهاجة في المنتصف الثاني من القرن الرابع هجري الموافق للقرن العاشر ميلادي جدالة، لمتونة، مسوفة، جزولة، لمطة، بنو وارث، تارجا(تازى). أنظر: عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص 9.

[4]– يقصد به المهدي بن تومرت.

[5]– يقصد به عبد المؤمن بن علي.

[6]– تعتبر صنهاجة إحدى أكبر قبائل بربر البرانس. أنظر: القلقشندي: نهاية الإرب، ص 290.

[7]– تعتبر مصمودة إحدى أكبر قبائل بربر البرانس، بينما تعتبر زناتة إحدى أكبر بربر البتر. أنظر: نفسه، ص 290. لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 19.

[8]– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 119.

[9]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 148. الزركشي: المصدر السابق، ص 03.

[10]– ويتضح لنا من خلال المصادر أن أصل الموحدين البربري مزيج ما بين البرانس والبتر لكن الأصول العربية فهي أصل واحد ذلك أن أصل المهدي بن تومرت يعود لعلي بن أبي طالب– رضي الله عنه– وبذلك يعود لقريش وأصل قريش يعود لمضر، وأصل عبد المؤمن بن

– هذا إضافة إلى أننا لا نجد أي نقطة توافق بين المرابطين والموحدين في جذور أصولهما العربية إلا فيما يلتقي فيه البتر والبرانس في رجوعهم إلى كنعان بن حام حسب ابن خلدون[1].

ب- بداية الدعوة وإنتشارها:

ب-1- الدعوة المرابطية:

تبدأ دعوة المرابطين بخروج أحد بني جدالة [2] وهو يحيى بن إبراهيم [3] سنة 427هـ لأداء فريضة الحج وطلب العلم،حيث بعد ان فرغ من أداء فريضة الحج وطلب العلم [4]،وفي طريق

علي يعود هو الآخر لمضر أي يلتقيان في مضر وهذا حسب ابن خلدون حيث يقول:«.... إفترقت قبائل مضر في أدنى مدن الشام والعراق وما دونهما من الحجاز فكانوا ظعونا وأحياءا». أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 2، ص 404.

ويضيف أيضا:«... ثم صار من سوى قريش وكنانة من قبائل مضر من الضواحي أحياء بادية وظعونا ناجعة من بطون قيس...».

أنظر: نفسه، ص 398- 399.

كما نجده يؤكد هذا في المقدمة بقوله:«... عصبة مضر في قريش وعصبة قريش في عبد مناف...». أنظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 225.

[6]- ينتسب المرابطون كما أسلفنا الذكر إلى إفريقش الذي ذهب بقبائل العرب إلى إفريقي ة وساق البربر إليها من أرض كنعان، وعندما رجع من أرض المغرب ترك بها من قبائل حمير صنهاجة وكتا مة وهم برانس والبتر إخوة البرانس خاصة زناتة الذين يعود أصلهم إلى جانا(جالوت) الذي رحل أتباعه من الشام وفلسطين إلى أرض المغرب بعد أن قتله داود عليه السلام. أنظر: ابن خلدون: العبر،ج 2، ص 85-86. العبر، ج 7، ص 2- 3. الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 222.

[2]- جدالة:احدى قبائل صنهاجة اهلها رحل يقيمون في الصحراء ،تمتد اراضيهم الى نهر السينغال وتعتبر مدينة اوليل مركزهم لاحتوائها على الملح الذي تتم التجارة فيه مابن الشمال و الجنوب وهذه القبيلة اوفر مالا واكثر استقرارا .انظر ابن السماك العاملي: المصدر السابق ،ص 59،حسن احمد محمود :قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ،دار الفكر العربي،القاهرة ،(د.ط)،(د.ت)،ص46

[3]- يحيى بن إبراهيم: لم تذكر المصادر التاريخية شيء عن ولادته أو نسب أبيه، كل ما تذكره أنه ينتمي لقبيلة جدالة وأنه قام بأمر صنهاجة بعد أن توفي عبد الله بن تيفاوت اللمتوني وذلك لأن جدالة(كدالة)ولمتونة أخوان يجتمعان في أب واحد وأنه قام بأمرها إلى غاية سنة 427هـ حيث استخلف ابنه عليها ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وطلب العلم. أنظر : الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 99، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 122، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 104.

[4]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 63-64.

عودته مرّ بالقيروان[1] فالتقى بأبي عمران الفاسي [2] سنة 440هـ ودار بينهما حوار طويل ملخصه أن يحيى بن إبراهيم صرح لأبي عمران الفاسي [3] أنه ليس لهم علم من العلوم ولا أي مذهب من المذاهب[4]، وقد تأكد أبو عمران الفاسي من ذلك بعد أن إختبره بعدة أسئلة عن الدين والسنة وكتاب الله عز وجل فوجد أنه لا علم له بشيء من أمور الدين والسنة ولا يحفظ شيئا من كتاب الله عز وجل، كما لمس فيه حبه وحرصه الشديد على التعلم[5].

هذا وقد وضح يحيى بن إبراهيم للفقيه أبي عمران الفاسي أن ما يمنعه من التعلم أنه ليس ببلاده من له علم بأمور الدين والسنة وحافظ للقرآن، كما صرح له أن كل أهل بلاده يحرصون على التعلم من أجل العمل بشرائع الإسلام والتفقه في الدين وحفظ القرآن، وبذلك فقد طلب منه أن يبعث معه إلى بلاده بعض طلبته لهذا الغرض [6] إلا أن طلبة الفقيه أبي عمران الفاسي رفضوا الطلب لمشقة السفر وإنقطاع الصحراء مما دفع بأبي عمران الفاسي الى ارساله الى أحد تلاميذه الذي صار فقيها بالمغرب الأقصى [7] والذي كان ببلاد السوس [8] ويسمى وجاج بن زللو

---

[1]- القيروان: مدينة تبعد عن المهدية مرحلتين، تقع شمال قفصة ويقول عنها الإدريسي أم الأمصار وقاعدة الأقطار، أكثرها بشرا وأيسرها أموالا وأتقنها بناءا وهي أول مدينة إسلامية في بلاد المغرب. أنظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 281، مؤلف مجهول: الاستبصار، نشر وتعليق :سعد زغلول عبد الحميد ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،العراق ،(د.ت)،ص 113- 114.

[2]- أبي عمران الفاسي: هو أبو عمران موسى بن أبي حجاج الفاسي أصله من فاس من بيت مشهور استوطن القيروان وحصل بها كما من العلوم، أخذ من كثير من علماء المشرق والمغرب منهم أبو حسن القابسي، والقاضي أبو بكر الب قلاني، كما أنه رحل إلى قرطبة والمشرق وأدى فريضة الحج ودخل العراق حيث أخذ الكثير من العلم، توفي وعمره 65 سنة. أنظر : ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 104، عبد الله كنون :مشاهير رجال المغرب في العلم والادب والسياسة ،مر :محمد بن عزوز ،مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء ،المغرب ،2010،ص 188 .

[3]- ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 63-64.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 122.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص 123.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

[7]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 64.

[8]- بلاد السوس:سبق التعريف بها ص23 هامش رقم 7

اللمطي[1]، وقد رفض هذا الاخير مرافقة يحي بن ابراهيم إلى موطن قبائل صنهاجة لكنه أرسل معه فقيها شابا من أتباعه[2] وهو عبد الله بن ياسين الجزولي[3].

وبقبول عبد الله بن ياسين هذه المهمة التي كلف بها فقد بدأت دعوة المرابطين على يده، ذلك أن عبد الله بن ياسين توجه إلى قبيلة جدالة [4] وبمجرد وصوله باشر بتعليمهم شعائر الدين الإسلامي[5] نظرا لما وجدهم عليه من جهل، فيذكر ابن ابي زرع الفاسي أنه وجدهم يتزوجون من النساء ما شاؤوا ومنهم من لا يعرف حتى الصلاة والزكاة [6]، كما أن معاملاتهم فيما بينهم كانت تتصف بعدم اللباقة وقلة الإحترام وسلوكات حياتهم تتسم بالبدائية والخشونة، فعزم على محاربة هذه الصفات والسلوكات حيث أقام لذلك نظاما للآداب العامة[7]، وتضمن النظام كل السلوكات السلوكات والأخلاق الحميدة التي تؤدي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما كان الجداليون أهل فوضى وقلة نظام ثاروا على عبد الله بن ياسين وأخرجوه من موطنهم خاصة وأنه تشدد عليهم في الإلتزام بنظام الآداب العامة [8]، مما دفعه بالعودة إلى شيخه وجاج بن زللو الذي اتصل بيحيى بن

---

[1]- وجاج بن زللو اللمطي: هو أبو محمد وجاج بن زللو اللمطي نسبة إلى لمطة، ويرسم أيضا وكاك بن زللو وكذلك وهاج بن زللو، من أهل السوس الأقصى بنفيس، رحل إلى القيروان وأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى السوس فبنى بها دارا أسماها بد ار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن، وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه، وإذا أصابهم قحط تبركوا به. أنظر الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 99، ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 64، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 123.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 12.

[3]- عبد الله بن ياسين الجزولي: هو عبد الله بن ياسين الجزولي نسبة إلى جزولة، لم تذكر لنا المصادر أي شيء عن تاريخ ميلاده أو نسبه، لكن تذكر لنا أنه دخل الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين في طلب العلم، حيث حصل الكثير منه وعاد إلى بلاد المغرب، وقد عرف عنه أنه من أهل الدين والفضل والتقوى والورع والفقه والأدب والسياسة، وكان يتميز ببعض المميزات مثل عدم أكله للحوم الأنعام والطير. أنظر ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 65، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 122، الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 100، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 105.

[4]- جدالة: سبق التعريف بها ص 30 هامش رقم ، 1 وللاضافة فهي احد بطون صنهاجة من البربر البرانس من صنهاجة التي تصل بطونها نحو السبعين ومنهم مسوفة ولمتونة .انظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب ،ص196

[5]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 224.

[7]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13.

[8]- نفسه، نفس الصفحة.

عمر[1] وطلب منه معاقبة جدالة على ما فعلوه فامتثل لأوامره وعادت جدالة بذلك في طلب عبد الله بن ياسين في العودة إليهم ،لكنه رفض ذلك وفضل ان يذهب هذه المرة إلى منازل قبائل لمتونة عملا بنصيحة شيخه وجاج[2].

وقد أقام في لمتونة مدة زمنية معينة يعلمهم فيها ولم يشهد معارضة لأفكاره أو نظامه بل استطاع خلال هذه الفترة أن يجمع حوله جماعة من اللمتونيين المخلصين خاصة وأن اللمتونيين كانوا يختلفون عن جدالة في طبعهم بميلهم إلى النظام والتماسك والعمل الجاد [3]، مما دفع به إلى التفكير في إقامة دولة لقبائل صنهاجة.

هذه الفكرة لم تظهر عند عبد الله بن ياسين بمجرد شروعه في تعليم هذه القبائل أصول الشريعة الإسلامية، وإنما هي قديمة العهد بذهنه حسب رواية عبد الواحد المراكشي أنه في طريق عودته من الأندلس إلى بلاد المغرب مرّ في طريقه من الشمال إلى الجنوب فرأى كيف ترضخ قبائل صنهاجة لقبائل زناتة واتضح له من خلال دقة ملاحظته أن جنود قبائل زناتة لا تزيد عن ثلاثة

[1]- يحيى بن عمر: هو يحيى بن عمر بن إبراهيم زعيم قبيلة لمتونة وكان أصله من جدالة، ولكن جده إبراهيم كان قد تصاهر مع اللمتونيين ودخل فيهم وانتسب إليهم فأصبح يعد نفسه من أبناء ترجوت بن ورتاسن بن منصور بن مصالة بن أميت الذي ينتهي إلى أمية بن وانمالي وإلى وانمال بن لمتونة وتنطق أيضا تلميت بن صنهاجة، وقد وصل والده بذكائه وقدرته إلى أن أصبح من زعماء =لمتونة ثم أنجب أولادا كثيرين أشهرهم عمر وتاشفين، فأما تاشفين فهو أبو يوسف الذي سيرد لاحقا وأما عمر فقد أنجب أبا بكر ويحيى هذا يحيى بن عمر. أنظر عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 14.

[2]- هذا ما ذكره عبد الواحد المراكشي، أما ابن أبي زرع الفاسي فيذكر أنه أول ما اتجه اتجه إلى لمتونة وأنهم أكرموه وعظموه ولكنهم سرعان ما ثاروا عليه لأنه وقف بينهم وبين أهوائهم في المنكرات، وأما صاحب الحلل الموشية فيتفق مع عبد الواحد المراكشي في أنه اتجه أول الأمر إلى قبائل جدالة لكنه لم يذكر لنا أنهم ثاروا عليه، بل أكد على أنه لقي منهم التكريم والتعظيم وأنهم انقادوا له وبقي بينهم إلى أن ظهرت دعوته، أما قبائل لمتونة فيذكر لنا أنه لم يدخلها داعيا بعد أن ثار عل يه أهل جدالة وإنما دخلها برفقة جدالة محاربا لهم (أي لقبائل لمتونة، فانتصرت جدالة على لمتونة بقيادة عبد الله بن ياسين فدخلت هذه الأخيرة في دعوته أما ابن أبي دينار القيرواني فيذكر لنا أنه اتجه إلى جدالة وأنهم ثاروا عليه لكنه لا يذكر لنا أية سيرة عن وجهته إلى لمتونة. أنظر عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 124، ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 65- 66، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 105.

[3]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13- 16.

آلاف جندي، مما جعله يفكر أنه لو كوّن جيشا من قبائل صنهاجة يمكنه القضاء على زناتة وإقامة دولة لقبائل صنهاجة[1].

وقد انفرد عبد الواحد المراكشي بهذه الرواية نقلا عن ابن عذارى المراكشي أما سبل ووسائل وطرق تجسيد فكرته ونشرها ودعوته إليها فنجد المصادر التاريخية متضاربة الرأي في هذا الصدد حيث يتفق ابن أبي زرع الفاسي والقيرواني على أنه أثناء عزم عبد الله بن ياسين على التخلي عن تعليم قبائل صنهاجة أمور الشريعة الإسلامية بعد أن ثاروا عليه، أن يحيى(يحيا) بن عمر بن إبراهيم خرج به إلى جزيرة [2] في المحيط قرب مصب وادي [3] السنغال[4]. وأما عبد الواحد المراكشي فيذكر لنا أن عبد الله بن ياسين هو من خرج إلى الجزيرة في المحيط بالقرب من مصب وادي السنغال من تلقاء نفسه من أجل التفرغ للعبادة[5].

فقد اختلفت هذه المصادر في سبب وطريقة خروج عبد الله بن ياسين وأتباعه إلى هذه الجزيرة ولكنها اتفقت في الغرض الذي خرج إليه مع أتباعه قاصدا هذه الجزيرة وهو التفرغ لعبادة الله.

---

[1]- نفسه ، ص 13.

[2]- الجزيرة: في الحوض الادنى لنهر السينغال ويقع المكان بالقرب من مملكة غانة الوثنية وغير بعيد عن ديار الملثمين ،يذكر ابن خلدون ان الموضع كان بالقرب من نهر النيل وهذه معلومة شاعت خاطئة ،للاعتقاد الخاطئ ان نهر النيل ينبع من تلك الديار .انظر: سعدون عباس نصر الله :دولة المرابطين في المغرب والاندلس – عهد يوسف ابن تاشفين امير المرابطين ،ط1،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان ،1985،ص 26 ،ابن خلدون ،ج6،ص143

[3]- وادي السنغال: يقصد به نهر السنغال وهذا الاسم هو تحريف لاتيني للكلمة العربية صنهاجة ،فقد عرف هذا النهر بنهر صنهاجة حتى مجيئ الاستعمار الاوربي ،وهذا التحريف الغرض منه امور سياسية ،وعرف ايضا باسم نهر بني الزناقية واما الاوربيون فكانوا يقولون على النهر في بعض ادبياتهم البحيرة العربية او البحر دون ان ينسبوه ،وهو نهر ينبع من مرتفعات فولتا جالوك Follta Djalok في غينيا و يصب في السنغال بالقرب من مدينة سانت لويس SaintLouis و تقدر مساحة الحوض ب 340الف كيلومتر مربع وطوله حوالي 1790كيلومتر ،تطل عليه اربع دول هي السنغال وموريتانيا ومالي وغينيا .انظر: عبد الامير عباس الحيالي :ابعاد الصراع الموريتاني–السنغالي في حوض نهر السنغال ،مجلة الفتح ،ع 34،كلية التربية ،جامعة ديالي ،موريتانيا ، 2008،ص 2-3،نهر السنغال اشهر انهار افريقيا ،مجلة افريقيا قارتنا ،ع8، نوفمبر 2013،ص 1-4

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 224- 225، القيرواني: المصدر السابق، ص 105.

[5]- عبد الواحد المراكشي :وثائق المرابطين والموحدين ،ص 14-15

أما صاحب الحلل الموشية فلا يذكر لنا شيئا عن خروجه وأتباعه إلى هذه الجزيرة وإنما يذكر لنا أنه كان يلي لمتونة جبل فيه قبائل بربرية غير مسلمة وأن عبد الله بن ياسين دعاهم إلى الدخول في الإسلام فامتنعوا فأشار على أبي زكرياء يحيى(يحيا) بن عمربن ابراهيم بغزوهم ففعل ذلك بجيش يزيد على نحو ألف فارس، فانتصروا في حربهم هذه فغنموا وسبوا رغم فقدانهم للعديد من أفراد الجيش في المعركة [1]، وانطلاقا من إنتصارهم في هذه المعركة أطلق عليهم عبد الله ابن ياسين اسم المرابطين وأمرهم بالخروج من الصحراء إلى سجلماسة[2]ودرعة[3] لإخضاعهما ومن ثم بدأ إنتشار الدعوة المرابطية في بلاد المغرب الإسلامي وإخضاع القبائل لها[4].

هذا ويذكر لنا صاحب الحلل الموشية ما قاله عبد الله بن ياسين لأتباعه آمرا لهم بنشر الدعوة المرابطية فيقول:« أنكم صبرتم، ونصرتم دين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد فتحتم ما كان أمامكم وستفتحون- إن شاء الله — ما وراءكم »[5]. وأما ابن أبي زرع الفاسي والقيرواني

---

[1]- ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 66.

[2]- سجلماسة: مدينة كبيرة كثيرة العامر وهي مقصد للوارد والصادر أي طريق ومركز تجاري ببلاد المغرب الإسلامي، كثيرة الخضر والجنات، ومنها إلى أغمات ثماني مراحل، ومنها إلى درعة ثلاث مراحل، ولا حصن عليها وهي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها الكثير من الماء يأتي إليها من جهة المشرق من الصحراء، وهي بكسر الأول والثاني وسكون الثالث، وتعتبر مدينة في جنوب المغرب الأقصى في طرف بلاد السودان الغربي، وسجلماسة كثيرة العمارة والبساتين، رائعة البقاع، ذات منازل رفيعة وعمارات متصلة، والنهر الذي يأتي إليها من المشرق من الصحراء يزيد في الصيف كزيادة النيل ويزرع على ما يزرع كما يزرع على ماء النيل والزرع عليه كثير الإصابة هذا ماورد عند الادريسي،اما الحميري فقد اورد عنها انها من اعظم مدن المغرب ،وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبليها ولا في غربيها عمران بينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة ،قليلة الماء يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان ليس لهم مدن ولا عمارة ياوون اليها الا وادي درعة بينه وبين سجلماسة خمسة ايام وهي مدينة محدثة بناها مدرار بن عبدالله سنة 140 هجرية .انظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 305 ، الادريسي :نزهة المشتاق ،مج 1،ص 225-226،ويذكر ابن خلدون انها من اعمال مكناسة وتم اختطاطها سنة 140 هجرية انظر: ابن خلدون :العبر ،ج 6،ص 171-174، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106، بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 310، حسن حافظي علوي :سجلماسة واقاليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ،ط1 ،وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ،الرباط ،المغرب ،1997،ص28

[3]- درعة: بينها وبين سجلماسة ثلاث مراحل كبار، ومن درعة إلى بلاد السوس أربعة أيام، وهي ليست مدينة يحيطها سور وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة، وبها أخلاط من البربر، ودرعة بفتح الأول وسكون الثاني مدينة صغيرة في جنوب المغرب الأقصى غربي سجلماسة بينهما أربعة فراسخ. أنظر : الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 226- 227، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 106.

[4]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 67 Nehemia Levtzion,AbdAllah b.Yasin and theAlmoravids, in ; John RalphWillis,Studies in West AfricanIslamicHistory,p54.

[5]- ابن السماك العاملي: الحلل الموشية ، ص 68.

فيختلفان مع صاحب الحلل ويذكران أن عبد الله بن ياسين وأتباعه بعد أن خرجوا إلى الجزيرة ابتنوا بها رابطة ولازموها لعبادة الله، فتوافد عليهم الناس واتبعوا دعوتهم، فسماهم بالمرابطين لملازمتهم راباطته، كما يوضح كل من أبي زرع الفاسي والقيرواني كيف إبتدأ أمر إنتشار دعوته، وذلك أنه لما إجتمع عنده ألف رجل قام فيهم خطيبا ودعاهم إلى نشر دعوته وذلك بجهاد من يخالفهم من قبائل صنهاجة[1].

وأما عبد الواحد المراكشي فيذكر لنا روايتين، الأولى يتفق فيها مع صاحب الحلل الموشية في سبب تسميتهم بالمرابطين ويقول أنه أطلق عليهم اسم المرابطين بعد إنتصارهم في إحدى المعارك ولا يذكر لنا من أين استقى المعلومة، وأما الرواية الثانية فيتفق فيها مع ابن أبي زرع الفاسي وابن أبي دينار القيرواني فيذكر لنا فيها أنهم أقاموا رباطا بالجزيرة للعبادة ما فتئ أن اتسع وكثر به الناس فلما رأى عبد الله بن ياسين كثرة عددهم وحماسهم الشديد لنشر دعوته وتمسكهم بها قال لهم:« أخرجوا فأنتم المرابطون» وينسب عبد الواحد المراكشي المعلومة لابن عذارى[2].

والرواية الثانية هي الأرجح لأنها الأنسب منطقيا فمن المنطقي جدا أن يطلق عليهم اسم المرابطين لملازمتهم الرابطة ثم يقوم فيهم خطيبا آمرا لهم بنشر دعوته وجهاد القبائل التي تمتنع عنها، وقد اتفقت معظم المصادر حول هذه الرواية، لكنه من غير المنطقي أن يخرجوا للحرب أو للجهاد حسب صاحب الحلل ثم ينتصرون فيطلق عليهم اسم المرابطين، فلو أن الاسم جاء بعد انتصارهم في إحدى المعارك كان قد أطلق عليهم اسم المنتصرين، ولكن لأنهم كانوا مرابطين وملازمين للرابطة التي أقامها هوو أتباعه أطلق عليهم اسم المرابطين.

ومهما اختلفت المصادر التاريخية في سبب تسمية أتباع عبد الله بن ياسين بالمرابطين إلا أنها تتفق في أنه هو صاحب الاسم وأنه كانت له ولأتباعه رابطة بالجزيرة التي خرجوا إليها، ومنها انطلقت الدعوة المرابطية بعد أن أمرهم بالخروج والجهاد في سبيل نشر الدعوة، وتتفق بعض

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 125، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 16.

المصادر أنه لم يأمرهم بذلك حتى بلغ عددهم ألف رجل [1] وقد كان هذا سنة 455هـ الموافق ل 1063م[2].

وبعد خروجهم من الجزيرة انضمت لهم أعداد كبيرة من اللمتونيين والجداليين وغيرهم من قبائل صنهاجة إلا أن القيادة كانت بيد قبيلة لمتونة [3] بأمر من عبد الله بن ياسين وذلك لما رآهم عليه من إستقامة وإجتهاد وحماس في نشر الدعوة [4]. اذ توجه عبد الله بن ياسين بأتباعه إلى الشمال[5] لتحقيق أولى خطوات هدفه في القضاء على الزناتيين وإقامة دولة صنهاجة، فبمجرد وصوله إلى وادي درعة [6] أعلن الحرب على أمراء مغراوة [7] من زناتة أصحاب سجلماسة، وقد كان على رأس أمراء مغراوة زعيمهم مسعود بن وانودين [8]، وذلك بعد أن خاطبهم ودعاهم لإتباع دعوته فرفضوا وامتنعوا وإختاروا أن يحاربوه ويحاربوا دعوته، وتذكر المصادر أن المرابطين انتصروا في هذه الحرب وملكوا سجلماسة[9]، ويذكر لنا ابن أبي دينار القيرواني أن عبد الله بن ياسين لم يتوجه إلى سجلماسة من تلقاء نفسه وإنما قرر التوجه إليها بعدما بعث إليه فقهاء سجلماسة ودرعة يشكون له سوء الأوضاع وجور أمرائها، كما يذكر لنا أن عبد الله بن ياسين أخذ من غنائم الحرب

---

[1]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 67، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 16، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 125.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 16.

[3]-نفسه ،ص16

[4]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 22.

[5]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 16، مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 22.

[6]- وادي درعة: هو مجرى نهر سجلماسة النازل إلى درعة وعليه يعتمدون في زراعة الحناء والكمون والكروية وغيرها من نبات الزينة والتجميل والتوابل، ولم تكن الحناء تزرع في غير هذا الإقليم. أنظر : الإدريسي: نزهة المشتاق ، مج 1، ص 227 ، أحمد البوزيدي : التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17م مطلع القرن 20 - دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية -، مؤسسة الملك عبد العزيز ،الدار البيضاء ،المغرب ،1994،ص 42.

[7]- مغراوة: إحدى بطون زناتة واوسعها سميت مغراوة نسبة الى مغراو بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا اخوة بني يفرن وبني يرينيان ،وكانت مواطنهم بارض المغرب الاوسط من شلف الى تلمسان .انظر: ابن خلدون ،العبر ،ج7،ص 33

[8]- مسعود بن وانودين: هو مسعود بن وانودين بن خزرون بن فلفول الهزرجي أمير من أمراء سجلماسة وزعيم قبيلة مغراوة. أنظر ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 68 .

[9]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 68 .

الخمس لإصلاح البلاد(سجلماسة ودرعة) وجعل عليها عاملا ويتفق معه في هذا ابن أبي زرع الفاسي[1].

هذا ولم تتفق المصادر التاريخية في السنة التي استولى فيها المرابطون على سجلماسة وتختلف في تحديد هذا التاريخ، فنجد صاحب الحلل الموشية لم يذكر لنا أي تاريخ، وأما عبد الواحد المراكشي فنجده يذكر لنا تاريخ خروج المرابطين من الجزيرة ويحدده بسنة 455هـ الموافق ل 1063م[2]، وأما ابن أبي زرع الفاسي وابن أبي دينار القيرواني فقد ذكرا كلاهما تاريخ وصول شكوى فقهاء سجلماسة ودرعة إلى عبد الله بن ياسين وحدده بسنة 447هـ الموافق ل 1105م[3]، ويزيد ابن أبي زرع الفاسي على ابن أبي دينار القيرواني بأن يحدد لنا تاريخ خروج عبد الله بن ياسين وأتباعه إلى سجلماسة ب 20 صفر سنة 447هـ الموافق ل 21 ماي سنة 1055م[4].

إلا أننا نأخذ بالتاريخ الذي حدده عبد الواحد المراكشي في خروج عبد الله بن ياسين وأتباعه من الجزيرة، وذلك توازيا مع التاريخ الذي أخذنا به في خروج يحي بن إبراهيم إلى الحج وهو سنة 440هـ/ 1048م[5] إستنادا إلى صاحب الحلل الموشية وهذا هو الأرجح ، وقد يكون تحديده تحديده لهذه التواريخ هو الأصح إلا أن عبد الواحد المراكشي يتفق معه في تاريخ الخروج إلى سجلماسة ولا يذكر لنا شيئا عن تاريخ خروج يحيى بن إبراهيم إلى الحج، لكن من المؤكد أنه يتوافق مع صاحب الحلل وذلك حسب إتفاقهما في تحديد تاريخ الخروج إلى سجلماسة.

وعليه فإنه لابد من أن يكون تاريخ المعركة في إخضاع سجلماسة قريب من تاريخ خروجه إليها أي في حوالي سنة 445- 457هـ الموافق لـ 1063- 1065م وذلك بالنظر إلى تاريخ الأحداث التي تعقب الحدث.

---

[1]- ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 127.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 16.

[3]- ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 127.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: اروض القرطاس ، ص 128.

[5]- ابن السماك العاملي : صاحب الحلل الموشية، ص 64.

ويعتبر الإستيلاء على سجلماسة بداية إنتشار الدعوة ومرحلة ثانية من المراحل التي مرت بها الدعوة المرابطية في بلاد المغرب، وذلك إذا إعتبرنا أن ما قام به عبد الله بن ياسين من نشر الدعوة في قبائل صنهاجة مرحلة أولى، حيث تذكر لنا المصادر التاريخية أنه قبل التوجه إلى سجلماسة قصدها برفقة أتباعه (قبائل صنهاجة) يدعوهم للدخول في طاعته حيث أقام يحذرهم سبعة أيام فلما يئس منهم حاربهم، وقد كانت جدالة أول القبائل التي قصدها [1] ثم سار إلى لمتونة ومنها إلى مسوفة[2] حتى ملك كل قبائل صنهاجة بين يديه فبايعته ودخلت في طاعته[3].

هذا ويذكر لنا ابن أبي زرع الفاسي أنه كان كل من يقبل عليه للدخول في طاعته فإنه يسلك منهجا في تطهيره، وذلك بأن يضربه مئة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام[4]، وقد أقام بيت مال من أموال الزكاة والعشر التي صارت قبائل صنهاجة تؤديها وأخذ يمول بها جيشه بما يحتاجه من سلاح ومؤونة[5].

كما يذكر لنا ابن أبي زرع الفاسي أنه في هذه الأثناء توفي يحي(يحيا)بن إبراهيم الجدالي مما دفع بعبد الله بن ياسين إلى تقديم يحي(يحيا) بن عمر في موضعه وهو زعيم قبيلة لمتونة وقد سبق أن قلنا أن عبد الله بن ياسين جعل القيادة في يد أهل لمتونة عند خروجه لنشر دعوته وذلك لأنهم كانوا أكثر قبائل صنهاجة ولاءا وطاعة له[6].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 126، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106.

[2]- مسوفة: أحد بطون صنهاجة من البربر البرانس، ويذكر الإدريسي أنها من قبائل لمطة أخت صنهاجة. أنظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 117، عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص 13، الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 225.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 126، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 126.

[5]- نفسه، نفس الصفحة، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 126- 127.

وأعقب إخضاع قبائل صنهاجة التوجه إلى سجلماسة وإخضاعها كما ذكرنا سابقا ليتوجه بعدها عبد الله بن ياسين بجيش كثيف يضم أفرادا من لمتونة ومسوفة ولمطة [1] وهزرجة [2] تحت قيادة أبي زكرياء يحيى(يحيا) بن عمر وسار بهم إلى بلاد درعة [3] حيث التقى مع بعض الجداليين الممتنعين عن الدخول في طاعته فحاربهم وأخضعهم لكن قد فقد في هذه المعركة قائده أبي زكرياء يحيى (يحيا) [4]بن عمر مع عدد من أفراد الجيش [5]، ويذكر عن أبي زكرياء يحيى(يحيا) ابن عمر أنه استولى على جميع بلاد الصحراء وغزا حتى بلاد السودان وفتح منها الكثير[6].

ويذكر أن عبد الله بن ياسين قدم لخلافة أبي زكرياء يحيى(يحيا) بن عمر أخوه أبو بكر ابن عمر[7] فبايعته كل القبائل الصنهاجية وحتى أهل سجلماسة ودرعة[8]، وقد كانت بلاد المصامدة أول أول وجهة في قيادة أبي بكر بن عمر وكان ذلك في ربيع الثاني سنة 448هـ[9] الموافق ل1066م ففتح معاقل[10] بلاد السوس وأطاعته جميع قبائلها، ثم واصل طريقه إلى أغمات [1] ليخضعها، وقد

---

[1]– لمطة: تلتقي مع صنهاجة في أب واحد وأم واحدة وهلم أخوان وأبوهم لمط بن زعزاع من أولاد حمير وأمهم تاصكي (تازكاي) العرجاء وأبوها زناتي وهوار أيضا أخ لصنهاج ولمط، وكانت أمهم جميلة حسنة، بارعة الذهن، ومن قبائل ها لمطة مسوفة ووشان وحمالة. أنظر الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 223- 224.

[2]– هزرجة: هي احدى قبائل المصامدة .انظر ابن خلدون :العبر ،ج6،ص304

[3]– بلاد درعة:يقصد بها مدينة درعة السابقة الذكر والتي تبعد عن سجلماسة بثلاث مراحل كبرى ا.انظر الادريسي :نزهة المشتاق ،مج 1،ص 226

[4]– هذا ما ذكره لنا صاحب الحلل الموشية إلا أن ابن أبي زرع الفاسي فإنه يذكر لنا أن يحيى بن عمر قتل في معارك بلاد السودان، أما عبد الواحد المراكشي وابن أبي دينار فإنهما يذكران وفاته دون أن يذكرا لنا مكان وفاته وفي أي معركة بالضبط، ولم يذكر لنا أي مصدر السنة التي توفي فيها يحيى بن عمر. أنظر الحلل الموشية، ص 23، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 126، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 18، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 106.

[5]– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 23.

[6]– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 127.

[7]– أبو بكر بن عمر: هو أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن ورتانطق اللمتوني المحمدي، أمه حرة كدالية اسمها صفية، لما قدمه عبد الله بن ياسين بايعته قبائل المرابطين صنهاجة وغيرها فتمت له البيعة وذلك بعد وفاة أخيه يحيى بن عمر زعيم لمتونة. أنظر ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 133.

[8]– ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 69.

[9]– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 128.

[10]– كان بإحدى قبائل السوس قوم من الروافض الشيعة يقال لهم البجلية منسوبين إلى عبد الله البجلي الرافضي والذي قدم إلى بلاد السوس مع قدوم عبيد الله الشيعي إلى إفريقية، فأشاع هناك مذهبه وورثته الأجيال عن بعضها إلى أن دخلها أبو بكر بن عمر مع

كانت أغمات بيد أميرها لقوط المغراوي [2] والذي أسلمها وفر ليلا مع أتباعه إلى خارج أغمات وذلك بعد أن حاصره أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين وضيقا عليه الخناق [3] وانهزم أمام المرابطين في عدة معارك، وبعد ذلك استقبل أشياخ المصامدة المرابطين وأذعنوا لهم بالطاعة فدخل عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر وباقي المرابطين أغمات سنة 450هـ الموافـــق لـ 1068م[4]. بعد أن دخل المرابطون [5] أغمات استراحوا بها حوالي شهرين ثم خرجوا في تقفي أثر لقوط المغراوي فأدركوه عند بني يفرن[6] بتادلة[7] فقتلوه هو ومن معه من بني يفرن وأتباعه ثم أخضعوا المنطقة[8]، ومنها توجهوا إلى تامسنا [9] حيث كان يتواجد بساحلها قوم برغواطة [1] وهم قبائل كثيرة

شيخه عبد الله بن ياسين فقتلوا من امتنع عن الدخول في طاعتهما من الروافض، ومن بقي من الروافض أرجعوه إلى السنة. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 129.

[1]- أغمات: مدينة يكتنفها جبل درن، فإذا كان فصل الشتاء تحللت الثلوج النازلة به فيسيل ذوبانها إلى نهر أغمات، أهلها هوارة من قبائل البربر المتبربرين بالمجاورة، وهم تجار مياسر يتاجرون ببلاد السودان في النحاس الأحمر وثياب الصوف والعمائم والزجاج والأصداف والعطر، لم يكن في دولة المرابطين أحد أكثر منهم مالا ولا أوسع منهم أحوالا، وبأغمات عقارب كثيرة وكثيرا ما تلسع الناس وتؤذيهم، وبها فواكه متنوعة وكل شيء مأكول بها رخيص الثمن. أنظر الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 131- 133.

[2]- أمير أغمات المغراوي: هو لقوط بن يوسف بن علي المغراوي. أنظر ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 129.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 69.

[5]- هناك من يذكر أنهم دخلوها سنة 450هـ كما ورد عند صاحب الحلل، وهناك من يذكر أنهم دخلوها سنة 449هـ كما ورد عند ابن أبي زرع الفاسي. أنظر: ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 69، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 129.

[6]- بني يفرن: هم من بطون زناتة واوسعها ،ونسبهم هو بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا واخوته مغراوة وبن يرنيان وبنو واسين ،والكل بنو يصلتين ويفرن في لهجة البربر الفار انظر: ابن خلدون :ج 7،ص 15، ابن الاحمر :تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ،تق وتح :هاني سلامة ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ،بور سعيد ،مصر 2001،ص 1-10.

[7]- تادلة: وترسم أيضا تادلا، بينها وبين أغمات أربعة أيام، وبينها وبين مدينة داي مرحلة، وفي شرق تادلا وادي من البربر وهم بنو وليهم وبني يزكون ومنداسة. أنظر الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 231- 232 ،محمد زنيبر :المغرب في العصر الوسيط – الدولة – المدينة – الاقتصاد ،تنسيق محمد المغراوي ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،المغرب ، 1970،ص 341.

[8]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 129.

[9]- تامستا: تقع بين البحر المحيط الغربي وبين وادي ام الربيع على نحو ثلاث مراحل ،وهي قبائل شتى متفرقة منهم برغواطة ومطماطة وبنو تسلت و بنو اويقمران وزقارة وبعض من زناتة ،وكلها اصحاب حرث ومواش وجمال والغالب عليهم الفروسية .انظر الادريسي ، نزهة المشتاق ،ص236-237،ويذكر ابن خلدون انها ممتدة من نهر ابي رقراق الى نهر ام الربيع .انظر: ابن خلدون :العبر ،ج 6،ص 280

كانت تدين بالمجوسية إتباعا لمذهب صالح بن طريف [2]، وقد دخل عبد الله بن ياسين مع جيشه المرابطي في حرب معهم وقد كانت هذه الحرب عبارة عن معارك عديدة وملاحم شديدة فقد فيها العديد من جنود الطرفين [3]، وقد أصيب عبد الله بن ياسين في إحدى معارك هذه الحرب فحمله أتباعه إلى خارج ميدان المعركة وهو مثقل بالجراح حيث ألقى عليهم خطابا وأخذ منهم الموافقة على تقديم أبي بكر بن عمر اللمتوني أميرا عليهم من بعده [4]، وفي عشية ذلك اليوم اي 24 جمادى الأولى سنة 451هـ الموافق ل 8 يوليوز 1059م توفي عبد الله بن ياسين [5].

ولم تتوقف دعوة عبد الله بن ياسين أو الدعوة المرابطية بعد وفاته بل استمرت على يد أبي بكر بن عمر الصنهاجي الذي خلفه بعد موافقة القبائل الصنهاجية على توليه الإمارة، وقد استمر أبو بكر بن عمر في غزو برغواطة حتى يئسوا وفروا إلى الصحراء، لكنه تبعهم وتمكن منهم حتى أذعنوا له الطاعة والولاء وأسلموا إسلاما جيدا [6].

وبعد أن فرغ من أمر برغواطة عاد أبو بكر بن عمر إلى أغمات ومكث بها بعض الوقت ثم اتجه إلى بلاد المغرب لإخضاعها وكان خروجه إلى بلاد المغرب في صفر سنة 452هـ الموافق ل 1060م [7]، وقد رافقه في خروجه جيش متنوع من قبائل صنهاجة والمصامدة وغيرهما، فتمكن من إخضاع بلاد زناتة ومكناسة [8] ثم نزل إلى بلاد لواتة فحاصرها ودخلها بعد قتال مات فيه العديد

---

[1]- قوم برغواطة: بطن من بطون المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وازمور وانفى واسفي وهم شعوب كثيرة ومتفرقون .انظر: نفسه ،ص276

[2]- صالح بن طريف: ادعى النبوة سنة 127هـ بتامستا من بلاد المغرب الأقصى على ساحل البحر فيما بين سلا وآسفي، وكان أبوه طريف تنبأ أيضا ولما توفي خلفه ابنه هذا. أنظر: نفسه، نفس الصفحة.

[3]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 69، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 132، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 10.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 132.

[5]- نفسه، نفس الصفحة، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 107،ويذكر ابن خلدون ان المرابطين اتخذو ا بعد عبد الله بن ياسين شخصا اخر لتسيير الدعوة اسمه سليمان بن حروا وفي نسخة اخرى بن عدوا .انظر ابن خلدون :العبر ،ج6،ص244

[6]- ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 107.

[7]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 133، الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 105.

[8]- مكناسة: يقال لها مكناسة الزيتون، مدينة في المغرب من نظر فاس من جهة الغرب، بينها وبين فاس أربعون ميلا، ويذكر الإدريسي أنها سميت مكناسة نسبة إلى مكناس البربري لما نزل بها مع بنيه عند حلولهم بالمغرب وأقطع لكل ابن من بنيه بقعة يعمرها مع ولده، وكل

من بني يفرن، وتذكر المصادر أنه لم يخضع أهلها فحسب وإنما قام بتخريبها، ويذكر صاحب الاستقصاء وابن أبي زرع الفاسي أنه تركها مخربة ولم تعمر بعده وكان هذا بتاريخ الجمعة آخر يوم من ربيع الثاني سنة 452هـ الموافق لـ 2 يونيو 1060م[1].

وبعد ذلك عاد إلى أغمات وأقام فيها ثلاثة أشهر [2] إلى أن وفد عليه أحد الرسل يخبره أن وضع الصحراء اختل باختلاف أهلها فيما بينهم مما جعله يحس بالخطر على مستقبل الدعوة المرابطية بالصحراء خاصة وأنه كان يرى في نفسه الشخص المسؤول عن أمر الدعوة وعن أحوال من اتبعها من الناس وذلك لما يميزه من طباع بحسب ما تذكره المصادر التاريخية، فمعظمها تتفق على أنه كان ورعا مخلصا لنشر الدعوة[3].

وتذكر بعض المصادر أن أهم أمر رجع به إلى الصحراء هو الصراع ما بين جدالة ولمتونة [4]، وحينما عزم على الرحيل ترك ابن عمه يوسف بن تاشفين[5] خليفته على بلاد المغرب، وتذكر بعض

هذه المواضع التي أحلهم فيها تتجاور وتتقارب أمكنتها بعضها من بعض، وبلاد مكناسة منها التي تعرف ببني زياد وهي مدينة عامرة لها أسواق عامرة وحمامات وديار حسنة والمياه تخترق أزقتها ولم يكن في أيام المرابطين و بعد هم أعمر قطرا من بني زياد وبينهما نحو أربعين ميلا. أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 544، الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 244 ،ابن غازي المكناسي :الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون ،نشر بعد الاعتناء والتصحيح من مركز المؤمنية ،الرباط ،المغرب ،1952،ص 4-6.

[1]- الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 105، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 134.

[2]- خلال الثلاثة أشهر في فترة إقامته بأغمات تذكر المصادر أنه تزوج من إمرأة اسمها زينب بنت إسحاق الهواري رجل من التجار، وأصله من القيروان، وقد اتصفت هذه المرأة بالحزم وسداد الرأي ومعرفة الأمور حتى كان يقال لها الساحرة، ويذكر صاحب الاستقصاء أنها نفزاوية من قبيلة نفزاوة، ويذكر عبد الواحد المراكشي أنها كانت زوجة لمسعود بن وانودين الرئيس الزناتي بإقليم سجلماسة، ويذكر صاحب الاستقصاء نقلا عن ابن خلدون أنها كانت زوجة لقوط المغراوي أمير أغمات سابقا وقبله كانت زوجة عند يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ وريكة. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 134، الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 103.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 134، الناصري: الاستقصاء، ص 105.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 134

[5]- يوسف بن تاشفين: هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، وفي إبراهيم يجتمع مع ابني عمه الأميرين اللذين كانا قبله أبي زكراء يحيى وأبي بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورقيت، وأمه حرة لمتونية بنت عم أبيه اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن ورتاقطن المذكور. أنظر : مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 24، ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس ، ص 136.

المصادر أنه عاد إلى أغمات بعد أن أصلح الأوضاع بين جدالة ولمتونة ثم قرر العودة إلى الصحراء والمكوث بها والتوغل فيها لحماية الدعوة ونشرها، وأمر يوسف بن تاشفين ابن عمه بتولي أمور بلاد المغرب في الشمال وخلافته له بالمنطقة[1].

رغم تضارب المصادر في هذا الشأن إلا أنها تتفق في اتخاذه قرار المكوث بالصحراء وقرار استخلافه لابن عمه يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب، ويذكر لنا ابن أبي زرع الفاسي أنه خرج إلى الصحراء أو ارتحل إلى الصحراء بمعنى أصح في ذي القعدة سنة 453هـ الموافق لـ نوفمبر 1061م[2] وتتوافق معه في هذا التاريخ بعض المصادر.

وهكذا فقد مضى أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ليجاهد فيها وينشر الدعوة المرابطية باسم الإسلام، فأنشأ لنفسه ملكا واسعا بهاووصل إلى حوض السنغال [3] من بلاد السودان [4] الغربي وأخضع بلاد واسعة لسلطته في الجنوب حتى وصل إلى حوض نهر النيجر الأعلى [5] مما جعل جعل مملكته المرابطية الإسلامية بالجنوب عاملا هاما في نشر الإسلام بهذه الناحية من الصحراء

---

[1]- يذكر صاحب الحلل أنه بعد أن وفد عليه رسول من الصحراء خرج إليها واستخلف على بلاد المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين، وأما ابن أبي زرع الفاسي وصاحب الاستقصاء فيذكران أنه بعدما خرج للصحراء وأصلح أمورها وحل الخلاف الذي كان بين أهلها ثم عاد إلى بلاد المغرب أخبر أتباعه أنه قرر أن يستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب. أنظر : مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 23، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 134، الناصري: الاستقصاء، ص 105.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 134، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 107.

[3]- حوض السنغال: هو نفسه نهر السنغال الذي سبق التعريف به

[4]- بلاد السودان الغربي: يطلق عليه اسم افريقيا الغربية التي تقع الى الجنوب من افريقيا العربية ،يحدها شرقا بحيرة تشاد وغربا المحيط الاطلسي وجنوبا خليج غينيا ،وقد قامت به عدة ممالك خدمت التقدم واوجدت العلم والثقافة واخرجت سكان هذا الاقليم من طور البداوة التي ظلت مسيطرة على غيرهم من المناطق الافريقية ومن اهم هذه الممالك غانة ،مالي ،سنغاي .انظر: بودواية مبخوث: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2005- 2006،ص35-56

[5]- نهر النيجر الأعلى: هو نهر النيجر الذي يذكر انه احد ذراعي نهر الجيبون الذي ينحدر من الفردوس الارضي والذراع الثاني هو النيل ،وقد اتخذ اسمه من السود الذين يمر بارضهم ،لكن العرب يعتقدون انه جزء من النيل يسيل تحت الارض الى بحيرة النوبة في صحراء ساوة ،ويتجه من هناك نحو الغرب مكونا ايضا بحيرة اخرى تسمى بحيرة نيجرطا (بحيرة النيجر)حيث يتضخم بمياه عدة انهار ويسير في منعرجات كبيرة ليصب في المحيط الغربي بواسطة قناتين عريضتين تدعى احداهما سينكال والاخرى كامبا .انظر: مرمول كربخال :افريقيا ، تر:محمد حجي وعمد زينبر واخرون ،ج1،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرباط ،المغرب ،1984،ص 55-56

الإفريقية[1]، وقد واصل جهاده ودعوته إلى أن استشهد في الصحراء في سبيل نشر الإسلام والدعوة المرابطية سنة 480هـ الموافق لـ 1090م[2].

هذا وإن لأبي بكر بن عمر إنجازا عظيما ببلاد المغرب وهو اختطاط مدينة مراكش[3]، فتذكر المصادر التاريخية أنه لما استقر أبو بكر بن عمر وأتباعه بأغمات قد ضاقت عليهم وعلى أهلها فكان لزاما عليهم أن يبحثوا عن مكان آخر للإستقرار، فأخبروه بأنهم عثروا على مكان رحب الســـــاحة واسع الفنـــاء لائق به وأنها بالقرب من نفيس[4] وجبل درن[5]، فخرج أبو بكر بن عمر وأتباعه من لمتونة وأشياخ صنهاجة وساروا معه إلى فحص مراكش فوجدوه خالي ليس به إلا الغزلان والنعام وليس به من النبات إلا السدر والحنظل، ولكنها راقت لهم فمكثوا بها وبدؤوا في بناء ديارهم من غير تسوير عليها[6]، وكان ذلك حسب صاحب الحلل الموشية

[1]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 22.

[2]- ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 107.

[3]- مراكش: مدينة تقع جنوب المغرب إختطاها أبو بكر بن عمر سنة 462هـ، تقع شمال اغمات وعلى اثنتي عشر ميلا منها بداخل المغرب، وليس حولها إلا جبل صغير يسمى إجليز، وأكمل بناءها يوسف بن تاشفين سنة 470هـ، وقد إشترى أرضها من أهل أغمات وجعلها له ولبني عمه وليس بها حجر البتة إلا ما كان من الجبل الصغير الذي حولها، وبنا ؤها كله من الطين والطوب، وماؤها الذي تسقى به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة استخرجه عبيد الله بن يونس المهندس والذي جاء إليها في صدر بنا ئها فاستخرج منها الماء فكثرت البساتين والجنات وأنشأت بذلك عمارات متصلة واتخذها اللمتونيون ثم المصامدة من بعدهم كرسيا للملكة نظرا لقربها من أراضيهما وبها العديد من القصور للكثير من الأمراء والقادة وخدام الدولة، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة وسلعها نافذة، ويذكر ابن أبي دينار القيرواني بفتح الميم وفتح الراء المشددة وضم الكاف وضبطها بعضهم بضم الميم وفتح الراء المشددة وكسر الكاف، ويذكر معناها نقلا عن ابن خلدون أنها إمش مسرعا بلهجة المصامدة إذ كان موضعهما مأوى للصوص وكان المارون بها يقولون لبعضهم البعض هذه الكلمة. أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 140، الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 233- 234، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 107، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 88 ،محمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي :السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ،مر وتع :احمد مفتكر ، ط3،مؤسسة افاق للدراسات والنشر ،مراكش ،المغرب ،2011،ص 8-16.

[4]- نفيس: بفتح النون وتشديد الفاء المكسورة، وهو جبل في نواحي أغمات مطل على مراكش وفي سفح الجبل توجد مدينة نفيس، وهي صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائلها المنسوبين إليها، وبها من الحنطة والفواكه واللحوم ما ليس لغيرها، تشتهر بالزبيب، بها جامع وسوق. أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 229، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 105.

[5]- جبل درن:سبق التعريف به انظر: المدخل ص5 هامش رقم2.

[6]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 59.

سنة 462هـ الموافق ل 1070م[1]، وفي هذه الأثناء يذكر أيضا صاحب الحلل أنه وفد عليه رسول الصحراء يعلمه بإختلال أمرها وإختلاف لمتونة وجدالة[2].

وإنطلاقا من هذا فإننا نجد أن صاحب الحلل يحدد تاريخ خروج أبو بكر بن عمر إلى الصحراء واستخلافه ليوسف بن تاشفين على بلاد المغرب كان سنة 462هـ الموافق ل 1070م وهذا يتناقض مع التاريخ الذي ذكرناه سابقا والذي حدده ابن أبي زرع الفاسي وابن أبي دينار القيرواني وكان في 453هـ الموافق ل 1061م، هذا ويحدد عبد الواحد المراكشي تاريخ خروج أبو بكر بن عمر إلى الصحراء سنة 463هـ الموافق ل 1071م.

وإن الإختلاف بين صاحب الحلل وعبد الواحد المراكشي هو سنة واحدة وعليه فإننا نرجح ان التاريخ الذي ذكره صاحب الحلل وهو سنة 462هـ الموافق ل 1070م هو الارجح لانه الاقرب الى تاريخ عبد الواحد المراكشي ويتوافق مع ماسيرد من احداث في التسلسل الزمني ، كما أنه لا يمكن في هذه الحالة أن نأخذ بما حدده ابن أبي زرع والقيرواني لأنه بعيد بمدة طويلة عن التاريخ الذي ذكره صاحب الحلل.

وبخروج أبو بكر بن عمر إلى الصحراء وبقاء يوسف بن تاشفين في بلاد المغرب فهذا دليل على نجاح الدعوة المرابطية واستمرارها خلال هذه الفترة، وأنها استمرت بشكل ناجح حتى بعد وفاة صاحبها عبد الله بن ياسين.

ب-2- الدعوة الموحدية:

تشير الدراسات التاريخية على أن دعوة المهدي بن تومرت قامت على أسس دينية إصلاحية بهدف تحقيق الوحدة الإسلامية، وصاحب هذه الدعوة المهدي بن تومرت كان شغوفا بطلب العلم كما تروي المصادر التاريخية ،فرحل إلى المشرق في أوائل القرن السادس هجري طالبا للعلم، ويذكر أن في رحلته إلى المشرق قد التقى بالإمام الغزالي[3]، وذكر له ما فعل أمير المسلمين المرابطي

---

[1]- نفسه، نفس الصفحة.

[2]- نفسه، ص59-60 .

[3]- الإمام الغزالي: هو أبو حامد الغزالي ولد سنة 452هـ/1058م في بلدة طوس بخرسان الواقعة على مقربة من مشهد في الشمال الشرقي من بلاد فارس، وتعلم في مدرسة طوس ، ثم انتقل إلى مدرسة أخرى في جرجان ثم نيسابور، دخل بغداد وهو في السابعة والعشرين من عمره، ثم دمشق، وبعد عشرة أعوام من الاعتزال والترحال عاد إلى نيسابور، وهو يحمل درجة إمام وفيلسوف من فلاسفة

بكتبه التي وصلت إلى المغرب من حرقها والعبث بها مما جعل الغزالي يردد حين بلغه ذلك بـ:" ليذهبن عن قليل ملكه، وليقتلن ولده، وما أحسب المتولي لذلك إلا حاضرا مجلسنا" [1]، وقد كان يقصد بذلك ابن تومرت الذي كان من ضمن الحاضرين في المجلس حسب صاحب المعجب وبعض المصادر التي توافقه الراي، وفي نحو 510هـ/ 1116م عاد ابن تومرت إلى بلاد المغرب؛وذلك بعد أن نفيه متولي الإسكندريةنتيجة للفوضى التي قامت بسببه في أثناء قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]،وفي طريق عودته إلى بلاد المغرب مرّابن تومرت بعدة مدن منها:

المهدية[3]وتونس[4]وقسنطينة[5]وبجاية،هذه الأخيرة التي قام فيها ابن تومرت بالتدريس والوعظ مما أدى إلى اجتماع الناس عليه وجعله يلقى نفس المصير، حيث أمره صاحب بجاية بالرحيل عنها، فخرج منها متوجها إلى المغرب (أي المغرب الأقصى) وهناك نزل بضيعة يقال لها "ملالة" [6]؛ وفي هذا المكان كان لقاؤه بـ: "عبد المؤمن بن علي"الذي كان في طريقه إلى المشرق لطلب العلم، ولكن ابن تومرت أقنعه بمرافقته لبلوغ هدفه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ابن تومرت لعبد

المسلمين، تبنى مبدأالشك في الفلسفة من أهم مؤلفاته "إحياء علوم الدين"، توفي سنة 505هـ /1111م أنظر: عز الدين إسماعيل: نوابغ العرب- أبو حامد الغزالي إمام العقل وحجة الإسلام، ط 1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1974، ص 27- 37، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 111، عبد الكبير المجذوب الفاسي :تذكرة المحسنين بوفيات الاعيان وحوادث السنين ، تح:محمد حجي ،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1996،ص 336.

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب ، ص136.

[2]- قد عرف عن المهدي بن تومرت بالتجول في الشوارع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتكسير زجاجات الخمر وآلات الطرب، أنظر: محمد بن تومرت مهدي الموحدين: أعز ما يطلب تق وتح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985 ، ص 6.

[3]- المهدية: مدينة على البحر مسورة بالحجر، وهي خزانة القيروان على ساحل المغرب الأدنى وسميت نسبة إلى عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب وهي على شكل شبه جزيرة بالساحل التونسي بين سوسة وصفاقص وقد بني المهدي حولها مرسى، أنظر: المقديسي: المصدر السابق، ص 54، وأنظر كذلك: ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص35، وأنظر أيضا: مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1968، ص 117-118.

[4]- تونس: مدينة كبيرة مستحدثة في إفريقية على ساحل بحر الروم، كبرت من أنقاض مدينة كبيرة وقديمة بالقرب من قرطاجة، اسمها القديم تريشنت، وهي قصبة أفريقية من أصح البلاد هواءا، أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج 1، دار صادر للطباعة والنشر،1979، ص76.

[5]- قسنطينة: من أشهر البلدان الأفريقية، تقع بين تنس وميلة وهي مدينة أولية كبيرة آهلة بالسكان والآثار أنظر: عبد المنعم الحميري: المصدر السابق ، ص 480-481، وأنظر أيضا: الإدريسي: المصدر السابق ،مج1، ص265-266.

[6]- ملالة: ضيعة على بعد فرسخ من بجاية ويطلق على سكانها " بنو ورياكل" من قبائل صنهاجة، أنظر: عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1968، ص 57 .

المؤمن بن علي:"... تصحبني وتعينني على ما أنا بصدده، من إماتة المنكر وإحياء العلم وإخماد البدع "[1].

هذا وقد أقام ابن تومرت بملالة أشهراً ثم رحل عنها إلى المغرب وقد رافقه كل من عبد المؤمن بن علي وعبد الواحد الونشريسي الذي يعرف عند المصامدة بعبد الواحد الشرقي وهو من أهالي ملالة[2]، وقد نزلوا في بداية رحلتهم إلى المغرب بعد مرورهم بتلمسان [3] بمدينة "وجدة" [4]، حيث مكثوا بها بعض الوقت ثم اتجهوا مدينة إلى "فاس" [5] حاضرة المغرب[6] العلمية، وفيها نزل بمسجد " طريانة"[7]، حيث درس بها العلم وظل بها بعض الوقت، وفي 514هـ انتقل إلى مكناسة فسعى بها إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أثار الفوضى، وعاد على ابن تومرت بالمتاعب[8] بالمتاعب[8] والأذى فترك المدينة.

هذا وقد عرف عن ابن تومرت أنه كان ينتقد حكم المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتجسيم، ويدعو إلى خلع طاعتهم ويتجول في الأسواق آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر وذلك

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 137،بعض المصادر تذكر انه كان في طريقه الى الحج مثل ابن خلدون ،ومصدر وحيد يذكر انه ارسل خصيصا للمجئ بابن تومرت لتلمسان .انظر ابن خلدون:العبر ،ج 6،ص303،ابن القطان المراكشي:نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان،تح:محمود علي مكي،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،1990،ص77-78.

[2]- عبد الواحد المراكشي :المعجب ، ص138.

[3]- تلمسان: تقع بالمغرب الاسلامي وهي احدى قواعده، تتكون من ضاحيتن متجاورتين مسورتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة وقد اختطها المرابطون (الملثمون) ملوك المغرب، واسم الضاحية الحديثة تاغرارت والقديمة أغادير، أنظر: الحموي:المصدر السابق ،ج 1، ص52، وأنظر أيضا: الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 248- 250 ،ابن الاحمر :المصدر السابق ،ص 10-11.

[4]- وجدة: وجدات ج وجدة المدينة المغربية الشهيرة، كانت في بدايتها تتكون من عدة قرى منفصلة عن بعضها بأسوار فكانت تدعى بذلك وجدات، ولما ضمت القرى المذكورة إلى بعضها وصارت مدينة واحدة دعيت وجدة بالإفراد وهي أول مدينة من مدن المغرب الأقصى شرقا، أنظر: البيذق ، المصدر السابق ، ص 20، قدور الورطاسي :معالم من تاريخ وجدة ،مطبعة الرسالة ،الرباط ،المغرب ، 1972،ص30.

[5]- فاس: هي القصبة وتسمى الكورة، السوس الأدنى ومن مدنها: ورغة، سبو، صنهاجة، هوارة وهي ذات عدوتين: الأولى عدوة الأندلس والثانية عدوة القرويين وكان اختطاط الأولى غرة ربيع الأول 192هـ والثانية 193هـ. أنظر: ابن أبي دينار القيرواني:المصدر السابق ، ص102، وأنظر كذلك: ياقوت الحموي:المصدر السابق ،ج3، ص320.

[6]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص57.

[7]- مسجد طريانة: هو المسجد الواقع بمدخل درب ابن سالم من الطالعة الكبرى بفاس، أنظر: علي بن أبي زرع الفاسي،المصدر السابق، ص173.

[8]- أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الإستقصاء ج1، ص 230.

بتكسير آلات الطرب وإراقة الخمر، وقد فعل هذا أيضا في أسواق مدينة مراكش،وفي شوارعها بعد دخوله إليها سنة 514هـ/ 1120م[1] برفقة عبد المؤمن بن علي الذي كان في خدمته، وأن ما قام به ابن تومرت في أسواق المدينة من أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد بلغ علي بن يوسف بن تاشفين[2]أمير المسلمين.[3]

وحسب ما جاء في المصادر فإن المهدي بن تومرت تجاوز الحد في الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، فلم يسلم منه حتى أفراد أسرة أمير المسلمين؛ حيث يذكر أنه وبخ أخت علي بن يوسف بن تاشفين منتقدا طريقة لباسها مما جعلها تدخل باكية على أخيها تستنجد به، كما أنه أنكر أمرا آخر على ابنة أمير المسلمين، وبدأ بالحديث عن وجوب وضرورة تغيير الأوضاع الحالية للدولة[4]، الشيء الذي جعل الأمير علي بن يوسف بن تاشفين يأخذ أمر ابن تومرت على محمل من الجد، فتشاور في أمره مع أهم المقربين إليه من العلماء " مالك بن وهيب" [5]،والذي أشار عليه بضرورة عقد مناظرة ما بين ابن تومرت وعلماء الدولة المرابطية؛ وفعلا عقدت المناظرة وحضرها علي بن يوسف بن تاشفين وشارك فيها ابن تومرت أمام علماء الدولة المرابطية منهم مالك بن وهيب ومحمد بن أسود قاضي ألمرية، وقد شملت المناظرة مختلف العلوم[6].

[1]- من خلال ما ورد عند البيذق الذي كان يرافق ابن تومرت انه أي- ابن تومرت- بعد ان ترك مكناسة اتجه مباشرة إلى خميس فنزارة وهي مدينة الخميسات حاليا ومنها الى سلا ومن سلا مباشرة الى مراكش. انظرالبيذق :المصدر السابق ،ص25-27

[2]- علي بن يوسف بن تاشفين: كنيته أبو الحسن وقد بويع بمراكش يوم وفاة أبيه يوم 01 محرم سنة 500هـ تسمى بأمير المؤمنين وملك جميع بلاد المغرب من بجاية إلى السوس الأقصى وبلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان وجميع بلاد الأندلس، أنظر: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق ، ص101.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 173-174.

[4]- السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 132.

[4] – مالك بن وهيب: رئيس العلماء في الدولة المرابطية عهد علي بن يوسف بن تاشفين. وورد في بعض المصادر أنه قاضي مراكش في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، وورد في المعجب أنه كان ملما بجميع العلوم، إلا أنه كان لا يظهر منها إلا ما يسمح به في ذلك الزمان ، ويذكر صاحب المعجب أيضا أنه كان لديه فنون من العلم وكتابا سماه " قراضة الذهب في ذكر لئام العرب "، وقد ضمن الكتاب لئام العرب في الجاهلية والإسلام كما أضاف إليه أيضا ما يتعلق بالآداب فيقول صاحب المعجب أن الكتاب لم يكن له نظير في فنه وأنه رآه في خزانة بني عبد المؤمن. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 140، وأنظر أيضا: البيدق: المصدر السابق ، ص 27، أنظر كذلك: عبد الله علي بن علام، الدولة الموحدية ف بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 59.

[6]- أحمد بن خالد الناصري السلاوي: المصدر السابق ،ج1، ص232.

وكان ابن تومرت واثقا من نفسه أثناء المناظرة فقد ابتدأ هو الكلام في مجلس العلماء والذي كان تحت إشراف أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فأخذ ينتقد أوضاع البلاد وينصح ويعظ أمير المسلمين حتى أبكاه، وجعله يأمر العلماء بالرد عليه إلا أنه لم يتمكن أحد من العلماء الحاضرين في المجلس من الرد عليه نظرا لقوة أدلة وحجج ابن تومرت على أقواله وأفكاره التي جاء بها[1].

وانطلاقا من هذه المناظرة فإن مالك لمس في شخصية ابن تومرت حدة النفس وذكاء الخاطر واتساع العبارات مما جعله يشير على أمير المسلمين بقتله في قوله: " هذا رجل مفسد لا تؤمن غائلته ولا يسمع كلامه أحد إلا مال إليه، وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شرا كثيرا."[2] لكن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين رفض قتله، إلا أنه ضاق ذرعا به خاصة بعد أن التبس الأمر على العلماء ومشايخ الدولة المرابطية في مناظرته فأمره بالخروج من المدينة وفعلا فقد أجاب ابن تومرت الأمير علي بن يوسف بن تاشفين لكنه لم يترك مراكش نهائيا وإنما اتجه إلى المقبرة[3] (الجبانة)، وأنشأ خيمة بين القبور لاستقبال أتباعه ولم يتوقف عن نشر أفكاره والطعن في حكم المرابطين، ووصفهم بالكفرة و أنه هو الإمام المهدي المنتظر فالتف حوله حوالي ألف وخمسمائة رجل[4].

وعندما بلغ خبره أمير المرابطين بعث إليه قائلا: " أيها الرجل اتق الله في نفسك، ألم أنهك عن عقد الجموع والأحزاب وأمرتك بالخروج من المدينة؟ "، وقد رد عليه ابن تومرت بالرد التالي حسب ما جاء في روض القرطاس: " قد امتثلت أمرك وخرجت من المدينة إلى الجبانة، فبنيت خيمة بين الموتى واشتغلت بطلب الآخرة، فلا تسمع لأقوال المضلين." [5]. وبعد هذه الأحداث فإن أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين فكر في إلقاء القبض على ابن تومرت

---

[1]- عبد الله علي بن علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ص 59.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 140.

[3]- يذكر البيذق أنها جبانة ابن حيدوس في قوله: " فحينئذ أمرنا المعصوم أن نسير إلى جبانة ابن حيدوس... " أنظر: البيذق: المصدر السابق، ص28.

[4]- ابن إبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص112.

[5]- علي بن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 175.

لكن هذا الأخير تمكن من الفرار بعد أن بلغه الخبر من أحد تلامذته [1]وكانت وجهته إلى تينملل[2] برفقة أتباعه وكان ذلك في شهر شوال 514هـ/1120م.[3]

ولما نزل بتينملل بدأت دعوته بها ، فبعد استقراره بين قومه ألف عقيدته التوحيدية باللسان البربري حتى لا يتعسر فهمها على قومه. وفي هذه الظروف انهالت عليه القبائل، فزادت ثقته بنفسه في نجاح دعوته، فبدأ يبشر بمجيء المهدي المنتظر [4]،وذلك بجمع وعرض الأحاديث النبوية التي نسبها أصحاب نظرية المهدي المنتظر إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- وقد رأى صحابته وأتباعه أن أوصافه مطابقة لأوصاف المهدي المنتظر من اسم [5]ونسب، وغزارة علم وسمو مواهب وإشراقة نظر وولع بالإصلاح الديني، فأجمعوا على أنه هو المهدي المنتظر دون سواه وتمت مبايعته بالمهدوية [6]. ويذكر كل من البيذق وابن القطان أن المبايعة تمت تحت شجرة الخروب،وأن أول من بايعه هو عبد المؤمن بن علي، ثم أبو إبراهيم [7]،وعمر أصناك[8]،وعبد الواحد الشرقي[9]وعبد الله بن محسن الونشريسي [1]المكنى بالبشير، ثم أبو موسى

---

[1]- ورد في بعض المصادر أن الطريقة التي تم إبلاغ بها ابن تومرت كانت كالتالي: وقف أحد تلامذته بالقرب من خيمته ونادى بأعلى صوته: "يا موسى إن الملأ يتآمرون بك ليقتلوك فأخرج أني لك من الناصحين " وكرر النداء ثلاث مرات ثم سكت فتفطن المهدي لندائه، أنظر: علي ابن إبي زرع الفاسي، روض القرطاس ، ص176.

[2]- تينملل: بكسر التاء وسكون الياء وضم النون وفتح الميم وتشديد اللام الأولى جبال المغرب الأقصى في بلاد السوس يسكنها البربر بينها وبين مراكش نحو ثلاثة فراسخ، أنظر: ابن إبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص 112.

[3]- علي ابن إبي زرع الفاسي: المرجع السابق، ص 176.

[4]- المهدي المنتظر : هو رجل من أهل النبوة يخرج آخر الزمن حسب نظرية أصحاب المهدوية يقال أنه يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، أنظر: أبو الحسن الخنيزري: الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامة، تح: محمد جواد مغنية، ج 2، ط1، مطبعة الإقبال، بيروت، 1956، ص 340-344.

[5]- طابق اسمه اسم المهدي المنتظر ذلك أن الأحاديث التي جمعها ونسبها إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- ورد فيها أن اسم المهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله ويلقب بالمهدي، وكذلك ورد أن المهدي المنتظر ينتسب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وقد كان المهدي ينسب نفسه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –.انظر:محمد بن تومرت (مهدي الموحدين):أعز مايطلب ، ص253-254

[6]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 65.

[7]- أبو إبراهيم: هو إسماعيل بن يسلالي الهزرجي المعروف عند الموحدين بإسماعيل إكيك. أنظر: البيدق: المصدر السابق، ص34.

[8]- عمر أصناك: هو عمر بن علي الصنهاجي ويعرف عند الموحدين بأصناك أي الصنهاجي بالشلحة واسمه الأول يملوك وكان من الأوائل الذين ناصروا المهدي فاستوزره المهدي وكان من أهل العشرة توفي سنة 536هـ وكان من بعده لأولاده مكانة قيمة ومرموقة عند عبد المؤمن، أنظر : البيذق: المصدر السابق،ص 34.

[9]- عبد الواحد الشرقي: هو عبد الله الشرقي اسمه الأول يرزجين بن عمر أصله من ملالة القريبة من بجاية بالمغرب الأوسط، ابن تومرت هو من أطلق عليه اسم عبد الواحد، أنظر: نفس المصدر.

موسى الصودي[2]، هؤلاء من كانت لهم مكانة مميزة عند ابن تومرت، وقد بايعه آخرون في نفس الوقت، ومنهم يوبورك إيسمكن وميمون الصغير، وميمون الكبير، ويحي اليسع، وعبد السلام أغيي ومسلم الجناوي ومكرار وملول بن إبراهيم وأولاده وسائر الأتباع، وكذلك أبو محمد وسنار ويعتبر هذا الأخير من أهل دار المهدي بن تومرت وأحد المقربين له والمختصين بخدمته.[3]

هذا ويصف عبد الله علي علام نقلا عن ابن القطان حفل مبايعة ابن تومرت بالمهدوية قائلا: قام فيهم خطيبا فقال: " الحمد لله فعال لما يريد، ... وصلى الله على سيدنا محمد، المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا ... مكانه المغرب الأقصى وزمنه آخر الزمن، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم وقد ظهر جور الأمراء وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمن والاسم الاسم والنسب النسب، والفعل الفعل."[4]

ولقد كان ابن تومرت رجل سياسة ودين في آن واحد [5]، فقد استطاع في وقت قصير أن يحقق لنفسه مكانة الإمام المعصوم المرسل من قبل الله ليقضي على الفساد، وينفذ الديانة الحقيقية

---

[1]– عبد الله بن محسن الونشريسي: من أهل المغرب الأوسط لقي المهدي بن تومرت بجبال الونشريس عندما كان راجعا من رحلته بالمشرق ، أنظر: نفس المصدر، ص 19.

[2]– أبو موسى الصودي: عيسى الخلاسي الصودي من أهل دار ابن تومرت وهو أبو زينب زوجة الونشريسي واختص بخدمة المهدي بن تومرت، أنظر : نفس المصدر، ص 34.

[3]– البيذق: المصدر السابق، ص 34-35.

[4]– عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 65- 66 ولعل بعد إنهاء ابن تومرت لخطبته اقتنع أتباعه أنه هو المهدي المنتظر فبايعوه بالمهدوية.

[5]– لقد امتاز ابن تومرت ومن كان معه بمهارة فائقة في إقناع أتباعه، ومقدرة عجيبة على إيجاد الوسائل الكفيلة لتحقيق أهدافه، حتى ولو تطلب منه ذلك استعمال أساليب قاسية تتنافى مع الضمير الإنساني والقيم الأخلاقية، فقد أدرك ابن تومرت بوضوح تام أنه لا يمكنه بلوغ هدفه المتمثل في تأسيس دولة جديدة بقوة المصامدة تحت رئاسته السياسية والدينية إلا بالحصول على طاعة تامة وتأييد من طرف السكان، والقضاء على كل من تسول لهم أنفسهم نقض الطاعة، أنظر: عبد الحميد حاجيات : تأسيس دولة الموحدين، مجلة التاريخ ، العدد 8، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، النصف الأول من سنة 1980، ص 69.

ولم يكتف باختيار لقب المهدي لنفسه، بل لقب أتباعه بالطلبة وكل من نصره اوناصر دعوته بـ"الموحدين"[1]، وأما الطلبة فكانوا يدرسون على يده علم التوحيد.[2]

ويبدو أن ابن تومرت كان يلقن لطلبته علم التوحيد من خلال أفكاره أو يمكن القول أن ابن تومرت كان ينشر أفكاره عن التوحيد من خلال الدروس التي يقدمها لطلبته وبما أنه كان رجل دين وسياسة في آن واحد كما اشرنا سابقا، فلا بد أنه كان حريصا كل الحرص على تلقين أتباعه الأفكار التي تساهم في بعث دعائم الدعوة الموحدية ومحاولة القضاء على المرابطين، أي يحاول أن يقنعهم أن الأوضاع السائدة ببلاد المغرب آنذاك الدينية والسياسية هي خاطئة وأصحاب السلطة على ضلال، وأنهم من واجبهم إتباعه من أجل القضاء على الفساد. أي ابن تومرت لم يكن يقدم لطلبته دروسا في التوحيد على أصوله كما ورد في عقيدة الشريعة الإسلامية.

وبعد أن تمت البيعة لابن تومرت ببلاد السوس في رمضان 515هـ/1121م[3]وبدأ الأتباع يتكاثرون من مختلف القبائل أدرك ابن تومرت واتباعه أن توجيههم نحو الهدف الذي رسمه لا

---

[1]- سمى المهدي بن تومرت أتباعه " الموحدين "، فقد علمهم التوحيد على طريقته باللسان البربري، أي التوحيد بين ذات الله وصفاته،كما جعل لأتباعه الموحدين في التوحيد الأعشار والأحزاب والسورة ، وقال لهم من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن، وإنما هو كافر لا تجوز إمامته، ولا تؤكل ذبيحته ، مما جعل هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن الكريم، أنظر: عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 69، وأنظر أيضا: عبد الحميد حاجيات وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص 301، وأنظر كذلك: بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 12.

[2]- CH.A.Julien :Histoire de l’Afrique du Nord,2eme édition revue et mise a jour par R.le Tourneau , Paris,1952, p 98.

[3]- لقد تضاربت آراء المؤرخين حول تحديد زمان ومكان بيعة ابن تومرت فعن تاريخ البيعة يذكر ابن صاحب الصلاة أن البيعة تمت يوم السبت 01 رمضان 516هـ/ 02 نوفمبر 1122م، أما البيذق فيتفق مع معظم المؤرخين في السنة ويجعلها سنة 515هـ ولا =يذكر الشهر واليوم، وورد عن ابن خلدون السنة والشهر، وورد عند ابن أبي زرع والزركشي اليوم والشهر والسنة وهما لا يختلفان إلا في أن ابن أبي زرع الفاسي يتأخر على الزركشي في تاريخ البيعة بيوم واحد في التاريخ الهجري والميلادي فيذكر ابن أبي زرع أن البيعة تمت يوم الجمعة 15 رمضان 515هـ/ 27 نوفمبر 1121م، ويذكر الزركشي أنها كانت يوم الجمعة 14 رمضان 515هـ/ 26 نوفمبر 1121م، وعن المكان الذي تمت به البيعة فيذكر ابن أبي زرع الفاسي أنها تمت بتينملل، وأما البيدق فنجده تارة يوافقه الرأي وتارة أخرى يذكر أنها تمت بإيجلي، ومعظم المؤرخين يتفقون على أنها تمت بإيجلي نظرا لكون هذه المنطقة- قرية إيجلي- مسقط رأس ابن تومرت، إلا أنه بالإطلاع على مختلف المصادر فإننا نجد اختلاف المصادر حول تينملل وإيجلي، ولكنها تتفق في أن البيعة تمت في بلاد

يكون إلا بالسيطرة عليهم، وهو ما يقتضي إنشاء جهاز تنظيمي يسهل مراقبة الأتباع ويحكم ارتباطهم[1]، فاهتم ابن تومرت بتنظيم مجتمعه وترتيبه ترتيبا دقيقا مما أدى إلى نشوء هيئات عديدة بجانب المهدي تمثلت في : أهل العشرة، وأهل الخمسين، وأهل السبعين، هذا وقد وضع المهدي نظاما لتحديد الأسبقية بين مختلف القبائل[2].

هذا وإن التفصيل في تنظيمات المهدي بن تومرت توضح لنا مفهوم كل هيئة فنجد أن :

أ- أهل العشرة: ويطلق عليهم أيضا أهل الجماعة: وهو مجلس يشتمل على عشرة أشخاص عينهم المهدي من خيرة أصحابه والسابقين منهم بالانضمام إليه.

ب- أهل الخمسين: وهو مجلس يشتمل على خمسين شخص يمثلون مختلف القبائل منهم ستة من هرغة، وأربعة عشر من تينملل، وثلاثة من هنتاتة، واثنان من جنفيسة [3] وأربعة من صنهاجة ، وثلاثة من هسكورة وواحد من سائر القبائل، وخمسة من الغرباء ويضاف إليهم العشرة المذكورون في المجلس الأول.

ج- أهل السبعين: وهو مجلس يشتمل على سبعين رجلا ويضم هذا المجلس عشرون فردا زيادة على الخمسين السابقين من ممثلي قبائل أخرى.[4]

ومن خلال التمعن في تنظيمات ابن تومرت يبدو لنا أنها صارمة فقد طبق فيها ما تعلمه في المشرق من معارف علمية، وروح تحليلية وقدرات تنظيمية إدارية قائمة الترتيب والانضباط،

السوس بالمغرب الأقصى وليس خارج هذه المنطقة وإذا كانت – إيجلي- مسقط رأس ابن تومرت فإن تينملل تعتبر أيضا موطنه من بلاد السوس وأهلها قومه.

[1]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفي 524هـ/ 1129م حياته وآراؤه الإجتماعية وثورته الفكرية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص116.

[2]- رشيد بورويبة: ابن تومرت ، تر: عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 ، ص91.

[3]- جنفيسة: تقع قبيلة جنفيسة جنوب جدميوة، وتعتبر الطبقة العاشرة من أصحاب المهدي، انظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 199،وللمزيد من التفصيل حول اهل العشرة واهل الخمسين انظرابن القطان :المصدر السابق ،ص 82

[4]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص 116، وهناك طبقات أخرى غير هذه الثلاث، إذ يصل عدد الطبقات إلى الطبقة الرابعة عشرة، أنظر: عبد الحميد حاجيات: تأسيس دولة الموحدين، ص 71.

ويبدو أن إنشاء المهدي بن تومرت لهيئة أهل العشرة كان تشبها بالرسول – صلى الله عليه وسلم– وتقليدا له في الصحابة العشرة المبشرين بالجنة[1].

هذا ويذكر عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب أن بعض المصادر تضيف إلى أهل العشرة أبا محمد وسنار[2]،ولابد أن اختيار المهدي بن تومرت لم يكن عشوائيا وإنما كان بعد تفكير ودراسة لشخصية كل فرد عينه من أهل العشرة [3] وإن تنظيم ابن تومرت رغم بساطته إلا أنه لبى المطالب الثلاثة الأساسية والمتمثلة في جهاز سياسي يقرر المصير وجهاز تربوي يحفظ المبادئ ويعمقها، وجهاز حربي يحمي الجماعة الناشئة أي الموحدين، ويعمل على نموها وامتدادها، وفي هذا الصدد يذكر عبد المجيد النجار نقلا عن ابن الخطيب دور كل فئة في تنظيم ابن تومرت فيقول: " أهل الجماعة للتفاوض والمشورة... وأهل الخمسين والسبعين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقي وسائر القبائل لمدافعة العدو..." [4]ويتضح من هذا أن ابن تومرت قد مزج بين النظام الشوري تقليدا للرسول – صلى الله عليه وسلم – وبين نظام مجالس الأعيان الذي كان سائدا في المنطقة الجبلية البربرية[5].

وقد أطلق ابن تومرت على أتباعه اسم الموحدين [6]،وبعد أن فرغ من تنظيم أتباعه اتجه إلى التأليف فكان أول ما ألفه كتاب "التوحيد" باللسان البربري وأراد به أن يوضح لأتباعه ما يعتقده وهو التوحيد بين ذات الله وصفاته[7]،وبعد أن استتب الأمر للمهدي بن تومرت بين قومه وبعد أن

---

[1]– أمبروسي ميراندا هويثي: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب: عبد الواحد أعمر، ط 1، منشورات الزمن، الدار البيضاء المغرب، 2004 ، ص74.

[2]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 275.

[3]– تشير بعض المصادر والمراجع إلى أنه كان ضمن جماعة أهل العشرة فقيه من إفريقية ولا يذكرون اسمه ثم يضيفون إلى أنه تمت تصفيته بعد رفضه لعصمة المهدي بن تومرت، وانطلاقا من هذا فإنه يمكن أن نقول أن صاحب المعجب يذكر أبا محمد وسنار ليس كشخص إيضافي لأهل العشرة وإنما أخذ مكان الفرد الذي تمت تصفيته أي أن عددهم كان عشرة وليس أكثر فبتصفية شخص وإضافة آخر نحافظ على العدد عشرة كما أنه لا يمكن لابن تومرت أن يفوق العدد عشرة خاصة وأنه كما سبق أن ذكرنا يتشبه بالرسول – صلى الله عليه وسلم–، أنظر: أمبروسيو ميراندا هويثي: المرجع السابق، ص 94.

[4]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص117-118.

[5]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق ، ص 118.

[6]– ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 113.

[7]– تكون الكتاب من سبعة أحزاب أمر أتباعه بقراءة حزب واحد كل يوم إثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حزب القرآن واحتوى الكتاب على معرفة الله تعالى وسائر العقائد كالعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان بما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز وما

كانوا يلقبونه بالإمام صاروا بعد المبايعة يلقبونه بالمهدي حسب ما ذكره ابن خلدون حيث يقول: " ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام" [1] اتجه بنظره إلى محاولة القضاء على المرابطين.

ويذكر ابن خلدون أنه لم يكن منبت الرئاسة في هرثمة قومه وإنما ترأس عليهم بعد أن اشتهر بالعلم والدين، ودخول قبائل المصامدة في دعوته[2] وأن أول ما فكر فيه ابن تومرت من اجل القضاء على المرابطين هو محاولة كسب المزيد من الأنصار وجمع القبائل تحت طاعته، مما جعل أمير المرابطين يعزم على محاربته وقتله، فبعث جيشا تحت إمرة ولده الأمير أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين عامل السوس، لكنهم انهزموا أمام كثرة جيوش الموحدين ويعد هذا أول لقاء حربي وقع بين الموحدين والمرابطين سنة 516هـ[3]، وتذكر المصادر أن المهدي بن تومرت لم يشارك في هذا اللقاء وقد دامت الحرب ثمانية أيام وحاصر الموحدون مراكش أياما لكنهم لم يدخلوها وعادوا إلى تينملل وعند عودتهم استقبلهم المهدي مرحبا بهم وواعدا لهم بالمزيد من النصر مستقبلا[4].

هذا وقد حدثت عدة معارك أخرى بين الطرفين من أهمها موقعة قرب بلدة تارودانت [5] وتعد عند البيذق أول معركة شارك فيها المهدي بن تومرت ويسمي البيذق حروب المهدي وأتباعه بالغزوات[6]، هذا ويضيف البيذق أنه من أهم معارك الموحدين التي شارك فيها ابن تومرت موقعة

يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله أيضا مؤلفات أخرى باللسان العربي والبربري منها: كتاب" القواعد" وكتاب "الإمامة" ،أنظر: الحلل الموشية، ص109-110.

[1]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص228.

[2]- ابن خلدون: المقدمة ، دار صادر، بيروت، 1968، ص147.

[3]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 572.

[4]- خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء، ج1، ص239.

[5]- تارودانت: وردت عند البيذق باسم – تاودزت- وهي بلدة بالمغرب الأقصى(السوس)، هي مدينة بناها المرابطون بالجنوب، تنسب إلى قبيلة كانت تسكنها بادئ الأمر تسمى **تاودا**، أنظر: البيذق: المصدر السابق، ص 35، وأنظر أيضا: الإدريسي، المصدر السابق،مج1، ص 228، وأنظر كذلك: عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 76 ، دييكودي طوريس :تاريخ الشرفاء ،تر :محمد حجي ،محمد الاخضر ،المرداش للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،المغرب ،1989،ص 166.

[6]- حسب ما ورد عند البيذق أن ابن تومرت في غزوته التاسعة أطلق على المرابطين لقب المجسمين وذلك عندما أخبروه أتباعه أنهم لقبوهم بالخوارج فقال لهم لقبوهم انتم أيضا وقولوا لهم: أنتم " المجسمون" ، أنظر: البيذق: المصدر السابق، ص 35-38.

أنسا[1] والتي كاد أن يهزم فيها الموحدون نتيجة انشغالهم بابن تومرت الذي سقط جريحا في ساحة المعركة، ولكن حسب ما يروي البيذق أنهم سرعان ما تداركوا أمرهم وحققوا النصر[2].

هذا ولم تقتصر محاربة ابن تومرت للمرابطين بل تعدتها إلى القبائل المجاورة والتي تخلفت عن بيعته، فبعد إقامته حوالي ثلاث سنوات بإيجلي غادرها هو وأتباعه قاصدا تينملل راجيا من وراء ذلك الابتعاد عن زعماء قبيلته واتقاء محاولة تدخلهم في شؤون دعوته الناشئة، وكذلك من أجل تصفية المعارضين له حيث اتفق مع البشير الونشريسي للقيام بعملية التمييز التي تمت سنة 519هـ/ 1125م[3]. وقد كانت هذه العملية عبارة عن نوع من التطهير والتي تهدف إلى تنقية الأتباع والأنصار من العناصر المنافقة في نظر ابن تومرت[4].

ولما قويت شوكة ابن تومرت ظن أنه يستطيع الاستيلاء على العاصمة مراكش فقرر السير نحوها ومحاربتها سنة 524هـ/1130م[5] فجهز لذلك جيشا قوامه 40 ألفا أكثرهم رجاله وجعل على رأسهم محمد البشير الونشريسي، ومن أهم الوقائع التي دارت بين الطرفين طيلة فترة الحصار معركتين هامتين أولهما: الموقعة التي خرج فيها أمير المسلمين علي بن يوسف لفك الحصار عن العاصمة ولكنه فشل بعد فرار عدد من جنده [6]، وأما الموقعة الثانية فهي الموقعة الشهيرة في تاريخ الموحدين والمعروفة باسم موقعة" البحيرة" [7] والتي كانت بتاريخ 02 جمادى الأولى 524هـ/

[1]- أنسا: وردت عند البيذق – أنسا آن يما ديدن – وهي الغزوة الخامسة، أنظر: نفس المصدر ،ص 37.

[2]- نفسه،نفس الصفحة.

[3]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 373.

[4]- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الموحدون، مصامدة السوس، الجباليون، ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500هـ-558هـ/1100م-1123م) منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000، ص 141-145.

[5]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 184-185.

[6]- محمد علي الصلابي: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2003، ص 87.

[7]- البحيرة: بستان كبير المساحة يسمى البحيرة وقد أسند إليه الموحدون ظهورهم وساروا يقاتلون من جهة واحدة، ويعرف المكان أيضا ببحيرة الرقائق بسبيط كان أمام باب الدباغين وبابا إيلان من مراكش حيث حدائق أكدال، أنظر: البيذق: المصدر السابق ، ص 40
Erest Mercier ;L'Afrique Septentrionale ,T1,Ernest Leroux, Editeur,Paris,1888, p72 .

1130م[1]،وتعتبر هذه المعركة الغزوة التي لم يشارك بها المهدي بن تومرت وقد قاد المعركة القائد الموحدي "محمد البشير الونشريسي" وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة الموحدين هزيمة نكراء، حيث قتل قائد المعركة " البشير الونشريسي" وخلفه في القيادة عبد المؤمن بن علي وخسر الموحدون في هذه المعركة أكثر من ثلاثة أشخاص من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة؛ حيث يصرح البيذق عن هذه الهزيمة بتحفظ في قوله: " وهزمونا بالعشي ونجا الموحدون، ومات من مات وافترق الجيش"[2].

هذا ويقال عندما وصل الخبر للمهدي بن تومرت سأل:أليس قد نجا عبد المؤمن؟ قالوا: نعم، قال: " كأنه لم يمت أحد البركة في بقائه"[3].

وانطلاقا من هذا فإنه يتضح أن ابن تومرت كان يفضل عبد المؤمن على بقية أصحابه، ويرى أن نجاته نصرا للموحدين ولو انهزموا ولو أنهم انتصروا وفقدوا عبد المؤمن لعدها ابن تومرت خسارة وهزيمة للموحدين مما يدل على أنه كان يربط مصير الدعوة الموحدية وشأن استمرارها بحياة عبد المؤمن بن علي؛ ورغم أن الهزيمة أثرت في نفس ابن تومرت على حد تعبير عبد الواحد المراكشي ،إلا أنه أخذ يهوّن أمرها على أصحابه ويقنعهم بفكرة أن قتلاهم شهداء وأنهم مدافعون عن دين الله[4].

إثر هذه الهزيمة التي ألحقها المرابطون بالموحدين مرض ابن تومرت مرضا شديد ا أدى إلى وفاته، وتتفق معظم المصادر والمراجع في أن المدة التي تفصل بين معركة البحيرة ووفاة المهدي ابن تومرت هي ثلاثة أشهر إلا أنها تختلف في تاريخ وفاته؛ حيث يذكر صاحب الحلل الموشية والزركشي أن وفاة ابن تومرت كان يوم 13 أو 14 رمضان، وأما صاحب روض القرطاس فيؤكد أن تاريخ الوفاة كان يوم 13 رمضان ويوافقه في ذلك ابن صاحب الصلاة أما البيذق فيجعلها يوم

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، قسم 1،ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992، ص 189.

[2]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص79.

[3]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص94.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 144.

24 رمضان، ومن ثم يمكن القول أن المصادر اختلفت في اليوم واتفقت في الشهر والسنة؛ فمعظم المصادر تجمع أن وفاة المهدي كانت في شهر رمضان 524هـ/أوت 1130م[1].

هذا ويقال أن المهدي خاطب الموحدين قائلا حين أحس بدنو أجله قائلا: " أعرفوني وحققوني أنا مسافر عنكم سفرا بعيدا" ويذكر أنه خطب فيهم خطابا مطولا دام من العصر إلى هبوط الظلام وأنهى بتذكيرهم بضرورة أداء الصلاة في وقتها ثم انسحب[2].

إلا أن المهدي في حقيقة الأمر قد توفي وفاة عادية دون إلقاء خطبة أو ما شابه ذلك ولكن بعض المصادر وخاصة من كان من ضمن البلاط الموحدي والمقربين للمهدي بن تومرت مثل البيذق وابن صاحب الصلاة وغيرهم ينسبون إليه بعض الخطب ويجعلون وفاته وفاة غير عادية؛ ويذكرون أحداثا غريبة يقولون أنها حدثت له قبيل وفاته بوقت قصير وذلك تشبيها له بالرسول - صلى الله عليه وسلم- ، حيث أنّ المهدي بن تومرت كان يتشبه بالرسول - صلى الله عليه وسلم- في كل صغيرة وكبيرة لكسب ثقة أتباعه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولة منهم لإثبات عصمته وأنه فعلا المهدي الذي يخرج آخر الزمان؛ وهذا ما ذكره المهدي بن تومرت في خطبة مبايعته، ويبدو أن الأحداث الغريبة التي تنسب للمهدي بن تومرت قبيل وفاته هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة والمنطق ، ومن ثمّ فلا أساس لها من الحقيقة التي يتقبلها العقل، وبالتالي نرجّح أن وفاة المهدي بن تومرت كانت وفاة عادية.

وإن وفاة المهدي بن تومرت لا تعني نهاية الدعوة الموحدية، بل استمرت الدعوة واستمر الموحدون في حروبهم ضد المرابطين بقيادة عبد المؤمن بن علي، حيث تم على يده تأسيس الدولة الموحدية، كما سيرد في المبحث اللاحق .

ب-3- دراسة مقارنة:

- جاءت الدعوتان كلتاهما على يد رجل دين يدعو إلى قيم وتعاليم دينية إسلامية[1].

---

[1]- الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي :الاعلام بوفيات الاعلام ،تح :مصطفى بن علي بن عوض ،ربيع ابو بكر عبد الباقي ، مج1،ط1،مؤسسة الكتاب الثقافية ،بيروت ،لبنان ،1993،ص 348 ، أمبرسيو ميرندا هويثي: المرجع السابق،ص 83 .

[2]- نفسه، ص 82.

- الرجلان الداعيان استمدا جزءا كبيرا من علومهما من الأندلس وبلاد المغرب، حيث أن عبد الله بن ياسين زار الأندلس ومكث بها وتعلم علوما شتى ودرس بالمغرب [2] ، وابن تومرت هو الآخر دخل قرطبة وبها درس ملفات ابن حزم الظاهري [3]، كما أنه درس بالمغرب قبل ذلك في مراكش[4].

- يتضح أيضا من خلال تصفح المصادر أن المشرق الإسلامي مقترن بنشأة الدعوتين كلتاهما، ذلك أن النواة الأولى لنشأة الدعوة المرابطية جاءت عن طريق حج يحي بن إبراهيم واتصاله بأبي عمران الفاسي [5]، والدعوة الموحدية نشأت في طريق عودة المهدي بن تومرت من رحلته العلمية بالمشرق[6]، بحيث تذكر بعض المصادر أنه في طريق عودته إلى بلاده من بلاد المشرق مر بمكة وفيها بدأ دعوته[7].

- لجأ رجلا الدين كلاهما في نشر دعوتيهما إلى العنصر الجبلي البربري، حيث أن عبد الله بن ياسين توجه لنشر دعوته في مواطن القبائل الصنهاجية بطلب من أميرها [8]، أما المهدي بن تومرت فقد جاء اعتماده على العنصر البربري الجبلي كملجأ منيع لحماية دعوته وأتباعه ويتجلى ذلك في خروجه من مراكش وتوجهه إلى تينملل[9].

[1]- عبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت. أنظر: تاريخ المغرب، تحسين وتركيب، ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط ،المغرب ،2011،ص 164.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13.

[3]- ابن حزم الظاهري: هو ابو محمد بن سعيد بن حزم الاندلسي المتوفى سنة 457هـ الموافق ل 1063م انظر: ابن حزم الاندلسي : جمهرة انساب العرب ،تح:ليفي بروفنسال، دار المعارف،مصر 1948،ص9

[4]عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 179. الزركشي: المصدر السابق، ص 04. عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 43.

[5]- بعض المصادر توضح حج يحي بن إبراهيم بعد وفاة أبي عمران الفاسي وإنما يحي بن إبراهيم التقى بشبكة الفقهاء المالكين التي عم اشعاعها انطلاقا من القيروان حسبما يتبين فربطت بين القواعد الأندلسية ومدن بالمغرب كفاس وأغمات، وسجلماسة وسبتة، وتم إختيار يحي ابن إبراهيم الجدالي من فقهاء القيروان للقيام بمهمة نشر المذهب المالكي خاصة في المحور الرابط ما بين سجلماسة وأودغست. أنظر:محمد القبلي وآخرون: تاريخ المغرب- تحيين وتركيب- ، ص 165.

[6]- تذكر بعض المصادر أن ابن تومرت تنقل في المشرق بين بغداد ومكة والقاهرة حيث نهل علما غزيرا خاصة في العلوم العقلية واللسانية. أنظر: الزركشي: المصدر السابق، ص 4. ابن خلكان: ج 5، ص 46. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 10، ص 570.

[7]- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 4، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت،(د.ت)، ص 70.

[8]- محمد القبلي وآخرون :المرجع السابق، ص 163.

[9]- نفسه، ص 166.

من خلال تتبع مسيرة الدعوتين نلاحظ أنه كلتاهما تعكسان نوعا من التأثر بمسيرة الدعوة عند الرسول- صلى الله عليه وسلم- وذلك من خلال تكوين كل واحد منهما جماعة محدودة من الأتباع، ثم الابتعاد بهم عن عامة الناس[1]، حيث رحل ابن ياسين بمعية يحي بن إبراهيم وأتباعه إلى الجزيرة قرب مصب نهر السنغال[2]، وانزوى ابن تومرت بأتباعه في تينملل[3].

– ونلمس أيضا نقطة توافق أخرى بين الدعوتين وهو أنه كلاهما اعتمدا في إنجاح دعوتيهما على الربط[4]، بحيث أن عبد الله بن ياسين ابتنى لنفسه وأتباعه رباطا بحوض السنغال كما كما سبق أن أشرنا، ولم تكن فكرة اتخاذ رباط جديدة عند عبد الله بن ياسين أو عند سكان بلاد المغرب[5]، وبالنسبة لرباط المهدي بن تومرت فإن رباط ملالة [6] يعتبر كنقطة إنطلاق لإنجاح دعوته قبل اتخاذه رباط سوس[7].

– يظهر كل من عبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت بمظهر المصلح الديني على ما يقع من مخالفات للدين، غير أن الإختلاف الذي نسجله في هذه النقطة يظهر جليا من أن عبد الله

---

[1]- وجه الشبه في هذه الحالة لقاء الرسول- صلى الله عليه وسلم- بأصحابه في بداية الدعوة في دار الأرقم بن الأرقم. أنظر: محمد علي الصلابي :الخليفة الاول ابوبكر الصديق –شخصيته وعصره-،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،2009،ص32.

[2]- محمد القبلي واخرون :المرجع السابق، ص 163.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 177.

[4]- الربط: هو جمع لكلمة رباط وتجمع أيضا على نحو رابطة وأربطة ورباطات، وقد أخذه المسلمون من قوله تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ سورة آل عمران آية 200، وبعد أن فتح المسلمون الشام تحولت المدن الثغرية إلى رباط للصحابة- رضوان الله عليهم- وللمجاهدين في سبيل الله وللزهاد والعباد المنقطعين إلى الله تعالى، ومعناه أيضا: الإقامة على جهاد العدو بالحرب وبرباط الخيل وإعدادها أي الحصن أو المكان الذي يرابط فيه الجند، وأصل الرباط أن يربط الفريقان في ثغر كل منها معه لصاحبه ثم سمي المقام في الثغور رباطا، والمرابط هو الزاهد والعابد الذي ينزه نفسه عن الدنيا وأقام ورابط بالثغور لحماية الديار الإسلامية من هجمات الأعداء، وللربط وظيفة دينية وعلمية وحربية. أنظر: محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986- 1987، ص 34- 35. ومعنة الرباط الملازمة ورابطت لازمت وهي من الملازمة والمواظبة . أنظر: ابن منظور :لسان العرب ،ج5،ص 1561

[5]- يذكر ابن حوقل أنه ببلاد المغرب في حدود 340هـ/ 951م عدة أربطة منها رباط سلا الذي كان يضم أزيد من مائة ألف شخص، وحتى بسجلماسة تواجدت أيضا أربطة. أنظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص 82- 83. هذا وقد كان عبد الله بن ياسين ينتمي لدار المرابطين التي أسسها وجاج بن زللو اللمطي بالسوس. أنظر: محمد القبلي وآخرون:المرجع السابق، ص 163.

[6]- في ملالة قبيلة بني وركايل الصنهاجية تمسكت به وهيأت له فرصة للتعليم بينهم ورفضوا تسليمه إلى السلطان الحمادي. أنظر: محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 194 ،الحسين اسكان :تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (ق 1-9هـ /ق7-15م)،المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ،الرباط ،المغرب ،2004،ص 158-160.

[7]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 177.

بن ياسين جاء مصلحا لأوضاع قبائل صنهاجة وسلوكاتهم اللاحضارية وإنحرافهم عن تعاليم الدين الإسلامي[1]، بينما المهدي بن تومرت جاء ثائرا ملقيا المسؤولية فيما ينتقده على الدولة القائمة[2].

هذا ونسجل نقطة إختلاف أخرى بين صاحبي الدعوة تتمثل في أن عبد الله بن ياسين تم انتدابه واختياره للقيام بأمر الدعوة المرابطية، ونلمس هذا من خلال وقوف يحي بن إبراهيم بالقيروان عند أبي عمران الفاسي يلتمس منه تعيين رجل يقوم بتفقيه قومه في مذهب أهل السنة [3]، السنة[3]، بينما ابن تومرت فلم ينتدبه أحد وإنما بدأ الدعوة من نفسه فيعبر عن ذلك ابن العماد الحنبلي بقوله:«... بدأ أولا الإنكار بمكة فأذوه فقدم مصر...» [4]، ويؤكد هذا البيذق حينما يذكر يذكر أنه كان لابن تومرت من أهل مصر واحد وخمسون من الأتباع[5].

– قام عبد الله بن ياسين بدور محتسب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو نفس الدور الذي قام المهدي بن تومرت به كمحتسب حر[6]، إلا أن نقطة الإختلاف التي تسجل بين الطرفين الطرفين أن عبد الله بن ياسين قام به على مستوى قبلي، أما ابن تومرت فقد قام به على مستوى أوسع ابتداءا من بلاد المشرق وواصل دوره ببلاد المغرب[7].

– هذا ونلمس أيضا بعض نقاط التوافق والإختلاف فيما حملته الدعوتين من صبغات فيتبين لنا من خلال دراسة الدعوتين أن كلا الدعوتين تحمل ضمن مبادئها صبغة سياسية تؤهل متبعيها للقيام بحركة سياسية كبيرة بحيث أن ابن ياسين فكر في إقامة دولة لصنهاجة[8]، وابن تومرت

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 15.

[2]- نفسه، ص 71- 72.

[3]- محمد القبلي واخرون: المرجع السابق، ص 163. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 183.

[4]- ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 4، ص 70.

[5]- البيذق: المصدر السابق، ص 32.

[6]- البكري: المصدر السابق، ص 165. محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 194.

[7]- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186. البيدق: المصدر السابق، ص 32. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 46.

[8]- عند عودة عبد الله بن ياسين من رحلة طلب العلم بالأندلس مر في طريقه بريف تامسنا ورأى كيف أن جموع الصنهاجيين تخضع للزناتيين، وقد رأى أن عدد جنود الزناتيين هناك لا يزيد على ثلاثة آلاف وأدرك أنه من الممكن التغلب عليهم وإقامة دولة لصنهاجةهناك، وبعد ذلك بسنوات توجه إلى منازل لمتونة للقيام بدعوته حيث أحس أن فرصته جاءت ليحقق ما كان يجول في ذهنه. أنظر: عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13.

تومرت أعلن عن تطلعه إلى التدخل في الشؤون السياسية للبلاد بتدريسه لأتباعه دروس منظمة يبعث من خلالها موقفه من دولة المرابطين ويرسخه في نفوسهم بحيث تمكن من إنشاء حاجز نفسي قوي بين تلاميذه وسياسة حكام المرابطين مما شجعه على إرسال جماعة من تلاميذه إلى القبائل القريبة من بلاد السوس ودعوتهم إلى الخروج على طاعة المرابطين، وكان هذا في أوساط المرغيين وقبل مبايعته بالمهدوية[1].

– وتتوافق أيضا الدعوتان في اتسامهما بصبغة عسكرية وتظهر في الدعوة المرابطية من خلال محاولة عبد الله بن ياسين أمر أتباعه بالخروج من الرباط وإرسالهم للقضاء على الزناتيين الذين كانوا يسيطرون على المغرب الأقصى بقيادة لمتونة سنة 445هـ/ 1053م و دعوة باقي القبائل للدخول في الدعوة المرابطية وذلك عن طريق قيادته الروحية لهم وتحديده وجهاتهم نحو قبائل المغرب وترتيبه للمعارك[2].

– وتظهر الصبغة العسكرية في الدعوة الموحدية في إختيار تينملل مقرا لدعوته بعدما نعرف ما تتميز به تينملل من حصانة ومناعة هذه القرية مقارنة بقرى أخرى لبلاد السوس[3].

– وأما الملامح الدينية التي تتوافق فيها الشخصيتين تظهر من خلال اتسام الدعوتين بالصبغة الدينية الإسلامية، وظهور كل من عبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت بمظهر المصلح الديني[4].

– ومن نقاط التوافق التي تسجل بين صاحبي الدعوة خلال محطات دعوتيهما أنهما لم يتطلعا إلى الحكم والرياسة، بحيث أن عبد الله بن ياسين قام بعمله محتميا بجاه يحي بن إبراهيم[5]

[1]– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 176– 177. محمد القبلي واخرون :المرجع السابق، ص 165.

[2]– حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 285.

[3]– هي قرية تقع في رأس جبل درن ولا يمكن الوصول إليها إلا من طريق واحد لا يتسع لغير فارس واحد، وهي في غاية الحصانة حيث يسد خللها أقل عصبة من الناس. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص 69.

[4]– عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 70– 71. حسن مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 184.

[5]– نجد أن حسين مؤنس يجعل يحي بن إبراهيم ويحي بن عمر شخصا واحدا في قوله:«... تحدث يحي بن عمر إلى أبي عمران الفاسي في إرسال أحد تلاميذه معه...» يسميهيحي بن عمر ابن إبراهيم وجعله هو الذي خرج إلى الحج. أنظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 181- 183.

الجدالي أمير لمتونة ومن انضم إليها من قبائل المرابطين، وعندما مات يحي بن عمر خلفه في الرياسة أخوه أبو بكر بن عمر منحه عبد الله بن ياسين التأييد ولم يتخط حدوده ويتطلع إلى الحكم والرياسة، وأعطى الأمير حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة إلا أنه كان يفرض رأيه خاصة في خط سير الدعوة وهذا من امتيازات رجال الدين التي مارسها ابن ياسين خلال فترة دعوته بذكاء[1].

– ونفس الموقف نجده عند المهدي بن تومرت حيث أنه وضع كل ما حصله من العلم في خدمة غايات سياسية، إلا أنه لم يتطلع إلى لقب الخليفة والسلطان أو الأمير بدل أنه ادعى أنه الإمام ثم ادعى المهدوية ثم ادعى أنه معصوم [2] وذلك لكسب ثقة أتباعه، إلا أنه لم يتطلع إلى الحكم أو الرئاسة رغم ما تحمله المهدوية[3] من معاني الحاكم القوي[4] في فكر المهدوية[5].

– وما نسجله أيضا من توافق بين الداعيتين أن كلاهما ضمن الحماية لدعوته، فعبد الله بن ياسين كما سبق أن ذكرنا ضمن حماية دعوته على يد أمراء قبائل صنهاجة من لمتونة [6]، وأما المهدي ابن تومرت فقد احتمى بقبائل مصمودة التي لا يحصى عدد أفرادها حسب ابن خلدون[7].

إلا أن ابن خلدون يجعلهما شخصين وهذا في قوله:«... ثم هلك يحي بن إبراهيم... و ترسك معه يحي بن عمر بن تلاكاكين من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر...»، يتفق معه ابن أبي زرع الفاسي في قوله:«... توفي يحي بن إبراهيم الجدالي... فجمع عبد الله بن ياسين رؤساء القبائل من صنهاجة فقدم عليهم يحي بن عمر اللمتوني...». أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 243. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 81- 82.

[1]– حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186.

[2]– أشهر المصادر الموحدية تلقبه بالمعصوم منها البيدق: أخبار المهدي ابن تومرت، ابن القطان: نظم الجمان، حيث أورد عنوانا بصيغة: عصمته– رضي الله عنه– أنظر: ابن القطان :المصدر السابق ،ص91.

[3]– حسب ابن خلدون أنه لقب بالإمام قبل مبايعته بالمهدوية فيذكر ويقول:«ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 228.

[4]– تعتبر المهدوية في تاريخ الفكر السياسي الديني الإسلامي التطلع إلى العثور على حاكم قوي عادل يزيل المفاسد والمظالم ويقيم دولة العدل والدين والإيمان والمساواة، وهو الذي يملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا وهذا هو معنى مصطلح المهدي. أنظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 204- 205.

[5]– نفسه، نفس الصفحة.

[6]– نفسه، ص 186.

[7]– عبر عن ذلك ابن خلدون في قوله : لا يحصيهم إلا خالقهم. انظر ابن خلدون: العبر، ج 6، ص ،24، 289، ا.

– كلاهما جمع في شخصيته العديد من التناقضات، فقد توافقا في حماسهما الديني شديد خلال دعوتيهما، والعزوف عن السلطان والجاه، وإيمان دقيق بأهداف دعوتيهما، إلا أن شخصية عبد الله بن ياسين كانت واضحة الأهداف والغايات في دعوته أكثر من المهدي بن تومرت الذي تميز بالغموض والتعقيد اللذين نلمسهما في كتاباته، بينما عبد الله بن ياسين فلم يترك لنا حسب ما بين أيدينا من المصادر آثارا كتابية كان يسير بها دعوته [1]، وقد كان الداعيتين زاهدين في الدنيا فقد توفيا فقيرين رغم الجاه الروحي الذي تمتعا به، وكانا كلاهما يميلان إلى التصوف [2] إلا أن تصوف ابن ياسين كان معتدلا بينما تصوف ابن تومرت كان متطرفا غامضا يميل إلى تكلف الكهنة وأهل السحر[3].

– هذا وقد ذكرت لنا المصادر أنهما اختلفا في درجة العلم، ذلك أن كل المصادر والدراسات تتوافق في أن عبد الله بن ياسين لم يكن واسع العلم حتى في شؤون الدين والفقه فقد أحصى المؤرخون عليه العديد من الأخطاء الفقهية والأحكام المخالفة للشرع[4].

بينما المهدي بن تومرت فقد كان واسع الإطلاع في علوم شتى ويتوضح هذا من خلال ما تركه من آثار كتابية تجمع العديد من العلوم والأفكار[5].

– هذا ورغم توافقهما في العزوف عن السلطان حتى في أهليهما بحيث أن عبد الله بن ياسين لم يطالب بالإمارة أو السلطان لأهله وبني بيته أو خلافته حتى في الدعوة [6]، وهذا ما فعله المهدي بن تومرت حيث أنه لم يطالب بالخلافة والسلطان لأهله أو إخوته أو حتى إنحاز في ذلك إلى المصامدة بل كما سنرى سيتركها لشخص من غير أصول المصامدة، وأما عبد الله بن ياسين فيتبنى المرابطون بعده للدعوة شيخا آخر يدعى سليمان بن عدوا وقد ذكره ابن خلدون وبعض

---

[1]– عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 71. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186.

[2]– التصوف: هو علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن ملذات الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. أنظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 490.

[3]– عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 70– 71. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186.

[4]– حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186.

[5]– عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 70.

[6]– حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186– 187.

المؤرخون[1]، وقد كان لعبد الله بن ياسين أسرته الخاصة وكان متزوجا أكثر من واحدة حسب ما ورد عنه في المصادر التي بين أيدينا، وأنه كان يميل ميلا شديدا للنساء بخلاف ابن تومرت الذي عزف عن الزواج ولم ينجب أبناءا[2].

هذا من حيث الشكل أما من حيث الموضوع فيمكن أن نوجز دراسة المقارنة من خلال نقطتين هما المرجعية وعوامل نجاح كل دعوة.

1- المرجعية[3]:

حتى يمكننا دراسة نقاط التوافق والإختلاف في مرجعية الدعوتين لابد لنا أن ننطلق من المبادئ العامة لكل دعوة وننتقل الى المبادئ الخاصة أو الجزئية:

فالمبادئ العامة للدعوتين الموحدية والمرابطية توضح لنا أن الدعوتين تنطلق .ان م.ن مرجعية دينية إسلامية ونلمس هذا من خلال اهتمام الدعوتين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [4]، كما توظفان أيضا المرجعية النبوية بالإعتماد على الكتاب والسنة، فقد جاءت الدعوتان تحملان تعاليم الشريعة الإسلامية بما نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بحيث تذكر المصادر أن عبد

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 244. ذكره سلمان باسم ابن حروا أو بن عدو توفي في نفس السنة ولم ينتدبوا فقيها آخر.

[2]- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186- 187. عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 71.

[3]- المرجعية: لغة: مشتقة من الفعل رجع ومنها قوله تعالى:﴿ وإِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ سورةالمائدة آية48 أي رجوعكم، وقوله:﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ سورةالعلق آية 8 أي الرجوع والمرجع وتعني العودة إلى الشيء أو الإقبال على ما سبق من أمر، والمرجع الرجوع إلى الموضع الذي كان فيه وتعني المحاورة والمعاودة والجواب مثل أرجع إليه كلاما أي حاوره. أما اصطلاحا: هي مصطلح حديث فهو لا يوجد في كتب اللغة القديمة لكنه صار في الفترة الحديثة والمعاصرة يستعمل بكثرة، ومن ناحية الشرع فهو ضمن قاعدة المصطلحات المحدثة التي بها يقاس صلاح المصطلح أو فساده، وبراد بها في المفهوم الصالح شرعا" الإطار الكلي والأساس المنهجي والركيزة الجوهرية في أي خطاب أو ملة أو مذهب أو دستور أو نظام وهي في حد ذاتها تتشكل من المصادر والمستندات والأدلة التي يعتمد عليها لتكوين أي نوع من أنواع المعرفة وهذا هو المعنى المقصود في بحثنا. أنظر: سعيد بن ناصر الغامدي: المرجعية- معناها وأهميتها وأقسامها-، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع 50، رجب 1431/ 2011، ص 374- 377.

[4]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 224.

الله بن ياسين أنكر على قبائل جدالة ما يتنافى في حياتهم اليومية مع الشريعة الإسلامية، فأنكر عليهم كما سبق أن أشرنا في تزوجهم ما شاؤوا من النساء وعدم إمتثالهم إلى الفرائض كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة[1].

وقد جاء ابن تومرت يدعو لنفس التعاليم من خلال التصرفات التي كان يقوم بها من تكسير لقنينات الخمر وآلات الطرب [2]، كما أن الداعيتين كلاهما كان حافظا للقرآن الكريم وأحاديث النبي– صلى الله عليه وسلم–[3] ولو أن توظيفهما إختلف عند كل منهما.

هذا وتحمل الدعوتان في طياتهما مرجعية من السيرة النبوية ونلمس هذا في محاولة كل واحد منهما أن يلزم أتباعه بمبادئ دعوته حين دنو أجله عن طريق إلقاء خطبة مطولة يذكرهم فيها بمبادئ الدعوة وأهدافها ويحفزهم على نشرها ويؤكد لهم أنهم على حق حسب المصادر التي بين ايدينا[4] وهذا تشبه بالرسول– صلى الله عليه وسلم– في خطبة حجة الوداع، ومن خلال ما ذكرناه يمكن أن نقول أن الدعوتين تتفقان في المرجعية العامة.

ونجد الدعوتين تختلفان في المرجعية من حيث الجزئيات ذلك أن الدعوة المرابطية انطلقت من الكتاب والسنة بالإعتماد على مذهب واحد وهو المذهب المالكي كما سبق أن أشرنا ولم تخلط بينه وبين مذاهب فرق إسلامية أخرى وما يؤكد هذا هو أن بوادر الدعوة المرابطية بدأت على يد فقيه مالكي وهو أبو عمران الفاسي الذي كان متشبعا وملما بأحكام المذهب المالكي

[1]– عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13.

[2]– ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 226.

[3]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 179. الزركشي :المصدر السابق ،ص4

[4]– فقد جاء في الخطبتين ما يؤكد على أن يبقى الأتباع ملتزمين بمبادئ الدعوة حيث جاء في خطبة ابن ياسين:"... إني ميت في يومي هذا لا محالة فإياكم أن تجبنوا فتفشلوا فتذهب ريحكم، وكونوا ألفة وأعوانا على الحق، وإخوانا في ذات الله تعالى، وإياكم والمخالفة...". وجاء في خطبة المهدي بن تومرت ما يلي:"... إعرفوني وحققوني أنا مسافر عنكم سفرا بعيدا..."، ثم يذكر البيدق أن المهدي عندما حضرته الوفاة قال لأشياخ الموحدين إسألوني عما بدا لكم من أمر دينكم ودنياكم فأنا غدا إنشاء الله أجتمع مع ربي، ثم يضيف وينقل لنا بعض الأسئلة والأجوبة ثم أورد لنا البيدق بعض مما قاله المهدي:"... قالوا له في أي وقت تأمرنا بالحركة؟ فقال لهم لا تبردوا صيفة ولا شتوة، وكفا بما في الشرائع من الحزم والعزم وأنا أقول لكم كما قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:" لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ألا قد بلغت؟ ألا قد بلغت؟ ألا قد بلغت؟". أنظر: البي ذق: المصدر السابق، ص 42–43. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 115– 116.

ومؤمنا بها إلى حد بعيد نظرا لمعاصرة طبقة مهمة من علماء المالكية بالمغرب مثل عثمان بن مالك[1] والذي يرجح أن أبا عمران قد تتلمذ على يده[2].

كما أن كل من تتلمذ على يد أبي عمران الفاسي من أشهر فقهاء بلاد المغرب كان على مرجعية مالكية مثل وجاج بن يزللو اللمطي ثم عبد الله بن ياسين ثم الأخوان الجزوليان المشاركان في الحركة المرابطية أبو القاسم وسليمان ابنا عدوا[3] وأيوب بن مجد المصمودي فقيه المصامدة والذي أخذ هو الآخر عن أبي عمران الفاسي لكن ليس في المغرب وإنما بالقيروان [4]، ولمتاد بن نفس اللمتوني والذي يذكر أنه تتلمذ على يد أبي عمران ثم على يد وجاج وكان له فتاوى في الحركة المرابطية وشارك فيها[5].

وما يؤكد أن الدعوة المرابطية لم تخرج عن نطاق المرجعية المالكية هو إدعاء بعض المصادر والدراسات أن الدعوة المرابطية جاءت بمبادرة من أبي عمران الفاسي وهو بالقيروان بعد أن كان شاهدا على ما يقع من مظالم وبدع في بلاده قبل أن يخرج منها على حد تعبير صاحب بيوتات فاس عن سبب خروج أبي عمران الفاسي من بلاده بسبب معارضته للبدع والمظالم التي كان عليها أهل المغرب[6].

ثم يذكر لنا صاحب بيوتات فاس أن أبي عمران الفاسي المتشبع بالمذهب المالكي قد إختار الكدالي للقيام بهذه الحركة المرابطية المالكية حيث يقول:«... إن الفقيه الفاسي قد ندب الزعيم الصنهاجي إلى قتال برغواطة ببلاد السوس، وقتال زناتة على ما صدر منهم من الظلم واستنزال رؤسائهم من الولاية»[7]. ويوافق صاحب بيوتات فاس في هذا البكري حيث يذكر لنا أن أسئلة أبي عمران الفاسي ليحي بن إبراهيم حول سيرته وما ينحله قومه من المذاهب ليس إلا

---

[1]- عثمان بن مالك: هو زعيم فقهاء المغرب أثناء تواجد أبي عمران بالمغرب وقد أخذ عنه جملة من فقهاء مدينة فاس، والأرجح أنه توفي سنة 444هـ. أنظر: عياض السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تح: أحمد بكير محمود، ج 4، دار الفكر، بيروت، 1967، ص 779.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- عياض السبتي :المدارك ،ج4، ص 780.

[4]- عبد الحميد سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي، ص 139.

[5]- عياض السبتي: المدارك ،ج4، ص 780.

[6]- مجهول: بيوتات فاس،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط،1961، ص 28.

[7]- نفسه، نفس الصفحة.

إطمئنانا على خلو مسرح نشر الدعوة من الحركات المذهبية المناوئة للمذهب المالكي، وتأكد فعلا من أن يحي بن إبراهيم أمير القبائل الصحراوية لا صلة له بآراء الفرق والمذاهب المخالفة في أحكامها للمذهب المالكي[1].

كما أن محاولة إطمئنان أبو عمران الفاسي على مدى توفر المجال لرفع شأن المذهب المالكي بالمغرب هو إنتشار العديد من المذاهب والفرق ببلاد الأندلس وبلاد المشرق [2] خاصة المذاهب والفرق الشيعية، مما جعل العديد من المؤرخين يتفقون في الدعوة المرابطية على أنها عملية تطويق من الغرب للمد الإسماعيلي الشيعي [3] استكمالا للدور الذي قام به السلاجقة[4] شرقا، وأن الدعاة السنيون بمكة أو القيروان حينما رأوا تأثر يحي بن إبراهيم بالأثر السني بادروا للإتصال به، وعرضوا عليه مرشدا ومربيا لتعريف قومه بشؤون الإسلام وأحكامه، فوجهوه إلى قادة المالكية في القيروان لما بين القيروان وبلاد المغرب من اتصال جغرافي ودراية أهل القيروان بشؤون المغرب الإسلامي[5].

وبالتالي فإن الدعوة المرابطية جاءت لجمع شمل قبائل صنهاجة في حلف واحد قوي يقوده عبد الله بن ياسين تحت حماية يحي ابن إبراهيم الجدالي لتحقيق أحكام المذهب المالكي على مستوى بلاد المغرب.

هناك من الباحثين من افترضوا انه كان للدعوة المرابطية مرجعية أشعرية والبعض الاخر نفى ذلك ، حيث ذهب الفريق الأول بالقول أنه للدعوة المرابطية مرجعية أشعرية، والفريق الثاني ينفي ذلك وهذا هو الأرجح وهو أن الدعوة المرابطية ليس لها أي مرجعية أشعرية، فالأشعرية

---

[1]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 165.

-[2]- ابن خلدون :المقدمة ،ص 235-238 ، 328-333

[3]- المد الإسماعيلي: المقصود به الفرقة الإسماعيلية الشيعية والتي امتازت عن الإثني عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل ابن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر، ويسمون أيضا بالباطنة نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور. أنظر: ال شهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 199- 198. ابن خلدون: المقدمة، ص 211.

[4]- السلاجقة: هم من الغز من اصول الترك وهم مجاورين للروم وهم اعظم امم العالم واكثرهم ،فاول مواطنهم من الشرق على البحر بلاد الصين ،واخر مواطنهم من جهة الغرب بلاد الصقالبة مما يلي روما الى خليج القسطنطينية ،واول مواطنهم من جهة الجنوب بلاد القور المجاورة للنهر ثم خرسان ثم أذربيجان وخليج القسطنطينية .انظر: ابن خلدون، العبر، ج 5، ص 3- 4 ،أبو عبد الله محمد بن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ،تح ودراسة وتحليل :حسين مؤنس ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر، 2003،118-120.

[5]- عبد الله العرو ي: مجمل تاريخ المغرب ، ج 1، نشر المركز الثقافي العربي، الرباط، 1994، ص 111- 112. محمد القبلي واخرون:المرجع السابق ، ص 165.

إحدى مدارس علم الكلام [1] التي تعتمد على المسائل والأحكام والقياس والإستدلال بما يصطنعه أصحابه من أساليب الحجاج، وجاءت لمناهضة آراء مدارس أخرى من علم الكلام كالمعتزلة، والبيئة الصحراوية الصنهاجية كانت خالية تماما من هذه المعطيات، ليس بها نخبة من العلماء يمكنهم استقبال دعوة دينية تعتمد على المسائل والأحكام والقياس ولا فرقة من فرق علم الكلام ناشطة بالمنطقة يمكن توظيف المد الأشعري لمحاربتها، فالعنصر الذي يستدعي وجود الأشعرية في خطاب الدعوة المرابطية عنصر غائب في بيئة الصحراويين الصنهاجيين ونلمس هذا في قول ابن خلدون:«... إن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأند لس أو من في حكمهم من أهل صحراء بالمغرب، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة...»[2].

والأرجح أن السبب الذي جعل بعض الباحثين يقولون بمرجعيتها الأشعرية هو أن بوادر نشأة الدعوة جاءت على يد فقيه تتلمذ ودرس ونهل من مجالس علماء وأئمة وفقهاء أشاعرة وهو أبو عمران الفاسي الذي تتلمذ على يد أبي الحسن القابسي [3] وعلى يد أبي بكر الباقلاني[4] في علم الأصول، وتأثر بهذا الأخير أشد التأثر حيث قال فيه:«... سيف أهل السنة في زمانه، وإمام

---

[1]- علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الامانية ،بالادلة العقلية ،والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة ،وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد ،وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الايمانية بعد فروضها صحيحة من الشرع ،بحيث يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية،فترفع البدع وتزال الشكوك والشبه عن تلك العقائد . انظر: ابن خلدون :المقدمة ،ص475،467

[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 09.

[3]- أبو الحسن القابسي: هو ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي الفقيه القيرواني ،ولد بالقيروان سنة 324هـ الموافق ل 935 بالقيروان ومنها نسب الى القيرواني ، لم يكن قابسيا او ابن القابسي وانما كان له عم يشد عمامته بشد قابس فسمي بذلك وهو قيرواني الاصل ،كان مالكيا يميل الى الاشعرية من تلاميذه :ابو بكر احمد بن عبد الرحمان ،ابو بكر عاتق بن خلف التيجيبي ،ابو عمران الفاسي ،توفي سنة 403هالموافق ل1012م في سن السابعة والسبعين ،دفن بالقيروان في مقبرة الريحانة بتونس .من اثاره كتاب اللخص لمسند موطا مالك بن انس ،كتاب الممهد في الفقه ،أحكام الدينة .أنظر: أبو الحسن علي القابسي :الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والتعلمين ،تح:احمد خالد ،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس ،1986،ص 147 ،

[4]- أبو بكر الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي، عرف بابن الباقلاني توفي سنة 404هـ/ 1013م، متكلم سني سكن بغداد وأصله من البصرة، كان عالما بعلم الكلام، له تصانيف كثيرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة وغيرهم وله المناقشات البارعة مع علماء النصرانية. أنظر: عياض السبتي: المدارك، ج 4، ص 586- 587 ،غريغوريوس ابي الفرج بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبدي :تاريخ مختصر الدول ،تصحيح :انطوان صلحاني اليسوعي ،ط 3،دار الراشد اللبناني ،الحازمية ، لبنان ،1983،ص 299.

متكلمي أهل الحق في وقتنا... وقد رحلت إلى بغداد وكنت قد تفقهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي وأبي محمد الأصلي وكانا عالمين بالأصول فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر رأيت كلامه في الأصول والفقه والمؤالف والمخالف حقرت نفسي وقلت: لا أعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدئ...»[1].

ويعتبر هذا دليل ضعيف في إثبات المرجعية الأشعرية للدعوة المرابطية لأن أبو عمران الفاسي فعلا تتلمذ على أيدي الفقهاء الأشاعرة الذين أشرنا إليهم واطلع على آراء الأشاعرة لكن لم يثبت تأثره بهذه الآراء، ولا يوجد دليل قطعي على أنه من المتأثرين بالفقه الأشعري، حتى مؤلفاته على الرغم من قلتها إلا أن معظمها في فقه المالكية مثل كتاب" التعليق على المدونة"[2].

ضف إلى ذلك أن صاحب الدعوة عبد الله بن ياسين مالكي ودرس عند فقيه مالكي هو وجاج بن يزللو اللمطي هذا الأخير الذي درس عند أبي عمران الفاسي لكن قبل رحيله إلى القيروان والمشرق، أي قبل لقائه وتفقهه على يد فقهاء الأشاعرة ومن ثم فلا صلة للأشعرية بالدعوة المرابطية[3].

والأمر الذي أدى إلى إستجابة جموع القبائل الصنهاجية للدعوة المرابطية هي ابتعادها عن أساليب علم الكلام والمنطق والرأي، واعتمادها التقليدي في المذهب المالكي القائم على كراهة ما ليس تحته عمل من قضايا ومسائل الأحكام، بحيث لا يقوم التقليد في المذهب المالكي على الرأي والقياس بقدر ما يقوم على النص والنقل وعلى الأثر والرواية[4].

ومجتمع كمجتمع القبائل الصنهاجية بدو رحل يستحيل أن يتقبل أو يستوعب الآراء والأفكار الأشعرية المعقدة المعتمدة على الأساليب الإستدلالية لأنه مجتمع بسيط تغلب عليه

---

[1]- عياض السبتي: المدارك، ج 4، ص 587- 602.

[2]- عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص 162.

[3]- عبد المجيد النجار: فصول في تاريخ الفكر الإسلامي في المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 27- 28.

[4]- عباس الجراري: أسباب إنتشار المذهب المالكي بالمغرب- صمن ندوة الإمام مالك-، وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، 1980، ص 177.

البداوة مع الجهل، يميل أفراده إلى الأفكار والآراء التي تلائم حياتهم والمتمثلة في زهد وورع وبساطة وتعاليم دينية بسيطة تهذبهم لا أكثر[1].

هذا وتعتبر الرسالة التي بعث بها علي بن يوسف بن تاشفين إلى القاضي ابن رشد يسأله عن الأشعرية ويستفسر عن أئمتها ومكانتهم [2] أكبر دليل على أن الدعوة المرابطية لم تحمل أية مبادئ أشعرية وليس لها أي مرجعية أشعرية على الإطلاق ومرجعيتها الوحيدة لها هي المذهب المالكي[3].

أما مرجعية ابن تومرت في جزئياتها فهي مزيج ما بين مبادئ العديد من الفرق والمذاهب الإسلامية، فقد حملت الدعوة الموحدية الكثير من آراء التأويل والقياس على حد تعبير صاحب المعجب في قوله:«... وعقائد في أصول الدين، وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري [4] في أكثر

[1]- عياض السبتي : المدارك، ج 4، ص 781.

[2]- بعث علي بن يوسف بن تاشفين من مدينة فاس إلى القاضي ابن رشد الجد يسأله عن الأشعرية ومن يتبعها حيث جاءت الرسالة كالتالي:"... ما يقول الفقيه القاضي الأجل الإمام الأوحد أبو الوليد... في الشيخ أبي الحسن الأشعري، وأبي إسحاق الأسفريني، وأبي بكر الباقلاني، وأبي بكر بن فورك، وأبي المعالي، وأبي الوليد الباجي ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم في أصول الديانات، ويصنف في الرد على أهل الأهواء أهم أئمة إرشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما تقول في قوم يسبونهم، وينتقصونهم، ويسبون كل من ينتمي إلى مذهب الإشعرية، ويكفرونهم ويتبرؤون منهم، وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ضلالة خائضون في جهالة؟ ماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم...". وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الأشعرية كانت غائبة في مبادئ الدعوة المرابطية. أنظر: ابن رشد: فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، مسألة رقم 265 ،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1987، ص 943- 945.

[3]–ومن ابرز الادلة على ان الدولة المرابطية هي دولة مالكية المذهب والمرجعية ان بعض الفقهاء المالكيين التحقوا بالمرابطين الملثمين مباشرة بعد خروجهم من رباطهم وتوجههم لبلاد المغرب مثل عيسى بن الملجوم وعبد الله بن حمو بن عمر اللواتي السبتي وعبد الله بن شبونة .انظر عياض السبتي وولده محمد :مذاهب الحكام في نوازل الاحكام ،تح:محمد بن شريفة ،ط 1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1990،ص9-10.

[4]- أبو الحسن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري إمام ومتكلم ومجتهد وإليه تنسب الأشعرية، ولد في البصرة توفي في بغداد. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 414.

المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه يوافق المعتزلة [1] في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يبطن شيئا من التشيع[2] غير أنه لم يظهر منه إل[3]ى العامة شيء»[4].

فقد نهج ابن تومرت نهج الأشاعرة [5] في تأويل بعض صفات الله عز وجل، فيذكر ابن خلدون أن ابن تومرت هو الذي نشر عند أهل المغرب القول بالتأويل والأخذ بالمذهب الأشعري في كافة العقائد[6]، وتأثر بالمعتزلة في العديد من المبادئ منها نفي الصفات عن الله ولو كانت من الأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، بحيث نفى كل ما قد يوهم الشبه والمثلية لله سبحانه وتعالى[7]، فقد ورد في هذا الشأن في كتابه" أعز ما يطلب":«... واشتغلوا بتعلم التوحيد فإنه أساس دينكم، حتى تنفوا عن الخالق التشبيه، ...، والنقائص، والآفات، والحدود والجهات، ولا تجعلوه سبحانه في مكان ولا في جهة فإنه تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ومن جسمه فقد جعله مخلوقا ومن جعله مخلوقا فهو كعابد وثن»[8].

---

[1]- المعتزلة: ويسمون أيضا أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، قالوا بأن الله قديم والقدم أخص وصف ذاته نوا الصفات القديمة أصلا فقالوا هو عالم لذاته، قادر لذاته، حي لذاته، لا بعلم وقدرة وحياة. أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 38.

[2]- التشيع: ويقصد بذلك إتباع أفكار ومبادئ المذاهب الشيعية، والشيعة هم الذين شايعوا عليا- رضي الله عنه- وقالوا بإمامته نصا ووصية، إما جليا أو خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده. أنظر: نفسه، ص 144 ،عياض السبتي :اكمال المعلم بفوائد مسلم ،تح:الحسين بن محمد شواط ،ط1،دار ابن عفان للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية ،1994،ص 218. ،.

[3]- ذكر صاحب المعجب أنه لم يظهر شيء من التشيع لكن هذا يتناقض مع ما ادعاه ابن تومرت في دعوته فقد ادعى الإمامة والمهدوية والعصمة وكلها نابعة من أفكار ومبادئ فرق الشيعة، وبالتالي فقد أظهر تشيعه فعليا وليس نظريا لكن ماقصده صاحب المعجب أنه لم يستند في أقواله وخطاباته إلى أئمة الشيعة أو أنه ذكر أنه من شيعة علي- رضي الله عنه-. انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ،ص141

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- الأشاعرة: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري ومنهم أيضا القاضي أبو بكر الباقلاني، وله تصانيف مشهورة في علم الكلام، والكلام عند الأشاعرة معنى قائم بالنفس فالمتكلم عنده من قام به الكلام. أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص 81- 84 ،عبد المجيد مزيان :مدرسة الابلي وانتشار الرشدية الجديدة بالمغرب العربي ،ا ندوة التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب ،مطبوعات اكادمية المملكة المغربية،الرباط ،المغرب ،21-23 افريل 1992،ص 91

[6]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 466.

[7]- نفسه ،نفس الصفحة

[8]- ملخص الصفات عند المعتزلة أنهم قالوا بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا هو عالم لذاته، قادر لذاته، حي لذاته، لا بعلم وقدرة وحياة، هي صفات قديمة ومعاني قائمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لمشاركته الإلهية. أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل ،ج1، ص 38.

وإنطلاقا من هذه الفكرة فقد سمى أصحابه بالموحدين [1] لأنه في رأيه الذين يوحدون الله حقا في نفي الصفات عن الله عز وجل أي التوحيد ما بين الله وصفاته، كما أنه كان يؤكد لأتباعه أنه بتوحيدهم هذا فهم مؤمنين وسماهم بالمؤمنين [2]. ومن بين الآراء التي تأثر فيها أيضا بالمعتزلة أن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق، وسمى مرتكب الكبيرة بالفاسق ولم يسمه بالمؤمن أو الكافر[3].

أما ما استمده من الشيعة فهو الإمامة [4]، ووافق في تصوره لها الشيعة الرافضة [5] بحيث يعتبر يعتبر أن هذه الواجبات إزاء الإمام إذا ما أقيمت تم بها الأمر، وثبت بها العمود الذي قامت عليه السموات والأرض وهو الإمام، أما متى ضيع أمر الإمام أو عصي أو نوزع أو خولف أو أهمل فإنه ينتج عن ذلك مفاسد كثيرة[6].

كما تضمن كتابه" أعز ما يطلب" أفكاره عن الإمامة ومنها قوله:«... لا يحق قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب الإمامة في كل زمان إلى أن تقوم الساعة، ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق...»[7].

هذا فضلا على أن ابن تومرت يستمد مرجعيته في بعض مبادئ دعوته من آراء الخوارج [1] خاصة في قضية سفك الدماء، ومقاومة السلطان الجائر حتى جعله ضربا من الجهاد في سبيل الله، كما أخذ برأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

---

[1]- إن قول ابن تومرت بالتوحيد ليس إيمانا بمبادئ المعتزلة وإنما هي لخدمة أغراض وغايات سياسية. أنظر: حمد بن صالح السحيباني: دعوة ابن تومرت- دراسة تاريخية-، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع 6، 2007،(د.م)، ص 576. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 204.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 276. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 466.

[3]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 362.

[4]- الإمامة: مصلحة من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة عند أهل السنة، وفي مفهوم الشيعة هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله، ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر، وأن عليا هو الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم. للإمامة عند فرق الشيعة منزلة مقدسة لأئمتهم وذلك في نظرهم أنه ما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى يكون مفارقته الدنيا على فراغ القلب من أمر الأمة. أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 163. ابن خلدون: المقدمة، ص 207.

[5]- الرافضة: هم فرقة انشقت عن فرقة الامامية وذلك لما ناظر الامامية زيد بن علي بن الحسين السبط في مسالة الامامة خالفهم الراي فرفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سموا بالرافضة .انظر: ابن خلدون :المقدمة ،ص 208

[6]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، ص 237.

[7]- المهدي بن تومرت :أعز ما يطلب، ص 245.

نلمس أيضا في خطاب الدعوة الموحدية أنها تستمد في مرجعيتها بعض المبادئ من المذهب الظاهري[3]، فكما سبق أن أشرنا ان ابن تومرت قد درس بالأندلس مؤلفات ابن الحزم الظاهري وقد تأثر بها كثيرا، وظهر هذا التأثر في إنكار ابن تومرت لكتب الرأي والتقليد[4]، كما أن المذهب الظاهري جاء بوجوب إقامة الحد على الذنوب التي ليس فيها حد، وهذا ما كان يجسده ابن تومرت حيث كان يعاقب أتباعه على ترك الصلاة وعلى عدم حفظ حزب من كتاب التوحيد[5].

واستمد أيضا ابن تومرت من المذهب الظاهري قتل النفس بذنب الإرتداد والإستهزاء بدين الله، حيث أوجب ابن تومرت قتل كل من يرتد عن دعوته أو يشك فيها، وأوجب قتل المرابطين لإعتبارهم مجسمين مستهزئين بدين الله[6].

وبالتالي فإنه يمكن القول أن الدعوة الموحدية حملت في خطابها بعض مبادئ المذهب الظاهري مما جعل هذا المذهب يمثل أحد أجزاء مرجعيتها الدينية.

ومن خلال ما سبق ذكره فإن ابن تومرت لم يستمد مرجعيته في جزئياتها من مذهب أو فرقة معينة وإنما جاءت مزيجا ما بين مبادئ وآراء العديد من المذاهب والفرق الإسلامية فهي ليست بمرجعية شيعية بحتة ولا مرجعية خارجية، ولا تقوم على الأدلة العقلانية كالأشاعرة والمعتزلة وإنما مجموع مرجعيات حاكها ابن تومرت في قالب ديني عقلاني لخدمة أهداف وغايات دعوته في

1- فرق الخوارج التي اخذ منه ا ابن تومرت تساهله في اراقة الدماء هي فرقة الازارقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة السلطان الجائر من الصفرية والاباضية حسب ما تتضمنه مبادئ هذه الفرق .انظر الشهرستاني :الملل والنحل ،ج 1،ص، 115،محمود اسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق،ص44-45.

2- عبد الله علي علام: الدعوة الموحدية، ص 151.

3- المذهب الظاهري:يقول اصحاب هذا المذهب على ان المصدر الفقهي هو ظواهر النصوص من الكتاب والسنة ،فلا راي ولا اعمال للعقل في حكم من احكام الشرع فليس في هذا المذهب قياس ،ولا استحسان ولا ذرائع ولا مصالح مرسلة ،وان لم يكن من نص ،فيؤخذ بحكم الاستصحاب الذي هو الاباحة الاصلية وهو مذهب داود بن علي ومن اتبعه من فقهاء الامصار وبلاندلس وبلاد المغرب برز فيه ابن حزم حتى اقترن باسمه ، ويقول ابن خلدون الظاهرية جعلوا المدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص والاجماع .انظر: محمد الزمزمي الكتاني :معجم فقه ابن حزم الظاهعري ،اعتناء حمزة بن علي الكتاني ،ج 1،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ، 2009،ص 12، 36،ابن خلدون :المقدمة ،ص 454-455

4- ابن القطان المراكشي :المصدر السابق ،ص 90،محمد المنوني: حضارة الموحدين ،ط1،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،1989 ، 83-84

5- محمد المنوني :حضارة الموحدين ، ص 83.

6- محمد المنوني :حضارة الموحدين ، ص 125.

بلاد المغرب مما جعل العديد من المؤرخين يتفقون على أنه جاء بعقيدة جديدة أطلقوا عليها بالعقيدة التومرتية [1] وهذه نقطة إختلاف شاسعة بين الدعوتين المرابطية والموحدية من الناحية الموضوعية.

أما من ناحية اتخاذ عوامل النجاح فنجد نقاط توافق وإختلاف حسب الظروف التي أحاطت بكل دعوة، فمن نقاط التوافق بين الدعوتين أنه كلا الداعيتان حاول كسب الثقة والولاء من الأتباع عن طريق اتخاذ عدة أساليب من بين هذه الأساليب:

- **الزهد**: أشرنا سابقا إلى أن الداعيتين كانا زاهدين في متاع الدنيا يميلان إلى التصوف [2] وهذا يكون لهما عند الأتباع مصداقية أن غرضهما من الدعوة الإصلاح الديني دون مقابل، ولا يحملان أي أطماع مادية أو معنوية دينية من خلال هذه الدعوة وقد نجحا في هذا فعلا فحسب ما ذكرته المصادر فقد توفيا فقيرين[3].

- **العقاب**: محاولة فرض عقاب على كل من يخرج عن مبادئ الدعوة من الأتباع، وقد اتخذ هذا الأسلوب كلاهما فتذكر المصادر أن عبد الله بن ياسين كان كلما دخل شخص في دعوته وتاب عن سالف ذنوبه قال له:" قد أذنبت ذنوبا كثيرة في شبابك فيجب أن يقام عليك حدودها وتطهر من إثمها، فيضرب حد الزاني مائة سوط وحد المفتري ثمانين سوط وحد الشارب ثمانين سوط أيضا"[4].

هذا وقد تشدد ابن ياسين في تطبيق الأحكام منه أنه يعاقب المتخلف عن صلاة الجماعة بخمسة وعشرين سوط ضربا، أما من يتأخر بركعة واحدة فيضرب خمسة أسواط، وقد اعتبره البكري مأخذا على دعوته لأنه يتنافى مع مبادئ المالكية [5]، واعتبره عياض نوعا من التعليم لأن

---

[1]- الناصري: الإستقصاء، ج 1، ص 126- 127. عبد الله علي علام: الدعوة الموحدية، ص 159.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 70- 71.

[3]- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 186.

[4]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 169.

[5]- نفسه، ص 164.

الصنهاجيين كانوا يجهلون كيفية الصلاة وأصول إمامة صلاة الجماعة لجهلهم بالقراءة [1]، بينما بعض الدراسات الحديثة اعتبرتها أحكام ظرفية لاعتبارات بيئية[2].

كلاهما اعتمد على أسلوب فرض العقاب لكل من يخالف أو يتمرد على مبادئ الدعوة وذلك لإضفاء نوع من الجدية والحزم على مسار الدعوة، إلا أنهما اختلفا في درجة العقاب فحسب ما اطلعنا عليه من مصادر أن ابن تومرت كان أقسى من ابن ياسين في درجة العقاب التي ينزلها بأتباعه، كما أن الدعوتين لم تحملا في أساليبهما الثواب لكل من كان يحسن القيام بواجبات الدعوة ومطيعا ومخلصا لها، أي أن الدعوتين لم تحملا للأتباع معنى الجزاء بشطريه الثواب للمخلص المطيع والعقاب للخائن المتمرد وإنما حملتا شطرا واحدا من الجزاء وهو العقاب الذي يسلط على كل متمرد وهي نقطة توافق بين الدعوتين.

- **التقنين**: حيث أخضع الطرفان أتباعهما إلى عدة قوانين فألزم كل منهم أتباعه بها منها التشدد في حضور صلاة الجماعة عند عبد الله بن ياسين، والتكفير عن الذنوب السالفة بالخضوع للعقاب، وحفظ حزب من التوحيد عند المهدي بن تومرت بعد صلاة الصبح، وتسمية الأفراد بآيات سورة الفاتحة[3]، ووجوب اجتماعهم في الصلاة[4]، ومن هذه الناحية المعنوية تتوافق الدعوتين إلا أن عبد الله بن ياسين أضاف قانونا آخر لأتباعه وهو قانون تطبيب الأموال وذلك بأخذ الثلث من مال الشخص الذي يدخل للدعوة قصد تطهيرها من أي حرام يشوبها[5].

- **الإقناع بصحة الدعوة**: لجأ كل من الداعيتين إلى إثبات صحة ما يدعو إليه إلا أنهما اختلفا في الأساليب والوسائل، فقد لجأ ابن ياسين في إثبات صحة دعوته إلى أساليب منطقية وعقلانية وقد لجأ عبد الله بن ياسين إلى أساليب الإقناع قبل الشروع في الدعوة وذلك بمحاولة إنشاء جو من الثقة بينه وبين يحي بن إبراهيم تمثل في أن يحي بن إبراهيم وهو في الطريق إلى ديار

---

[1]- عياض: المدارك، ج 4، ص 781.

[2]- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 177.

[3]- محمد المنوني :حضارة الموحدين ،ص 83.

[4]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 81.

[5]- وهي نفس الفتوى التي سيفتي بها الفقيهين ابن حمدين وابن رشد في مسالتين متشابهتين حول الاموال المختلطة وكلها من المواشي التي خالطها المال المغصوب الناتجعن عملية السلب والنهب التي كانت تعرفها قبائل صنهاجة قبل الدعوة المرابطيةوذلك بانفاق ثلثها في سبيل الله لتطهيرها .انظر:الونشريسي :المعيار المغرب ،ج9،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،ص542-543.

جدالة كان حريصا على أن يبرز ابن ياسين في أعين القبائل الصنهاجية التي يمر بها أنه شخص مقدس، بحيث كان كلما اقتربا من موضع للصنهاجيين ينزل يحي عن دابته ويقود بالفقيه ابن ياسين دابته تكريما لعلمه ولإعلاء شأنه، ويصفه لأفراد القبائل الصنهاجية بأنه حامل سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وجاء يعلم أهل الصحراء ما يلزمهم في دين الإسلام[1].

وبعد الشروع في الدعوة لجأ ابن ياسين إلى أساليب عديدة لكن معظمها منطقية ومشروعة أغلبها لتعليمهم الآداب العامة وتعويدهم على حياة الإسلام وتحفيظهم القرآن الكريم وتعاليم الدين وترغيبهم في ثواب الله تعالى حتى تمكن حبه من قلوبهم [2]، كما جعلهم في الرباط يقتنعون ويؤمنون بأن همهم الآخرة وأنهم موجودون لعبادة الله وأن كل متاع الدنيا زائل لا يدوم وأنه يمكن الإكتفاء بالقليل منها وأن الإعتماد على النفس عبادة فحفزهم على الإعتماد على أنفسهم في الحصول على كل ما يحتاجون إليه من البر والبحر، ويعدون طعامهم بأنفسهم ويكتفون بالقليل وبالخشن من الثياب[3]، وكان من خلال هذا أيضا يحاول أن يزرع فيهم الثقة بالله عز وجل أي أن الله لن ينساهم وهو رازقهم سواء من البر أو من البحر رغم أنه في مكان منقطع فهو القادر على كل شيء واسع الرزق خبير بشؤون عباده.

وبعد مرور ثلاثة أشهر أحس ابن ياسين أنه تمكن من إقناع أتباعه بالرباط إلى ما كان يصبو إليه فأرسل بعضهم إلى القبائل حتى يحاولوا إقناع كل من أراد الإلتحاق بالدعوة مما ساعده على جمع حوالي ألف رجل [4]. كما أنه لم يمنعهم من متاع الدنيا بعد أن أكسبهم الإيمان والثقة بالله عز وجل لجأ بعدها إلى أسلوب أن للمجاهد الحق المادي بعد الإنتصار، فكان بعد انتصارهم في حروبهم ضد القبائل غير الإسلامية يقسم على أتباعه الغنائم ويعطي أميرهم الخمس، وكانت

[1]- هاشم العلوي القاسمي: الدولة المرابطية- امتداد تاريخي- مجلة الآداب، عدد خاص، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2013- 2014، ص 3.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش :دور المرابطون في نشر الاسلام بغرب إفريقيا430- 515هـ/ 1038- 1121م،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1988 ص 78.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش :ا دور لمرابطون في نشر الاسلام بغرب افريقيا ، ص 79.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الاسلام بغرب افريقيا، ص79.

أول عملية من هذا الشأن في انتصارهم الذي أحرزوه على الأقوام البربر القاطنون بالجبل الذي يلي أراضي قبائل لمتونة[1].

كما أنه لجأ إلى تنظيمهم في تنظيم إجتماعي إسلامي(مادي) حيث ألزمهم زيادة على الصلاة والزكاة بإخراج العشر [2] وجعل لهم بيت المال يجمع فيه ما يؤخذ منهم ويوضح لهم فيما سينفقه ويقنعهم بدورهم المادي من خلال الزكاة والعشر في إستمرارية الدعوة ونشر الإسلام حيث كان ينفق منه على الجيوش عدة وعتادا وعلى الطلبة والقضاة[3].

أما المهدي بن تومرت فقد إختلف مع ابن ياسين كثيرا في شأن الإقناع بصحة دعوته، بحيث لجأ إلى أساليب ووسائل مختلفة وأحيانا تبدو غريبة ومعظمها مجموعة إدعاءات إذ أنه كان كلما أحس أن الجموع تحاول أن تنفض من حوله اتخذ وسيلة جديدة للإقناع إما قرارا أو إدعاءا جديدا ونشره بينهم في جو روحاني.

فأول ما اتخذه كوسيلة بيده للإقناع هو حرصه الشديد على ذكر نسبه في خطبته وأنه ينتسب لنسب الرسول- صلى الله عليه وسلم- رغم أن هذا النسب في حد ذاته أقرته بعض المصادر والمراجع[4] والبعض الآخر نفاه وأقر عليه نسبه البربري [5] فقط، وسواء كان هذا النسب صحيح أم غير صحيح فإن ابن تومرت أحسن توظيفه لأنه كان على علم بدرجة حب الناس للأشخاص الذين ينحدرون من نسب الرسول- صلى الله عليه وسلم- وانطلاقا من هذا جاء بجملة من الإدعاءات جعل منها وسائل للتأثير النفسي على أتباعه من أجل إقناعهم بصحة الدعوة ونذكر من إدعاءات ابن تومرت ما يلي:

---

[1]- نفسه ، ص 76- 77.

2- العشر: هوجمع عشر وهولغة الجزء من عشرة اجزاء ،واصطلاحا يطلق على معنيين الاول عشر التجارة والبيعات والثاني عشرالصدقات اوزكاة خراج الارض انظر:ابن منظور :لسان العرب،ج8،ص 2953 .

[3]- عصمت عبد اللطيف دند ش :دور المرابطين في نشر الاسلام بغرب افريقيا ،ص 78.

[4]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 34. الزركشي: المصدر السابق، ص 12. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 226. عبد الله علي علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، ط1،دار المعرفة ،القاهرة ،مصر ، 1964، ص 54. عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 27- 28.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 122. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 4، ص 70. محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ع 3، ص 160.

* **الكرامات:** ادعى ابن تومرت الكرامات لإقناع أتباعه بصحة ما يدعو إليه وتبدأ سلسلة هذه الكرامات التي تناقلها أتباعه فيما بينهم ونقلوها إلى بلاد المغرب أثناء رحلة عودته من المشرق حيث ذكر ابن خلدون أنها بدأت على متن المركب الذي نقله من الإسكندرية إلى طرابلس [1]، وأما المراكشي وابن خلكان فيتفقان على أنها كانت بالمركب الذي نقله من الإسكندرية إلى المهدية [2].

ويذكر لنا ابن القطان أن هذه الكرامات تصب في نهيه عن المنكر فوق ظهر المركب فعارضه بعض ركابها وألقوا به في البحر فإذا به يهول عليهم البحر ويكاد يغرقهم [3]، ويختلف المراكشي مع ابن القطان ويقول أن الكرامة تمثلت في أنه بعد إلقائه من المركب مضى نصف يوم يمشي في الماء ولم يصبه شيء مما دفع بالركاب للإنصياع لتعليماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [4].

لا يمكن لأي باحث أن يعرف إلى أي مدى هي صحيحة هذه الأقاويل التي تناقلتها بعض المصادر خاصة الموحدية وقد لا تكون موجودة إطلاقا وإنما هي حيل سحرية كتلك التي يشتهر بها أهالي سوس أو معلومات إجتمعت عنده فوظفها توظيفا خدم دعوته حتى يظهر بين أنصاره على أنه فوق مستوى البشر العاديين مما يؤدي إلى تصديقهم إدعاءاته الأخرى [5] وتحقيق هدفه الذي كان يرجوه من وراء أعماله هذه.

***الإمامة:** ادعى ابن تومرت الإمامة بمجرد وصوله إلى بلاد المغرب" مراكش" وجمعه بعض الأتباع على رأسهم البشير الونشريسي وعبد المؤمن بن علي أي قبل البيعة وذلك نظرا لما ورد عند ابن خلدون:«... ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام» [6].

وقد مارس الإمامة بين أتباعه بتصورها عند الرافضة أي كل ما تحمله من تقديس للإمام وأن مكانته تعادل عند أتباعه التوحيد والنبوة [1].

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 466.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 63. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص 46.

[3]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 39.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 263- 264.

[5]- عبد الهادي الإدريسي: الإمامة عند ابن تومرت- دراسة مقارنة مع الإمامية الإثني عشرية- بحث لنيل شهادة الماجستير، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، 1986- 1987.

[6]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 228.

* **إدعاء المهدوية:** ادعى ابن تومرت أنه هو المهدي الذي وعد بخروجه الرسول- صلى الله عليه وسلم- آخر الزمان، وفي هذا الصدد ورد عند ابن السماك العاملي في الحلل الموشية أنه في رمضان سنة 515هـ قام ابن تومرت خطيبا في أتباعه ومن بين ما قال في خطبته:«... صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله المبشر بالإمام المهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى وزمانه آخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل...»[2].

وحسب ما أورده لنا صاحب الحلل نقلا عن أبو يحي بن اليسع أنه بخطبته هذه تمكن من التأثير تأثيرا كبيرا في أتباعه وحقق غايته لأنه بعدها مباشرة تمت مبايعته بالمهدوية [3] مما سمح له بممارسة شعائر دعوته بكل إرتياح أن أتباعه مقتنعين بها وبمبادئها.

* **إدعاء العصمة:** بعد أن صدق أتباعه الإدعاءات السابقة من كرامات والإمامة والمهدوية لم يكتف ابن تومرت بهذا لأنه أحس أن البعض قد ينقده الرأي أو يتمرد على أوامره أو يتهمه بالخطأ فلم يتوان عن إدعاء العصمة[4] فقال أنه معصوم من الكبائر والصغائر والخطأ والنسيان وهو بذلك يوافق الرافضة الإثني عشرية[5] في مفهومهم للعصمة، وأقنعهم بعصمته بأحاديث كثيرة رواها لهم وأوردها في كتاباته، ومما ذكره عن عصمة المهدي في كتاباته- بيقصد بها نفسه-:«... وأنه معصوم فيما دعا إليه من الحق لا يجوز عليها الخطأ... وأنه لا يكابر ولا يضاد، ولا يدافع ولا

---

[1]- ابن خلدون :المقدمة ،ص 208-211

[2]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 276.

[3]- نفسه ،نفس الصفحة.

[4]- العصمة: لغة: مصدر للفعل عصم وهي المنع، وعصمه يعصمه عصماأي منعه ووقاه، واصطلاحا هي: عصمة الله لأنبيائه مما يوبقهم من الأخطاء. والعصمة عند أهل السنة والجماعة لم تثبت إلا للأنبياء والرسل- عليهم الصلاة والسلام- فيما يبلغون عن الله تعالى من الشرع، ولم يقولوا بها لسواهم حتى لكبار الصحابة الذين خصهم الله بالفضل كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وغيرهم. أنظر: ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، ج 8، دار صادر، بيروت،(د.ت)، ص 2976.

[5]- الإثني عشرية: هم الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا قطعية ساقوا الإمامة بعده في أولاده فقالوا: الإمام بعد موسى (ابنه) علي الرضا ومشهده بطوس، ثم بعده محمد التقي وهو في مقابر قريش، ثم بعده علي بن محمد التقي ومشهده بقم وبعده الحسن العسكري الزكي وبعده ابنه القائم المنتظر الذي هو يسر من رأى وهو الثاني عشر، هذا هو فريق الإثنا عشرية إلا أن هناك إختلافات وقعت في حال كل واحد من هؤلاء الإثني عشر وجرت بينهم منازعات. أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 171- 172.

يعاند، ولا يخالف ولا ينازع...، وأنه صادق في قوله، وأنه يقطع الجبابرة والدجاجلة، وأنه يفتح الدنيا شرقها وغربها...، وأنه يملأ بالعدل كما ملئت بالجور»[1].

وفي الأخير فاننا توصلنا الى ان الدعوة الموحدية تختلف كثيرا عن الدعوة المرابطية من حيث المرجعية واسباب وعوامل النجاح وما تتفق فيه الدعوتين هو الصبغة الاسلامية وخدمة الاغراض السياسية من حيث الموضوع ،وبعض مراحل نشر الدعوة من حيث الشكل .

2- عوامل التأسيس بالمغرب والأندلس:

تعتبر الدعوة المرابطية والدعوة الموحدية عاملا من عوامل تاسيس الدولتين المرابطية والموحدية ببلاد المغرب والاندلس ،لكن هذا لا يعني انه غياب جهود الافراد والجماعات المساهمة في تاسيس الدولتين اضافة الى الظروف التي كانت تحيط بالمنطقة وخدمت اهداف كل دعوة في تاسيس دولة ونظام حكم جديد ،مما يجعلنا نتطرق الى مراحل تاسيس الدولتين بالمغرب والاندلس .

أ- بلاد المغرب:

أ -1- جهود يوسف بن تاشفين في إرساء قواعد الدولة:

[1]- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 256- 257.

بعد أن ارتحل أبو بكر بن عمر إلى الصحراء لإصلاح أحوالها وقرر المكوث بها كما سبق أن ذكرنا، واستخلف على بلاد المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين، فإن أبو بكر بن عمر اصطحب معه إلى الصحراء نصف الجيش المرابطي وترك النصف الثاني تحت إمرة ابن عمه يوسف بن تاشفين، وبنصف الجيش شرع يوسف بن تاشفين في إرساء قواعد الدولة المرابطية ببلاد المغرب، ذلك أنه لمجرد رحيل أبو بكر بن عمر توجه يوسف بن تاشفين لإخضاع بعض القبائل المتمردة على الدعوة المرابطية منها مغراوة وزناتة وبني يفرن وغيرها من القبائل[1]، وقد إختار لهذه المهام أربعة قادة وهم: محمد بن تميم الجدالي[2]، عمر بن سليمان المسوفي[3]، مدرك التلكاتي[4]، سير بن أبي بكر اللمتوني[5]، وقد جعل كل واحد منهم قائدا على خمسة آلاف فرد من قبيلته وأرسلهم لتأديب تلك القبائل[6].

[1] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، 1997، ص 46.

[2] – محمد بن تميم الجدالي: لم اهتد الى ترجمته في المصادر التي بين ايدينا

[3] – عمر بن سليمان المسوفي: لم نهتد الى ترجمته في المصادر التي بين ايدينا

[4] – مدرك التلكاتي: ذكره ابن الخطيب باسم مزدالي التلكاتي و ذكره ابن خلدون بمزدلي بن تيلكان بن محمد بن وركوت من عشيرة في عساكر لمتونة .انظر: ابن الخطيب :اعمال الاعلام ،ج3،ص، 243 ،ابن خلدون :العبر ،ج6،ص 247

[5] – سير بن أبي بكر اللمتوني:هو ابن اخ يوسف بن تاشفين وواحد من قادة جيشه واعظم رجال دولته ، وصهره فقد تزوج من حواء بنت تاشفين الذي كان اخا ليوسف من امه وعما له ،وهو الذي استنزل ملوك الطوائف عن عروشهم وهو اول من ولي اشبيلية من مشهير االلمتونيين المرابطين بعد خلع المعتمد بن عباد ،كانت له مقامات صدق في الجهاد بالاندلس ولا سيما معركة الزلاقة ،توفي على مقربة من اشبيلية في جمادى الاولى سنة 507 هـ الموافق ل:نوفمبر(تشرين الاول) 1113 وكانت مدة ولايته بهاحوالي 23 سنة ،وهو الذي استنزل ملوك الطوائف عن عروشهم ،وكانت له مقامات صدق في الجهاد بالاندلس ولا سيما في معركة الزلاقة .قال فيه الوزير الكاتب ابو محمد عبد الغفور بن ابي القاسم محمد بن عبد الغفور الاشبيلي حيث كتب إليه بها في غزاة غزاها:

سر حيث شئت يحل النوار وارت فيه مـــرادك الاقـــدار.

وقضى الاله بان تعود مظفرا وقضت بسيفك نحبها الكفار .

انظر: االعباس بن ابراهيم السملالي :الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ،ج 10،مرا :عبد الوهاب بن منصور ،ط 3،المطبعة الملكية ،الرباط ،1993،ص162-163، ابن خاقان :قلائد العقيان ،ص 96،عباس سعدون نصر الله :دولة المرابطين في المغرب والأندلس ،ص 164

[6] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية ،السويس، مصر ،1997،(د.ط)، ص 46.

وقد سار هو الآخر في إثرهم فأخضع عدة قبائل ثم رجع إلى أغمات [1] حيث تزوج من زينب النفزاوية [2]، هذا وبحلول سنة 414هـ الموافق ل 1052م[3] خرج يوسف بن تاشفين لإخضاع مدينة فاس بجيش قوامه مائة ألاف فارس [4]، وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب: «... اتخذ أبهة الملك، وجند الأجناد، واستكثر القواد، واتخذ الطبول والبنود، والرماة الروم، وزحف إلى أحواز فاس»[5].

وقد استعدت قبائل فاس لملاقاته منها لواتة [6] وسدراتة [7] ومغيلة [8]، فدارت بين الطرفين حروب طاحنة تمكن يوسف بن تاشفين من تحقيق النصر بها، وأما القبائل المنهزمة فقد تحصنت بمدينة صدينة[9] والتي اقتحمها يوسف بن تاشفين وقتل بها ما يزيد عن أربعة آلاف رجل، ثم

---

[1] – نفسه ،نفس الصفحة .

[2] – زينب النفزاوية: اسمها زينب بنت إسحاق الهواري رجل من التجار من قبيلة نفزاوة من هوارة، أصله من القيروان، وقد كانت زينب إمرأة حازمة لبيبة ذات رأي وعقل ومعرفة بالأمور، حتى كان يقال لها الساحرة، وذات جمال وذكاء وكانت في حياتها كلها موفقة فزعم بعض الناس ان الجن تخدمها وكانت مشهورة بالرياسة ايضا وكانت قبل زوجة ليوسف بن علي بن عبد الرحمان بن واطاس ثم ثم تزوجت لقوط بن يوسف المغراوي ثم ابو بكر بن عمر وتنازل عليها عند رحيله الى الصحراء لابن عمه يوسف بن تاشفين كل الأزواج الذين ارتبطت بهم زينب هم اسياد واصحاب رياسة عند قومهم .انظر: ابن خلدون :العبر ،ج 6،ص244-245 ،عبد الواحد المراكشي :وثائق المرابطين والموحدين ،ص 21

[3] – ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 138.

[4] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين، ص 46.

[5] – لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 235.

[6] – لواتة: بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون إلى لواالأصغر بن لواالأكبر بن زجيك ولوا الأضغر هو نفزا ولوا اسم أبيهم، والبربر جعلوا في الجمع لوات وفي تعريب الكلمة وإفرادها صارت لواتة، ويذكر ابن حزم أنهم من الأقباط ولكن ابن خلدون ينفي هذا تماما، وفي لواتة بطون كثيرة وقبائل كثيرة مثل عزوزة بن ماصلت بن لوا، وأكورة وجرمانة ونقاعة، بني زائدبن لوا، وأكثر بطونهم مزاتة. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 152- 153.

[7] – سدراتة: بطن من بطون لواتة وهي سدراتة بن نيطط بن لوا. أنظر ابن خلدون: ج 6، ص 152- 153.

[8] – مغيلة: وهو إخوة مطماطة ولماية بطون بن فاتن من ضريسة من البتر، وهما قسمان أحدهما بالمغرب الأوسط عند مصب وادي شلف، وآخرون بالمغرب الأقصى وهم من تولى مع قبيلة أورية النهوض بدعوة إدريس بن عبد الله صاحب الدولة الإدريسية وموطنهم ما بين فاس وصفرو ومكناسة. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 158- 164.

[9] – صدينة: تقع إلى الشمال من فاس قرب مجرى نهر سبو، حيث مساكن قبيلة شراكة الحالية ولا يزال بطن من بطونها يسمى صدينة، وبأحواز تطوان قرية تسمى صدينة وأهلها في الأصل من قبيلة ضريسة من البربر البتر، اشتهرت بقيامها مع قبيلة مغيلة بضرة إدريس بن عبد الله الكامل عند دخوله المغرب سنة 170هـ. أنظر: ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 139.

واصل طريقه إلى فاس بعدما أخضع جميع أحوازها وذلك مع أواخر سنة 454هـ الموافق ل 1063م[1]، فحاصرهاأياما حيث تمكن من عاملها ثم تركها وتوجه لمدينة قريبة منها فأخضعها ثم عاد لمدينة فاس فشدد عليها الحصار حتى أخضعها وذلك في نفس السنة 454هـ الموافق ل 1063م[2].

وقد أطلق على هذا الاخضاع بالفتح الأول وقد أقام بها يوسف بن تاشفين بضعة أيام ثم عين عليها عاملا من لمتونة واتجه هو إلى بلاد غمارة[3] ففتحها، ثم واصل سيره إلى بلاد بلاد فزاز[4]، وفي هذه الأثناء استغل تميم بن معتصر المغراوي[5]امير فاس السابق انشغال يوسف يوسف بن تاشفين بأمر بلاد فزاز وعاد إلى فاس فدخلها وقتل عاملها المرابطي، وقد بلغ هذا الأمر يوسف بن تاشفين فأرسل بجيش المهدي بن يوسف الجزنائي [6] أمير مكناسة مع جيشه إلى فاس فدارت بين الطرفين حروب أدت إلى مقتل المهدي أمير مكناسة، مما جعل يوسف بن تاشفين يعين أميرا غيره على مكناسة ويرسل بقوات أخرى إلى فاس لمواصلة القتال، وقد تمكن المرابطون في إحدى المعارك من قتل تميم بن معتصر، لكنهم لم يتمكنوا من دخول فاس

---

[1] – نفسه، نفس الصفحة.

[2] – نفسه ، ص 140.

[3] – بلاد غمارة: هي وسط جبال بشمال المغرب الأقصى، ومن ضمن جبال الريف يتواجد بها إحدى قبائل البربر، وهي فرع من المجموعة القبلية الكبرى مصمودة وأغلبها تمتد على الجزء الغربي من جبال الريف وبين بلاد غمارة ومدينة بني تاودة ثلاثة أميال، وأهل غمارة يعيشون بتلك النواحي ويغيرون على جوانبها. أنظر الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 249.

[4] – بلاد فزاز: يقصد بها مناطق جبال فزاز المسماة الأطلس المتوسط، ومدينة فزاز عاصمة الأطلس في العصور الوسطى. أنظر : ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 246، أكضي الحسين: خنيفرة- موقع آثار بلاد فزاز الأطلس المتوسط في سياسة الحكومة الجديدة، .w.w.w.amazighworld .org 7:10,8-09- 2013.

[5] – تميم بن معتصر: هو تميم بن معتصر المغراوي ، وورد عند ابن ابي زرع في روض القرطاس معنصر بن المعز المغراوي وابنه تميم صاحب فاس المغراوي صاحب فاس .انظر ابن خلدون :العبر ،ج 6،ص 245،ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص90-91.

[6] – المهدي بن يوسف الجزنائي: يذكره ابن خلدون يوسف الكرنامي صاحب مكناسة .انظر: ابن خلدون :العبر ،ج 6،ص 245،ويذكره سعدون عباس نصر الله ب المهدي بن يوسف الكزنائي .انظر: سعدون عباس نصر الله :دولة المرابطين في المغرب والاندلس ،ص 46

إلا بعد مجيء يوسف بن تاشفين الذي ترك بعض قواته محاصرة لبلاد فزاز وتحرك هو ببعضها نحو فاس[1].

وفي طريقه إلى فاس اخضع يوسف بن تاشفين بني مراسن [2] سنة 456هـ الموافق لـ 1064م[3]، ثم اخضع بلاد ورغة [4] سنة 458هـ الموفق لـ 1065م[5]، ثم اخضع جميع بلاد غمارة من الريف إلى طنجة [6] سنة 460هـ الموافق لـ1067م[7]، ثم اتجه إلى فاس سنة 462هـ الموافق لـ1069م[8] فشدد عليها الحصار حتى تمكن منها فدخلها في 02 جمادى الثانية سنة 462هـ الموافق لـ18 مارس 1070م[9]، حيث قتل بها الكثير ممن رفضوا الدخول في طاعته من من قبائل مغراوة وبني يفرن ومكناسة وزناتة [10]، وقام بتحصين فاس وهدم الأسوار الفاصلة بين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين وجعلها مدينة واحدة كما أمر ببناء المساجد فيها وأصلح

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 139 – 140، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين، ص 38 .

[2] – بني مراسن: اميرهم يعلى بن يوسف .انظر: سعدون عباس نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والاندلس ،ص47

[3] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 48.

[4] – بلاد ورغة: هي مواطن قبائل ورغة والواقعة قرب نهر بشمال المغرب الأقصى، وهي قرب العرائش وأصيلا، وقبائل ورغة من بطون هوارة من بربر البرانس باتفاق النسابة العرب والبربر. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 182.

[5] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 48.

[6] – طنجة: مدينة بالمغرب الأقصى قديمة على ساحل البحر وبين طنجة وسبتة ستون ميلا وطنجة آخر الحدود الإفريقية من الغرب بينها وبين القيروان ألفي ميل. أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 396 ،عبد الله الداودي :بيوتات طنجة في القرن 18 من خلال حوالة احباسها – دراسة وثائقية – ،ط1 ،مطبعة الطوبريس للطباعة والنشر ،طنجة ،المغرب ،2013،ص 43-44.

[7] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 48.

[8] – نفسه، نفس الصفحة.

[9] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 141، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 48.

[10] – يذكر لسان الدين بن الخطيب أنه قتل بمسجد القرويين سبعة آلاف نسمة من جملة ثلاث وأربعين ألفا. أنظر لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 236.

الأسواق وأقام الحمامات والفنادق، وبقي بها إلى شهر صفر من سنة 463هـ الموفق لـ1070م[1].

وقد خرج يوسف بن تاشفين من فاس إلى بلاد ملوية [2] فأخضعها كما أخضع حصون وطاط[3] بالقرب منها، هذا وفي سنة 465هـ الموافق لـ 1072م[4] غزا يوسف بن تاشفين مدينة الدمنة[5] من أعمال طنجة فأخضعها، ثم واصل سيره فما إن حلّت سنة 467هـ الموافق لـ 1074م[6] حتى كان قد أخضع غياثة [7] وبني مكود [8] وبني رهينة [9] من أحواز [10] تازا، ففي خلال خلال سنتين من سنة 466هـ الموافق لـ 1072م إلى سنة 467هـ الموافق لـ 1074م تمكن من إخضاع كل هذه المناطق إلى طاعته، مما يدل على أنه كان له جيش قوي عدة وعتادا وهذا استنادا إلى ماذكره صاحب الحلل في هذا الشأن حيث يقول: «... ولما كان في سنة أربع وستين وأربعمائة

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، 141، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 48.

[2] – بلاد ملوية: هي البلاد المحيطة بوادي ملوية إلى وادي صاع فيجتمعان معا ويصبان في البحر ما بين جراوة وابن قيس وبين مليلية. أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 247.

[3] – حصون وطاط: هي حصون لقصور بني وطاط فخذ من بني يهنيان إخوة مغراوة موطنهم بين تازة وفاس بالجبال المطلة على وادي ملوية من جهة القبلة. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 66.

[4] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 48.

[5] – مدينة الدمنة: من اخر بسيط المغرب مما يلي بلاد غمارة .انظر: ابن خلدون :العبر ،ج6،ص296

[6] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 48.

[7] – غياثة: هي قبيلة تازية والحاملة لاسمها الأصلي، وتحيط بمدينة تازة، وهي من القبائل المغربية القديمة، وتتميز بمواطنها ذات التضاريس المتنوعة من جبال وسهول ووديان، وخاصة وادي إيناون ووادي الهدار، ووادي الدفالي، وهي من القبائل الشبه ريفية المجاورة مجالاتها الترابية مع قبائل الريف الجنوبية مباشرة، وتنقسم قبيلة غياثة إلى عدة بطون منها: أهل بودريس، أهل الدولة، أهل الواد، أهل السدس، بني بوقيطون، بني بويحمد، بني مجارة، بني مميز المحامة، أولاد عياش، أولاد حجاج. أنظر : محمد زلمادي مزابي: قبائل المغرب– قبلية غياثة– 7: 20, 27- 10- 2009, w.w.w. Maroc. Com.

[8] – بني مكود: قبيلة من البربر من أشهر شيوخها الشيخ عبد الرحمن المكودي شارح الألفية وصاحب البسط والتعريف والمقصورة وغيرها من المصنفات، وشهرته كافية وقبره بزاريفاس. أنظر: 7: 20, 27- 10- 2009, w.w.w. Maroc. Com

[9] – بني رهينة:ذكرها ابن ابي زرع لكن لم يذكرأي تفاصيل عنها .انظر:ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس 90-93.

[10] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 90-93، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 48.

قوي أمره، وعظمت شوكته، فاشترى جملة من عبيد السودان وبعث إلى الأندلس فاشترى منها جملة من العلوج فأركبهم وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا،شراء ماله، ومن العبيد نحو ألفين فأركبهم فرسانا فغلظ حجابه، وعظم ملكه، وافترض على اليهود في تلك السنة فريضة ثقيلة، اجتمع له منها جملة مال، استعان به على ما كان بسبيله...»[1].

هذا وقبل أن يخضع أعمال طنجة وأحواز تازا يذكر ابن أبي زرع الفاسي أنه توجه إلى أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناتة ومصامدة وغمارة، وسائر قبائل البربر فأخذ عنهم البيعة ووصلهم بالأموال ثم خرج برفقتهم ليتفقدوا أحوال الرعية في بلاد المغرب وينظر في شؤون الولاة، ويصلح أمور الناس[2]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على صحة قول صاحب الحلل أنه فعلا قوي أمره وعظمت شوكته وعظم ملكه.

كما أنه عمل على تفريق عماله على بلاد المغرب، حيث ولى سيري ابن أبي بكرمدائن مكناسة وبلاد فازاز وبعض البلاد الأخرى القريبة منها، وولى عمر بن سليمان فاس وأحوازها، وأما على سجلماسة ودرعة فقد ولى داود بن عائشة، وولى ابنه تميم [3] مدينتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلة وبلاد تامسنا[4].

هذا وفي سنة 470هـ الموافق لـ1077م[5] وجه يوسف بن تاشفين أنظاره نحو طنجة وسبتة[6]، وسبتة[6]،

---

[1] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 73.

[2] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 71.

[3] – تميم بن يوسف بن تاشفين: في الاصل هو تميم بن يوسف بن تاشفين ،ويقال له ابو طاهر تميم بن يوسف ،ولي على غرناطة ،ثم على اشبيلية سنة 516هـ،وعزل عنها في ذي الحجة 517هـ الموافق ل 1123م .انظر: مجهول :مفاخر البربر ،ص 191،ابن السماك العاملي :الحلل الموشية ،ص 71

[4] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 72.

[5] – نفسه، نفس الصفحة، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري، ص 48.

[6] – سبتة: مدينة ساحلية بشاطئ البحر المتوسط تقع غربي مدينة الحسيمة، خربت ولم يبق منها إلا بعض الأطلال، أمامها جزيرة صغيرة تسمى باسمها تحتلها إسبانيا، وتذكر مصادر أخرى هذه المدينة على أنها مرفأ يقع على مضيق جبل طارق، وهي على ضفة البحر الرومي وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهي في طرف من الأرض داخل من الغرب إلى الشرق ضيق جدا، والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة أن يصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة، وهي مدينة كبيرة ومسورة بصخر محكم البناء، بناه عبد

فبعث بقائده صالح بن عمران [1] إليها في جيش عدده حوالي اثنتي عشر ألف فارس من المرابطين، وعشرين ألف من سائر القبائل المغربية حيث التقوا مع قوات الحاجب سكوت البرغواطي[2] بأحواز وادي منى[3] بالقرب من طنجة[4]، وقد كان سكوت يبلغ من العمر حوالي ست وثمانين سنة لكنه فضل القتال على الدخول في طاعة المرابطين حيث قال: «... والله لا يسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين[5] وأنا حي أبدا».

وبعد قتال بين الطرفين قتل سكوت وهزم جيشه ودخل المرابطون طنجة، وأما سبتة فقد صمد بها الحاجب بضياء الدولة يحي بن سكوت البرغواطي [6] ولم يتمكن القائد صالح بن عمران من دخولها وإخضاعها[7].

الرحمن الناصر لدين الله، وقد لعبت المدينة دورا هاما في تاريخ المغرب والأندلس. أنظر : علي بن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 201، أبو عبد الله التنسي: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زياد، تح: محمد بوعياد، الجزائر، 1988،ص286 ،أبو محمد الرشاطي ،ابن الخراط الاشبيلي :المصدر السابق ،ص 187.

[1] – صالح عمران: احد رجال لمتونة .انظر :ابن خلدون :العبر ،ج6،ص 296،ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص 92.

[2] – سكوت البرغواطي: هو من موالي بني حمود و بدا حياته كعبد لشيخ حداد اشتراه من سبي برغواطة في بعض ايام جهادهم ،ثم صار الى علي بن حمود ،فاخذ عنه النجابة في طبعه الى ان استقل بامرهم واقتعد كرسي عملهم بطنجة وسبتة واطاعته قبائل غمارة ذكره ابن ابي زرع باسم سقرة البرغواطي وان سنه انذاك كان حوالي ست وثانون سنة .انظر: ابن خلدون :العبر ،ج 6،ص295-296،ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص92-93

[3] – وادي منى: من احواز طنجة ،ويذكر الحميري عن طنجة فيقول بها ولطنجة نهر كبير تدخله السفن يصب في البحر ،ياتي من جبال بغربي طنجة وتاتي منه سيول عظام تذ هب ببعض دورها والارجح هو وادي منى .انظر: ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ، ص93،الحميري :روض المعطار ،ص 396

[4] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 72، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 48.

[5] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 71- 72.

[6] – يحي بن سكوت البرغواطي: الملقب بضياء الدولة المعز وورد عند ابن ابي زرع بيحي بن سقرة البرغواطي ،قتله المعز بن يوسف بن تاشفين حين تعاونه مع ابن عباد لدخول سبتة فطالبه بالمال فاساء يحي الرد فقتله وعثر على ذخائر فيها خاتم يحيى بن علي بن حمود.انظر: ابن خلدون :العبر ،ج6،ص296،ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص 93

[7] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 72.

وفي سنة 467هـ الموافق لـ 1074م كان قد بعث المعتمد بن عباد [1] صاحب إشبيلية[2] إلى يوسف بن تاشفين يستنجد به ضد النصارى ويدعوه للجواز إليه باسم الجهاد ونصرة بلاد المسلمين، لكن ابن تاشفين لم يجبه لطلبه، وأخبره أنه لا يمكنه ذلك إلا بعد فتح طنجة وسبتة [3]، وبالتالي فإن كتاب المعتمد بن عباد ليوسف بن تاشفين هو السبب في توجيه أنظاره نحو طنجة وسبتة. وبعد ذلك في سنة 468هـ الموافق لـ 1075م[4] فكر يوسف بن تاشفين في غزوه لتلمسان فبعث إليها جيشا قوامه 20 ألفا من المقاتلين ، فتمكن من إخضاعها وقتل أميرها من مغراوة[5]، وفي سنة 473هـ الموافق لـ 1080م[6] أخضع يوسف ابن تاشفين آجر سيف [7] ومدينة مليلية[8]وجميع بلاد الريف ومدينة نكور[9] ، و واصل بإخضاع البلاد لسلطته فأخضع وجدة وجدة

---

[1] – المعتمد بن عباد: هو المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد بن القاضي ابي القاسم بن عباد ،وهم ينسبون للخم .وقد خلف المعتمد اباه العتضد على اشبيلية سنة 461 هـ ،وقد قبض عليه سير بن ابي بكر سنة 484هـ ومات اسيرا باغمات سنة 488هـ وألف ابن اللبنة فيهم كتابا سماه — الاعتماد في اخبار بني عباد – .انظر: ابن خاقان :قلائد العقيان ،ص 51 ،ابن خاقان : مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح اهل الاندلس ،تح :محمد علي شوابكة ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،1983،ص 169.

[2] – إشبيلية Sevilla: مدينة تقع جنوب غربي قرطبة بينهما 138 كلم، ولطالما كانت محل اهتمام الفاتحين خاصة الموحدين من بني عبد المؤمن. أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 18- 20.

[3] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 92-93.

[4] – نفسه، نفس الصفحة.

[5] – نفسه، نفس الصفحة، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 49.

[6] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 143.

[7] – آجر سيف: مدينة في احواز تلمسان من ارض المغرب كبيرة لها بساتين كثيرة وهي على نهر ملوية وهو نهر كبير من الانهار المشهورة، وكانت اجرسيف قرية كبيرة على النهر المذكور حتى خرج الملثمون من الصحراء فنزلوها ومدنوها وبنوا عليها سورا من طوب . انظر: الحميري : الروض المعطار،ص 12.

[8] – مليلة: من ارض طنجة ،وهي قريبة من نهر ملوية بالمغرب وهي مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة مانعةوفيها مسجد جامع وحمام واسواق وهي مدينة قديمة ويذكر ان موسى بن ابي العافية المكناسي جددها .انظر: الحميري :الروض المعطار ،ص545.

[9] – نكور: مدينة نكور اختطها وبناها ادريس بن صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن ،وكان الوليد بن عبد الملك قد اقتطع هذه الارض لوالده سنة 91 هجرية بعد ان اسلم على يده العديد من قبائل غمارة وصنهاجة وبعد وفاة والده خلفه اخوه المعتصم ولما هلك هو الاخر تولى

ووهران[1] وتنس[2] وجبال الونشريس[3] وباقي أعمال الشلف[4] إلى الجزائر[5] سنة 474هـ الموافق لـ 1081م[6].

فبدخول سنة 474هـ الموافق لـ 1082م كان يوسف بن تاشفين قد أتم إخضاع كل بلاد المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الاوسط، حيث عاد إلى مراكش في ربيع الثاني من السنة المذكورة[7]، أما الجزء الشرقي من المغرب الأوسط والمغرب الأدنى فإنه لم يوجه نظره نحوها، إذ أنه فضل ألا يدخل في صراع مع إخوانه الصنهاجيين، ذلك أن الجزء الشرقي من المغرب الأوسط كان بيد بني حماد، وأما المغرب الأدنى فكان بيد بني زيري، وبالتالي فسلطة المرابطين كانت فقط في الجزء الغربي من بلاد المغرب الإوسط[8].

ادريس مكان اخيه وبنى مدينة نكور ،وهي تقع بالمغرب بقرب مدينة مليلة وهي كبيرة بينها وبين البحر نحو عشرة اميال وقيل خمسة ،وهي بين رواب وجبال وبها جامع على اعمدة من خشب العرعر وهو الارز ولها اربعة ابواب ،باب سليمان في القبلة وفي الغرب باب المصلى وفي الجوف باب اليهود وبين القبلة والجوف باب بني ورغايل .انظر: ابن خلدون :العبر ،ج6،ص 283،الحميري : الروض المعطار ،ص577.

[1] – وهران: بينها وبين تلمسان مسافة مرحلتين أو ثلاث مراحل، وهي تقع على ضفة البحر، مدينة ساحلية تتميز بالأسواق والتجارة والصنائع الكثيرة، وهي تقابل مدينة ألمرية من ساحل الأندلس. أنظر : الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 252، القلصادي: المصدر السابق، ص 95 ،محمد العبدري البلنسي :المصدر السابق ،ص 211.

[2] – تنس: هي على مقربة من ضفة البحر الملح وعلى ميلين منه وبعضها على جبل وقد أحاط بها السور، وبعضها في سهل الأرض وهي مدينة قديمة أزلية عليها سور حصين وخطيرة مانعة دائرة بها وشرب أهلها من عين ولها في جهة الشرق واد كثير الماء وشربهم منه في أيام الشتاء والربيع، وبها فواكه وخصب. أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 252.

[3] – جبال الونشريس: هو جبل يسكنه قبائل من البربر منها مكناسة وحرسون وأوربة وبنو أبي خليل وكتامة ومطماطة وبنو مليلت وبنو وارتجان وبنو أبي خليفة ويصلاتن وزولات وبنو واتمشس وزواوة ونزار ومطفر وواسترين وبنو أبي بلال وهوارة، وطوله أربعة أيام وينتهي طرف هذا الجبل إلى قرب تاهرت ويقع جنوب مدينة مليانة. أنظر الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 253.

[4] – شلف: بينها وبين تنس مرحلتان، لها واد يسمى باسمها. أنظر : نفسه، نفس الصفحة.

[5] – الجزائر: جزائر بني مزغنة هي مدينة الجزائر الحالية، وكانت هذه المدينة في القديم تحمل اسم إيكوزيوم، ثم خربت من طرف الوندال وثورات البربر وأصبحت مستقرا لقبيلة بربرية تدعى بني مزغنة، وفي القرن 4هـ أسس بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي مدينة هنا دعاها جزائر بني مزغنة. أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 56، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 123.

[6] – ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 73، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري، ص 49.

[7] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 73.

[8] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 49.

وفي الوقت الذي استكمل فيه يوسف بن تاشفين إخضاع بلاد المغرب إلى سلطته كان أبو بكر بن عمر قد فرغ هو الآخر من حل مشاكل الصحراء وتوطيد الأمن بها، فشد رحاله وعاد إلى المغرب الأقصى مما جعل يوسف بن تاشفين يحس بالخطر على نفسه وملكه، فصرح بذلك إلى زوجته زينب النفزاوية وتشاور معها في الأمر، فأشارت عليه أن يلتقي به فيظهر له في البداية غلظة ونية في القتال دون التخلي عن الملك، ثم يلاطفه بالأموال والهدايا[1].

وقد طبق يوسف بن تاشفين نصيحة زوجته، فلما وصل عمر بن أبي بكر إلى المغرب نزل محلة خارج أغمات، وقد دخل أصحابه إلى مراكش لرؤيتها والسلام على يوسف، فاستقبلهم أحسن استقبال وأغدق عليهم الهدايا والأموال، مما جعل أبو بكر بن عمر يفهم أن ملك يوسف بن تاشفين قد عظم وخرج من يده وأدرك أنه لن يتنازل له عن الملك [2]، طلب منه تعيين يوم لإجتماعهما، فخرج يوسف بن تاشفين مع جنده وعبيده فالتقى به في منتصف الطريق على حوالي تسعة أميال ما بين مراكش وأغمات، وألقى عليه السلام وهو ممتطيا دابته ولم تكن تلك عادته، فطلب منه أبو بكر النزول عن دابته فترجل وجلسا على برنس فسمي الموضع بفحص برنس، ودار بينهما حوار انتهى بتنازل أبو بكر بن عمر ليوسف بن تاشفين عن ملكه بالمغرب الأقصى وعودة أبي بكر إلى الصحراء[3]، فقد قال أبو بكر ليوسف: «... ما جئت إلا لأسلم الأمر الأمر إليك، وأهنئك في بلادك، وأعود إلى الصحراء مقر إخواننا ومقر استيطاننا...»[4].

هذا وقد طلب أبو بكر بن عمر حضور أشياخ لمتونة وأعيان الدولة، وأمراء المصامدة والكتاب والشهود والخاصة والعامة، وذلك ليشهدهم على نفسه بالتخلي ليوسف بن تاشفين عن أمر وملك بلاد المغرب ، وبعد ذلك عاد الأمير أبو بكر إلى موضع نزوله [5] من أغمات، ورجع يوسف ابن تاشفين إلى مراكش وجهز له هدايا ثمينة ليأخذها معه إلى الصحراء وكتب إليه كتابا

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 65.

[2] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 49.

[3] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 75.

[4] – نفسه، 75-76.

[5] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 76.

يعتذر فيه إليه ويرغبه في قبول هديته[1]، ويذكر لنا صاحب الحلل ما تضمنته الهدايا فيقول: « خمسة وعشرين ألفا دينار من الذهب العين، وسبعين فرسا...، وسبعين سيفا منها عشرون محلاة بالذهب...، ومائة وخمسون من البغال المتخيرة الذكور والإناث، ومائة عمامة...، ومائتي من البرانس، وسبعمائة كساء بيضاء ومصبوغة، ومائتي جبة، ... وعشرين جارية أبكارا، ومائة خادم... وغير ذلك من البقر والغنم والقمح والشعير»[2].

وبذلك طابت نفس أبي بكر أكثر من الأول وكتب إليه يطمئنه ويخبره أنه مسرور لأن الملك لم يخرج من ايديهم، ثم أوصاه بالعدل والرفق برعيته، ثم انصرف إلى الصحراء وبقي بها غازيا لإخضاع ما تبقى منها لسلطة المرابطين المتمثلة في شخصه بالصحراء إلى أن قتل في إحدى غزواته سنة 480هـ الموافق ل 1087م[3].

وبهذا يمكن أن نقول أن يوسف بن تاشفين تمكن من تكوين جيش وتأسيس ملك واتخاذ مراكش عاصمة له، واستطاع إخضاع بلاد المغرب الأقصى لسلطته ، وبذلك فقد تمكن من إرساء قواعد الدولة المرابطية ببلاد المغرب الإسلامي إما سلما وإما عنوة، وأنه تمكن من ذلك فأسس الدولة وأرسى قواعدها في بلاد المغرب الإسلامي، الأمر الذي جعل أبي بكر يفكر أنه لو كان مكانه قد يهتم بنشر الدعوة دون تأسيس الدولة، فتيقن أن خير حاكم ومالك لبلاد المغرب باسم المرابطين هو يوسف بن تاشفين.

أ -2- إستراتيجية عبد المؤمن بن علي في إخضاع بلاد المغرب:

بعد وفاة المهدي ابن تومرت لم تكن الدولة الموحدية قد تأسست بعد وإنما كانت الدعوة الموحدية قد بلغت أوجها مما استوجب تأسيس الدولة لكن وفاة ابن تومرت قد أخر ذلك بعض الوقت مما يوضح أن خليفة ابن تومرت هو من بث دعائم تأسيس الدولة الموحدية، وقد خلف ابن تومرت أحد طلبته المقربين إليه وهو عبد المؤمن بن علي،والذي تمت مبايعته بشكل سري بعد وفاة

[1] - نفسه ، ص77.

[2]- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية ، ص 76.

[3] - حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 50.

المهدي بن تومرت مباشرة [1]، ويذكر ابن خلدون أن هناك من لم يوافق على مبايعة عبد المؤمن خاصة المصامدة، وذلك لأن عبد المؤمن زناتي وليس مصمودي [2] فبقي شيء في أنفسهم لكون خليفة المهدي ليس من المصامدة[3].

هذا ويذكر صاحب المعجب ثلاثة من أهل الجماعة سعوا إلى تقديم المبايعة لعبد المؤمن بن علي وهم: عمر بن عبد الله الصنهاجي المعروف عند الموحدين بعمر أزناج، ثم عمر بن ومزال الذي كان اسمه فصكه[4]،ثم عبد الله بن سليمان من أهل تينملل، وقد وافق على ذلك سائر أهل الجماعة وأهل الخمسين وباقي أفراد الموحدين[5].

وقد كانت هذه البيعة الخاصة، ويذكر البيذق أنها كانت يوم السبت 27 من شهر رمضان 524هـ الموافق لـ 31 أوت 1130م[6]، أما ابن أبي زرع فيقول أنها كانت يوم 14 رمضان 524هـ[7]ولعله الأرجح مقارنة مع تاريخ وفاة المهدي بن تومرت.

أما البيعة العامة فقد تمت بتاريخ 20 ربيع الأول 526هـ/1132م بجامع تينملل بعد صلاة الجمعة[8]، وقد كان العشرة من أهل الجماعة والخمسين من أشياخ الموحدين أول من بايعه في في هذه البيعة أيضا ثم تبعهم كافة الموحدين ولم يتخلف عن بيعته أحد[1].

---

[1]- ا بن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص130.

[2]- يقصد بليس مصمودي: أي أنه ليس من المصامدة ، وهي مجموعة كبرى من قبائل عظيمة من البرانس، ينتسب المهدي بن تومرت إلى إحدى قبائلها، وقد كان للمصامدة التقدم على غيرهم من قبائل بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي وبعده، ويستقر المصامدة منذ القدم بجنوب أم الربيع والأطلس الكبير إلى شواطئ المحيط، وقد لعب المصامدة دورا كبيرا في تاريخ بلاد المغرب على عهد الموحدين والحفصيين والمرابطين، أنظر: الطيب محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية، مج3، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 751.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج6، ص472.

[4]- سماه ابن تومرت بعمر وعرف فيما بعد بأبي حفص عمر وهو جد الحفصيين، واسمه الأول فصكة من أهل العشرة، تولى عقد البيعة لبعد المؤمن بن علي، فتح الجزيرة الخضراء ورندة وإشبيلية وقرطبة وغرناطة، توفي بالطاعون الجارف الذي عمّ بلاد المغرب والأندلس سنة 571هـ، أنظر: البيذق:المصدر السابق، ص 37.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص125

[6]- البيذق: المصدر السابق ،ص43.

[7]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 185.

[8]- أحمد بن خالد الناصري السلاوي: المصدر السابق ،ج1،ص245.

وتذكر بعض المصادر أن عبد المؤمن استعمل الدهاء لكسب ولاء خاصة الموحدين والحيلة لكسب ولاء عامتهم[2]، وتبرز صفة الحيلة والدهاء لعبد المؤمن بن علي في قدرته على إنقاذ الدعوة الموحدية من فناء مؤكد ومحتوم، وذلك بإخفائه موت المهدي ثلاث سنوات وذلك أنه كان يدرك أن هزيمة الموحدين في معركة البحيرة قد زعزع ت نفوسهم حتى ارتد بعضهم عن الدعوة الموحديق؛ ذلك أن ثقتهم العمياء في المهدي بأنه على صواب والسماء تؤيده ولا يمكن أن يهزم قد خابت، وقد زاد مرض المهدي ثم وفاته من خطورة الأمر مما دفع بعبد المؤمن إلى إخفاء موت المهدي من أجل السيطرة النفسية على زملائه ثم على الموحدين جميعا؛ وهي فكرة قد عادت عليه بنتائج حسنة واستطاع من خلالها تدبر أموره [3]، ولعل أهم ما قام به عبد المؤمن وجميع الموحدين بعد وفاة المهدي إلى غاية بداية سنة 526هـ هي محاولة ترسيخ دعائم نظام الدولة الموحدية بالأسس التي وضعها المهدي بإتباع تعليمات عبد المؤمن كما أنهم تخلوا لفترة وجيزة عن العمل العسكري خلال الوقت الذي فصل وفاة المهدي عن البيعة العامة لعبد المؤمن[4]

وبعد أن تمت البيعة العامة صار معلوما عند جميع الموحدين أن عبد المؤمن بن علي هو خليفة المهدي يتمتع بالسلطتين الدينية والدنيوية ولقب الموحدون عبد المؤمن بـ: " الخليفة أمير المؤمنين"[5]، ويذكر ابن أبي زرع أن هذا اللقب أطلق على عبد المؤمن بعد البيعة العامة له بسنتين،

[1]- تتفق المصادر أن بيعة عبد المؤمن لم تكن بالإجماع فقد كان كل واحد من العشرة أصحاب المهدي يطمع في أن يخلف المهدي وهم من قبائل مغربية ضخمة ما عدا عبد المؤمن بن علي وعبد الواحد الشرقي وقد عرفت القبائل المغربية بعصبيتها وتعصبها وفي الأخير رأى العشرة أن خير وسيلة لجمع الكلمة ودفع التنافس ودرء الفتنة أن يلي عبد المؤمن الخلافة إذ أنه غريب بينهم وليس له قبيلة بالمغرب تنافس غيرها، أنظر: عبد الله عي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 103.

[2] - كان عبد المؤمن شديد الذكاء وقد لاحظ المهدي بن نذتومرت في عبد المؤمن هذه الميزة انظر:
MahfoudKaddach,LalgerieMedieval, SocieteNational .Edition et diffusion, Alger 1982, P114.

[3]- Lacomtesse Drohojowski ; l'histoire de l' Algerie, A llwrd,Libraire, Editeur commissionnaire,Paris,1848,114

[4]- ابن القطان: المصدر السابق ، ص70.

[5]- كان المهدي يسمي أصحابه المؤمنين ويقول لهم: "ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم" فلقبوا عبد المؤمن بأمير المؤمنين أي أنهم المؤمنين وعبد المؤمن أميرهم.انظر عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص 144

وذلك بعد أن أثبت كفاءته في الحكم وقدرته على القيادة، وذلك بما أنجزه من اقتطاعه بعض الأراضي المرابطية وإخضاعها لطاعته[1] منها: تادلا، درعة، سلا[2] وبلاد تازة.

وبعد ذلك فكّر عبد المؤمن بن علي في إتباع إستراتيجية حربية من أجل توسيع نفوذه وتوطيد سلطته في أنحاء سلاسل جبال المغرب الأقصى وتجنب مواجهة المرابطين لبعض الوقت، في حين محاولة كسب المزيد من الأنصار لعقيدة الموحدين، وقد اقتضت إستراتيجيته مغادرة تينملل سنة 535هـ/ 1142م باعتبارها عاصمة صغيرة جدا[3].

وبعد مغادرة عبد المؤمن لتينملل وبلوغه درجة معقولة من القوة شرع في الهجوم على المرابطين حيث سيطر على مختلف القلاع والحصون المرابطية، وقد تعددت الوقائع بين الطرفين الموحدي والمرابطي[4].

وقد عمل عبد المؤمن دائما على مفاجأة المرابطين في الأماكن الضيقة واللحظات الحرجة؛ وكان عبد المؤمن يختار البقاء في الجبال مخافة أن يستعين أعداؤه بقوة كبيرة ويقومون بتطويقه في السهل كما أن قوته من الفرسان كانت ضئيلة مقارنة مع فرسان المرابطين [5]، ورغم ذلك استطاع عبد المؤمن وهو في الجبال أن يتنقل بين فاس وتلمسان ويلحق الخسائر

---

[1]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 104.

[2]- سلا: كانت في القديم تسمى شالة على بعد ميلين من البحر ، موضعها على ضفة نهر اسمير الذي يتصل الآن بمدينة سلا الحديثة، ومصبه في البحر، وأما تالة القديمة فهي الآن خراب، وبها بقايا بنيان قائم وهياكل سامية، وسلا الحديثة على ضفة البحر الملح من جانب البحر، وهي مدينة حسنة حصينة في أرض رمل ولها أسواق وتجارة، ومراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس= =يقلعون عنها ويحيطون بها بضروب من البضائع، يفصلها عن رباط الفتح الوادي الذي يصب في المحيط، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 238- 239، وأنظر أيضا: الحـ[illegible] 107- 108 [illegible] السابق، ص 66 ،حمدي عبد المنعم ،محمد حسين :مدينة سلا في العصر الاسلامي [illegible] —دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ،ط1،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،مصر ، 1993،ص16- 40 ،كنيث براون :موجز تاريخ سلا 1000م-1800م تر:محمد جيدة ،اناس لعلو،ط1 ،مجلة امل التريخ والثقافة والمجتمع ، الدار البيضاء ،المغرب ،2000،ص 29-33.

[3]- محمد علي الصلابي: الاعلام بدولة الموحدين ، ص 76-78.

[4]- نفسه ، ص 82- 86.

[5]- عبد القادر بوباية: فتوحات عبد المؤمن الغازي العظيم- محاضرة من الكتاب الخاص با الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري والدولة الموحدية، أيام 03-04-05-06 نوفمبر 1998، الجمعية الموحدية، ندرومة، الجزائر،ص 43.

بالمرابطين[1]، فقد كان الموحدون يسيرون في الجبال المنيعة حيث تتوفر لهم المؤونة وكان المرابطون بزعامة تاشفين بن علي في السهل يفتقدون للمؤونة، وبدأ الناس يتركون مناصرة المرابطين ويتبعون عبد المؤمن بن علي لما كان له من أسلوب إقناع وهو يتنقل بين القبائل في الجبال إلى أن وصل إلى جبال[2] غمارة.[3]

ولم ينجح المرابطون في اختراق صفوف الموحدين؛ بل استنفذوا قواهم في تلك الهجمات دون جدوى فعندما برز إليهم فرسان الموحدين انقضوا عليهم فألحقوا بهم هزيمة نكراء، وفر تاشفين[4]إلى قلعة تلمسان ولكن عبد المؤمن تبعه إليها فواصل فراره إلى وهران رفقة أصحابه[5]، ولم يسلم تاشفين بن علي سلطان المرابطين من الموحدين بفراره إلى وهران؛ ذلك أن عبد المؤمن بن علي زحف في جموع الموحدين إلى وهران وحاصر المرابطين فلما رأى تاشفين [6]خطورة الوضع أحرق أحرق كل ما في مخابئه من الأمتعة، وخرج هو وأصحابه يحاولون الفرار، فمنهم من قتل ومنهم من دخل البحر، وأما تاشفين فكان يتجول على جواده ليلا فسقط من حافة عالية فتوفي على إثرها، وقد عثر عليه الموحدون ميتا في 27 رمضان سنة 539هـ[7]، وقد تم بعث رأسه إلى تينملل وخضع وخضع من بقي في وهران للموحدين ومن ثم أصبحت وهران تحت سلطة الموحدين.[8]

---

[1]- نفسه: ص42-43.

[2]- جبال غمارة: هي جبال بشمال المغرب ومن ضمن جبال الريف، يتواجد بها إحدى قبائل البربر، وهي فرع من المجموعة القبلية الكبرى مصمودة وأغلبها تمتد على الجزء الغربي من جبال الريف، وبين جبال غمارة ومدينة بني تاودا ثلاثة أميال، وأهل غمارة يعبثون بتلك النواحي ويغيرون على جوانبها، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق،مج1، ص 249.

[3]- بوباية عبد القادر: المرجع السابق، ص 43.

[4]- تاشفين: هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وكنيته أبو محمد ولاه والده الأندلس في عهده وعندما توفي والده خلفه في حكمه على المرابطين بالمغرب والأندلس، أنظر: ابن السماك العاملي: الحلل الموشية،ص 193.

[5]- ابن السماك العاملي: الحلل الموشية،ص 203-204.

[6]- يقال أن تاشفين بن علي وهو في وهران كان ينتظر وصول مساعدة قائد أسطوله محمد بن ميمون الذي وصل قادما من المرية بعشرة سفن أرساها قريبا من معسكر أمير المرابطين ولكن حصار الموحدين لوهران حال دون وصول المساعدة إلى تاشفين بن علي، أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص 230- 231.

[7]- ابن الأثير: المصدر السابق ،ج 8، ص 299، وأنظر : مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتح: عبد القادر بوباية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 1996، ص 208- 209.

[8]- نفسه، نفس الصفحة.

وبعد هذه الأحداث السابقة الذكر فإن عبد المؤمن بن علي رأى وجوب عودته إلى تلمسان ومحاولة الاستيلاء عليها نظرا لما تتمتع به من موقع عسكري كما أنها تتميز بالجمع بين الصحراء والريف[1]، فبعد سقوط مدينة وهران ووفاة يوسف بن تاشفين بن علي تغير الوضع الحربي للموحدين فتركوا منطقة الجبال ونزلوا إلى السهول والمدن الكبرى وأخذوا في توجيه الضربات الأخيرة للدولة المرابطية[2].

وقد بدأت هذه الضربات بأغادير حيث أغلق أهلها أبوابها وتحصنوا بأسوارها وتأهبوا لمواجهة الموحدين، وأما الضاحية الحديثة تاغرارت فقد تقدم أهلها إلى الخليفة الموحدي بالطاعة بعد فرار الشخص الذي كان يمثل الدولة المرابطية في الضاحية، فدخلها عبد المؤمن غداة عيد الفطر 15 شوال 540هـ/ أفريل 1146م[3]؛ وبعد أن فرغ عبد المؤمن من تاغرارت اتجه إلى الاستيلاء على أغادير وبعدها إلى تنظيم شؤون تلمسان الموحدية.

غادر عبد المؤمن بن علي تلمسان في ربيع الثاني 540هـ/ أكتوبر 1145م متجها إلى مدينة فاس بهدف الاستيلاء عليها، خاصة وأنه من بقي من المرابطين من فرسان وخدم بقيادة يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف المعروف بالصحراوي [4]، وقد استعان عبد المؤمن بن علي في اخضاع فاس بجموع الوفود والحشود المجتمعة لديه من كل مكان فنزلت القوات الموحدية بموضع يدعى المقرمدة[5]، حيث بدأ عبد المؤمن الحصار مما جعل يحى بن أبي بكر الصحراوي ينظم خطط

---

[1]- معمر الهادي، محمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس(541-629هـ، 1146-1233م) دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005،ص 62.

[2]- بوباية عبد القادر: المرجع السابق، ص 45.

[3]- ابن الأثير: المصدر السابق ، ج8، ص 299-300، وأنظر: علي بن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 21.

[4]- يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف المعروف بالصحراوي: هو أحد أتباع تاشفين بن علي بن يوسف ويقال انه ينتمي إلى علي بن يوسف بن تاشفين وأنه ابن أخ تاشفين بن علي فهو يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف فر إلى فاس خوفا من الموحدين أثناء استيلائهم على وهران، أنظر: أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء، ج1، ص 248.

[5]- تذكر بعض المصادر والمراجع أن عبد المؤمن قبل نزوله بالمقرمدة نزل بوجدة وهي آخر مدينة على الحدود المغربية الشرقية ونشر بها مبادئ الموحدين، أنظر: عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 133، والمقرمدة هي محطة بالقرب من وادي بوحلو بالطرق القديم بين فاس وتازة، بقربها كانت توجد قرية كراندة (جراندة) التاريخية، أنظر: البيذق: المصدر السابق، ص 52.

خطط المقاومة للدفاع عن المدينة، ولكن عبد المؤمن لم يمهله، إذ فاجأه بألف رجل من هسكورة وصنهاجة[1]بقيادة أبي بكر[2] بن الجبر فعبر الموحدون نهر" سبو"[3] وصعدوا جبل زالاغ المشرف على فاس من الشمال، وقد أوقد ابن الجبر النيران لترهيب المرابطين مما دفع بالصحراوي للخروج من فاس ومعه أهل المدينة لقتال الموحدين وقد بلغت القوات المرابطية حوالي ألف وخمسمائة (1500) فارس من أهل المدينة وأفراد قبيلة لمتونة حيث اشتبك الجيشان من الصباح حتى العصر ثم رجع يحي بن أبي بكر الصحراوي إلى فاس في حين بقي الجيش الموحدي في مكانه إلى منتصف الليل والنيران المشتعلة تصاحبهم ثم أدركوا أن عليهم الرجوع إلى عبد المؤمن[4].

وبعد هذه الأحداث استمر الموحدون في حصارهم لمدينة فاس حوالي 9 أشهر[5]دون نتيجة تذكر، مما دفع بالموحدين إلى تنفيذ خطة حربية تمثلت في بناء سد بالأشجار والأخشاب والتراب على مجرى النهر الذي يمر وسط المدينة [6]حتى أحدث بحيرة كبيرة أمام المدينة، وقام الموحدون بخرقه، فسالت المياه دفعة واحدة أدت إلى هدم السور وهدم عدد كبير من المباني مما أدى أيضا إلى سقوط باب السلسلة، وهذا يدل على مهارة الموحدين الحربية وقدرتهم في اقتحام المدن المحصنة بفنون الحصار والقتال، ورغم كل هذا فإن المرابطين استمروا في الدفاع عن المدينة[7].

هذا ولم ينجح الجيش الموحدي في اخضاع مدينة فاس إلا بعد وقوع الخلاف بين يحي ابن أبي بكر الصحراوي المشرف على الدفاع عن المدينة، وأبي محمد عبد الله بن خيار الجياني والي المدينة، حيث رفض هذا الأخير مطالب يحي بن علي المرابطي الصحراوي التي تمثلت في المال

---

[1]- هسكورة وصنهاجة: كل قبيلة تعتبر فريق من البربر البرانس مساكنهم ببلاد المغرب ويقال لهم بن برنس بن بر ولكن صنهاجة تعد أكبر من هسكورة فهي تتكون من حوالي سبعين بطنا وتمثل ثلث 1/3 البربر، أنظر: القلقشندي: نهاية الإرب ، ص 290-292.

[2]-أبو بكر بن الجبر: كنيته أبو يحي من أهل الخمسين تولى قيادة الجيش المحاصر لفاس خلفا لعبد المؤمن بعد أن اضطر هذا الأخير إلى السير بنفسه إلى مدينة مكناسة التي استعصى فتحها ، أنظر: البيذق: المصدر السابق ، ص 61-62.

[3]- نهر سبو: نهر عظيم يأتي من نواحي جبل القلعة لابن توالة ويمر حتى يحاذي فاس من جهة شرقيها وعلى ستة أميال منها، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق ، مج1، ص 247.

[4]- جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ/ 1256م إلى 668هـ/ 1269م، دراسة سياسية وحضارية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، 2002، ص100.

[5]- البيذق:المصدر السابق ، ص114.

[6]- ابن السماك العاملي :الحلل الموشية، ص 207.

[7]- محمد الهادي ومحمد القرقوطي: المرجع السابق،ص 64.

الكثير، مما دفع والي المدينة أبي محمد عبد الله بن خيار الجياني بمساعدة أعيان المدينة إلى الاتصال بقائد الجيش الموحدي الذي كان يحاصر المدينة، وهو أبو بكر بن الجبرالذي تركه عبد المؤمن بن علي[1]ينوب عنه في فتح فاس بعد أن اتجه هو إلى مكناس التي استعصى فتحها؛ حيث يؤكد ذلك البيذق بقوله: " فخرج إليهم يدوس ويحوط فقتلهم جميعا... فغضب الخليفة غضبا شديدا .. . وخرج إلى مكناسة بعسكره وترك على فاس أبا بكر بن الجبر بمحلته من الموحدين...[2] ".

هذا ولما أعطى أبو بكر بن الجبر الأمان لأهل فاس وعدوه بتسليم المدينة، ولم يدرك يحي ين علي الصحراوي الأمر إلا والموحدون فوق أسوار المدينة، وكان ذلك بتاريخ 14 ذي القعدة سنة 540هـ/ أفريل 1146م[3]، ومن ثم صارت فاس تحت حكم الموحدين وأما يحي بن علي الصحراوي المرابطي فقد فر إلى طنجة، ثم أجاز إلى الأندلس حيث يوجد يحي بن علي المسوفي المعروف بابن غانية[4] الذي كان واليا على قرطبة، ووصل خبر فتح فاس إلى عبد المؤمن بن علي وهو يحاصر مكناسة مما جعله يسير نحو فاس؛ وعند دخوله إليها أعطى الأمان إلى أهلها وقتل من بقي بها من المرابطين[5]،وقام بهدم سور المدينة وقال عبد المؤمن: " إنما الأسوار سيوفنا[6]وعد لنا".

هذا وبعد أن قضى عبد المؤمن أربعة أيام في تنظيم شؤون مدينة فاس ولىّ عليها أبا عبد الله محمد بن يحيى الكدميوي [7] والجياني؛ وهذا الأخير يعود له الفضل في اخضاعه للمدينة، فقد غادرها عبد المؤمن في جموع من الموحدين إلى مكناسة، فعيّن على حصارها أبو زكرياء بن

---

[1]- البيذق: المصدر السابق ، ص 61-62.

[2]- نفسه ،ص 62.

[3]-الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولتين المرابطية والموحدية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري،ج 2، دار الكتابة، الدار البيضاء، 1954، ص 107.

[4]- يحي بن علي المسوفي المعروف بابن غانية: هو من أبناء علي بن يوسف المسوفي أحد ضباط جيش يوسف بن تاشفين، وقدكان يحيى بن علي المسوفي قائدا عظيما من قادة المرابطين وأكسبهم العديد من الانتصارا ت في الأندلس، أنظر: عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 203.

[5]- يقال عفا عبد المؤمن عن طائفة من المرابطين الذين ينتسبون الى ينتان بن عمر من قبيلة هنتاتة ويقال أن عبد المؤمن قال:" نهى المهدي عن قتل أولاد ينتان"، أنظر: البيذق: المصدر السابق،ص 73، وأنظر: مؤلف مجهول : الاستبصار، ص 149.

[6]- الحلل الموشية: ص 137.

[7]- الكدميوي: نسبة إلى كدميوة قبيلة مصمودية كبيرة تسكن جنوب مراكش، ولها 21 بطنا منها: بني بورد، بني كاير، بني كاسة، بني تابكا تيكسية...الخ، وأشهر قراها مزمير وأزكور ، أنظر: البيذق: ص 36.

يومور وانصرف نحو سلافتغلب عليها ودخلها [1]، ثم استولى عبد المؤمن على قصبة الرباط التي بناها تاشفين أمير المرابطين، وولى الشيخ عبد الواحد الشرقي[2] على سلا والرباط[3].

وواصل عبد المؤمن اخضاعه للبلاد فتحرك باتجاه مراكش آخر معاقل المرابطين وعاصمتهم ونزل بها الموحدون في أول محرم سنة 541هـ[4]، وقد اتخذ عبد المؤمن من جبل إيجليز الواقع غرب مراكش مركزا لقواته، وفي هذه الأثناء كانت مراكش تعج ببقايا الجيوش المرابطية التي كانت تقدر حوالي 5500 فارس وعدد لا بأس به من المشاة، والتي خرجت لملاقاة جيش الموحدين؛ واستمر القتال بين الطرفين حوالي أربعة أيام وفي اليوم الخامس لجأ عبد المؤمن إلى إعداد الكمائن؛ فعند خروج المرابطين للقتال قابلهم عدد قليل من جنود الموحدين، وما كاد يطلع الفجر حتى خرجت كمائن الموحدين وانقضت على المرابطين الذين انهزموا شر هزيمة وغنم الموحدون حوالي ثلاثة آلاف من خيول المرابطين [5]، واستمر الحصار على مراكش حتى لم يعد بإمكان أحد دخولها أو مغادرتها، وكان الجوع قد تمكن من سكانها واستفحل الأمر وفر عدد من الجنود، والتحقوا بصفوف الموحدين؛ ورغم هذا استمر الحصار حوالي تسعة أشهر ونصف.[6]

ومن العوامل التي ساعدت الموحدين في عملية الحصار أن أبا إسحاق إبراهيم ابن تاشفين كان صغير السن لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، ولم تكن له دراية بتسيير أمور الدولة بالإضافة إلى شعور العامة بأن انهيار دولة المرابطين أصبح أمرا محتوما خاصة أثناء حصار مراكش حيث توافدت الوفود على الموحدين معلنة الطاعة [7]، وقد قطع الموحدون علاقات المدينة بالخارج،

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ،مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر ،1991، ص18.

[2]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 136.

[3]- الرباط: هي مدينة يفصلها الوادي الذي يصب في المحيط عن سلا، به قصبة حصينة على شاطئ البحر ، وتجدها في بعض المصادر باسم رباط الفتح، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 112- 113 ،358،157.

[4]-ا ابن السماك العاملي :لحلل الموشية: ص 208.

[5]- ابن الأثير: المصدر السابق،ج10، ص 582.

[6]- أمبرسيو هويتي ميراندا: المرجع السابق، ص 131-132.

[7]- ابن خلدون: العبر،ج6،ص 232.

وقد نفذ الزاد ومات الناس جوعا وعندما شعر عبد المؤمن بأن المدينة أصبحت عاجزة عن الدفاع أمر جيشه باقتحامها بالسلاليم وكان دخول المدينة في يوم السبت 18 شوال 541هـ[1].

ويذكر لسان الدين بن الخطيب أن عبد المؤمن قام بأعمال لا تمت بأي صلة للإسلام، فيذكر أنه استباح المدينة – أي مراكش – لمدة ثلاثة أيام ولم يسلم إلا من اختبأ [2]، في حين لا تذكر معظم المصادر ما ذكره ابن الخطيب؛ وإنما تذكر أن عبد المؤمن كان يتصف بالخصال الحميدة فأعلن عفوه عن أهل المدينة[3].

أما فيما يتعلق بآخر أمراء الدولة المرابطية أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين لجأ إلى قصر الحجر[4]وظل يقاوم دون استسلام إلا أنه ضعف وتم أسره وأخذ إلى عبد المؤمن في محلته بجبل إيجليز، فلما رآه عبد المؤمن أشفق على حاله بعد أن استعطفه أبو إسحاق السلطان الصغير السن فقال عبد المؤمن لأبي الحسن بن واجاج[5]:" أترك هؤلاء الصبيان، ماذا تجني من وراء قتلهم."[6] لكن لكن أبو الحسن بن واجاج لم يوافقه الرأي وصاح قائلا:" ارتد علينا عبد المؤمن، يريد أن يربي علينا فراخ اسبوعة"[7] فاشتد غضب عبد المؤمن وغادر المكان واقتاد أبو الحسن أبو إسحاق إبراهيم وقتله[8].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص189.

[2]- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص 192.

[3]- يذكر ابن خلدون أن مراكش لم تسقط في أيدي الموحدين إلا بعد موقعة عنيفة وأن عبد المؤمن عفا عن أهل المدينة ولم يذكر أي شيء عن استباحتها لمدة ثلاثة أيام، أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص 232.

[4]- قصر الحجر: القصبة الداخلية وهي قلعة حصينة داخل مراكش، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 138.

[5]- الحسن بن واجاج: وهو من أهل الخمسين وأحد المكلفين بقتل أفراد المرابطين الذين يأمر الخليفة عبد المؤمن بقتلهم، أنظر: نفسه، ص 138.

[6]- نفسه، ص 138-139.

[7]- معمر الهادي، محمد القرقوطي: المرجع السابق،ص 66.

[8]- ورد في بعض المصادر والمراجع أن أبو الحسن بعد أن قتل أبو إسحاق إبراهيم اقتاد خادمه أو وصيفه ليقتله لكن هذا الأخير كان أذكى منه إذ طلب منه فك وثاقه لما فعل أبو الحسن قام الخادم بطعنه فقتله وبذلك ثأر لنفسه ولسيده، أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6،ص 233.

وبعد مقتل أبو إسحاق إبراهيم زالت الدولة المرابطية وانقرضت، وحلت محلها الدولة الموحدية التي وصفت في بعض المصادر أنها دولة العدل والحق فيقول ابن جبير:"... لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان..." [1].

وبعد أن فتح الموحدون مراكش اتخذوها عاصمة لهم، وكانت تينملل العاصمة الأولى للموحدين؛ وخلال فترة دامت سبع سنوات امتدت من 534هـ/1141م إلى 541هـ/1147م أظهر عبد المؤمن براعة وشجاعة في فن الحرب استطاع من خلالها القضاء على دولة وقيام دولة أخرى مكانها[2]، فعلى الرغم من كل ما قدمه المرابطون من مقاومة فإن الموحدين كانوا هم المنتصرين في أغلب المواجهات[3]حتى انتهت المواجهة بسقوط الدولة المرابطية وقيام الدولة الموحدية.

بعد أن اطمأن عبد المؤمن على أن الدولة المرابطية قد انقرضت ولم يعد لها وجود وأن الدولة الموحدية في أمان رأى أن يمد سلطته على بقية بلاد المغرب، ووجه نظره هذه المرة إلى بجاية عاصمة بني حماد، وأن عبد المؤمن لما أراد غزو بني حماد استشار خاصته ووزراءه فوافقوه الرأي ولكن جعل ذلك سرا؛ إذ أوهم الرعية بأن وجهته الأندلس ذلك أنه احتشد قبائل الموحدين من جبالهم وخرج من مراكش سنة 546هـ/ 1151م مظهرا للناس غزو الروم بالأندلس،لكنه لم يصل إليها وإنما توقف بسلا فبقي بها شهرين ثم واصل المسير إلى سبتة ،حيث استدعى عمّال إشبيلية وأنظارها واستوضح مسائلهم، ثم رحل منها عائدا إلى مراكش وأشاع ذلك بين الناس وكان في نفسه قصد بجاية وبلاد إفريقية، ثم أمر عامله على تلمسان بمنع التجار إلى التحرك نحو بجاية وإفريقية حتى لا ينتشر الخبر، ثم أعد عدته وتحرك نحو بجاية ولم يشعر به ابن حماد صاحب بجاية المعروف بالعزيز حتى جاءه بالخبر عامله على الجزائرعدما خرج منها ودخلها الموحدون، ومن ثم علم بالأمر أبو عبد الله بن ميمون المعروف بان حمدون وكان بينه وبين عبد المؤمن عهد ففتح له

---

[1]- محمد بن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1980، ص55.

[2]- Rachid Bourouiba : Abdelmoumene ,Ministre de l'information et de la culture, Alger, 1976,p21.

[3]- عقيلة غناي: قيام الدولة الموحدية، منشورات جامعة فاريونس ،بنغازي، 1998،ص 287.

باب مدينة بجاية[1] سنة 547هـ/ 1152م[2]،ثم دخل الموحدون قلعة بني حماد وأضرموا بها النيران وخربوها وقتلوا بها حوالي 18 ألفا من سكانها وغنموا وسبوا [3]، ومن ثم بعد أن كانت بجاية في يدي يحي بن العزيز[4] أصبحت في يدي الموحدين وسلطتهم.

وفي عام 553هـ هاجم الموحدون المهدية [5]؛ وعملوا على تصفية الإمارات العربية التي خرجت على بني زيري واستولوا عليها فخضعت لهم كل إفريقية[6]، وذلك بعد أن دامت مسيرتهم نحوها حوالي ستة أشهر بالاعتماد على جيش بلغ عدده تقريبا 75 ألف رجل، وبمساهمة أسطول بحري يحتوي على سبعين سفينة فخضعت له بعد المهدية،تونس، ثم القيروان [7] فصفاقص[8]، فسوسة[9]، وطرابلس وقابس[1]،فما إن حلت سنة 555هـ/ 1160م حتى كان عبد المؤمن بن علي علي قد استولى على كامل بلاد إفريقية[2].

---

[1]- عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات: المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي،ط 1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994، ص 72-73.

[2]- علي بن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص194.

[3]- الناصري: الإستقصاء،ج1، ص259.

[4]- تضاربت الآراء في المصادر حول يحي بن العزيز فذكر علي بن أبي زرع الفاسي أنه طلب الأمان وبايع عبد المؤمن وذكر الناصري صاحب الإستقصاء أنه ركب البحر في أسطولين وحمل ذخيرته وأمواله وعزم على المسير إلى مصر والأرجح ما أورده علي بن أبي زرع الفاسي لأن مجمل المصادر تتفق معه، أنظر: الناصري: الإستقصاء،ج 1، ص259 ، و أنظر أيضا:علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص194.

[5]- هاجم عبد المؤمن المهدية لاسترجاعها من يد النورمنديين بعد استنجاد أهلها به، وتمكن من استرجاعها في عاشوراء 555هـ/ 1160م، أنظر: أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ط2، الدار التونسية للنشر، 1976، ص 180.

[6]- محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 50.

[7]- القيروان: مدينة تبعد عن المهدية مرحلتين تقع شمال قفصة ويقول عنها الإدريسي أم الأمصار وقاعدة الأقطار أكثرها بشرا وأيسرها أموالا وأتقنها بناءا وهي أول مدينة إسلامية في بلاد المغرب، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق،ص 281، وأنظر كذلك: الاستبصار: ص 113-114.

[8]- صفاقص: مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة ولها سور من حجارة وأبواب عليها صفائح من حديد ويصطاد بها السمك ومنها إلى المهدية مسافة مرحلتين، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق ، مج1، ص 280-281.

[9]- سوسة: مدينة ضمن أرض إفريقية تفصل بينها وبين حصن هرقيلة 18 ميلا كثيرة المتاجر وبها أسواق ولها سور من حجر حصين، أنظر: نفس المصدر.

أ-3- دراسة مقارنة:

مقارنة التأسيس:

لا يمكننا أن نتطرق إلى المقارنة في تأسيس الدولتين دون أن نقارن ما بين العوامل والظروف المساعدة على ذلك ببلاد المغرب.

- الجانب السياسي:

إن ما أوردته المصادر والمراجع التاريخية توضح لنا أن الظروف والعوامل السياسية المساهمة في تأسيس الدولتين مختلفة ومتباينة في أكثر النقاط من الجانب الموضوعي، فإذا كان المغرب الأقصى يشكل نقطة توافق بين الدولتين من حيث انبعاث النواة الأولى لكل منهما فإن المغرب الأقصى الذي انبعثت منه نواة تأسيس الدولة المرابطية ليس هو نفسه المغرب الأقصى الذي منه انبعثت نواة تأسيس الدولة الموحدية. فالمغرب الأقصى [3] في أثناء تفكير المرابطين في إقامة دولتهم الصنهاجية كان يعرف الغياب التام للسلطة السياسية والحربية، تعيش به إما قبائل قوية بالجبال ممتنعين بمعاقلهم اعتزازا بأصولهم كالمصامدة [4]، وإما إمارات بدوية كونتها قبائل زناتية متناحرة فيما بينها ومن أشهرها إمارة بني خزرون بسجلماسة[5]، إمارة قبائل مغراوة بفاس وأغمات[6]، إمارة بني

---

[1]- قابس: مدينة عامرة تحف نواحيها بالغابات تشتهر بالفواكه والزيتون والزيت بينها وبين البحر ستة أميال لها سور منيع ، أنظر: نفس المصدر.

[2]- أنيسة بركات درار: شخصية عبد المؤمن أمير وسراج الموحدين، محاضرة من الكتاب الخاص بأعمال الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري والدولة الموحدية ، أيام 03-04-05-06 نوفمبر 1998، الجمعية الموحدية، ندرومة، تلمسان، الجزائر،ص 15.

[3]- إختار المرابطون المغرب الأقصى قاعدة لبعث دعائم دولتهم لأن المغرب الأدنى أو إفريقية كان تحت سلطة سياسية حربية تمثلها الدولة الزيرية، وشرق المغرب الأوسط كانت الدولة الحمادية تمثل سلطته السياسية. أنظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 162- 184.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 299.

[5]- إمارة بني خزرون: زحف خزرون بن فلفول إلى سجلماسة سنة 367 هـ فقتل صاحبها المنتصر أخو المعتز من أعقاب آل مدرار بمساعدة جموع مغراوة وبرز إليه المعتز فهزمه خزرون واستولى على مدينة سجلماسة ومحا دولة آل مدرار وأقام بها الدعوة للمؤيد هشام بالأندلس. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 50- 51.

[6]- إمارة قبائل مغراوة: هم أمراء أغمات آخر دولة بني زيري بفاس ولقوط بن يوسف بن علي آخر ملوكهم قضى عليهم المرابطون سنة 450 هـ. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 62.

يفرن بسلا وتادلا [1]، إمارة أزداجة[2] بنكور، وغيرها من الإمارات المتفرقة [3] هذا الأمر جعل المغرب الأقصى أرضا خصبة لبث دعائم سلطة سياسية وحربية جديدة توحد القبائل الصنهاجية وتهادن المصامدة وتقضي على عداء الزناتيين[4].

أما أثناء قيام الدولة الموحدية فالمغرب الأقصى كان يعرف نوعا من الوحدة السياسية تمثلها سلطة المرابطين مما شكل صعوبة في وجه قيام هذه الدولة فالموحدون ظهروا على شكل حركة مناوئة لحكم المرابطين وواجهوا مصاعب شتى في بسط سلطانهم على بلاد المغرب، فحروبهم لم تكن ضد قبائل متفرقة أو إمارات بدوية بل ضد دولة بكيانها السياسي والعسكري [5] وهذه نقطة إختلاف واضحة جدا بين ظروف قيام الدولتين.

رغم الإختلاف الذي حددناه إلا أن هذا لا ينفي وجود ظروف سياسية أحاطت بالدولة المرابطية خدمت إلى حد كبير الطموح السياسي في الدعوة الموحدية منها إعتماد علي بن يوسف بن تاشفين في تسيير أمور الدولة على الفقهاء وحكام الأقاليم واستبداد ولاة الأقاليم في ممارسة الحكم على الرعية [6]، وكذلك سيطرة الفقهاء على هياكل الدولة وتدخلهم في أمور السياسة [7]، إضافة إلى انفراد قبائل صنهاجة بالمناصب خاصة لمتونة دون غيرها من القبائل[8]، وإنتشار الفوضى

---

[1]- إمارة بني يفرن: تفرقت جماعة بني يفرن بعد مطاردة الفاطميين لها وذهب ملكهم فلم يجتمعوا إلا بعد حسن علي ابنه بدوي بن يعلى بالمغرب ولحق بعضهم بالأندلس، وبعد مدة عادت على يد يعلى بفاس ثم استقرت بسلا. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 25- 26، ص 62.

[2]- أزداجة: ويعرفون أيضا وزداجة من بطون البرانس والعديد من النسابة يعدونهم من بطون زناتة، ويقال أزداجة من زناتة ووزداجة من هواي وأنهما بطنان متفرقان وكان لهم وفور وكثرة، وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط بناحية وهران ولكن زحفت من أحواز وهران واكتسحت نكور وأقامت بها إمارة. أنظر: تاريخ المغرب، تحسين وتركيب، ص 160. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 190-191.

[3]- محمد القبلي واخرون:المرجع السابق، ص 161.

[4]- كانت أوطان صنهاجة وزناتة متجاورة مختلفة والعداء بينهما قديم. أنظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 81.

[5]- يوضح ابن السماك العاملي في كتابه الحلل الموشية مدى قوة كيان الدولة المرابطية انظر ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص 158-153

[6]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 177. ابن عماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 4، ص 11.

[7]- محمود حسن أحمد: قيام دولة المرابطين، ص 372. عبد الله علي علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، ط 1، دار المعرفة، القاهرة، 1964، ص 17.

[8]- روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي،(د.ط)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 13.

الفوضى وإضعاف أجهزة الدولة خاصة بعد تدخل نساء أكابر رجال المرابطين في الحكم وتوظيف الأشرار وقطاع الطرق لتنفيذ مصالحهن السياسية [1]، مما جعل أفراد الرعية يتوقون لوجود شخص يتحدى سلطان المرابطين[2] هذه الظروف والأحوال التي كانت تمر بها الدولة المرابطية خدمت إلى حد بعيد أهداف حركة الموحدين في بعث نواة دولتهم.

الجانب الإقتصادي والإجتماعي:

أحاطت بكلا الدولتين ظروف إقتصادية واجتماعية ساهمت في قيامهما فبالنسبة للدولة المرابطية فقد ساد المنطقة اضطراب الأوضاع الإقتصادية بسبب التنافر بين مناطق السهول ومناطق الرعي، وعدم إستطاعت الزناتيين حماية أهل السهول من غارات البدو، وقد كانت قبائل زناتة تقوم هي أحيانا بالإغارة على أهل السهول [3]، إضافة إلى أن زناتة فرضت الإتاوات الجائرة على تجار سجلماسة وعلى غيرهم من التجار خاصة بعد أن نازعتها قبائل الملثمين على الطريق التجاري المار بالمحيط الأطلسي والذي يمر بديار جدالة ولمتونة فانتزعوه منها [4]. هذا إضافة إلى أن قبيلة لمطة[5] قد بسطت نفوذها على المنطقة الممتدة من جبال درن حتى وادي نون، وأنشأت مدينة مدينة نول لمطة[6] التي أصبحت من أهم المراكز التجارية في غرب إفريقيا[7].

هذا التدهور الإقتصادي كان سببا في تردي الأوضاع الإجتماعية حيث إشتد الغلاء في البلاد، وانقطعت المواد، وكثر الخوف، وانتشر الجوع، كما انتشر قطاع الطرق، والإستيلاء على

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 177.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 73.

[3]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 87- 89.

[4]- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص 286.

[5]- لمطة: هي أخت لقبيلة صنهاجة وهي وصنهاجة لا يعرف لهما أب وأمهم تاصحي العرجاء، ولمطة أكثرهم مجاورون للملثمين من صنهاجة وأكثرهم ظواعن أهل وبر، ومنهم الفقيه وجاج بن زللو اللمطي صاحب أبي عمران الفاسي وشيخ عبد الله بن ياسين. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 270.

[6]- نول لمطة: عن بلاد السوس الأقصى بالمغرب بينهما وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام، وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة، ومنها جزولة ولمطة، ومدينة نول إحدى مدن الاسلام وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط وعليه قبائل لمطة ولمتونة. أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 584.

[7]- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص 28.

أموال التجارة بالقوة، والإغارة على المنازل والبيوت، وانتشرت في الناس العادات السيئة كالسرقة والتعدي على الأصول والسلب والنهب[1].

هذه الظروف كانت سببا في بعث أساس الدولة المرابطية ذلك أن طبقات مجتمع المغرب الأقصى كانت تتوق لإيجاد سلطة سياسية قوية لها مبادئ توحد بها طبقات المجتمع، لها قوة تكسر بها الظلم والتعدي وكل العادات السيئة، وتقوم بحفظ الأمن والإستقرار، وتعمل على حماية أهل السهول من غارات البدو والتجار من قطاع الطرق وباقي الناس من بعضها البعض.

أما الدولة الموحدية فهي الأخرى كانت الظروف الاجتماعية والإقتصادية المحيطة آنذاك بالمجتمع المرابطي سببا قويا خدم قيام الدولة الموحدية، وتكاد جميع المصادر والمراجع تفيدنا أنه تدهورت الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية في أواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين نظرا لتدهور الأوضاع السياسية إلا أن هذا التدهور أثر بشكل كبير على الطبقة العامة.

ففي أواسط عهد علي بن يوسف بن تاشفين انحط المستوى المعيشي عند المرابطين حيث ارتفعت الأسعار وتكاليف المعيشة نتيجة الأزمات الإقتصادية والإضرابات السياسية مما أدى إلى ارتفاع قيمة الضرائب الشيء الذي أدى بدوره إلى ارتفاع الأسعار[2].

وكثيرا ما حاولت السلطة المرابطية تحديد الأسعار خاصة في بعض السلع الأساسية إلا أن هذا لم يجد نفعا لأنه غالبا ما كان بعض التجار إذا ما حدد سعر السلع يقفلون مخازنهم ويحتكرون سلعهم فترتفع الأسعار وتجبر السلطات إلى التراجع عن قرارها، كما كانت القدرة الشرائية للطبقة العامة ضعيفة جدا بسبب الأجور الزهيدة[3].

فقد كانت الطبقة العامة في المجتمع المرابطي أهم طبقة منتجة إلا أنها كانت وضعية اجتماعية منحطة وظلت عرضة للإستغلال الجبائي والأوبئة والمجاعات والحروب خاصة ومدخولها لم يكن ليسد أبسط مستلزمات الحياة[4].

---

[1]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 88.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ،2000، ص 210- 212.

[3]- نفسه، ص 215.

[4]- نفسه، ص 210.

وكانت أيضا القبائل بالبوادي تتأثر بالأزمات وسوء الأوضاع الإقتصادية بحيث كان شيوخ وأعيان القبائل ووجهائها لهم علاقة بالبلاط المرابطي وهم المكلفون بجمع الضرائب من أفراد قبائلهم وتقديمها للبلاط مما يسمح لهم بالإستفادة من غنائم الحروب دون غيرهم من أهل البوادي فنشأت من ذلك فوارق اجتماعية داخل البوادي جعلت بعض الأفراد في بعض القبائل يفقدون حقوقهم داخل قبيلتهم[1].

ولم تتمكن الطبقة العامة من كتمان موقفها العدائي اتجاه الأمراء والأعيان والوجهاء والفقهاء، كما أنها لم تتمكن من التصريح بموقفها بشكل واضح إلا في أشكال حركات معارضة قليلة مثل ثورةقرطبة[2]، وثورة غمارة[3] التي قادها رجل عرف باسم ابن الزنر ولم تفدنا المصادر التي بين أيدينا حولها سوى إشارات خفيفة.

وفي بعض الأحيان عبرت عن مواقفها من خلال الأمثلة الشعبية أو من خلال خطاب الكرامات الصوفية[4] حيث جاءت معظم هذه الخطابات تنتقد الأمراء والسلطة المرابطية وتصور بدقة تعاسة وفقر الطبقة العامة[5].

هذه الظروف خدمت الدعوة الموحدية بشكل كبير في تقديم النظام المرابطي على أنه جهاز مستبد بالرعية ومستغل لها وفاسد مما جعلها تلقى تجاوبا عند المجتمع المرابطي الذي لم يكن راضيا بظروفه الاجتماعية والإقتصادية.

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق، ص 228- 229.

[2]- ثورة قرطبة: سياتي التفصيل فيها في الفصل الاخير وقد تناولتها عدة مصادر ومراجع بالتفصيل منها ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص151

[3]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج4، ص 58.

[4]- الكرامات الصوفية: خطابها يتمثل في شكل من اشكال الباطن الصوفي لا تخلو من الابداع والاضافة والزيادة وهي احدى المناقب الصوفية .انظر مشري بن خليفة ،فايزة زيتوني :الكرامة الصوفية من الشفوية الى الكتابة —كتاب البستان لصاحبه ابن مريم الشريف المليني — عينة ،مجلة الاداب واللغات ،الأثر ،ع7،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ،الجزائر ،ماي 2008،ص 11-15.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش: الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين والموحدين – ندوة مساهمة في دراسةالفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية –، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، 1999، ص 88.

الجانب الفكري والثقافي:

توافقت الظروف الفكرية والثقافية التي خدمت الدولتين في بداية النشأة فعلى الرغم من نشأة الدعوة المرابطية في جو جهل وضلال بديار القبائل الصنهاجية " جدالة ولمتونة " ثم رباط السنغال و انتقالهم إلى جهاد القبائل المنحرفة عن الإسلام، فبلاد المغرب بوجه عام كان يزخر بالعلوم والعلماء ولعل رباط وجاج بن يزللو اللمطي خير دليل على ذلك وغيره العلماء الذين نهلوا من منابع القيروان والأندلس والمشرق، وقد كانت مدرسة فاس أكثر مدارس المغرب الأقصى تفوقا وتجويدا وكان يقصدها الناس من كل حدب [1] والدليل على ذلك العلماء والفقهاء الذين تتلمذوا على يده في فاس[2]، وقد زادت شهرة فاس خاصة بعد إضراب أمر قرطبة والقيروان، كما انتش.رت أيضا بعض المدارس بدكالة [3] وأصيلا[4] وسبتة وطنجة وأغمات وريكة [5]، وقد كانت بسجلماسة مدرسة من أشهر مدارس قواعد فقهمالك ومن أشهر علمائها آنذاك الفقيه أبو عبد الله مروان بن عبد الملك بن كنون، وأما تلمسان فقد كانت دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك[6].

---

[1]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 105.

[2]- مجهول، بيوتات فاس، ص 28.

[3]- دكالة: لايعرف للفظ معنى ولا يذكر متى بدا استعماله ،فابن قنفذ الذي زار المنطقة سنة 769هـ استعمل اللفظ ،وذكلر ان القليل من سكانها يتكلم العربية فلعله لفظ بربري عرف تحويرا كما حصل لعدد من الاسماء ،وعلى كل حال فلم يكن اسم دكالة يطلق على القبائل قبل الاسلام ولم يرد حسب الاسماء التي ذكرها المؤرخون الاغريق والرومان ،ولم يذكر البكري الاسم وجعل ابن خلدون المنطقة الى حدود اسفي تابعة لبرغواطة ،في حين جعل البعض امتداد بلاد تامسنا يشمل مايعرف بارض دكالة وعبدة ،وذكر الادرسي وابن خلدون ان قبائل المنطقة عرفت انتشارا يفوق بكثير قبائل دكالة في الفترة الحديثة والمعاصرة .انظر:أحمد شربوب :دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة اخلاء اسفي وازمور –قبل 28 غشت 1481- اكتوبر 1541 ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب ،1984،ص 46

[4]- أصيلا: وترسم في بعض المراجع اصيلة وهي في الاصل مدينة زليس القديمة موقعها في الجنوب الغربي من طنجة بالمغرب الاقصى ، وكان لها اهمية كبيرة في عصر الرومان ،وعرفت قديما ببصرة المغرب ،وتعرف عند الافرنج باسم Arzilaارزيلة او Azilaازيلة .انظر: أمين واصف :الفهرست – معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية ،مر :أحمد زكي ،ط 1،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة، مصر ،2014،ص13.

[5]- وريكة: هي نفسها مدينة اغمات عند الادريسي ويسميها اغمات وريكة ، وهي تقع اسفل جبل درن بالمغر الأقصى من جهة الشمال في فحص افيح طيب التراب كثير النبات والاعشاب والماه تخترقه يمينا وشمالا .انظر الادريسي :المصدر السابق ج 1،ص 231

[6]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 105- 106.

والجو العلمي والفكري المالكي الذي كان منتشرا ببلاد المغرب ساعد إلى حد بعيد إنتشار الدعوة المرابطية ومؤازرتها وبعث نواة دولة جديدة في بلاد المغرب بمباركة علماء وفقهاء ذلك العصر ولم تلق أية معارضة من العلماء أو الفقهاء.

والدعوة الموحدية هي الأخرى نشأت في ظروف فكرية ثقافية مزدهرة فجميع المصادر والمراجع تتفق على أن الحقبة المرابطية ببلاد المغرب كانت تزخر بالعلوم والعلماء ومختلف أنواع المراكز الفكرية[1]، أي أن بلاد المغرب في المرحلتين كانت تحيط به ظروف فكرية وثقافية حسنة لكن في فترة ظهور المرابطين كانت هذه الظروف الفكرية والثقافية دون رعاية سلطة مركزية. أما في فترة ظهور الموحدين كانت الظروف الفكرية والثقافية برعاية سلطة مركزية وهي سلطة المرابطين [2] التي تجلت في أمر الحاكم المرابطي بإحراق كتاب" إحياء علوم الدين للغزالي" بناءا على فتوى فقهاء البلاط هذا الحدث قد لقي معارضة من فقهاء وعلماء آخرين خارج البلاط المرابطي، مما جعل الدعوة الموحدية تندد بالموقف الفكري للنظام المرابطي وأنه نظام يخضع لسلطة الفقهاء ذوي التعصب الديني وشنت هذه الدعوة حملة فكرية ضدهم، فلقيت تجاوبا من بعض العلماء والطلبة خاصة بفاس ممن عارضوا فكرة الإحراق[3].

ومن ثم فقد انقسمت طبقة العلماء في فترة ظهور الموحدين إلى قسمين: قسم من العلماء ضمن البلاط، وقسم معارض للبلاط ولقراراته وهذا القسم هو الذي رحب بالدعوة الموحدية لأنهم كانوا يحملون حقدا على النظام المرابطي وفقهاء وعلماء البلاط.

فرغم أن ظروف قيام الدولتين في الجانب الفكري والثقافي كان مزدهرا إلا أن نقطة الإختلاف التي تسجل بينهما أنه في فترة ظهور المرابطين كان هذا الازدهار الفكري والثقافي لا يخضع لأي سلطة ولا يحمل مرجعية إسلامية مختلفة عن مرجعية المرابطين، بينما في فترة ظهور الموحدين كان الإزدهار الفكري والثقافي خاضع لسلطة مركزية متمثلة في البلاط المرابطي والذي يحمل مرجعية إسلامية تختلف تماما عن مرجعية الموحدين مما أدى إلى إعتبار الدعوة الموحدية حركة

[1]- سيتم التعرض بالتفصيل للحياة الثقافية والفكرية في فصل انعكاسات نظام الحكم المرابطي.

[2]- سيتم التعرض بالتفصيل لقضية إحراق كتاب" إحياء علوم الدين" في فصل انعكاسات نظام الحكم المرابطي.

[3]- حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 141.

مناوئة وإعتبرها القسم المعارض من العلماء للبلاط المرابطي حركة دينية إصلاحية تقف ضد التعصب الديني.

هذا وإن فكرة قيام الدولتين رغم الأجواء الفكرية المزدهرة التي وصفناها آنفا ببلاد المغرب أثناء قيام الدولتين إلا أن فكرة قيام دولة عند كل من المرابطين والموحدين نشأت في أجواء بدوية قبلية، حيث نشأت فكرة المرابطين بديار قبائل صنهاجة(جدالة– لمتونة) وبرباط حوض السنغال أي وسط جو جهل وضلال، ثم خرجت الفكرة إلى الجو الفكري المزدهر وترعرعت فيه ولسنا ندري إذا ما تتوافق أو تختلف الدولة الموحدية معها في هذه النقطة إلا إذا عرفنا صاحب فكرة إقامة دولة مناهضة للمرابطين.

أما بالنسبة لما يسجل من نقاط توافق وإختلاف بين كل من يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي في بناء الدولتين فيمكن القول أنه كان هدف كل واحد منهما الرياسة والملك وبناء الدولة، مما جعلهما يواجهان صعوبات كبيرة في تحقيق ذلك وهي ليست بجديدة بل مألوفة لكل من يسلك الطريق للملك وقد عبر عنها ابن خلدون في مقدمته بالتعبير التالي:«... إلى سياستهم بما يريده منهم من الإنقياد له والرضا بمقاصده منهم وإنفراده بالمجد دونهم، فيتحمل من ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب...»[1] وتعتبر هذه الصعوبات نقطة توافق بين الطرفين.

هذا ومن نقاط التوافق أيضا التي تسجل بين الطرفين هو إخضاع مدينة فاس بحيث يعتبر هذا الحدث عند كليهما إنجاز تم التخطيط له وذلك لما لهذه المدينة من أهمية علمية وفكرية وإقتصادية، فقد خرج يوسف بن تاشفين لإخضاع فاس إلى سلطته بجيش قوامه مائة ألف فارس على حد تعبير ابن الخطيب في قوله:«... اتخذ الملك وجند الأجناد واستكثر القواد واتخذ الطبول والبنود والرماة الروم وزحف إلى أحواز فاس»[2]، وعبد المؤمن بن علي اهتم بفاس هو الآخر بحيث قضى في حصارها حوالي تسعة أشهر ولم يتراجع حتى تمكن من إخضاعها لطاعته[3].

ومن نقاط التوافق أيضا بين الطرفين في بناء الدولتين المرابطية والموحدية إهتمام كل واحد منهما بإخضاع القبائل والمناطق إلى سلطانيهما والتشييد والبناء في نفس الوقت، بحيث نجد

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص 243.

[2]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 235.

[3]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 73- 74.

يوسف بن تاشفين مباشرة بعد إخضاع فاس في نفس السنة(463هـ/ 1170م) يأمر ببناء المساجد بها وإصلاح الأسواق وإقامة الحمامات والفنادق [1]، ونجد عبد المؤمن بن علي هو الآخر في أوج إنشغاله بإخضاع القبائل ومحاولة القضاء على سلطان المرابطين يشيد مسجد تازا ثم سورها ثم رباطها مباشرة عقب إخضاعها سنة 527هـ/ 1234م[2]، ثم بناء مسجد قصر الحجر بمراكش في نفس سنة إخضاعها سنة 541هـ/ 1248 م، ومسجد تنملل سنة 543هـ/ 1250م[3]، وغيرها من المباني مما يدل على أن كل واحد منهما يحمل بداخله مزايا القائد العسكري والرجل السياسي وولي الأمر الذي يهتم بشؤون الرعية من بناء وتشييد مما يدل على اهتمام كل واحد منهما ببث معالم استقرار دولته على حد تعبير ابن خلدون:«... أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها... فالدولة دون عمران لا تتصور، والعمران دون دولة والملك متعذر...»[4].

ويعتبر الإهتمام بالتعليم نقطة يتوافق فيها الطرفان بحيث سعى كل منهما إلى تكوين مجتمع متعلم في دولته، فقد عمد يوسف ابن تاشفين إلى إرسال الشيوخ والفقهاء إلى منازل القبائل لتعليم الناس القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية[5]، وعمم عبد المؤمن بن علي التعليم في جميع أنحاء دولته بالمدن والقرى والجبال والسهول وجعله إجباري ومجاني، وبذلك يعد أول حاكم في بلاد المغرب عمم التعليم بصفة إجبارية مجانية[6].

هذا ويعتبر أيضا توزيع مهام المناصب الكبرى بالدولتين(كالنواب وولاة الأقاليم) من طرف كل من يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي نقطة توافق يشتركان فيها، بحيث لجأ كلاهما في توزيع هذه المناصب إلى المقربين من دائرتيهما، فيوسف بن تاشفين عهد بهذه المناصب إلى رؤساء القبائل الصنهاجية خاصة لمتونة ومسوفة وجدالة[7]، وعبد المؤمن بن علي هو الآخر عهد

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 141.

[2]- الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 98- 99.

[3]- عبد الله علي الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 374- 377.

[4]- ابن خلدون: المقدمة، ص 380- 381.

[5]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 29.

[6]- عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 291.

[7]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 29. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 142.

عهد بها إلى شيوخ الموحدين وأبنائه والبعض الآخر كان من قبيلته كومية [1]، فنجد أن كليهما استسلم لنزعة العصبية القبلية وإنتهج قواعدها ليحصل له الملك وهذا شيء طبيعي مألوف لدى كل حاكم دولة يسعى إلى الإحتفاظ بالملك والرياسة وإصطناع الولاء له في دائرته كما جاء في مقدمة ابن خلدون:«... وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية...، فلا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة...»[2].

استعان الطرفان بالعنصر البشري الدخيل على بلاد المغرب في الجيش بحيث نجد يوسف بن تاشفين استعان بالرماة الروم وعبيد ال سودان في جيشه على حد تعبير ابن السماك العاملي حيث يقول:«... ولما كانت في سنة أربع وستين وأربعمائة قوي أمره، وعظمت شوكته، فاشترى جملة من عبيد السودان، وبعث إلى الأندلس فاشترى بها جملة من الأعلاج فأركبهم، وانتهى منهم عنده مائتان وخمسون فارسا شراء ماله ومن العبيد نحوا من الألفين فأركبهم الخيل، فغلظ حجابه وعظم ملكه»[3]. وقد أشار أيضا ابن خلدون إلى هذا في قوله:«... صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الإفرنج في جندهم»[4].

وسبق أن ذكرنا أن يوسف بن تاشفين استعمل الرماة الروم في زحفه إلى إخضاع فاس وقد فسر ابن خلدون هذا في قوله:«... والإفرنج لا يعرفون غير الثبات... لأن عادتهم في القتال الزحف فكانوا أقوم بذلك من غيرهم، مع أن الملوك في المغرب إنما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب والبربر، وقتالهم على الطاعة، وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من ممالأتهم على المسلمين...»[5].

وعبد المؤمن بن علي هو الآخر ضم إلى جيشه قبائل العرب التي كانت منتشرة بإفريقية، بحيث شكل عرب بني هلال عنصرا كبيرا من العناصر المحاربة في صفوف الموحدين [6]، وقد لجأ عبد المؤمن بن علي إلى الإستغاثة بعرب بني هلال بعد أن اتسعت نطاق الحروب بين دولته وبين

[1]- عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 263.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 145.

[3]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 73- 74.

[4]- ابن خلدون: المقدمة، ص 278.

[5]- نفسه ، ص 278- 279.

[6]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 110.

النصارى، ولم تعد القبائل المغربية مصدرا كافيا لتزويد الجيوش بالأعداد المطلوبة من الجند خاصة وأنه لمس في العرب الهلالية قوة المراس ورباطة الجأش [1]، وهذا ما يدل على أن عبد المؤمن كان يتصف بحنكة سياسية عسكرية تؤهله لمنصب الحاكم حسب ابن خلدون الذي أشار إلى ذلك في قوله:«...أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشيعة من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف...»[2].

وأما نقاط الإختلاف التي تسجل بين الطرفين فهي قليلة ويمكن حصرها في أن يوسف بن تاشفين حين توليه قيادة المرابطين سنة 463هـ/ 1017م كان قد ورث عدة إنجازات سياسية عن سابقيه بحيث كانت سجلماسة قاعدة جنوبية للمرابطين منذ أيام حكم أبو بكر بن عمر، وكانت مراكش المكان الذي تم الإتفاق بشأن جعله مركز الدولة ومنبت إنبعاث دعائم تأسيسها [3]، بينما عبد المؤمن بن علي فقد اعتمد على نفسه في التخطيط لبعث دعائم دولته فبدأ بالإستيلاء على الحصون المرابطية من السوس إلى مراكش قبل سنة 533هـ/ 1139م، فما إن دخلت السنة المذكورة حتى بدأ التصادم بينه وبين المرابطين وذلك لأن عبد المؤمن بن علي استخدم مقدرته وذكائه في الحرب باختيار الزمان والمكان المناسبين حسب ابن السماك العاملي في قوله:«... كان الموحدون يسيرون في الجبال المانعة حيث الأرزاق الواسعة وكان تاشفين ينزل البسائط...» [4]، وبالتالي فإن نقطة الإختلاف التي تسجل بين الطرفين أن يوسف بن تاشفين انطلق في بناء دولته من أرضية مهيأة لذلك، وأما عبد المؤمن بن علي فلم ينطلق من أرضية مهيأة وإنما عمد إلى إنشاء وتهيئة أرضية لبعث دعائم دولته.

سعى كل منهما إلى الحصول على بيعة القبائل البربرية الجبلية لأن هذا يدعم سلطانهما ببلاد المغرب، وقد تسجل هذه النقطة كنقطة توافق بين الطرفين لكن بشكل نسبي لأننا نسجلها كنقطة إختلاف من حيث الوسيلة التي استخدمها كل واحد منهما في الحصول على بيعة القبائل، فقد لجأ يوسف بن تاشفين إلى المهادنة وجعل الأموال وسيلة لذلك فالقبائل التي لم يتمكن من

[1]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 261.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 281.

[3]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 26.

[4]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص200.

الحد من تمردها على الدعوة المرابطية وصلها بالأموال التي كان يأخذها من القبائل الصنهاجية جباية والهدايا مما مكنه من أخذ البيعة من أشياخهم وعلى رأس هذه القبائل زناتة، غمارة، وجموع قبائل المصامدة[1]، بينما عبد المؤمن بن علي لم يكن ليصلهم بالأموال ولا ليهادنهم بل أرغمهم على الطاعة وجعل الحرب والإطاحة بالرؤوس وسيلته في ذلك، فقد كان يدعوهم إلى الدخول في طاعته فإذا استجابوا استعان بمالهم ورجالهم في حروبه، وإذا أعرضوا حاربهم وغنم أموالهم وأسر رجالهم وسبى نساءهم [2] وقد عمد إلى هذا حتى مع قبيلته كومية بتلمسان(تاجرا) بحيث أطاح برؤوس عشرة شيوخ قبائل زناتة بتاجرا [3]، والإختلاف الآخر الذي يسجل في هذه النقطة هو أن يوسف بن تاشفين لم يلق تمردا من قبائل بني جلدته الصنهاجية، بينما عبد المؤمن بن علي لقي معارضة من قبائل بني جلدته الزناتية بتاجرا.

رغم توافقهما في السعي لإخضاع القبائل البربرية الجبلية وإختلافهما في الطريقة والوسيلة التي سعى من خلالها كل واحد منهما لتحقيق هدفه، إلا أنه في الأخير لا يمكننا الجزم إلا بأنهما توافقا في عدم خروجهما على تفكير الرجل الحاكم صاحب الدولة في استخدام الوسائل فكلا الوسيلتين سواء الوصال بالأموال والهدايا مثلما فعل يوسف بن تاشفين، أو الحرب والإخضاع بالإكراه مثلما فعل عبد المؤمن بن علي تعبر عن التفكير السليم لصاحب دولة يفكر في بناء دولته، وتعبر عن الحنكة السياسية لكليهما وهذا على حد تعبير ابن خلدون في قوله:«... وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه: إما طوعا ببذل المال لهم، ثم يبذل لهم ما يحتاجون إليه من الضروريات في نصره فيستقيم عمرانهم، وإما كرها إن تمت قدرته على ذلك ولو بالتفريق بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقين فيضطر الباقون إلى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم...»[4].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 142. عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 29.

[2]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ص 116.

[3]- نفسه، ص 124.

[4]- ابن خلدون: المقدمة، ص 165.

من نقاط الإختلاف أيضا التي تسجل بين الطرفين هو أن يوسف بن تاشفين سعى للقضاء على سلطان الزناتيين في شرقي تلمسان، بينما عبد المؤمن بن علي كونه زناتي فقد اهتم بالقبائل الزناتية وأعاد لها مجدها وكرامتها وإعتبارها[1].

وتسجل نقطة إختلاف أخرى بين الطرفين تتمثل في أن مشكلة يوسف بن تاشفين العظمى التي واجهها في بداية حكمه هي تمرد بعض القبائل البربرية على الدعوة المرابطية، بينما مشكلة عبد المؤمن بن علي كانت أعظم بحيث تمثلت في محاولة إنشاء قوة سياسية وعسكرية في صورة مجموعة قبائل المصامدة، وإخضاع القبائل بالجبال لسلطانه، ومواجهة نظام حكم دولة بكيان سياسي وعسكري[2] وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن مهام يوسف بن تاشفين في بث دعائم دولته كانت أسهل من مهام عبد المؤمن بن علي.

وبالتالي فإنه يمكن القول أنه إن كان يوسف بن تاشفين قد بذل جهودا في بناء دولته فإن عبد المؤمن كان عليه بذل الجهود واتخاذ إستراتيجية سياسية وعسكرية معينة للإطاحة بنظام حكم وبث دعائم دولة ونظام حكم آخر.

ب- الأندلس:

لم يتوجه المرابطون والموحدون بنظرهم إلى بلاد الأندلس من ذات أنفسهم لكنهم لم يكونوا غافلين عنها في مسألة الجهاد، غير أن انشغالهم بأمور بلاد المغرب قد أخر توجههم إليها إلى حين إجتماع مجموعة من الظروف تطلبت تواجدهم بالأندلس وقد تمثلت هذه الظروف فيما يلي:

ب-1- ظروف دخول المرابطين إلى الأندلس:

تحدد لنا المصادر التاريخية عدة عوامل وأسباب لدخول المرابطين إلى الأندلس أو التي أدت بتوجه نظر المرابطين إلى الأندلس، وذلك بعد تردي أحوال الأندلس وضعف إماراتها وعجز

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 28. حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 49.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 97. حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 46.

ملوك الطوائف[1] عن رد الخطر عنها وذلك بعد إجتماع كلمة ملوك النصارى[2] على سحق الدولة الإسلامية في إسبانيا، وذلك خاصة بعد تمكنهم من الاستيلاء على طليطلة [3]، فقد كانت هذه الأخيرة إمارة مستقلة تمتد من وادي تاجة [4] إلى شمالي الوادي الكبير [5] بقليل، وتعد أكبر إمارات الطوائف مساحة وكانت بيدي بني ذي النون [6] منذ 429هـ/ 1073م الذين سلموها

---

[1] – ملوك الطوائف: هم الملوك الذين تقاسموا رقعة الأندلس بعد ذهاب أمر الخلافة الأموية سنة 426هـ/ 1031م، ومن أهم ملوك الطوائف بالأندلس بنو عباد أصحاب إشبيلية، وبنو جهور أصحاب قرطبة، بنو الأفطس أصحاب بطليوس، بنو هود أصحاب ألمرية، بنو زيري ابن زاوى أصحاب غرناطة، بنو ذي النون أصحاب طليطلة، وهناك بعض الإمارات التي سقطت عصر الطوائف على أيدي إمارات أخرى أو دول أخرى من دول الطوائف قبل دخول المرابطين إلى الأندلس مثل دولة بني برزال في قرمونة 404- 459هـ الموافق ل 1013- 1067م والتي سقطت على يد بني عباد ملوك إشبيلية. أنظر : عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 30، حمدي عبد المنعم ومحمد حسين: دراسات في التاريخ الأندلسي- دولة بني برزال في قرمونة(404- 459هـ/ 1093- 1067م)-، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1990، ص 85- 87.

[2] – ملوك النصارى: وهم مجموع ملوك وأمراء الممالك والإمارات النصرانية بإسبانيا، وهم فرديناند ملك قشتالة صار ب ع وفاة والده سانشو بـ مين ملكا على ليون وجليقة وأشتوريش وما إليها، أما إخوته الثلاثة فقد كانوا يحكمون ممالك صغيرة لا تكاد تعدل ثلث مملكته، حيث حكم جارسيا(غرسية) أكبر أولاد سانشو الوطن الأصلي نافارا من غرب البرنية إلى مصب الأبيرو(أبرة)، هذا وقد حكمراميرو ابن سانشو غير الشرعي مملكة أراغون، ثم توالت التغيرات من حين لآخر على هذه الممالك والإمارات. للمزيد من التفاصيل أنظر : يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، ج 1، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996، ص 23- 28، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر 2، قسم 1، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص 389- 391.

[3] – طليطلة(Toledo): بضم الطائين وفتح اللامين، وهي مدينة كبيرة من مدن الأندلس كانت قبل الفتح الإسلامي قاعدة الحكم القوطي لحصانتها وتوسطها شبه جزيرة إيبريا وموقعها على مقربة من مدريد، وما زالت تحوي بعض الآثار الإسلامية، وتعني كلمة طليطلة باللاتينية تولاطو أي " فرح ساكنوها". أنظر مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 38، وأنظر: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 121، كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية، ص 106، عيسىبن الذبيب: المرجع السابق(ماجستير)، ص 07.

[4] – وادي تاجة: هو نهر يشق طليطلة يخرج من بلاد الجلالقة ويصب في البحر الرومي، وهو نهر موصوف من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة بنتها ملوك سالفة وهي من البنيان الموصوف. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 127.

[5] – الوادي الكبير: هوالمسمى النهر الاعظم وهو نهر قرطبة انظر لسان الدين بن الخطيب :الاحاطة ،ج 4،ص 108

[6] – بنو ذي النون: من أصل بربري من قبائل هوارة، ويذكر محمد عبد الله عنان أن أصل لقبهم هو زنون، وتطور عبر مرور الزمن إلى اسمه المعروف أي ذي النون، وقد ظهروا منذ أيام الدولة الأموية، وكان جدهم ذو النون حاكما لحصن إقليش منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، كما يذكر لنا محمد عبد الله عنان نقلا عن ابن الخطيب أنه لم يكن لبني ذي النون رياسة ولا نباهة إلا في دولة =المنصور بن أبي عامر، فلما انقضت الدولة العامرية أحد أبناء بني ذي النون وهو عبد الرحمن ابن مطرف بن إسماعيل بن ذي النون لحق بالثغر واجتمع إليه بنو عمه،فمنحه سليمان الظافر حكم إقليش.أنظر : محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2،ق 1، ص 96، محمد حقي :البربر في الاندلس – دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح الى سقوط الخلافة الاموية (92هـ / 711م – 422هـ/ 1031م) ،المدارس للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،المغرب ،2001،ص 229-231.

لألفونسو السادس[1] ملك مملكة قشتالة[2] بعد أن احتال على أميرها يحي بن ذي النون الملقب بالقادر[3] بن ذي النون والذي تم إرساله إلى بلنسية[4] مع نفر من فرسانه وتنصيبه ملكا عليها تابعا لألفونسو السادس[5] لكن بعد فترة زمنية معينة تم خلعه عنها[6] و قد كانت هذه

---

[1] – ألفونسو السادس: هو ألفونسو ولد فرناندو الاول بن غارسيه بن سانشو (شانجة) وتسميه المصادر العربية أيضا الأذفونش، ويسميه ابن خلدون الفنش وخصه والده قبل وفاته بعد تقسيم مملكته بحكم ليون وأ شتريش مع الجزية التي تدفعها طليطلة سنة 1065م ، وحقوق الجزية على مملكة طليطلة، في سنة 1072م وجه سانشو الثاني حملة ثانية ضد اخيه الفونسو السادس فتغلب عليه وضم مملكة ليون لاملاكه ونفاه الى طليطلة ،لكن بموت اخيه استرد الفونسو السادس مملكة ليون كما ورث مملكة قشتالة ،و يعتبر عهده أزهى عصور مملكته استطاع التدخل في شؤون الأندلسيين المسلمين وتمكن من اتخاذهم كعملاء أمثال ابن هود وابن مردنيش، تمكن من احتلال العديد من أراضي المسلمين في الأندلس أهمها ألمرية هلك بطليطلة في ذي الحجة سنة 502 هـ دام ملكه حوالي خمسون سنة . أنظر: ابن خاقان :قلائد العقيان ،ص 72، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 389- 390، يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج 1، ص 156.

[2] – مملكة قشتالة(Castilla): ويرسمها ابن صاحب الصلاة قشتيلة، وترسم أيضا قشتالة وقشتيلية وربما رسمت قشتلة، وهي أراضي النصارى في الأندلس وتقع خلف جبل الشارات شمال طليطلة وخلف نفس الجبل أي جبل الشارات من جهة الجنوب نجد منطقة تسمى إسبانيا، ويفصل أجزاء مملكة قشتالة نهر دويرو Duero. أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 161، وأنظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 287.

[3] – يحي بن ذي النون: المقصود هو يحي بن ذي النون الملقب بعبد القادر ابن ذي النون حفيد يحي بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بالمأمون والذي حكم طليطلة منذ سنة 439هـ الموافق ل 1043م والذي توفي سنة 467هـ الموافق ل 1071م فخلفه حفيده يحي بن ذي النون الملقب بعبد القادر بن ذي النون. أنظر : ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 277، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 31.

[4] – بلنسية(Valencia): كانت مدينة بلنسية قبل الفتح الإسلامي مجرد قرية صغيرة على البحر المتوسط تسمى فالنشيا، ثم قام العرب المسلمون بعد الفتح بتعريب الاسم فصارت بلنسية، بناها الرومان سنة 138هـ ق.م وهي تقع في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة 16 يوما، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس ولها نهر تدخله السفن. أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 97، كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري- مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر،(د.ت)، ص 87.

[5] – عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 31.

[6] – السيد القمبيطور (Cidi Campedor): هو الفارس القشتالي رودريغو اوراي ديازي بيفار (1043-1099) المشهور في التواريخ ا لنصرانية بالسيد وتعرفه الرواية العربية بالسيد القمبيطور ، وهو الذي انتقل إلى سرقسطة ودخل في خدمة أصحابها بني هود، تمكن في وقت قصير من أن يجمع أعدادا كبيرة من اللصوص والمرتزقة فنشر بهم الرعب والفوضى في شرقي الأندلس، وتمكن من الاستيلاء على بلنسية التي كانت في حماية مملكة قشتالة وليون بإمارة يحي بن ذي النون، فخلعه السيد القمبيطور ونصب نفسه أميرا على بلنسية بعد حصار طويل سنة 489هـ الموافق ل 1096م. وكان يدفع له القادر بن ذي النون حوالي عشرة الاف دينار سنويا لقاء حمايته من الرعية في بلنسية أنظر : عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 31- 32.،يوسف اشباخ ،تاريخ=

الأحداث فيما بين 478- 489هـ الموافق لـ1085- 1096م[1].

فبعد هذه الأحداث أحس ملوك الطوائف بالخطر وأرسلوا إلى يوسف بن تاشفين يستنجدون به، هذا وتذكر لنا بعض المصادر التاريخية أن يوسف بن تاشفين توصل بنداءات الاستنجاد من الأندلس قبل هذه الأحداث [2]، فقد وفد على بلاط مراكش جماعة من أهل الأندلس يشكون إلى يوسف بن تاشفين وضعهم ووضع الإسلام بالأندلس سنة 474هـ الموافق لـ 1082م[3].

ومن أهم الوفود الأندلسية التي وفدت على ابن تاشفين وفد المعتمد بن عباد سنة 479هـ صاحب إشبيلية إلى مراكش، حيث لقيه يوسف بن تاشفين أحسن لقاء وأكرمه وأجابه إلى طلبه المتمثل في نصرته ضد النصارى[4].

هذا ومن بين الأحداث التي أدت بالمعتمد بن عباد إلى الاستنجاد بالمرابطين أن ألفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة تطلع إلى محاولة الاستيلاء على كامل بلاد الأندلس، وفي هذا الشأن راسل المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية يأمره بتسليم مملكته أو إمارته وأعمالها إلى رسله إلا أن المعتمد رفض ورد عليه بكتاب تضمن شعرا من نظمه ونثرا مفاده أنه يفضل الحرب على تسليم إمارته، إلا أن المعتمد بعد مشاورته لرجاله وخاصته في الحكم أشاروا عليه بمهادنة ألفونسو السادس وعقد السلم معه مع أداء مبلغ من المال كل سنة، الشيء الذي دفع بالمعتمد ابن عباد إلى إثقال

=الأندلس ،ج1،ص 19 ،سعدون عباس نصر الله :دولة المرابطين في المغرب والأندلس ،ص 111،وردة العابد :القيادة العسكرية في الثغرين الادنى والاعلى بالاندلس في القرن الخامس هجري حتى الربع الاول من القرن السادس هجري (ق 11-12م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ،قسم التاريخ والاثار ،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،جامعة محمود منتوري ،قسنطينة ،الجزائر ، 2007-2008،ص63

[1] - عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين، ص 32.

[2] - من بين المصادر التي ذكرت توالي رسائل الاستنجاد من الأندلس على يوسف بن تاشفين قبل استنجاد المعتمد بن عباد بابن تاشفين هي ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 144، الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 111، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 32.

[3] - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في المغرب والأندلس، ع 3، ق 1، ص 31، الحلل الموشية، ص 20.

[4] - عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 97.

كاهل الرعية بالضريبة مما أدى إلى إفتقار الكثير ورحيل البعض عن إشبيلية، وفي سنة 479هـ الموافق لـ 1085م[1] وصل إلى القرب من إشبيلية رسول ألفونسو السادس ومعه اليهودي ابن شرالب[2] الذي أساء الأدب مع بعض أشياخ إشبيلية الذين سلموه مبلغ المال أو الجزية إن صح التعبير والذي كان من بينهم ابن زيدون[3]، فبعد أن علم ابن عباد بالأمر أرسل بعض جنوده لقتل ابن شرالب ففعلوا ذلك وأسروا من كان معه من النصارى[4].

ولما بلغ ألفونسو السادس خبر مقتل ابن شرالب وأسر من كان معه من النصارى ،فعزم على قتال المسلمين في إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس فخرج في جيش ضخم باتجاه حصن طريف[5] ولما وصل بحر الزقاق[6] أرسل خطابا إلى يوسف بن تاشفين يدعوه فيه للقتال باسم نصرة النصرانية من جهته ونصرة الإسلام من جهة يوسف بن تاشفين وقد أجابه يوسف بن تاشفين أنه جاهز للقتال[7] وفي هذه الأثناء قد أحس المعتمد بن عباد بالخطر فجمع من جديد رجال دولته واستشارهم في الأمر وقد أشاروا عليه بنفس الرأي الأول وهو محاولة مهادنة ملك قشتالة ألفونسو

---

[1] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 31.

[2] – ابن شرالب: كان وزيرا لألفونسو السادس وكان أصله يهوديا، يذكر صاحب الحلل الموشية أن اسمه ابن شالب، وأما الحميري فلم يذكر اسمه. أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 310، مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 42.

[3] –ابن زيدون:هو وزير ابن عباد آنذاك وهو أبو بكر بن زيدون ابن الشاعر المشهور ابن زيدون.أنظر مؤلف مجهول:الحلل الموشية، ص 42.

[4] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 93-95.

[5] – حصن طريف: هو حصن جزيرة طريف الواقعة على البحر الشامي في أزل المجاز المسمى بالزقاق في أول مضيق جبل طارق، ويتصل غربها ببحر الظلمة، ويشقها نهر صغير، ومن جزيرة طريف التي بها الحصن إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا، وبها أسواق وفنادق وحمامات، وسميت الجزيرة والحصن باسم طريف نسبة إلى مولى موسى بن نصير أيام الفتح. أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 414.

[6] – بحر الزقاق: هو البحر الشامي الواقع في أول المجاز بالقرب من أول مضيق جبل طارق، وهو البحر الداخل من البحر المحيط الذي عليه سبتة الذي يضيق من المشرق إلى المغرب حتى يكون عرضه ثلاثة أميال، ويقع بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له =الخضراء ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس ثم يتسع بحر الزقاق كلما امتد حتى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية، وهو مخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام. أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 316- 317، 414.

[7] – يذكر صاحب الحلل أن ابن تاشفين لما وصله كتاب ألفونسو السادس يدعوه للقتال كتب له ردا على ظهر كتابه يقول فيه:« جوابك يا أذفنش ما تراه لا ما تسمعه، إن شاء الله» وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب المتنبي:

وَلاَ كَتبَ إلاَّ المَشَرَّفِينَة وَالقَنَا وَلاَ رَسَلَ إلاَّ الخَمِيسَ العَرَمْرَمِ

أنظر: ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 98.

السادس، وعقد معاهدة سلم مع الموافقة على كل شروطه دون الاستعانة بالمرابطين [1]،وهذا الرأي نفسه الذي أشار به عليه ابنه الرشيد حيث قال له:«... يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا...» [2]، ولكن المعتمد بن عباد صمم على رأيه في الاستنجاد بالمرابطين وأقنع بذلك ابنه ورجال دولته وخاصته على أنه حتى وإن فقد إمارته على يد المرابطين فإنه أهون من أن يفقدها على يد النصارى ومن جملة ما قاله في هذا الصدد:«...والله لا يسمع عني أبدا أني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري، حرز الجمال والله عندي خير من حرز الخنازير»[3].

وبعد أن تمكن من إقناع من حوله برأيه شرع يراسل ابن تاشفين ويخاطبه في طلب الجواز إليه[4] ونجدته، فلما توالت الرسائل على ابن تاشفين فكر في الأمر بجدية واستشار هو الآخر رجال رجال دولته وخاصته في الأمر، فقد أشاروا عليه جميعهم بإجابة المعتمد بن عباد إلى طلبه ونجدته ما عدا أحد كتابه وهو عبد الرحمن بن أسباط [5] والذي أشار عليه بأنه عليه أن يأخذ من المعتمد بن عباد ضمانا منه قبل الجواز لنجدته مخافة الغدر به بعد القضاء على النصارى، وتمكن من إقناعه بذلك بعد أن نبهه إلى أنه على غير سابقة بجزيرة الأندلس وأنه ليس هناك ما يربطه بالمعتمد بن عباد من علاقة قرابة أو صداقة أو حتى دين أو معاهدة[6].

هذا وقد اقترح عبد الرحمن بن أسباط على يوسف بن تاشفين أن يطالب المعتمد بن عباد بالتنازل له على الجزيرة الخضراء [7]كضمان له يتأمن به على نفسه وجيشه ورجاله في الأندلس

---

[1] - ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 98-99.

[2] - نفسه، نفس الصفحة.

[3] - نفسه، ص 99- 100.

[4] - يذكر صاحب الحلل أن خطابات الاستنجاد التي توالت على ابن تاشفين من قبل المعتمد بن عباد كانت عديدة ومنها ما كانت من إنشائه وأخرى من إنشاء كتابه ووزراءه. أنظر: مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 45- 47.

[5] - عبد الرحمن بن أسباط: ويرسم ايضا بن اسبط وهو كاتب ووزير يوسف بن تاشفين اصله اندلسي توفي سنة 487هـ الموافق ل 1093 م . انظر: سعدون عباس نصر الله :دولة المرابطين في المغرب والأندلس ،ص159.

[6] - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 105-106.

[7] - الجزيرة الخضراء: هي المكان الواقع بين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس وبينها وبين جزيرة طريف ثمانية عشرة ميلا ويمكن القول انها تقع غربي جبل طارق وشرقي جزيرة طريف .انظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 316-317 ،390-392

مقابل الجواز إليه ونجدته، فوافق يوسف بن تاشفين على اقتراح عبد الرحمن بن أسباط، وأمره بكتاب خطاب إلى المعتمد يطالبه بالجزيرة الخضراء كضمان له للجواز إليه، ولم يتردد ابن عباد في كتابة عقد هبة الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين، وأقنع بذلك من حوله كابنه الرشيد أنها أقل شيء يقدمه في سبيل نصرة الإسلام وحماية بلاد الأندلس من غزو النصارى[1].

هذا ويذكر لنا ابن أبي زرع الفاسي أن ابن تاشفين عندما توصل لأول خطاب من ابن عباد يطلب منه فيه بالجواز إليه لنصرته سنة 475هـ الموافق ل 1083م[2]، أجابه أنه إذا تمكن من فتح سبتة سيجوز إليه عبرها، فلما توالت الاستغاثات على ابن تاشفين بعث ابنه المعز في جيش ضخم لسبتة ففتحها وراسله بذلك وكان ذلك في ربيع الأول سنة 477هـ الموافق ليوليوز (جويلية) 1084م[3]، فخرج ابن تاشفين نحوها ليجوز منها إلى الأندلس، ويذكر لنا ابن أبي زرع أن ابن عباد لقيه بالقرب من سبتة[4] ليخبره ويصف له حال الأندلس[5].

هذا وبعد دخول ابن تاشفين سبتة وإصلاحه أحوالها، شرع في إرسال جيوشه إلى الأندلس ولحق هو بهم مع فئة أخرى من الجيش من قبائل المرابطين وكان جوازه إلى الأندلس بتاريخ الخميس عند الزوال منتصف ربيع الأول سنة 479هـ الموافق ل 30 يونيو(جوان) 1086م[6]، ويذكر أنه أنه نزل بالجزيرة الخضراء وصلى بها صلاة الظهر، وتلقاه بها المعتمد بن عباد في جمع من أمراء الأندلس ورؤسائها، وقد بادر ابن تاشفين بعد ذلك إلى بناء أسوارالجزيرة وترميم أبراجها وحفر الخنادق بها وشحنها بالمؤونة والأسلحة وترتيب عساكره ورجاله بها[7].

---

[1] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 107.

[2] – ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 143.

[3] –نفسه ، ص 144.

[4] – موضع اللقاء بين ابن تاشفين وابن عباد: يذكر ابن أبي زرع الفاسي أنهما التقيا بموضع يعرف ببلطة على ثلاث مراحل من سبتة. أنظر ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 144.

[5] – نفسه، نفس الصفحة.

[6] – نفسه، ص 144- 145.

[7] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 107.

وفي هذه الأثناء كان الملك ألفونسو السادس قد ملك طليطلة وأحوازها وعازم على دخول سرقسطة[1] بتشديده الحصار عليها فلما بلغه خبر جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ارتحل عن سرقسطة لمواجهته[2].

هذا وقد انتقل يوسف بن تاشفين إلى إشبيلية فأقام في ضيافة المعتمد بن عباد نحو ثلاثة أيام ثم ارتحل إلى مدينة بطليوس [3] مع جيشه، وكـان قد راسل باقي أمـراءالأندلس[4] يدعوهم للجهاد ضد النصارى فأجابوه جميعهم ما عدا صاحب ألمرية [5] الذي اعتذر لانشغاله لانشغاله بالعدو المحاصر له بحصن لبيط [6] من أعمال لورقة[7]. وقد أرسل يوسف بن تاشفين كتابا إلى ألفونسو السادس يسأله فيه الإختيار إما دفع الجزية أو الإسلام أو الحرب [8]، فاختار

---

[1] – سرقسطة: في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر آهلة ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنات والبساتين، ولها سور حجارة حصين، وهي على ضفة نهر كبير، وسميت بالمدينة البيضاء لكثرة حصها وجيارها. أنظر: عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 317.

[2] – ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 145.

[3] – بطليوس: Badjoz هي بالأندلس، وهي مدينة جليلة في بسيط من الأرض، ولها كبير وهي من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلا، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي. أنظر عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 93 ،كاظم عبد نتيش الخفاجي ،حنان جودة جابر :المدن التي انشاها المسلمون في الاندلس عصري الامارة والخلافة ،بحث خاص ،قسم التاريخ ،كلية الاداب ،جامعة ذي قار، العراق ،(د.ت) ،ص 7-8.

[4] – الأمراء الذين راسلهم في الأندلس: راسل ابن تاشفين سائر ملوك الطوائف، وقد كان أول من لبى دعوته منهم عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة، وأخوه تميم صاحب مالقة، ثم لحق بهما باقي أمراء الأندلس ما عدا صاحب ألمرية. أنظر : محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 321.

[5] – صاحب ألمرية: هو المعتصم بن صمادح، وقد اشتهر بأدبه وشعره وحمايته لدولة الشعر والأدب، وقد كان بلاطه الصغير بألمرية ينافس في مجالسه الأدبية وفي رعايته للأدباء والشعراء ببلاط إشبيلية، وكان بنو صمادح جميعا من نجوم الشعر والأدب، واسمه الكامل هو أبو يحي بن معن بن صمادح التيجيني وتلقب بلقبين هما المعتصم بالله، والواثق بفضل الله. أنظر : ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 167- 168، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، 168- 170.

[6] – حصن لبيط: يوجد بفحص لبيط ويسمى عند الأسبان بألدو Aledo. أنظر مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 52.

[7] – لورقة(Lonca): مدينة أندلسية من بلاد تدمير إحدى المعاقل السبعة التي عهدت إلى تدمير وهي كثيرة الزروع، وتقع على ظهر جبل ولها ريض في أسفل المدينة به سور وسوق، وبها معادن تحمل إلى كثير من الأقطار، وبينها وبين مرسية أربعون ميلا، وأصل كلمة لورقة لاتيني ومعناه الدرع الحصين، وبها مزارع عريقة تتعرض لاجتياح الجراد أحيانا. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 512- 513.

[8] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 114.

فاختار هذا الأخير الحرب وبعث هـ ـو الآخ ـر إلى ابن رذمير[1] وإلى البرهانس[2] كما بعث إلى بلاد قشتالة وجليقة[3] وبربلونة[4] وجمع هو الآخر حلفا ءه من النصارى لمواجهة يوسف بن تاشفين[5].

وقد سار ابن تاشفين نحو ألفونسو السادس في جيش من المرابطين [6] يصل عدده إلى 10 آلاف فارس، وتوجه من جهة أخرى المعتمد بن عباد بجيشه وجيش أمراء الأندلس، ونزلت جيوش المسلمين بطرطوشة[7] فأقاموا بها ثلاثة أيام، وفيها كتب ابن تاشفين إلى ألفونسو السادس يخيره بين بين الجزية أو الحرب أو الإسلام وبينما ابن تاشفين بطرطوشة فإن ألفونسو السادس كان قد نزل بالقرب من مدينة بطليوس، أما ابن تاشفين فبعد خروجه من طرطوشة نزل بموضع يعرف

---

[1] – ابن رذمير: هو سانشو راميرز صاحب اراغون الذي تمكن من ان يقوي نفسه بالاستيلاء على اجزاء من نافارا –بلاد البشكنس– واستقدم عدة كبيرة من المرتزقة الفرنسيين فصار اقوى جيش من جبال البيرنيه الى نهر ابرة أي الايبرو .انظر: يوسف اشباخ :تاريخ الاندلس ،ج1،ص 107

[2] – البرهانس: هو البار هانيس قائد القوات القشتالية لالفونسو السادس ببلنسية .انظر محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس، ع2،ق1 ،ص322،الحلل ابن السماك العاملي :المصدر الحلل الوشية ،ص 91

[3] – جليقة: هو سهل يغلب عليه الرمل، تكثر به زراعة الذرة، أهله يشربون شراب التفاح وشراب الدقيق المسمى اليشكة، وهم أهل غدر ودناءة، وينتهي هذا السهل في الجوف إلى البحر وفي القبلة إلى أحواز مدينة طلسونة وقاعدتهم مدينة أقشى، وسمي المكان بهذا الاسم نسبة إلى الجلالقة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وهو أصغر أبنائه، وهذه البلاد تلي الغرب وتنحرف إلى الجوف. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 169.

[4] – بنبلونة: مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرين ميلا، بها كانت مملكة غارسيه سنة 330هـ، وتقع بين جبال شامخة وشعاب غامضة، وهي قليلة الخيرات، وأهلها فقراء ويكثر بها اللصوص، ويسكنون على البحر المحيط في الجوف، يتكلمون البشقية. أنظر: نفسه، ص 104.

[5] – ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 146.

[6] – كان جيش المرابطين بقيادة أبي سليمان داوود بن عائشة. أنظر: ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 146.

[7] – طرطوشة: مدينة أندلسية تبعد عن بلنسية 110 ميل أي مسيرة أربعة أيام، وتقع في سفح جبل، ولها سور وحصن، وبها أسواق وعمارات وضياع، وتصنع المراكب الكبار من خشب جبالها خاصة الصنوبر، ومنها إلى طركونة خمسون ميلا، وبينها وبين البحر الشامي عشرون ميلا. أنظر: عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 391.

بالزلاقة[1] من أحواز بطليوس، ونزلت جيوش الأندلسيين وأمرائهم بقيادة ابن عباد بجهة أخرى من الزلاقة يفصلهم عن ابن تاشفين ربوة[2].

وقد كان معسكر الجيوش الإسلامية يبعد عن معسكر جيوش النصارى بحوالي ثلاث أميال يفصل بينهما وادي يانة [3] وتختلف الروايات في تقدير جيش المسلمين وجيش النصارى، فبالنسبة لجيش المسلمين فهو حسب المصادر التاريخية ما بين عشرين ألفا وثمانية وأربعون ألفا [4]، أما جيش النصارى فقد قدره صاحب الحلل الموشية بثمانون ألف فارس [5]، ويحدده ابن أبي زرع الفاسي بأنه كان زهاء 180 ألف فارس ومائتي راجل ويوافقه في هذا ابن أبي دينار القيرواني[6].

وقد كانت المعركة بين الجيشين يوم الجمعة 12 رجب 479هـ الموافق ل. 23 أكتوبر 1086م[7] بعد أن زحف النصارى باتجاه معسكر المسلمين خارقين بذلك اتفاقهم مع يوسف ابن

---

[1] – الزلاقة(Sacrajas): بطحاء الزلاقة او سهل الزلاقة من إقليم بطليوس من غرب الأندلس ،حوالي ثلاث مراحل من شمال بطليوس الى يسار نهر جريرو . أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 309،محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس، ع 3، ق2،ص321.

[2] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 146.

[3] – وادي يانة: هو نفسه وادي جريرو ويمتد شمالا في اتجاه نهر التاجة .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس، ع2،ق1،ص 322

[4] – عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 99، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 322، يذكر ابن أبي زرع الفاسي أن عدد فرسان المرابطين وحدهم هو 10 آلاف فارس دون فرسان أهل الأندلس. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 148، ويذكر ابن السماك العاملي أن عدد جيش المسلمين كان حوالي 50 ألف فارس. أنظر : السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 113.

[5] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 113، محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 2، ق 1، ص 322.

[6] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 149، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 108.

[7] – ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 123. يذكر عبد الواحد المراكشي في المعجب ص 100 أن المعركة كانت بتاريخ الجمعة 13 رمضان 470هـ، أما ابن أبي زرع الفاسي في كتابه الأنيس المطرب ص 149 فيذكر لنا أن المعركة كانت بتاريخ الجمعة 11 رجب سنة 479هـ الموافق ل 22 أكتوبر 1086م، فهو يختلف مع صاحب الحلل في يوم واحد فصاحب الحلل يقول يوم 12 رجب 479هـ أما ابن أبي زرع فيذكر أنه يوم 11 رجب 479هـ ويستدل على ذلك بكتاب يوسف بن تاشفين إلى العدوة. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 150، وهو نفس التاريخ الذي تذكره الرواية النصرانية حسب محمد عبد الله عنان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 323- 324 ،عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس :كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ،ط1،تح:علي عمر ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،مصر ،2006،ص 133-134.

تاشفين[1] أن القتال يكون بين الطرفين يوم الاثنين 15 رجب 479هـ الموافق ل. 26 أكتوبر 1086م[2]، وبخرق الاتفاق اشتبك الجيشان يوم الجمعة بالتاريخ المذكور، فقد هجمت فرقة جيش النصارى التي يقودها البرهانيس على مقدمة جيش المسلمين من القوات الأندلسية هجوما عنيفا جعل نظام القوات الأندلسية يختل وترتد نحو بطليوس إلا أن المعتمد وفرسانه من إشبيلية صمدوا أمام النصارى، أما الفرقة التي كان يقودها ألفونسو السادس فقد هاجمت مقدمة المرابطين التي كان على رأسها داود بن عائشة، وقد كادت أن ترجع كفة المعركة لصالح النصارى في بادئ الأمر، ولكن ابن تاشفين تفطن لذلك فدفع بقوات البربر بقيادة سير بن أبي بكر اللمتوني فأنقذ هذا الأخير الموقف واسترد الأندلسيون والمرابطون ثباتهم في المعركة فرجحت الكفة لصالح جيش المسلمين[3].

في هذه الأثناء كان ألفونسو السادس أمام خيام المرابطين وتمكن من اقتحام الخندق المحيط بها وفي الوقت نفسه تمكن أيضا ابن تاشفين مع قواته الاحتياطية من لمتونة وصنهاجة أن يخترق معسكر النصارى، وعندما علم ألفونسو بذلك تراجع نحو معسكره مما جعله يصطدم بمؤخرة المرابطين، فوقعت معركة بين الطرفين مني فيها النصارى بخسائر فادحة دون تمكن ألفونسو السادس من الوصول إلى معسكره[4]، أما يوسف بن تاشفين فقد كان يجول في المعركة يلهم فرسانه الثبات ويرغبهم في الاستشهاد، كما أنه قام بدفع حرسه إلى ميدان المعركة وعددهم حوالي أربعة آلاف مقاتل، فتمكن أحد المقاتلين من الوصول إلى ألفونسو السادس فطعنه بخنجر في فخذه وقد كانت

---

[1] – بعد توالي الرسائل والخطابات بين ابن تاشفين وألفونسو السادس واتفاقهما على القتال، قد حدد ألفونسو السادس على أن تكون المعركة يوم الاثنين وذلك بحجة احترام الشرائع السماوية في أيامها المقدسة، نتذكر المصادر والمراجع أنه راسل ابن تاشفين وأخبره أنه:« إن غدا يوم الجمعة ولا نحب مقاتلتكم فيه لأنه عيدكم، وبعده السبت يوم عيد اليهود وهم كثيرون في محلتنا ونحن نفتقر إليهم، وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين» وفي الواقع كانت خديعة للمسلمين تفطن إليها المعتمد بن عباد. أنظر : ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 115، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 100، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 150، محمد عبد الله عنان:دولة الاسلام في الاندلس ،ع2،ق1،ص322-323

[2] – حسب صاحب الحلل وابن أبي زرع الفاسي. أنظر مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 123، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 150، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 323.

[3] – نفسه، ص 324.

[4] – نفسه، نفس الصفحة

حينها الشمس أشرفت على المغيب، فأدرك النصارى أنهم منهزمون لا محال [1] فتراجعوا واعتصموا بتل قريب حتى دخل الليل فواصلوا مسيرهم في الظلام الذي أخفاهم عن عيون المرابطين[2].

وبذلك انتصر جيش المسلمين على جيش النصارى وهزمه هزيمة نكراء كانت فيها خسائر هائلة وفادحة إلا أن هذا لا يعني أن جيش المسلمين قد خلا من الخسائر بل تكبد هو الآخر خسائر لكن أقل بكثير من خسائر النصارى حسب ما تذكره المصادر التاريخية[3].

وقد انتشرت أخبار انتصار المسلمين وذاعت في بلاد المغرب والأندلس، وأرسل ابن تاشفين خطابا إلى بلاد العدوة [4] يخبر فيها بأنباء النصر ويسرد أحداث الموقعة وراسل في نفس الشأن المعز بن باديس صاحب إفريقية [5]. وبهذا انتهى الأمر وتفرق جيش المسلمين وارتد أمراء الأندلس إلى إماراتهم وعاد ابن تاشفين إلى بلاد المغرب [6] عقب موقعة الزلاقة في شعبان من سنة 479هـ[7]، وهذا ما تسمى بالجواز الأول ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس في المصادر التاريخية.

---

[1] – يذكر أن دوي الطبول في المعركة كان يصم الآذان ويؤكد بيدال أن وقع الطبول كان له تأثير ذلك أن ضجيجها جعل جيش النصارى في اضطراب النصارى، كما يذكر أنه لم يسبق للجيوش الإسبانية أن شهدت مثل هذا الضجيج ولا مثل خطة المرابطين في القتال، حيث عمدوا إلى القتال في صفوف متراصة ومتناسقة وعمد النصارى إلى القتال الفردي كعادتهم. أنظر : محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 325.

[2] – نفسه، نفس الصفحة.

[3] – يذكر ابن أبي زرع الفاسي أن خسائر النصارى كانت فادحة حيث مئة وثمانون فارس قتلوا جميعهم، وحتى من فر مع ألفونسو السادس حوالي خمسمائة فارس لم ينج منهم سوى مائة فارس وأربعمائة لحق بهم المرابطون وتمكنوا منهم، أما صاحب الحلل فيذكر أنه قتل حوالي ثلاثمائة ألف من النصارى، وأربعمائة أفلتوا مع ألفونسو السادس و هم من اصحاب غارسييه ، أما بالنسبة لخسائر المسلمين فيذكر أنها لم تتجاوز حوالي ثلاثة آلاف قتيل. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 150- 151، ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 121، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 326.

[4] – بلاد العدوة: المقصود بها عدوة بلاد المغرب أو عدوة مراكش. أنظر ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 152.

[5] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 238.

[6] – يذكر ابن أبي زرع الفاسي أن سبب عودة ابن تاشفين إلى بلاد المغرب هو وفاة ولده أبي بكر الذي كان قد تركه مريضا بسبتة، وأنه لولا هذا السبب لما رجع ابن تاشفين إلى بلاد المغرب. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 152، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 66، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 330.

[7] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 330.

هذا ولم تكن عودة يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب نهائية، فقد رجع بعدها إلى بلاد الأندلس عدة مرات وذلك نظرا للمستجدات التي طرأت على البلاد وأهلها، ففي سنة 481هـ[1] الموافق لـ 1088م عاد ابن تاشفين إلى الأندلس وذلك بعد أن وفدت عليه جموع من أهل الأندلس يستنجدون به ويشكون إليه ما حل بهم من هجوم النصارى عليه .م خ.اصة في بلنسية ومرسية[2] ولورقة وبسطة[3]، ووفد أيضا ابن عباد مرة أخرى على ابن تاشفين يشكو إليه حاله مما يصدر من نهب وإغارة على بلاده من طرف النصارى المتواجدين بحصن لبيط [4]، وفي ربيع الأول من السنة المذكورة(481هـ الموافق لـيونيو 1088م)[5] نزل ابن تاشفين بحصن لبيط منجدا لأهل لأهل الأندلس وقدتخلف عنه من كتب إليه من أمراء الأندلس ما عدا صاحب مرسية والمعتمد بن عباد فشرعوا في التضييق على النصارى المتواجدين بالحصن وقد كان ابن تاشفين يشن الغارات على بلاد النصارى في كل يوم، ودام حصار الحصن حوالي أربعة أشهر لا يهدأ عنه القتال إطلاقا في كل يوم وفي كل وقت إلى أن دخل فصل الشتاء وقد كانت مؤن النصارى ومن معهم بالحصن من أهل الأندلس قد نفذت إضافة إلى نزاع قام بين صاحب مرسية وبين ابن عبـاد فاختل بذلك نظام جيش المسلمين وتفرقت صفوفهم بعد انسحاب جيش مرسية إثر إلقاء القبض على قائده

---

[1] – ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 126، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 152.

[2] – مرسية: هي قاعدة تدمير بالأندلس، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت دار العمال وقرار القادة، وهي في مستوى على النهر الأبيض ولها ربض وعليها وعلى ربضها أسوار وحظائر، وهي على ضفة النهر وبها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم ليس في مدينة مثلها، بينها وبين بلنسية خمس مراحل، ومنها إلى قرطبة عشر مراحل. أنظر عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 539- 540.

[3] – بسطة Baza : مدينة بالأندلس بالقرب من وادي آش، وهي متوسطة المقدار حسنة الوضع، حصينة ذات أسوار وبها تجارات، وبينها وبين جيان ثلاث مراحل، وهي من كور جيان وهي مشهورة بالمياه والبساتين. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 113.

[4] – كان حصن لبيط مواليا لعمالة أو إمارة ابن عباد، وقد كان ألفونسو السادس قد تمكن منه في عهد سابق، فبعد هزيمته في موقعة الزلاقةبالخيل والرجال والرماة وأمرهم أن يدخلوا عبره إلى أطراف إمارة ابن عباد فيغيرون ويأسرون ويقتلون في كل يوم انتقاما منه لاستقدامه لابن تاشفين إلى بلاد الأندلس، فضاق ابن عباد بالأمر ذرعا واستنجد لثاني مرة بيوسف ابن تاشفين. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 152.

[5] – نفسه ،نفس الصفحة

صاحب مرسية من طرف قائد ابن تاشفين الذي وقف في صف ابن عباد أثناء النزاع بينه وبين صاحب مرسية وتقييده وتسليمه إياه[1].

ولما بلغ ألفونسو السادس ما حل بجيش المسلمين من نزاع واختلاف في الأمر قصد حصن لبيط في حشود ضخمة فلما اقترب من الحصن رأى ابن تاشفين أن ينحرف عنه دونمواجهته وغير وجهته إلى ناحية لورقة ثم ألمرية[2] ثم العودة إلى بلاد المغرب[3]، ولم ينجز ابن تاشفين هذه المرة في جوازه هذا أي إنجاز نظرا لاختلال أحوال جيش المسلمين كما سبق أن ذكرنا.

وفي سنة 483هـ[4] الموافق ل 1089م[5] عاد مرة أخرى يوسف ابن تاشفين إلى الأندلس ولكن هذه المرة عاد إليها من تلقاء نفسه ولم يستنجد به أحد من أمراء الأندلس وأهلها، بل عاد إليها وفي نفسه بعض المؤاخذة على أمرائها لتخلفهم عنه في حصاره لحصن لبيط[6]، وفي جوازه هذا هذا سار حتى نزل بطليطلة فحاصرها وألفونسو بها، وخرب أحوازها وقتل وأسر أعدادا من النصارى، ولم يتعقبه للمساعدة أي من أمراء الأندلس مما حز في نفسه وامتلأ صدره غيظا اتجاههم[7].

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 153.

[2] – ألمرية: مدينة أندلسية تم بنائها سنة 344هـ بأمر من أمير المؤمنين الأموي الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، وهي من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ولها سور وحصن منيع، أهلها أغنياء، ولها عدة أبواب، وتوجد بها كل أنواع الصناعات. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 537- 538 ،محمد احمد ابو الفضل :تاريخ المرية الاندلسية في العصر الاسلامي – دراسة وفي التاريخ السياسي والحضاري – ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،مصر ،1996، ص 101-106.

[3] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 153.

[4] – نفسه، نفس الصفحة.

[5] – عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 35.

[6] – نفسه، نفس الصفحة، ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 131 ،عبد الله بن بلكين :المصدر السابق ،ص 136-140.

[7] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 153.

بعد ذلك سار باتجاه غرناطة [1] لما سمعه عن صاحبها عبد الله بن بلكين [2] في أمر تصالحه مع ألفونسو السادس وتحالفه معه ضد ابن تاشفين والتقرب إليه بالمال، فلما وصل ابن تاشفين غرناطة أغلق ابن بلكين في وجهه الأبواب وتحصن بها، فحاصره ابن تاشفين مدة شهرين، فلما طال أمد الحصار بعث إليه يطلب الأمان فأمنه ابن تاشفين بعد أن أسلمه البلاد، وبذلك ملك ابن تاشفين غرناطة وأحوازها وكل أعمال إمارة ابن بلكين، وبعث به وبأخيه تميم صاحب مالقة[3] إلى مراكش[4].

بعد هذه الأحداث عاد ابن تاشفين إلى بلاد المغرب وكان ذلك في رمضان 483هـ الموافق لـ1089م[5]، أما الأندلس فقد بعث إليها بقائده سيربن أبي بكر اللمتوني الذي سار نحو إشبيلية وهو في نيته أن ابن عباد سيخرج للقائه وضيافته، إلا أن ابن عباد تصرف عكس ذلك وتحصن من قائد ابن تاشفين [6] فراسله هذا الأخير وطلب منه أن يسلمه البلاد ويدخل في طاعة

---

[1] - غرناطة(Granada): مدينة أندلسية بينها وبين وادي آش أربعون ميلا، وهي من مدن ألبيرة، ومدنها وحصن أسوارها ومبنى قصبتها حبوس الصنهاجي، وبينها وبين ألبيرة ستة أميال، تعرف بغرناطة اليهود لأن أول من نزل بها كان اليهود، ثم صارت من أشهر مدن الأندلس. أنظر: عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 45.

[2] - عبد الله بن بلكين: هو عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماك سن بن زيري بن مناد الصنهاجي امير غرناطة، ولي بعد جده الحاجب المظفر بالله في شوال سنة 465هـ، كان وافر الحظ من البلاغة والمعرفة، شاعر، حسن الخط، ويوصف أيضا بالجبن والخلود إلى الراحة، خلعه عن إمارته يوسف بن تاشفين سنة 483هـ. أنظر: لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة، ج 3، ص 379، عبد الله بن بلكين بن باديس :كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة تح: علي عمر ، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2006، ص 247.

[3] - مالقة: مدينة أندلسية تقع على شاطئ البحر، عليها سور صخر والبحر في قبليها، وهي حسنة عامرة كثيرة الديار، مشهورة بشجر التين، ويحمل منها إلى مصر والشام والعراق، وبها واد يجري في زمن الشتاء وليس بدائم الجريان، وقصبتها في وسطهاوهي حصينة ومنيعة، وبالقصبة مسجد بناه الفقيه معاوية بن صالح الحمصي، بها مبان ضخمة وحمامات وأسواق، ولها خمسة أبواب بابان منها إلى البحر، وباب شرقي يعرف بباب القصبة، وباب غربي يعرف بباب الوادي، وباب جوفي يعرف بباب الخوخة. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 514- 515.

[4] - ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 154، ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 132.

[5] - ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 154.

[6] - يذكر لنا ابن أبي زرع الفاسي أن ابن تاشفين لم يأمر قائده سيري بن أبي بكر شيء في شأن ابن عباد، وأنه كان بعض النميمة بين ابن تاشفين وابن عباد مما غير يوسف بن تاشفين اتجاهه، أما صاحب الحلل فيذكر أنه لما ملك ابن تاشفين غرناطة ومالقة قدم عليه كل من المعتمد بن عباد والمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس فأعرض عنهما ابن تاشفين فانصرفا عنه إلى بلادهما، وتملك ابن عباد الندم على استدعائه ابن تاشفين إلى الأندلس وقال لحليفه ابن الأفطس:« والله لا بد له أن يسقينا من الكأس التي سقى بها عبد الله بن بلكين». أنظر: ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 154، ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 132.

المرابطين فامتنع عنه ابن عباد، فحاصره سير بن ابي بكر وأخذ في قتاله، كما بعث سيرأحد قادته إلى جيان[1] فحاصرها حتى دخلها صلحا، فكتب سيربذلك إلى يوسف بن تاشفين، كما أنه أرسل بقائد آخر إلى قرطبة والتي كان بها إذ ذاك المأمون بن المعتمد [2] بن عباد فنزل عليه قائدالمرابطين [3] بعساكره ففتحها وفتح حصونها ومعاقلها وكان هذا بتاريخ 03 صفر 484هـ الموافق ل 26 مارس 1091م[4]، وقد تخلل دخول المرابطين الى قرطبة عدة أحداث من أهمها قصة زائدة الأندلسية والتي تختلف الروايات التاريخية في شأنها[5].

---

[1] - جيان: مدينة أندلسية بينها وبين بياسة عشرون ميلا، تقع في سفح جبل عالي جدا، قصبتها حصينة وفي داخلها عيون ومنابع، وهي كورة ولها عدة أقاليم، وبها أسواق كثيرة، وبها قرى عامرة وخيرها كثير ومتنوع. أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 113-114.

[2] - المأمون بن المعتمد بن عباد: هو أكبر أبناء المعتمد بن عباد، ولد في أيام جده المعتضد وسماه والده ب" عبادا" ولقبه بالمأمون، ويذكر محمد عبد الله عنان أن اسمه أيضا" الفتح"، ويذكر ابن خاقان ايضا يسمى بالنصر ويذكر أنه كان محبوبا عند جده المعتضد فكان يضمه إلى صدره ويقول: يا عباد يا ليت شعري من المقتول بقرطبة، أنا أو أنت؟ فكان المقتول بها عباد هذا في حياة أبيه المعتمد، فقد كان واليا عليها ولاه والده عليها بعد إخراجه ابن عكاشة منها في 07 صفر سنة 471هـ، وفي السنة التي قتل فيها المأمون زال ملك بني عباد على يد المرابطين سنة 484هـ. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص97، ابن خاقان :قلائد العقيان ، ص 69، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 345.

[3] - ذكر ابن أبي زرع الفاسي القائد المرابطي الذي تم إرساله إلى جيان وقرطبة هو بطي بن إسماعيل أحد قادة الجيش المرابطي، وأما صاحب الحلل الموشية فيقول هو القائد المرابطي أبو عبد الله بن الحاج، وأن يوسف بن تاشفين هو من بعث به إلى قرطبة وليس سيري بن أبي بكر، ويوافقه في هذا محمد عبد الله عنان. أنظر : ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 154، ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 134، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 343.

[4] - ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 154.

[5] - رواية زائدة الأندلسية: تضاربت الروايتين النصرانية والإسلامية في شأن زائدة الأندلسية(Zaida la Mona)، وهي والدة سانشو أحد أولاد ألفونسو السادس الذي قتل طفلا، وفي هذا الجزء تتفق الروايتين العربية الإسلامية والنصرانية، وتختلف في الجزء الذي يوضح كيف وصلت زائدة الأندلسية إلى قصر ألفونسو السادس وأنجبت منه سانشو، فالرواية النصرانية تقول أن زائدة هي ابنة ابن عباد وهو من قدمها لألفونسو السادس كزوجة مقابل إنجاده له من المرابطين والتنازل له عن مناطق معينة من طليطلة كمهر لابنته. أما الرواية العربية الإسلامية فتذكر أنها لم تكن ابنة المعتمد بن عباد وإنما كانت كنة له أي زوجة لابنه الفتح الملقب بالمأمون حاكم قرطبة، وحينما هاجم المرابطون قرطبة أرسل المأمون أمرا له وولده إلى حصن المدور فقتل المأمون، ولجأت زائدة إلى حماية قشتالة بعد أن داهم المرابطون حصن المدور، فاتخذها ألفونسو السادس خليلة ثم زوجة. أنظر : محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 347.

وبإخضاع قرطبة تمكن المرابطون من إخضاع بياسة [1] وأبدة[2] وشقورة[3] في شرقي قرطبة [4] وحصن البلاط والمدور في غربها، فلم ينتهي شهر صفر المذكور حتى تمكن المرابطون من إخضاع أغلب بلاد ابن عباد ولم يبق تحت سيطرة ابن عباد سوى إشبيلية ورندة[5]وقرمونة[6]، هذه الأخيرة التي كانت من أمنع قواعد إمارة إشبيلية، وقد توجه إليها القائد المرابطي سيري بن أبي بكر في يوم السبت 17 من شهر ربيع الأول سنة 484هـ الموافق ل10 مايو 1091م[7] فدخلها عنوة وبدأ في الاستعداد للاستيلاء على إشبيلية.

حاصر المرابطون إشبيلية لعدة أشهر وقد أمر سيري بن أبي بكر من المعتمد تسليم البلاد والدخول في الطاعة فرفض المعتمد واستغاث بألفونسو السادس ليصبح حليفا بعد أن كان عدوا ويصبح الحليف السابق والمنجد عدوا، وقد استجاب ألفونسو السادس لنداء المعتمد وبعث إليه بعشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل بقيادة ألبارهانيس [8] هذا حسب الرواية الإسلامية. أما

---

[1] – بياسة: هي مدينة أندلسية بينها وبين جيان عشرون ميلا وكل واحدة منهما تظهر من الأخرى، وتقع بياسة على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 121.

[2] – أبدة: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير، ولها مزارع كبيرة. أنظر : نفسه، ص 06.

[3] – شقورة: مدينة من أعمال جيان بالأندلس، ويقال جبل شقورة وبه ورد زكي العطر. أنظر: نفسه، ص 349.

[4] – قرطبة(Cordob): قاعدة الأندلس وأم مدائنها، وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، ومدينتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة. أنظر: نفسه، ص 456.

[5]– رندة: مدينة بالأندلس من مدن تاكرتا، وهي قديمة بها آثار كثيرة، تقع على نهر ينسب إليها، ويوافيها الماء بداخلها من شرقيها وغربيها، واجتلب إليها من قرية بشرقيها ومن غربيها من جبل طلويرة، ونهرها يختفي في غار، فلا يظهر جريانه أميالا حتى يقع في نهر لكة فيظهر. أنظر : نفسه، ص 269.

[6] – قرمونة: مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية، بينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا، وهي مدينة كبيرة قديمة، وهي باللسان اللاتيني" كارب موية" وهي الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة ومعناها صديقي، وهي في سفح جبل وعليها سور حجارة. أنظر: نفسه، ص 461 ،حمدي عبد المنعم ،محمد حسين :دراسات في التاريخ الاندلسي – دولة بني برزال في قرمونة (404هـ-459هـ/ 1013-1067م)،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،مصر ، 1990،(د.ط) ،ص3.

[7] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 354.

[8] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 158، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 350.

الرواية النصرانية فتذكر أن الجيش الذي بعثه ألفونسو السادس هو فقط ألفي وخمسمائة فارس [1]، وقبل وصول جيش ألفونسو السادس إلى إشبيلية بعث سيري بن أبي بكر حوالي خمسة عشر ألفا من الفرسان لصده، والتقى الطرفان بمكان من أحواز إشبيلية [2] فنشب بينهما القتال انتهى بنصر المرابطين، واستمر حصار إشبيلية حوالي أربعة أشهر وتمكن سيري بن أبي بكر بعد عدة هجمات من دخول إشبيلية من ناحية الوادي الكبير وكان ذلك بتاريخ الأحد 22 رجب سنة 484هـ الموافق لـ07 سبتمبر 1091م[3]، وقد أصدر سيري بن أبي بكر قائد المرابطين أمانا للمعتمد في النفس والأهل والأولاد ولكنه أرغمه على الضغط على ولديه يزيد [4] الراضي وأبي بكر المعتمد [5] بالخضوع وتسليم رندة التي كانت بيد يزيد وميرتلة [6] التي كانت بيد المعتمد، وقد تدخلت أيضا والدتهما الأميرة اعتماد [7] لحثهما على تسليم مدينتيهما رأفة بوالدهما فأذعن الأميران لرغبة والديهما، ودخل المرابطون رندة وقاموا بإعدام الراضي، وأما ميرتلة فقد دخلها المرابطون وأبقوا على حياة المعتمد، وبذلك فقد تم للمرابطين إخضاع إمارة إشبيلة أو إمارة المعتمد بن عباد بالأندلس[8].

بالأندلس[8].

[1] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 351.

[2] – في رواية أخرى على مقربة من حصن المدور. أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 351.

[3] – ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 155، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 352.

[4] – يزيد الراضي: هو ابو خالد يزيد الراضي بن المعتمد بن عباد كان شغوفا بمطالعة الكتب والدواوين ،مولعا بالشعر ،ولي الجزيرة الخضراء ،ويذكر ا ناباه كان يلومه من الحين للاخر على افراطه في الاهتمام بالشعر فكان يعتذر ويذكر عنه انه قبض على ابن عمار المتمرد على ابيه في شقورة سنة 477هـ ، قتل على يد المرابطين برندة سنة 484هـ أثناء سقوط مملكة والده مملكة إشبيلية بعد دخول المرابطين إلى الأندلس. أنظر : ابن خاقان :قلائد العقيان ،ص 110 ،محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 352.

[5] – أبو بكر المعتد: هو أبو بكر المعتد بن المعتمد بن عباد الذي كان ممتنعا بميرتلة أثناء دخول المرابطين إلى الأندلس وسقوط مملكة ابن عباد ، لم يذكر ان المرابطين قتلوه لكن تم القبض عليه واخذ جميع امواله . أنظر: ابن خاقان :قلائد العقيان ،ص 112 محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 352.

[6] – ميرتلة: مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة، بينهما أربعون ميلا. أنظر عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 569.

[7] – الأميرة إعتماد: هي الأميرة إعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد وأم الأميرين أبي بكر المعتد ويزيد الراضي. أنظر : محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 352.

[8] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 353.

هذا وقد كان الجيش المرابطي قبل إخضاع إشبيلية تمكن من إخضاع مدينة مرسية بقيادة ابن عائشة[1] بتاريخ شوال سنة 484هـ[2] الموافق ل أكتوبر 1091م، وفي شهر شعبان من العام نفسه كان المرابطون قد تمكنوا من إخضاع نبرة[3]، ثم رحل قائد المرابطين محمد ابن عائشة إلى ألمرية[4] التي فر منها أميرها معز الدولة بن صمادح[5] إلى إفريقية وأسلم البلاد للمرابطين[6]، وفي العام العام الموالي تماما 485هـ الموافق ل1092م تمكن المرابطون من إخضاع شقورة وشاطبة[7] ودانية.

وقد استمر المرابطون في إخضاع بلاد الأندلس حيث توجهوا إلى بلنسية بقيادة ابن عائشة ثم قدم عليهم جيش آخر بقيادة محمد بن تاشفين ابن أخ يوسف فحاصروها وبها صاحبها الذي خلع عبد القادر بن ذي النون [8] السيد القمبيطور وكان هذا سنة 488هـ[9]، وتطلب فتحها بضع بضع أعوام نظرا لصمودها مرة بدفاع صاحبها ومرة بدفاع القشتاليين ولم يتمكن المرابطون من

---

[1] – ابن عائشة: هو محمد بن عائشة و هو احد ابناء يوسف بن تاشفين الذي نسب الى امه وكان من كبار قادة ابيه في الجيش . أنظر: ابن سعيد المغربي :المغرب في حلى المغرب ،،ج 2،تح وتع :شوقي ضيف ،ط 4،دار المعارف ،القاهرة ، 2009،ص 314-315 ، عباس سعدون نصر الله :دولة المرابطين في المغرب والاندلس ،ص 135

[2] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 366.

[3] – نبرة: هي التسمية العربية لولاية نافارا Navarra،بلاد البشكنس Bascons عند ابن خلدون ،لكن الارجح اخضع المرابطون جزءا منها وليس كلها اذا كان المقصود منها ولاية نافارا النصرانية كما يذكر يوسف اشباخ .انظر يوسف اشباخ :تاريخ الاندلس،ج1،ص 11

[4] – يذكر صاحب الحلل أن من توجه إلى ألمرية ليس محمد بن عائشة وإنما هو زكرياء بن واسينو. أنظر ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 134.

[5] – معز الدولة بن صمادح: هو نفسه ابن صمادح صاحب ألمرية وهو أبو محمد يحي بن محمد بن معن بن صمادح المتلقب بالمعتصم. أنظر عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 61، وقد ورد عند محمد عبد الله عنان ب" معز الدولة بن صمادح". أنظر : محمد عبد الله عنان:دولة الاسلام في الاندلس ،ع2،ق1،ص 321-322

[6] – ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 155.

[7] – شاطبة: مدينة جليلة متقنة حصينة لها قصبتان ممتنعتان، وهي طيبة الهواء، قريبة من جزيرة شقر. أنظر : عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 337.

[8] – سبق أن ذكرنا بالتفصيل كيف آلت بلنسية إلى السيد القمبيطور. ، وأنظر : عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 31- 32.

[9] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 368.

إخضاعها إلاّ في شهر شعبان سنة 495هـ الموافق لـمايو 1102م[1]، وفي رجب سنة 497هـ 497هـ الموافق لـ أفريل 1104م[2] تمكن المرابطون من إخضاع شنتمرية [3] وبذلك إخضاع أراضي الثغر الأعلى [4] وقبلها ألبونت الصغيرة، وفي سنة 502هـ[5] الموافق لـ 1105م تمكن المرابطون من إخضاع سرقسطة وإخراج بني هود منها بعد انتصارهم في موقعة إقليش [6]، ومن ثم فقد تم للمرابطين إخضاع شرقي الأندلس.

وبعد إخضاع شرقي الأندلس توجه المرابطون لإخضاع بطليوس التي كانت بيد المتوكل بن الأفطس[7]، هذا الأخير الذي سار على نفس نهج ابن عباد وتحالف مع النصارى واستغاث هو الآخر بألفونسو السادس ضد المرابطين، وزاد عن ابن عباد في منح ألفونسو السادس ثلاث

---

[1] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع2، ق 1، ص 368.

[2] – نفسه، نفس الصفحة.

[3] – شنتمرية: مدينة أندلسية من أول الحصون لبنبلوتة، وهي أتقنها وأعلاها، مبتناة على نهر أرغون على مسافة ثلاثة أميال، وهي مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب، بينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلا، وبها دار صناعة الأساطيل. أنظر: عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 347.

[4] – محمد عبد عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 368.

[5] – أراضي الثغر االاعلى : ويقصد بها المنطقة الحدودية الشرقية للاندلس المسلمة مع ممالیك اسبانيا المسيحية وحسب يوسف بن اشباخ هي الاراضي المتاخمة لاراضي مملكة اراغون .أنظر: الحميري :المصدر السابق ،ص 149،يوسف اشباخ :المرجع السابق ، ج1،ص 12

[6] – موقعة إقليش: هي الموقعة التي قتل فيها سانشو ولد ألفونسو السادس سنة 503هـ الموافق لـ 1108موقد كانت مباشرة بعد الزلاقة وانتصر فيها المرابطون على الفونسو السادس ، ووقعت في إقليش الواقعة جنوب وبذة وشرق طليطلة وقد بناها الفتح بن موسى بن ذي النون . أنظر: الحميري :المصدر السابق ،ص 51-52،عبد الله علي علام :الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص178

[7] – المتوكل بن الأفطس: هو عمر بن محمد بن عبد الله بن الأفطس، تلقب والده محمد بالمظفر بن الأفطس، وتلقب هو بالمتوكل ابن الأفطس ملك بطليوس وأعمالها ويابرة وشنترين والأشبونة. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 61.

مدن هامة من مملكته وهي أشبونة [1] وشنترة[2] وشنترين[3] مما أدى إلى سخط أهل بطليوس عليه واستنجادهم بالمرابطين، فقام سيري بن أبي بكر أوائل 488هـ الموافق لـ1095م[4] قائد المرابطين المرابطين وحاكم إشبيلية المرابطية بعد إخضاعها بإرسال جيش لبط ليوس، فدخلها الجيش دون مقاومة ولم يرسل ملك قشتالة ألفونسو السادس أي مساعدة فامتنع ابن الأفطس بقصبة [5] المدينة التي دخلها أيضا المرابطون فتمكنوا منه ومن ولديه [6] وتم إعدامهم ا في الطريق إلى إشبيلية، وبإخضاع بطليوس تمكن المرابطون من إخضاع غربي الأندلس.

وفي أثناء التحضير لإخضاع بطليوس توجهت حملة مرابطية صوب ثغر أشبونة إذ كانت تحت سلطة النصارى وبها حامية قشتالية بقيادة الكونت ريمون البرجوني [7]، والتي قضى عليها

---

[1] – أشبونة: هي كور باجة المختلطة بها على طريق العساكر، وإن الطريق من باجة إلى الأشبونة يعترض مدينة الأشبونة وهي مدينة قديمة، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فهو بحنايا على عمد رخام مثبتة على حجارة من رخام، ولها باب غربي يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولان ماء يصبان في البحر، ولها باب قبلي يسمى باب البحر، وباب شرقي يعرف بباب الحمة. أنظر: عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 61.

[2] – شنترة: من مدائن الأشبونة بالأندلس، على مقربة من البحر ويغشاها ضباب دائم لا ينقطع، ولها حصنان منيعان وبينهما وبين البحر قدر ميل. أنظر: عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 347.

[3] – شنترين Santaren : مدينة بالأندلس من كور باجة، وهي مدينة على جبل عالي جدا، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة، ولا سور لها، ولها ربض على طول النهر، وهي كثيرة البساتين، بينها وبين بطليوس أربع مراحل. أنظر عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص 346.

[4] – قصبة المدينة: القلعة المحصنة الو الحصن الحامي للمدينة من الخطر وتعني ايضا وسط المدينة ومكان الحكم والجيش وهذا المفهوم ينطبق على كافة المدن .أنظر: محمد الغساني الأندلسي :رحلة الوزير في افتكاك الاسير (1690-1691م) ،تحرير وتقديم :نوري الجراح ،ط 1،دار الفارس للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ، 2002،ص165 ،محمد عبد الله علي علام :الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 193.

[5] – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 370.

[6] – أمر الولد الثالث: يذكر محمد عبد الله عنان بالاعتماد على ابن عذاري وابن الخطيب في اعمال الاعلام انه كان للمتوكل ولد اخر غير الفضل والعباس الذين اعدما معه واسمه المنصور وكان قد بعثه ومعه معظم ذخائره الى حصن منتاجنش ليمتنع به فلما علم بما وقع لأبيه وإخوته سار في أهله وأمواله الى ملك قشتالة والتجأ الى حمايته وأقام بأرضه ،واعتنق النصرانية .محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الأندلس ، ع2،ق1،ص 369

[7] – ريمون البرجوني: هو صهر ألفونسو السادس زوج ابنته اوراكا من زوجته كونستانس الفرنسية وهو برتبة كونت ،وكان يتواجد بثغر اشبونة حين استيلاء المرابطين على بطليوس .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ، ع2،ق1،ص 370، 404.

المرابطون وأسروا معظم أفراد الحامية النصرانية بعد دخولهم إليها وكان ذلك نهاية سنة 487هـ الموافق لـ1094م[1].

ب-2- مراحل دخول الموحدين إلى بلاد الأندلس:

لعل أولى إشارات دخول الموحدين إلى بلاد الأندلس تتمثل في استنجاد سكان الأندلس بالموحدين، ذلك أن غاية الأندلسيين في القضاء على الدولة المرابطية بالمنطقة دفعهم للقيام بعدة ثورات في مختلف جهات الأندلس كما سبق أن ذكرنا، لكن بالرغم من هذا كان لابد لهم من مساعدة أو نجدة تأتيهم من خارج المنطقة لتضمن لهم تحقيق هدفهم ولم يكن أمامهم إلا الموحدين، خاصة وأن أهل الأندلس أيقنوا أنه بعد القضاء على المرابطين لابد لهم من دولة بديلة في المنطقة للدفاع عنها ضد النصارى، وقد يكون هذا أهم سبب دفع أهل الأندلس إلى الاستنجاد بالموحدين[2].

وانطلاقا مما سبق ذكره بدأت الدعوات الرسمية والشخصية تتوافد على سلطان الموحدين عبد المؤمن بن علي وهذا الأخير الذي لبى نداءهم وأجابهم[3]، وقد بدأت الدعوات تتوافد من قبل قبل الأشخاص الذين تزعموا الثورات ضد المرابطين في مقدمتهم علي بن عيسى بن ميمون أمير قادس والذي كان صاحب أول خطبة للموحدين بالأندلس، وأيضا زعيم حركة قرطبة ابن حمدين وأبو الغمر بن عزّون زعيم ثورة مدينة شريش وحسب ما ورد في بعض المصادر فإن زعيم المريدين ابن قسي قد سبقهم بقليل في الاتصال بعبد المؤمن[4]، هذا الأخير الذي تريث نوعا ما في العبور العبور إلى الأندلس نظرا لاهتمامه بأمور بلاد المغرب[5]

---

[1] - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 370.

[2]- معمر الهادي، محمد القرقوطي: المرجع السابق،ص 88.

[3]- لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3،ص 265.

[4]- يذكر ابن خلدون أن ابن قسي نزل بسبتة سنة 540هـ وأن صاحبها ابن مخلوف هيأ له ظروف مقابلة السلطان الموحدي عبد المؤمن وقد تمت المقابلة سنة 541هـ ذلك أن عبد المؤمن كان في تلك الأثناء منشغلا بفتح مراكش، ويضيف ابن خلدون أن ابن قسي كانت له اتصالات بالموحدين أيام حصار عبد المؤمن لتلمسان إلا أن هذه الاتصالات لم تعد عليه بفائدة ذلك لأن الرسالة التي أرسلها ابن قسي لعبد المؤمن بن علي لقب فيها نفسه بالإمام المهدي مما أزعج عبد المؤمن بن علي، أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6،ص 231-235.

[5]- معمر الهادي، محمد القرقوطي: المرجع السابق،ص 89-90.

لقد كانت فكرة الجهاد بالأندلس تشغل عبد المؤمن بن علي ويتوق إلى تحقيقها إلا أنه أخر ذلك إلى حين مد سلطته على معظم بلاد المغرب [1]، حيث تمكن من ضم إفريقية وإخضاع معظم قبائل بلاد المغرب، واستطاع توحيدبلاد المغرب لأول مرة منذ الفتح الإسلامي، فأصبحت دولة الموحدين تمتد من برقةشرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن الصحراء الكبرى وغانة [2]جنوبا إلى طنجة شمالا ؛وبعد ذلك أصبحت الأندلس هدف عبد المؤمن خاصة وأنه كان يفكر في القضاء على كل حاكم مرابطي[3].

فبعد اضمحلال سلطان المرابطين بالأندلس وتولي حكام محلين السلطة أصبح وضع الأندلس يبدو غامضا نوعا ما مما جعل دخول الموحدين إلى الأندلس عبر مراحل [4]، وقد كانت بداية دخول الموحدين إلى الأندلس مع أوائل سنة 541هـ/1146م عبروا إلى جنوب الأندلس وذلك بإرسال جيش يتكون من 10 آلاف فارس و 20 ألف رجل يترأسه ويقوده براز بن محمد المسوفي[5]، ولم يكتف عبد المؤمن بن علي بهذا بل أرسل جيشين آخرين للعبور إلى الأندلس وكان الثاني بقيادة موسى بن سعيد وأما الثالث فكان بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي وقد أمرهم عبد المؤمن بقتال كل من يرفض الطاعة للموحدين[6].

---

[1]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق،ص 270، أنظر :

Gaid Mouloud ; Les berbères dans l'Histoire de l'Kahina à l'occupation turque, T II, Ed Mimoune , Boumerdes ,Alger, 1983, p 125- 126

[2]- غانة: وهي بفتح العين المعجمة بعدها ألف ثم نون مفتوحة في الأخر، وهي ليست بدولة غانة الحالية بالقرب من الحدود مع موريطانيا ، وتعني غانة باللغة المحلية الساراكولة أي القيادة العسكرية، ثم تحول الاسم إلى العاصمة مركز القيادة ، ثم أطلق على المملكة، وهي من مناطق السودان الغربي تقع شرق مدينة بريسي بينهما 12 يوما، لا توجد بها الفواكه الرطبة إلا ما يجلب لها من تمر من سجلمانة، وبينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، وهي مدينتان على ضفتي البحر الحلو، وهي أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا، وإليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى وأهلها المسلمون. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص 425. أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص 19- 20، وأنظر أيضا:مبخوت بودواية ، المرجع السابق، ص 35.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 66-67.

[4]- مونتغمري وات: في تاريخ إسبانيا الإسلامية مع فصل في الأدب بقلم بيير كايكا،تر: محمد رضا المصري،ط 2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1998،ص 117-118.

[5]- Gaid Mouloud :op.cit, P 126.

[6]- الناصري: المصدر السابق ،ج2، ص 104.

واستولت جيوش الموحدين على مدينة طريف[1] والجزيرة الخضراء، ثم توجهت هذه الجيوش إلى شريش وكان أهلها من السباقين إلى تقديم الولاء للموحدين، فقد كان أبو الغمر بن عزون حليفا للموحدين مما جعلهم يسمحون له بإبقائها تحت سلطته ويطلقون على أهلها اسم السابقون الأولون[2].

ثم توجه الموحدون إلى إشبيلية التي تم فتحها يوم الأربعاء 12 شعبان سنة 541هـ/1147م، حيث قضي على من بقي من المرابطين إلا من تمكن من الفرار وكانت وجهة الفارين قرمونة، ومن بين الذين تم القضاء عليهم من بقايا وأتباع المرابطين أبو عمر اليناقي الفقيه وعبد الله بن القاضي، وقد حضر الفتح عدد من زعماء الأندلس وثوارها مثل أبو محمد سدراي بن الوزير ويوسف بن محمد البطروجي [3] وغيرهم وملك الموحدون اشبيلية وأصبحت تحت إمرة أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي بمساعدة أبي يحي بن الجبر الذي أرسله عبد المؤمن لهذه المهمة [4]، وتجدر الإشارة إلى أن هناك وفدا من اشبيلية قدم الولاء والطاعة للموحدين في بلاد المغرب وهو وفد القاضي أبا بكر بن العربي المعافري[5] الذي قابل الخليفة الموحدي عبد المؤمن وقدم له بيعة أهل أهل اشبيلية فقبلها وأكرمهم في الضيافة[6].

ورغم اهتمام الموحدين الشديد باشبيلية إلا أن ولاء وطاعة أهلها لم يدم طويلا، إذ ثار أهلها على الموحدين نتيجة سوء معاملة قائدي الحامية الموحدية عيسى وعبد العزيز أخوي المهدي

---

[1]- طريف: جزيرة تقع على البحر الشامي في أول المجاز المسمى بالزقاق في أول مضيق جبل طارق ويتصل غربها ببحر الظلمة ويشقها نهر صغير وسميت باسم طريف نسبة إلى مولى موسى بن نصير أيام الفتح، أنظر: الحميري:المصدر السابق ، ص 392.

[2]- علي بن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 122-132، وأنظر كذلك: يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج 1، ص 221-222.

[3]- حضرا فتح اشبيلية لأنهما ساهما في فتحها وقدما يد المساعدة للقوات الموحدية بعد تقديمهما الولاء والطاعة للموحدين.انظر ابن اب زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص125

[4]- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب –قسم الموحدين- تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمدبن تاويت وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت)،ص 35-36.

[5]- ربما رفض تقديم الولاء والطاعة للموحدين المتواجدين باشبيلية لأنه في عملية الاخضاع تم قتل ولد القاضي أبا بكر بن العربي عبد الله مما أزعجه وتذكر بعض المصادر أن ولده قتل عن طريق الخطأ عند باب المسجد، أنظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب – قسم الموحدين، ص 36.

[6]- الزركشي: المصدر السابق ، ص 8-9.

بن تومرت وبإيعاز من يوسف بن أحمد البطروجي؛وهذا الأخير لذي كان ثائرا على المرابطين وعاود الاتصال بهم لدعمه في القضاء على الموحدين [1]، مما أحدث فوضى وقلق عند أهل الأندلس في مختلف الجهات فخرج بعضهم عن طاعة الموحدين، حيث استبد أحمد بن قسي بشلب، وعلي بن عيسى بن ميمون بقادس، ومحمد بن علي الحجام ببطليوس ولم يبق على الولاء والطاعة إلا صاحب شريش أبو الغمر بن عزون،وهذا الأخير كان له دور كبير في إعادة سيادة الموحدين على المناطق الثائرة وذلك بمساهمته في تسهيل مرور الجيش الذي بعثه عبد المؤمن إلى الأندلس بعد استرداده الجزيرة الخضراء من المرابطين [2]، وكان هذا الجيش بقيادة يوسف بن سليمان الذي تمكن من القضاء على الثوار في جميع مناطق الأندلس وإعادتها إلى طاعة الموحدين بداية باشبيلية[3].

وكانت مدن وسط الأندلس الأكثر امتناعا عن تقديم الولاء والطاعة للموحدين لاسيما وأن يحي بن غانية كان متواجدا بقرطبة، إلا أن نقض ملك قشتالة لمعاهدته مع ابن غانية باستيلائه على مدينة جيان، دفع ابن غانية إلى عقد اتفاق مع الموحدين وتسليمهم مدينتي قرطبة وقرمونة مقابل منحه الأمان من قبل الخليفة عبد المؤمن[4].

وبعد أن استتب الأمر للموحدين بالأندلس قرر الموحدون إخضاع بقية أنحاء الأندلس، فدخلوا مالقة ثم غرناطة سنة 547هـ/ 1152م[5]، ولم يبق من وسط الأندلس إلا ألمرية التي كانت كانت بأيدي النصارى الذين دخلوها سنة 542هـ/ 1147م[6]فأقدم الموحدون على رفع راية الجهاد ضد النصارى وهو أقوى دافع جاء بهم إلى الأندلس، إذ قام ابن الخليفة عبد المؤمن أبو سعيد الذي كان واليا على غرناطة آنذاك مستعينا بقوة أندلسية بقيادة أحمد بن ملحان وقوة بحرية من سبتة بقيادة عبد الله بن سليمان بحصار ألمرية، وقد دام حصارها حوالي سبعة أشهر وقد تلقى النصارى مساعدة من ملك قشتالة ألفونسو السابع تتكون من 12 ألف فارس، لكن رغم هذه المساعدة وتراجع الموحدين نوعا ما لكنهم لم يستسلموا؛ بل كرروا المحاولة حتى تمكنوا من دخول

---

[1]- Gaid Mouloud :op.cit, p 126.

[2]- ابن خلدون: العبر،ج6، ص 234.

[3]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 184.

[4]- الناصري: الاستقصاء،ج2،ص 105.

[5]- نفسه نفس الصفحة.

[6]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي،ص 183- 184.

ألمرية سنة 552هـ/1147م[1]، وبذلك تمكن الموحدون من دخول الأندلس وإخضاعها شيئا فشيئا[2]، وقد استحسن ذلك عبد المؤمن ابن علي، ورأى أن يرسل أشخاصا يثق بهم ويأتمنهم على الإسلام في المنطقة؛ فبعث بولده أبي يعقوب يوسف إلى الأندلس في جماعة من كبار قادته ليعملوا تحت قيادة أبي يعقوب[3].

وواصل الموحدون إخضاع جميع النواحي، فوجهوا نظرهم واهتمامهم إلى شرقي الأندلس التي استبد بها صاحبها ؛والذي ساهم في تقديم المساعدة للنصارى في ألمرية [4]مما جعل الموحدين يحسون يحسون بخطره على كافة جهات الأندلس وفكروا في القضاء عليه وإخضاع شرقي الأندلس، وقد اعتبرت إمارة شرقي الأندلس احدى المناطق المناوئة لحكم الموحدين بالاندلس وتم دراستها من هذا المنطلق.

ب-3- دراسة مقارنة:

أما فيما يتعلق بالأندلس فتشترك الدولة المرابطية مع الدولة الموحدية في العديد من النقاط وتختلفان في بعضها.

فمن بين النقاط التي تشترك فيها الدولتين بشأن الأندلس أن دخول المرابطين والموحدين لبلاد الأندلس جاء في عهد الحاكم الأول المؤسس للدولة، أي دخل المرابطون لبلاد الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين ودخل الموحدون للأندلس في عهد عبد المؤمن بن علي.

[1]- علي بن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 415.

[2]- تذكر بعض المصادر أن مريتلة كانت أول مدينة تبايع الموحدين وكان ذلك بتاريخ 17 ربيع الأول 539هـ ثم تبعتها طليطلة ثم بقية كافة مناطق غربي الاندلس، أنظر: رسائل موحدية، تح: أحمد عزاوي،ج2، ص 108.

[3]- روجيه ألي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13هـ ، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 53.

[4]- علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 415.

ومن نقاط التوافق أيضا أن دخول كل من المرابطين والموحدين للأندلس جاء بناءا على استنجاد أهلها من خطر النصارى الذي كان يزحف نحو الأراضي الإسلامية بالمنطقة وطمعا في سلطة سياسية توحد بلاد الأندلس من الإنقسامات التي كانت تشهدها[1].

ويعتبر إستقبال الإستنجادات من أهالي الأندلس بالبلاطين المرابطي والموحدي بالمغرب نقطة توافق بين الطرفين، كما أن هذه الإستنجادات جاءت في كلا العصرين قبل إخضاع سبتة للسلطة الحاكمة المرابطية أو الموحدية مما أجبر السلطتين على التفرغ لإخضاع هذا الثغر لأنه الطريق الوحيد المؤدي لبلاد الأندلس[2].

إلا أن أساليب إخضاع سبتة تعتبر نقطة إختلاف بين الطرفين أو بين الدولتين بحيث نجد يوسف بن تاشفين يطلب من المعتمد ابن العباد الحصار البحري لسبتة بأساطيله ليتمكن من التغلب عليها والعبور إلى الأندلس لأن الحصار البري لها لا يأتي بالنتائج المرجوة وأمامها البحر[3].

وأما عبد المؤمن بن علي فلم يكن هو الآخر بإمكانه المرور إلى الأندلس إلا بإخضاع سبتة، وقد أخضعت سبتة لطاعة الموحدين عبر مراحل بحيث اتصل عبد المؤمن بريف سبتة سنة 536هـ أيام علي بن يوسف، ثم اتصل بأهاليها أيام تاشفين بن علي، ثم حاول الدخول إليها لكنها امتنعت عليه بدفاع قاضيها عياض، ولما فارق الأسطول المرابطي مياه سبتة بقيادة أبو عبد الله بن ميمون بإستدعاء من تاشفين بن علي جاء عياض على رأس وفد يمثل أهالي سبتة وقدم طاعته لعبد المؤمن، وأعلن عن دخول سبتة وأهلها في طاعة الموحدين وذلك سنة 540هـ بسلا، فتقبل عبد المؤمن طاعتهم ووجه إليهم واليا موحديا هو يوسف بن مخلوف التنمللي من مشيخة هنتانة، وبعد مدة قصيرة فتك أهل سبتة بعامل الموحدين وجاء عياض بأبي بكر الصحراوي إلى

---

[1]- كانت الأندلس قبيل دخول المرابطين اليها مقسمة إلى إمارات مستقلة عن بعضها البعض عرفت باسم ملوك الطوائف فقد كان لابن عباد امارة اشبيلية وابن صمادح المرية والمتوكل بن الافطس صاحب بطليوس وغيرها من الطوائف ، نفس الشيئ قبيل ضمها للسلطة الموحدية اذ شهدت الأندلس انقسامات الى طوائف مرة اخرى بحيثاخرج اعيانها من كان عندهم من ولاة المرابطين واستبد كل منهم بامارة معينة وانقسمت الى طوائف .أنظر: عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص59-154،71- 156 .

[2]- المراجع التي تتحدث عن إخضاع سبتة هي محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الأندلس ،ع3،ق1،ق2،يوسف أشباخ :تاريخ الأندلس ،ج1،ج2.،والعديد من المصادر مثل ابن السماك العاملي في الحلل الموشية وعبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب و محمد بن تاويت: تاريخ سبتة، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1982، محمد زنبير :المرجع السابق ،ص341

[3]- محمد بن تاويت: تاريخ سبتة، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1982، ص 51.

سبتة من فاس، لكن الموحدون تصدوا لهم وقاتلوهم وقضوا على ثورتهم مما اضطر بأهالي سبتة إلى العودة إلى طاعة الموحدين سنة 542هـ الموافق ل 1147م[1] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن عبد المؤمن بن علي واجه صعوبات أكثر من يوسف بن تاشفين في إخضاع سبتة.

عمد المرابطون إلى القضاء على أمراء إمرات الطوائف حتى يتمكنوا من تحقيق الإ ستقرار السياسي للبلاد[2] إلا أنهم واجهوا صعوبة كبيرة في إخضاع شرقي الأندلس بحيث كانت هذه المنطقة ضعيفة البناء من الناحية العسكرية والسكانية، وإنقسم شرقي الأندلس إلى سرقسطة والثغر الأعلى في الشمال، ثم دانية ومرسية وكل منهما تحول إلى وحدة سياسية مستقلة خاصة بعد سقوط طليطلة[3].

وكذلك الموحدون لم يواجهوا صعوبة كبيرة في السيطرة على غربي الأندلس وجنوبها ووسطها مثلما واجهتهم في شرقيها بسبب إمتناع ابن مردنيش عن الدخول في طاعة الموحدين مما هدد استقرار نظام الحكم الموحدي [4]، فصعوبة إخضاع شرقي الأندلس تعتبر نقطة توافق بين المرابطين والموحدين في شأن الأندلس.

نسجل أيضا نقطة توافق بين الطرفين في شأن الأندلس من ناحية نوع المشاكل التي واجهتهما بالأندلس، بحيث واجه كل من يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي بالأندلس مشكل الإرتداد عن البيعة والتأييد من زعماء الأندلس إذ فقد يوسف بن تاشفين التأييد والتحالف من أمراء الأندلس في الجهاد، فبعد تحقيقه نصر الزلاقة وبعد سنتين عاد يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من أجل استرجاع حصن لبيط من أيادي النصارى إلا أن أمراء الطوائف تحالفوا مع النصارى مما جعله يعود أدراجه دون إسترجاع هذا الحصن[5].

---

[1]- محمد بن تاويت : المرجع السابق، ص 66- 67. عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، ص 180.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 122- 123.

[3]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 58.

[4]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ص 188.

[5]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 34- 35.

وأما عن الموحدين فقد فقدوا تأييد العديد من المناطق الأندلسية بعد إرتدادها عن الدخول في طاعة الموحدين مثل أهل طليطلة، وصاحب لبلة، وحتى ابن القسي الذي جاء إلى المغرب مستغيثا وأعاده الموحدون إلى ملكه قد شق عصا الطاعة عليهم[1].

هذه بعض نقاط التوافق ما بين المرابطين والموحدين في شأن الدخول لبلاد الأندلس أما ما يمكن تسجيله من نقاط إختلاف بينهما في هذا الصدد هو الضمان الذي طالب به يوسف بن تاشفين أهالي الأندلس مقابل إستجابته لنداء إستغاثتهم ولم يطالب به عبد المؤمن بن علي بحيث أن يوسف ابن تاشفين طلب ضمانا من أهالي الأندلس ليتأكد من نيتهم السليمة في الإستنجاد به من النصارى، وذلك كان بناءا على نصيحة وزيره عبد الرحمن بن أسباط [2]، وقد حصل على الجزيرة الخضراء كضمان لعبوره إلى الأندلس كما سبق أن أشرنا لهذا، وقد كان هذا الضمان بمثابة أن يتواجد المرابطون بالأندلس بشكل مستمر ومستقر وذلك من خلال جعل الجزيرة الخضراء مركزا للجند والمؤونة ومقر السلطة المرابطية بالأندلس[3].

هذا بخلاف عبد المؤمن بن علي الذي لم يطالب أهل الأندلس بضمان بل لبّى نداء الإستغاثة فور إقناع ابن القسي له بضرورة العبور إلى الأندلس، لأن الثورات التي كانت بالأندلس كانت تساهم بشكل كبير في تغلب النصارى على الأراضي الإسلامية مما دفع بعبد المؤمن بن علي إلى تجهيز أول حملة إلى الأندلس سنة 541هـ الموافق ل 1146م بقيادة براز بن محمد المسوفي[4].

شكلت أيضا إشبيلية نقطة إختلاف بين المرابطين والموحدين وشأن دخولهم إلى بلاد الأندلس، بحيث واجه يوسف بن تاشفين بعض الصعوبات في إخضاعها وذلك لما كان من أمرها بيد المعتمد بن عباد وأبنائه[5]، وأما عبد المؤمن بن علي فلم يواجه أية صعوبات في إخضاع إشبيلية

[1]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 183.

[2]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 107- 108.

[3]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 34.

[4]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 180.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 103- 105.

إشبيلية فقد حاصرها عبد المؤمن بن علي أمد غير طويل ثم إقتحم الموحدون المدينة ففر المرابطون وبعضهم قتلوا[1].

ومما سبق ذكره يمكن القول أن كل من المرابطين والموحدين كان الهدف من دخولهما كدولتين للأندلس الإستجابة لنداء الإستغاثة الصادر عن أهالي الأندلس وجهاد النصارى، إلا أن فترة دخول عبد المؤمن إلى الأندلس كانت أشد صعوبة ومشقة من عهد دخول يوسف بن تاشفين، وذلك أن النصارى في عهد عبد المؤمن كانوا أشد يقظة وتربصا وتعصبا ضد الإسلام، وقد أطمعهم في المسلمين وقوي من أملهم في إسترداد الأندلس ثغرات الضعف التي أخذت تتكاثر في نهاية حكم المرابطين[2].

---

[1]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 182- 183.

[2]- نفسه ، ص 143.

الفصل الثاني

التنظيم السياسي والإداري للدولتين المرابطية والموحدية

1- نظام الحكم المرابطي:

بعد أن تمكن يوسف بن تاشفين من تأسيس دولته وبسط نفوذه على كامل بلاد المغرب ثم معظم أقاليم بلاد الأندلس شرع في تنظيم أمور دولته وضبط جهازها الإداري والسياسي وإحداث المناصب وتعيين أصحابها مهتما بجميع الجوانب والميادين في الدولة، وقد تمثلت أهم التنظيمات السياسية والإدارية في الدولة المرابطية فيما يلي:

أ- التنظيم السياسي والإداري:

أ-1- جهاز الحكم: تكون جهاز الحكم في الدولة المرابطية من الحاكم ونوابه والولاة والوزراء والكتاب[1].

الحاكم: هو رجل الدولة الأول ولم يتخذ حكام الدولة المرابطية لقب السلطان أو الملك أو غيرها من الألقاب الفخمة الدالة على السلطة والملك والرياسة وإنما اتخذوا لقب" الأمير"، فأول حاكم تلقب بهذا اللقب هو يوسف بن تاشفين [2] لكن حسب ما تتناوله المصادر والمراجع ليس هو من اتخذ اللقب، فهذا اللقب لم يتواجد بعد تأسيس الدولة وإنما كان متواجدا أثناء الدعوة المرابطية وقد يعود إلى ما قبل ذلك نسبة إلى الإمارة في القبيلة، فقد أطلقه المرابطون على أبي زكرياء يحي بن عمر اللمتوني أمير قبيلة لمتونة[3].

وبعد وفاة يحي بن عمر سنة 447هـ الموافق ل 1055م تلقب أخوه أبو بكر بن عمر بنفس اللقب[4] لأنه خلفه في إمارة القبيلة والإمارة في قيادة الدعوة، وقد نجد رأيا آخر يثبت لنا أن الإمارة كانت نسبة إلى تزعم الدعوة وليس تزعم القبيلة وذلك راجع إلى أن عبد الله بن ياسين رغم

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 245.

[2]- سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين- أمير المرابطين-، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985، ص 161.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 253.

[4]- نفسه ،نفس الصفحة.

أنه لم يذكر أنه تلقب بلقب الأمير، إلا أنه يذكر أنه تزعم جماعة المرابطين ثم ينسب إليه أنه لم يمكن حريصا على استمرار الإمارة في أسرته[1].

هذا ولم يستقر لقب حاكم المرابطين على لقب الأمير وإنما تذكر المصادر أن يوسف بن تاشفين قد تلقب هو أيضا بالأمير لكن بعد فترة زمنية معينة اتخذ لنفسه لقبا جديدا وهو" أمير المسلمين وناصر الدين"[2]، وترجع أغلب المصادر إلى أن سبب اتخاذه لهذا اللقب هو انتصاره في موقعة الزلاقة على النصارى، فيؤكد هذا ابن أبي زرع الفاسي في قوله:«... وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ولم يكن يدعى بها قبل ذلك» [3]، ويوافق ابن خلدون [4] وابن الخطيب[5] ابن أبي زرع الفاسي في هذا الرأي، ويخالف صاحب الحلل هذا الرأي إذ يذكر لنا أن سبب اتخاذ يوسف بن تاشفين لنفسه لقب" أمير المسلمين وناصر الدين" هو إخضاعه للكثير من مناطق بلاد المغرب واتساع مملكته، مما أدى إلى اجتماع أشياخ قبيلته وأعيان دولته ومطالبته بأن يتلقب بأمير المؤمنين، فرفض لكون اللقب خاص بخلفاء بني العباس وأنهم أجدر به [6]، واقترح عليهم أن يتلقب بلقب" أمير المسلمين وناصر الدين" [7]، ويذكر أنه من وقتها دعي بهذا اللقب وخطب له على المنابر في العدوتين وكتب به إلى عماله ورجال دولته ومما جاء في كتابه حسب رواية صاحب الحلل:«... وأنه لما من الله علينا بالفتح الجسيم... رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا الاسم لنمتاز به عن سائر أمراء القبائل وهو" أمير المسلمين وناصر الدين" فمن خاطب الحضرة العلية السامية فليخاطبها بهذا الاسم...»[8].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 247.

[2]- نفسه، ص 253.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي :روض القرطاس، ص 149.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 250.

[5]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 251.

[6]- رأى ابن تاشفين أن بني العباس أحق بلقب" أمير المؤمنين" لكونهم من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة. أنظر حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 254.

[7]- ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 79.

[8]- نفسه، ص 30.

والأرجح حسب ما اوردته بعض المصادر في هذا الصدد أن يوسف بن تاشفين اتخذ هذا اللقب بعد انتصاره في معركة الزلاقة مثلما ذكر لنا ابن أبي زرع الفاسي وابن خلدون وذلك لاتفاق المصادر جميعها حتى صاحب الحلل أنه خوطب بهذا اللقب من العدوتين وهو نفس الأمر الذي يبطل رأي صاحب الحلل، ذلك أن صاحب الحلل يذكر لنا أنه تلقب بلقب" أمير المسلمين وناصر الدين" وخوطب به من العدوتين سنة 466هـ، إلا أنه في هذه السنة بالضبط لم يكن المرابطون وملوك الطوائف على اتصال فيما بينهما وأول اتصال بين الطرفين كان قبل معركة الزلاقة على الأقل بسنة مما يؤكد عدم ورود أي خطاب على ابن تاشفين من عدوة الأندلس يخاطب فيها بلقب " أمير المسلمين وناصر الدين" لعدم تواصلهما في هذه الأثناء، وأنه وردت عليه الخطابات بهذا اللقب من الأندلس بعد معركة الزلاقة لتواصلهما مع بعض مما يؤكد الرأي الأول ويبطل رأي صاحب الحلل لعدم توافقه مع الحوادث التاريخية[1].

هذا وقد كان الحاكم في الدولة المرابطية يعين وفقا لمبدا الشورى[2] وذلك منذ قيام دولة المرابطين حيث كان يتم اختيار الحاكم بكل حرية ويتم تعيينه بعد عقد مجلس زعماء القبائل والولاة والعلماء والفقهاء ومشايخ المرابطين وأعيانهم، فبهذه الطريقة تم تعيين عبد الله بن ياسين وبهذه الطريقة خرجت الإمارة والحكم من أسرته [3] إلى غيره وقد أوصى هو نفسه بالسير على هذا المنوال إذ لم يكن يمارس أي ضغوطات على المرابطين لاختيار يحي بن عمر ثم أبي بكر بن عمر ومما يؤكد هذا قوله:« إياكم والمخالفة والتحاسد على الرياسة فإن الله يؤتي ملكه من يشاء ويستخلف في أرضه من أحب من عباده، ولقد ذهبت عنكم فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم ويغزو عدوكم ويقسم بينكم فيئكم ويأخذ زكاتكم وأعشاركم[4]».

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 255.

[2]- مبدا لشورى: هي احدى قواعد النظام السياسي الاسلامي عمل به الرسول – صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدون من بعده . أنظر: محمد علي محمود صبح :ادارة الدولة في الاسلام – دراسة تاصيلية لمفهوم ادارة الدولة في الفكر السياسي الاسلامي – رسالة ماجستير ،نابلس ،جامعة النجاح الوطنية ،كلية الدراسات العليا ،نابلس ،فلسطسين ،2011،ص 100- 102.

[3] – حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 247.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 132.

وقد ظل نظام الحكم في الدولة المرابطية يسير على مبدأ الشورى إلى عهد يوسف بن تاشفين الذي حول نظام الشورى إلى نظام الوراثة [1] وذلك منذ اختياره لابنه عليا [2] كولي للعهد سنة 496هـ الموافق لـ1102م[3] وذلك لعدة أسباب منها مخافة ترك الأمر شورى بين المسلمين (المرابطين) من بعده، يفتح باب التنافس بين أبنائه وأقاربه ورجال الدولة من أجل الظفر بالإمارة، وخشية نشوب فتنة بينهم من أجل الحكم يهملون من جرائها أمور الدولة خاصة شأن الأندلس التي كانت مهددة بغارات النصارى[4].

هذا ولم يكن اختيار يوسف بن تاشفين لابنه عليا وليا للعهد حبا فيه وإنما لأنه رأى فيه توفر شروط الحاكم أو الأمير ،مما يؤهله للإمارة فلم يكن عليا أكبر أبناء يوسف[5] وكان أصغر سنا من عمه تميم لكن يوسف بن تاشفين اختاره لما رآه فيه من ورع ونباهة [6] وحزم مما يؤهله لإمارة شعوب وأمم كثيرة[7].

وفي هذا الصدد يذكر صاحب الحلل نقلا عن محمد ابن خلف في البيان الواضح:« ومما سلى النفوس كل التسلية، وأطفأ نار الرزية، ماكان نظره الجميل، ورأيه الأصيل، توليه الأمر في حياته لابنه الأمير أبي الحسن، ذي العقل الرصين، والرأي الحسن[8]...».

---

[1]- نظام الوراثة: هو نظام سياسي في الدولة الاسلامية حيث يقيم الحاكم للرعية من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها ،ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل فيبايعونه بالعهد على الطاعة بعد الحاكم ،ويكون اختيار في نسل الحاكم وبنيه فقط حسب ما تحتاجه الدولة في الغاية الطبيعية من العصبية على ان تكون هذه العصبية في الحق واقامة امر الله .أنظر: ابن خلدون :المقدمة ،ص 212- 213 - 218- 219.

[2]- علي بن يوسف بن تاشفين: ولد بمدينة سبتة في شهر ربيع الأول سنة 476هـ وقيل سنة 477هـ، من أم نصرانية اسمها قمر وتلقب أم الحسن أو فاض الحسن، وهو ليس أكبر إخوته من أبناء يوسف بن تاشفين و يذكر انه كان حسن السيرة، نزيه النفس، ويميل لأهل الفقه و الدين و كان مثل أبيه في إيثار الجهاد وإخافة العدو. أنظر : ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 101، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص154

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 248.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- الإبن الأكبر ليوسف بن تاشفين هو ابو بكر سير بن يوسف بن تاشفين استخلفه ابوه على المغرب حينما عبر المرة الاولى الى الأندلس استجابة لصريخ ملوك الطوائف ،وفي طريق عودته الى اشبيلية بعد انتصاره في معركة الزلاقة تلقى يوسف بن تاشفين نبا وفاة ابنه ابو بكر سير وكان قد تركه مريضا في سبتة مما جعله يعجل بعودته ويترك مطاردة النصارى .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ، ع3،ق1،ص 45

[6]- نفسه ،نفس الصفحة

[7]- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس، ج 1، ص 118-119.

[8]- ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 146.

هذا ولم يكن اختيار علي كولي للعهد اختيارا فرديا ليوسف بن تاشفين وإنما قبل أن يعلنه والده وليا للعهد قد عمل على مشاورة الفقهاء والقضاة وزعماء القبائل وأفراد الأسرة المرابطية وكبار رجال الدولة وذلك سنة 495هـ الموافق ل 1101م[1]، واقترح عليهم الأمر مع اطلاعهم على الأسباب التي دفعته لذلك، فوافقوا على اقتراحه لاقتناعهم بالأسباب، فأنشأ مرسوما سمي بمرسوم البيعة[2]، يتضمن أسباب اختيار ولي العهد، والشروط الواجب توفرها فيه والمبادئ التي ينبغي أن يسير عليها[3].

ومن خلال ما تقدم من حديث عن تولية علي لولاية العهد نستخلص أن ابن تاشفين اعتمد في اختياره لولي العهد على مبدأين مبدأ الإختيار ومبدأ الشورى، فمبدأ الإختيار و هو ما ذكرناه من الأسباب التي أدت به إلى اختيار ابنه عليا دون غيره، وأما مبدأ الشورى فهو ما لجأ إليه ابن تاشفين أثناء استشارة فقهاء وعلماء الدولة ورجاله واطلاعهم على اختياره لولي العهد وعلى الأسباب كما أنه وضح لهم أنه في فكرته هذه ومشاورته لهم يعمل بما أمر به الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين[4] أي الإختيار ثم المشاورة ليكون الأمر شورى بين المسلمين.

هذا وأهم الشروط التي يتضمنها مرسوم البيعة هي اشتراط يوسف بن تاشفين على ابنه علي ولي العهد بالتمسك بالمبادئ التي دعا إليها الإمام عبد الله بن ياسين في وجوب إعلان الجهاد على أعداء الإسلام، ووجوب احترام الفقهاء والقضاة والعلماء، وبذل الجهد في إقامة العدل بين الرعية[5]، ويزيد صاحب الحلل على هذه الشروط شرط آخر وهو وضعه لسبعة عشر ألف فارس بالأندلس موزعة على عدة مدن منها كما يذكر صاحب الحلل:«... ترتيب سبعة عشر ألف فارس بالأندلس موزعة على أقطار معلومة يكون منها بإشبيلية سبعة آلاف فارس،

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 248- 249.

[2]- مرسوم البيعة: كان هذا المرسوم من إنشاء الوزير الفقيه أبي محمد بن عبد الغفور وكان من أعلام البلاغة في ذلك العصر. أنظر : نفسه، ص 249.

[3]- نفسه، نفس الصفحة، للاطلاع على نص المرسوم أنظر: ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص 141-142.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 250.

[5]- نفسهن نفس الصفحة.

وبقرطبة ألف فارس، وبغرناطة ألف فارس، وفي الشرق أربعة آلاف فارس، وباقي العدد على ثغور المسلمين للذب والمرابطة في الحصون المصاقبة للعدو»[1].

وقد أطلع ابن تاشفين أهل الأندلس خاصة الفقهاء والقضاة على توليته لابنه علي وليا للعهد وقد أطلعهم في ذلك على أسباب الإختيار من أجل أخذ البيعة له وكان هذا سنة 476هـ الموافق ل 1102م[2] بقرطبة عند جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس برفقة ولديه علي وتميم للاطمئنان على سير الأمور بالأندلس، وفي نفس الوقت أخذ البيعة لابنه علي بالأندلس وفعلا تم له ذلك وأخذ له البيعة، إذ أقسم الحاضرون بالبيعة من فقهاء وقضاة ورجال الدولة على الولاء والطاعة، وأقسم ولي العهد على الالتزام بالشروط التي اشترطها عليه والده في مرسوم البيعة، وبقرطبة ذي الحجة سنة 496هـ الموافق ل 1102م[3] صدر كتاب تولية وبيعة يوسف بن تاشفين لابنه علي[4] بخط كاتبه ووزيره أبي بكر بن القصيرة [5]، وقد كان هذا الجواز الأخير ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس وهو الجواز الرابع كما تذكر المصادر [6]، فبعد عودته إلى بلاد المغرب أصيب بمرض لمدة سنتين توفي بعدها وكانت وفاته [7] بتاريخ 01 محرم 500هـ الموافق ل 02 سبتمبر 1106م[8].

ومن حين اختيار يوسف بن تاشفين لابنه علي وليا للعهد غدت الدولة المرابطية مملكة وراثية، فقد اختار علي لولاية عهده ابنه تاشفين سنة 533هـ الموافق ل1138م، واختار تاشفين

1- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 142-143

2- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 251.

3- نفسه، نفس الصفحة.

4- ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص 519.

5- أبو بكر بن القصيرة: هو محمد بن سليمان الكلاعي من أعظم كتاب الأندلس يعرف باسم أبي بكر بن القصيرة، كان أحد وزراء المعتمد بن عباد كتب ليوسف بن تاشفين ثم لولده علي. أنظر : ابن خاقان: قلائد العقيان، ص 104، ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص 517- 519.

6- المصادر التي حددت الجواز الرابع كثيرة ومنها الحلل الموشية ص140-146،عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص222_223.

7- سبب وفاة يوسف بن تاشفين: سبب وفاته مرض وليس أنه قتل في معركة بالأندلس أو جرح أو ما إلى ذلك، فيذكر ابن أبي زرع الفاسي يقول:« في سنة 498هـ الموافق ل 1104م ابتدأته العلة التي مات منها وهو بمدينة مراكش، فلم يزل مرضه يشتد وحاله يضعف حتى مات ودفن بحضرة مراكش، وحضر وفاته ابنه تميم وعلي وكبار صنهاجة وأسرته اللمتونية». أنظر : ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 146، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 101-102.

8- ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص 146، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 101.

ولده إبراهيم لولاية عهده سنة 539هـ الموافق ل 1149م وكان حينها في وهران يخوض حروبه ضد الموحدين ليكون إبراهيم هو آخر حكام الدولة المرابطية[1].

هذا وقد كان للحاكم في الدولة المرابطية نائبان، نائب ببلاد المغرب ونائب بالأندلس، فأما نائبه ببلاد المغرب كان مقره فاس ولم يكن هذا المنصب يدوم لشخص واحد لمدة طويلة فقد كان حاكم الدولة المرابطية أو أمير المسلمين يعمل على نقلهم من هذا المنصب إلى منصب بعد مدة معينة ويقوم بمراقبة أعمالهم، كما يعمل على أخذ حذره منهم حتى لا يفكرون بالاستقلال والانفصال[2]، وكانت تسند إلى النواب بعض المهام الإدارية، وكان النواب يتخذون لأنفسهم كتابا، كتابا، ومن أبرز كتاب النواب محمد بن أبي الخصال[3] كاتب للنائب محمد بن الحاج، وأبو بكر بن بن الصائغ[4] كاتب النائب أبي بكر بن إبراهيم [5]، فقد كانت حياة كل نائب هي الحياة المصغرة لحياة الحاكم- أمير المسلمين- فيما يخص الكتاب والأعوان والفقهاء والقصور والخدم، حتى كان البعض من النواب ينغمس في حياة البذخ.

أما بالنسبة لنائب الحاكم- نائب أمير المسلمين- بالأندلس فقد كان هذا المنصب في أغلب الأوقات من نصيب ولي العهد، فإذا تولى ولي العهد العرش ولى منصب نائب بالأندلس أحد إخوته أو أكبر أبنائه [6]، وقد كان النائب بالأندلس يستقر في أغلب الأحيان بغرناطة أو

---

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 414.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي للمرابطين، ص 263، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس،ص104

[3]- محمد بن أبي الخصال: هو أبو عبد الله محمد بن مسعود الغافقي الشقوري المعروف بابن أبي الخصال، برز في الفقه وبرع في الكتابة نثرا وشعرا حتى صار من أبرز أعلام النثر الأندلسي في عصر المرابطين. أنظر : ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص 416 ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ،ج2،ص 66.

[4]- أبو بكر بن الصائغ: هو أول وزير وكاتب لأبي بكر بن إبراهيم، اشتهر بالعلم والحكمة مما ساعد على رفع قدر أبو بكر بن إبراهيم واشتهاره وزيادة جمال عمله في عين أمير المسلمين. أنظر : العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مرا: عبد الوهاب بن منصور، ج 1، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص 204 الفتح بن خاقان :مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح اهل الاندلس ،تح :محمد علي شوابكة ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،1983،ص 397-398.

[5]- أبو بكر بن إبراهيم: هو أبو بكر بن إبراهيم الأمير أبو يحي المسوفي الصحراوي من أمراء المرابطين وصهر علي بن يوسف بن تاشفين زوج أخته وأبو ولدها يحي، كان مثلا في الكرم، غاية في الحياء والشجاعة، ولي غرناطة سنة 500هـ ثم انتقل منها إلى سرقسطة. أنظر : العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل بمراكش، ج1، ص 204- 207.

[6]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 261.

قرطبة[1]، وقد كان نائب أمير المسلمين بالأندلس يمثله في سلطانه بسلطة شبه مطلقة، فقد كان نائب الأندلس يولي ويعزل ولاة الأقاليم كيفما يشاء حسب مصلحة الدولة، كما كانت له سلطة على الجيش المرابطي بالأندلس، فقد كانت صلاحيات نائب أمير المسلمين بالأندلس تخول له الإشراف على الشؤون السياسية والإدارية والعسكرية[2] وهذا يتضح انطلاقا من رسالة حاكم الدولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى نائبه على الأندلس وهو ابنه الأكبر أبو بكر بن علي والتي جاء فيها:« وقد رأينا أن نقدمك على جميع الجيوش بتلك الجزيرة عموما يشمل من كان هناك منها ومن وصل من هذه العدوة إليها وخاطبنا... بالسمع منك والطاعة لك، وأن يطابق كل واحد منهم رأيك ويوافق عملك»[3].

وإضافة إلى نواب أمير المسلمين أو نائبي أمير المسلمين في الدولة المرابطية نائب ببلاد المغرب وآخر بالأندلس، كان له أيضا ولاة الأقاليم [4]، فقد كان ببلاد المغرب حوالي ثمانية ولاة حسب عدد الأقاليم والتي كانت تتمثل في إقليم مراكش وأغمات، وإقليم السوس وسائر بلاد المصامدة، وإقليم فاس، وإقليم سجلماسة ودرعة، وإقليم مكناسة، إقليم بلاد فزاز، وإقليم طنجة وسبتة، وإقليم تلمسان[5].

وأما الأندلس فقد كانت تنقسم على عهد المرابطين إلى خمس ولايات (أقاليم)وهي: إشبيلية وغرناطة وقرطبة وبلنسية ومرسية، واعتبرت سرقسطة الولاية السادسة قبل سقوطها في أيدي النصارى سنة 512هـ الموافق ل 1118م[6].

---

[1]- كانت قرطبة أو غرناطة هي مركز نائب أمير المسلمين ذلك بالأندلس، كانت في عهد المرابطين منقسمة إلى خمس ولايات وهي كالتالي: إشبيلية، وغرناطة، وقرطبة، وبلنسية، ومرسية، أما سرقسطة فقد كانت الولاية السادسة قبل سقوطها في يدي ألفونسو السادس سنة 512هـ الموافق ل 1118م، أما بالنسبة لقرطبة فقد اتخذها المرابطون في أول عهدهم بالأندلس مركزا لحكومتهم، وفيها أصدر يوسف بن تاشفين عهده بولاية ابنه على ولاية عهد الدولة المرابطية، الذي طالب في أيامه بنقل قاعدة الحكم إلى غرناطة وعين ابنه تاشفين واليا عليها. أنظر: حمدي عبد المنعم، محمد حسين: المرجع السابق، ص 262.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين ، ص 262.

[4]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 415، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 264.

[5]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 415.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

هذا وقد كانت مناصب ولاة الأقاليم مثلها مثل منصب نائب أمير المسلمين لا يشغلها إلا القادة المرابطون وأقارب الأمير [1]، ويعبر عن ذلك ابن خلدون فيقول:«... وقد بدأ يوسف بن تاشفين في ذلك بتقسيم بلاد المغرب على بنيه وأمراء قومه وذويه»[2].

وتخلل أيضا جهاز الحكم المرابطي نظام الوزارة، وقد كانت مرتبة الوزارة [3] عند المرابطين مرتبة سامية حسب ما ورد في المراجع والمصادر[4]، فيذكر الطرطوشي في أهمية مرتبة الوزارة فيقول: « وأثرى منازل الآدميين النبؤة ثم الخلافة ثم الوزارة، والوزير عون على الأمور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة، والوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه، وفي الأمثال نعم الظهير الوزير» [5]، ثم يضيف:« أسعد الملوك من له وزير صدق، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه» [6]. ويؤكد أيضا على أهمية مرتبة الوزير ابن عبدون في رسالة الحسبة بقوله:« الوزير واسطة بين القاضي والسلطان، فباتفاق القاضي والوزير يكون صلاح الدولة وصلاح العاملين»[7].

---

[1]- أهم ولاة الأندلس في العهد المرابطي: سير بن أبي بكر اللمتوني، محمد ابن الحاج، يحي بن غانة، محمد مزدلي، محمد وعبد الله ولدا يوسف بن تاشفين، محمد بن عائشة، محمد بن فاطمة، عبد الله تينغمر ابن أخت علي بن يوسف ، إبراهيم بن يوسف، أبو بكر بن علي بن يوسف. أنظر: محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 415.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 247.

[3]- الوزارة: لغة تم الإختلاف في اشتقاق معنى الوزارة على ثلاثة أوجه، الأول أنه من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن رئيس الدولة أثقاله ومنه قوله تعالى:« وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا» آية 87 سورة طه، أي أثقالا من أمتعتهم، والوجه الثاني أن المعنى مشتق من الأزر وهو الظهر، لأن الحاكم يقوى بوزيره كقوة البطن بظهره، والواجه الثالث أن المعنى مشتق من الوزر وهو الملجأ، ومنه قوله تعالى:« كَلَّا لاَ وَزَرْ» آية 11 سورة القيامة أي لا ملجأ، فحاكم الدولة يلجأ إلى الوزير ومعونته، وكلمة الوزير جامعة لهذه المعاني كلها، فالوزير عون على الأمور وشريك في التدبير وظهير في السياسة وملجأ عند النازلة.

والوزارة موجودة في مفهوم الإسلام بالمعاني الثلاث انطلاقا من قوله تعالى:«... واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُون أَخِي أُشدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْه فِي أَمْرِي» آية 29- 31 سورة طه، وقوله صلى الله عليه وسلم:« إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق، إذا نسي ذكره وإن ذكره أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه» أخرجه أبو داود والبيهقي. انظر:محمد بن حبيب الماوردي:ادب الوزير- المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك-،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،(د.ط)،(د.ت)،ص 9-11،ابن منظور :لسان العرب ،ج14،ص 353

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمرابطين في المغرب والأندلس، ص 266.

[5]- أبو بكر الطرطوشي: سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبو بكر، تق: شوقي ضيف، مج 1، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، 1994، ص 287- 288.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

[7]- ابن عبدون : ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 14- 15.

هذا وقد انقسمت الوزارة في الدولة المرابطية إلى نوعين حسب ما تقتضيه حاجة الدولة، وبما أن الدولة كانت تحمل مشعل نشر الإسلام والجهاد سواء ببلاد المغرب أو الأندلس فكان لابد لها من وزراء ذوي سيم عسكرية وعلى دراية بقوانين الحرب وفي نفس الوقت كانت الدولة بحاجة إلى تنظيم شؤونها الإدارية وضبط جهاز حكمها وعلاقاتها الداخلية والخارجية، مما استوجب وجود وزراء ملمين بالآداب وفنون كتابة الرسائل والوثائق وعلى دراية وعلم بالدراسات الفقهية[1].

وعليه فإن الوزراء في العهد المرابطي كانوا صنفين، فالصنف الأول وزراء حرب وفي أغلب الأحيان كانوا من أقرباء الأمير أو من قبائل لمتونة وصنهاجة عصب الدولة المرابطية، وأما الصنف الثاني فهم وزراء التنظيمات الإدارية والسياسية والعلاقات الخارجية ومعظمهم أدباء أندلسيين[2].

هذا وقد تعددت أصناف الوزارة واختصاصاتها في عهد علي بن يوسف بن تاشفين نظرا لاتساع الدولة وتضخم شؤون الحكم بها، وأما في عهد ابنه يوسف بن تاشفين لقد كان الكتاب انفسهم،هم الوزراء والمشرفون على الديوان [3]، بينما في عهد ابنه علي بن يوسف فقد تطورت مهام الوزير وشملت عدة اختصاصات، حتى جعل لهم مجلسا يترأسه كبير الوزراء وهو حلقة وصل بين الأمير وباقي الوزراء[4]، وقد تمكن الوزراء من نيل ثقة واحترام أمراء الدولة على مر العهود حتى أنهم كانوا موضع استشارة ومسؤولية في الشؤون المالية والإدارية[5].

ومن أشهر وزراء الدولة المرابطية هم وزراء عهد علي بن يوسف بن تاشفين، حيث بلغت الوزارة في عهده أسمى مراتبها، فمن هؤلاء الوزراء:

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 267.

[2]- يمكن القول ان الوزراء في النظام المرابطي كانوا يجمعون بين أكفاء السيف واكفاء القلم ومن ثم انقسمت الى وزارة تفويض ووزارة تنفيذ حسب مفهومها عند الماوردي انظر: ابن حبيب الماوردي :ادب الوزير ،ص 10-11 ،حمدي عبد المنعم، محمد حسين:التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 267.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج2،ص 478.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 267.

– **الفقيه الكاتب مالك بن وهيب الإشبيلي**: وقد بلغ مكانة كبيرة عند علي بن يوسف حتى أصبح عنده أكثر من وزير أصبح جليسه وأنيسه، مما جمع ضده الكثير من الحساد والأعداء[1]، ودفع به إلى قول هذين البيتين من الشعر:

دولة لابن تاشفين علـــى طهرت بالكمال من كل عيب[2]

غير أن الشيطان دس إليها من خباياه مالك بن وهيب

– **ينتان بن عمر**[3]: وقد كان من أشهر وزراء الحرب، أو الوزراء العسكريين [4]، فقد كان قائدا لفرقة الحشم[5].

– **إسحاق بن ينتان بن عمر**[6]: وهو ابن الوزير ينتان بن عمر، وقد شغل الوزارة في أواخر أواخر أيام الأمير علي بن يوسف، ويذكر أنه كان أثناءها لم يتجاوز الثامنة عشر عاما إلا أنه كان خارق الذكاء وذو فهم سريع ولهذا أعجب به الأمير واستوزره، وأسند إليه مهمة الإشراف على ديوان المظالم والشكايات، وكان هذا الديوان لا يتولاه سوى ولي العهد بنفسه[7].

– **أبو محمد بن مالك**: وهو أحد الوزراء الذين حازوا ثقة أمير المسلمين علي بن يوسف حتى جعل بين يديه جميع الشؤون المالية والإدارية بالأندلس، وقد أشار ابن خاقان في كتابه قلائد

[1]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 269.

[2]– المقري: نفح الطيب، ج 5، ص 28.

[3]– ينتان بن عمر: ويرسم ايضا ينتيان ويذكره البيذق ب ينتان ،وكان من كبار رجالات المرابطين ،واليه يرجع الفضل في اطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن علي بن يوسف بن تاشفين .انظر: ابن السماك العاملي :الحلل الموشية ،ص 148

[4]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في العهد المرابطين، ص 269.

[5]– فرقة الحشم: جموع من قبائل البربر ضمهم يوسف بن تاشفين اليه وسماهم بالحشم ومعظمهم من جزولة ولمطة ومصمودة وقبائل زناتة .انظر: ابن السماك العاملي : الحلل الموشية ،ص 85.

[6]– إسحاق بن ينتان بن عمر: اسحاق بن ينتان بن عمر بن ينتان زيادة على ذكائه يذكر ابن عذاري المراكشي انه كان يذل من حوله بغرائب الاخبار حتى شبه بالكاهن .انظر: ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص 148،ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب،ج4،ص101-102

[7]– ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص148، أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 244.

العقيان لهذا في قوله:« حتى أقطعه أمير المسلمين وناصر الدين... في الأندلس من حظه، وأقعده على تلك المنصة وبوأه المراتب اللائقة به المختصة... ونظم مصالحها...»[1].

وقد تضمن جهاز حكم الدولة المرابطية ديوان الرسائل وا لمكاتبات وقد كان له أهمية خاصة لأنه كان بمثابة حلقة الاتصال التي تربط أمير المسلمين وعماله وولاته على مختلف أقاليم الدولة بالمغرب والأندلس بباقي الدول والمماليك والإمارات المجاورة له، أي من أجل تنظيم شؤون الدولة الداخلية والخارجية[2].

وقد كان ديوان الرسائل والمكتبات في عهد علي بن يوسف بن تاشفين مميزا بكبار كتاب وأدباء الأندلس وأعلام البلاغة وهذا يعود لعدة أسباب نحاول ذكر أهمها: شخصية علي بن يوسف بن تاشفين ودرجة علمه التي نالها على يد أكبر علماء وأدباء الأندلس بسبتة، وحرصه الشديد على أن يحيط نفسه بكبار العلماء والأدباء من الأندلس، وكذلك تعامله مع ملوك النصارى حتم عليه استعمال الكتاب الأندلسيين لدرايتهم بنوعية التعامل مع النصارى وذلك مما اكتسبوه في عملهم لسنوات ككتاب ببلاط ملوك الطوائف، بعد سقوط ملوك الطوائف أدى بعلماء وأدباء الأندلس إلى الدخول في طاعة المرابطين وخدمتهم والهجرة نحو المغرب، حيث غمرهم علي بن يوسف بالعطايا والحماية نظرا لحاجته بهم في علاقاته الخارجية[3].

ورغم ما ذكرناه عن تميز بلاط علي بن يوسف بن تاشفين بأكبر كتاب الأندلس، إلا أنه ليس أول من استعمل كتابا من أهل الأندلس وإنما سبقه في ذلك والده يوسف بن تاشفين الذي أسند الكتابة لعبد الرحمن بن أسباط الذي كان من أهل ألمرية والتحق بخدمة المرابطين سنة 472هـ الموافق ل 1089م وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة 487هـ الموافق ل 1094م[4] فخلفه ابن القصيرة وهو أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي المعروف بأبي بكر بن القصيرة، وهو أحد وزراء وكتاب المعتمد بن عباد ثم اتخذه يوسف بن تاشفين كاتبا له ثم كان كذلك لولده من

---

[1]- ابن خاقان: قلائد العقيان، ص500-504.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 270- 271.

[3]- نفسه، ص 271- 272، عبد الله محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص417

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 173، ابن بسكوال: الصلة، ج 2، ص 565، المراكشي: المعجب، ص 164.

بعده واستمر في الكتابة إلى أن توفي سنة 508هـ الموافق لـ 1114م[1]، وقد وصفه صاحب المعجب فقال:« احد رجال الفصاحة،والحائز قصب السيق في البلاغة ... من ايثار جزل الالفاظ وصحيح المعنى من غير التفات الى الاسجاع ...»[2]، كما وصفه ابن خاقان قائلا:« غرة في جبين الملك...اتت به الأيام وتاهت في يمنيه الأقلام...»[3].

هذا وقد فتح ابن القصيرة الباب لباقي علماء وأدباء الأندلس للعمل ككتاب في بلاط الدولة المرابطية ومنهم أبناء القبطرنة أو بنو القبطرنة وهم أبو بكر [4] وأبو محمد[5] وأبو الحسن[6] بنو القبطرنة، وهم أعظم كتاب دولة بني الأفطس أصحاب بطليوس [7]، ويصف براعتهم في الكتابة صاحب نفح الطيب فيقول:« وكان بنو القبطرنة بالأندلس أشهر من نار على علم، وقد تصرفوا في البراعة والقلم ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المشكورة»[8].

كذلك ابن عبدون [9] والذي كان من كبار شعراء الأندلس وعاش في مملكة المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس [10] وهو صاحب القصيدة المشهورة التي رثى فيها بني الأفطس والتي يقول في مطلعها:

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ العَينِ بِالأَثَرِ فَمَا البُكَاءُ عَلَى الأَشْبَاحِ والصُّوَرِ[11]

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين ، ص 173، المراكشي: المعجب، ص 164، ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص 517.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 123.

[3]- ابن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح: حسن يوسف خرموش، ج 1، ط 1، مكتبة المنارة الزرقاء، الأردن، ص 305.

[4]- أبو بكر بن القيطرنة: هو أبو بكر عبد العزيز من أهل بطليوس من أسرة أصالة وبيت فضل وعلم. أنظر : ابن خاقان: قلائد العقيان، ج 2، ص 429.

[5]- أبو محمد بن القيطرنة: هو أبو محمد طلحة بن سعيد بن القيطرنة أخذ عن مشيخة بلده وهو أحد الأدباء الأذكياء، وكان صديقا لأبي بكر بن العربي توفي في حياة أخيه أبي بكر بن عبد العزيز. أنظر : ابن خاقان: المصدر السابق، ص 429.

[6]- أبو الحسن بن القيطرنة: هو أبو الحسن أخو أبو محمد وأبو بكر، عمل هو أيضا كاتبا ووزيرا ونشأ نشأتهما العلمية. أنظر : نفسه، نفس الصفحة.

[7]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 274.

[8]- المقري: نفح الطيب، ج 2، ص 162.

[9]- ابن عبدون: هو أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري اليابري، اختلف في وفاته والأرجح أنه توفي بعد 521هـ، تحول عن علي المتوكل صاحب بطليوس فورث دولته. أنظر ابن خاقان: المصدر السابق، ج 2، ص 417.

[10]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 275.

[11]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص62.

وبعد زوال بني الأفطس دخل في طاعة المرابطين والتحق بسير بن أبي بكر اللمتوني ثم شغل منصب كاتبا ليوسف بن تاشفين ثم لولده من بعده[1].

ومن الكتاب الأندلسيين أيضا ببلاط الدولة المرابطية ابن الجد [2] وهو أحد أعيان لبلة [3] وإشبيلية، وقد كان في خدمة بني عباد فلما زالت إمارتهم شغل منصب خطة الشورى ببلدة لبلة، ثم استدعاه علي بن يوسف ليتولى الكتابة في ديوان رسائله وبقي في منصبه هذا إلى حين وفاته سنة 515هـ الموافق ل 1121م[4]، وكذلك ابن أبي الخصال [5] أحد أهل شقورة برع في الفقه والكتابة إلا أنه لم يبق في منصبه إلى غاية وفاته وإنما توفي بقرطبة سنة 540هـ الموافق ل1146م[6]، وذلك بعد عودته إليها حينما أعفاه أمير المسلمين من منصبه بسبب إحدى الرسائل[7] التي أوغلت عليه قلب الأمير[8].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص275.

[2]- ابن الجد: هو أبو القاسم محمد بن الجد الفهري المعروف بالأحدب، توفي سنة 515هـ كان له تفنن في المعارف والعلوم، مقدما في الأدب والبلاغة. أنظر: ابن خاقان: المصدر السابق، ج 1، ص 322.

[3]- لبلة: سبق التعريف بها في الفصل الأول.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص276.

[5]- ابن أبي الخصال: هو أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، وهو آخر الكتاب وأحد من انتمى إليه علم الآداب، وله أيضا في علم القرآن والحديث والأثر. أنظر : عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 132 ،ابن سعيد المغربي :المغرب في حلى المغرب ،ج 2،تح وتع :شوقي ضيف ،ط4،دار المعارف ،القاهرة ،2009،ص 66.

[6]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص277- 278.

[7]- الرسالة التي أوغلت قلب الأمير: هي رسالة كتبها بأمر من أمير المسلمين إلى جند بلنسية حين تخاذلوا وتواكلوا حتى هزمهم ابن زدمير، وهي رسالة كاد أهل الأندلس أن يحفظوها لما فيها من معنى وحسن أسلوب وألفاظ، وكتب أخوه أبو مروان رسالة في نفس الغرض بأمر من أمير المسلمين لكنه أظهر فيها عداؤه للمرابطين، مما جعل أمير المسلمين يعزله، أما ابن أبي الخصال فطلب إعفاءه من الخدمة بسبب هذا الحدث. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 135.

[8]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص277- 278.

ونجد أيضا من الكتاب الأندلسيين ابن الصيرفي[1] من غرناطة، وابن عطية[2] الذي ينتمي إلى إلى طرطوشة ودانية، فكتب لعلي بن يوسف ولا بنه ثم لأبي إسحاق إبراهيم بن تاشفين، وكان اخلص كتاب هذه الدولة إلى حين سقوطها حتى اختفى مدة زمنية ثم ظهر في زمن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الذي قلده الوزارة والكتابة إلى أن قتله الخليفة الموحدي[3].

أ-2- الجيش:

لقد اهتمت الدولة المرابطية منذ بداية قيامها بفنون الحرب والقتال، ذلك أنها قامت على أساس ديني يعتمد على الجهاد، إلا أنها إلى غاية عهد يوسف بن تاشفين والجيش المرابطي يعتمد فقط على القبيلة الواحدة هي قبيلة صنهاجة وكان قائد الجيش يوسف بن تاشفين [4]، وقد تجلت معظم حروبه في معارك المغرب الأقصى من أجل نشر الإسلام وفي معركة الزلاقة بالأندلس [5]، ولم يخضع الجيش حينها للتنظيم لإنشغال أمير دولة المرابطين بالجهاد في بلاد المغرب والأندلس.

لكن في عهد ابنه علي بن يوسف بن تاشفين شهد الجيش المرابطي تنظيمات خاصة، حيث كان قسم من الجيش بالمغرب وقسم آخر بالأندلس وكلاهما تحت قيادة أمير المسلمين، أما القسم الذي بالأندلس فقد كان يرعى شؤونه نائب الأمير بالأندلس، وكان منصب النائب بالأندلس منصبا سياسيا وعسكريا[6] في نفس الوقت، ويبدو هذا جليا من خلال رسالة علي بن يوسف إلى ابنه أبي بكر وإلى إشبيلية حينما ملكه أمر الجيش بالأندلس سنة 517هـ والتي جاء

[1]- ابن الصيرفي: يحي بن محمد بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة، يعرف بابن الصيرفي قال ابن الأبار القضاعي في التكملة: كان من الأدباء المتقدمين والشعراء الموجودين وله تاريخ في الدولة اللمتونية، وكان من شعرائها وخدام أمرائها توفي 557هـ وعمره تسعين سنة. أنظر: العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام، ج 10، ص 200.

[2]- ابن عطية: هو أبو جعفر بن عطية ولد بمراكش سنة 517هـ، كتب للسلطانين علي بن يوسف وابنه تاشفين، وبعد سقوط دولة المرابطين استكتبه عبد المؤمن ثم استعوزه، وقد كان في كتابته سهل المآخذ، بليغ الفكر، فصيح اللسان، وقد أدرك مكانة مرموقة لدى عبد المؤمن ثم اختلف مع الخليفة في بعض الأمور فقتله مع أخيه أبو عقيل ابن عطية. أنظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 156.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 279.

[4]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج 2، ص 234.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 295.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

فيها:«... نقدمك على جميع الجيوش بتلك الجزيرة... يشمل من كان هناك منها ومن وصل من هذه العدوة... إليها»[1].

هذا وقد عمد حاكم الدولة المرابطية- أمير المسلمين- مع قادة جيشه إلى نفس الأسلوب الذي اتخذه مع ولاة أقاليمه وهو عدم بقاء أي قائد في منصبه مدة طويلة حتى لا تؤول له نفسه التفكير في تكوين جبهة أو أتباع مناوئين للحاكم وسياسته[2].

وقد كان حاكم الدولة المرابطية- أمير المسلمين- يختار قادة جيشه عن اقتناع بأنهم جديرين بالمناصب التي يقلدهم إياها ذلك أن اختياره لم يكن عشوائيا، حيث أنه كان يشترط في قائد فرقة من فرق الجيش المرابطي أن يكون يقظا، سريع البديهة صاحب تجربة، يقدر الواجب والحزم[3]، هذا إضافة إلى قدرته على تحمل المشاق من أجل الجهاد في سبيل الله، وصاحب خبرة في أمور الحرب، وحبه لدولته يفوق حبه للرئاسة والقيادة، ويحسن توزيع المهام على أفراد جنود فرقته، إضافة إلى اقتناعه بوجوب مشاورة جنوده قبل اتخاذ أي قرار[4].

وانطلاقا لاعتماد الحكام المرابطين على توفر هذه الصفات في قادة الجيش سواء الجيش ببلاد المغرب أو قادة فرق الجند بالمغرب والأندلس فقد ظهر في الدولة المرابطية مجموعة من القادة يصنفون مع عباقرة الحروب في زمانهم[5] ومنهم: سير بن أبي بكر، محمد بن الحاج، داود بن عائشة، عائشة، يحي بن غانية وتاشفين بن علي بن يوسف[6].

ورغم هذاالجيش المرابطي كان في بداية الدولة لا يحتوي إلا على اللمتونيين و بعد اتساع رقعتها اتسعت فرق الجيش واختلطت عناصره، فتمثلت في العناصر الآتي ذكرها:

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 295.

[2] - نفسه، ص 296.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2003، ص 183- 187.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 296.

[6]- تاشفين بن علي بن يوسف: هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي، أمه أم ولد رومية اسمها ضوء الصباح، بويع في 08 رجب سنة 537هـ. أنظر: العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج 3، ص 80.

– **الملثمون أو المرابطون**: وهم الأصل الأول الذي تكون منه الجيش المرابطي، واشتهروا بقوة بأسهم في الحرب والشجاعة رغم قلة عددهم، وحققت الدولة بفضلهم العديد من الانتصارات.

– **العرب**: وقد شكلوا ثاني أهم فرق الجيش المرابطي وشاركوا في الجهاد بالأندلس، وكان أغلبهم من عرب الأندلس الذين جاؤوا إلى بلاد المغرب في عهد الدولة الإدريسية، ومنهم بني هلال[1] وقد شاركوا في العديد من المعارك وانتصروا في بعضها وانهزموا في البعض منها [2] من بين المعارك المنتصرين فيها ، معركة كونسويجرة (CONSUEGRA) [3]، ومعركة إقليش حيث استشهد العديد منهم حسب صاحب نظم الجمان حيث يقول:«... واستشهد في هذه الوقيعة... وجماعة من الأعيان والعربان...»[4].

– **الحرس الخاص** : وقد كانت هذه الفرقة تتكون من أشجع أفراد الجند من مختلف ولايات الدولة، ويشترط فيهم حسن القوام والشجاعة الفائقة والقوة والبراعة، وقد جمع يوسف بن تاشفين من تجار الرقيق بإقليم غانة عددا كبيرا من العبيد واختار منهم أمهرهم حيث زودهم بالسلاح والخيل ودربهم على جميع فنون القتال، وأنشأ منهم حوالي ألفي رجل منهم حرسه الخاص وسماهم بالأسود، وبالمقابل لهم أنشأ فرقة أخرى من الأندلسيين والنصارى المعاهدين المعتنقين للإسلام، وكان يوسف بن تاشفين يغدق بالمكافآت على من يثبت إخلاصه وشجاعته، وهو أول من استعمل النصارى كحرس خاص له مما أخذ عليه عند المؤرخين المسلمين المحافظين[5].

---

[1]– بنو هلال: ينتسبون إلى هلال بن صرعصعة من العدنانية جيء بهم إلى بلاد المغرب فسكنوا نواحي قسنطينة والمسيلة والزاب. أنظر : القلقشندي: نهاية الإرب، ص 267، عمر ابو النصر :تغريبة بني هلال ورحيلهم الى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتي عطية ،ط 1،دار عمر ابو النصر وشركاؤه للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ، 1971،ص 13-14، أمين الطيبي: بنو هلال ودورهم في الجهاد في إفريقية والأندلس، ص 103.

[2]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 297، محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص 191 ،.

[3]– كونسويجرة: هي إحدى مواقع مملكة بني ذي النون بطليطلة قريبة من قونقة ووبذة واقليش ،ذكرها محمد عبد الله عنان في عدة مواضع ولكن لم يشر الى موقعها بالضبط .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ،ع2،ق1،ص 247، 347، 372

[4]– ابن القطان: نظم الجمان، ص 9- 10.

[5]– يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج 2، ص 235- 236.

– **الحشم**: وه م من أهم فرق جيش المرابطين أثناء الحروب، وهم غالبا ماكانوا يكونون في المقدمة وهذه الفئة من الجيش كانت تتكون من القبائل البربرية غير المرابطية أو غير أفراد قبيلة صنهاجة وأهم هذه القبائل زناتة والمصامدة[1].

وقد اختلفت أساليب القتال عند المرابطين من عصر إلى آخر نتيجة عدة عوامل منها طبيعة البيئة ذلك أن طبيعة بيئة الصحراء وبلاد المغرب تختلف عن طبيعة بلاد الأندلس، مما يستوجب تغير أسلوب القتال، إضافة إلى اختلاط العناصر وكذلك تنوع الأسلحة وتطويرها من عصر إلى آخر، ففي بداية نشأ ة الدولة كانت أسلحتهم يدوية ويعتمدون في القتال على الإبل وهذا ماكان أثناءها يتلائم مع بيئتهم الصحراوية[2]، أما في بلاد المغرب والأندلس وخاصة في المدن والحصون فقد تطلب الوضع أسلوب جديد للقتال مع تطوير أنواع الأسلحة، فقد عمد يوسف بن تاشفين إلى تنظيم الجيش وتسليحه [3]، حيث بعث إلى الأندلس من أجل اقتناء الأسلحة وآلات الحرب، ويذكر ذلك صاحب الحلل بقوله:«... وكان ذلك العام عام اقتناء العدة واتخاذ السلاح»[4]، وقد اقتنى يوسف بن تاشفين مختلف أنواع الأسلحة الهجومية والدفاعية[5].

فالأسلحة الهجومية نوعان منها الخفيفة وهي النوع الذي يستعمله الجندي بمفرده ولا يمكـــن لـــه الاستغنـــاء عنـــه، ومـــن هذه الأسل ـــحة: القـــوس[6]

[1]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 298.

[2]– محمد علي الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط 3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009، ص 197.

[3]– محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص 192.

[4]– ابن السماك العاملي : الحلل الموشية، ص90.

[5]– وردة العابد: القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في القرن الخامس الهجري حتى الربع الأول من القرن السادس الهجري(ق 11- 12 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط- تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس-، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ والآثار، جامعة محمود منتوري، قسنطينة، 2007- 2008، ص 70.

[6]– القوس: هو عبارة عن عود من شجر صلب يحني طرفاه بقوة ثم يشد بينهما وتر من الجلد، وقد أخذ المسلمون صناعته عن الفرس ثم تطورت هذه الصناعة حسب البيئة: فالقوس الكثيرة الخشب تصلح للبلد الشديد الحر والبرد والرطوبة الكثيفة، أما القوس التي بها عقب كثيرة وضيقة وضيقة فتصلح للهواء المعتدل، ولا يمكن للقوس أن يكتمل دون السهم أو النشاب وهو عبارة عن عود رفيع من شجر صلب في طول الذراع ينحت وتوضع به حزوز دائرية ليركبها الريش ويتم شدها بالجلد له سنتان عكس اتجاهه مما يجعله صعب الخروج من الجسم. أنظر : صالح صبحي: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990، ص 403، وردة العابد: المرجع السابق، ص 71.

أو القسي [1]،الرمح [2]،والحربة [3]، والمزاريق [4]، والسيف [5]،والخنجر [6]، والسوط [7]، والدبوس [8]. وأما الأسلحة الهجومية الثقيلة فقد اكتسبها المرابطون من ملوك الطوائف بالأندلس وتتمثل في: المنجنيق [9]، وكذلك العرادة [10]، والدبابة [11]، ورأس الكبش [12].

---

[1]- القسي: هو نفسه القوس لكن اتخذ اسما آخر بالأندلس، وقد اختلفت صناعته عن قوس المشرق الإسلامي، فقد كان يصنع من الخشب الخفيف والصلب من أشجار الصنوبر الأحمر، وقد اشتهرت صناعته في مدينة طرطوشة، وقد تحدث ابن الخطيب عن القسي في وصفه لأحد الجيوش بالأندلس بقوله:«... وكان في جيشه الذي احتشده من الرماة بالقسي العقارة... أزيد من ستة آلاف...». أنظر : ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 171- 172.

[2]- الرمح: هو عود من شجر صلب كالصنوبر أو المران منها ما طوله أربعة أذرع يسمى المربوع، وخمسة أذرع ويسمى المخموس، وهناك الأكثر طولا حتى يعيق صاحبه في طوله ويسمى الخطل، ويستعمله الفارس والراجل. أنظر صبحي صالح: المرجع السابق، ص 505- 506.

[3]- الحربة: نفسها الرمح او المزاريق وهي تصنع من شجر صلب مادته الاولية خشب الزان او المران او الصنوبر ،وهي انواع منها النيزك اي الحربة القصيرة او الرمح القصير ،والمربوع ما طوله اربعة اذرع ،والمخموس ،ما طوله خمسة اذرع ،واالخطل وهو الذي يضرب في يد صاحبه لافراط طوله .أنظر: وردة العابد :المرجع السابق ،ص 72-73

[4]- المزاريق: مفردها مزراق وهو أخف من نصف الرمح. أنظر: نفسه ،نفس الصفحة .

[5]- السيف: هو موروث تاريخي حضاري يتباها به الزعماء علئ اعدائهم وهو سلاح هجوم، يكون استعماله في آخر المعركة بعد القوس والرمح، وتعززت مكانته عند المسلمين بعد إشادة الرسول صلى الله عليه وسلم له في قوله:« اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، وقد اشتهرت كل من طليطلة وسرقسطة بصناعته. أنظر : نفسه، ص 73- 74.

[6]- الخنجر: هو سلاح يسهل حمله يوضع على الجنب ومنه ما به بعض الإعوجاج ويسمى الأطاس، ولم يكن يعرفه النصارى حتى تعرفوا به في حروبهم مع المسلمين. أنظر : بلغيث محمد الأمين: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 39.

[7]- السوط: هو سلاح يدوي خفيف، يصنع من جلود بعض الحيوانات وكان أهل الأندلس يطلقون عليه اسم ذنب الفأر، واستعمل في العديد من معارك الأندلس. أنظر: وردة العابد: المرجع السابق، ص 75.

[8]- الدبوس: هو عصا قصيرة من الحديد ذات رأس مصنوع من كتلة حديدية مربعة أو مستديرة تستعمل في تهشيم الخوذة المعدنية، وهو سلاح يحمل في السروج تحت الأرجل. أنظر: نفسه، نفس الصفحة.

[9]- المنجنيق: وهو سلاح خطير له أضرار مادية وبشرية، وهو آلة ترمي بها الحجارة ويشتخدم لهدم الحصون بالحجارة الضخمة، أو لرمي الأعداء بالنبال، ولإحراق أماكن العدو. أنظر : بلغيث محمد الأمين: دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي ، ص 39، وردة العابد: المرجع السابق، ص 76.

[10]- العرادة: وهي آلة أصغر من المنجنيق، وظيفتها الأساسية رمي السهام دفعة واحدة إلى المسافات البعيدة التي لا يصلها القوس. أنظر : عميرة عبد الرحمن: الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، ص 100.

[11]- الدبابة: هي آلة أصغر من المنجنيق على شكل مربع ولها عجل تجري عليه، وهي شبه برج متحرك تغلف بالجلود المنقعة بالخل كي لا تتأثر بالنار، وبها عتاد خاص إضافة إلى السلالم. أنظر : زغروت فتحي: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2005، ص 174.

[12]- رأس الكبش: هو آلة من خشب وحديد ويجرونها بنوع من الخيل فتدق الحائط فتنهدم، وسميت بهذا الاسم لأنها في مقدمتها لها مثل رأس الكبش. أنظر: نفسهن نفس الصفحة.

وهناك الأسلحة الدفاعية والمتمثلة أهمها في الدرع [1]، وأهم أنواع الدروع التي كانت منتشرة بين المرابطون هي الزغفة وهي نوع من الدروع اللينة الواسعة المحكمة، وأيضا الجواشن والتي تغطي الصدر فقط بلا ظهر ولا أكمام، وهي عبارة عن ألواح صغار من الحديد أو من القرن أو الجلد تلبس حول الجزء الأوسط من الجسم فوق الثياب [2]، وللدروع ملحقات كالخوذة المصنوعة من المعدن أو الجلد والتي توضع فوق الرأس، وأما الخوذة المصنوعة من الحديد أو الفولاذ المبطنة ببعض المواد اللينة فتسمى البيضة، وكذلك الأذرع والسيقان والأكف وهي من مكملات الدرع، وبها يكون الفارس قد أخفى بدنه بالحديد، وهذا ما أخذه الجيش المرابطي عن جيوش النصارى من الأفكار في الأسلحة الدفاعية [3]، هذا إضافة إلى الترس وهو صفحة من الفولاذ مستديرة يحملها المقاتل في اليد ويتلقى بها ضربات السيوف أو السهام أو الرماح، ولكل سلاح ترس يناسبه[4].

وهناك أيضا وسائل دفاع ثقيلة أو ثابتة إن صح التعبير كالخنادق: وهي وسيلة من وسائل الدفاع القديمة، وقد حرص الجيش المرابطي على إقامة الخنادق في معظم حروبه وتحركاته، وذلك تفاديا لمفاجآت ليلية من العدو إن غفل الجند بعض الشيء، هذا وبمرور الزمن صار حفر الخنادق ضرورة لازمة يحفرونها حول المعسكرات الدائمة وحول المدن والثغور ذات المراكز الإستراتيجية الهامة[5]، ثم صاروا يبنون على الخندق الجدار العالية ويحفرون حول المدينة ويبنون على كل خندق سورا وأحيانا تحفر حول الخندق حفائر تغطى بالقصب والقضبان والتراب لتكون فخا للعدو[6].

ومن وسائل الدفاع الثابتة أيضا الحسك الشائك: وهو في اللغة العربية نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، وأما الحسك في السلاح فهو من أدوات الحرب الدفاعية يتألف من قطع حديد ذات شعب تطرح حول المعسكرات أو أمام الخيل لعرقلتها [7]، هذا إضافة إلى القلاع والحصون

---

[1]- الدرع: نوعان درع سابغة وهي التي تغطي البدن بأكمامها الطويلة حتى الأنامل، ودرع بتراء وهي القصيرة التي بلا أكمام حيث يصل إلى أسفل الركبة أو فوقها بقليل، وكلاهما يصنع من الحديد. أنظر : زغروت فتحي: المرجع السابق، ص 177.

[2]- نفسه، ص 178.

[3]- نفسه، ص 179.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- نفسه، ص 172.

[6]- نفسه، ص 173.

[7]- نفسه ، ص 184.

والأسوار وقد كان المرابطون في بادئ الأمر نظرا لبداوتهم وبيئتهم الصحراوية يجعلون قطعان إبلهم الضخمة حصونا لهم ويسوقونها معهم أثناء حروبهم [1]، وبعد استقرارهم ببلاد المغرب ابتنوا قلاعا وحصونا ومنها تبلبلا بالقرب من سجلماسة ودار الحجر بمراكش، وتاكرارت بالقرب من تلمسان[2]، ومنها ما تم بناؤها خصوصا لرد هجوم الموحدين كقلعة بني تاودا [3]، وقلعة أمرجو [4]، وقلعة تاسغيموت[5] وكلها كانت حول مراكش العاصمة وجبال درن[6].

وقد شيد المرابطون حوالي ثلاثة وعشرون حصنا وقلعة ببلاد المغرب [7]، أما بالأندلس فقد اهتم المرابطون بالأبراج والأسوار الأمامية للمدن، فقد دعموا الأسوار بأبراج تتوزع في السور على مراحل مختلفة وهي نوع من أنواع فنون العمارة البيزنطية تأثر بها المرابطون فشيدوا أبراجا مسدسة الشكل كالبرج المسدس المنعزل بحصن العقاب [8]، والبرج المطل على قنطرة القاضي [9] بغرناطة،[10] إضافة إلى الأبراج المستديرة السهلة البناء والتي انتشرت في شمال إفريقيا في عصر المرابطين ومنها البرج المستدير بقلعة أمرجو والبرج المستدير بالرباط[11].

---

[1]- زغروت فتحي: المرجع السابق، ص 184.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- قلعة بني تاودا: من القلاع المرابطية الأصلية التي بنيت خصيصا لمراقبة سكان الجبال في منطقة الريف، وهي تقع على الطريق الموصل إلى جبال غمارة في واد فسيح مليء بالخيرات. أنظر: مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 190.

[4]- قلعة أمرجو: تقع جنوبي قلعة تاودا، تقع على مرتفع من الأرض يشرف على وادي ورغة المتفرع من وادي سبو، وقد بناها المرابطون لمراقبة سكان منطقة الريف أيضا لكثرة ثوراتهم وتمردهم، وهي قلعة مبنية بالحجارة والجير لا يمكن هدمه إلا بالمبقة. أنظر الاستبصار، ص 190.

[5]- قلعة تاسغيموت: بناها ميمون بن ياسين المرابطي بالإشتراك مع رجل من الأندلس يعرف باسم الفلاكي لدفع خطر الموحدين، وهي تقع على بعد ثلاثة كيلومتر جنوبي شرقي مراكش وعلى بعد 10 كيلومتر شرقي أغمات. أنظر: مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 83.

[6]- يشير ابن السماك العاملي ان القاضي ابو الوليد بن رشد هو من اشار على علي بن يوسف بن تاشفين بتسوير مراكش. أنظر: ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص164

[7]- زغروت فتحي: المرجع السابق،184-185

[8]- حصن العقاب: حصن مدينة العقاب بكسر العين بالأندلس بين جيان وقلعة رياح. أنظر: الحميري: الروض المعطار، ص 416

[9]-.قنطرة القاضي: وردت عند ابن احب الصلاة باسم السباباط و يقال هي ما يعرف ب :ايكلاز Egulaz وتحمل اسم قنطرة القاضي نسبة الى القاضي علي بن ثوبة الذي ولي القضاء ايام ابن باديس بن حبوس وهي تجمع بين القصبتين القديمة والحمراء وقد شيدت حوالي 447هـ الموافق ل: نهاية 1055م وبداية 1056م.أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص126.

[10]- زغروت فتحي: المرجع السابق ،ص192.

[11]- نفسه، نفس الصفحة.

كما أبدع المرابطون في استعمال الأبواب ذات المرافق وهو باب له ممر يوصل بين فتحتيه وينحني بزاوية قائمة على شكل المرفق [1]، ومن مميزات هذه الأبواب وجود عقبات وراء انحناء الممر أمام المهاجمين، ومن بين الأبواب التي صنعها المرابطون بابان بغرناطة، وأبواب قصبة الأردية بالرباط، وباب بثلاثة مرافق بمراكش [2]. هذا كما استعمل المرابطون التدابير الدفاعية الدائمة كالثغور[3] والرباطات[4] وهي نوع من المواقع الحصينة أو القلاع التي تقع على حدود الدولة من أجل أجل ردع العدو والتصدي لغاراته أو من أجل اتخاذها قاعدة انطلاق الهجوم.

وأما تشكيلة الجيش المرابطي فقد كانت قريبة جدا من أنظمة الجيوش العربية العباسية [5]، أما أما بالنسبة للنظام الإداري للجيش المرابطي فقد اتخذ الأمراء المرابطون وزيرا عسكريا رئاسة ديوان الجند للإشراف على شؤون الجيش، وممن شغل هذا المنصب سير بن أبي بكر في عهد يوسف بن تاشفين[6].

هذا وقد ألحقت عدة إختصاصات وإدارات بديوان الجند منها: ديوان العطاء والنفقات لضبط نفقات الجند، وديوان الإطعام للاهتمام بالطعام من كافة الجوانب كما ونوعا، وديوان السلاح للإشراف على تسليح الجيش وإعداد ما يلزم منه، وكذلك ديوان المراسلات وذلك لتأمين إرسال أوامر الخليفة إلى قادة جيوشه وعماله وتلقي تقاريرهم على حالة جيوشه وكذلك صاحب العلامات وهو المشرف على الأعلام السلطانية وبيوت الطبل التي كانت تستعمل في المعارك لتحميس الجند، كذلك صاحب المخزن وهو المسؤول عن السلاح ولباس الجند والرواتب[7].

---

[1]- زغروت فتحي: المرجع السابق ، ص 193.

[2]- الثغور: جمع ثغر، وهو مكان يقيم فيه الجند الرسميون يشكلون الجبهة الأمامية للدولة يتناوبون على مراقبة العدو والتصدي له. أنظر : نفسه، ص 195.

[3]- الرباطات: جمع رباط وهي الأماكن التي يرابط فيها المسلمون جهادا في سبيل الله بدون أي أجر أو نفع مادي. أنظر : نفسه، نفس الصفحة.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- نفسه، ص 152.

[6]- مؤيف مجهول : الحلل الموشية، ص 12.

[7]- زغروت فتحي: المرجع السابق، ص 153- 154.

أما بالنسبة لرواتب الجند فقد كانت تختلف حسب فرق ومراتب الجند، إذ كان هناك الجيش النظامي وهم الجند الموقوفون على الجهاد وهؤلاء يتقاضون أعطياتهم ورواتبهم من الديوان، وأما الجند المتطوعة وهم الذين يلحقون بالجيش وقت الحرب ويسرحون وقت السلم وقد كانت أسماؤهم تحصر لدى ديوان الجند لضبط أعطياتهم المقررة بحيث أن الرواتب والأقوات كانت تسلم إلى ذويهم بصورة منتظمة[1].

وقد كان الفارس المرابطي سواء في المغرب أو الأندلس يتقاضى خمسة دنانير مرابطية من الذهب في الشهر غير نفقته الخاصة وعلف فرسه، هذا إضافة إلى الرواتب الجارية لجميع القادة بحضرة السلطان وبعض العطايا كاللحم والتوابل والخبز والزيت، وقد كان الأمراء المرابطون يغدقون قادة جيشهم بالكسوة والخيول[2].

أما بالنسبة للإطعام فنظرا لطبيعة المرابطين الصحراوية واعتمادهم على لحوم الأغنام وألبانها فقد كان يقدم للجيش اللحم المطحون المجفف عليه الشحم المذاب فيأكلونه ويشربون عليه اللبن فيكفيهم طيلة اليوم [3]، وهناك أكلة أخرى كانت تقدم لهم وهي قديد العسل والسمن المدقوقة المعجونة على النار، لكن بعد دخولهم بلاد المغرب والأندلس وممارستهم للحرث والزراعة وتنوع الأكل عندهم أنش ؤوا له وظيفة عسكرية خاصة يسمى صاحبها" صاحب الإطعام" مهامه الإشراف على طعام الجند وإعداده وتقديمه في المعسكرات بأوقات منتظمة[4].

أما بالنسبة للسكن فقد كان أفراد الجيش يقيمون في منازل متفرقة الأحياء مما يصعب جمعهم أو النداء عليهم لذا فكر المرابطون في جمع أفراد الجيش في خيام متقاربة يسهل الإشراف عليها، وكانت الخيام بمثابة المعسكر وبمرور الوقت أصبح المعسكر كالمدينة العامرة بالمنازل وصار معسكرا دائما، ومن بين معسكرات المرابطين المؤقتة التي تحولت إلى قواعد عسكرية دائمة تاكرارت بتلمسان، معسكر جند يوسف بن تاشفين، والجزيرة الخضراء بالأندلس والتي كانت مجرد معسكر

[1]- زغروت فتحي: المرجع السابق، ص 148.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 213.

[4]- زغروت فتحي: المرجع السابق، ص 149.

للجند العابرين إلى الأندلس حتى صارت إحدى أهم القواعد العسكرية المرابطية بالأندلس [1]، بالإضافة إلى وجود عدة مراكز حربية كانت منتشرة في جميع أرجاء الدولة المرابطية[2].

هذا وقد تكونت القواعد العسكرية المرابطية الدائمة من الثكنات لإسكان الجند والقادة، والإسطبلات للدواب، والمستودعات لحفظ تجهيزات الجيش وأسلحته ولوازمه، وأيضا الديوان لرعاية الشؤون الإدارية للجند[3].

وأما عن مميزات معارك الجيش المرابطي فقد اتسمت في البداية بدقة التنظيم وللجند طرق خاصة في القتال ويذكر ذلك الطرطوشي فيقول:«... فأما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا، وهو تدبير نفعله في لقاء عدونا أن تقدم الرجالة بالرماح الطويلة والمزاريق المسنونة النافذة في صفوفهم، ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض، وصدورهم شارعة إلى عدوهم وهم جاثمون في الأرض، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة، فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيئاتهم، ولا يقوم رجل منهم على قدميه، فإذا قرب العدو وشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فأخذوا يمنى ويسرى، فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله»[4].

لكن أسلوب قتال المرابطين تطور بمرور الزمن إلى أن صار ترتيب المعركة يقوم على أساس نظام خماسي، أي المقدمة والمؤخرة والميسرة والميمنة والقلب، فقد كانت المقدمة تتألف من الجند والمشاة، وأما الميمنة والميسرة فتمثلان الجناحان وبها حملة النبال ووحدات الفرسان، وأما القلب فكان يضم الفرسان ذوي الأسلحة الثقيلة، وأما مؤخرة الجيش فكانت بها القوة الإحتياطية، وكان لكل جهة قائد وعلى رأسهم أمير الدولة[5].

---

[1]- زغروت فتحي: المرجع السابق ، ص 150- 151.

[2]- نفسه، ص 152.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- الطرطوشي: سراج الملوك، ص 179.

[5]- يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج 2، ص 235.

ورغم استعمال المرابطين لآلات الحصار بإتقان إلا أن بعض المراجع تذكر أنهم لم يكونوا على علم بما يكفي لفنون الحصار، والسبب في ذلك أن جيشهم كان يرتكز على الفرسان وهم أقل براعة في فنون الحصار، وفي المقابل كانوا يجيدون تحصين القلاع والإمتناع بها [1]، ويذكر لنا صاحب الحلل الموشية إحدى قصائد الصيرفي التي أهداها لتاشفين بن علي بن يوسف والتي تضمنت بعض فنون القتال التي نصح بها ابن الصيرفي تاشفين بن علي ومما جاء فيها:

يَقْتَحِمُونَ عَلَى الرِّمَاحِ كَأَنَّهُم إِبِلٌ عِطَاشٌ والأَسِنَّةُ مُكَرَّعُ

وَذُؤَابَةٍ بَيْنَ الظَّبَا وَمِنَ الدُّجَى لَمَمٌ عَلَى قِمَمِ الرَّبْلِ [2]

ومن أهم ما نصح به ابن الصيرفي تاشفين بن علي في قصيدته ما يلي:

- ضرورة حفر الخنادق حول المدن لحمايتها من أي خطر خارجي.

- ضرورة تعبئة الجيوش وتنظيمها قبل المعركة بوقت كافي لكي تدخل هذه الجيوش إلى المعركة وهي على أهبة الاستعداد وحتى لا يأخذها العدو بغتة.

- ضرورة وضع أقوى الفرق العسكرية في جناحي الجيش وفي المقدمة، بينما يتزود القائد العام للجيش في المعركة من القلب مع جنده.

- ضرورة نصب الكمائن خلف خطوط العدو.

- عدم القتال وظهورهم إلى الامام لأن في ذلك هلاك للجيش.

- ضرورة إحداث عنصر المفاجأة في بداية المعركة عن طريق الصدام مع العدو، مع ضرورة التقدم وعدم التقهقر[3].

رغم بداوة المرابطين وطبيعتهم الصحراوية وانعدام خبرتهم البحرية إلا أنهم أدركوا أهمية إنشاء أسطول بحري، وتعود فكرة إنشائه إلى يوسف بن تاشفين وهذا يعود لعدة أسباب منها أن تقدمهم

---

[1]- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج 2، ص 237.

[2]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 124- 129.

[3]- محمد حسين، حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 300- 301.

نحو السواحل الشمالية بالمغرب الأقصى وبسط نفوذهم عليها بإستثناء بعض الثغور الشمالية المطلة على البحر مثل سبتة وطنجة [1] واللتين كانتا خاضعتين لإمارة سكوت البرغواطي [2] البحرية، ورغم سيطرة المرابطين على منطقة فاس إلا أن هذه الإمارة بقيت تسيطر على الإقليم الساحلي وتسيطر على التجارة المغربية الأندلسية، إضافة إلى أعمال القرصنة التي كانت تقوم بها في عرض البحر مما أوجب على المرابطين ضرورة القضاء عليها وبسط نفوذهم على المنطقة وأيقنوا أنه لا يمكنهم ذلك إلا بإنشاء أسطول بحري [3]. و استعان في ذلك يوسف بن تاشفين بخبرة أهل الأندلس، وأحضر المواد الخام من بلاد الأندلس من خشب ومعدن لصناعة السفن، واستعان بدور الصناعة الموجودة ببعض المدن الأندلسية كدانية وطرطوشة وشلب وغيرها[4].

وبدا نشاط الاسطول المرابطي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين وتولى قيادته بني ميمون[5]. الذين اشتهروا بقدراتهم الحربية في البحر [6]. ، وقد برز منهم ثلاث شخصيات في قيادة الأسطول المرابطي وهم: عيسى بن ميمون [7]، ويليه ابنه علي بن عيسى ابن ميمون [8]، ثم أبو عبد الله محمد بن ميمون [9] وهو أكثر فرد في بني ميمون ذاعت شهرته في قيادة الأسطول المرابطي[10]. تعود شهرة أبي عبد الله محمد بن ميمون إلى دوره البطولي الذي قام به

---

[1]- محمد حسين، حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 304.

[2]- إمارة سكوت البرغواطي: كان سكوت هذا من موالي حمود وكانوا قد أسندوا إليه ولاية سبتة وطنجة، بعدما أثبت إخلاصه وولاءه لهم، لكنه لم يلبث أن خلع طاعتهم وأعلن استقلاله عنهم وأطاعته قبائل غمارة فأسس إمارة قوية استمرت حتى قيام دولة المرابطين.
أنظر: محمد حسين، حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 305، ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 456- 457.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 306.

[4]- نفسه، ص 307.

[5]- زغروت فتحي: المرجع السابق، ص 288.

[6]- نفسه ،نفس الصفحة .

[7]- عيسى بن ميمون: كان يلقب أمير البحر في أواخر عهد يوسف بن تاشفين(453- 500ه/ 1061- 1106م) في شنتمرية الغرب. أنظر علي قنيز إلياس: بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي(505- 599ه/ 1115- 1202م)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 10، ع 2، كلية التربية، جامعة الموصل، 07- 09- 2010.

[8]- علي بن عيسى بن ميمون: كان قائدا لأسطول المرابطين في شبه جزيرة قادس. أنظر علي قنيز إلياس: المرجع السابق، ص 419.

[9]- أبو عبد الله محمد بن ميمون: استقر بألمرية وكان صاحب البحر في أواخر عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين. أنظر : علي قنيز إلياس: المرجع السابق، ص 420.

[10]- علي قنيز إلياس: المرجع السابق ، ص 420.

عندما هاجم أسطول جنوة [1] المكون من 300 مركب في جزيرة يابسة [2] التي استولوا عليها وسبوا أهلها ونهبوها سنة 508هـ الموافق ل 1115م ثم توجهوا إلى ميورقة [3] وحاصروها، فبادر والي الجزيرة بالكتابة إلى أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين يستنصره، ولم يجد أمامه إلا أبي عبد الله محمد بن ميمون والذي كان آنذاك قائدا لسفينة شراعية تسمى بالغراب وهي صغيرة جدا إلا أنه تمكن بها من اختراق الحصار وتمكن من العبور إلى المغرب وإيصال الكتاب إلى علي بن يوسف بن تاشفين الذي لم يتردد في إرسال حوالي 300 قطعة بحرية إلى جزيرة ميورقة، مما جعل العدو يرفع الحصار عن الجزيرة وأقلع عنها مكتفيا بما حمله من السبي والغنائم، ومنذ ذلك الحين قدمه علي بن يوسف بن تاشفين قائدا للأسطول البحري بألمرية سنة 510هـ الموافق ل 1116م، وقد كانت له غزوات مشهورة حيث وجه عدة حملات بحرية إلى صقلية وجنوب إيطاليا [4] ؛ وكان ذلك سنة 516هـ الموافق ل1122م[5].

---

[1]- جنوة: مدينة في بلاد الروم ساحل بحر الشام، وهي مدينة قديمة البناء حسنة الجهات شامخة البناء وافرة البشر، كثيرة المزارع والقرى والعمارات، وهي على قرب نهر صغير، وأهلها تجار مياسير يسافرون برا وبحرا ويقتحمون سهلا ووعرا، ولهم أسطول ومعرفة بالحيل الحربية والآلات السلطانية، ولهم بين الروم عزة أنفس. أنظر: الحميري: الروض المعطار، ص 173.

[2]- يابسة: هي احدى جزر الجزائر الشرقية تقع غرب جزيرة ميورقة وهناك من يقول الجانب الغربي لميورقة تصغرها هي الاخرى مساحة ويفصلهما مجرى بحر طوله حوالي سبعون ميلا . أنظر: ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج 4،ص 720،الحميري :المصدر السابق ،ص 188.

[3]- ميورقة: هي احدى جزر الجزائر الشرقية ويذكر الحميدي انها بفتح الميم وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الراء والقاف و بعدها هاء ساكنة ،وهي جزيرة قريبة من باب الاندلس ويذكر الحميري ان ميورقة جزيرة في بحر الزقاقي تسا ميها من القبلة بجاية من بر العدوة بينهما ثلاثة مجار ،ومن الجوف برشلونة من بلاد ارغون وبينهما مجرى واحد ،وهي اخصب جزر الجزائر الشرقية وتسمى مع الجزيرتين الاخرويتين يابسة ومنورقة بجزر البليار ،وهواؤها معتدل وجوها صافي طولها وعرضها 30 فرسخا ،لم ير بها منذ عمرت ما يؤذي من ذئاب او سباع او حية او عقارب .أنظر: الحميري :المصدر السابق ،ص 188،الحميدي :جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس ،تح:ابراهيم الابياري ،قسم 1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ،(د.ت)ص8،ابي المطرف بن عميرة المخزومي :تاريخ ميورقة ،تح :محمد بن معمر ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،2007،ص77

[4]- جنوب إيطاليا: المقصود بها في البحث قلوربية calorbia بكسر اوله وتشديد اللام وفتحه وسكون الواو وكسر الراء والباء مفتوحة خفيفة ،وهي جنوب ايطاليا المقصودة .انظر ابن الخطيب اعمال الاعلام ،ج 3،ص 35 ،ويذكر حسين مؤنس ان جنوب ايطاليا تضم نابولي وسارنتو وساليرنو .أنظر: حسين مؤنس :اطلس تاريخ الاسلام ،ط1،الزهراء للاعلام العربي ،القاهرة ،مصر ،1987،ص 164

[5]- علي قنيز إلياس: المرجع السابق، ص 420- 421.

هذا وقد كان الأسطول المرابطي يتكون من سفن النقل أكثر مما يتألف من سفن القتال، وذلك أن الغرض الأساسي من إنشائه هو توفير المواصلات بين المغرب والأندلس ونقل الجند، ولم تذكر له معركة بحرية ما عدا إخضاع بلنسية وإخضاع الجزائر [1] الشرقية[2]، ولم تذكر المصادر التاريخية عن حجمه وعدد سفنه أي شيء إلا ما ذكره ابن خلدون أنه بلغ مائة أسطول [3]، والمراد من كلمة أسطول في كلام ابن خلدون هو عدد السفن الحربية والتي كانت موزعة على جميع قواعد المغرب والأندلس[4].

وأما عن قواعد الأسطول المرابطي بالمغرب والأندلس فتعد ألمرية أكبر القواعد بالأندلس، وقد كانت ألمرية تضم في نفس الوقت دارا لصناعة السفن، كذلك كانت مدينة دانية إحدى قواعد الأسطول المرابطي، وكانت هناك قواعد أخرى ببلاد المغرب كطنجة وسبتة وبجاية وحتى الجزائر الشرقية صارت فيما بعد قاعدة للأسطول المرابطي، وقد كانت كل قاعدة تضم العديد من خبراء البحرية للإشراف على صيانة السفن وإصلاحها وتزويدها بما تحتاج من المؤن والعتاد[5].

[1]- الجزائر الشرقية: هي إحدى ولايات المرابطين في الأندلس وتضم ثلاث جزر: ميورقة، منورقة، يابسة، وأكبر هذه الجزر ميورقة في البحر الزقاقي من قبلة بجاية، ويذكر الحميري أنها" ميورقة" بفتح الميم وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الراء والقاف وبعدها حاء ساكنة، وهي جزيرة قريبة من باب الأندلس، ويذكر ياقوت الحموي في معجمه أنها بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقي فيها ساكنان، هذا ويذكر الحميري أن ميورقة جزيرة في بحر الزقاقي تقابلها من القبلة بجاية من بر العدوة بينهما ثلاثة مسار، ومن الجوف برشلونة من بلاد أراغون، وبينهما مجرى واحد هذا عن ميورقة. أما منورقة فهي تقع في شرقي ميورقة بينهما مجرى بحر طوله حوالي 40 ميلا، أما يابسة فتقع غرب ميورقة وهناك من يقول الجانب الغربي لميورقة تصغرها هي الأخرى مساحة ويفصلهما مجرى بحري طوله حوالي 70 ميلا، ويقول الحميري:« إن ميورقة أم هاتين الجزيرتين وهما بناتها وإليها مع الأيام خراجهما»، ويقال أن جزيرة ميورقة أخصب الجزر أرضا وأعدلها هواءا وأصفاها جوا، بها منذ عمرت ما يؤذي من ذئاب أو سباع أو حية أو عقارب، وتسميها المصادر التاريخية مع الجزيرتين منورقة ويابسة بالجزائر الشرقية وب" جزر البلياز". أنظر : الحميري: الروض المعطار، ص 188، الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 720، أبي المطرف بن عميرة المخزومي: تاريخ ميورقة، تح: محمد بن معمر، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص 66، الناصري: الإستقصاء، ج 1، ص 32، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 196، الحميري: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ق 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،(د. ت)، ص 8.

[2]- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج 2، ص 237.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص 178.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 313.

[5]- نفسه ، ص 313- 314.

أ-3- النظام المالي:

لم ينصب اهتمام الدولة المرابطية على النظام السياسي والعسكري فحسب وإنما كان لها اهتمام بجانب آخر وهو النظام المالي أو السياسة المالية التي انتهجتها في تسيير الدولة وقد تمثلت فيما يلي:

من أهم ما اهتم له المرابطون في سياستهم المالية هي الجباية أو الضرائب، ففي أوائل عهد الدولة اتبع يوسف بن تاشفين تعاليم عبد الله بن ياسين التي تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية في جباية الضرائب، إذ كان يلتزم بجباية الزكاة والأعشار وأخماس الغنائم وجزية أهل الذمة [1] ويؤكد على هذا ابن أبي زرع الفاسي بقوله:«... ولم يجد في بلد من بلاده ولا عمل من أعماله على طول أيامه... ولا خراج لا في حاضرة ولا في بادية إلا ما أمر الله تعالي به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والعشر وجزيات أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين»[2].

إلا أنه بعد اتساع رقعة الدولة المرابطية وتضاعف جيوشها ومسؤولياتها خاصة بعد إخضاع الأندلس لم تعد المصادر الشرعية للضرائب تكفي لسد حاجيات الدولة مما دفع بيوسف بن تاشفين إلى فرض نوع آخر جديد من الضرائب في دولته في كل من المغرب والأندلس وكانت هذه الضريبة تسمى بالمعونة للمساهمة في الجهاد[3].

ويذكر أن يوسف بن تاشفين قد أرسل إلى سكان مدينة ألمرية يطالبهم بتسديد هذه الضريبة وإرسال المعونة إلا أن قاضي المدينة أبو عبد الله بن الفراء [4] كتب إليه بالرفض معتبرا أنها

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 317.

[2]- علي بن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص102

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 317.

[4]- أبو عبد الله الفراء: كان قاضيا بالمرية ،وهو صاحب الرد على طلب يوسف بن تاشفين لما طلب المعونة من اهل الاندلس حيث جاء في رده قوله :اما بعد ما ذكر امير المسلمين من اقتضاء المعونة وتاخري عن ذلك ا نابا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس افتوا بان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –اقتضاها وكان صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و ضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة انزلوك منزلته في العدل فالله سائلهم عن تقلدهم فيك ....أنظر :ابن خلكان : وفيات الاعيان ،مج 7 ،ص 117- 118

ضريبة غير شرعية، وطلب منه بأن يقسم بمسجد مراكش أمام الملأ بأن بيت مال المسلمين ليس به درهم واحد، وأنه إن فعل ما طلب منه سينظر في أمر المعونة[1].

وأما علي بن يوسف بن تاشفين فقد فرض ضرائب على مختلف الصناعات والسلع وسماها القبالات، ويؤكد هذا الإدريسي بقوله:« لكانت أكثر السلع بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والمغازل، فكانت القبالة على كل شيء يباع دق أو جل كل شيء على قدره»[2].

هذا وقد لجأ أيضا إلى فرض ضريبة جديدة على أهم مدن الأندلس وقد سماها بالتعتيب أو التعطيب، وكان دخلها يخصص لإنشاء أسوار جديدة وترميم القديمة، وقد فرضها سنة 519هـ الموافق لـ 1125م وهي سنة الحرب مع ألفونسو المحارب، وقد أسند علي بن يوسف بن تاشفين جباية الضرائب إلى النصارى المقيمين بالمغرب أو بالأندلس[3].

وهناك ما يعرف بالأملاك السلطانية وهي الأملاك الخاصة بالأمير- صاحب الدولة- إذ كان يعهد إلى شخص يسمى بالمستخلص ليجمعها[4]، وقد كان أمراء المرابطين يراقبون المستخلص مراقبة دقيقة ويعاقبون المقصر عقابا شديدا، إذ كانوا يحاسبونهم بالأموال إذا اعتزلوا الخدمة، وإذا اتضح أنه هناك شيء من سرقة لأموال السلطان يتعرض المستخلص إلى السجن ومصادرة أمواله، وإذا توفي واتضح بعده تقصيره في عمله أو سرقة أو ما شابه ذلك فإن ورثته يعاقبون بمصادرة أملاكهم، وهذا ما جعل أحد مستخلصي يوسف بن تاشفين يرسل بماله إلى أمير الدولة ويفصح عن رغبته في التبرع به لبيت مال المسلمين وذلك خوفا على ورثته من بعده[5].

وأما بالنسبة لعملة الدولة المرابطية فقد كان الدينار الذهبي هو العملة الرئيسية للدولة وعماد اقتصادها، وقد ظلت هذه العملة متداولة حتى بعد سقوط الدولة المرابطية [6]، وقد نالت

1- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، ص 09.

2- الإدريسي :المصدر السابق ،مج 1 ، ص235.

3- ابن الخطيب: الإحاطة، ج 3، ص 524.

4- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 318.

5- نفسه ، ص 319.

6- نفسه، نفس الصفحة.

هذه العملة إعجاب ألفونسو الثامن فقلدها في طليطلة، حيث ضربها سنة 1173م باسم ألفونسو المرابط وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ما كانت تتمتع به العملة المرابطية من قوة ومدى قوة الاقتصاد المرابطي[1].

هذا وقد استعمل أيضا المرابطون العملة الفضية المعروفة بالدرهم الفضي وذلك من أجل تسهيل المعاملات التجارية، كما أنهم ضربوا عملة من فئة نصف الدرهم وكانت تسمى خروبة بالإسبانية Algorooba[2].

وأما دور سك العملة في مختلف أجزاء الدولة بالمغرب والأندلس مثل أغمات وتلمسان وسجلماسة وفاس ومراكش وشاطبة وسبتة وغرناطة وغيرها من مدن المغرب والأندلس[3].

أ -4- النظام القضائي:

بدأ اهتمام المرابطين بالنظام القضائي منذ تأسيس الدولة حيث كان لمنصب القاضي أهمية كبيرة في عهد يوسف بن تاشفين، إذ كان يعينهم من كبار العلماء دون الاستناد إلى العصبية القبلية فمعظم القضاة كانوا من غير قبيلتي صنهاجة ولمتونة، إذ كان يعتمد على الدرجة العلمية للقاضي وليس لنسبه وذلك من أجل تحقيق العدالة وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية [4]، وكان يمنحهم رتب عالية في الدولة حتى كثرت أموالهم واتسعت مكاسبهم، وكانت أحكامهم وفق المذهب المالكي وينفذها الولاة، كما كان لهم الحق في المشاركة في الجهاد بالأندلس، وقد استشهد بمعركة الزلاقة قاضي مراكش[5] آنذاك عبد المالك المصمودي[6].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 319- 320.

[2]- نفسه، ص 320.

[3]-نفسه،ص321-322

[4]- سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس- عهد يوسف بن تاشفين- أمير المرابطين، ص 166.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

[6]- عبد الملك المصمودي: هو ابو مروان عبد الملك المصمودي قاضي مراكش وكان يصاحب الفقيه يعلى المصمودي واستشهدا معا في الزلاقة .انظر انور محمد زناتي :فقهاء الاندلس والجهاد في عصر دولة المرابطين ،البيان ،ع 324، 27-05-2014 2014-10-31 11:46www.albayan.com

وفي عهد علي بن يوسف بن تاشفين عرف القضاة اهتماما خاصا حيث كان تعيين القضاة بمرسوم يصدر عن أمير المسلمين، يأمره فيه بالعدل والحزم[1]، وكانت تولية القضاة بناءا على الشخص الذي يرغب به أهل البلاد، وكانت السلطة القضائية عند المرابطين تتمتع باستقلالية تامة عن السلطة التنفيذية، ويتضح هذا من خلال مرسوم علي بن يوسف بن تاشفين إلى أهل مدينة فاس سنة 528هـ الموافق ل 1133م حين عزله لقاضي المدينة حيث جاء فيه:« أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه وقد أنهى إلينا أن المجهول ابن الملجوم أجهل بأحكام القضاء... وأنه أظهر فيكم أحكاما يترحم من مثلها... ونبذناه... وهو مذموم...»[2].

هذا وقد كان قضاة الدولة المرابطية بعد يوسف بن تاشفين يحصلون على رواتبهم من بيت المال وقد كانت ثابتة ومعتبرة وذلك بغية الحفاظ على سمعة القضاء واستقلاله[3]، وقد كان القضاة يتخذون كتابا لهم وممن كتب للقضاة إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي[4] المعروف بابن الفاسي وقد كتب للقاضي أبي الأصبع بن سهل[5] طوال مدة قضائه بالمغرب والأندلس[6]، وقد كان أيضا

---

[1]- اتضح أمر يوسف بن تاشفين في أمره للقضاة بالعدل والحزم من خلال المرسوم الذي أصدره في أوائل رمضان سنة 524هـ الموافق ل 1130م حينما ولا القاضي موسى بن حماد قضاء غرناطة. أنظر : حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 284.

[2]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 92.

[3]- المالقي ابو الحسن بن عبد الله النباهي : تاريخ قضاة الأندلس، تح:لجنة احياء التراث العربي ،ط 5،منشورات دار الافاق الجديدة ،بيروت ،لبنان ،1983 ص 104.

[4]- إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي : ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر بن احمد اللواتي يعرف بابن الفاسي فقيه ومشاور اخذ عن شيوخ سبتة واقتصر على ابي الاصبغ بن سهل ولازمه وكتب له في قضائه بطنجة وسار معه الى غرناطة فكتب له بها ،وكان مختصا به وسمع منه وكتب عنه وحدث بها عنه توفي سنة513هـ .أنظر: سمير قدوري :القاضي ابي الاصبغ بن سهل،مجلة التاريخ العربي ، ع37، (د.م) ، 2006،ص323

[5]- أبي الأصبع بن سهل:هو عيسى بن سهل بن عبد الله الاسدي يكنى ابا الاصبع من جيان سنة 413هـ الموافق ل 1022م كان والده يعد من اهل العلم والصلاح والخير ،وكان يتولى الخطابة والصلاة بحصن القلعة ،اما هو فقد درس بجيان ثم انتقل الى قرطبة فتعلم بها الادب وتجويد القران ثم انتقل الى بياسة حيث تولى القضاء ،ثم اشتغل بقرطبة كاتبا للقاضي محمد بن احمد بن عيسى بن محمد بن منظور القسي الاشبيلي ،ثم فقيها ومشاورا بها ثم انتقل الى سبتة حيث كان مدرسا للفقه ثم الى طنجة ثم رجع الى الاندلس وتوفي بها يوم الجمعة ودفن يوم السبت 5 محرم 486هـ. أنظر: سمير القدوري: المرجع السابق ،ص 307_332

[6]- ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص 101.

للقضاة حجابا يقفون على أبوابهم ليفصلوا بين الناس وبين مكان القضاة حتى تبقى هيبة المجلس القضائي محفوظة[1].

هذا وقد اتخذ القضاء في الدولة المرابطية خططا شرعية يسير عليها، فكان في القضاء عدة مناصب وليس منصبا واحدا فكان هناك منصب قاضي الجماعة وهو من أرفع المناصب في القضاء بالأندلس، إذكان صاحب هذا المنصب يختص بالقضاء في جميع أنحاء بلاد الأندلس، وكان أيضا صاحب هذا المنصب يتمتع بسلطات واسعة، وقد أحدث هذا المنصب في عهد يوسف بن تاشفين[2]، وممن شغلوا هذا المنصب في عهده أبو القاسم أحمد بن حمد بن الثغلبي[3].

وأما في عهد علي بن يوسف بن تاشفين فمن أهم من شغل هذا المنصب هو أبو الوليد محمد بن رشد المالكي[4]، وببلاد المغرب كانت رئاسة القضاء تستند إلى قاضي الجماعة أيضا وكان يسمى بقاضي قضاة المغرب أو قاضي الحضرة ومكانه بمراكش، كما أن القاضي في عصر المرابطين كان من أقرب الفقهاء إلى الأمير في مجلسه، وعضو بمجلس الشورى وكان يلجأ الأمير إلى استفتائه في كل شأن يصعب عليه [5]، ومن أهم من شغل هذا المنصب ابن منصور اللخمي [6]، وابن حقون ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا أن نستنتج أنالمرابطين عزلوا قضاءبلادالمغرب عن قضاء الأندلس وجعلوا كل واحد مستقلا بذاته، وأحدثوا في كل عدوة منصب قاضي القضاة، كما أنهم زيادة على منصب قاضي القضاة أحدثوا منصب الفقيه وهو منصب يكون صاحبه فقيها كبيرا مما يخول له السلطة العليا على قضاء المغرب والأندلس وفي هذا المنصب يجتمع قضاء

---

[1]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 37.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 286.

[3]- أبو القاسم أحمد بن حمد بن الثغلبي: لم اهتد الى ترجمته

[4]- أبو الوليد محمد بن رشد المالكي: هو محمد بن احمد بن رشد القرطبي ت 520هالموافق ل1126م كان له شان كبير في اثراء الحركة العلمية عند المرابطين وهو من اشهر اعلام الفقه المالكي ،كان احد الذين عملوا على تعميق اسس المذهب المالكي في الغرب الاسلامي النظرية والتطبيقية ،وكان احد الذين اكدوا على تلازم المذهب المالكي والعقيدة الاشعرية ،ومن اشهر مؤلفاته كتاب الفتاوى والمسائل .أنظر: علية الاندلسي :الحركة العلمية والثقافية عند المرابطين 3 ،مغرس ،9_4_2010 ، www.maghress.com 2014_8_22 12:46

[5]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 387.

[6]- ابن منصور اللخمي: هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاسم بن منصور ،انظرعلية الاندلسي :الحركة العلمية والثقافية عند المرابطين 3

العدوتين المغرب والأندلس، وأحيانا يكون منصب الفقيه من نصيب أحد الفقهاء في القضاء بمراكش أو سبتة أو طنجة، وأحيانا يكون من نصيب قاضي الجماعة بقرطبة[1].

وتتضمن خطط القضاء عند المرابطين أيضا خطة قاضي قضاة الشرق وهو منصب قاضي قضاة شرق الأندلس الذي كان الأمير علي بن يوسف يرسل إلى عماله في الأندلس من أجل حمايته، وأن من يعترض على حكمه سيلقى العقاب وذلك لما كان من اضطراب وفوضى بالمنطقة[2]، ومن أشهر من شغل منصب قاضي قضاة شرق الأندلس ابن منتيل[3]، وأحمد بن أسود الغساني[4].

وأما خطة الأشراف فقد أنشأها علي بن يوسف بن تاشفين من أجل الفصل في المنازعات الخاصة بأشراف القوم والمقصود بهم قبيلة لمتونة وكبار رجال الدولة والأسرة الحاكمة، وممن تولى هذا المنصب الوزير المشرف أبو بكر بن رحيم[5] وكان ذلك سنة 515هـ الموافق ل 1121م بإشبيلية[6].

بإشبيلية[6].

هذا إضافة إلى خطة الشورى وقد أحدثها هي الأخرى علي بن يوسف بن تاشفين وهي تتضمن مجموعة من الفقهاء من المدينة يقوم القاضي بمشاورتهم قبل أن يصدر الأحكام، ويشترط

1- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 287- 288.

2- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 288.

3 - ابن منتيل: لم أهتد الى ترجمته.

4- أحمد بن أسود الغساني: هو ابي اسحاق ابراهيم بن احمد بن اسود الغساني من المرية .أنظر ترجمته: ابن بشكوال :الصلة ،ج 1،ص 355.

5- أبو بكر بن رحيم: هو المشرف ابو بكر محمد بن احمد بن رحيم ذو الوزارتين . أنظر: الضبي :بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تح:ابراهيم الأبياري ،ج1،ط1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ،1989 ،ص52.

6- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 289، أبو نصر الفتح ابن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،تح:حسين يوسف خربوش ،ج 1،ط1،مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع ،الزرقاء ،الأردن ، 1989، ص 180.

في فقهاء الشورى زيادة على الفقه في العلوم الدينية التقوى والورع، ويحدد ابن عبدون عددهم بأربعة اثنان يشتركان في مجلس القاضي، واثنان يقعدان في المسجد الجامع[1].

هذا ونظرا لاتساع رقعة الدولة وكثرة أحيائها وقراها وصعوبة تنقل الرعية إلى مجلس القاضي للفصل في النزاعات الواقعة بين أفرادها فقد أنشأ علي بن يوسف بن تاشفين خطة قضائية صغيرة، حيث يتولى فقيه من الناشئين في ميدان القضاء في حي أو قرية وبتفويض خاص من أحد كبار القضاة فيصدر الأحكام نيابة عنه فيما يعرض له من قضايا وكان يسمى بصاحب الأحكام، وقد كان صاحب الأحكام ينظر في القضايا والمنازعات من النوع العادي[2].

وأما بالنسبة للجيش والمنازعات التي تحصل بين الجند فلم تكن تقدم لمجالس القضاء العادية وإنما يتولاها قضاة مختصون ضمن خطة القضاء العسكري فيشرفون على حل مشاكل الجند والمعسكرات، وكان يطلق عليهم اسم قضاة المحلة أو قضاة الجند، كما أنهم كانوا يشتركون في القتال بغرض تشجيع أفراد الجيش[3].

وقد اتبع المرابطون خطة سلسة في قضاء أهل الذمة بالأندلس حيث كان يتولى الفصل والحكم في قضايا أهل الذمة رجال الدين من نصارى ويهود ولا دخل لقضاة المسلمين في الأمر وهذا كان بإيجاز الفقهاء، وأما إذا كانت المنازعات بين طرف مسلم وطرف نصراني فإن القضاء يكون في مجلس قضاء المسلمين ويفصل بينهما حسب القضاء الإسلامي [4]، ولم تذكر لنا المصادر أن قاضيا مسلما أفتى في شأن من شؤون النصارى في عهد المرابطين ما عدا ما ذكره صاحب الحلل عن إفتاء القاضي أبو الوليد بن رشد في نصارى غرناطة الذين غدروا بالمرابطين وتواطؤوا مع

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 289، ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في اداب الحسبة والمحتسب ،تح :ليفي بروفنسال ،المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ،القاهرة ،1955، ص 9.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 191.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 292.

ألفونسو المحارب [1] سنة 519هـ الموافق ل 1125م وأدخلوه غرناطة حيث أفتى بتخريبهم وإجلائهم [2].

هذا وكان يتضمن النظام القضائي أيضا في عصر المرابطين نظام الحسبة وكل ما يرتبط به، وأيضا نظام الشرطة، أما النظر في المظالم فقد جعلها علي بن يوسف ابن تاشفين من إختصاصات ولي العهد [3]، فيؤكد هذا ابن عذارى في ذكره لتولية سير بن علي بن يوسف ولي العهد خطة النظر في المظالم بقوله:«... واستقل بالأمر ونظر في سائر ما تدعوه الضرورة من أمور الجيوش والأحكام والولايات والعزل ورد المظالم» [4].

ولكن بعد تنظيم الدولة وزيادة انشغالات ولي العهد بالدولة خاصة الحرب مع النصارى وانشغال ولي العهد بالدفاع عن الدولة صار النظ ر في المظالم من اختصاص وصلاحيات الوزير [5]، ويؤكد هذا مرة أخرى ابن عذارى المراكشي بقوله:«... واستوزر علي بن يوسف في آخر أيامه إسحاق بن بنتان... وكان يتوقد ذكاءا وعقلا وفهما فأعجب به أعجابا كثيرا وجعل إليه النظر في المظالم...» [6].

ب- العلاقات الخارجية:

بعد أن أسست الدولة المرابطية كيانها بكل جوانبه وصارت مترامية الأطراف شاسعة المساحة، لها جهاز إداري وسياسي وعسكري يقوم على تنظيم شؤونها وتسيير أمورها، كان لابد لها أن تكون لها علاقات خارجية مع إمارات وممالك ذلك الزمان، ومن خلال هذا المبحث سنتعرف على طبيعة العلاقات الخارجية للدولة المرابطية.

---

[1]- ألفونسو المحارب: هو الفونسو الاو ل ملك اراغون و الابن الاصغر لسانشو راميرز،تولى الحكم بعد اخيه على عرش ارغون ،وهو الذي تزوج من من اوراكا بنت الفونسو السادس ملك قشتالة وصار يحكم سائر الممالك الاسبانية لانه صار اعظم ملوكها .انظر يوسف أشباخ :المرجع السابق ،ج2،ص 172-175

[2]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 165.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 290.

[4]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 78.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 290.

[6]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 101- 102.

ب-1- طبيعة العلاقات المرابطية الإسلامية: لقد كان للدولة المرابطية علاقات مع كافة الدول الإسلامية المستقلة عنها في تلك الفترة ولنبدأ بعلاقة الدولة المرابطية بالدولة العباسية.

كان للدولة المرابطية علاقات ودية مع الدولة العباسية منذ قيامها، فالدولة المرابطية كانت تعترف بالخلافة العباسية اعترافا جازما لاعتقادهم الراسخ أنها ملكهم لا يكون مشروعا إلا بمباركة قرشية، وقد كانت الدولة العباسية هي الممثل القرشي الوحيد فسارعت الدولة المرابطية لنيل التأييد والاعتراف الرسمي من الدولة العباسية[1].

هذا وقد تضاربت آراء المؤرخين حول أول اتصال بين المرابطين والدولة العباسية، فابن أبي زرع الفاسي يحدد أول اتصال بين الدولة المرابطية والعباسية في زمن ابو بكر بن عمر، ويذكر أن اسم أبو بكر بن عمر كان يذكر دائما وإلى جانبه اسم الخليفة العباسي إلى أن توفي سنة 480هـ، وأن يوسف بن تاشفين بعدما خلفه ذكر اسم الخليفة العباسي علي سكته[2].

أما ابن خلدون فيختلف معه في الرأي ويذكر أن علاقة الدولة المرابطية بالعباسية بدأت بعد معركة الزلاقة بعد انتصار يوسف بن تاشفين ومراسلة الخليفة العباسية، ويتفق معه في هذا ابن الأثير[3]. والأرجح ما أورده ابن أبي زرع الفاسي وذلك بالاستناد إلى ما ذكره صاحب الحلل أن يوسف بن تاشفين اتخذ لقب أمير المسلمين بدل لقب أمير المؤمنين لأنه لا يليق أن يشارك بني العباس في لقب الخليفة وهم أحق به [4]، وهذا يوضح أن يوسف بن تاشفين رفض لقب الخليفة حفاظا على علاقته بالخليفة العباسي.

هذا وتذكر بعض المراجع أن اسم الخليفة العباسي قد نقش على أول سكة مرابطية وكان باسم" عبد الله أمير المؤمنين" وبقي الاسم بالسكة على حاله إلى آخر عصر المرابطين، وقد ذهب البعض إلى أنه اسم عبد الله بن ياسين صاحب دعوة المرابطين إلا أن هذا الأخير لم يتلقب يوما بلقب أمير المؤمنين كما أن حسن احمد محمود يذكر نقلا عن العالم الأثري فان برشيم Van Berchem انهم كانوا يضربون على نقودهم باسم عبد الله وليس اسم الخليفة الحقيقي وذلك

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 235.

[1]- ابن ابي زرع الفاسي:روض القرطاس،ص88

[3]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 365، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 143.

[4]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص79-80

حتى لا تتقيد السكة باسم خليفة واحد والخلفاء يتغيرون من فترة لأخرى، فاكتفوا بذكر عبد الله كلقب إلى جانبه أمير المؤمنين[1].

إضافة إلى أن المرابطين قد اتخذوا اللون الأسود شعارا لهم في رايتهم ولباسهم وهو اللون الرسمي للدولة العباسية وهذا حسب ما يروى أن صاحب ألمرية ابن صمادح أراد أن يتقرب من المرابطين فارتدى ثوبا مرابطيا أسودا حتى تم وصفه بين فرسانه:« كالغراب الأسود بين الحمام الأبيض»[2].

هذا وقد تضاربت آراء المؤرخين حول تحديد اسم الخليفة العباسي الذي أرسل اعترافه بشرعية حكمه في بلاد المغرب، حيث يذكر ابن خلدون[3] أنه الخليفة المستنصر بالله[4]، وأما ابن الخطيب[5] فيذكر أنه المستظهر بالله[6]، وأما ابن الأثير[7] فيذكر أنه المقتدي بالله[8]، والأرجح والأرجح ما أورده ابن الاثير.

---

[1]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 335- 336.

[2]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج 2.،ص 103

[3]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 366.

[4]- الخليفة العباسي المستنصر بالله:بويع بالخلافة رجب 623ه حتى جمادى الثانية 640ه بعد وفاته خلفه ابنه الظاهر بالله أنظر:الحافظ شمس الدين الذهبي :الاشارة الى وفيات الاعيان المنتقى من تاريخ الاسلام ،تح :ابراهيم صالح ،دار ابن الاثير للطبع،بيروت، لبنان ،1991،(د.ط)ص 255

[5]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 251.

[6]- الخليفة العباسي المستظهر بالله: هو ابو العباس أحمد بن المقتدي بالله عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله العباسي الملقب بالمستظهر بالله ولد شوال 470ه وتولى الحكم سنة 487 ه الى ان توفي 512 ه ،وتوفي وعمره اثنتان واربعون سنة ودام حكمه خمسا وعشرين سنة .أنظر: سير اعلام النبلاء ، ج 10،ص 497

[7]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 143.

[8]- الخليفة العباسي المقتدي بالله.هو عبد الله بن محمد الملقب بالمقتدي بامر الله الحاكم العباسي السابع والعشرين وقد حكم من سنة 1075م الى 1094م وهو عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله بويع له يوم مات جده المذكور فاقام تسع عشرة سنة و خمسة اشهر في الخلافة وفي محرو من السنة الاخيرة مات وسنه 39 سنة. أنظر: موسوعة اعلام المغرب ، تح :محمد حجي ،ج 1،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1996،ص 326

ويشير ابن خلدون ان القاضي الفقيه عبد الله بن العربي وابنه أب و بكر[1] هما من حملا رسالة ابن تاشفين إلى الخليفة العباسي من أجل الحصول على تقليد يخول له حكم بلاد المغرب، و ذلك بتاريخ رجب 491هـ الموافق ل 1098م سلم الخليفة العباسي لابن العربي تقليده ليوسف بن تاشفين بحكم بلاد المغرب، كما سلم وزير الخليفة محمد بن جه ير[2] لابن العربي رسالة يثني فيها فيها على يوسف بن تاشفين ويوصيه بابن العربي وابنه أبي بكر، وكان ابن العربي قد طلب هذه التوصية له ولولده[3].

وقد حصل ابن العربي أيضا على خطاب من الامام أبي حامد الغزالي يتضمن أمرين: أولهما حق ابن تاشفين في قتال أمراء ملوك الطوائف والظفر بأموالهم، وحق الطاعة ليوسف بن تاشفين بالأندلس، كما أفتى الغزالي بشرعية حكم ابن تاشفين حتى ولو تأخر وصول تقليد الخلافة، وأما المطلب الثاني فهو تأييد الغزالي لسياسة يوسف بن تاشفين وأمره في الجهاد، حصل ابن العربي أيضا على رسالة من الطرطوشي حين مر بالإسكندرية تتضمن بعض آيات وأحاديث الوعظ والإرشاد وبعض الروايات حول الصالحين كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وبالإسكندرية توفي ابن العربي سنة 493هـ الموافق ل 1100م وعاد ابنه أبي بكر دونه إلى الأندلس في نفس السنة وهو يحمل الرسائل التي جمعها والده مع تقليد الخليفة العباسي ليوسف بن تاشفين[4].

ومما سبق ذكره يمكن القول أن العلاقات المرابطية العباسية كانت ودية طيلة الوقت ولم تتوتر على الإطلاق ولم تتوقف على ما هو مادي أو محسوس وإنما كانت كلها معنوية لا تتجاوز مطالبة المرابطين بالاعتراف الرسمي وشرعية حكمهم في بلاد المغرب وإرسال تقليد الخلافة من الخليفة العباسي. كما سبق أن ذكرنا في أثناء حديثنا عن تأسيس الدولة المرابطية فإنما شملت كامل

[1]- القاضي الفقيه عبد الله بن العربي: هو ابو محمد بن عبد الله بن العربي ولد باشبيلية كان من السباقين في فكرة الرحلة الى الحجاز . أنظر: المقري :نفح الطيب تح :احسان عباس ،ج2 ،دار صادر ،بيروت ،ص 34 ،ابن خاقان :مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح اهل الاندلس ، تح محمد علي شوابكة ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،1983،ص 297.

[2]- محمد بن جهير: هو محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة في عهد المقتدي بامر الله . انظرالحافظ شمس الدين الذهبي :الاشارة الى وفيات الاعيان المنتقى من تاريخ الاسلام ،ص 269

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 238.

[4]- نفسه ، ص 238- 239.

المغرب الأقصى والأندلس وأجزاء من الصحراء إلا أنها لم تتوسع في بعض أجزاء المغرب الأوسط وكذا المغرب الأدنى وهما مناطق نفوذ بني حماد وبني زيري، إلا أن هذا لا يمنع من أنه كانت لها علاقات خارجية مع كليهما.

فأما عن علاقة المرابطين ببني حماد فقد كانت تتأرجح مابين الودية مرة والمتوترة أحيانا، وقد كانت تحدث بعض المناوشات بين الطرفين وذلك نتيجة سياسة المرابطين التوسعية، ولم يكن في نية المرابطين التوسع من أجل القضاء على بني حماد وإنما كانوا يسعون لحماية المغرب الأوسط من عرب بني هلال الذين غزوا إفريقية، وكان خطرهم يهدد المغرب الأوسط [1] وهو بمثابة الباب المؤدي إلى المغرب الأقصى مركز حكم الدولة المرابطية، وكان المرابطون على دراية بضعف الدولة الحمادية أمام عرب بني هلال مما دفعهم إلى محاولة التوسع بأراضي بني حماد[2].

أما دون ذلك فقد كان من الممكن جدا أن يترك المرابطون المغرب الأوسط بيد بني حماد ويولونهم أمر القضاء على زناتة لأنهم أبناء عمومة [3] ويكون المغرب الأوسط في الحالتين بيد الصنهاجيين.

ومحاولة دو خطر عرب بني هلال من طرف المرابطين تسبب في اصطدامهم مع بني حماد أصحاب القلعة[4] الذين لم ينظروا إلى توسع المرابطين نظرة الارتياح ومجرد محاولة لدفع خطر بني هلال بل نظروا إليها نظرة توسع وغزو بخلاف أن المرابطين كانوا ينظرون إليهم على أنهم أبناء عمومة وذوي صلة قرابة مما منعهم من إخضاعهم والمرور إلى إفريقية لإصلاح ما أفسده بها بني هلال [5]، إلا أن بني حماد ظلوا يتربصون لفرصة مناسبة ليعبروا للمرابطين عن كراهيتهم وحقدهم اتجاههم، وفي هذا

---

[1]- من باب الحذر والاحتياط من خطر عرب بني هلال أن يمتد إلى المغرب الأقصى فإن يوسف بن تاشفين ولى على الجزء المرابطي بالمغرب الأوسط وهو الجزء الغربي القائد اللمتوني الشهير مزدلي ليرعى شؤونه ويحرس مسالكه فلا ينفذ إليه العرب ولا يطرقون باب المغرب الأقصى. أنظر: حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 230.

[2]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص 328- 329.

[3]- نفسه، ص 328.

[4]- أصحاب القلعة: نسبة إلى قلعة بني حماد والتي تم بناؤها في 1007م قبل استقلال الدولة الحمادية وبعد استقلالها قطن بها امراء بني حماد فلقبوا باصحاب القلعة .أنظر: خالد بالعربي :البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد ،دورية كان التاريخية ، ع 25،سبتمبر 2009،ص28.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 231.

الصدد يذكر ابن خلدون أنه أثناء انشغال يوسف بن تاشفين بالجهاد في الأندلس استعان بنو حماد بمن كان المرابطون يحتاطون منهم بعرب بني هلال وأغاروا على الجزء الغربي من المغرب الأوسط الذي كان تحت سيطرة المرابطين، إذ حاصر الناصر بن علناس [1] تلمسان وعاث عساكره فيها فسادا إلا أنه لم يتمكن من دخولها لمناعة حصانتها فتركها وعاد إلى قلعته [2]. بسبب هذا الحادث ساءت العلاقات المرابطية الحمادية وصار بنو حماد يستقبلون أعداء المرابطين من ملوك الطوائف ويوفرون لهم الحماية ويقلدونهم المناصب ويتضح هذا في استقبالهم لصاحب ألمرية المعتصم بن صمادح حيث رحبوا به وأقطع ـه المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي [3] مدينة تدلس [4]، ووقف بنو حماد نفس الموقف مع صاحب دانية بعد فراره هو الآخر من المرابطين[5].

وبقيت العلاقات المرابطية الحمادية متوترة توترا شديدا إلا أنها لم تصل لحد الصدام المسلح بين الطرفين وهذا لأن المرابطين كما سبق أن ذكرنا حافظوا على صلة القرابة الصنهاجية التي تربطهم ببني حماد، ورأوا أن شرق المغرب الأوسط حتى وإن كان بيد بني حماد فهو في النهاية تحت سلطة صنهاجة لأن المرابطين حسب ما تذكر المصادر كانوا في أوج قوتهم وعلى مقدرة من إخضاع بني حماد خاصة في عهد ضعف بني حماد وهو عهد يحي بن العزيز بن المنصور [6]، ولكنهم تجنبوا ذلك وآثروا عدم مواجهة أبناء عمومتهم الصنهاجيين والأحرى مواجهة المد المسيحي بالأندلس والتفرغ أيضا للفتن الداخلية التي كانت تشهدها الدولة آنذاك[7].

---

[1]- الناصر بن علناس: هو الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي البربري ملك المغرب ،انشا مدينة بجاية الناصرية ، دامت دولته سبعا وعشرين سنة ،توفي سنة 481هـ الموافق ل 1088م .أنظر: الذهبي :سير اعلام النبلاء ،ج18،ص597_598

[2]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 36.

[3]- المنصور بن الناصر بن علناس: حكم بعد والده الناصر بن علناس من 481هـ الى 498 هـ الموافق ل 1088-1104 وقد كان عصره عصر الدولة الذهبي نقل قاعدته الى بجاية سنة 483 هـ الموافق ل 1090 لتجنب غزوات البدو التي كانت تهدده في القلعة . أنظر: قاسم محمد :بنو حماد ، ency.kacemb.com، 21:41، 2011-1-13

[4]- تدلس: مدينة كبيرة بحرية بين بجاية والجزائر ،وبينها وبين مرسى الدجاج 24 ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حصين واثار ومنتزهات ،وبينها وبين بجاية في البر 90 ميلا .أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص132

[5]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، ص 82، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 108.

[6]- يحي بن العزيز بن المنصور: انظر قاسم محمد :المقال السابق

[7]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 232.

تميزت العلاقات المرابطية الزيرية بالود والصداقة، فبنو زيري أصحاب إفريقية ولم يوجه المرابطون أنظارهم نحو إفريقية لإخضاعها لما يربطهم هم أيضا من صلة قرابة ببني زيري [1]، فكلاهما ينتمي لقبيلة صنهاجة فبنو زيري من صنهاجة الشمال، والمرابطون من صنهاجة الجنوب، وقد تمثلت العلاقات الودية بين الطرفين في الكتاب الذي بعث به ابن تاشفين إلى تميم بن المعز بن باديس[2] صاحب المهدية يخبره فيه بما أخضعه من قبائل بلاد المغرب وجهاده للنصارى في الأندلس ويصف له موقعة الزلاقة[3].

هذا وتتضح العلاقات الودية جليا بين الطرفين في استعانة بني زيري بالأسطول المرابطي لمواجهة خطر النورمنديين [4] الذي كان يهدد سواحلهم، فقد كانت العلاقات قد ساءت بين النورمنديين والزيريين في عهد الأمير علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس [5] والسبب في ذلك خلاف الأمير ابن يحي بن تميم مع واليه على مدينة قابس [6] الذي عزم على احتكار التجارة البحرية بعد حصوله على إذن من يحي بن تميم [7] والد علي بن يحي إلا أن هذا الأخير بعد أن

---

[1]- بني زيري: هم الزيريون نسبة لقائدهم زيري بن مناد الصنهاجي انظرقاسم محمد :المقال السابق .

[2]- تميم بن المعز بن باديس: ولد بالمنصورية تولى امارة المهدية سنة 445هـ ثم خلف والده المعز سنة 453 في الامارة .أنظر: ابن قنفذ القسنطيني :شرف الطالب في اسنى المطالب ،تح :محمد حجي ،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1996،ص 333

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 219.

[4]- النورمنديين: Normans أو النورمان اسم اطلقه الاوروبيون على الشعوب التي استوطنت الاراضي الاسكندنافية Scandinavion ، وهم قبائل انحدرت من شمال اوروبا في القرن الثاني ميلادي ،وانتشرت شرقا وغربا وجنوبا ،ومنهم حكام نورمنديا بفرنسا وليام الغزي الذي غزا انجلترا سنة 1066م وقد هاجم النورمان الفرنسيون احدى المرات سبتة. انظر عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 125، مفيد العابد :النورمان ،مج 21، www.arabency.com 2013-11-22،18:30، CH.HHaskins ,Normans in European Hutory,London 1980,p88

[5]- علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس: ولد بالمهدية خلف والده وتمكن من القضاء على عصيان واليه بقابس .توفي في العشر الاواخر في شهر ربيع الاخر سنة 515هـ الموافق ل 1121. أنظر: قاسم محمد :المقال السابق،ابن قنفذ القسنطيني :شرف الطالب في اسنى المطالب ،ص 333

[6]- والي قابس: رافع بن كامل بن جامع الرياحي. أنظر : حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 220.

[7]- يحي بن تميم: هو يحيى بن تميم بن المعز بن باديسولد بالمهدية في 26 ذي الحجة 457هـ وولي الامارةوعمرة ثلاث واربعين سنة و ستة اشهر وعشرون يوما فوزع اموالا كثيرة واحسن السير في الرعية.أنظر: قاسم محمد: المقال السابق

امتلك الحكم عارض موافقة والده وقال:« لا يكون لأحد من أهل إفريقية أن يناوئني في إجراء المراكب في البحر بالتجار»[1].

ولم يتردد علي بن يحي بن تميم في الخروج إلى حصار والي قابس سنة 511هـ الموافق ل 1117م مما اضطر والي قابس إلى الاستعانة بصاحب صقلية[2] الذي لم يتأخر وأمد رافع بأسطول صقلي يتكون من 24 سفينة للإغارة على المهدية، فلما علم علي بن يحي بن تميم بخروج هذا الأسطول النورمندي[3] باتجاهه أخرج هو الآخر أسطوله وأبحر به نحو قابس وتمكن من إيقاع الهزيمة بأسطول صقلية[4].

ومنذ هذا التاريخ ساءت العلاقات بين صاحب صقلية والنورمنديين بصفة عامة وبين الزيريين، وقد أرسل صاحب صقلية سنة 512هـ الموافق ل 1118م إلى الأمير علي بن يحي بن تميم يلتمس إليه تجديد العقود وتأكيد العهود ويطلب أمولا كانت موقفة له بالمهدية بلهجة عنيفة وغليظة فرد علي بن يحي بن تميم رسوله إليه دون جواب مما زاد العلاقات توترا بين الطرفين، ونظرا لزيادة حدة التوتر فقد جهز علي بن يحي بن تميم أسطولا وكاتب المرابطين لمساعدته على دخول صقلية وتأديب صاحبها[5].

وقد توفي علي بن يحي بن تميم سنة 515هـ الموافق ل 1121م وترك العلاقات متوترة بين صاحب صقلية وابنه الذي خلفه الحسن بن علي بن يحي، وفي عهد هذا الأخير قام أبو عبد الله ميمون أمير البحر المرابطي بالإغارة على صقلية وكان ذلك سنة 516هـ الموافق ل 1122م[6] وتمكن المرابطون من إخضاع نقوطرة(Nicotera) من أعمال صاحب صقلية الذي لم يتوقع للحظة أن المرابطين داهموه بإيعاز من الزيريين لما كان بينهما من علاقات متوترة، إلا أنه فيما بعد تيقن من ذلك فعاد للانتقام من المهدية ومحاصرتها، ففي سنة 517هـ الموافق ل 1123م وصل

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 220.

[2]- صاحب صقلية: هو الحاكم رجار الثاني. أنظر : حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 220.

[3]- الأسطول النورمندي:هو اسطول خطير جدا بشكل لم تعرفه اوروبا في عصورها الوسط أنظر: CH.H.Haskins,ipd,p109

[4]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 239.

[5]- نفسه، ص 330.

[6]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 223.

الأسطول الصقلي إلى ساحل إفريقية وفتح إحدى الجزر ثم قصد المهدية فدخل إلى العديد من عمالاتها[1]، إلا أن المسلمين تمكنوا من تعقبهم وإخراجهم، فقتل منهم من قتل وفر البقية باتجاه صقلية، لكن يبدو أن انتصار علي بن الحسن بن يحي لم يكن لوحده وإنما بمساعدة المرابطين، فالحسن بن علي بن تميم بعد فرض الأسطول الصقلي الحصار على المهدية كاتب علي بن يوسف يطالبه بالمساعدة، فأرسل له علي بن يوسف عبد الله بن ميمون في الأسطول المرابطي الذي وصل بعد هزيمة النورمنديين وفرارهم مما دفع بالقائد المرابطي إلى الإغارة على صقلية حيث غنم وسبى ثم عاد إلى بلاد المغرب [2]. هذا ويؤكد التيجاني على التعاون العسكري الدائم بين المرابطين والزيريين للدفاع عن المهدية والإغارة على صقلية إلى حين سقوط دولة المرابطين[3].

وهكذا ظلت العلاقات المرابطية الزيرية طيلة الوقت علاقات تعاون وصداقة تتخللها صلة القرابة التي منعت المرابطين من ضم المغرب الأوسط رغم توتر العلاقات، وساهمت في دعم علاقات الود والتعاون والصداقة مع المغرب الأدنى دون ضمه، لكن بماذا اتسمت علاقات المرابطين مع الممالك النصرانية .

ب-2- طبيعة العلاقات المرابطية النصرانية:

لم تنحصر العلاقات المرابطية النصرانية في علاقة المرابطين بإحدى الإمارات أو بعضها بل كان للدولة المرابطية علاقات مع كافة المماليك والإمارات النصرانية، وقد تباينت العلاقات ما بين ودية وعدائية ومتوترة حسب كل إمارة أو مملكة وعلاقتها بالدولة المرابطية، فمثلا في عهد يوسف بن تاشفين معظم العلاقات كانت تتلخص في الجهاد ومحاولة رد خطر النصارى عن بلاد الأندلس وأكبر دليل على ذلك هو موقعة الزلاقة.

كانت العلاقات المرابطية النصرانية في عهد يوسف بن تاشفين معظمها علاقة عداء تتمثل في محاولة رد خطر النصارى عن الأندلس والجهاد لحمايتها، وأما بعد يوسف بن تاشفين فقد

---

[1]- دخل جزيرة الأحاسي وقصر الديماسي. أنظر : حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 223.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 224- 225.

[3]- التيجاني: رحلة التيجاني، ص 225.

كانت العلاقات تتأرجح ما بين العدائية والودية والتوتر أحيانا، إلا أن أمر الجهاد بالأندلس وحمايتها ظل قائما.

ففي أوائل 501هـ الموافق ل 1107م أمر علي بن يوسف بن تاشفين أخيه أبي الطاهر تميم بأن يستأنف الجهاد ويغزو أراضي قشتالة، وقد كان هذا الأمر ردا على غزو ملك قشتـــالة ألفونسو السادس لأراضي المسلمين من أحواز إشبيلية [1] أثناء مرض يوسف بن تاشفين، وقد جاء قرار علي بن يوسف بن تاشفين هذا أثناء زيارته المفاجئة للجزيرة الخضراء وجمعه لتفاصيل الوضع العسكري للممالك النصرانية عن طريق التقارير التي قدمها له بعض قادة المرابطين بالأندلس[2].

وامتثالا لأوامر علي بن يوسف بن تاشفين خرج أبو الطاهر تميم من غرناطة من العشر الأخير من رمضان سنة 501هـ الموافق ل أوائل مايو 1108م[3] واتجه نحو جيان حيث أقام أياما ينتظر جنود قرطبة، وبعد وصولها واصل سيره نحو بياسة ثم انضمت إليه وهو في طريقه شمالا إلى أراضي قشتالة قوات مرسية وقوات بلنسية التي كانت تحت قيادة محمد بن فاطمة [4]، وواصل المرابطون طريقهم نحو أراضي قشتالة لكن في الطريق اعترضتهم قلعة إقليش [5] المحصنة الواقعة شرقي طليطلة.

فقد وصلت إليها قوات تميم في الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة 501هـ الموافق ل مايو 1108م وبادر على الفور بحصار قلعة إقليش، وتمكن من هزم الحامية النصرانية بها واقتحامها، ومن بقي من أفراد الحامية النصرانية تحصنوا بقصبة القلعة ولما بلغ خبرهم ألفونسو السادس سارع لإغاثتهم بجيش تقدره الروايات الإسلامية بسبعة آلاف فارس أو عشرة آلاف فارس من بينهم

---

[1]- أعد ألفونسو السادس لغزو أراضي المسلمين من أحواز إشبيلية أثناء مرض يوسف بن تاشفين سنة 498هـ الموافق ل 1104م حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل لكن طارده سير بن أبي بكر بجيشه من إشبيلية وبعض العساكر من غرناطة بقيادة عبد الله بن الحاج حيث تمكنوا من قتل ألف وخمسمائة مقاتل من الجنود القشتاليين. أنظر : محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 60.

[2]- حمد عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 156.

[3]- نفسه، ص 157.

[4]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 61.

[5]- إقليش: تقع جنوب وبذة وشرق طليطلة .أنظر : الحميري :المصدر السابق ،ص 51-52

كبار القادة والكونتات منهم البرهانس، وكان الجيش بقيادة شانجة [1] ابن ألفونسو السادس وولي عهده، وقد جعل والده الجيش تحت قيادته نزولا عند رغبة والدته التي طلبت ذلك من زوجها ألفونسو بحجة رفع معنويات الجند وكان عمر شانجة حوالي الحادية عشرة سنة[2].

وعندما بلغ خبر قدومهم إلى تميم أراد أن يترك الحصار وينسحب دون أن يلاقيهم لكن قادة لمتونة بما فيهم محمد بن عائشة وعبد الله بن محمد بن فاطمة شجعوه على البقاء وقالوا له أنه عليك بالتريث حتى وصل جيش قشتالة فلم يكن بوسع تميم أثنا ءها إلا قتالهم[3]، وقد التقى الطرفان صباح يوم الجمعة 16 شوال 501هـ الموافق ل 29 مايو 1108م[4] ونشبت بين الطرفين معركة يذكر ابن أبي زرع الفاسي أنه لم يسمع بمعركة مثلها [5]انتهت بهزيمة الجيش القشتالي ومصرع الأمير سانشو[6] ومقتل حوالي ثلاثة وعشرون ألف نصراني[7]، وأما خسائر جيش المسلمين فلم تذكر تذكر المصادر التاريخية عنها شيئا ولكن ترجح أنها كانت فادحة حسب ما يذكره ابن أبي زرع الفاسي في تعبيره عن ذلك فيقول:« واستشهد... جماعة من المسلمين رحمهم الله»[8].

---

[1]- سانشو: تذكره بعض المصادر باسم شنجة ويذكر ان والدته هي زائدة االاندلسية هذا في الرواية النصرانية لكن مصادر اخرى تذكر أن والدته قامت من بعده بامر الجلالقة وبالتالي فهي ليست زائدة الاندلسية في نظر أصحاب هذا الرأي . أنظر: ابن ابي زرع الفاسي : روض القرطاس ،ص101-103،يوسف اشباخ :المرجع السابق ،ج1،ص 123

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 160.

[3]- تذكر بعض المراجع أن تميم لم يوافق على قتال جيش قشتالة عملا بنصيحة قادته محمد بن عائشة وابن فاطمة وإنما لأنه عرف تفاصيل الجيش القشتالي ونقاط ضعفهم وقوتهم من فتى مسلم من بين قوات قشتالة كان قد أسر في المعارك السابقة وقد فر من المعسكر القشتالي وتواصل مع تميم وأبلغه بأمر الجيش القشتالي، ويستندون في ذلك إلى رسالة تميم إلى أخيه علي بن يوسف بن تاشفين. أنظر : حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 160- 161.

[4]- نفسه، ص 161.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 160.

[6]- هناك روايتين حول مقتل سانشو ولد ألفونسو السادس، فالرواية الإسلامية تقول أن سانشو أفلت من قلب المعركة في ثمانية من النصارى ولجأ معهم إلى حصن باشون واختبأ به، فلحق بهم المسلمون وقتلوه ومن معه من النصارى، أما الرواية النصرانية فتذكر أن سانشو عندما اشتد القتال احتمى بمؤدبه أردونيش فلمحه بعض جند المسلمين فأحاطوا به بغية قتله وحاول مؤدبه الدفاع عنه لكنه أصيب بطعنة قاتلة وبعده قتل مؤدبه، وتوفي إضافة لهما سبعة كونتات أو أقماط حتى سميت الموقعة باسمهم. أنظر : يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج 1، ص 118، حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 162.

[7]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 160.

[8]- نفسه، نفس الصفحة.

هذا وقد غادر أبو طاهر تميم إقليش إلى غرناطة بعد أن كتب إلى أخيه علي بن يوسف بن تاشفين بانتصاره وقد ترك لقائديه ابن عائشة وابن فاطمة مسؤولية حصار إقليش، اللذين تظاهرا بالانسحاب بعد طول انتظار ولما ظن القشتاليون أن المرابطين فعلا قد يئسوا من الحصار وانسحبوا خرجوا من القلعة، ولكن المرابطين كانوا قد رتبوا الكمائن فانقضوا عليهم وقتلوهم شر قتلة واستولوا على القلعة[1]. لم تصل وقعة إقليش إلى وقعة الزلاقة إلا أنها أسفرت على عدة نتائج منها:

- دعمت سلطان المرابطين بالأندلس.
- أوقفت حركة الاسترداد المسيحي لفترة معينة بعد هزيمة القشتاليين ووفاة ألفونسو السادس جراء حزنه على ابنه وجيشه.
- انتصار المرابطين في إقليش شجعهم على اقتحام العديد من القلاع والحصون والاستيلاء عليها في نفس السنة ومنها وبدة، كما تمكن المرابطون من إخضاع مدينتي مجريط [2] ووادي الحجارة[3] ودخول طليطلة وذلك سنة 503هـ الموافق ل 1109م بعد جواز علي بن يوسف إلى الأندلس[4].

وبعد إقليش وإخضاع مجريط ووادي الحجارة استمرت العلاقات العدائية بين المرابطين والقشتاليين، ففي سنة 507هـ غزا المرابطون طليطلة وأنحاءها، وبعد وفاة تميم ولي علي بن يوسف ابنه تاشفين على الأندلس حيث جاز في جيش قوامه خمسة آلاف فارس وبعث إلى باقي جنود الأندلس وخرج بهم إلى طليطلة فتمكن من إخضاع حصن من حصونها، وفي سنة 520هـ ألحق تاشفين بن علي هزيمة نكراء بالنصارى في فحص الضباب [5]، وفتح أثناءها ثلاثين حصنا وكتب بذلك إلى أبيه علي بن يوسف، وفي سنة 530هـ حقق انتصارا آخر على النصارى القشتاليين وكان ذلك بفحص[6] عطية[7].

---

[1]- عبد الله محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 66.

[2]- مجريط: هي مدينةمدريد الحالية ،بناها محمد بن عبد الرحمان الأموي في ق 3 هجري انظر الحميري :المصدر السابق ،ص523

[3]- وادي الحجارة:هو نهر جميل يخرج من جبال قشتالة ويصب شرق طليطلة .أنظر: نفسه ،ص 606

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 161.

[5]- فحص الضباب: لم نهتد الى موقعه بالضبط في المصادر التي بين أيدينا .

[6]- فحص عطية: لم نهتد الى موقعه بالضبط في المصادر التي بين أيدينا.

[7]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 164.

وفي سنة 531هـ الموافق ل 1137م تمكن تاشفين من إخضاع أشكلونة Exalina[1] وعلى إثرها عاد إلى بلاد المغرب بعد استدعاء والده له لكن في طريقه أراد التصدي للقشتاليين الذين دخلوا وبذة وبياسة وخربوها وكانوا في طريقهم لجيان لولا منعتهم الأمطار وساهمت في مساعدة حامية جيان في هزمهم، ولم يتمكن تاشفين بن علي من مواجهتهم أيضا بسبب الأمطار ودخل مراكش في رجب سنة 532هـ الموافق لأوائل 1138م[2].

وظلت العلاقات المرابطية القشتالية عدائية طيلة الوقت حتى بعد وفاة ألفونسو السادس، فرغم انشغال ألفونسو السابع بعقد معاهدات التحالف والصداقة مع أمير برشلونة وبعض الولايات الفرنسية إلا أنه جدد نشاطه العسكري ضد المرابطين حيث تمكن من الاستيلاء على إحدى قواعد المسلمين سنة 534هـ الموافق ل 1139م بعد إخفاقهم في الاستيلاء على قلعة قورية[3] المنيعة سنة 533هـ الموافق ل 1138م إلا أنه تمكن منها سنة 536هـ الموافق ل 1141م 1141م بعد حصارها لمدة شهرين وذلك ردا على المرابطين الذين أخضعوا قرية مورة[4].

هذا وفي سنة 537هـ غزا القشتاليون قرطبة بقيادة صاحب مورة السابق كرد فعل على إخضاع مورة وقد تمكن هذا القائد القشتالي من إلحاق الهزيمة بالمرابطين مما دفع بأمير الدولة المرابطية إلى تعيين يحي بن غانية واليا على الأندلس وتكليفه بالانتقام لقتلى المسلمين، وفعلا تمكن يحي بن غانية من الثأر بعض الشيء لقتلى المرابطين بعد إخضاعه لقلعة[5] رباح[6].

ولم يتوقف عداء القشتاليين للمرابطين بوفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ الموافق ل 1142م بل واصلوا عدائهم حتى في عهد ابنه تاشفين بن علي وتمكنوا من الاستيلاء

---

[1]- أشكلونة Exalina: لم نهتد الى موقعها في المصادر التي بين أيدينا .

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 174- 177.

[3]- قلعة قورية:قلعة بمدنة قورية قريبة من ماردة بينها وبين قنطرة السيف مرحلتان وهي من احصن المعاقل . أنظر: الحميري :المصدر السابق ،ص 400.

[4]- قرية مورة: متصلة باحواز كورة قرمونة منحرفة الى جهة القبلة وهي من مدينة بجانة ،وهي من قرطبة بين المغرب والقبلة .أنظر: أبو محمد الرشاطي ،ابن خراط الاشبيلي :المصدر السابق ،ص 110 ،170.

[5]- قلعة رباح: تقع بالأندلس من عمل جيان مابين قرطبة وطليطلة ،مدينة حسنة لها حصن حصين على نهر انة وهي مدينة محدثة في أيام بني أمية أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 469

[6]- حمدي عبد المنعم ،محمد حسين : التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 178.

على العديد من الأراضي المرابطية بالأندلس خاصة بعد انشغال المرابطين في بلاد المغرب بأمر الموحدين[1].

هذا وقد كانت العلاقات المرابطية الأرغونية عدائية أيضا وذلك بعد تحالف أمير سرقسطة عبد الملك بن المستعين بالله بن هود الملقب بعماد الدولة [2] مع مملكة أرغون [3] وذلك خوفا من استيلاء المرابطين على إمارته، إلا أن تحالفه هذا معهم هو ما جاء بالمرابطين إلى سرقسطة لإخضاعها وقد كان ملك أرغون ألفونسو الأول [4] الذي وحد المملكتين أر اغون وقشتالة[5] وأراد بذلك طرد المسلمين من الأندلس بشكل نهائي مما دفع بالمرابطين إلى محاولة إنقاذ سرقسطة قبل أن تقع بيد ألفونسو الأول المحارب [6]، فدخل المرابطون إلى سرقسطة [7] سنة 503هـ وأقدم أهل سرقسطة على طرد عماد الدولة وقد اتجه إلى حصن روطة واحتمى بالنصارى فيه[8].

وقد عين المرابطون ابن الحاج [9] واليا على سرقسطة يتولى حمايتها من الأخطار المحيطة بها إلى إلى أن استشهد[10] فخلفه في ولايتها الأمير أبو بكر بن إبراهيم بن تافلويث [1] والي مرسية وبلنسية

---

[1]- نفسه، ص 178- 179.

[2]- عماد الدولة: هو عبد الملك بن المستعين بالله بن هود استعان بالنصارى وخرج من سرقسطة فملكها المرابطون . أنظر:ابن سعيد المغربي :المغرب في حلي المغرب ،ج2،ص215.

[3]- مملكة أرغون: Aragon مملكة اسبانية تقع شمال شرق اسبانيا بجوار مملكة نافارا Nzvara وفيها يجري نهر ايبرا وهي بلاد غارسيه بن شانجة . أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 28،محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الأندلس ،ع2،ق1،ص 67.

[4]- ألفونسو الأول: هو نفسه الفونسو المحارب وسبق التعريف به .

[5]- توحيد المملكتين: فكرة تةحيد المملكتين ليست فكرة الفونسوالاول وانما هي فكرة الفونسوالسادس الذي كان يرى عظمة مملكته في سعة الاراضي المحكومة ،وامنيته توحيد الممالك النصرانية في عرش واحد ،الشيئالذي جعله يرى انه يمكنه توحيد مملكتي قشتالة واراغون في يد الفونسو الاول ملك اراغون ونفارا فزوجه ابنته ولم يكن هذا الاخير متزوجا قبل توحيد المملكتين .أنظر: يوسف اشباخ :المرجع السابق،ج1 ،ص141

[6]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 173- 175.

[7]- تختلف الروايات في دخول المرابطين إلى سرقسطة. أنظر: يوسف اشباخ :المرجع السابق ،ص 171-175

[8]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 184- 185.

[9]- ابن الحاج: هو محمد بن ومجون بن سيمونن ن محمد بن واركوت ويعرف ابوه بالحاج وكان من بطانة يوسف بن تاشفين وقد تركه يوسف بن تاشفين في اشبيلية بعد رجوعه من الزلاقة سنة 481 هـ ،وهو الذي هزم جيوش النصارى التي تكالبت فيما بعد على شرق الاندلس هزيمة نكراء ،وقام بضم اغلب ولايات شرق الاندلس لدولة المرابطين .أنظر: ابن عذاري :البيان المغرب ،ج4،ص48-49

[10]- استشهاد ابن الحاج: يذكر ابن خلدون بعض التفاصيل في حادثة استشهاد ابن الحاج .أ نظر: ابن خلدن ،العبر ،ج6،ص 187- 188.

وطرطوشة، ولم يكن يقل كفاءة عن ابن الحاج حيث استطاع سنة 510هـ الموافق ل 1116م أن يقود حملة على حصن روطة ويعتبر آخر حماة سرقسطة وشرق الأندلس، وبعد وفاة ابن تافلويث جعل علي بن يوسف أمر سرقسطة بيد أخيه إبراهيم بن يوسف وبعد جوازه الثالث للأندلس سنة 519هـ الموافق ل 1117م وإدراكه لخطورة الوضع بسرقسطة عين عليها والي غرناطة القائد عبد الله بن مزدلي وقد كان حاميا جيدا لها إلى أن توفي[2].

وبعد وفاته انتهز ألفونسو الأول المحارب الفرصة وباشر بالتحرك نحو سرقسطة في جيش ضخم من القشتاليين وغيرهم من النصارى المتحالفين معه مما جعل الأمير علي بن يوسف يكتب إلى أمراء الأندلس يأمرهم بمؤازرة أخ يه تميم والي شرق الأندلس من أجل حماية سرقسطة، فنشبت معركة طاحنة بين الطرفين هزم على إثرها ألفونسو المحارب مما اضطره إلى رفع الحصار عن مدينة لاردة[3] بعدما فقد حوالي عشرة آلاف مقاتل في هذه المعركة[4].

وبعد اضطراب الوضع ببلاد المغرب وعودة تميم إلى مراكش انتهز ألفونسو المحارب مرة ثانية الفرصة وجمع حوله طوائف النصارى حيث يصفهم ابن أبي زرع الفاسي أنهم أتوه في أمم كالنمل والجراد ويقدر عددهم بحوالي 150 ألف فارس [5]، وأقاموا عليها الحصار ويصف ابن أبي زرع الفاسي شكل الحصار فيقول:« ومنعوا أبراجا من خشب تجر على بكارات وقربوه منها، ونصبوا فيه الردعات ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ووقع طمعهم فيها... واستمر الحصار عليها حتى فنيت الأقوات وفني أكثر الناس جوعا»[6].

وبعد أن طال الحصار اتفق أهل سرقسطة مع ألفونسو المحارب أن يمهلهم إلى أن يرسلوا استغاثة إلى المرابطين فإن أغاثوهم وإن لم يكن أسلموه المدينة، وقد كتب أهل سرقسطة إلى تميم

---

[1]- ابن تافلويث: هو ابو بكر بن تفلويث والي مرسية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين . أنظر: الناصري :الاستقصاء ج2،،ابن ابي زرع الفاسي :روض القرطاس ،ص 103-104
ص161

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 186- 187.

[3]- لاردة: مدينة تقع في شرق الأندلس تطل على نهر يسمى نهر شقير .أنظر: الحميري :المصدر السابق ،ص 507.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 187.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص105-107.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

بن يوسف يستنجدون به لكنه تماطل في الذهاب إليهم ووصلت قوات المرابطين متأخرة بعد أن كان أهلها قد سلموها للنصارى في 14 رمضان سنة 512هـ الموافق ل 19 سبتمبر 1118م[1] وفق عدة شروط[2].

وسقوط سرقسطة بيد ألفونسو المحارب كان بداية لاستيلاء النصارى على العديد من الأجزاء الإسلامية بالأندلس، ففي سنة 513هـ الموافق ل 1120م استولى على طرسونة[3] Tarazona وأعاد بها مركز الأسقفية القديمة، وتمكن أيضا من الاستيلاء على برجة[4] Berja وفتح العديد من الحصون والقلاع في الثغر الأعلى مما دفع بأمير المسلمين علي بن بن يوسف إلى والي إشبيلية وأمره بتسيير حملة لقتل ألفونسو المحارب وأمر باقي قادة وولاة الأندلس بمساعدته[5].

فانضمت إلى قوات والي إشبيلية قوات قرطبة وغرناطة ومرسية بقيادة ولاتها إضافة إلى مجموعة من علماء الأندلس وقضاتها وبعض جماعات المتطوعين كلهم تحت إمرة إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وقد اشتبك جيش المسلمين مع النصارى في بلدة صغيرة تسمى كتندة بتاريخ 24 ربيع الأول وقيل ربيع الثاني 514هـ الموافق ل يوليو 1120م[6] وقد انهزم المسلمون في هذه المعركة شر هزيمة وبلغ عدد قتلى المسلمين فيها حوالي عشرين ألف قتيل من المتطوعين إضافة إلى من قتل

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 189.

[2]- شروط تسليم سرقسطة: تسلم سرقسطة الى ملك اراغون ابن رذمير ،ومن احب المقام بها من اهلها فله ذلك ،على ان يؤدي جزية خاصة ،ومن أراد أن يرحل الى حيث شاء من بلاد المسلمين رحل وله الامان التام ،على ان يسكن الروم الارجنيون والفرنج المدينة والمسلمون ربض الدباغين وعلى ان كل اسير يفلت للروم من المدينة ويحصل عند الاسلام فلا سبيل الى مالكه اليه ولا اعتراض له عليه، ويسمح للمسلمين الساكنين في المدينة البقاء في المدينة لمدة سنة او نحوها ثم يلزمون بالانتقال للارباض .أ نظر: محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ،ع3،ق1،ص100-101

[3]-طرسونة: Trazonaمدينة اسبانية تقع الى الجنوب الغربي من مدينة تطيلة وهي من اعمالها .أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 317،ابن كثير :التعريف بالاماكن الواردة في البداية والنهاية ،ج2،ص 126

[4]- برجة: Berja حديثة البناء هي من اعمال المرية ،تقع غربي ثغر المرية على مقربة من البحر المتوسط .أنظر: لسان الدين بن الخطيب :الاحاطة ،ج1،ص158

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 190- 191.

[6]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 302.

من العلماء والقضاة المشاركين بالمعركة، أما القائد إبراهيم بن يوسف بن تاشفين فقد انسحب بجيشه إلى بلنسية[1].

وقد نتج عن هذه المعركة سقوط عدة قلاع وحصون ومدن في أيدي الأراغونيين، كما أنها شجعت النصارى المتواجدين داخل الأندلس على نشر الفوضى داخل الأندلس ضد السلطة المركزية، واتصالهم بمملكة أراغون لتحفيزها على الهجوم على الأراضي الإسلامية بالأندلس، وأنهم متعهدين له بالمساعدة والتعاون معه وخاصة نصارى غرناطة الذين وصفوها له وعددوا خيراتها وثروات أهلها[2] مما دفعه إلى الخروج من سرقسطة للهجوم على أراضي المسلمين بتاريخ 01 شعبان 519هـ الموافق ل 02 سبتمبر 1121م في جيش قوامه أربعة آلاف فارس [3] ومجموعة من رجال الدين و أقسموا على الإنجيل على أن لا يترك أحدهم المعركة، وقد وصل في 20 من رمضان إلى بلنسية لكنه لم يتمكن من الدخول إليها لتصدي حاميتها له، فواصل سيره باتجاه عدة مدن بشرق الأندلس لكن لم يتمكن من الدخول إلى أي واحدة منهم بل كان مروره مجرد استعراض وذلك لخذلان متعاونيه من النصارى معه نتيجة وصول جيش المرابطين من بلاد المغرب بعد أن وصل الخبر إلى أمير المسلمين[4].

ثم واصل سيره نحو غرناطة الإدارة المركزية للمسلمين بالأندلس وملأ الرعب والخوف أهل غرناطة، لكنه امتنع عن الدخول إليها بسبب الثلوج ويصف ذلك ابن عذارى فيقول:«... وجاءت الطلائع منبئة... وانقطعت... والواردة، وقلت المرافق- وتزاحم الناس في المدينة وسكنت المساجد- والرحاب... وكثر الجزع والإرجاف... والأسوار معمورة بأهل البلدة وما بقي في الدور غير الصبية والنسوة، وتوالت الأمطار وسالت الطرق وضاقت النفوس أشد ضيقة»[5].

ثم واصل زحفه نحو الساحل الجنوبي للأندلس لكنه لم يدخل أي مدينة ثم أنهى حملته الاستعراضية بعد أن تمكن من أنه لا يمكنه الدخول إلى أي مدينة، بسبب تعب جيشه نتيجة

---

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 2، ق 1، ص 103- 104.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 193.

[3]- ابن السماك العاملي: الحلل الموشية، ص157

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 193.

[5]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص 70.

الخسارة التي لحقت به في عدة معارك صغيرة خاضها مع الجيش المرابطي، والأمراض التي أصابت جنده نتيجة قساوة الجو وبرودته، ولحق بجيشه حوالي عشرة آلاف من النصارى المعاهدين له الذين خشوا على أنفسهم من بقائهم مقيمين بين المسلمين في أراضيهم [1]. هذا وقد ترتبت عن حملة ألفونسو المحارب الاستعراضية هذه عدة نتائج منها:

- ظهور نوايا العداء التي كان يخفيها النصارى المقيمون بأراضي المسلمين والذين كانوا يعاملون معاملة الود والتسامح قابلوها بالعداء والمكر والخداع.
- كشفت هذه الحملة عن ضعف أجهزة دفاع المسلمين ويتضح هذا في الخوف والرعب الذي بدا على كل المدن الأندلسية خاصة غرناطة، كذلك سوء القيادة العسكرية للجيش المرابطي خاصة في معركة كندة.
- عناية أمير المسلمين بترميم حصون الأندلس وقلاعها بعد أن أدرك قدمها وعدم مناعتها نتيجة ما أحدثته حملة ألفونسو المحارب من رعب ومحاولات اقتحام[2].

هذا ولم يكف ألفونسو المحارب عن مهاجمة أراضي المسلمين، فلم يمض على حملته إلا سنتين حتى قرر الخروج للاستيلاء على آخر ثغر في مملكة سرقسطة وهو طرطوشة، إلا أنه قبل ذلك كان لزاما عليه أن يصطدم بالمرابطين في إفراغة ولاردة وغيرها من المناطق حتى مصب نهر إيرة، وقد وصل خبر خروجه إلى علي بن يوسف بن تاشفين وأنه متجه صوب بلنسية فأمر بإعداد قوات سودانية محملة بالأرزاق والسلاح والنفقات والتوجه لحمايتها إضافة إلى توجيهه إلى الحشود الإسلامية نحو مرسية لتعزيز جيوش المرابطين بشرق الأندلس[3].

وقد اشتبك الطرفان في منطقة القلعة وذلك في رجب 523هـ الموافق ل 1129م، وقد انتصر ألفونسو في هذه المعركة رغم أن الكفة في البداية رجحت لصالح المرابطين وقد كانت الهزيمة شديدة على المسلمين فقد خسروا فيها حوالي اثني عشرة ألف أمير وقتيل واستولى النصارى على

1- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 196- 199.

2- نفسه ،ص 198- 199.

3- نفسه، ص 200- 201.

متاع المسلمين ودوابهم، ثم واصل سيره نحو بلنسية لكنه لم يدخلها أو يحاصرها لمدة طويلة وإنما أرسل فقط بعض جنده فخربوها ونهبوها وعاثوا فيها فسادا[1].

انشغل ألفونسو المحارب عن المرابطين بعض الوقت في حروبه الأخرى مع قشتالة [2] وجنوبي فرنسا، ثم عاد لتحقيق حلمه القديم وهو وصول مملكة أرغون إلى البحر المتوسط وضمان سلامة الملاحة في نهر آبرة[3]، فقرر ضم لاردة وإفراغة بالإضافة إلى ثغر طرطوشة، فاتجه إلى إفراغة وفرض عليها الحصار في رمضان 528هـ الموافق ل يوليو 1134م فقاومه أهلها وصمدوا ضد الحصار وبعد أن طال بهم الوضع كتبوا إلى والي بلنسية ومرسية يطلبون النجدة[4].

فأسرع والي مرسية وبلنسية إلى نجدتهم لأنهم كتبوا إليه بأنه إن لم ينجدهم سلموا مدينتهم، كما أرسلت قرطبة حوالي ألفي فارس لنجدة إفراغة وأما والي لاردة فقد أرسل مائتي فارس [5]. وقد استهان ألفونسو المحارب بقوات المسلمين وأرسل بعض عسكره للدخول إلى إفراغة فتصدى لهم والي لاردة وهزمهم مما دفع بألفونسو إلى أن يتقدم بجيشه فتصدى له والي مرسية وفرسان قرطبة وقتلوا منهم أعدادا كبيرة مما شجع أهل إفراغة إلى فتح أحد أبواب المدينة وخروجهم للمشاركة في المعركة وبذلك تمكن المسلمون من إلحاق هزيمة نكراء بألفونسو المحارب، وكان هذا بتاريخ رمضان 528هـ الموافق ل1134م[6]، و بالتالي استعاد المرابطون هيبتهم العسكرية وبرز قادة المرابطـــين في

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 201- 202.

[2]- أثناء انشغال الفونسو المحارب بحروبه مع قشتالة وجنوبي فرنسا كانت الجيوش الاسلامية تخرج بالاخص من طرطوشة ولاردة وهما اهم القواعد التي بقيت بايدي المسلمين في الثغر الاعلى لتجتاح اراضي النصارى المجاورة في اراغون وامارة برشلونة ووقعت بين المسلمين والنصارى في تلك الفترة عدة معارك .أنظر : نفسه، ص 204- 205. يوسف اشباخ :المرجع السابق ، ج1،ص121

[3]- نهر آبرة: يمر هو وروافده بمملكة ارغون .أنظر:يوسف اشباخ :المرجع السابق ،ج1،ص 12

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 203- 204.

[5]- نفسه، ص 205.

[6]- نفسه، ص 206- 207.

الميدان من جديد وأبدوا مهاراتهم وحنكتهم العسكرية مما أبعد الخطر على الأندلس لبعض الوقت، أما ألفونسو المحارب[1] فقد توفي بعد هذه المعركة بأيام قلائل[2].

أما عن علاقات المرابطين بمملكة البرتغال [3] وقطلونية[4] فهي لم تتجاوز علاقةمحاولة المرابطين المرابطين ضم أراضيهما للأراضي الإسلامية وإخضاعهما،وقد تمكن القائد المرابطي سير بن أبي بكر من التوغل في أراضي مملكة البرتغال وإخضاع كل من يابرة [5] وأشبونة وشنترة وشنترين، وكتب إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بفتوحاته وخاصة شنترين ويصفها له، هذا وقد واصل تقدمه نحو الشمال حتى وصل على مقربة من قلمرية عاصمة مملكة البرتغال [6] إلا أن هذه الأخيرة كان إخضاعها على يد علي بن يوسف بن تاشفين نفسه.

ففي سنة 511هـ الموافق ل 1117م عبر علي بن يوسف بن تاشفين على رأس قواته إلى الأندلس ووفدت عليه جموع هائلة من كل ولايات الأندلس سيما غرناطة والعلماء والفقهاء من قرطبة، فخرج بهم غازيا مدينة قلمرية عاصمة مملكة البرتغال فلما وصل إلى أحوازها فرض عليـــا

[1]-تذكر المراجع ان الفونسوالمحارب عقب هزيمته في موقعة افراغة اوى الى حصن في راس جبل شاهق مع قلة من جنده ثم غادره متسلسلا بالليل حينما احدق به المسلمون ،ومات مفجوعا بعد عشرين يوما من الهزيمة أنظر: حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 208، يوسف أشباخ : المرجع السابق ،ج1،ص124.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 208.

[3]- مملكة البرتغال: Porto_calle نشات في القرن السادس هجري وسميت باسم مدينة البرتغال الواقعة في شمال غرب الاندلس والمطلة على ساحل المحيط الاطلسي ، وعلى الشاطئ الايمن من نهر دويرو هبالقرب من مصبه ،وفيها ميناء قديم فسميت به بورت اي ميناء ،بلغات اوربية عديدة . انظر ،امين واصف :معجم الخريطة التاريخية ،ص 20 ،وقد انتقد محمد عبد الله عنان القول بفتح المرابطين للبرتغال وراى ان الجيش المرابطي لم يصل اليها .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الأندلس ،ج2، ع3،ق2،ص70.

[4]- قطلونية: هي امارة برشلونة الممتدة على شاطئ البحر حتى مصب نهر الايبرو شرق البيرنيه كان يحكمها ريموند برنجار الاول بعد وفاته اوصى بها لولديه ريموند وبرنجار .انظر يوسف اشباخ ،المرجع السابق ،ج1،ص143

[5]- يابرة: مدينة من اعمال باجة بغرب الاندلس تقع الى الغرب من بطليوس والى الشمال من باجة والى الشرق من اشبونة . أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 615-616.

[6]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 211- 212.

حصارا من 28 محرم 511هـ حتى 18 صفر من نفس السنة أي عشرون يوما وتمكن من إخضاعها عنوة لكنه ما إن أقفل عائدا إلى إشبيلية حتى استردها البرتغاليون[1].

أما أراضي قطلونية فقد مر بها المرابطون وهم متجهين إلى برشلونة [2] لإخضاعها في كل مرة خاصة في حملات القائد المرابطي أبي بكر بن إبراهيم بن تافلويث المسوفي والي مرسية[3].

2- نظام الحكم الموحدي:

التنظيم السياسي والاداري عند الموحدين سبق تاسيس الدولة بحيث عودهم عليه المهدي بن تومرت في أثناء الدعوة حينما نظمهم وصنفهم الى جماعات ،لكن بعد تأسيس الدولة أحدث حكام الدولة الموحدية العديدمن النظم الادارية نظرا لاحتياجات الدولة في مختلف الميادين منها ما تشابهت مع جميع انظمة الدول الاسلامية ومنها ما كان خاصا بهم كما سيرد في هذا المبحث.

أ- التنظيم الإداري والسياسي للدولة الموحدية:

أ-1- جهاز الحكم:

اقتصر جهاز حكم الدولة الموحدية في عهد المهدي بن تومرت على طبقات الموحدين من أصحابه العشرة[4] وأهل الخمسين [5] وأهل السبعين [6]، وقد كان جهازا ضيقا في عدد الأفراد واسع المهام ويتوفر على جميع الشروط اللازمة لإدارة وتسيير شؤون الدولة [7]، إلا أنه بعد وفاته عرف جهاز الحكم هذا بعض التغييرات على يد عبد المؤمن بن علي وأصبح يشتمل على:

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 213.

[2]- برشلونة: شمال شرق الاندلس تطل على البحر المتوسط كانت قبل المرابطين عاصمة لمملكة ارغون .أنظر: الحميري :الروض المعطار، ص86-87

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 215- 216.

[4]- ابن السماك العاملي:المصدر السابق ،ص179

[5]- نفسه، نفس الصفحة

[6]- نفسه،نفس الصغحة

[7]- فتذكر بعض المراجع أن المهدي بن تومرت أنشأ حكومة ديمقراطية سابقة لأوانها بحوالي ثمانية قرون، فجماعة العشرة كانت أشبه بمجلس الوزراء، وجماعة الخمسين أشبه بأعضاء مجلس الشيوخ، وأما جماعة السبعين فقد كانت تمثل مجلس النواب في الحكومات البرلمانية. أنظر: عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 68.

– **الحاكم**: وهو الخليفة، فقد اتخذ الحكام الموحدون لأنفسهم لقب الخليفة إتباعا لأول حاكم تلقب بهذا اللقب وهو عبد المؤمن بن علي الذي تلقب بهذا اللقب على اعتباره أول خليفة للمهدي بن تومرت حسب إرادة هذا الأخير حسب ما جاء في وصيته للموحدين:«... وقد اخترنا لكم رجلا منكم، وجعلناه أميرا عليكم، هذا بعد أن... في جميع أحواله في ليله ونهاره ومدخله وخرجه، واختبرنا سريرته وعلانيته، فرأيناه في ذلك كله ثبتا في دينه متبصرا في أمره، وإني لأرجو ألا يخلف الظن فيه، وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن، فاسمعوا له، وأطيعوه مادام سامعا مطيعا لربه، فإن بدل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ففي الموحدين... بركة وخير كثير والأمر أمر الله يقلده من يشاء من عباده»[1].

وقد كانت هذه الوصية سببا في كون عبد المؤمن بن علي خليفة للمهدي بن تومرت وهو أول حاكم للدولة الموحدية، وتلقب بلقب الخليفة كونه خليفة للمهدي بن تومرت، وقد تقلد منصب الخليفة عن طريق المبايعة ذلك أنه بعد إنهاء المهدي بن تومرت تلاوة وصيته على الموحدين بايعوا في تلك الأثناء عبد المؤمن ودعا لهم ابن تومرت ويذكر صاحب المعجب أنه مسح ابن تومرت أيضا على وجوههم وصدورهم[2] واحدا واحدا ومن ثم اجتمع أمر الدولة الموحدية بيد عبد المؤمن بن علي حاكما للدولة وخليفة للمهدي بن تومرت.

وقد تلقب جميع حكام الدولة الموحدية بلقب الخليفة وذلك خلافة لعبد المؤمن بن علي الذي كان خليفة للمهدي بن تومرت وصار كل حاكم خليفة للحاكم الذي سبقه، ولم تخرج الخلافة أو منصب الحاكم للدولة عن بني عبد المؤمن فقد جعل الخلافة متوارثة في بنيه، فظل حكم الدولة الموحدية بيد بني عبد المؤمن حتى سقوطها، حيث التزم عبد المؤمن بقواعد المهدي بن تومرت التي أوصاهم بها وأمرهم إن علموا منه انحرافه عنها عزلوه عن الحكم وذلك فيما ورد في المصادر عن المهدي بن تومرت أنه قال في وصيته للموحدين:«...فإن بدر أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ففي الموحدين... بركة وخير كثير، والأمر أمر الله يقلده من يشاء من عباده»[3].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 146- 147.

[2]- نفسه ، ص 147.

[3]- نفسه، ص 147.

وقد تمكن عبد المؤمن بحنكته السياسية من الحفاظ على مكانته كحاكم للدولة وتوريث بنيه المنصب، وجعل الحكم بالدولة الموحدية وراثيا وقد ابتدأ هو هذا الأمر بتولية أكبر أولاده ولاية العهد في حياته، وحصوله على الموافقة والمبايعة من طرف جماعة الموحدين وأشياخهم وأعيان الدولة، فقد بايع أيضا عامة الناس ابنه الأكبر محمد بولاية العهد في حياة أبيه بعد ان كتب بيعته له بولاية العهد إلى جموع البلاد، إلا أن الخلافة لم تدم بيده بعد وفاة والده إلا حوالي خمسة وأربعين يوما وذلك لما كان به من أمور لا تصلح للخلافة كاختلال رأيه وإدمانه شرب الخمر، وبعض صفات الجبن والطيش، إضافة إلى مرضه بالجذام، فتم خلعه من طرف جماعة الموحدين وأخواه يوسف[1] وعمر[2] خوفا على مستقبل الدولة بين يديه[3].

وبعد خلعه تم الاتفاق على تولية يوسف أبو يعقوب بن عبد المؤمن حاكما للدولة ومبايعته بالخلافة، فقد اتفقت كلمة الموحدين أشياخا وأعيانا وعامة الناس وكذا أبناء عبد المؤمن إخوة يوسف على مبايعته، وسعى في ذلك أخوه عمر وقد عمل يوسف بن عبد المؤمن على أن يترك لابنه ويورثه خلافة الموحدين من بعده فكتب بالبيعة في حياته لابنه يعقوب بن يوسف [4] وسنه اثنين وثلاثين سنة[5]، ومن ثم صار كل خليفة موحدي يكتب لابنه بالبيعة في حياته وبات أمر الخلافة ومنصب الحاكم متوارثا في الدولة الموحدية ولم يخرج عن بني عبد المؤمن كما سبق أن ذكرنا[6].

---

[1]- يوسف بن عبد المؤمن:هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي امه وام اخيه ابي حفص واحدة وهي امراة حرة اسمها زينب ابنةموسى الضرير من شيوخ تينملل واعيانها وينحدر اصله من ضيعة يقال لها انسا ،وكان عبد المؤمن يستخلف ابنه هذا على مراكش إذا خرج منها . أنظر: عبد الواحد المراكشي : المعجب ،ص 174.

[2]- عمر بن عبد المؤمن: هو ابو حفص بن عبد المؤمن احو يوسف بن عبد المؤمن الشقيق. أنظر: نفسه ،نفس الصفحة .

[3]- عبد الواحد المراكشي:المعجب ،ص174

[4]- يعقوب بن يوسف: هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي لقب بالمنصور بفضل الله، أمه أم ولد مولده بقصر جده عبد المؤمن بمراكش سنة 555هـ نقش على خاتمه على الله توكلت، بويع في 19 ربيع الثاني 580هـ، توفي الجمعة 22 ربيع الأول 595هـ، دفن بمجلس سكناه بمراكش ثم نقل إلى رابطة يتنمل وأقبر هناك قرب أبيه وجده. أنظر : العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج 10، ص 266.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 192.

[6]- نفسه، ص 192- 226.

هذا وحتى إن كان في أواخر الدولة الموحدية لم يتم بالكتابة بالبيعة لأبناء الخلفاء لسبب من الأسباب، فقد كانت جماعة الموحدين ورجال الدولة لا يولون أحدا من غير بني عبد المؤمن منصب الخليفة ولا يجعلون أمر حكم الدولة إلا بيد بني عبد المؤمن مثلما حصل مع الخليفة الموحدي أبي محمد عبد العزيز بن أبي يعقوب الأول [1]، فبعد وفاة الخليفة الموحدي أبي يعقوب الثاني[2] ولم يكتب بالبيعة لأحد من خاصته فقد اجتمع عامة الموحدين وخاصتهم على تولية أبي محمد عبد العزيز بن أبي يعقوب وهو أحد أفراد بني عبد المؤمن وأنهم لم يسعوا بتاتا للتفكير في تولية شخص آخر ينتمي لغير بني عبد المؤمن أمر الخلافة[3].

هذا وقد تلقب الخلفاء الموحدون بلقب- أمير المؤمنين- وقد توارثوا اللقب من خليفة إلى آخر منذ ان ورثه أول خليفة عبد المؤمن بن علي على المهدي بن تومرت، ذلك أن المهدي ابن تومرت كان يلقب أصحابه بالمؤمنين ويجعل نفسه أميرا عليهم، ويذكر صاحب المعجب أن المهدي بن تومرت كان يسمي أصحابه- بالمؤمنين- ويقول لهم:« ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام:(لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله)... ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم [4]- ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة... لو شئتم أعد خلفاءكم خليفة خليفة...»[5].

ويتضح هنا كذلك أن لقب الخليفة للحاكم لم يكن فقط بناءا على أن عبد المؤمن خلفه في الحكم وقيادة الموحدين وإمرتهم وإنما اختار هو لقب الخليفة لحكام الموحدين وهو على قيد الحياة وذلك بقوله:«... أعد خلفا ءكم خليفة خليفة» [6]، ثم قوله:«... لا تزال طائفة بالمغرب

---

[1]- أبي محمد عبد العزيز بن أبي يعقوب: عبد العزيز يكنى بأبي محمد، ولي مالقة في أيام أبيه، كان على مقدار من الحسن والسيرة مقربا للطلبة محبا منهم معظما للعلم وأهله، وكان يميل إلى طريق الإدارة وكان ينظم الشعر. أنظر : أبي عبد الله بن عسكر، أبي بكر بن خميس: أعلام مالقة، تق: عبد الله المرابطي الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص 257.

[2]- أبي يعقوب الثاني: هو يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي،امه ام ولد رومية اسمها قمر تلقب حكيمة ولد في شوال 594 هـ قبل وفاة جده ابي يوسف بأربعة أشهر .أنظر: عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص 237

[3]- نفسه، ص 241.

[4]- أرجح الأمر أنه كان يقصد بالأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم نفسه لأنه ادعى المهدوية ورفع نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصرح يدعو العصمة لنفسه. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 141.

[5]- ابن تومرت مهدي الموحدين :اعز مايطلب ،ص 251-252.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 141.

ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله» [1]، يتضح لنا من هذا ، ثم تلفظه بلقب الخليفة للحاكم كأنه حث وأمر للموحدين بإنشاء خلافة إسلامية ببلاد المغرب مستقلة نهائيا عن الخلافة الإسلامية بالمشرق الإسلامي، وحثهم على أن يكون لهم ببلاد المغرب خليفتهم ويكون من الموحدين ويتلقب بالخليفة ليتضح أنه ليس لخليفة المشرق الإسلامي سلطة عليه وليسوا بتابعين له، وأن دولة الموحدين مستقلة تماما عن الدولة الإسلامية بالمشرق الإسلامي، وقد عمل الموحدون بوصيته فقد تلقبوا بالخليفة، وورثوا عنه لقب أمير المؤمنين مع وراثة الخلافة والحكم فصار كل حاكم للدولة الموحدية يلقب بالخليفة– أمير المؤمنين– وذلك منذ عهد أول حاكم الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي.

هذا وقد كان ضمن جهاز الحكم ممن يساعد الحاكم أو الخليفة في تسيير شؤون الدولة، فقد تم تقسيم الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس إلى ولايات وعمالات وتعيين والي على كل ولاية، وقد اقتصر منصب الولاة على الأبناء في أسرة عبد المؤمن والأقارب والأصهار [2]، وقد تمثلت ولايات بلاد المغرب في ظل الخلافة الموحدية في ولاية بلاد السوس، وولاية سجلماسة، وولاية مراكش، وولاية فاس، وولاية تلمسان، وولاية بجاية، وولاية إفريقية، ثم ولاية سلا، ثم أنشئت ولاية سبتة كولاية مستقلة أحيانا وأحيانا أخرى تلحق بمالقة أو الجزيرة الخضراء[3].

وأما ولايات الأندلس في ظل النظام الموحدي فقد تمثلت في ولاية الغرب شلب وأحوازها، وإشبيلية وقرطبة، وجيان وغرناطة ومالقة، ومرسية، وبلنسية [4]، وقد اعتبرت إشبيلية قاعدة الحكم الموحدي ببلاد الأندلس لكونها أول من نادى بطاعة الموحدين، ثم نقلت قاعدة الحكم إلى قرطبة بأمر من عبد المؤمن بن علي لموقعها الإستراتيجي لأنها تتوسط الأندلس، ولأنها كانت مستقر الجيوش الموحدية لكن سرعان ما أعيد مركز الحكم إلى إشبيلية وبقي بها إلى سقوط دولة الموحدين، وذلك لبعدها الجغرافي عن خطر النصارى بسبب مصب نهرها الوادي الكبير[5].

---

[1]- ابن تومرت مهدي الموحدين : أعز ما يطلب ،ص252.

[2]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 618.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- نفسه ، ص 618- 619.

هذا وقد وضع أول حاكم للدولة الموحدية وهو عبد المؤمن بن علي بعض الأسس لتنظيم وتسيير أمور الدولة، وتمثلت في خمسة أمور وهي:

- وجوب التزام الدقة في تطبيق الأحكام الشرعية.
- وجوب الكف عن اقتضاء أي مغارم لا تبيحها الشريعة ولا تتفق مع قواعد العدل.
- لا يجوز الحكم في مواد الحدود بالإعدام أو تنفيذه قبل الرجوع إلى الخليفة من أجل إصداره بنفسه للقرار في هذا الشأن.
- تحريم الخمر ومحاربتها في جميع أنحاء الدولة.
- حماية أموال الدولة(المخزن) وعدم التصرف فيها دون استئذان الخليفة[1].

وقد أرسل إلى الأندلس بهذه الأسس في رسالة بتاريخ ربيع الأول 543هـ إلى طلبة وأعيان ومشيخة بلاد الأندلس، وقد حذا حذوه معظم الخلفاء الموحدين وعملوا على الحكم وفق هذه الأسس وخاصة ابنه يوسف بن عبد المؤمن حيث وجه هو الآخر رسالة إلى الأندلس وبالضبط إلى والي قرطبة أخيه السيد أبي سعيد يؤكد فيها على الأسس الدستورية الموحدية التي أنشأها والده وكان هذا بتاريخ رمضان 561هـ[2].

– **الوزراء**: كان لنظام الوزارة دور في بلاط الدولة الموحدية، وقد بدأ نظام الوزارة مع بداية أول عهد خليفة وأسندت إلى الوزير أو الوزراء أعباء الحكم والإدارة بتوجيه الخليفة وإرشاده وإطلاعه على أهم شؤون الدولة، وكثيرا ما عهد الخلفاء الموحدين بمناصب الوزارة إلى أولادهم أو إخوانهم[3].

فقد عهد عبد المؤمن بن علي في أواخر أيامه بالوزارة إلى ابنه السيد أبي حفص [4]، وقد تولى هذا الأخير بعد وفاة والده في عهد أخيه أ بو يعقوب يوسف منصب الحجابة وهو ما يجمع بين الوزارة والإمارة وبقي بها إلى عهد يعقوب المنصور[5]، وأما الوزارة دون حجابة فقد أسندت في عهد

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ، ص 619.

[2]- نفسه، ص 619- 620.

[3]- نفسه ، ص 620- 621.

[4]- السيد أبي حفص: هو نفسه عمر بن عبد المؤمن الذي سبق التعريف به. أنظر: المعجب ،ص 149

[5]- يعقوب المنصور: هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي يكنى أبا يوسف أمه أم ولد رومية اسمها ساحر، بويع له في حياة أبيه وكان سنه آنذاك 32 سنة تولى بعد وفاة والده التي كانت بتاريخ السبت سنة 580هـ وأما هو يعقوب المنصور فقد توفي في صفر

عهد يعقوب المنصور إلى أخيه السيد أبو عبد الله محمد [1] وقد كان يظفر في بعض الأحيان ببعض مناصب الوزارة بعد الأقارب مثلما حدث في عهد الخليفتين المستنصر [2] والرشيد [3]، لكن منصب الحجابة وبعض المناصب الحساسة في الوزارة بقيت حكرا على الأبناء والإخوة، وحتى المناصب الأقل أهمية في الوزارة لم تكن لتخرج عن نطاق القبائل الموحدية المولية مثل: أسرة بني جامع[4] التي تولى أفرادها الوزارة بشكل مستمر امتد من عهد الخليفة عبد المؤمن إلى عهد الخليفة الناصر، وكذلك أسرة بني يوجان[5] حيث تولى العديد من أفرادها الوزارة[6].

– **الكتاب:** وقد اعتمدت الدولة الموحدية بشكل كبير على الكتابة، حيث كان الخلفاء الموحدين يستقطبون أجود الكتاب، وكان الولاة أيضا بالمغرب والأندلس أبلغ الكتاب في عصرهم، وقد أقام منذ عهد عبد المؤمن بن علي العديد من علماء النثر والبلاغة ببلاط مراكش حتى يعملوا على الوقوف إلى جانبه في مخاطبة الولاة والقبائل وعامة الرعية بالمغرب والأندلس، وقد كان أغلب الكتاب من أهل الأندلس [7] ومن بينهم: أبو الحسن بن عيا ش

595هـ توفي وعمره 48عاما، أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 192، وأنظر أيضا: أبي الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج3،م7،ط1،دار الريان مصر، 1989،ص22، وأنظر كذلك:محمود مقديش: المصدر السابق،ج1، ص468، وأنظر أيضا: محمد بن تقي الدين عمر الأيوبي: مضمار الحقائق وسر الخلائق، تح: حسن حبشي،ط 1،دار الكتاب، القاهرة، 1968 ص201.

[1]– السيد أبي عبد الله محمد: هو اخو يعقوب المنصور من ابيه فقط انظر عبد الواحد المراكشي :المعجب ، 175-181،ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص240.

[2]– المستنصر: هو يوسف بن محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ،امه ام ولد رومية اسمها قمر ،تلقب حكيمة،كانت ولادته في صدر شوال 594هـ .انظر: عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص237.

[3]– الرشيد: هو عبد الواحد بن المامون ابي العلاء ادريس بن يعقوب المنصور وكنيته ابو محمد وتلقب بالرشيد .أنظر: ابن السماك العاملي: المصدر السابق ،ص 253.

[4]– أسرة بني جامع: اسرة من جملة اصحاب ابن تومرت صحبته الى مراكش ،اصلها من الاندلس من طليطلة ، أنظر: المعجب ، ص228-229.

[5]– أسرة بني يوجان:من هنتاتة احد قبائل الموحدين اشهر افرادها الوزراء عبد الرحمان بن موسى بن يوجان الهنتاتي . أنظر :نفسه، ص193.

[6]– محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 621.

[7]– نفسه، ص 621- 622.

القرطبي[1]، أخيل بن إدريس الرندي[2]، الخطيب أبو الحسن بن الإشبيلي[3]. وكان هناك بعض بعض الكتاب المغاربة أمثال الأخوين أبو جعفر بن عطية[4]، وعقيل بن عطية[5] على الرغم من أن أصلهما أندلسي، وقد تعاقب على بلاط الدولة الموحدية عدة كتاب، فقد كان أبو الحسن بن عياش كاتبا للخليفة عبد المؤمن ثم لابنه أبي يعقوب يوسف وقد كان له مساعدين وهما كاتبان مغربيان أبو القاسم القالمي[6] وتلميذه أبو الفضل طاهر بن محشرة [7]، فقد كان البلاط الموحدي حريصا على رفع مستوى ديوان الكتابة والرسائل[8].

هذا وكان يلحق بديوان الكتابة كتابة التوقيعات والضمائر وبعض الإضافات السلطانية كتقييد الجزيات العامة في أنواع النفقات، وأما ديوان الجيش فقد كان له كتابه المختصون وهم غير كتاب الديوان[9].

- متولي أشغال البرين : ومن المناصب الهامة أيضا في التنظيم الإداري للدولة الموحدية ضمن جهاز الحكم فيها منصب" متولي أشغال البرين" أي المغرب والأندلس، وقد كان لهذا المنصب أهمية خاصة لاسيما في الأيام التي كانت فيها في أوج قوتها، وقد أسند في عهد الخليفة

---

[1]- أبو الحسن بن عياش القرطبي: هو محمد ابو الحسن عياش بن عبد الملك كتب بعبد المؤمن وابنه يوسف ابويعقوب.أنظر: عبد الواحد المراكشي:المعجب ،ص180.

[2]- أخيل بن إدريس الرندي: كان اديبا وكاتبا وعمل في بداية حياته كاتبا للمرابطين ثم استكتبه ابن حمدين الثائر في قرطبة على المرابطين، ثم اتصل بابن عطية وزير عبد المؤمن بن علي فكانت له وظيفة معه ثم ولاه الموحدون بعض الوظائف منها القضاء . أنظر: هشام ابو رميلة ،المرجع السابق ،ص 75.

[3]- الخطيب أبو الحسن الإشبيلي: هو ابو الحسن الهوزني الاشبيلي كتب لعبد المؤمن و ابنه يوسف بن عبد المؤمن .أنظر: عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص180.

[4]- أبو جعفر بن عطية: سبق التعريف به في هذا الفصل .أنظر: المعجب،ص 149.

[5]- عقيل بن عطية:هو اخو جعفر بن عطية كل ما يعرف عنه انه شارك اخاه في كتابة الرسائل الرسمية ايام عبد المؤمن وقتل في ظروف غامضة. أنظر: المعجب ،ص 181 ،أبي جعفر أحمد بن ابراهيم الغرناطي :صلة الصلة ،تح :ابو العلا العدوي ،ط 1،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،مصر ،2008،ص 325

[6]- أبو القاسم القالمي: كتب ليوسف بن عبد المؤمن فلما توفي خلفه خادمه في الكتابة .انظر عبد الواحد المراكشي :المعجب ، ص180.

[7]- أبو الفضل طاهر بن محشرة: هو مساعد ابو القاسم القالمي وخادمه بعد وفاته تولى مكانه في الكتابة .أنظر: نفسه ،نفس الصفحة.

[8]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 622.

[9]- نفسه، ص 623.

المنصور إلى كبير الوزراء أبي زيد بن يوجان [1] وتوصف اختصاصاته بالأعمال العلية والأشغال السلطانية، ويوصف أحيانا بإشراف البرين وضم الأعمال وتفقد الأشغال، وكان يسند أحيانا إلى أكثر من وزير ويسمون ب" أصحاب الأشغال"[2].

- صاحب الشرطة: هذا وقد كان أيضا لمنصب صاحب الشرطة أهمية ذات نوع خاص في بلاط الدولة الموحدية خاصة في الأوقات المضطربة، وعند قيام الفتن والثورات، وكان يتقلده في بعض الأحيان أحد أكابر الوزراء أو ذوي المكانة الرفيعة مثلما حدث في عهد الخليفة الرشيد[3].

هذا وقد ظهر في أواخر عهد الدولة الموحدية منصب آخر ضمن جهاز حكم الدولة الموحدية وهو منصب وزير خاص بالعلاقات مع الممالك والإمارات غير الإسلامية وذلك من أجل مراسلة ملوك الروم ومضايفتهم والترجمة عنهم للخليفة، وقد أصبح للمنصب أهمية خاصة في عهد الخليفة المأمون وذلك حينما عقد حلفا [4] مع ملك قشتالة فرناندو الثالث [5] مما جعل هذا المنصب يأخذ دورا مهما حيث صار صاحبه يتولى استقبال الوافدين من الروم(القشتاليين) على بلاط الدولة الموحدية والإشراف على رعايتهم، وترجمة الحوار بينهم وبين الخليفة ورجال الدولة[6].

أ-2- الجيش:

إن أولى بدايات الجيش الموحدي كانت في عهد المهدي بن تومرت حيث جعل في طبقات الموحدين: طبقة الجند والغزاة والرماة وجعل قيادتهم في أيدي أعضاء طبقة أهل العشرة، وتعتبر " تينمل" هي المدرسة العسكرية الأولى التي تخرج منها أفراد جيش الموحدين، هذا وبعد ان زادت

---

[1]- أبو زيد بن يوجان:من اسرة بني يوجان وهوابو زيد عبد الرحمان بن موسى بن يوجان الهنتاتي انظر المعجب ،ص 193

[2]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 623.

[3]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 624.

[4]- عقد المامون هذا الحلف بالاندلس جينما اعلن خلافته وخروجه عن طاعة العادل ،ومن شروط الحلف انه بعد حصوله على كرسي الحكم ببلاد المغرب يسمح للنصارى باقامة كنيسة في العاصمة مراكش وفعلا فبعد ان دخل المامون بلاد المغرب واستتب له الامر وصار حاكما للدولة الموحدية سمح للنصارى القادمين معه باقامة كنيسة بمراكش وبعد اتمامها صارت النواقيس تدق بالعاصمة الموحدية لاول مرى .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ،ع3،ق2،ص372.

[5]- فرناندو الثالث: ملك قشتالة منذ 1217 حتى وفاته وهو ابن ملك ليون الفونسو التاسع وملكة قشتالة برينغيلا صار ملكا في ليون سنة 1230 .أنظر: يوسف اشباخ :المرجع السابق ،ج1،ص 200؟

[6]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 624.

جموع الجند قسمهم ابن تومرت إلى عدة مجموعات جعل على رأس كل عشرة جنود نقيب ويقود العديد من المجموعات قائد من أهل العشرة[1].

وقد تزايدت أعداد جيش الموحدين نظرا لدخول العديد من القبائل في طاعة الموحدين، وانتقلت شؤونه إلى يد خليفة المهدي بن تومرت عبد المؤمن بن علي والذي شرع في تقويته، خاصة بعد تمكنه من ضم العديد من القبائل وزعمائها كمسوفة ولمتونة وينو يفرن وبنو عبد الواد وغيرها[2].

وقد كانت مراكش مركز قيادة الجيوش الموحدية بها وحدات الجيش، منها تخرج وإليها تعود ومنها كانت تصدر أوامر الخليفة وكتبه إلى سائر قادته بالمغرب والأندلس، هذا وبعد مراكش كانت الرباط وسلا من أهم مراكز التجمع للجيش الموحدي، كما كانت بعض المناطق مراكز لتخزين مؤن وأقوات الجيش كالمناطق الواقعة بين سلا وسبتة[3].

وأما الشروط التي اشترطها الموحدون لانضمام الجند إلى الجيش فهي ليست كثيرة، فمن أهم ما اشترطه الموحدون على الجند هو الذكورة عملا بقول ابن رشد الذي يمثل المذهب المالكي حيث قال أن الجهاد فرض كفاية وهو يرتبط بالرجل لا المرأة، لأن المرأة منشغلة بزوجها وعليها البقاء والمكوث بالبيت[4] ويستدل على هذا بقوله تعالى:« يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجك وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهنَّ مِنْ جَلَابِيبهنَّ» [5]، وقوله تعالى:« وَقَرْنَ فِي بـيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَةِ الأُولَى» [6]، هذا إضافة إلى شرط الإسلام والعقل اللذين كانا معمولا بهما في كافة الدول الإسلامية أثناءها[7].

---

[1]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 77- 79.

[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 84- 86.

[3]- نفسه، ص 87- 89.

[4]- نفسه، ص 96- 97.

[5]- سورة الأحزاب، الآية 59.

[6]- سورة الأحزاب، الآية 33.

[7]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 98.

هذا وقد ركز ابن تومرت على عقيدة التوحيد كشرط أساسي لمن ينضم إلى جيشه وطالب جنده بحفظ صيغة ذلك التوحيد [1]، وقد تضمن الجيش الموحدي نظامين من التجنيد أحدهما اجلبري والآخر تطوعي، فأما النظام ا لاجلبري فيقصد به الجند النظاميون والمسجلة أسما ؤهم في ديوان الجند ويصرف لهم عطاؤهم ورواتبهم من بيت المال زيادة على ما يصرف لهم من أموال الغنائم ويمنع عليهم الانشغال بعمل غير التجنيد في الجيش[2].

والنظام التطوعي يقصد به مجموع المتطوعين الذين يلحقون بالجيوش من أهل الأندلس والمغرب ثم يصرفون في أوقات السلم، وقد كانت هناك الأعداد الهائلة من المتطوعين في الجيوش الموحدية[3]، وإلى جانب هذين النظامين كان هناك أيضا نظام الإقطاع والمقصود به أنه مجموعة من الأمراء يقطعون أقاليم السلطنة وأراضيها للإشراف عليها والإفادة بدخلها وإعداد الجند منهم، وكان من مهامهم تجهيز عدد معين من الجند بحسب قيمة أقطاعاتهم للاشتراك في الحروب دفاعا عن السلطان وعن دولته[4].

وأما عن نظام تسريح الجند لم تختلف الدولة الموحدية عن غيرها من الدول الإسلامية التي سبقتها، فقد كان لها نظام التسريح المؤقت والغاية منه حصول الجند على قسط من الراحة من أجل استئناف القتال، ولها أيضا نظام التسريح النهائي والمقصود به انتهاء مدة خدمة الجندي، ولم تذكر المصادر أو المراجع السن الذي كانت تسرح فيه الدولة الموحدية جنودها فيه بشكل نهائي، إلا أنه حتما يكون عند بلوغ الجندي سن الشيخوخة والتي يفقد فيها أحد أهم شروط التجنيد وهي اللياقة البدنية والقدرة على تحمل مشاق الحروب، وكلا التسريحين كانا خاصين بالجنود النظاميين لأن المتطوعين يسرحون مباشرة بعد انقضاء الجهاد أو الغزو ليعودوا لطبيعة أعمالهم[5].

هذا وقد عرف تنظيم جيش الموحدين عدة تعديلات خاصة فيما يخص تشكيلات الجند، وذلك بتعددها وتعديل بعض أسماء الرتب والألقاب وقد يرجع هذا إلى النظام الطبقي الذي كان

---

[1]- نفسه، ص 98- 99.

[2]- نفسه ، ص 100.

[3]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 102.

[4]- نفسه، ص 101.

[5]- نفسه ، ص 103.

يمس حتى الجيش في الدولة الموحدية وامتزاجها ببعض النظم العسكرية الشيعية وأخرى ممن سبقها من المرابطين بالمغرب والأندلس مما أكسبها مميزات خاصة في نظمها العسكرية[1].

وقد تضمنت النظم العسكرية الموحدية أصناف الجيش الموحدي والذي كان يقوم على أساس القبلية حيث استحوذت مصمودة إضافة إلى القبائل السبع الموحدية على مناصب القيادة كقبيلة المهدي بن تومرت هرغة، وقبيلة عبد المؤمن بن علي، كوم ية، وهناتة، وجنفيسة، وجدميوة، إضافة إلى هسكورة ودكالة، إلا أن مجيء عبد المؤمن بن علي قد كسر شوكة القبلية داخل الجيش وأعاد تقسيمهم من أربعة عشرة طبقة في عهد المهدي بن تومرت إلى ثلاثة طبقات أو أصناف [2] إن صح التعبير وتمثلت في:

الصنف الأول: ويضم من بقي على قيد الحياة من صحابة المهدي العشرة وأهل الخمسين وأهل السبعين والسباقين لمبايعة المهدي دون المراعاة إلى أي قبيلة ينتمون.

الصنف الثاني : ويضم مجموع الموحدين الذين دخلوا في الدعوة الموحدية بعد موقعة البحيرة سنة 524هـ وإلى سنة 539هـ تاريخ موقعة وهران.

الصنف الثالث: ويضم الذين دخلوا في زمرة الموحدين ابتداء من تاريخ موقعة وهران إلى ما نهاية. وتعتبر هذه الصنوف الرئيسية في تشكيلة الجيش الموحدي والتي لم يراع فيها عبد المؤمن بن علي الانتماء القبلي[3]. وإضافة إلى الأصناف الرئيسية كانت هناك أصناف ثانوية أهمها:

* **الحرس الخليفي**: وكان يتألف من العبيد في بداية عهد الدولة وفي أواخر أيامها كان يتألف من الأندلسيين والنصارى.

* **الجند الصقلب** : وهم رقيق أو عبيد أوربا الذين كان الموحدون يشترونهم لزيادة عدد جيوشهم وليكونوا خدما داخل القصور.

* **الجند العرب**: ومعظمهم قبائل العرب الهلالية التي استمالها عبد المؤمن ليستعين بهم على أعداء الإسلام[1].

---

[1]- نفسه ، ص 126.

[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 102.

[3]- نفسه، ص 112- 113.

* **الجنود الغزأ أو الأغزاز** : وهم مجموع من وجد بالجيوش الموحدية من أقصى شرق الصين إضافة إلى الأكراد[2] والشراكسة[3].

* **الجنود الأندلسيون**: وهم أهل الأندلس من الجند الذين اعتمد عليهم الموحدون اعتمادا كبيرا في الجهاد.

* **الجنود المرابطون**: وهم مجموع جنود المرابطين وقادتهم الذين أعلنوا الطاعة للموحدين عقب إخضاع مراكش وانتظموا في سلك الجيش الموحدي[4].

هذا وضمن تشكيلات الجيش الموحدي نجد عدة رتب عسكرية انفرد بها الجيش الموحدي منها:

* **رتبة الشيخ** : ويقصد به شيخ المجاهدين أو الغزاة ويعني رئيسهم وقائدهم وقد استخدم بكثرة في الأندلس.

* **رتبة الأشياخ الكبار**: ويتألفون من الطبقة الأولى من طبقة جند الموحدين.

* **رتبة الأشياخ الصغار**: ويتألفون من الطبقة الثانية من الجند.

* **رتبة الوقافون** : وهم المختصون بحماية السلطان وينقسمون إلى وقافون كبار ووقافون صغار يرافقون الخليفة في مجالسه حاملين السيوف والرماح والدروق[5].

* **رتبة عامة جند المغاربة: وهم باقي الجنود من مختلف قبائل بلاد المغرب البربري**

---

[1]- نفسه، ص 114- 115.

[2]- الأكراد: هم اقوام من اهل الاهواز وهم اعاجم اجتمعوا ببيروذ بين نهر تيري ومنادر في اقصى تخوم البصرة .أنظر: ابن خلدون : العبر، ج2،ص 567.

[3]- الشراكسة: هم خليط من اقوام الترك واسيا الصغرى عموما نزحوا الى بلاد العرب مع الفتوحات الاسلامية للمنطقة وكانوا جندا في الجيوش الاسلامية ثم تمكنوا من الحصول على مناصب مهمة في انظمة الدول الاسلامية حتى وصلوا للملك خاصة بمصرويذكر ذكر ابن خلدون انهم قبائل الترك الشرقية من بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد ساغون وكنتنا وطراز وغيرها مما بجوارها من بلاد ماوراء النهر كانت بيد الملوك الخانية من الترك ،وهم من نسل فرسياب ملكهم الأول المنازع لملوك الفرس الكينية.أنظر:ابن خلدون:العبر ،ج4،ص 521.

[4]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 119- 120.

[5]- نفسه ، ص 126- 127.

– **رتبة الجند من قبائل العرب:وهم جموع افراد القبائل العربية الذين التحقوا بالجيش .**

– **رتبة الصبيان**: وهم طبقة الشباب والذين كانت توليتهم رعاية فائقة وتتعهدهم بالتربية والنشأة العسكرية[1].

وقد تنوعت أسلحة الجيش الموحدي من أسلحة هجومية ودفاعية، فمن أهم الأسلحة الهجومية التي استعملها الجيش الموحدي السيوف والأقواس والتروس والنشاب بالنسبة للمشاة، والرماح والسيوف والدبابيس بالنسبة للفرسان مع وجود أسلحة الدفاع الفردي لكل فارس كالدروع والتروس والخوذة، إضافة إلى أسلحة الهجوم الثقيلة كآلات الحصار والمنجنيق والعرادة ورأس الكبش[2] وغيرها، وقد برع الموحدون في هذا الشأن وتفوقوا على غيرهم في إتقان فن الحصار، فقد كانت أمنع الأسوار وأحصن القلاع تتحطم تحت ضربات آلاتهم، ويتضح هذا خاصة في حصارهم لمدينة وهران بالمغرب الأوسط والمهدية بإفريقية وحصون شلب والبرتغال[3].

أما في مجال الأسلحة الدفاعية الثابتة فقد اهتم الموحدون بالخنادق، وبالقلاع والحصون وقد آلت إليهم جميع حصون وقلاع المرابطين، إلا أنهم اهتموا بإنشاء غيرها متأثرين في ذلك بالأندلس في فن العمارة، فقد بنى عبد المؤمن بن علي سور تاغرارت بتلمسان سنة 549هـ وعدة حصون بجبل الفتح سنة 555هـ[4].

وبنى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن قصبة إشبيلية وأحضر لها عرفاء الأندلس ومراكش وفاس سنة 567هـ، وبنفس المدينة أقام يعقوب المنصور حصن الفرج بإشبيلية، وفي عهد الناصر تم بناء سور مدينة فاس والذي كان موجودا وهدمه جده عبد المؤمن سنة 540هـ[5]، هذا وقد تم إنشاء حصون عديدة في أواخر الموحدين دفعا لخطر الاسترداد الإسباني كبرج الذهب بإشبيلية [6]، ومعظم حصون الموحدين كانت مزودة بتحصينات طبيعية رهيبة كحصن المهدي بن تومرت

[1]- نفسه، ص 128.
[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 161- 175.
[3]- نفسه، ص 182- 183.
[4]- فسه ، ص 187- 188.
[5]- نفسه، ص 188.
[6]- نفسه، نفس الصفحة.

بتينملل إذ يوجد الحصن في مدينة مشرفة على عدة طرق هامة مؤدية إلى بلاد المغرب، حيث تقع في طريق تارودانت السوس إلى مدينة أغمات وريكة،ويبدأ من المحيط في أقصى السوس ثم يمر من الشرق حتى يصل إلى جبال نفوسة ثم جبال طرابلس، وقد روعي في اختيار مكان هذا الحصن توفره على الثمار والزرع والمياه لتمكن ساكنيه على استمرارهم في الحياة إذا تعرضوا للحصار مدة طويلة[1].

هذا وقد امتاز الموحدون بابتكار بعض الأبراج البرانية بالمدن الأندلسية لتدعيم الستارة لأنه يقع عادة خارج الستارة ويربطه بها ستارة أخرى تسمى قورجة في اللهجة المغربية، ويقصد بها الأسوار المتفرعة من الأسوار الأساسية، وتنتهي بأبراج برانية لغلق الطريق أمام المهاجمين، وتكون عادة في أضعف أجزاء السور ومنها أبراج قصبة بطليوس، وحصن القصر، وتكون إما مربعة الشكل أو مثمنة، ولم يستعمل الموحدون البرج المستدير رغم مناعته لسهولة بناء الأبراج المربعة والمثمنة[2].

وقد أنشأ الموحدون أبوابا ذات مرافق مزدوجة وأخرى ذات ثلاث مرافق، ولم يجعلوا للممرات سقفا حتى يتمكن الجند من قذف المهاجمين بالنبال، ومن أبرز هذه الأبواب بابان ببطليوس[3]، ومن أهم أبواب الموحدين ذات المرافق المعقدة باب الرواح بمدينة رباط الفتح والتي شرع فيها أبو يعقوب يوسف وأتمها ابنه يعقوب المنصور، ويعتبر الباب نظاما دفاعيا شديد الإتقان، به برجان مربعان يحميان مدخله وممرات داخل المدينة، وهذا الباب مبني بقطع حجرية متوسطة الحجم[4].

أما عن الثغور فقد ورث الموحدون معظم الثغور المرابطية وشحنوها بالرجال والخيول والسلاح، ولم تذكر المصادر والمراجع شيئا عن ثغور أنشئت في عهد الموحدين فقد اكتفوا بما ورثوه عن المرابطين من ثغور[5].

---

[1]- نفسه، ص 188- 189.

[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 189- 192.

[3]- نفسه، ص 194.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- نفسه، ص 201.

أما عن رايات الجيش الموحدي فقد اختار الموحدون اللون الأخضر ، وقد اهتموا بالرايات اهتماما شديدا حتى تعددت عندهم لدرجة أنهم كانوا ينصبون على رأس كل مئة جندي راية، وفي المقدمة اللواء أبيض اللون مكتوب عليه" لا اله إلا الله، محمد رسول الله، لا غالب إلا الله"، وقد أنشؤوا وظيفة صاحب العلامات مهمته الإشراف على الأعلام السلطانية والطبل وجعلوا الطبول تقتصر على السلطان فقط[1].

أما عن أرزاق الجيش الموحدي فقد كانت حسب الرتبة في الجيش، حيث أن الأشياخ الكبار توزع عليهم الإقطاعات ويعهد لكل فرد فيهم ببعض القرى أو الضياع أو القلاع، ويتحصل منها على حوالي عشرين ألف مثقال من الذهب سنويا، إضافة إلى كميات القمح والشعير والخيل والدواب، إضافة إلى إحسان السلطان في رأس كل سنة وعادة يكون حصانا وبعض مستلزمات الحرب، وأما الأشياخ الصغار فلهم من الإقطاع والإحسان النصف من نصيب الأشياخ الكبار، أما الطبقات الأخرى فحسب قربها من السلطان فأقربهم إليه يأخذ حوالي ستين مثقالا من الذهب وينزل هذا المقدار مع العد التنازلي للرتبة حتى يصل إلى أضعف رتبة هي الجندي العادي في الجيش الذي يتقاضى ستة مثقال ذهب شهريا[2].

هذا إضافة إلى ما كانت تنفقه الدولة الموحدية على أفراد جيشها بمختلف رتبهم من أسلحة وكسوة ونقود ذهبية تصل إلى عشرين دينارا للواحد في الحفلات والمراسيم وعطاءات ما قبل المعركة عادة، وقد تأثر الموحدون بأهل الأندلس فجلبوا طباخين لجيشهم، وحرصوا على تنوع وجبة الجند وخاصة الأشياخ الكبار [3]، وأما مساكنهم فقد كانت عبارة عن معسكرات وقواعد والتي تتحول بمرور الوقت إلى منازل ومدن في شكل قواعد عسكرية إضافة إلى الثكنات لإقامة الجند مع قادتهم مع وجود المستودعات لحفظ الأسلحة والإسطبلات للخيول والدواب [4]. أما عن إدارة وديوان جيش الموحدين فنجده يتكون من:

---

[1]- نفسه، ص 137.

[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 148.

[3]- نفسه، ص 150- 151.

[4]- نفسه، ص 152.

* **ديوان العسكر**: وهو أول ديوان أقيم في جيش الموحدين وأقدمها على الإطلاق، توكل إليه شؤون الجيش ويرأسه وزير من محاربي السيوف[1].

* **وزير استقبال جند الروم** : ظهر هذا المنصب في أواخر العهد الموحدي، وهو منصب وزير يقوم فيه صاحبه بمراسلة ملوك الروم والعمل على إنزال جنودهم في بلاد المغرب وتصنيفهم والترجمة عنهم.

* **صاحب الطعام**: مكلف بالاطعام في الجيش

* **صاحب العلامات**:مهمته الاشراف على الاعلام السلطانية والطبول

***صاحب المخزن**: يسهر على تحصيل أموال العامة وإنفاقها في الأوجه[2] المشروعة.

* **صاحب ديوان السلاح**:. مهمته الاشراف على شؤون السلاح

* **ديوان كتاب الجيش**: وبه كتاب الجيش ويكتب التوقيعات والضمائر.

* **ديوان الرسائل**: ويطلق على القائمين عليه الرقاصين[3].

هذا وقد اهتم الموحدون اهتماما كبيرا بالأسطول البحري حيث ساعدهم اتساع رقعة دولتهم على ذلك، مما سهل لهم استخدام دور صناعة السفن القديمة المنتشرة في السواحل منذ العهد الأموي بقرطبة وعهد المرابطين، ومن أهم دور الصناعة القديمة التي استخدمها الموحدون فهي دار صناعة السفن بطنجة، وسبتة، وقادس، ووهران، وهنين[4]، وعنابة، وبجاية، وألمرية، والجزيرة الخضراء، وشلب[5].

---

[1]- نفسه، ص 152.

[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 137.

[3]- نفسه، ص 153.

[4]- هنين :مدينة بالمغرب الأوسطجليلة على البحر ،شمالها على تلمسان وهي بالقرب من ندرومة .أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 597

[5]- فتحي زغروت :المرجع السابق ،ص 153-154.

إلا أن الموحدون لم يكتفوا بدور الصناعة القديمة وإنما أنشئوا دور جديدة، فقد أنشأ عبد المؤمن بن علي مركزا أساسيا لصناعة سفن أسطوله بوادي سبو وقرب سلا، كما أنشأ يوسف بن عبد المؤمن دارا لصناعة السفن في إشبيلية حتى صارت تخرج منها السفن الحربية، وأنشئت دور أخرى لصناعة السفن الصغيرة بقصر مصمودة والحبلات قرب ملتقى وادي فاس، وقام يعقوب المنصور بتوسيع دار الصناعة في سبتة[1].

وقد كان اهتمام الموحدين بالأسطول البحري يظهر جليا من خلال اهتمامهم بدور صناعة السفن وكذلك في نقلهم لمركز القيادة من الأندلس إلى بلاد المغرب وذلك منذ خلافة عبد المؤمن بن علي حيث أصبحت سبتة مركزا دائما للأسطول الموحدي ومعظم سفنهم صارت تبنى في الشواطئ الموحدية[2].

وقد برز اهتمام الموحدين بالأسطول البحري أيضا من خلال إنشاء مدارس حربية لتخريج القادة البحريين والبحارة المدربين على استعمال السلاح والسياحة وأساليب الحصار البحرية، كما تم إنشاء بركة بالقرب من مراكش وضعت بها القوارب والسفن الحربية الصغيرة للتدرب على فنون الحرب البحرية[3].

هذا وقد كان للأسطول الموحدي وحدات كبيرة ترابط في سبتة وتونس ومالقة وقادس وأحيانا حتى في المياه البرتغالية الجنوبية، وقد سجل أسطول الموحدين عدة أحداث تاريخية في صالحهم كخروجه لافتتاح المهدية بقيادة أبي عبد الله بن ميمون سنة 555هـ الموافق ل 1160م، إضافة إلى حراسة الشواطئ الأندلسية من مياه البرتغال جنوبا حتى مياه بلنسية والجزائر الشرقية وشواطئ المغرب الشمالية من مياه تونس والمهدية[4].

لم تذكر لنا المصادر والمراجع عن عدد قطع وسفن الأسطول الموحدي لكن يبدو أنها كانت لا تعد ولا تحصى نظرا لوجود دور صناعة السفن الكثيرة، وكذلك استيلائهم على سفن

---

[3]- عز الدين عمر، أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط 1، دار الشروق، بيروت، 1983، ص 52 .

[4]- نفسه،ص53

[2]- عز الدين عمر، أحمد موسى ،المرجع السابق، ص 53- 54.

[3]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 291.

[4]- نفسه، ص 292.

العدو عند انتصارهم في الحرب، مثلما حدث في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف حيث هزم الأسطول البرتغالي هزيمة ساحقة في معركة بحرية سنة 577هـ الموافق ل 1181م واستولى على سفنه وكانت حوالي عشرين سفينة[1].

ويلاحظ من خلال المصادر والمراجع أن أغلب قادة الأسطول البحري المرابطي أعلنوا الطاعة للموحدين واستمروا في مناصبهم لدرايتهم بشؤون البحر والحروب البحرية، إضافة إلى بعض البحارة الأندلسيين الذين أعلنوا الطاعة أيضا للموحدين بعد أن كانوا مناوئين لهم كغانم ابن مردنيش[2]، وأخوه أبو العلاء ابن مردنيش[3]، وعبد الله بن[4] جامع[5].

أ-3- النظام المالي:

اهتمت الدولة الموحدية بالنظام المالي خاصة فيما يخص أمر الجباية لأنها اتخذتها حجة وشعارا في محاربة الدولة المرابطية، حيث كان عبد المؤمن بن علي يؤكد دائما في رسائله الدستورية على الالتزام بما أوجبه الشرع في شأنها كالزكاة والأعشار، مع إجراء العدل في شأنها [6]، لكن ما هو إلا بعض الوقت حتى اتسعت رقعة الدولة الموحدية وترامت أطرافها وزادت نفقاتها فأصبحت الجباية ذات الوجوه الشرعية لا تكفي لسد حاجات الدولة، مما دفع بعد المؤمن بن علي إلى محاولة إيجاد سبل أخرى أو مصادر أخرى من الجباية، فقام بمنح أراضي إفريقية والمغرب من يرقة إلى السوس الأقصى مع إسقاط مقدار الثلث من مساحتها مقابل الجبال والأنهار والطرقات، ثم فرض الخراج على ما بقي بعد ذلك من الأراضي الصالحة للزراعة، فأصبح لزاما على كل قبيلة تأدية قسطها من الخراج زرعا ومالا[7].

---

[1]- نفسه ، نفس الصفحة.

[2]- غانم بن مردنيش: هو غانم بن محمد بن سعد بن مردنيش انظر عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص 184.

[3]- أبو العلاء بن مردنيش:هو ابو علاء بن محمد بن سعد بن مردنيش .أنظر: نفسه ،نفس الصفحة .

[4]- عبد الله بن جامع: من اسرة بني جامع التي كان معظم افرادها في الوزارة.انظر عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص 142.

[5]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 292- 293.

[6]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 624.

[7]- نفسه، ص 625، عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 265.

ولم تكن الجباية الشرعية والخراج هما المصدر الوحيد للخزينة الموحدية وإنما تنوعت بمرور الوقت الضرائب التي صارت تفرضها السلطة الموحدية على مختلف المعاملات كالبيع والشراء والصادر والوارد، إضافة إلى أموال الخصوم المصادرة، وأموال النصارى واليهود الذين بقوا بأراضي الدولة الموحدية بعد حملات الطرد فسارعت للاستيلاء عليها[1].

هذا وقد قامت الدولة الموحدية بعدة إجراءات مالية من أهمها مضاعفة وزن الدينار الموحدي، وقد كان هذا في بداية عهد الخليفة يعقوب المنصور وقد كانت له عدة نتائج حسنة كدعم الطمأنينة في التعامل، وتحسين وضع الشؤون الإقتصادية[2].

وكان ضمن المناصب المالية في الدولة الموحدية أصحاب الأعمال المخزنية وهم الوزراء المختصون بالشؤون المالية، ومتولي المجابي، والمختصون بأموال النفقات والمحاسبة، وقد كان لصاحب ديوان الأعمال المخزنية اختصاصات وسلطات واسعة في السهر على تحصيل الأموال العامة وإنفاقها، ومراقبة عمالها ومحاسبتهم والقبض عليهم عند انعدام مصداقيتهم في العمل، وكان لصاحب ديوان الأعمال المخزنية وكلاء في سائر المدن الكبرى يطلق عليهم اسم المشرفون، ويمثله في الأندلس بإشبيلية مركز حكم الموحدين صاحب المخزن، هذا وكان لكل مشرف مجموعة من الأعوان كخازن على المال، وخازن على الطعام وهما من يتوليان الإشراف على حركة الوارد والصادر بالمخازن العامة، ويضاف إلى مهامه أحيانا الرقابة على تقيد المجابي[3]، وأحيانا توكل مهمة مهمة تقيد المجابي إلى صاحبها فيختص بتحصيل الضرائب والجزيات على مختلف صنوفها، وله من يساعده وهم مجموعة من العمال في المدن والبوادي [4]، وكان هناك أيضا ضمن النظام المالي المستخلص وهو المشرف على أموال الخليفة والمحافظة عليها ، وتحصيل ما يتعلق بها من مختلف أبواب الدخل، هذا وقد تتعلق مهام المستخلص بالإشراف على نصيب الخليفة وحقوقه الشرعية في الغنائم وهو ما يسمى بالسهام السلطانية[5].

---

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 626، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج 2، ص 57.

[2]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 626.

[3]- نفسه ، ص 623.

[4]- نفسه ،نفس الصفحة.

[5]- نفسه، ص 624.

أ– 4– النظام القضائي:

كان القضاء من أهم المناصب الدينية في الدولة الموحدية يتمتع بقدر من الأهمية والإجلال وجعلت له خطط يتولى تنفيذ كل خطة مجموعة من الأشخاص ومن بين هذه الخطط:

– **قاضي الجماعة**: كان يعين في عاصمة كل ولاية قاضي للجماعة يقوم الخليفة نفسه بتعيينه دون تدخل الولاة، وقاضي الجماعة يشرف على تعيين نوابه من القضاة المحليين وكان هذا ينطبق على ولايات بلاد المغرب والأندلس، وكثيرا ما تربع الأندلسيون على مناصب القضاء بالمغرب والأندلس خاصة، وفي الأحوال النادرة ما كان يتقلد المغاربة مناصب القضاة بالأندلس، بل إن الأندلسيين تفوقوا في القضاء على المغاربة بشكل كبير فكثيرا ما كان قاضي الجماعة بمراكش من فقهاء الأندلس وقضاتها[1].

ومن قضاة الأندلس الذين تولوا منصب قاضي الجماعة في العاصمة مراكش أبو محمد المالقي[2] في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف، وأبو جعفر بن مضاء [3] الذي استمر في منصبه حتى في أيام يعقوب المنصور، وأبو القاسم أحمد بن بقى[4] في عهد الناصر[5].

ويعود اختيار الأندلسيين لتولي منصب القضاء كما سبق أن ذكرنا لتفوقهم في الدراسات الشرعية بالأندلس والفقه المالكي وممارسة الأحكام وتطبيقها، وظل الأندلسيون محتفظون بهذا التفوق حتى أواخر العهد الموحدي[6].

– **خطة الشورى**: اعتبرت الشورى هي الأخرى من المناصب القضائية في عصر الدولة الموحدية إلا أنها كانت أقل رتبة من القضاء، وكانت مهام صاحبها تقتصر على إبداء الرأي

---

[1]– محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 628.

[2]– أبو محمد المالقي: هو ابن عبد الرحمان المالقي متولي شؤون الطلبة بمراكش ،ولي منصب شؤون طلبة الحضر ثم منصب قاضي الجماعة في عهد ابي يوسف يعقوب .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ،ع3،ق1،ص 628.

[3]– أبو جعفر بن مضاء: تولى منصب قاضي الجماعة بمراكش في عهد يعقوب المنصور انظر محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الأندلس ،ع3،ق1،ص 628،ربيح عمار: ابن مضاء القرطبي – ثورة في الفقه ثورة في النحو – مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ،ع5،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،الجزائر ،جوان 2009،ص 3-4.

[4]– أبو القاسم أحمد بن بقي: شغل منصب قاضي الجماعة بمراكش ايام يعقوب المنصور والخليفة محمد الناصر:أنظر: نفسه ،نفس الصفحة

[5]– محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 628.

[6]– نفسه، نفس الصفحة.

والفتوى في مسائل الأحكام، وكانت في أغلب الأحيان من نصيب الفقهاء، ويوصف صاحب هذا المنصب " الفقيه المشاور" أو" ولي خطة الشورى"[1].

– **خطة الأحكام** : هي وظيفة تابعة هي الأخرى للقضاء لا تختلف كثيرا عن خطة الشورى، وكانت مهام صاحبها في أغلب الأحيان الإطلاع على الفتوى أو إبداء الرأي في الأحكام الشرعية[2].

– **خطة المواريث** : جعلت للمواريث خطة خاصة على الرغم من أن المواريث من اختصاص القضاء العام وذلك لأهمية المواريث عند الموحدين والعناية الدقيقة في تطبيقها[3].

– **حسبة السوق** : وهو جزء من الحسبة العامة ويتعلق بالإشراف على ضبط المعاملات وسلامة السلع المعروضة، وصحة الموازين والمكاييل[4].

هذا وقد ألحق بالمناصب الدينية الهامة منصب الخطابة بجوامع المدن الكبرى ولم يكن يتولى هذا المنصب إلا الفقهاء البارزين في فن الخطابة، لاسيما في جوامع المدن القواعد كجامع إشبيلية، وجامع قرطبة، هذا إضافة إلى منصب" صاحب الصلاة" وهو من المناصب الدينية الكبيرة خاصة إذا كان بمدينة مهمة كجامع مدينة إشبيلية أو جامع مدينة قرطبة[5].

وقد أضيف إلى المناصب الدينية منصب" متولي شؤون طلبة الحضر" وهو أحد المناصب الدينية والعلمية القيمة، وقد كان هذا الأخير ينتخب من أكابر العلماء، ويقوم الخليفة بتعيينه وممن تولى هذا المنصب عبد الرحمن المالقي وابنه أبو محمدالمالقي وغيرهم من العلماء الأجلاء[6].

---

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 629.

[2]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 629.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- نفسه ،نفس الصفحة .

[6]- نفسه، ص 630.

ب-العلاقات الخارجية:

ب- 1- طبيعة العلاقات مع المشرق الإسلامي:

كانت الخلافة الموحدية تعتبر قطب الجاذبية السياسي الأقوى في الاستحواذ على الولاء النهائي للقبائل العربية مقارنة بالدولتين الفاطمية والعباسية، إلا أنه بعد أن حلت الدولة الأيوبية [1] محل الدولة الفاطمية تغيرت الأوضاع، ذلك أن الدولة الأيوبية كانت تدين في الولاء السياسي للخلافة العباسية، وكانت سياستها تهدف إلى توحيد خلافة المشرق الإسلامي وجعلها تمتد إلى المغرب الإسلامي[2].

وقد حاولت الدولة الأيوبية تحقيق هدفها في توحيد الخلافة بين المغرب والمشرق الإسلامي عن طريق حملة غزو بلاد المغرب التي انطلقت من مصر سنة 575هـ الموافق ل 1179م بقيادة بهاء الدين قراقوش [3]، وقد اخذ قراقوش بعد وصوله إلى بلاد المغرب بإفساد القبائل العربية على أهاليهم، فأخذ يحرض قبيلة ضد أخرى حيث نشر الفتنة بين دباب [4] وزعيمهم حميد بن جارية [5]

---

[1]- الدولة الأيوبية: سميت بالأيوبية نسبة الى صلاح الدين الأيوبي .أ نظر: عبد الحميد حسين أحمد السمرائي :علاقة صلاح الدين الايوبي بالمغرب الاسلامي 589هـ /1168م- مجلة سمراء ، ع 8،كلية التربية للبنات ،قسم التريخ ،جامعة تكريت ،العراق ،كانون الأول (ديسمبر)2007،ص 11، المكين جرجس ابن العميد :اخبار الايوبيين ،مملكة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،مصر ،(د.ت).

[2]- ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 564- 936هـ/ 1130- 1569م، دار المعارف، مصر، 1985، ص 147.

[3]- بهاء الدين قراقوش: وقيل هو شرف الدين قراقوش الأرميني مملوك تقي الدين عمر أخ صلاح الدين الأيوبي، نفذ المشروع وفر في طائفة كبيرة من الجند ذوي الأصول الأواسط آسيوية أو من أصول تعود إلى آسيا الصغرى إلى بلاد المغرب ، بحيث خرج من مصر بقواته فسار إلى جهات طرابلس واستولى على بعض البلاد .أنظر: عز الدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،ط1،دار الشروق، بيروت 1984، ص 101، وأنظر كذلك: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 210، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص120، محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص155-156.

[4]- دياب: من قبائل بني سليم ومساكنهم قرب حدود ليبيا بتونس .أنظر: ابن خلدون :العبر ،ج6،ص 255

[5]- حميد بن جارية: زعيم قبيلة دباب .أنظر: ابتسام مرعي خلف الله :المرجع السابق ،ص147.

ضد زغب [1] وزعيمهم ناصر الدين إبراهيم [2]، حيث قال قراقوش لحميد بن جارية:« يا أمير إنما قصدي أن أستفسد جماعة من الأغزاز(الأتراك) الذين عند إبراهيم ويقل أصحابه وتقوى عليهم» [3].

إلا أن مساعي قراقوش في نشر الفتنة لم تحقق هدفها في التفريق بين دباب وزغب، ذلك أن دباب وزغب اتحدا ضد قراقوش حيث نهبوا خباء قراقوش وإبراهيم فلما شاهد جند قراقوش الأغزاز هذا الموقف من تضامن زغب ودباب تملكهم الخوف منهم فهرب أغلبهم [4].

فلم يجد قراقوش بعد النهب شيئا مما كان يملك حتى الجمال رغم عددها الكبير لم يجدها، فلم يبق له ولجنده لا ملبس ولا مأكل مما دفعه بدفع شكوى إلى حميد بن جارية الذي وعده بالنظر في الأمر ثم أمده بما يحتاجه، بعد ذلك ارتحل قراقوش إلى طرابلس في أربعين فارس ونزل بالقرب منها في مدينة تاجرة [5]، وقد قامت زغب بالصلح بين إبراهيم وقراقوش واتفقا على وضع حد فاصل معلوم بين زغب وقراقوش وهو نفوسه، فما كان في شرقها فهو لقراقوش وما كان في غربها فهو لإبراهيم [6].

وظل قراقوش في طرابلس طيلة الوقت الذي تبقى من سنة 575هـ الموافق ل 1179م وقد كانت فترة هدنة بين زغب ودباب إلا أن زغب كانت تغير من حين لآخر على الأغزاز من جند قراقوش وتغدر بهم، مما دفع بقراقوش إلى الانتقال إلى أرض إفريقية وإلى قابس بالضبط وذلك سنة 576هـ الموافق ل 1180م. ويذكر أن قراقوش ترك أهله بقلعة أم العز [7] في رعاية إبراهيم حيث

---

[1]- زغب: ينسبون الى زغب بن نصر بن خفاف بن امؤ القيس بن سليم وهم اخوة رياح ذكر ابن الكلبي ان زغبة ورياح ابناء ابي ربيعة بن ناهيك بن هلال بن عامر ،وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم تفريقية وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس إلا أن رياح وباقي عناصر بني هلال كالاثيج وجشم انضموا الى قراقوش بينما زغبة كانت في صف الموحدين .انظر ابن خلدون :العبر ،ج6،ص 256.

[2]- ناصر الدين إبراهيم: زعيم قبيلة زغب .أنظر: ابتسام مرعي خلف الله :المرجع السابق ،ص 147 .

[3]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 148، حسن حبشي :مضمار الحقائق، ص 35.

[4]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 149.

[5]- تاجرة: او تاجرا موضع من أحواز قابس في مكان يقال له لاقية، أنظر: الحميري: المصدر السابق ،ص 125، وأنظر أيضا: التجاني أبو عبد الله أحمد بن محمد: رحلة التجاني قدمها له، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981،ص 176 .

[6]-ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 149.

[7]- نفسه، ص 150.

يذكر صاحب المضمار أنه قال له:« تركت هذه البلاد وأهلي بقلعة أم العز في وديعتك وأنا متوجه، فإن فتح الله تعالى علي واستغنيت عنها أعطيتك الجميع»[1].

وقد اتجه قراقوش غربا نحو بلاد إفريقية وتوغل فيها وأخذ يفتح الحصون والقلاع مستغلا ثورات العرب على الموحدين، فكان يعود لأسلوب نشر الفتن بين القبائل وتأليب واحدة ضد الأخرى[2]، وقد بطش قراقوش بأهل المناطق المحيطة بجبل نفوسة كمطماطة بحجة أنهم خوارج، ثم اتجه إلى قلعة تسمى" أم لامة" [3] والتي كان يبلغ عدد سكانها حوالي 20 ألف من البربر فقاتلهم سنة 576هـ الموافق ل 1180م وغنم غنائم كثيرة بها[4].

وفي سنة 577هـ الموافق ل 1181م ارتحل قراقوش إلى إفريقية حيث نزل بالأربس [5] وقد اجتمع عنده عدد من العرب من مرداس والرجالة وهما من أكبر بطون بني رياح [6]، ثم ارتحل إلى قفصة بعد أن كاتبه شيوخها يستنجدون به من الموحدين الذين انتزعوها من أصحابها بني الرند [7] عنوة سنة 575هـ الموافق ل 1179م لكنه لم يتمكن منها في تلك الأثناء[8].

وفي أواخر سنة 577هـ الموافق ل 1181م نزل قراقوش بالقرب من القيروان في موضع يسمى السكة وبصحبته حوالي ألف فارس من عرب بني سليم، إضافة إلى 200 فارس من دباب

---

[1]- حسن حبشي: مضمار الحقائق، ص 53.

[2]- ابتسام مرعي خلف الله:المرجع السابق ص 150.

[3]- قلعة أم لامة:هي قلعة قريبة من جبل نفوسة بها سكان بربرانظر ابتسام مرعي خلف الله:المرجع السابق ،ص 150.

[4]- نفسه ،نفس الصفحة.

[5]- الأربس:تقع مدينة الاربس في مفترق هام لعدة طرق تؤدي الى القيروان وتماجنة والزاب والى باجة وتونس .أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص 24 .

[6]- بني رياح: من اعز قبائل هلال واكثرهم جمعا عند دخولهم افريقية ،وهم ينسبون حسب ابن الكلبي الى رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر وكانت رياستهم حينئذ لموسى بن يحيى الصنبري من بطون مرداس بن رياح .أنظر: ابن خلدون :العبر ،ج6،ص43.

[7]- بني رند:نسبة الى عبد الله بن الرند الذي اعلن الاستقلال على الصنهاجيين وتحالف مع بني هلال انظر حسن سلمان :قفصة التونسية التاريخ عندما يرتدي ثوب ثائر،القدس ،جريدة يومية تونسية سياسية مستقلة ، www.alquds.co.uk 18:43، 13-02-2013.

[8]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 151.

مع زعيمهم حميد بن جارية، وقد نشب قتال بين حميد بن جارية وقائد بني سليم لخصومة قديمة كانت بينهما، وقد انحاز قراقوش في هذا القتال إلى حميد بن جارية لعلاقتهما القديمة[1].

وقد نشب خلاف بين الزعيمين زعيم دباب وزعيم بني سليم وقد وقف قراقوش إلى جانب زعيم قبيلة دباب نظرا لسابق العلاقات بينهما مما أدى إلى انسحاب مشايخ بني سليم وتركوا قراقوش يواجه مصيره لوحده أما قوات الموحدين الذين هجموا عليه في 10 آلاف فارس و 10 آلاف راجل، فسارع قراقوش إلى مصالحة بني سليم فصالحوه واجتمعوا لديه وتحالفوا معه ضد الموحدين فهزموهم، وقد أسر قراقوش عددا كبيرا من قادة الموحدين منهم صاحب ديوان إفريقية وأحد قضاتها، وغنم غنائم كثيرة في هذه المعركة ووزعها على جنده من الأغزاز[2].

في هذه الأثناء كان إبراهيم زعيم زغب قد نقض عهده مع قراقوش وأغار على أهله بقلعة أم العز، فبلغه ذلك وقرر العودة وفي طريق عودته إلى طرابلس قدم له كل من أفراد قبيلتي زغب ودباب الطاعة، أما إبراهيم فلم يكن بيده حيلة إلا طلب العفو، فعفى قراقوش وأمره بالتوجه إلى مصر، إلا أن والي طرابلس[3] الموحدي تمكن من التأثير عليه وأمره بتغيير وجهته إلى بلاد المغرب وفعلا قد توجه إبراهيم إلى بلاد المغرب عن طريق تونس ومنها إلى مراكش[4].

أما قراقوش فقد توجه إلى قابس فاشتبك مع أهلها وهزمهم وغنم الكثير من الأموال والأقوات وزعها على جنده، ثم التقى مع علي بن إسحاق بن غانية [5] وتحالف معه ضد الموحدين، الموحدين، وقد كان تحالفهما ضد الموحدين بحجة مبدأ الاتفاق في المذهب الديني والسياسي المشترك بينهما وهو الولاء للخلافة العباسية [6]، ويبرز ذلك من خلال تعبير رسول ابن غانية إلى قراقوش في قوله:«... إننا قوم بني العباس ونريد دولتهم، ونحن نريد أن نكون وإياك مجتمعين»[7].

---

[1]- نفسه ، ص 152.

[2]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق ، ص 152.

[3]- والي الموحدين على طرابلس، ابن مطروح عبد المجيد:انظر المعجب ،ص 294.

[4]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 152- 153.

[5]- علي بن إسحاق غانية: هو علي بن اسحاق بن غانية بن محمد قام بامر ميورقة بعد ابيه اسحاق وخرج باسطوله نحو بلد المغرب الى بجاية بعد ان راسله اهلها يدعونه ان يملكوه عليهم .أنظر: عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص197.

[6]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 153.

[7]- حبشي: المضمار، ص 229.

فاتفقا في اتفاقهما على تقسيم بلاد المغرب بينهما وبذلك زادت قوة قراقوش إضافة إلى إطاعته بعض قبائل نفزاوة وتواصل الإمدادات المصرية له إليه، وانطلاقا من هذا فإنه بتحالف قراقوش مع علي بن إسحاق بن غانية إضافة إلى قبائل العرب أصبح تحالفا ثلاثي الأطراف يقف ضد الدولة الموحدية، إلا أن الدولة الموحدية تصدت لهذا التحالف بتجهيز حملة ضخمة للقضاء على هذا التحالف سنة 582هـ الموافق ل 1186م[1] فاشتبك مع قوات الحلف الثلاثي وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم حيث فر ابن غانية إلى الصحراء، أما قراقوش فقد انسحب ولم يتبقى له من المناطق المحتفظ بها سوى المناطق الممتدة من جبل نفوسة ومطماطة وبلاد نفزاوة وما تبقى له من أعراب[2].

وبعد أن عاد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور إلى المغرب عاد بنو غانية إلى إحياء تحالفهم مع قراقوش، لكن هذه المرة قد تحالف يحي بن غانية مع قراقوش وليس علي لأنه كان قد مات في حروبه مع نفزاوة سنة 584هـ الموافق ل 1188م، فخلفه أخوه يحي، وقد بلغ الخليفة الموحدي عودة الحلف الثلاثي ضد دولته إلى سابق عهده فأراد أن يعود لمواجهته لكنه انشغل بأمر الجهاد بالأندلس، فاستغل أعداؤه انشغاله وتمكنوا من السيطرة على إفريقية فيما بين 584هـ- 595هـ الموافق ل 1195- 1198م فالقضاء على هذا الحلف الثلاثي ضد الدولة الموحدية لم يكن من نصيب الخليفة يعقوب المنصور لأنه توفي سنة 595هـ الموافق ل 1198م ولكنه كان من نصيب ابنه الذي خلفه محمد الناصر[3].

وفي أثناء مواجهة يعقوب المنصور لقراقوش وحلفائه فإن سفارة صلاح الدين كانت قد وصلت إلى بلاد المغرب، ممثلة في شخص ابن المنقذ وكان ذلك سنة 586هـ الموافق ل 1190م، وقد حمل ابن المنقذ رسالة صلاح الدين الأيوبي [4] إلى الخليفة يعقوب المنصور، ويذكر أن خبر

---

[1]- سيرد التفصيل في هذه النقطة في الفصل الأخير من البحث.

[2]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 154- 155.

[3]- سيرد التفصيل في هذه الأحداث في الفصل الخاص ببني غانية الفصل الأخير. أنظر : ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 155- 156.

[4]- صلاح الدين الأيوبي:هو صلاح الدين بن نجم الدين ايوب ابن اخ اسد الدين شيركوه وزير نور الدين وعائلتهم من بلد دوين ،وهي ،وهي بلدة من اخر بلاد اذربيجان مما يلي بلاد الروم واهاها من الاكراد وهم من اشراف الاكراد ،وقدموا العراقوحققوا انتصارات في جيش نور الدين الذي اقطعهم اراضي شاسعة في دمشق ،ثم سير اسد الدين الى مصر ليمتلك اراضيها باسمه ثلاث مرات ،وفي اخر مرة

وصوله إلى بلاد المغرب قد بلغ الخليفة الموحدي بمجرد وطئه أراضي بلاد المغرب، فأوصى بحسن استقباله والاهتمام به حتى يتمكن من مقابلته بنفسه [1]، فتذكر المصادر التاريخية عن يعقوب المنصور أنه كان ملما بأمور دولته الداخلية والخارجية وذلك على حد قول ابن عذارى:« كان حاضر الجواب مشرفا على أجزاء مملكته من القرب والبعد... لا يغيب عنه شيء من أحوال رعيته» [2].

هذا وقد تضمنت رسالة صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور طلبه في الاستعانة بالبحرية المغربية لعرقلة المسيحيين الكفار في المغرب وعدم تمكينهم من إرسال المدد لإخوانهم في الشام مما يمكن مسلمي المشرق من فك الحصار المضروب على مدينة عكا [3]، مع التذكير بأهمية عكا عند المسلمين، وإضافة إلى هذا الطلب فقد بعث صلاح الدين الأيوبي بمجموعة هدايا تمثلت في مصحفين شريفين، و مئة درهم من دهن البلسان[4]، وخمسين قوسا عربيا بأوتارها، وعشرين نشابا هنديا، وعدد من السروج المذهبة وغيرها[5].

ويذكر أن صلاح الدين الأيوبي كان على دراية تامة بتفوق الموحدين في حوض البحر المتوسط الغربي، إلا أن الخليفة الموحدي يعقوب المنصور لم يجب صلاح الدين الأيوبي لطلبه رغم حفاوة الاستقبال والتكريم التي أبهرت سفيره ابن المنقذ وما صاحبه من هدايا في أثناء عودته[6].

كان قد استوزره في بلطه ،وتمكن أسد الدين من امتلاك مصر باسم نور الدين في المرة الثالثة ،لكن تملكها صلاح الدين نيابة عن نور الدين وظل يتملكها حتى بعد وفاته .أنظر: عبد الرحمن بن اسماعيل المقديسي :عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ،تح:احمد البسيومي ،ق1،/منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،سوريا ،1991،ص 262-263

1- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 159.

2- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 140.

3- عكا: مدينة من اهم مدن الشام وابرز مرافئها في القديم ولها تاريخ طويل دخلها الصليبيون سنة 497هـ وتحررت سنة 691هـ . أنظر: ابن كثير :التعريف بالاماكن الواردة في البداية والنهاية ،ج2،ص 149.

4- دهن البيلسان: Sanbarus Nigra هو نبات يكثر معظمه في بلد أوروبا وآسيا وأمريكا ،أوراقه مركبة من ازهار صغيرة ،تصنع منها اوراق نقدية لصلابتها ويسمى في شبه الجزيرة با سم مكة ،وفي الشام با سم ابو شام واليهود يطلقون عليه نبات بني اسرائيل يصل ارتفاع أشجاره من 2الى 5 متر له ازهار بيضاء وثمار كروية سوداء وهو نبات طبي اوصى به ابن سينا ليستعمل كهن على البشرة وصار يزرع على شكل مزارع باوربا انظر مصطفى حميد فرحان :شجر البيلسان الحاضر في تاريخ الطب 11:25 ، 2011 -05 - 22 www.hawaasiha.org

5- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 160.

6- نفسه، ص 162.

هذا التناقض في تصرف الخليفة الموحدي في عدم إجابته لمطلب صلاح الدين الأيوبي، وطريقته في استقبال سفيره وعودته محملا بالهدايا أدى إلى تضارب آراء المؤرخين في تفسير موقفه هذا، ويذكر ابن عذارى ويوافقه صاحب الاستقصاء أن هدايا يعقوب المنصور لسفير صلاح الدين كانت بصفة شخصية ولا تمثل سلطان الخليفة، وأنها قدمت لابن المنقذ شخصيا، مثلها مثل رعايته للسفير والسهر على راحته في بلاد المغرب وأثناء عودته لدياره[1].

وإن عدم إجابة المنصور لطلب صلاح الدين الأيوبي ليس تخاذلا منه أو حقدا له بسبب أعمال قراقوش في إفريقية وإنما طلب صلاح الدين جاء في ظروف غير مناسبة بالنسبة للدولة الموحدية، وذلك ما كان يواجهه من خطر بني غانية في إفريقية وخطر النصارى بالأندلس أي مواجهته لخطرين كبيرين يهددان دولته في وقت واحد[2]، هو لم يجب صلاح الدين إلى طلبه بشكل مباشر لكنه لم يتخاذل في رد الخطر الصليبي عن الأراضي الإسلامية ولكن بطريقته الخاصة، حيث يذكر صاحب المعجب أن الخليفة الموحدي أرسل أسطوله في البحر ليمنع وصول العدد الكبير من الصليبيين إلى بلاد الشام، إلا أنه لم يشتبك معهم حفاظا على جيشه في مواجهة الخطر الذي يهدد دولته[3].

واستدل البعض على أن معركة الأرك التي كانت سنة 585هـ الموافق ل 1186م أقوى دليل على الخطر النصراني الذي كان يهدد الدولة الموحدية والذي تزامن مع طلب صلاح الدين للمساعدة[4].

ويمكن القول أن معركة الأرك ساهمت في إنقاذ مسلمي المشرق الإسلامي من الخطر الصليبي ولو فترة وذلك للهزيمة النكراء التي ألحقها الموحدون بالنصارى، والتي ألزمتهم الكثير من الوقت من أجل استعادة قواهم وإرسال الإمدادات إلى المشرق.

فإن لم يشتبك الخليفة الموحدي مع القوى النصرانية في عرض البحر أثناء طلب صلاح الدين واعتذر عن ذلك فهو كان على الدوام يدفع الخطر الصليبي عن الأراضي الإسلامية ويرده

---

[1]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 184، النصاري: الاستقصاء، ج 2، ص 181.

[2]- ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 164.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص207.

[4]- ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 120، ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص 120- 121.

إلى دياره على أعقابه وذلك بجهاده في الأندلس وغزوه لأراضي النصارى، فالدولة الموحدية كانت تحارب الخطر الصليبي في عقر داره ولم تكن متخاذلة في رد الهجومات الصليبية، فضعف النصارى في أراضيهم نتيجة الهجومات الموحدية هي في حد ذاتها حماية لأراضي المشرق الإسلامي من الغزو الصليبي.

وأخيرا يمكن القول أن العلاقات الموحدية المشرقية كانت شبه غير موجودة حيث اقتصرت على ما ذكرنا من علاقات عدائية مع قراقوش، وأخرى ودية أو شبه ودية أو علاقة استنجاد إن صح التعبير تمثلت في سفارة صلاح الدين الأيوبي للخليفة الموحدي يعقوب المنصور.

ب-2- طبيعة العلاقات مع الممالك والإمارات النصرانية:

* **مملكة قشتالة:** تميزت العلاقات الموحدية القشتالية بالعداء طيلة الوقت، فقد كان كلا الطرفين يهدفان إلى الغزو والاستيلاء على أراضي الطرف الآخر، ومن أهم ما ذكره لنا التاريخ عن هذه الأحداث تجهيز الخليفة عبد المؤمن بن علي نفسه وجيشه وأسطوله لغزو أراضي مملكة قشتالة سنة 555هـ الموافق ل 1160م[1]، وكان التحضير للغزو بالأندلس أيضا حيث أمر ببناء مدينة في جبل طارق لتكون منزلا للخليفة والعساكر حيث يقول ابن صاحب الصلاة:«... منزلا للأمير عند إجازة العساكر المنصورة ومحلا ريثما تتقدم الرايات المظفرة والأعلام المنثورة إلى بلاد الروم»[2].

وقد صنف بعض المؤرخين هذه المدينة إلى أنه عمل خلد ذكرى عبد المؤمن لحصانتها وقد سماها بمدينة الفتح، وبعد إتمام بناء المدينة بدأ عبد المؤمن الاستعداد لغزو النصارى بمملكة قشتالة حيث جمع المؤن والعلف وجمع السلاح والخيل ووزعها على الجند[3].

خرج الخليفة عبد المؤمن بجيشه من مراكش في 15 ربيع الأول سنة 558هـ الموافق ل 19 فبراير 1163م، وبدأ في تجهيز جيشه لغزو النصارى بعقد مجلس حربي مع قادة أشياخ جيشه إلا

---

[1]- هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالإمارات الإسلامية والممالك النصرانية بالأندلس، ط1،دار الفرقان ،عمان ،الأردن ، 1984 ص 239.

[2]- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 137- 138.

[3]- نفسه ، ص 114- 115، االناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 128.

أن هذا الغزو لم يتم بسبب مرض الخليفة فجأة ووفاته [1] في جمادى الثاني سنة 558هـ الموافق ل 15 مايو 1163م[2].

بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي تولى زمام الأمور ابنه الخليفة أبو يعقوب يوسف والذي أخذ يستعد لغزو النصارى سنة 564هـ الموافق ل 1168م، فوزع على الجند نظاميين ومتطوعين السلاح والأعطيات وقد بلغ جيشه حوالي عشرين ألف فارس، وتأخر في العبور بسبب المرض فعبر إلى الأندلس في رمضان سنة 566هـ الموافق ل 1171م ونزل في إشبيلية، وأشرف على بعض أعمال البناء بها ثم تلقى بيعة أهل شرقي الأندلس[3].

وقد أثار عليه قادة وأعيان شرقي الأندلس بغزو مدينة وبدة فأخذ الخليفة برأيهم وخرج من مدينة إشبيلية في شوال سنة 557هـ الموافق ل يونيو 1172م، واستولى في طريقه على عدة حصون بالأمان[4]، وبعد أن وصل إلى قرب المدينة حاول الخليفة الاستيلاء عليها بكل الطرق وحاصرها لمدة طويلة لكنه فشل في الاستيلاء عليها، وقد طلب النصارى التنازل على المدينة بالأمان أثناء الحصار لكن الخليفة رفض، وبعد ظروف جوية قاسية من عاصفة ساعدت النصارى على إلحاق بعض الخسائر ببعض جيش الموحدين، عاد الخليفة ليعرض على النصارى تسليم بالأمان لكن هذه المرة النصارى هم من رفضوا مما جعل الخليفة يعقد مجلسا للأشياخ وسادة الموحدين يتخذ فيه قرار الانسحاب، وفعلا كان الانسحاب وبهذا فشلت غزوة وبدة[5].

وتذكر بعض المراجع أنه أثناء انسحاب الجيش الموحدي سار خلفهم ملك قشتالة ألفونسو الثامن بقواته مع بعض حلفائه من النصارى، فأدرك ذلك الموحدون وسارعوا للإفلات منه، إلا أن بعض كتائب الموحدين أجبرت على الاشتباك معهم إلا أنه لم يحرز أي الطرفين نصرا، فعاد

---

[1]- هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالإمارات الإسلامية والممالك النصرانية بالأندلس، ص 242.

[2]- وفاة عبد المؤمن بن علي: يذكر صاحب المعجب عن وفاة عبد المؤمن فيقول :وكانت وفاته كما تقدم في السابع والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة اعني 558هـ ...ولما مات عبد المؤمن اضطرب امر محمد هذا ...فكانت ولايته الى أن خلع خمسا واربعين يوما ...وكان الذي سعى في خلعه ...اخواه يوسف وعمر . أنظر: عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 173

[3]- هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالإمارات الإسلامية والممالك النصرانية، ص 244.

[4]- من بين الحصون التي استولى عليها الخليفة أبو يعقوب يوسف بالأمان في طريقه إلى ويدة حصن بلج، وحصن الكرسي. أنظر : هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 244- 245.

[5]- نفسه ، ص 246- 247.

النصارى في اليوم التالي إلى بلادهم وواصل الموحدون سيرهم نحو إشبيلية ودخلوها في 08 ربيع الأول سنة 568هـ[1].

هذا وقد أقام الخليفة أبو يعقوب يوسف مدة بإشبيلية للبناء والتعمير ثم عاد إلى مراكش، وبعد عودته انتهز ملك قشتالة الفرصة وعقد معاهدة صلح مع ملك نبرة [2] من أجل التفرغ للاستيلاء على مدينة قونقة[3] الواقعة شرقي وبدة، فحاصرها حوالي تسعة أشهر تمكن من الاستيلاء عليها رغم مناعتها وحصانتها لكن ضعف سكانها بسبب مرض الطاعون، وأهلكهم الجوع والعطش من شدة الحصار، فاستسلموا للنصارى ودخلوها وحول ملك قشتالة مسجدها إلى أسقفية[4].

وقد ترتب على سقوط مدينة قونقة امتداد حدود مملكة قشتالة ناحية شرقي الأندلس، وعلى إثر هذا السقوط أيضا تشجع ملك أرغون [5] على غزو الأندلس أما ملك قشتالة فقد واصل غزواته على الأراضي الأندلسية تمهيدا للاستيلاء على مدينتي قرطبة وإشبيلية فسار بقواته سنة 578هـ الموافق ل 1182م- 1183م وهاجم مدينة قرطبة، ونزل بقواته في ظاهرها إلا أنه أدرك صعوبة الاستيلاء عليها فأقلع عنها واتجه إلى غزو مالقة وغرناطة ثم أوقع بالموحدين في حصن قرمونة فأخذ فرسانه يتجولون بها دون خوف يقتلون ويأسرون وينهبون[6].

---

[1]- عقيلة غناي: سقوط دولة الموحدين، ص 123.

[2]- كان الخلاف بين ملك قشتالة وملك نبرة حول الاستيلاء على البلاد والحصون الواقعة على الحدود بينهما ثم توسط ملك إنجلترا بين الطرفين سنة 571هـ الموافق ل 1176م، فقبل ملك قشتالة الوساطة واستجاب لعقد معاهدة صلح مع ملك نبرة. أنظر : هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 249.

[3]- قونقة: هي مدينة جميلة بالأندلس .أنظر: عبد الملك المراكشي :الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،تح :محمد بن شريفة ،ق1،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1989،ص 192

[4]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 250- 252.

[5]- تشجع ملك أرغون على غزو بلاد الأندلس، أيقض بعض مخاوف ملك قشتالة من وقوع صدام بينهما حول مناطق النفوذ، مما دفع بملك قشتالة إلى عقد معاهدة مع ملك أرغون لتقسيم أراضي الأندلس بينهما، وعقدت المعاهدة بتاريخ شوال سنة 574هـ الموافق ل مارس سنة 1179م وعرفت باسم معاهدة كاسولة ونصت المعاهدة أيضا على تعاون الملك ضد الأعداء. أنظر : نفسه ، ص 152.

[6]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 153.

وصار ملك قشتالة بعد ذلك إلى مدينة استجة [1]، فهاجمها وكاد يدخلها لولا بسالة واليها، ثم سار إلى رندة حيث استولى على عدة حصون، وأسر جميع سكان الحصون، لكن أهل إشبيلية فدوا بعض الأسرى، حاول الموحدون استرجاع حصن شنتفيلة [2] وهو الحصن الذي ترك به ملك قشتالة حاميته وعاد إلى بلاده ولكن الموحدون رغم الحصار المتواصل والمعارك الدائمة إلا أنهم لم يتمكنوا من استعادته إلا بعد أن خرج منه النصارى بعد عودة ملكهم إليهم وإصحابه لهم بعد أن رأى حالهم المزري من شدة الحصار والمعارك[3].

وبعد أن عاد ملك قشتالة إلى بلاده سارت بعض قوات الموحدين لغزوه، وكان ذلك في جمادى الثانية 578هـ الموافق ل سبتمبر 1182م فتمكنوا في طريقهم من أسر سرية نصرانية تتألف من حوالي عشرين فارسا لكن أحدهم تمكن من الفرار وأبلغ النصارى وقد واصل الموحدون زحفهم حتى وصلوا جهات طلبيرة [4]، لكن النصارى تعقبوهم ونشبت معركة بين الطرفين في مكان مكان يبعد عن طبرية بحوالي ثمانية أميال، وانتصر الموحدون وغنموا وعادوا إلى إشبيلة منتصرين غانمين كثيرة مما شرح صدر الخليفة لهم[5].

توقف الصراع أو الغزو المتبادل بين الطرفين قرابة خمس سنوات وذلك لانشغال ملك قشتالة بأمور بلاده، وانشغال يعقوب المنصور أيضا بأمور الدولة السياسية وغيرها من الجوانب.

إلا أنه مع بداية سنة 585هـ الموافق ل 1189م قامت مملكة قشتالة بعدة حملات مكثفة ومتواصلة على بلاد الأندلس فقد كانت الحملة الأولى والثانية بقيادة مطران طليطلة وقادة فرسان قلعة رياح، أما الثالثة فقد كانت بقيادة ملك قشتالة نفسه وتمكنوا في غزواتهم هذه من

---

[1]- استنجة: مدينة قديمة ازلية ،وهي من قواعد الاندلس ،وهي على نهر شنيل المنبعث من الثلج بجبل شلير ،وهي مدينة منفسحة البطاح ،كثيرة المرافق ،ولها اعمال كثيرة .ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص 161.

[2]- حصن شنتفيلة: Santafila يقع بين اشبيلية وقرطبة وهو من امنع الحصون ويقع فوق ربوة عالية وله اسوار منيعة .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ،ع3،ق2،ص103.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 254- 255.

[4]- طلبيرة: هي بالاندلس بينها وبين وادي الرمل خمسة وثلاثون ميلا وهي اقصى ثغور المسلمين ،وباب من الابواب التي يدخل منها الى ارض النصارى ،وهي قديمة وازلية على نهر تاجة ،وبينها وبين طليطلة سبعون ميلا .أنظر :الحميري :المصدر السابق ،ص 395

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 255.

الوصول إلى أحواز قرطبة وبعض المناطق القريبة من اشبيلية، واستولوا على بعض الحصون وهزموا الحاميات الموحدية ونهبوا وقتلوا واسبوا[1].

الأمر الذي دفع إلى تجهيز جيوشه والعبور إلى الأندلس في محرم 586هـ الموافق ل 1190م، وسار نحو مدينة قرطبة، مما بعث الخوف عند ملك قشتالة فبعث بسفراته إلى الخليفة الموحدي يعرض عليه معاهدة صلح، واستجاب الخليفة الموحدي لطلب ملك قشتالة فعقد معه معاهدة صلح مدتها خمس سنوات[2].

بعد ذلك قام الخليفة المنصور بعدة أعمال كاسترداد مدينة ش لب من البرتغاليين، ثم عاد إلى مراكش أواخر 587هـ الموافق ل 1191م، عودة الخليفة إلى بلاد المغرب دفعت بملك قشتالة إلى نقض معاهدة الصلح مع الخليفة الموحدي، وقام بشن حملات على بلاد الأندلس في نفس الوقت كان ملك قشتالة قد بعث سفراءه لتجديد معاهدة الصلح، وهذا هو المنوال الذي كان يسير عليه ملك قشتالة، ببعث سفراءه لتجديد معاهدة الصلح وفي نفس الوقت يشن هجمات على الأراضي الأندلسية[3].

هذا ويذكر أن ملك قشتالة وصل في إحدى حملاته على الأراضي الأندلسية بلغ الجزيرة الخضراء، وبعث سفيرا إلى الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، يتوعده ويطالبه بالتنازل على بعض الحصون الأندلسية المتا خمة لمملكته، مما دفع بالخليفة الموحدي يعقوب المنصور إلى العبور نحو الأندلس 591هـ الموافق ل: يونيو(جوان) 1195م بجيش يتألف من مختلف قبائل بلاد المغرب المصامدة وزناتة وغمارة والعرب والأغزار وحتى المتطوعين والعبيد، وقد استراح الخليفة بجيشه في طريق الجزيرة الخضراء ثم اشبيلية حيث مكث فيها أسبوعين ثم رحل عنها باتجاه قلعة رياح حيث عسكر بجيشه على بعد مرحلتين[4].

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق ،ص265.

[2]- نفسه ، ص 258.

[3]- نفسه ، ص 259.

[4]- نفسه ، ص 260.

وكان ملك قشتالة فور سماعه بوصول جيش الموحدين إلى الأندلس، قد بدأ في جمع جيشه هو الآخر، فيذكر ذلك صاحب المعجب فيقول:« ... وقد تواترت عليه،... بجواز المنصور إليه وقدومه لقتاله في أعز البلاد عليه، ألفونسو الثامن ... بجيوشه وجموعه ينتظره[1] ...».

هذا بعد أن عسكر الطرفين كل في جهته ومنطقته التي اختارها بدأ كل طرف بالمراقبة والتجسس على الطرف الآخر مما أدى بالموحدين إلى التمكن من إحدى سرايا النصارى المراقبين، الشيء الذي دفع بالخليفة إلى استشارة من حوله من قادة الجند في كيفية خوض هذه الحرب مع النصارى[2].

هذا وبعد أن استشار الخليفة قادة جيشه وأشياخ الموحدين عمل بمشورة أهل الأندلس الذين مثلهم أبي عبد الله بن صناديد [3]، والذي أشار على الخليفة بحكم خبرته في معرفة حروب النصارى وخدعهم بتقسيم الجيش إلى قسمين، قسم يضع مختلف الحشود والجنود من العرب وقبائل المغرب المتطوعة وجند الأندلسيين، يقودهم أحد كبار القادة من مشايخ الموحدين تكون حاملا لراية الخلافة فيعتقد النصارى أنه الخليفة، وأما القسم الثاني فيكون به جيش الموحدين والعبيد والحشم بقيادة الخليفة نفسه، لا يدخل المعركة في البداية، وإنما كان على استعداد في مكان قريب من المعركة فإن بدا القسم الأول أنه بحاجة إلى القسم الثاني في المعركة تقدم الخليفة نحو الميدان بمن وعه من الجند[4].

وقد عمل الخليفة بنصيحة ابن صنديد، فسار الموحدون حتى أشرفوا على معسكر النصارى في سفح التل في البسيط الممتد أمام حصن الأرك[5]، ثم قام بعض أشياخ الموحـــــدين بإلقاء بعض

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 222.

[2]- هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 261.

[3]- أبي عبد الله بن صناديد.: يذكره عبد الواحد المراكشي ببعض التفاصيل. أنظر: المعجب ،ص 249.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 223، هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 262.

[5]- حصن الأرك: محلة صغيرة من أعمال قلعة رياح تقوم فوق ربوة عالية، تمتد سفوحها حتى وادي يانة، تقع غربي مدينة نيوداد ريال على بعد 11 كلم منها، تقوم مكانها اليوم قرية صغيرة سانطا مريا دي ألاركوس. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 223.

.

الكلمات على الجيش من أجل إنعاش النفوس وتثبيت العزائم والحث على الصبر وتنبيه الضمائر[1].

وقد نشبت المعركة بين الطرفين في ضحى يوم الأربعاء 9 شعبان 591هـ الموافق ل: 19 يوليو(جويلية)[2] 1195م، حيث قام الفرسان النصارى بثلاث هجمات متتالية لاختراق صفوف الموحدين لكنهم عجزوا عن ذلك رغم كثرة عددهم، ثم أعادوا تنظيم صفوفهم وقرروا الهجوم على قلب الجيش لاعتقادهم أن الخليفة هو حامل راية الخلافة في وسط القلب[3].

وفي الهجوم الثالث نحو قلب الجيش للنيل من الخليفة حسب اعتقادهم، تمكنوا فعلا من دخول صفوف الجيش الموحدي، واستشهد حامل راية الموحدين بدل الخليفة يعقوب المنصور الشيخ أبو يحيى[4]، ومعه بعض أفراد قبيلة هنتاتة والمتطوعين ثم تقدم جناحي الجيش من العرب والأغزار والأندلسيين حيث أحاطوا بالنصارى، فتمكنوا من الأغلبية والباقي لاذوا بالفرار نحو محلتهم[5].

لحق بعض جند الجيش الموحدي بالنصارى، وتقدم نحو ساحة المعركة الخليفة الموحدي وقارعوا الطبول ورفعوا الرايات فحاصر الموحدون حصن الأرك بعد تمكنهم من بعض النصارى وفرار بعضهم، ثم اقتحموا الحصن عنوة وأضرموا النيران بأبوابه لاعتقادهم أن ملك قشتالة بداخله، لكنه كان قد تمكن من الفرار من الباب الخلفي للحصن[6].

هذا وتختلف الروايات حول كيف دارت رحى معركة الأرك، فهناك تذكر أن ملك قشتالة نفسه قاد هجوم جيشه نحو الجيش الموحدي من متطوعة وأخلاط من البربر، وكاد يتمكن من إلحاق الهزيمة بهم، فبلغ ذلك الخليفة المنصور، فتقدم بنفسه نحو الجند يحثهم على الصبر والهزيمة والثبات، فأثر ذلك في جنده واستمروا في القتال طول النهار حتى تمكنوا من إلحاق الهزيمة

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص262.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 126، هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 263.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 263.

[4]- الشيخ أبو يحيى.:هو حامل الراية في معركة الارك وهو من كان يحث الجيش على الصبر والثبات برفقة ابن صناديد لكنه قتل مع مجموعة من الجند المتطوعين .أنظر: محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ،ع3،ق2،ص 206.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 263.

[6]- نفسه، ص 264.

بالنصارى، بينما ملك قشتالة تمكن من الفرار مع عشرين فارا وعندما خيم الظلام اتجه إلى طليطلة، واحتمى بقية جيشه بحصن الأرك[1].

أما يوسف أشباخ فهو يذكر رواية أخرى ويستند في روايته إلى الرواية النصرانية، فيذكر لنا أن الاضطراب والفوضى حل بمعسكر النصارى حيث تقدم باتجاههم جيش الموحدين، مما أدى بالنصارى إلى الاشتباك معهم دون نظام، فدام القتال بين الطرفين إلى غاية منتصف النهار وقد بدا جيش الانهزام على النصارى مما جعل ملك قشتالة يترك سفح التل ويدخل المعركة مع بقية الجند الذين كانوا معه، وبعد أن رؤوا صلابة الموحدين فأمره جنده بالانسحاب خوفا على حياته لكنه رفض إلا أنهم أخرجوه بالقوة من ميدان المعركة وعادوا به إلى طليطلة[2].

وهناك عدة روايات لمعركة الأرك في عدة مصادر تاريخية، فمن بعض المصادر والتي اختصرت ذكر أحداث المعركة ابن خلدون حيث يقول:«... ثم ارتحل للقاء العدو ونزل بالأرك من نواحي بطليوس، وزحف إليه العدو من النصارى وأمراؤهم يومئذ... وكان اللقاء... سنة إحدى وتسعين، وأبو محمد بن أبي حفص وأخوه أبو يحيى على العساكر،... فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى فقتل منهم ثلاثين ألفا بالسيف واعتصم قتلهم بحصن الأرك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم فاستنزلهم المنصور على حكمه وفودي بهم عدادهم[3] من المسلمين».

أما صاحب المعجب فيروي لنا عن المعركة مايلي:«... ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس وحشودها، وزحفت معه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر البربر إلى الربوة التي فيها ألفونسو الثامن... يقاتلون فيها من جيش الروم، وكان ألفونسو... مع جيوش الروم وجميع عساكره وأجناده فيما يزيد على ثلاثمائة ألف فارس وراجل، فتعلق المسلمون بالربوة، وأخذوا في قتال من بها واشتد القتال، وعظمت الأهوال، وكثر القتل ... الذين دفعوا في الحملة الأولى، وكانوا نحو عشرة آلاف زعيم، انتخبهم... ألفونسو... فلما اشتد القتال على الكفار وأيقنوا بالفناء... ولولا الأدبار واخذوا في الفرار إلى الربوة التي فيها ألفونسو وليعتصموا بها، فوجدوا عساكر المسلمين قد حالوا بينهم وبينها، فرحبوا على أعقابهم... فرحبت عليهم العرب والمطوعة وهنتاتة

---

[1]- محمد عبد الله عنان: تاريخ الإسلام في الأندلس، ع3،ق2، ص 206- 208.

[2]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج 2، ص 233.

[3]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 245.

والأغزار والرماة فطحنوهم طحنا... وأسرعت خيل من العرب إلى أمير المؤمنين... وقالوا له قد هزم الله تعالى العدو، فضربت الطبول، ونشرت الرايات، وارتفعت الأصوات بالشهادة[1].

هذا ومهما اختلفت المصادر في رواية أحداث المعركة إلا ان معظمها تتفق في مكان وزمان المعركة، كما أننا لا نجد خلافا في الرأي حول إطلاق الخليفة الموحدي لسراح أسرى النصارى وان فعله هذا اخذ في قلوب المسلمين جميعا ففي هذا الصدر يقول صاحب المعجب:« واخذ في حصن الأرك من زعماء الروم أربعة وعشرون ألف فارس أسارا، فامتن عليهم أمير المؤمنين وأطلقهم بعدما ملكهم ليكون له بذلك الامتنان ويد عليا عليهم، فعز فعله ذلك على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين، وحسبت له تلك القلعة سقطة من سقطات الملوك[2]...».

أما الناصري فيقول:« ان عدد اسارى الأرك كانوا أربعة وعشرين ألفا... فمن عليهم المنصور وأطلقهم، فعز ذلك على جميع الموحدين وسائر المسلمين، وعدت للمنصور سقطة من سقطات الملوك[3]».

ويذكر هذا أيضا ابن أبي دينار القيرواني فيقول:«... واخذوا منه ما لا يعلم قدره إلا الله من الاسارى أربعة وعشرين ألفا، فمن عليهم أمير المؤمنين يعقوب المنصور فأطلقهم[4]».

ويتحدث عن هذا أيضا الحميري فيقول:«... وحصر المسلمون حصن الأرك، وكانوا خمسة ألاف، فصالحوا بقدرهم من اسارى المسلمين[5]».

هذا وبعد انتهاء القتال استولى الخليفة يعقوب الموحدي على بعض القلاع القريبة من ميدان المعركة، منها قلعة رياح، المنيعة، بعد كانت تحت سيطرة النصارى حول نصف قرن [6]، أما ملك قشتالة فقد عاد إلى مملكته يجر أذيال الهزيمة التي نشرت الرعب والفزع في كامل الممالك

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 227.
[2]- نفسه، ص 228.
[3]- الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 155
[4]- ابن أبي دينار القيرواني: المرجع السابق، ص 92
[5]- الحميري: المصدر السابق، ص27
[6]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 267.

النصرانية[1] فمنها من استعدت لدفعالجزية للموحدين كمملكة نبرة، ومنها من بدأت في اتخاذ الحذر منهم كمملكتي ليون والبرتغال، هذه الممالك التي ارتعبت من الموحدين فكرت في نفس الوقت في غزو مملكة قشتالة لاسترداد ما تم أخذه منها من أراضي قبل معركة الأرك، لأنه في هذه الأثناء كانت مملكة قشتالة تعاني الضعف اثر الهزيمة التي ألحقها بها الموحدون[2].

محاولة ممالك النصارى غزو قشتالة دفع بملكها إلى عقد الصلح مع الموحدين، حتى يتفرغ إلى حرب جيرانه من النصارى، لكن الخليفة الموحدي رفض عقد الصلح مع ملك قشتالة، وعزم على غزو بلاد الجوف أو منطقة الاسترامادورة [3]، لاسترداد حصونها وقواعدها التي استولى عليها النصارى، فخرج الخليفة الموحدي يوم الاثنين منتصف رجب 592هـ الموافق ل: أفريل 1196م[4]، 1196م[4]، فتمكن من غزو حصن منتجانش [5] الذي تنازل عليه النصارى مقابل الأمان، ثم عبر الموحدون نهر تاجة واستولوا على بعض الحصون والمدن، ثم اشتركوا مع ملك ليون في غزو قشتالة، ثم هاجم الموحدون مدينة طليرة، ثم حاصروا مدينة طليطلة حوالي أسبوع لكن لم يدخلوها ولم يخرج إليهم ملك قشتالة فاتجهوا جنوبا، فساروا إلى جيان وقرطبة واستجة وقرمونة، وعادوا بعد ثلاثة أشهر إلى اشبيلية[6].

وفي جمادى الثاني 593هـ/ أفريل 1197م قام الخليفة الموحدي بشن غزوات أخرى صد مملكة قشتالة، حيث سار بجيوشه شمالا حيث دخل قرطبة فرتب بها جيشه ثم سار نحو طليرة لغزوها فاقبل عليه سفراء مملكة قشتالة يعرون عليه الصلح لنكه رفض وواصل سيره حتى طليطلة حيث بلغه اجتماع ملكي قشتالة وارغونة بحصن مجريط، فسار إليها لكنه لم يلتقي سوى بأحد قادة النصارى وبعض قواته وقد أحسن الدفاع عن الحصن، الشيء الذي دفع الخليفة إلى السير إلى

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ،ص 268.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- بلاد الجوف (الاسترامادورة).: يقصد بها ترجالة وطلبيرة وبعض النواحي الجنوبية من طليطلة من حصون وقلاع مثل قلعة رياح وايضا بعض نواحي جيان وقرطبة واستجة وقرمونة حسب ابن خلدون و محمد عبد الله عنان وهشام ابو رميلة .أنظر: ابن خلدون : العبر ،ج6،ص 330،محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ،ص220 ،هشام أبو رميلة :المرجع السابق ،ص 270

[4]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 269.

[5]- حصن منتانجش: (Montanchez)يقع على مقربة من حدود قشتالة شمال بطليوس .انظر ابن صاحب الصلاة :المصدر السابق ،ص 289،محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ، ع2،ق1،ص 369

[6]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص270.

وادي الحجارة حيث خسر بعض قواته دون الاستيلاء على شيء ثم سار نحو رندة وقونقة ثم إقليش حتى عاد إلى قرطبة في رمضان 593هـ الموافق أوت (أغسطس) 1197م دون الاستيلاء على أي مدينة[1].

بعد ذلك عقد الخليفة الموحدي الصلح مع ملك قشتالة لمدة خمس سنوات وذلك لانشغاله بأمور بلاد المغرب ونشوء بعض الحركات المناوئة [2] لحكمه ببلاد المغرب فاثر ان يعقد الصلح مع النصارى، ويتفرغ للقضاء على هذه الحركات المناوئة[3].

ومما سبق ذكر يمكن القول ان العلاقات الموحدية القشتالية كانت طوال الوقت عدائية تتخللها فترات الصلح، من اجل التفرغ لمصالح البلاد ودرء خطر أخر وليس من اجل بناء علاقات ودية دائمة.

مع مملكة ليون [4]: كانت علاقة الموحدين بمملكة ليون اقل عداء منها بمملكة قشتالة، فقد سادها بعض فترات الصلح وبعض فترات التوتر، فمن أهم المحطات بين مملكة ليون والموحدين، معاهدة الصلح 563هـ الموافق ل: 1168م، وطلب ملك ليون بعد عقد الصلح المساعدة من جيش الموحدين لمقاتلة القمط نونة [5] ابن أخيه الذي ينازعه الملك، وقد استجاب

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 272- 273.

[2]- الحركات المناوئة: التي ظهرت في تلك الأثناء هي حركة بني غانية التي كانت تسعى لإحياء مجد المرابطين، والموحدون كانوا يرون أن حركة بني غانية أخطر من النصارى على استمرارية دولتهم، فيذكر ابن الأثير أن هذا هو السبب الذي جعله يقبل ويوافق على عقد الصلح مع النصارى حيث يقول:«... فأتاه خبر علي بن إسحاق الملثم الميورقي أنه فعل بإفريقيا... من الأفاعيل ... فترك عزمه وصالحهم مدة خمس سنين وعاد إلى مراكش أخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة».أنظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج 8، ص 48.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 150-152 الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 157.

[4]- مملكة ليون: وردت عند ابن صاحب الصلاة باسم "السيطاط" ويقصد بها "Ciudod Rodrigo de LEON" وتقع مملكة ليون شرقي قلمرية وغربي إبلة وهي قاعدة من قواعد قشتالة، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 295.

[5]- القمط نونة: يقصد به الكونت نونيه بيري دولارا Nuno Perez de Lara،وتذر الروايات التاريخية ان القيصر الفونسو السابع (ريموندس)خلف من البنين سانشو الثالث وهو اكبر اولاده وكان ملكا على طليطلة كما ترك فرناندو الثاني (الببوج) الذي كان ملكا على ليون ،وقد كان سانشو الثالث رشح في حياته طفله الصغير للحكم ،اضافة الى انه لم يسند نيابة الحكم لاخيه وعم الطفل فرناندو الثاني بل جعلها لنبيل من اسرة كاسترو ،فحقدت اسرة دي لارا والتجات للعم من اجل حماية ابن اخيه ،وبالفعل احتل العم معظم قشتالة واعلن تولية الوصاية على ابن اخيه سنة 554هـ الموافق ل:1159م ،واساء معاملة افراد اسرة دي لارا اذ انه كان يسعى لانتزاع الحكم من ابن اخيه ،فطلب منهم تسليم طليطلة عاصمة قشتالة ،وتوترت العلاقات بينه وبين افراد الاسرة ودخلت في المفاوضات والمساومات على العرش حتى وصلت للصدام المسلح حيث هلك احد افراد الاسرة الاقوياء المانريش دي لارا سنة=

الخليفة أبو يعقوب يوسف لطلبه حيث أرسل له جيشا بقيادة أبي العلاء بن غزون [1] فساعدوه على قتال أعداءه ثم اخضعوا خصومه داخل مملكته وبعد خمسة أشهر عاد الجيش الموحدي إلى بلاده حاملا معه وعود ملك ليون في التزامه بشروط الصلح، وحليفهم عند الخطر[2].

وقد عبر ملك ليون عن التزامه بالوعد أثناء تعرض مدينة بطليوس لاعتداء من ملك البرتغال، الذي حاصرها حيث اقبل مسرعا ، واقتحم بطليوس وقاتل ملك البرتغال حتى هزمه وتمكن من أسره، وسلم المدينة لوليها الموحدي الذي كان معتصما بقصبة المدينة ودعاه الوالي الموحدي لزيارة القصبة، إلا ان ملك ليون اعتذر كونه لم يتلق الدعوة من أمير المؤمنين نفسه[3].

وفي 566هـ الموافق ل 1171م سار السيد أبو سعيد [4] بقواته من اشبيلية لإصلاح مدينة بطليوس وتعميرها، إلا انه تفاجأ بقدوم ملك ليون بجيشه إلى بطليوس لاسترجاعها من أيدي المسلمين لأنه كان يراها من حقه وهو أولى بها لأنها كانت تقع في داخل مملكته حسب ما نصت اتفاقية مع أخيه سانشو الثالث ملك قشتالة 553هـ/ 1158م[5]، ولكن الموحدين تفطنوالذلك وبعث السيد أبو سعيد إلى سؤاله عن سبب قدومه دون ان يبعث إليه فأجاب انه قدم لحمايتها، فقدم إليه الشكر ودعاه للقائه وتجديد وتأكيد الالتزام بالصلح وفعلا قابل ملك ليون أبو سعيد وأكد التزامه بالصلح ثم عاد بقواته إلى بلاده[6].

=560هالموافق ل1164م مما ادى بالقمط نونيه اخوه إلى إعلان نفسه وصي على عرش قشتالة واستولت اسرة دي لارا على الحكم عنوة ودخلت العاصمة تقلد الحكم الطفل ري شيكو El Rchico وكان هذا سنة 562هـ الموافق ل 1165م فالتجا فرناندو الثاني الى طرق ابواب الموحدين وغير الموحدين من اعداء قشتالة لمحاربة ابن اخيه .انظر ابن صاحب الصلاة :المصدر السابق ،ص 286

[1]- أبو العلاء بن غزون: أبو العلاء بن عزون: شيخ الرؤساء بالأندلس والمستشار الناصح لعبد المؤمن ولابنه من بعده كان ينعت بناصح الدولة المهدية، حضر غزوة وبدة مع الخليفة أبي يعقوب وهو من الرواة الذين اعتمد عليهم ابن صاحب الصلاة، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص69.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 305- 306.

[3]- نفسه، ص 307.

[4]- السيد أبو سعيد: هو ابوسعيد عثمان احد ابناء عبد المؤمن بن علي الثمانية عشر ،من الذين اوردتهم المصادر .انظر ابن صاحب الصلاة :المصدر السابق ،ص 85

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 307.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

يئس ملك ليون من إمكانية الاستيلاء على بطليوس، فأنشأ بطلب مالا من الموحدين كتعويض على ما خسره في إنقاذه للمدينة من هجوم ملك البرتغال عليها، فكان الخليفة الموحدي يبعث له بالهدايا التي ترضيه، لكن هذا لم يجده نفعا، ففي سنة 569هـ الموافق ل: 1174م[1] قام بغزو الأندلس، مما دفع بالخليفة إلى محاولة غزوه في أرضه حيث خرج الخليفة بجيشه من اشبيلية في صفر 570هـ الموافق ل: سبتمبر 1174م، وغزا مدينة السيطاط [2] لكنه لم يتمكن منها إلا انه تمكن من استرداد مدينة القنطرة[3] ثم عاد إلى إشبيلية[4].

استرداد الموحدين واستيلائهم على مدينة القنطرة احدث استياء عند النصارى عامة، وعند الكنيسة خاصة حيث جعل رجال الدين يمنحون الامتيازات والمباركات لكل من يواصل غزو الأراضي الأندلسية، فسار ملك ليون بقواته نحو الأراضي الأندلسية سنة 572هـ الموافق ل: 1177م فعبر نهر الوادي الكبير وشن غزوة حتى وصل إلى أحواز اركش وشريش، مما جعل الجيش الموحدي يخرج من مدينة اشبيلية ليلحق بملك ليون لكن دون جدوى، لكنهم تقابلوا مع بعض القوات النصرانية من مدينة طليرة فتمكنوا منها واسروا وغنموا، وعادوا*** ضربوا باشبيلية أعناقهم في حصور الأشياخ والخليفة[5].

لم يكف ملك ليون عن غزو الأراضي الأندلسية، حيث حاصر مدينة قا صرش[6] لكنه لم يتمكن منها، لأنه في تلك الأثناء عبر الخليفة الموحدي إلى الأندلس وذلك كان سنة 570هـ الموافق ل 1184م بالضبط من اجل غزو البرتغال مما جعل ملك ليون يختار مقابلة الجيش

---

[1]- يذكر أن ملك ليون نقض الصلح مع الموحدين سنة 568هـ الموافق ل: 1173م وذلك عند خروج القومس المسن شان مينوس المعروف بالأحدب لغزو أراضي المسلمين.

انظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 308.

[2]- السيطاط:هي قاعدة ملك ليون وهي مدينة رودريجو والسبطاط تحريف للكلمة القشتالية Cibadad ومعناها المدينة .انظر: محمد عبدالله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ، ع3،ق2،ص92.

[3]- القنطرة: Alkantara هو حصن في حدود السبطاط وقرب حصن ناضوش ،ويسمى قنطرة يوسف وبين هذا الحصن وماردة يومان وهو حصن منيع على نهر القنطرة واهله متحصنون فيه ولا ياخذه القتال الا من بابه .انظر: نفسه ،نفس الصفحة ، الحميري : المصدر السابق ،ص 473

[4]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 310.

[5]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع3ق2، ص 97.

[6]- قاصرش: (Caceres) وترسم ايضا قشرش تقع شمال شرقي بطليوس وجنوبي نهر تاجة وغربي ترجالة . انظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 289 ،محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الأندلس ، ع3،ق1،ص140.

الموحدي فرفع الحصار عن قاصرش وعاد بقواته إلى بلاده، ثم خرج مرة أخرى ليقف إلى جانب النصارى ضد الموحدين بعد محاصرة الخليفة لشنترين[1].

هذا وقد عاد ملك ليون لغزو الأندلس في حدود أواخر سنة 621هـ الموافق ل: 1224م، وقد استغل في ذلك فرصة انشغال الموحدين بأمر النزاع على الخلافة[2]، فما ان دخلت أوائل 622هـ الموافق ل 1225م حتى استولى على مدينة قاصرش ثم عبرت قواته جبال الشارات وقامت بغزو غربي اشبيلية وغنموا وس بوا، وكان آنذاك باشبيلية الخليفة العادل وأخوه أبو العلاء ووزيره ابن يوجان وبعض أشياخ الموحدين غير أنهم لم يحركوا ساكنا للدفاع عن اشبيلية رغم استنجاد أهل اشبيلية بهم[3].

امتناع الخليفة ومن معه مع لقاء النصارى ومواجهتهم جعل الأهالي يخرجون بأنفسهم لمقابلة النصارى في جماعات غير منظمة وبأسلحة خفيفة وجماعات دون أسلحة، فتقابلوا مع النصارى في جمادى الأولى سنة 622هـ الموافق ل 1225م، عند بلدة طلبطة[4]، ونشبت بين الطرفين معركة غير متكافئة [5] انتهت بهزيمة المسلمين حيث خسروا عشرين ألفا من قتيل وأسير[6].

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 311.

[2]- حدث النزاع على الخلافة في أوائل 621هـ الموافق ل1224م حيث ثار السيد أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور بمدينة مرسية، حيث خرج على عمه الخليفة بمراكش عبد الواحدوأعلن خلافته وتلقب بالعادل، فبايع العادل ولاة قرطبة وغرناطة ومالقة واشبيلية بينما رفض والي بلنسية البيعة للعادل، سار الخليفة العادل بعد ذلك إلى اشبيلية كي يعبر البحر الى المغرب لاستيلاء عرش الخلافة بمراكش، لكنه ما كاد يتحرك حتى نقض بيعته ابن عمه والي قرطبة السيد أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن وأعلن الخلافة لنفسه وتلقب بالظافر. انظر: هشام أبو رميلة: المرج السابق، ص 316.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 317.

[4]- بلدة طلبطة: (Tejada- tablada) تبعد عشرين ميلا عن اشبيلية وتقع الى الغرب منها على مقربة من طريانة وفي الجنوب الغربي لمدينة لبلة .انظر ابن صاحب الصلاة :المصدر السابق ،ص 219، الحميري :المصدر السابق ،ص 395.

[5]- يذكر أن أحد الجند وهو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يزيد كان على دراسية بفنون الحرب، فحاول أن يوضح لهم أن معركتهم ستنتهي بهزيمتهم لأنها غير متكافئة لأن النصارى معهم جيش منظم وأسلحة وقادة، إضافة غلى كثرة عددهم فصاحوا بوجهه وآذوه بالقول فانصرف عنهم ومن كان معه من الفرسان. انظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 317.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

وفي 627هـ الموافق لـ 1230م حاصر ملك ليون مدينة ماردة [1] مستغلا ظرف ثورة الأندلسيين على الموحدين، لكن ابن هود صاحب بطليوس أسرع إلى إنقاذ المدينة، ونشبت بين الطرفين موقعة عند حصن الحنش[2]، انتهت بهزيمة ابن هود الذي فر بجنده إلى مدينة اشبيلية بينما ملك ليون عاد لمهاجمة ماردة فاستولى عليها ثم استولى على بطليوس، وأقام بها أسقفية ثم توفي في نفس السنة[3].

وانطلاقا مما ذكرناه يمكن القول ان علاقة الموحدين بمملكة ليون كانت ودية لفترة قصيرة ثم تحولت إلى عدائية طيلة الوقت.

مع مملكة أرغونه: يذكر ان مملكة وأرغونه كانت تتألف من مملكتي أرغونه ونبرة منذ سنة 468هـ الموافق لـ 1076م، لكنها انفصلت عنها في 528هـ الموافق لـ 1134م بعد وفاة ملك أرغونه ألفونسو المحارب دون ان يترك وليا للعهد من صلبه [4]، فبعث أهل أرغونه إلى أخيه الذي كان راهبا من اجل اعتلاء العرش وفعلا كان له ذلك سنة 528هـ الموافق لـ 1134م، لكن أهل نبرة رفضوا بالاعتراف به ملكا عليهم، لكن الراهب راميرو لم يستطع حكم المملكة فبعد ثلاث سنوات من الحكم قرر أن يتزوج ابنة الكونت برشلونة بموافقة نبلاء أرغونه ويتنازل له عن العرش وفعلا كان ذلك سنة 531هـ الموافق لـ 1157م، هنا ومن جهة أخرى نشأ بعض التكامل الجغرافي والعسكري وحتى الحضاري من خلال توحد أرغونه وبرشلونة فقد تم إضافة الأسطول البحري البارشلوني للقوات البرية الأرغونية ويعتبر بعض المؤرخين أن هذا التوحد من أهم الأحداث

---

[1]- ماردة: مدينة بجوف قرطبة منحرفة الى المغرب قليلا ،وكانت مدينة ينزلها الملوك الاوائل ،فكثرت بها اثارهم والمياه المستجلبة اليهم . الحميري :المصدر السابق ،ص 518

[2]- حصن الحنش: لم نتوفق في تحديد موقعه رغم الاطلاع على جميع المصادر التي بين ايدينا وحتى هشام ابو رميلة لم يذكر اي تفصيل عنه .انظر: هشام أبو رميلة :المرجع السابق ،ص 318.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

Leon Geley,l Espagne des Goths etdes Arabes, librairie leopold CERF ,Paris,1882,p124 .

[4]- بعد وفاة ملك أرغونه ألفونسو المحارب ترك وصية كان قد كتبها قبل ثلاث سنوات من وفاته، تقضي بتقسيم مملكته إلى ثلاثة أقسام، قسم لسلام روح والديه والتفكير عن زلاته وقبره المقدس والثاني للفقراء والفرسان الاستبارية ببيت المقدس والثالث يخصص لفرسان المعبد الملقبون ب الداوية باعتبارهم حماة النصرانية في معبد المسيح لكن أهل أرغونه رفضوا تنفيذ هذه الوصية اعتلى أخوه الراهب راميرو العرش. انظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 319.

السياسية بإسبانيا خلال ق 6هـ الموافق ل ق 12م وذلك لاختلافهما في العادات والتقاليد وحتى اللغة[1].

وبعد اعتلاء الكونت رامون عرش أرغونه اتفق مع ملك مملكة قشتالة الملك ألفونسو السابع وملك البرتغال ألفونسو هنريكيز على التعاون والتحالف في غزو الأراضي الأندلسية والاستيلاء عليها، ومن ثم فقد اشترك ملك أرغونه بقواته في الحملة التي قادها ملك قشتالة للاستيلاء على مدينة ألمرية سنة 542هـ الموافق لـ 1147م[2]، ولم يكن ملك أرغونه الحليف الوحيد

لملك قشتالة بل كانت هناك أيضا أساطيل جنوة وبيزا ومونبيلية [3] والتي كانت أيضا حليفة لملك أرغونه خلال حملته على طرطوشة وقد أخذت حملته هذه مدة طويلة في الحصار نظرا لمناعة المدينة واستمر حصار المدينة حوالي ستة أشهر، والكنيسة بزعامة البابا أيوجين الثالث [4] تبارك الحملة وتحمس النصارى للاستيلاء على طرطوشة التي اعتمدت على نفسها في الدفاع عن المدينة نظرا للحصار الشديد، فحتى أمير شرقي الأندلس [5]، مما جعل المدينة تضعف وتسقط بيد النصارى في 19 شعبان سنة 543هـ الموافق لـ31 ديسمبر 1148م[6].

هذا وبعد استيلاء ملك أرغونه على المدينة قام بمنح الجنوبين و البيزيين ثلثي المدينة، وجعل حصة صاحب منبيلية[7] معهم [8]، مقابل مساعدتهم له، ووزع الثلث على أمراء أرغونه، وواصل

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق ، ص 319- 320.

[2]- نفسه ، ص 321.

[3]- بيزا ومونبلييه: لم نتوفق الى العثور على مواقعها بالضبط ومعظم المراجع تذكر أنه تحالف نصراني صليبي لكن هشام ابو رميلة ذكر الاطراف المتحالفة إلا انه لم يذكر مواقعها بالضبط وعلى الارجح هي احدى الجمهوريات التابعة لايطاليا لكن لكل منها حاكم يتولى شؤونها .انظر: هشام ابو رميلة :المرجع السابق ،ص 321

[4]- البابا أيوجين الثالث :ذكرته معظم المراجع لكن لم تذكر اي تفاصيل عنه والارجح انه قديس كنيسة عادي لكنه مؤمن بشن الحملات على الاراضي الاسلامية .انظر: هشام ابو رميلة :المرجع السابق ،ص321.

[5]- أمير شرقي الأندلس: محمد بن سعد بن مردنيش وهو أحد المعارضين لحكم الموحدين بالأندلس. انظر: نفسه،ص 400.

[6]- نفسه، ص 321.

[7]- صاحب منبلييه :ذكر هشام ابو رميلة ان اسمه جيوم لكنه لم يذكر اي تفصيل عنه .انظر : نفسهن نفس الصفحة.

[8]- نفسه ،نفس الصفحة .

حملاته علي بقية قواعد الثغر الاعلى فاستولى على لاردة وغيرها من القواعد ، في جمادى الثانية سنة 544هـ الموافق لأكتوبر 1149[1].

باستيلاء ملك أرغونه على إفراغة ولاردة وغيرها، صارت مملكته تسيطر على جميع مدن وأراضي وادي إيبرو[2] من منابعه إلى مصبه، أحيى الأمل عند النصارى في إمكانية الاستيلاء على كافة الأراضي الأندلسية وإنهاء أمر المسلمين بينها بصفة نهائية، الشيء الذي دفع بألفونسو السابع ملك قشتالة إلى عقد معاهدة مع ملك أرغونه الكونت رامون سنة 546م الموافق ل: 1101م سميت بمعاهدة طليلة نسبة إلى المكان الذي عقدت به اتفق فيها على غزو اقتسام أراضي الغزو بينهما مع إخباء الاتفاق السابق في غزو حتى مملكة نبرة إضافة إلى أراضي الأندلس[3].

هذا وقد نصت المعاهدة على أن شرقي الأندلس من نصيب مملكة أرغونه، على أن تكون مرسية وبلنسية تابعة لقشتالة لكن لم ينفذ صاحب مملكة أرغونه نص المعاهدة فيها يخص غزو شرق الأندلس لانشغاله بأمور مملكته الداخلية[4]، ثم توفي سنة 557هـ الموافق ل 1162م ليخلفه في الحكم ابنه ألفونسو الثاني حفيد الراهب راميرو وفي سنة 559هـ الموافق ل1164م تنازلت له والدته عن جميع حقوقها في المملكة ليصبح ملكا للمملكة الكبيرة التي تضم برشلونة وأرغونه وغيرها من الولايات النصرانية التابعة له[5].

وقد حاول ألفونسو الثاني صحب أرغونه الاستيلاء على مدينة بلنسية مستغلا بذلك انشغال الموحدين بأمر ابن مردنيش الذي رفض مبايعتهم والخضوع لهم، حيث توجه بقواته سنة

---

[1]- يذكر محمد عبد الله عنان رواية أخرى حيث يذكر أن مدينة طرطوشة حوصرت من البر والبحر، وصمد المسلمون بها حوالي أربعين يوما ينتظرون النجدة، فلما يئسوا سلموها ضحى في شهر شعبان سنة 543هـ الموافق ل: ديسمبر 1148م مشترطين أن يحتفظوا بأملاكهم ومساجدهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها لأكثر من ثلاثين أو أربعين سنة. انظر: محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 369- 370

[2]- وادي إيبرو: هو نفسه نهر ابرة .انظر: يوسف اشباخ :ج1،ص 12

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 222.

[4]- الأمور الداخلية التي كانت تشغله داخل مملكته هي النزاع مع باقي الامارات الممالك النصرانية على أراضي ماوراء جبال البرنيه . محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الأندلس ،ع3،ق2،ص 375.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 223.

567هـ الموافق ل 1172م وتمكن من الاستيلاء على بعض الحصون البحرية والبرية، لكن والي بلنسية تمكن من هزم الحملة البرية بينما قائد الأسطول البحري لابن مردنيش أبو القاسم هزم هو الآخر الحملة البحرية، وبالتالي لم يتمكن من بلنسية[1].

هذا وعندما فرغ الموحدون من أمر شرقي الأندلس ، وبلغهم أن صاحب أرغونه حاول الاستيلاء على بلنسية، عزموا على غزو مملكته، فساروا بقواتهم باتجاهه سنة 569هـ الموافقل 1174م وتمكنوا من الاستيلاء على بعض حصونها وسبوا وغنموا ثم عادوا إلى اشبيلية [2]، مما دفع بملك أرغونه إلى مساعدة ملك قشتالة في استيلائه على مدينة قونقة سنة 572هـ الموافق ل: 1177م، وواصل غزواته نحو الأراضي الأندلسية في العام الموالي، مما أقلق ملك قشتالة ورأى أن يعقد معه معاهدة سميت بمعاهدة كاسولا سنة 574هـ الموافق ل: 1179م ،وقد نصت على نفس ما نصت عليه المعاهدة السابقة التي كانت في عهد والده معاهدة تطيلة وهي على التحالف ضد المسلمين وضد الخصوم من النصارى لاسيما ملك نبرة، كما نصت على تحديد الأراضي الأندلسية لكل منهما، حيث كان من نصيب صاحب أرغونه الأراضي الإسلامية الممتدة من بلنسية شمالا إلى بلدة نبرة جنوبا[3].

ورغم تشابه بنود معاهدتي تطيلة وكاسولا إلا أن بعض المؤرخين يرون أن صاحب مملكة أرغونه تنازل كثيرا في معاهدة كاسولا حتى خسرت مملكته الكثير من الأراضي، حيث نصت معاهدة تطيلة على حق ملوك أرغونه في غزو الأراضي الأندلسية دون تحديدها مع تولي حكم بلنسية ومرسية بصفة تابعة لملوك قشتالة، مما جعلهم يتضرعون بعض الوقت لاهتمامهم بولاياتهم الواقعة خلف البرنية، أما في معاهدة كاسولا فقد حررت ملوك أرغونه من التبعية لملوك قشتالة في حكم مدينتي مرسية وبلنسية لكنها حددت مناطق نفوذهم وجعلت معظم الأراضي من نصيب مملكة قشتالة، كما أنها سلبت أرغونه حق الإقطاع في بعض الحصون والقلاع المتخاصمة لقشتالة،

1- هشام أبو رميلة: المرجع السابق ، ص 324.

2- نفسه، ص 223.

3- نفسه ، 224.

ثم شددت عليهم وجول الاهتمام بشن الحملات على الأراضي الأندلسية مما جعلهم يهملون أمر ولاياتهم خلف البرنية حتى تمكنت من الانفصال عن المملكة[1].

وبعد عقد المعاهدة لم تذكر أي حملة لملك أرغونه على الأراضي الأندلسية، ولم تذكر له أيضا معاهدة صلح أو هدنة أو ما شابه من الموحدين، ذلك أنه بموجب المعاهدة قام صاحب أرغونه وصاحب قشتالة بالهجوم على مملكة نبرة فانتصر صاحب قشتالة من جهته وانهزم صاحب أرغونه من جهة ثانية، الشيء الذي دفع ملك قشتالة إلى عقد حلف صده سنة 586هـ الموافق ل: 1190م ضم الحلف كل من ملك نبرة وملكا ليون والبرتغال، وبقي هذا الخلاف قائما بينهما حتى وفاته سنة 592هـ الموافق ل: 1196م[2].

وقد كلفه والداه في حكم المملكة، فقد حكم بيدرو برشلونة وأرغونه، أما ألفونسو فقد حكم باقي الولايات وراء البرنية، وقد فصلها عن المملكة الأم أرغونه حتى قيل أنه رغم أنها ليست أول مرة تفصل عن المملكة لكنها كانت آخر مرة فلم تعد بعدها إلى حكم مملكة أرغونه إطلاقا، هذا وقد أقام ملك أرغونه بيدرو الثاني علاقة صداقة وتحالف مع ملك قشتالة خاصة بعد انهزامه في معركة الأرك أمام الموحدين، وضعفه ثم تعرضه للهجوم من قبل ملكي ليون ونبرة، حتى ان بيدرو ساعده في رد هجومهما، ثم ساعده في مواجهة الموحدين سنة 593هـ الموافق ل: 1197م واجتمع معه بقلعة مجريط، لكنهما انصرفا بقواتهما قبل مجيء الموحدين إليهما[3].

ومن ثم فإنه يمكن القول أن مملكة أرغونه بعد ألفونسو الثاني لم تكن لها في عهد بيدرو أي علاقة بالموحدين لا عدائية ولا ودية فليس له حملة ضد الموحدين تذكر ولا حملة من قبل الموحدين ضده، إلا ان في وقت أبيه وجده كانت العلاقات الموحدية الأرغونية علاقات عدائية لطول الوقت تميزت إما بالحملات من طرف مملكة أرغونه أو بشن هجومات من طرف الموحدين على أراضي المملكة.

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق ، ص 225.

[2]- نفسه، نفس الصفحة .

[3]- نفسه، نفس الصفحة .

ب-3- دراسة مقارنة:

إن ما توصلنا إليه من نقاط التوافق والاختلاف في دراسة المقارنة بين النظامين المرابطي والموحدي في الجانب السياسي والإداري هو على الشكل التالي:

فبالنسبة لجهاز الحكم فهو في كلا النظامين يتكون من الحاكم، ونواب الحاكم، وولاة الأقاليم، والوزراء والكتاب، والمشتغلين بالدواوين، وبالتالي فجهاز الحكم واحد من حيث الشكل في النظامين أي يتشابه النظامان في تشكيلة جهاز الحكم، أما من حيث المضمون فبالنسبة لمنصب الحاكم فأول نقطة تشابه أن هذا المنصب في كلا النظامين إنحصر في أسرتين معينتين طيلة فترة وجود الدولتين أو النظامين، بحيث كان في النظام المرابطي منصب الحاكم حكرا على أفراد يوسف بن تاشفين وهذا بإجماع المصادر التاريخية [1]، وفي النظام الموحدي كان منصب الحاكم مقتصرا على أفراد أسرة عبد المؤمن بن علي وهذا أيضا ما أجمعت عليه المصادر التاريخية [2] ،كما ان حكام النظامين على مر العصور اتصفوا بصفات الرجل الحاكم التي حددها الوزير ابي القسم بن علي المغربي في كتابه من علم وعقل وغنى النفس[3] .

رغم هذا التوافق إلا أننا نسجل نقطة اختلاف بين النظامين في كيفية إعتلاء الحاكم الأول الحكم، بحيث أن يوسف بن تاشفين لم يكن هدفه في أثناء مرافقته لعبد الله بن ياسين في مسيرة الدعوة تولي منصب الحاكم وإنما جاء توليه لهذا المنصب عبر مراحل، إذ تولى المنصب في البداية حاكما بالنيابة عن أبو بكر بن عمر ثم إنفرد بالحكم وهذه ثاني مرحلة مر بها في طريق توليه منصب الحاكم، بحيث مارس صلاحيات الحاكم من غير علم أبو بكر بن عمر الذي تركه نائبا له ببلاد المغرب، وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون ما يلي:«... فحينئذ سار يوسف بن تاشفين في عسكره من المرابطين ودوخ أقطار المغرب...»[4].

---

[1]- المصادر التي أوردت توالي حكام المرابطين هي: عبد الواحد المراكشي :المعجب ،اابن السماك العاملي :الحلل الموشية ،ابن أبي زرع الفاسي :روض القرطاس.

[2]- المصادر التي أوردت توالي حكام الموحدين هي: نفس المصادر اضافة الى ابن صاحب الصلاة :المن بالامامة.

[3]-الوزير الكامل ابي القاسم الحسين بن علي المغربي :كتاب في السياسة ،تح :سامي الدهان ،المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، سوريا ،1948،ص 71.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 245.

والمرحلة الثالثة حين صار يوسف بن تاشفين الحاكم الشرعي لدولة المرابطين هي مرحلة تنازل أبو بكر بن عمر له عن الحكم بعد أن اطمأن له في تسيير أمور الدولة والملك كما سبق أن أشرنا، أي بعد أن أثبت يوسف بن تاشفين مشروعيته في الحكم بإنجازاته التي وقف عليها أبو بكر بن عمر مبينا الرضا [1]. وفي هذا يقول ابن خلدون:«... ففطن لذلك الأمير أبو بكر وتجافى عن المنازعة وسلم له الأمر ورجع إلى أرضه- أي الصحراء-...» [2]. وبالتالي فإن يوسف بن تاشفين تقلد منصب الحاكم عبر ثلاث مراحل وهي حكم بالنيابة، ثم إنفراد بالحكم، ثم التنازل عن الحكم.

بينما عبد المؤمن بن علي تقلد منصب الحاكم عن طريق التوصية، إذ أوصى له المهدي بن تومرت بالحكم وهذا حسب ما أوردته المصادر منها وصيته قبل موته بايام يسيرة بصريح العبارة حيث قال لاتباعه:(...واعلموا مع هذا انه لا يصلح أمر آخر هذه الامة الا على الذي صلح عليه امر اولها ،وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه اميرا عليكم...وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن ...[3])، ويذكر صاحب المعجب أنه بعد انتهـــاء وصيته بـــايع القوم عبد المؤمن و دعا لهم ابن تومرت [4]

ومنها ما كانت كناية وذلك بوصفه مرة بأنه سراج الموحدين [5]، ومرة وصف خروجه سالما من معركة البحيرة هو بمثابة الإنتصار[6].

كما أن عبد المؤمن بن علي بخلاف يوسف بن تاشفين سعى إلى الحكم بنفسه واجتهد في ذلك ونلمس هذا من خلال كونه أول من بايع المهدي بالمهدوية [7]، وقصة الببغاء والشبل، وإخفائه خبر وفاة المهدي [8] كل هذا وجدنا أنفسنا مجبرين على ذكره لأنها أحداث توضح كيف

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 231. الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 22- 23. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 24- 25.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 24.

[3]- عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص147

[4]- نفسه ،نفس الصفحة

[5]- البيذق :المصدر السابق ،ص16

[6]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 187.

[7]- المبايعةبامهدوية:ذكرالبيذق ان اول من بايع ابن تومرت بالمهدوية هو عبد المؤمن بن علي.انظر: البيذق :المصدر السابق ،ص 34.

[6] -ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 129- 131. الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 92.

[7]- نفسه ،نفس الصفحة.

سعى عبد المؤمن باجتهاد إلى تولي منصب الحاكم، فقد استعمل عبد المؤمن الحيلة لكسب عامة الموحدين والدهاء لكسب خاصتهم[1].

ونقطة الاختلاف الثانية بين النظامين هو أن الحاكم الأول في النظام المرابطي- أي يوسف بن تاشفين- لم يواجه معارضة في بداية توليه الحكم، رغم أنه انفرد بالحكم إلا أن الرعية لم تأخذ عنه صورة حاكم غير شرعي وأنه اغتصب الحكم، لأنه كان بين قومه ومن أسرة الأمراء بني ورتنطق، وأحد أفراد سادة لمتونة، فهو ليس بغريب عن الحكم فقد كان أجداده من بني و رتنطق أمراء على القبائل الصنهاجية[2].

إلا أن عبد المؤمن بن علي واجه معارضة في بداية توليه الحكم لأنه كان بين غير قومه، وبدا للمصامدة أن أحد أفرادهم من الموحدين أحق بمنصب الحاكم[3].

هذا وإن يوسف بن تاشفين لم يبايع بالحكم بينما استقبلته الرعية كحاكم وأبدت الطاعة والولاء له كما سبق أن أشرنا لأنه أحد أفراد أسرة الأمراء، وزادت أو تضاعفت ثقة الرعية به بعد تنازل أبو بكر بن عمر له عن الحكم، بينما عبد المؤمن بن علي لم يصبح حاكما شرعيا إلا بعد أن تمت له البيعة بذلك، وقد كانت بيعتين بيعة خاصة وبيعة عامة كما سبق أن أشرنا لذلك وهذه نقطة اختلاف أخرى تسجل بين النظامين.

ومن خلال دراسة المقارنة هذه فإننا توصلنا إلى نقطة اختلاف أخرى بين النظامين في منصب الحاكم، بحيث تلقب حاكم المرابطين" بأمير المسلمين" أي منصب الحكم هو" الإمارة" ولم يتغير لقب" أمير المسلمين" إلى لقب آخر من ألقاب الحكام ولا منصب الحاكم من منصب الإمارة إلى منصب آخر" كالملك" أو" السلطان" أو غيرها...، ولم يتلقب حكام المرابطين بلقب" الخليفة" وامتنعوا عن ذلك بمحض إرادتهم وذلك لإقتناعهم ببطلان حق الخلافة للخليفة الثاني إذا سبقه إعلان خلافة شخص آخر على المسلمين في نفس الوقت، لأن وجود خليفتين للمسلمين في نفس الوقت يتنافى مع مبادئ تعليم دعوتهم ذات المرجعية السنية المالكية، فأعلنوا الإعتراف

[8]- عبد الله علي علام:الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 103.

[2]- حسن محمود أحمد: قيام دولة المرابطين، ص 342.

[3]- ما ذكره البيدق عن نقض عبد الله بن ملوية أحد صحابة المهدي البيعة لعبد المؤمن. انظر: البيذق :المصدر السابق ،ص 46.

بالخلافة العباسية وعمدوا إلى الإتصال بالخليفة العباسي وأكدوا ذلك بدعوتهم لبني العباس على المنابر، ثم ذكر الخلفاء العباسيين على وجوهعملتهم النقدية، مع اتخاذ اللون العباسي شعارا لهم في ملابسهم وأعلامهم[1].

وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون ما يلي:«... وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين، وكان من أهل الخير والإقتداء، نزعت به همته إلى الدخول في طاعة الخليفة تكميلا لمراسيم دينه، فخاطب المستظهر العباسي وأوفد عليه بيعته عبد الله بن العربي وابنه القاضي أبا بكر من مشيخة إشبيلية يطلبان توليته إياه على المغرب وتقليده ذلك، فانقلبوا إليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زيهم في لبوسه ورتبته، وخاطبه فيه بأمير المؤمنين[2] تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا، ويقال إنه كان دعي له بأمير المؤمنين من قبل»[3].

هذا وقد كان من واجب كل حاكم يتولى منصب أمير المسلمين في النظام المرابطي أن يطلب تجديد العهد من الخليفة العباسي، فقد طلب علي بن يوسف بن تاشفين سنة 500هـ الموافق لسنة 1104م حين تولى الحكم تجديد العهد من الخليفة العباسي الذي رحب بذلك واستجاب لمطلبه[4].

وإلى جانب لقب أمير المسلمين فقد تلقب الحكام المرابطون بعدة ألقاب وكان الغرض منها إما الفخر أو التواضع لا أكثر منها" ناصر الدين" وهو لقب تلقب به يوسف بن تاشفين[5]، وتلقب علي بن يوسف بن تاشفين ب" ولي الله" ونقش هذا اللقب على السكة[6].

بينما اتخذ حكام النظام الموحدي لقب" خليفة" باعتبار أنفسهم خلفاء للمهدي بن تومرت على المسلمين، ومستقلين عن المشرق الإسلامي وأن مركز الخلافة هو مراكش وليس

---

[1]- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 100.

[2]- انفرد ابن خلدون بلقب أمير المؤمنين ليوسف بن تاشفين ولم يذكره مصدر آخر، وفي كتابه العبر الجزء السادس يذكره بأمير المسلمين. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 296.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص 237.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 54.

[5]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 79- 80.

[6]- حسن محمود أحمد: قيام دولة المرابطين، ص 341.

بغداد، وهم أول من أقام مركزا للخلافة ببلاد المغرب الإسلامي [1]، وفي شأن تلقب حكام النظام الموحدي بلقب الخليفة أن عبد المؤمن بن علي وهو بجبل الفتح سنة 555هـ الموافق لسنة 1160م توافد عليه الشعراء يمدحونه بقصائدهم، فإذا بعبد المؤمن يستحسن قصيدة لأحد الشعراء ويعلق عليها بقوله:«... بمثل هذا تمدح الخلفاء»[2].

وغير لقب الخليفة تلقب حكام النظام الموحدي بلقب" أمير المؤمنين" وهذا اللقب تجمع عليه معظم المصادر [3] وحتى ابن خلدون فإنه يؤكد هذا فيقول:«... ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهده- أي ابن تومرت- اللقب بأمير المؤمنين، وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن... استئثارا به عمن سواهم كما دعا إليه شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الأمر وأولياؤه من بعد ذلك دون كل أحد»[4].

وجدت البيعة في كلا النظامين وتم اعتبارها حجة الحاكم في إثبات شرعية[5] اعتلاء الحكم، الحكم، فالإجماع على بيعة الحاكم في النظامين المرابطي والموحدي تخول للحاكم صلاحيات التصرف في شؤون الرعية بالعدوتين، إلا أن وجه الخلاف في هذه النقطة يكمن في أقدمية البيعة كعرف[6] عند المرابطين عن الموحدين، وذلك بحكم قدمها في المجتمع الصنهاجي فقد اعتاد أفراد المجتمع الصنهاجي قبل تأسيس الدولة المرابطية على مبايعة أميرهم بالإمارة[7].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 55.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 215- 216.

[3]- المصادر المجمعة على اللقب : البيذق :اخبار المهدي بن تومرت ،ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة ،ابن السماك العاملي :الحلل الموشية ،ابن القطان :نظم الجمان.

[4]- ابن خلدون: المقدمة، ص 238.

[5]- الشرعية: هي وسيلة لجعل السلطة دائمة ومستقرة والشرعية هي اساس السلطة وتبرير الخضوعاو الطاعة الناجمة عنها .انظر: أحمد ناصوري :النظام السياسي وجدلية الشرعية والمشروعية ،مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ،ع 2،دمشق ،2008،ص 352.

[6]- العرف: هو ما تفق الناس عليه من سلوك معين يتعلق بجانب من جوانب حياتهم الاجتماعية لفترة زمنية طويلة مع الزامية تطبيق هذه القواعد داخل القبيلة .انظر: عبد العزيز الخياط :نظرية العرف ،مكتبة الاقصى ،عمان ،الاردن ،1977،ص 24.

[7]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 342.

وظهرت البيعة عند الموحدين بظهور دعوتهم ومبايعتهم للمهدي بن تومرت بالإمامة ثم بالمهدوية، ثم استمرت عندهم في مبايعة عبد المؤمن بن علي خليفة للمهدي، ثم مبايعة سائر الحكام من بعده بالخلافة وهذا حسب ما أجمعت عليه المصادر التي بين أيدينا[1].

ومن نقاط التشابه في بيعة الحاكم في النظامين هي مبايعته عبر مراحل، بحيث لم تكن عامة مرة واحدة في المجتمع الصنهاجي، وإنما كانت تقام بيعة خاصة يبايع فيها أفراد الأسرة الحاكمة ثم أمراء بني ورتنطق ثم سادة لمتونة ثم سادة باقي القبائل الصنهاجية، واستمرت هذه المراحل حتى في أثناء الحكم المرابطي، وعلى نفس المنوال سار نظام البيعة عند الموحدين بحيث كانت البيعة تتم أول الأمر من قبل أفراد الأسرة المؤمنية ثم يبايع أشياخ الموحدين ثم ما تبقى من الرعية بالعدوتين[2]، مما يوضح لنا أن البيعة في كلا النظامين كانت تنقسم إلى البيعة الخاصة أولا وهي بيعة أفراد الأسرة الحاكمة وحاشية البلاط ثم تليها البيعة العامة وهي بيعة عامة الرعية.

هذا وامتاز النظام المرابطي على النظام الموحدي بمبدأ الشورى في اختيار الحاكم لكن لفترة وجيزة إذ تحول هو الآخر إلى مبدأ الوراثة في الحكم، ومبدأ الشورى ليس بدخيل على النظام المرابطي فحق الاختيار والتشاور قديم عند المجتمع الصنهاجي فرغم أنه لم يكن مطلقا، إذ يجب عليهم اختيار أمير من قبيلة لمتونة من بيت ورتنطق لكن هذا الإلزام كان يستند إلى نوع من الشورى بحيث يتم التشاور حول أي شخص من لمتونة جدير بالإمارة [3]. ونجد أيضا مبدأ الشورى يصاحب دعوتهم- الدعوة المرابطية- ونلمس هذا من خلال استشارة ابن ياسين أتباعه فيمن يقدمه عليهم أميرا ونجده أيضا يوصيهم بالشورى قبل وفاته[4].

أما عن تحول الحكم عند المرابطين من مبدأ الشورى إلى مبدأ الوراثة فقد كان في عهد يوسف بن تاشفين وذلك باختياره لابنه علي وليا للعهد، رغم مشاورته للفقهاء في ذلك إلا أن توريث الحكم لابنه فتح المجال إلى تحول نظام الحكم من نظام شورى إلى نظام وراثي، فقد كان تاشفين وليا للعهد قبل وفاة والده مما جعل النظام المرابطي يتشابه مع النظام الموحدي في هذه

---

[1]- البيذق :المصدر السابق ،ص 34،ابن القطان :المصدر السابق ،ص 121،ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص 175

[2]- حسن محمود أحمد: قيام دولة المرابطين، ص 342. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 70.

[3]- حسن محمود أحمد: دولة المرابطين ، ص 342.

[4]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 61. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 132.

النقطة، بحيث كان ولي العهد عند الموحدين يبايع بولاية العهد في العدوتين في إطار مراسيم خاصة[1] وسار على هذا النهج جميع خلفاء بني عبد المؤمن، مما يوضح لنا أن النظام الموحدي كان نظاما وراثيا لا يخضع لمبدأ الشورى إطلاقا. مبدأ الوراثة أو توريث الحكم كان سببا في جعل منصب الحاكم محل صراع بين أفراد الأسرة الحاكمة في النظامين المرابطي والموحدي.

هذا وصار نظام الحكم وراثي في النظامين المرابطي والموحدي من خلال سعي الحاكم الأول في كل نظام إلى الاحتفاظ بالملك في أسرته، إذ حرص كل من يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي على توريث أبنائهم الحكم [2]، وهذا ما يسجل كنقطة تشابه بين النظامين. أما ما يسجل من اختلاف بينهما هو أن يوسف بن تاشفين سعى لتوريث أبنائه الحكم وليس أسرته أو قبيلته لأن الإمارة والحكم موجود في أسرته وقبيلته كما سبق أن أشرنا منذ عهد قديم [3]، بينما عبد المؤمن بن علي لجأ إلى التوريث وهو غريب عن القوم فجعل الحكم وراثي في بيته وقبيلته بين قبائل المصامدة وفي موطنهم، ورغم أن قبيلة كومية دخيلة على قبائل الموحدين فقد قدمها في الترتيب على بعض القبائل وكانت رتبتها تلي رتبة قبيلة المهدي بن تومرت- قبيلة هرغة- وهذا لإثبات شرعية بني عبد المؤمن في وراثة منصب الحاكم[4].

وانطلاقا من هذا فإن يوسف بن تاشفين لجأ إلى توريث أبنائه عن طريق العصبية القبلية، بينما عبد المؤمن بن علي لجأ إلى توريث أبنائه الحكم عن طريق الحيلة والدهاء[5].

وتشابه النظامان في أمر آخر بالنسبة للحاكم وهو أمر إعداد ولي العهد للحكم، بحيث عمد كل من الحكام المرابطين والموحدين إلى إرسال ولي العهد إلى الأندلس وجعله مسؤولا عن شؤونها السياسية والعسكرية إعدادا له على تحمل مسؤولية الحكم وإدارة أقاليم الدولة[6].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 70.

[2]- نفسه، ص 84- 86.

[3]- حسن محمود أحمد: دولة المرابطين ، ص 342.

[4]- محمد عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 260.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 87.

[6]- نفسه ، ص 85.

حرص الحكام في النظامين المرابطي والموحدي على وجود منصب نائب الحاكم بالمغرب الأقصى، واقتصر في النظامين على الأشخاص غير العاديين بحيث في النظام المرابطي كان هذا المنصب حكرا على أقرب المقربين من الأسرة الحاكمة [1] وهي وظيفة مؤقتة يشغلها صاحبها أثناء تغيب الحاكم عن العاصمة لسبب من الأسباب، فمثلا حين توجه علي بن يوسف إلى الأندلس سنة 500هـ الموافق لسنة1104م بعد توليه الحكم ولى أخاه تميماً نائبا عنه في حكم المغرب[2].

وفي الدولة الموحدية كان هذا المنصب حكرا على أشياخ الموحدين خاصة الشيخ أبي حفص، ففي سنة 546هـ/ 1151م حين توجه عبد المؤمن إلى غزو بجاية فإنه استخلف على مراكش أبو حفص[3].

لقد تشابه النظامان في حاجتهما للمنصب وفي حصره على المقربين من البلاط إما بصلة القرابة أو الدعوة، كما تشابها في المهام التي كان يكلف بها صاحب هذا المنصب والمتمثلة في إدارة شؤون بلاد المغرب في أثناء غياب الحاكم[4].

هذا وعمد الحكام في النظامين المرابطي والموحدي إلى تقسيم بلاد المغرب إلى أقاليم بحيث قسمها المرابطون إلى ستة أقاليم وقسمها الموحدون إلى سبعة أقاليم [5] وقد أشرنا إلى هذا سابقا. ومن نقاط التشابه أيضا ضمن هذا الصدد سياسة اختيار الولاة، بحيث كان منصب والي إقليم في بلاد المغرب لا يسند إلا لشخص من حاشية الحاكم إما فردا من الأسرة الحاكمة أو قريبا لها أو واحدا من أصهار الحاكم أو من القبائل التي لها الفضل في الدعوة والتأسيس، وفي النظام الموحدي لم يتولى أبناء عبد المؤمن إمارة أو ولاية الأقاليم إلا بعدما عمد عبد المؤمن بن علي إلى التخلص من احتكار أشياخ الموحدين لهذه المناصب[6].

[1]- حسن محمود أحمد: دولة المرابطين ، ص 351.
[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 82.
[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 147.
[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 83.
[5]- نفسه ، ص 126.
[6]- نفسه ، ص 130- 132.

وقد تشابه ولاة الأقاليم في النظامين بخضوعهم لرقابة الحاكم، بحيث كان ولاة الأقاليم في النظام المرابطي يتصرفون في أقاليمهم بإشراف ورقابة من حاكم الدولة، وفي النظام الموحدي كان الحاكم يستدعي ولاة الأقاليم إلى العاصمة لمحاسبتهم، وكثيرا ما صادف أن انتقل والي إقليم بنفسه إلى العاصمة للبحث عن حلول لمشاكل إقليمه عند الحاكم، وتمثل مهام ولاة الأقاليم في النظامين نقطة توافق بينهما بحيث تمثلت في تسيير أمر جيش الإقليم، وتقليد القضاة، وجباية الخراج، وإقامة الحدود، والحفاظ على شعائر الدين، وحماية الدعوة والدفاع عنها[1].

ونسجل ضمن هذه النقطة اختلاف في شأن واحد فقط وهو أن ولاة الأقاليم في النظام المرابطي كانوا يعينون كتابا لهم من أبناء الأقاليم، بينما في النظام الموحدي فقد كان الولاة يصطحبون معهم كتابهم من العاصمة[2].

أما عن سياسة نقل الولاة فقد كانت واحدة ومتشابهة في النظامين بحيث إما بعزل الوالي لعمل قام به يخالف تعاليم الحاكم بالعاصمة، أو ينقل لمهام إقليم آخر حتى يتجنب الحاكم نمو فكرة الإستقلال بالإقليم عند ولاة الأقاليم[3] وكنا قد أشرنا إلى هذه النقطة.

أما بالنسبة للوزارة فقد كان لها وجود في كلا النظامين وتوافق النظامين في بعض شؤون الوزارة، كما أنهما اختلفا في بعض شؤونها الأخرى فمن بين الشؤون والخصائص التي توافقت فيها الوزارة عند المرابطين والموحدين هي:

في كلا النظامين لم يكن تعيين الوزير عشوائيا وإنما كان بناءا على صفات وخصائص تؤهله لمنصب الوزير، بحيث كان حكام الدولة المرابطية يعينون الوزراء إما من أقرباء الحاكم أو من القبائل الصنهاجية كلمتونة وصنهاجة، فأول وزير اتخذه يوسف بن تاشفين هو صهره سير بن أبي بكر أعظم زعماء لمتونة[4]، وفي الدولة الموحدية استوزر أيضا الحاكم أقربا ءه وخاصته وبعض أفراد الأسر التي تنتمي للقبائل الموحدية، فقد استوزر عبد المؤمن بن علي أبنا ءه فأول وزير من الأسرة الحاكمة

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 138.
[2]- نفسه، ص 135- 136.
[3]- نفسه ، ص 141- 145.
[4]- ابن السماك: المصدر السابق، ص72

هو عمر بن عبد المؤمن[1]، ويذكر حسن علي حسن أن عبد المؤمن استوزر أبنا ءه لتمكين بني عبد المؤمن من السلطة فتجتمع السلطات العليا بالبلاد في يد أسرة واحدة [2]، وكان هناك بعض الوزراء الذين ينتمون لأسر معينة عرف أفرادها بالوزارة وقبائل لها أفضلية في بلاط الحكم، فنجد في الدولة المرابطية ينتان بن عمر وزيرا ثم ابنه إسحاق بن ينتان بن عمر، ونجد أن أسرة ينتان عرفت بانتساب أفرادها لمنصب الوزارة، ونجد وزراء آخرين ينتمون إلى قبائل معينة إما لمتونة أو جدالة [3]. وبالنسبة للدولة الموحدية نجد بعض الأسر التي عرف أفرادها التردد على منصب الوزارة مثل أسرة ابن جامع وهي أسرة موحدية من أهل الخمسين[4].

وكان هناك أيضا وزراء ينتمون إلى قبائل لها أفضلية في بلاط الحكم وهي القبائل الموحدية ونجد هذا الصنف من الوزراء في قبيلة هنتانة وقبيلة كومية، بحيث تولى في قبيلة هنتانة أبي حفص عمر بن أبي زيد الهنتاني وزارة المنصور الموحدي، وتولى أبي زيد بن يوجان وهو ابن أخ الشيخ أبي حفص زعيم هنتانة وزارة الناصر، كما تولى عبد السلام بن محمد الكومي [5] منصب الوزارة في عهد عبد المؤمن بن علي، وتولى أيضا أبو بكر بن يوسف الكومي منصب الوزارة في عهد يوسف بن عبد المؤمن[6] وكلاهما ينتمي لقبيلة كومية إحدى القبائل الموحدية وفي نفس الوقت قبيلة عبد المؤمن المؤمن بن علي[7]، وهذا ما يعتبر نقطة توافق بين النظامين في شأن الوزارة كما يمكن اعتبار مكانة الوزير عند الحاكم نقطة توافق بين الطرفين بحيث كان الوزير الشخص المقرب من الحاكم والذي يحضر مجلسه عند المرابطين، وعند الموحدين اعتبر الوزير دعما للسلطة وذلك بجعل الوزارة في بعض أفراد الأسرة الحاكمة، ويتخذ وزراء الأسرة الحاكمة بدورهم وزراء يشتغلون تحت سلطتهم، فقد اتخذ الوزير عمر بن المؤمن الوزير أبو العلاء إدريس بن جامع وزيرا في الدولة تحت وزارته، والوزير

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 96.

[2]- نفسه، ص 97.

[3]- نفسه، ص 94.

[4]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 32. ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 238.

[5]- عبد السلام بن محمد الكومي: هو عبد السلام بن محمد الكومي ،كان يدعى المقرب لشدة تقريب عبد المؤمن اياه ،استوزره سنة 553هـ الموافق ل 1158م ،واستمرت وزارته الى ان امر عبد المؤمن بالقبض عليه بتلمسان ،ثم سمم داخل السجن في شهر 557هـ الموافق ل 1161م .انظر: ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص 216، ابن صاحب الصلاة :المصدر السابق ،ص 83.

[6]- أبو بكر يوسف الكومي: لم نتوفق في الوصول الى ترجمته .

[7]- البذق: المصدر السابق، ص 166. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 73.

أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن اتخذ أبا بكر بن يوسف الكومي وزيرا لوزارته مما يوضح لنا أن وزير أسرة الخلافة كان يمثل الرجل الثاني في الدولة بعد الحاكم[1].

ومن نقاط التوافق أيضا في شأن الوزارة اتخاذ وزراء عسكريون أو وزراء ذوي صفات وخصائص عسكرية، بحيث عين علي بن يوسف بن تاشفين ينتان بن عمر وزيرا وقد كان قائدا لفرقةالحشم[2]، وفي الدولة الموحدية قام أيضا يعقوب المنصور بإسناد مهام تنظيم الجيش قبيل معركة الأرك لوزيره أبي يحي بن أبي حفص الهنتاني[3].

إختلطت أيضا في كلا النظامين مهام الوزير بمهام الكاتب مما شكل نقطة توافق بين النظامين، بحيث كان ليوسف بن تاشفين وزيرا وكاتبا في نفس الوقت ومثل هذا المنصب الفقيه أبو محمد عبد الغفور[4]، وفي عهد عبد المؤمن بن علي اختلط منصب الوزير بمنصب الكاتب خصوصا خصوصا في فترة عبد السلام الكومي [5] ويؤكد هذا ابن خلدون في قوله:«... فكانوا أولا يخصون بهذا الإسم الكاتب... كابن عطية وعبد السلام الكومي»[6].

هذا وعلى الرغم من توافق النظامين أيضا في ممارسة الوزير لمهام أخرى غير مهامه، إلا أنهما اختلفا في نوعية المهام الإضافية التي أسندت للوزير في كل نظام بحيث أسند النظام المرابطي لبعض الوزراء إضافة إلى مهامهم النظر في المظالم، ويتضح هذا من خلال ما أورده ابن السماك في كتابه الحلل الموشية في قوله:«... ثم بعد ذلك في آخر مدته استوزر إسحاق بن ينتان بن عمر بن ينتان... وكان يتوقد ذكاءا ونبلا وفهما فأعجب به إعجابا كثيرا وجعل له النظر في المظالم والشكايات فانتفع به الناس في أمورهم وكافة شؤونهم»[7].

---

[1]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 362. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 100.

[2]- حسن علي حسن :المرجع السابق ،ص94

[3]- نفسه، ص 101.

[4]- أبو محمد عبد الغفور: هو ذي الوزارتين أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ،نشا بين يدي ابيه من دولة المعتمد ،كتب لامير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين .انظر: ابن سماك العاملي :المصدر السابق ،ص 141.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق؛ ص 102 .

[6]- ابن خلدون: المقدمة، ص 248.

[7]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 148.

وأما في الدولة الموحدية فقد أسندت إلى الوزراء مهام الإشراف على الشؤون المالية، وكذا الإشراف على العمال والمتصرفين في أموال الدولة، ويؤكد هذا ابن خلدون في قوله:«... فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير... وكان له مع ذلك النظر في الحساب والأشغال المالية...» [1]. وفي عهد يوسف بن عبد المؤمن أسند للوزير أيضا مهام الإشراف على أشغال البناء والتعمير، بحيث أسند للوزير أبي العلاء إدريس مهمة الإشراف على البناء والتعمير على قصور البحيرة بإشبيلية سنة 567هـ الموافق لسنة 1171م[2]. وذكر ابن صاحب الصلاة أن أبو العلاء إدريس التزم بمهامه في البناء أشد الالتزام في قوله:«... وأبو العلاء إدريس الوزير وابنه يحي ملتزمان للخدمة بالجلوس على ذلك من وقت شروق الشمس إلى المساء حتى كمل البناء وانتهى غاية الإنتهاء»[3].

ونقطة الاختلاف الأخرى التي تسجل بين النظامين في شؤون الوزارة هو أن الوزارة في النظام المرابطي انقسمت إلى وزارة عسكرية أسندت مناصبها لقادة عسكريين أشهرهم ينتان بن عمر، ووزارة مدنية أسندت مهامها إلى الفقهاء الذين نالوا حظا وافرا من الثقافة العربية وأشهر هؤلاء مالك بن وهيب، والوزراء المدنيون كان بعضهم مركزيون يقيمون بمراكش، وبعضهم إقليميون تابعون لأمراء الأقاليم كابن الإمام[4] وزير الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين حين كان واليا على غرناطة[5].

أما في الدولة الموحدية فلم يكن هناك تصنيف محدد للوزراء بحيث أطلق لقب الوزير على العديد من الأشخاص الذين أسندت لهم مهام حساسة، فنجد لقب الوزير على من يحمل عبء النشاط العسكري، وعلى من قام بوظيفة الكتابة، وعلى من أشرف على الشؤون المالية، وكذا من أشرف على أشغال البناء والتعمير، وعلى من قام بوظيفة الحجابة [6]، وأطلق على من كان يقوم

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص 248.

[2]- حسين علي حسين: المرجع السابق، ص 103.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 468.

[4]- ابن الإمام: هو علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري من أهل سرقسطة، سكن غرناطة وأخذ عن شيوخها وكان أحد علماء عصره، متفقها محققا من أهل البلاغة والفصاحة والكرم، وكان وزيرا جليلا معظما صاحب معارف ومآثر جمة. أنظر: حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 95.

[5]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 470.

[6]- الحجابة: هذا اللقب كان مخصوصا في الدولتين الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته، وكانت هذه المنزلة يومئذ عن الخطط مرؤوسة لها إذ الوزير متصرف فيها بما يراه، وبمصر مرؤوسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب، وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء. أنظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 248.

بخدمة الخليفة ومداواته، فقد أطلق لقب الوزير على ابن زهر وهو طبيب عبد المؤمن بن علي وأسرته، وأطلق أيضا على الطبيب أبو بكر بن طفيل، وعلى الطبيب أبو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي وهما طبيبا يوسف بن عبد المؤمن[1].

وأهم نقطة اختلاف بين النظامين هو أن المرابطين اتخذوا الوزارة بعد توطيد سلطانهم ببلاد المغرب وأثناء الشروع في التجهيز لدخول الأندلس [2]، بينما الموحدون فالوزارة عندهم صاحبت الدعوة وكانت قبل تأسيس الدولة في شكلها الفعلي دون اتخاذ لقب الوزير، ويتضح هذا في طبقات الموحدين الذين صاحبوا ابن تومرت خاصة طبقة أهل العشرة الذين كانوا بالنسبة لابن تومرت بمثابة الوزراء في علاقتهم به في أمور الدعوة[3].

وما يسجل أيضا من اختلاف أيضا بين النظامين في شأن الوزارة هو أن الدولة المرابطية عرفت في جميع مراحل حكمها وزراء تنفيذ، بحيث أحكم أمراؤها قبضتهم على جميع الأمور وأشرفوا بأنفسهم على أحوال البلاد وما كان من الوزراء إلا تنفيذ الأوامر [4]، بينما في الدولة الموحدية على الرغم من محاولة حكامها تشديد قبضتهم على الأمور إلا أنه ظهر بعض الاستبداد ببعض الأمور من بعض الوزراء والإنفراد بالرأي والتنفيذ، وهذا إما لأن هؤلاء كانوا من أسرة الخلافة وقد أشار إلى هذا ابن صاحب الصلاة في قوله:«... وتوالى استبداد السيد الأعلى أبي حفص على معنى الوزارة والإمارة بإنفاذ الأوامر عن أمره على ما كان عليه عند أبيه من الوزارة في سره وجهره» [5].

وإما أن الخليفة يسيء اختيار وزرائه مثل اختيار محمد الناصر لأبي سعيد بن جامع وزيرا فاستبد بالأمور وأقصى شيوخ الموحدين والأعيان وذوي الحنكة والرأي عن الاتصال بالخليفة،

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 104- 105.

[2]- نفسه، ص 93.

[3]- نفسه، ص 96.

[4]- العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص 158.

[5]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 237.

وحجب عنه الكتب الواردة من الأندلس الحاملة لأخبار أهلها وأحوالهم مما أدى إلى انهزام الدولة الموحدية أمام النصارى في معركة العقاب[1].

أما بالنسبة لوظيفة الحجابة فلم تذكر المصادر التاريخية شيئا عنها في كلا النظامين المرابطي والموحدي، ولم تذكر لنا شخصيات تم توظيفهم في البلاط المرابطي أو البلاط الموحدي بصفة حاجب، وحسب ابن خلدون فإن هذا يعود لنقص دراية البلاط المرابطي والبلاط الموحدي بشؤون الوظائف السلطانية ومراسيمها، إذ يذكر في هذا الصدد ابن خلدون فيقول:«... ثم لم يكن في دول المغرب وإفريقية ذكر لهذا الاسم- أي الحاجب- للبداوة التي كانت فيهم...ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتمييز الخطط وتعيينها بالأسماء إلا آخرا، فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير، فكانوا أولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية وعبد السلام الكومي... ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ»[2].

ويفهم من كلام ابن خلدون أن النظام الموحدي لم يعرف الحجابة كمنصب مستقل، ولكن الوظيفة في معناها كانت من مهام الوزير إذ يؤكد هذا في موضع آخر فيقول:«... ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذاك أغفلت الأمر أولا للبداوة، ثم صارت إلى انتحال الأسماء والألقاب، وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الأمويين وقلدوها في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه، ويقف بالوفود والداخلين إلى السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم والآداب التي تلتزم في الكون بين يديه، ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاؤوا ولم يزل الشأن ذلك إلى هذا العهد»[3].

أما بالنسبة للكتابة فقد عرف النظامين خطة الكتابة لحاجتهما إليها، إذ اعتبرت الكتابة ضرورية في النظام المرابطي لحاجة حكامها إلى من يحرر رسائلهم المتنوعة التي كانوا يبعثون بها إلى

[1]- الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 221.

[2]- نفسه ،نفس الصفحة .

[3]- الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 247- 248.

ولاتهم وقادتهم، كما كانت خطة الكتابة وظيفة فرضت نفسها في البلاط الموحدي حتى يتسنى لحكامها مخاطبة الولاة والقبائل سواء بالمغرب أو الأندلس[1].

عرف كلا النظامين المرابطي والموحدي التزود بكتاب أندلسيين من أهمهم ابن عبدون والذي إشتغل كاتبا للمتوكل بن الأفطس ثم ليوسف بن تاشفين وابن القصيرة والذي إشتغل كاتبا لابن عباد بالأندلس ثم كاتبا ليوسف بن تاشفين [2]. وأما في النظام الموحدي فقد استعان عبد المؤمن بن علي بأبي الحسن بن عياش وهو من أهل قرطبة، واتخذ يعقوب المنصور الكاتب الأندلسي أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عباس من أهل برشانة من أعمال ألمرية واستمر في وظيفته كاتبا للدولة إلى غاية عهد ابنه محمد الناصر [3]، ويعود السبب في استعانة النظامين بكتاب أندلسيين نظرا لما كان يكتسبه هؤلاء الكتاب الأندلسيين من خبرة وثقافة والتفنن في المعارف والتقدم في الآداب والبلاغة[4].

وجعل كلا النظامين المرابطي والموحدي وظيفة الكتابة وظيفة رسمية بالعاصمة مراكش، كما تم السماح بها في الأقاليم بحيث اتخذ ولاة الأقاليم في الدولتين كتابا للإستعانة بهم في تحرير الرسائل وما يتعلق بالأعمال الإدارية[5].

هذه بعض نقاط التوافق التي توصلنا إليها في وظيفة الكتابة بين النظامين، أما نقاط الاختلاف في هذا الشأن هو أن النظام المرابطي لم يتمكن من الاستعانة بكتاب مغاربة بخلاف النظام الموحدي الذي عرف بلاطه بعض الكتاب المغاربة منهم أبو القاسم عبد الرحمن القالمي من أهل بجاية، وأبو محمد عبد الله بن حبل من أهل وهران [6]، وهذا يعود إلى أن الدولة الموحدية في مراحل الدعوة حاولت استقطاب عناصر على قدر من العلم والمعرفة، بينما الدولة المرابطية نشأت في مهد البداوة والجهل مما أدى بها إلى الإعتماد الكلي في هذا الشأن على بلاد الأندلس [7] ويعبر

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 113.

[2]- نفسه، ص 114.

[3]- نفسه، ص 116.

[4]- نفسه ، ص 115- 116.

[5]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 353. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 120.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 200. ابن القطان: المصدر السابق، ص 175.

[7]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 116.

عن هذا صاحب المعجب بقوله:«... ولم يزل أمير المسلمين- أي علي بن يوسف بن تاشفين- من أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته لذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك»[1].

هذا وقد عرف النظامان اختلافات أخرى في إختصاصات الكتاب بحيث كانت وظيفة الكتاب في النظام المرابطي كتابة الرسائل والأوامر الخاصة الصادرة عن الحاكم وإرسالها إلى عمال الدولة وكبار موظفيها وذلك بعد ختمها بختم الحاكم، إضافة إلى صلاحياتهم في الرد على المخاطبات الواردة من خارج بلاد المغرب بعد صدور أمر من الحاكم بذلك[2].

بينما في النظام الموحدي فقد كانت مهام الكتاب تسطير أخبار معارك عبد المؤمن بن علي وأوامره ونصائحه لولاته، وإبلاغهم ببعض القرارات التي كان يتخذها في شكل رسائل رسمية وإلى غاية هذه النقطة يمكن الجزم بتسجيل بعض أوجه التوافق مع مهام كتاب النظام المرابطي، إلا أنه مباشرة بعد عهد عبد المؤمن وحلول عهد ابنه يوسف بن عبد المؤمن فإننا نسجل اختلافا واضحا في شأن الكتابة مقارنة بالنظام المرابطي بحيث حدد يوسف بن عبد المؤمن اختصاصات الكتاب وصنفها إلى:

- كتاب ديوان الإنشاء: ومهامهم كتابة المراسيم السلطانية والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة[3].

- كتاب الجيش: يختصون بكتابة الشؤون العسكرية [4]، كما قام بعض الكتاب بدور المحققين مع العمال الذين يبلغ الحاكم عنهم سوء التصرف في أعمالهم وإسرافهم في أموال الدولة ونلمس هذا فيما أورده ابن صاحب الصلاة في قوله:« أخر محمد بن أبي سعيد المعروف بابن المعلم عن أعمال المخزن بإشبيلية والأندلس وعزله عنها وأمره بالمشي إلى قرطبة لمحاسبته والوقوف

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 173.

[2]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 361.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 119.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

على عمله... وعندما وصل إلى قرطبة جعل لمحاسبته أبو القاسم بن عساكر أحد الكتاب المبرزين في البلاط الموحدي ممن كان يعين أحيانا لمحاسبة المتصرفين في أموال المخزن...»[1].

واختلف أيضا النظامان في العلامة التي اتخذها الكتاب في رسائلهم الرسمية الصادرة عن السلطة الحاكمة بحيث اتخذ كتاب النظام المرابطي علامة الدولة" العظمة لله"، بينما اتخذ الموحدون علامة الدولة" الحمد لله وحده"[2].

نسجل أيضا نقطة توافق أخرى بين النظامين في الاستعانة بالدواوين في تسيير شؤون الدولة، وقد كانت الدواوين في الدولتين تهتم بأمور الدولة حسب اختصاصها الذي حدده ابن خلدون في مقدمته حيث يقول عن الدواوين:«... هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات، وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج، وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم، وصرف أعطياتهم في إباناتها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومه...»[3].

فقد أنشأت الدولة المرابطية الدواوين في عهد يوسف بن تاشفين سنة 464هـ الموافق لسنة 1071م، وفي الدولة الموحدية أنشئت أيضا الدواوين في عهد عبد المؤمن بن علي[4]، كما أن النظامين يتوافقان في أنواع الدواوين المعتمد عليها، فأول ديوان تم إنشاؤه بالنظامين هو ديوان الإنشاء المهتم بالرسائل والغرض منه جعل أقاليم الدولة على صلة مستمرة بالسياسة العليا للبلاد[5].

واتخذ النظامان أيضا ديوانا للجيش، بحيث أنشأ النظام المرابطي ديوان الغنائم ونفقات الجند، وأنشأ النظام الموحدي ديوانا للجيش يتفرع إلى ديوانين هما: ديوان العسكر ووظيفته إحصاء الجند ومعرفة حاجاته، وديوان التمييز وهو شبيه بعملية التمييز عند ابن تومرت، ويمكن تسميته

---

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 453.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 121.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص 250.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 146- 147.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

بالإمتحان وكل من يشك في توحيده يسجل في سجل خاص في العاصمة والنواحي وكثيرا ما كان يستخدم قبل القيام بمعركة من المعارك[1].

كما اهتم النظامان بالدواوين المالية لتسيير شؤون الدولة إلا أنهما اختلفا في تصنيف هذه الدواوين، بحيث أنشأ النظام المرابطي ديوان الضرائب، وديوان الجباية، وديوان مراقبة الدخل والخرج[2]، وأما النظام الموحدي فقد أنشأ ديوان الأعمال المخزنية وهو ديوان واحد مختص بالشؤون المالية في الدولة من تحصيل للأموال العامة وإنفاقها، ومراقبة العمال والمشرفين عليها ومحاسبتهم [3]، وهذا ما يشكل نقطة الاختلاف بين النظامين في الدواوين.

أما إذا انتقلنا إلى البريد فإننا نجد أن نقطة الاختلاف بين النظامين من حيث الشكل، بحيث لم يهتم الحكام المرابطون بالبريد شكلا ولكن كان موجودا من الناحية الفعلية لوجود رسائل متبادلة بين رجال الدولة وحكامها، واستخدم الحكام المرابطون رجالا من القبائل المختلفة في وظيفة البريد[4]، على عكس النظام الموحدي الذي اهتم بوظيفة البريد فقد تم تنظيم البريد في عصر الموحدين بإتقان وشكل سريع وفي الليل والنهار والبر والبحر، وكانت وظيفة حمل الرسائل لا تسند إلا لرجال بمقاييس معينة كالقوة وسرعة الركض، وكان يطلق على صاحب هذه الوظيفة اسم" الرقاص" وكانت هذه الوظيفة تنقسم إلى صنفين الرقاص العادي ورقاص الشرط وهو ساعي البريد المستعجل بتنقله بين المدن على الخيل بمنتهى السرعة، بحيث يجد في كل محطة حصانا مسرجا ينتظره ليتوجه على متنه إلى محطة موالية[5]. وبالتالي فإن اهتمام النظام الموحدي بالبريد يشكل نقطة نقطة اختلاف مع النظام المرابطي الذي لم يوله اهتماما من ناحية الشكل.

أما بالنسبة لوظيفة الشرطة فلم تذكر المصادر التاريخية اهتمام النظام المرابطي بهذه الوظيفة ما عدا بعض ما أشار إليه ابن عبدون في بعض التنظيمات بأن صاحب الشرطة في النظام المرابطي

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 147- 148.
[2]- نفسه، ص 147.
[3]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 623.
[4]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 358.
[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 150.

كان يتخذ عشرة أعوان لمساعدته في تأدية مهامه، وذكر أنه كان إذا زاد عددهم عن العشرة تفسد الأعمال والأحوال[1].

أما النظام الموحدي بخلاف النظام المرابطي فقد اعتنى بوظيفة الشرطة، وكانت وظيفة صاحب الشرطة من المناصب الإدارية الهامة ولا يتقلدها إلا رجالات الموحدين وكبراؤهم حسب ما جاء في مقدمة ابن خلدون:«... وأما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه وإن لم يجعلوها عامة وكان لا يليها إلا رجالات الموحدين وكبراؤهم...»[2].

وقد برز اهتمام النظام الموحدي بهذه الوظيفة في عهد يوسف بن عبد المؤمن بحيث زود المدن المغربية بأحسن الرجال مما أدى إلى التقليل من ظاهرة قطاع الطرق بعد أن ألزم رجال الشرطة بالتجول ليلا في طرقات المدن لحمايتها من اللصوص، وكان رجال الشرطة في النظام الموحدي مسؤولين أمام الحاكم عما يحدث من سرقات، كما خصص للأسواق أيضا رجالا من الشرطة لحمايتها من اللصوص[3].

بالنسبة للجيشين المرابطي والموحدي فمن خلال هذه الدراسة نخلص إلى أنهما توافقا في بعض النقاط واختلفا في العديد منها.

فأول ما نسجله من نقاط اختلاف بين الجيشين هو مرحلة النشأة بحيث نشأ الجيش المرابطي في عهد يوسف بن تاشفين باعتماده على القبيلة الواحدة وهي صنهاجة دون أن يخضع لتنظيمات معينة[4]، بينما الجيش الموحدي نشأ في مرحلة الدعوة وشهد المهدي بن تومرت نشأته وخضع لتنظيمات محددة مباشرة بعد نشأته حيث تم تقسيمه إلى طبقات تمثلت في طبقة الجند، الغزاة، الرماة، بينما القيادة كانت في أيدي أعضاء طبقة العشرة[5].

الجيش المرابطي لم يشهد تنظيمات إلى غاية عهد علي بن يوسف بن تاشفين حيث قسمه إلى قسمين، قسم بالمغرب وقسم بالأندلس تحت قيادة سلطة عليا واحدة هي سلطة علي بن

---

[1]- ابن عبدون: المصدر السابق، ص 17.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 258.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 154- 155.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 296.

[5]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 77- 78.

يوسف بن تاشفين، والجيش الموحدي هو الآخر كان له مركز قيادة عليا بالعاصمة مراكش حيث تتواجد وحدات الجيش تحت سلطة حاكم الدولة، وهذا ما يمكن تسجيله كنقطة توافق بين النظامين من الناحية العسكرية إلا أن الاختلاف في هذه النقطة موجود، بحيث عرف الجيش الموحدي معسكرا أوليا أو مدرسة عسكرية أولية في مرحلة النشأة ومركز قيادة أولي وهو تينملل، بحيث تعتبر تينملل المدرسة العسكرية الأولى التي تخرج منها أوائل أفراد الجيش الموحدي، فهذا لم يعرفه الجيش المرابطي إذ لم تكن له مدرسة عسكرية أولية[1].

توافق النظامان في الشروط المفروضة على الأفراد الملتحقين بالجيش والمتمثلة في الذكورة، والعقل، والحرية، والإسلام، والبلوغ وغيرها مما تشترطه جميع الجيوش الإسلامية، إلا أن النظام الموحدي اختلف على النظام المرابطي في فرضه حفظ صيغة التوحيد على كل فرد يريد الالتحاق بالجيش الموحدي[2].

اختلف أيضا النظامان المرابطي والموحدي من حيث تشكيلة الجيشين، بحيث كانت تشكيلة الجيش المرابطي تشبه إلى حد بعيد تشكيلة الجيوش العربية الإسلامية بحيث تكونت من الجيش النظامي والجند المتطوعة، وقسم الجيش النظامي إلى فرق بحيث ضم الملثمون والعرب والحرس الخاص والحشم [3]، بينما الجيش الموحدي تم تقسيمه إلى ثلاثة أنظمة الجيش النظامي، والجند المتطوعة، ونظام الإقطاع ويقصد به تعيين عدد معين من الجند لعمليات عسكرية معينة، ومباشرة بتولي عبد المؤمن بن علي مقاليد الحكم أحدث عدة تغييرات في تنظيم الجيش بحيث أبقى على النظام القبلي الذي أنشأه المهدي بن تومرت، إلا أنه حوله من أربعة عشر طبقة إلى ثلاث طبقات مع إبقاء مناصب القيادة للقبائل المصمودية السباقة لحماية الدعوة، وجعل قبيلته كومية من بينها بعد قبيلة هرغة- قبيلة المهدي بن تومرت- في الترتيب [4]، وقسم هذه الطبقات إلى أصناف بحيث جعل في الصنف الأول من بقي على قيد الحياة من أصحاب المهدي العشرة، وأما الصنف الثاني فكان يضم مجموع الموحدين من وفاة المهدي بن تومرت إلى موقعة وهران، وأما

[1]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 78- 79.

[2]- نفسه، ص 100.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 298. فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 148.

[4]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي: ص 261.

الصنف الثالث فكان يضم مجموع الموحدين بعد موقعة وهران. وإضافة إلى هذه الأصناف الثلاثة نجد الفرق والمتمثلة في الحرس الخاص، والجند الصقلب، والجند العرب، والأعزاز، والأندلسيون، والجند المرابطون[1]. ما اختلف فيه أيضا الجيش الموحدي عن الجيش المرابطي أنه عرف نظام الرتب بحيث وجدت به عدة رتب منها رتبة الشيخ وتنقسم إلى قسمين رتبة الأشياخ الكبار ورتبة الأشياخ الصغار، ورتبة الوقافون وتنقسم أيضا إلى الوقافون الكبار والوقافون الصغار، ورتبة عامة الجند المغاربة، ورتبة جند قبائل العرب، ورتبة الصبيان[2].

نلمس أيضا اختلافات أخرى بين النظامين في الاهتمام بالجيش، بحيث كان أفراد الجيش المرابطي يسكنون في خيام متقاربة لسهولة الإشراف عليهم، وكان أكلهم يتكون من اللحم المفروم والمجفف عليه بعض الشحم المذاب، وأما شرابهم فكان من اللبن والعسل والسمن المعجون [3]، وأما أفراد الجيش الموحدي فقد سكنوا البنايات العسكرية، وتم جلب طباخين خاصين بالجيش وأكلهم كان يتنوع ما بين اللحوم والعجائن بالدقيق[4].

اهتم المرابطون عسكريا بتشييد الحصون والقلاع بحيث أنشأوا حوالي ثلاثة وعشرون حصنا وقلعة ببلاد المغرب، والعديد من الأبراج والأسوار بالأندلس، بينما الموحدون اهتموا من ناحية العمارة العسكرية بالفنادق، وزيادة على حصون المرابطين التي آلت إليهم شيدوا العديد من الحصون مثل حصون جبل الفتح، وقصبة إشبيلية، وحصن الفرج، وسور فاس وغيرها، وهذا يسجل كنقطة توافق بين النظامين من الناحية العسكرية، إلا أنه هناك اختلاف طفيف في هذه النقطة بحيث ابتكر الموحدون عدة بناءات عسكرية أخرى منها الأبراج البرانية بالمدن الأندلسية، والأسوار المتفرعة، وإنشاء أبواب ذات مرافق مزدوجة وأخرى ذات ثلاث مرافق، ولم يجعلوا للممرات سقفا، إضافة إلى أن المرابط ين أنشأوا ثغورا ولم ينشئها الموحدون لا بالمغرب ولا بالأندلس[5].

---

[1]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 119- 120.

[2]- نفسه، ص 126- 127.

[3]- مجهول: الاستبصار، ص 213.

[4]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 148.

[5]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 188- 195.

وأما نقاط التوافق بين النظامين من الناحية العسكرية فتظهر في اهتمام كل من النظام المرابطي والنظام الموحدي بالجيش بإنشاء ديوان خاص بالجيش، بحيث عرف النظام المرابطي ديوان الجند ويتكون من العطاءات، والنفقات، والإطعام، والسلاح، والمراسلات، وصاحب العلامات، وأنشأ النظام الموحدي ديوان العسكر ويتكون من وزير عسكري، ورئاسة ديوان الجند، ووزير استقبال جند الروم، صاحب الطعام، صاحب العلامات، صاحب المخزن، صاحب ديوان السلاح، ديوان كتاب الجيش، وديوان الرسائل [1]، فقد تكون الديوانين من نفس الموظفين في النظامين ماعدا وزير استقبال جند الروم الذي لم يكن موجودا في ديوان الجند بالنظام المرابطي.

ما يسجل من نقاط توافق بين الجيشين في النظامين المرابطي والموحدي نوعية الأسلحة بحيث كلا الجيشين إهتما بتوفير أسلحة دفاعية وأخرى هجومية، كما اهتم النظامان بإنشاء قواعد عسكرية تتكون من ثكنات ومعسكرات لإسكان الجند والقادة، والإسطبلات للدواب، والمستودعات لحفظ الأسلحة ولوازم الجند، وتحولت هذه القواعد العسكرية بمرور الوقت في النظامين إلى مدن فيها منازل في شكل قواعد عسكرية[2].

ونجد نقطة توافق باختلاف جزئي بين النظامين في أرزاق وأعطيات الجند، بحيث في النظام المرابطي كان جند الجيش النظامي يتقاضون رواتبهم من الديوان، بينما المتطوعون فكانت رواتبهم ليست دائمة بل في أثناء مشاركتهم وتسلم إلى ذويهم بصورة منتظمة، الجيش الموحدي هو الآخر كان يصرف رواتب جند الجيش النظامي من الديوان، لكن الاختلاف كان في أن الأرزاق والأعطيات بالجيش الموحدي كانت حسب الرتبة، فالإقطاعات للأشياخ وباقي الرتب حسب قربهم من السلطان، فأقبرهم 60 مثقالا من الذهب إلى غاية رتبة جندي عادي 6 مثقال ذهب شهرية، إضافة إلى 20 دينارا تصرف على كل جندي من ناحية الملبس والسلاح والنقود في الاحتفالات الرسمية[3].

من التوافقات ذات الاختلاف الجزئي بين الجيشين أيضا ترتيب المعارك، بحيث كان الجيش المرابطي يقوم على أساس خماسي والقائم على المقدمة والمؤخرة والميسرة والميمنة والقلب، الجيش

[1]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 152- 154.

[2]- نفسه، نفس الصفحة. وردة العابد: المرجع السابق، ص 70.

[3]- فتحي زغروت: المرجع السابق ، ص 148- 150.

الموحدي كان يقوم هو الآخر على أساس خماسي وهذا ما يتوافق فيه مع الجيش المرابطي، أما الاختلاف فإنه يكمن في الخطة التربيعية التي ابتكرها عبد المؤمن بن علي بحيث هذا الأساس الخماسي كان يتواجد على أربع جهات في كل جهة أربعة صفوف، وفي قلب المربع يستقر القائد الذي يقود المعركة أو الحاكم[1].

هذا وتوافق النظامان أيضا في اهتمامهما بالأسطول البحري، فعلى الرغم من أن المرابطين ليسوا على علم واسع بفنون الحصار إلا أنهم اهتموا بإنشاء أسطول بحري الغرض منه توفر المواصلات بين المغرب والأندلس ونقل الجند، ومن ثم فإن عدد سفن النقل بالأسطول المرابطي كانت أكثر عددا من سفن القتال، فالسفن الحربية لم تتجاوز مائة سفينة تم توزيعها على جميع قواعد المغرب والأندلس وكانت ألمرية إحدى أكبر القواعد الأندلسية المرابطية[2].

أما اهتمام النظام الموحدي بالأسطول البحري فكان من خلال إنشائه دور جديدة لصناعة السفن وإنشاء مدارس بحرية حربية بالقرب من مراكش بها القوارب والسفن الحربية الصغيرة للتدريب على فنون الحرب البحرية، واعتبرت سبتة المركز الدائم للأسطول الموحدي إضافة إلى تونس ومالقة وقادس، وقد كانت سفن الأسطول الموحدي لا تحصى ولا تعد ومعظم قادة الأسطول الموحدي هم قادةالاسطول المرابطي اعلنوا الطاعة للدعوة الموحدية[3].

وعلى وجه المقارنة حسب ابن خلدون أن الأسطول الموحدي كان أقوى من الأسطول المرابطي، وأكثر تنظيما واعتنى به حكام الدولة الموحدية أشد الإعتناء فقد ذكر ابن خلدون عن الأسطولين المرابطي والموحدي ما يلي:«... فكان قائد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قادس، ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم، وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين جميعا، ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد، وكان قائد أسطولهم أحمد

[1]- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج 2، ص 235. عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، ص 261.

[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 291.

[3]- نفسه ، ص 291- 292.

الصقلي[1]... وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد»[2].

بالنسبة للنظام المالي فليس هناك اختلاف كبير بين نظامي الحكم في الشؤون المالية، ففي بداية أوائل نظامي الحكم فرض حكام الدولتين على الرعية الضرائب حسب أحكام الشريعة مثل الزكاة والأعشار وأخماس الغنائم والجزية [3]، لكن بعد اتساع رقعة الدولتين أضاف كل من الحكام المرابطون والحكام الموحدون نوع جديد من الضرائب، توافقت أسباب فرضها على الرعية واختلفت في الاسم بحيث سماها المرابطون" المعونة للمساهمة في الجهاد" وسماها الموحدون" الضريبة على الأراضي الصالحة للزراعة"[4].

هذا كما فرضت الضرائب في كلا النظامين المرابطي والموحدي على مختلف الصناعات والسلع ومجمل الصادرات والواردات ، وسميت عند المرابطين ضريبة القبلات، أما الموحدون فقد أضافوا إلى مداخيلهم الإستيلاء على أموال الخصوم من النصارى واليهود الذين تم طردهم من بلاد المغرب[5].

عرف النظامان المرابطي والموحدي وظائف مالية في البلاطين كوظيفة المستخلص التي لم تختلف مهام صاحبها في النظامين بحيث كلف صاحبها بجمع أموال الحاكم والإشراف على أملاكه[6]. ووجد بالنظامين اشتغال الكتاب وحتى الوزراء بالشؤون المالية، وقد عرف المشتغلون

---

[1]- أحمد الصقلي: أصله من صد غيار الموطنين بجزيرة جربة من سرويكش، أسره النصارى من سواحلها وربي عندهمن واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك وولي ابنه فأسخطه ببعض النزاعات وخشي على نفسه ولحق بتونس ونزل بها على بني عبد المؤمن، ثم أجاز مراكش فتلقاه يوسف بن عبد المؤمن بالكرامة، وأجزل له العطاء وقلده أمر أساطيله فحقق انتصارات في حروب مع أمم النصارى، وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين، وانتهت أساطيل الموحدين على عهده في الكثرة والإستجادة ما لم تبلغه قبل ولا بعد. أنظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 261.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 222. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 624- 625.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 317. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 624- 625.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 200. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج 2، ص 57.

[6]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 318. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 624.

بالشؤون المالية في النظامين المرابطي والموحدي المراقبة الشديدة من الحكام، فإذا اعتزل العامل الخدمة حاسبوه فإذا وجدوا تقصيرا سجنوه وصادروا أمواله، وقد تنوعت مصادر الدخل في النظامين وتمثلت في الخراج، الزكاة، الضرائب المختلفة، الغنيمة والمصادرات[1].

ومن نقاط التوافق بين النظامين في السياسة المالية أوجه النفقات بحيث تشابهت أوجه النفقات في النظامين، وتمثلت بشكل أساسي في الجيش مرتبات موظفي القصر، الإنشاء والتعمير، نفقات الأمراء والقادة المعزولين خاصة الأندلسيين، نفقات لعامة الشعب لكسب الود والرضا خاصة أثناء اعتلاء العرش، معونات النجدة والإغاثة، المنح، والعطايا والمكافآت وغيرها من النفقات المتنوعة التي تفرض نفسها بشكل أو بآخر[2].

ومن نقاط الاختلاف بين النظامين في السياسة المالية هو أن الحكام المرابطون استخدموا الروم في جباية الأموال وقد ذكر هذا بعض المصادر فابن السماك العاملي يقول:«... وهو أول من استعمل الروم- علي بن يوسف بن تاشفين- بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم». بينما استعمل الحكام الموحدون عمالا مغاربة في جباية الأموال [3]، ويتضح ذلك من خلال اشتغال الوزراء والكتاب بالأعمال المالية بمساعدة الأمناء، ولم يعرف عن النظام الموحدي أنه عرف وزراء روم وإفرنج، وفي هذا الصدد يذكر البي ذق ما يلي:«... وأرسل الأمناء مع الوزير وكان وا يضمون للمخزن... ما كان من الحلي والسلاح وما كان بالمدينة كلها رفع للمخزن...»[4].

هذه أهم نقاط التوافق في النظام المالي بالمغرب في عصري المرابطين والموحدين، أما نقاط الاختلاف فنبدأها بداية بتعدد الوظائف المالية في النظام الموحدي، بحيث وجد منصب صاحب الأشغال وهو برتبة وزير مسؤول عن الشؤون المالية في الدولة، وكان لابد أن يكون من الموحدين وقد أشار إليه ابن خلدون في قوله:«... فكان صاحبها- الأموال والخراج- إنما يكون من

---

[1]- حسين علي حسن: المرجع السابق، ص 191- 207.

[2]- نفسه، ص 220- 225.

[3]- ابن السماك العاملي: الحلل، ص 149. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 296.

[4]- البيذق: المصدر السابق، ص 66.

الموحدين يشتغل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الأشغال»[1].

وديوان الأعمال المخزنية المشرفون وهم بمثابة المساعدين لصاحب ديوان الأعمال المخزنية، ولكل مشرف مجموعة عمال تحت سلطته منهم خازن المال، خازن الطعام وغيرهم، ومتولى المجابي[2].

هذا ونقطة الاختلاف الأخرى التي نحددها بين النظامين في شأن النظام المالي هي العملة، بحيث عرف النظام المرابطي الدينار الذهبي كعملة رئيسية للدولة كما عرف العملة الفضية، والدرهم الفضي، وعملة أخرى من فئة صنف الدرهم تسمى الجروبة Algorobo[3]. وقد عرف أيضا النظام الموحدي الدينار الذهبي والدرهم إلا أن الاختلاف الموجود هو في شكل العملة وتحولها، إذ عرف المرابطون عدة أشكال في العملة قبل استقرارهم على شكل واحد، فأول عملة تم سكها كانت سنة 464هـ الموافق لسنة 1071م على يد يوسف بن تاشفين إلا أنه نقش عليها اسم أبو بكر بن عمر كونه الأمير الشرعي لحكم الدولة، ثم بعد توليه السلطة بشكل رسمي أصدر عملة جديدة مدورة الشكل كتب عليها اسمه وذلك في سنة 473هـ/ 1080م، ثم في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ومن بعده صارت العملة تحمل أسماء أمراء الدولة على وجه وعلى الوجه الآخر لقب الأمير عبد الله العباسي لإعترافهم بالخلافة العباسية، إضافة إلى نقش عليها في محيطها فيه" لا اله إلا الله ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" مع ذكر تاريخ ضربه ومكانه[4]، وأما من ناحية الوزن فقد بلغ وزن العملة المرابطية حوالي أربع غرامات أي حوالي 3.960 غراما[5].

أما العملة الموحدية فهي أيضا كانت كما أشرنا دينارا ودرهما إلا أن شكلها كان مربعا في الدرهم أما الدينار فكان دائريا ويرسم بداخله مربعا، ويذكر أن شكل العملة تحدد في حياة المهدي

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص 252.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 187.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 320.

[4]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 22- 46. الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 32.
Nevill Barbour : Morocco, London, 1965, p 59- 60.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 227.

بن تومرت إلا أنه لم يقم بسك العملة حسب ما تذكر المراجع لعدم استباب أمر الموحدين، ويؤكد ابن خلدون تحديد ابن تومرت لشكل العملة في قوله:«... ولما جاءت دولة الموحدين لكان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل، وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ من أحد الجانبين تهليلا وتحميدا، ومن الجانب الآخر كتب في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد، ولقد كان المهدي فيما ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع، نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله، المخبرون في ملاحمهم عن دولته...»[1].

أما أول عملة فقد تم سكها في عهد عبد المؤمن بن علي وسميت بالعملة المؤمنية، كان ينقش في أحد وجهيها" الله ربنا، محمد رسولنا، المهدي إمامنا"، وفي الوجه الثاني" لا اله إلا الله، الأمر كله لله، ولا قوة إلا بالله" دون ذكر تاريخ ومكان سكها، وقد أطلق على العملة الموحدية أسماء الحكام الذين يتم سك العملة في فترة حكمهم، فنجد غير المؤمنية العملة اليوسفية نسبة ليوسف بن عبد المؤمن، واليعقوبية نسبة ليعقوب المنصور وغيرها، وأما وزن العملة الموحدية فلم يتعد الوزن الشرعي وهو 4.729 غراما[2].

هذا ونجد نقطة اختلاف أخرى في دور سك العملة بحيث تعددت دور سك العملة في عصر المرابطين فنجدها منتشرة بأغمات وتلمسان وسجلماسة ومراكش وتادلة وسبتة وغرناطة، بينما في عصر الموحدين فقد كانت قليلة جدا، فلم تكن هناك إلا دار سكة بالعاصمة مراكش ودارين بفاس جمعهما محمد الناصر في دار واحدة[3].

ومما سبق ذكره يمكن القول أنه ليس هناك اختلاف كبير في النظام المالي بنظامي الحكم، وما وجدت من اختلافات هي طفيفة ولا تلغي التوافق الكبير بينهما في النظام المالي من حيث المداخيل والنفقات والوظائف المالية وحتى العملة.

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص 267- 268.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 228- 229.

[3]- نفسه ، ص 226.

أما بالنسبة للقضاء فقد اهتم كلا النظامين بالقضاء لما له من أهمية على علاقة الرعية بالحاكم في مسألة إقرار العدل والمساواة، وقد استند النظام المرابطي في القضاء إلى النظام القضائي الأندلسي، بحيث فصل الحكام المرابطون بين السلطة الإدارية والقضائية، كما أنهم استعانوا في خططهم القضائية بالعديد من النظم القضائية الأموية وقاموا بتطبيقها بالمغرب والأندلس[1].

وقد توافق النظام الموحدي مع النظام المرابطي في العديد من الخصائص ضمن النظم القضائية، إلا أن الحكام الموحدين قد أحاطوا النظام القضائي بنوع من التقديس والإجلال بحيث كان الحكام أنفسهم يقومون بتعيين كبار القضاة[2].

ونسجل توافقا بين النظامين أيضا في الاستعانة بقضاة مغاربة، بحيث تولى قضاء مراكش في عهد علي بن يوسف بن تاشفين موسى بن حماد الصنهاجي وهو مغربي الأصل [3]، وتولى أحد أبناء تينملل القضاء في عهد الموحدين وهو القاضي أبو عمران موسى[4].

كما توافق أيضا النظامان في الاستعانة بقضاة أندلسيين في فترات مختلفة وتقليدهم مناصب قاضي الجماعة مثل أبي القاسم أحمد بن محمد بن بقي من أهل قرطبة وتقلد منصب قاضي الجماعة بمراكش في النظام المرابطي[5]، وأبو جعفر أحمد بن مضاء من أهل قرطبة أيضا تقلد منصب قاضي الجماعة في مراكش في عهد يوسف بن عبد المؤمن [6]، ولم يستعن حكام الدولتين بقضاة من خارج المغرب والأندلس إلا في حالة استثنائية في عهد يعقوب المنصور الموحدي الذي ولى أحد المصريين القضاء[7].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 157.

[2]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 628.

[3]- الضبي: بغية الملتمس، ص 441.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 224.

[5]- النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص 117.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 247.

[7]- ولى الحاكم الموحدي يعقوب المنصور المصري أبو المكارم منصب القضاء ليس ايتغناءا عن قضاة المغرب والأندلس وإنما لإعجابه به لما كان للرجل من العلم والمعرفة بأصول الفقه والحديث، فأراد يعقوب المنصور إفادة الناس بعلمه بتوليته منصب القضاء، اسمه الكامل هو هبة الله ابن الحسن المصري ويذكره ابن القاضي في قوله:«... كان قدوم أبي المكارم خوفا من صلاح الدين الأيوبي، ولي قضاء مدينة فاس، ثم استصحبه المنصور معه في غزوه لإفريقية الثانية، وولاه حينئذ قضاء تونس وتوفي وهو يتولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة». أنظر: ابن القاضي: المصدر السابق، ص 334. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 159.

وقد تشابه النظامان في مهام قاضي الجماعة، وقد كان في كل نظام من النظامين قاضيان للجماعة قاضي بالمغرب يتواجد بالعاصمة وقاضي بالأندلس يتواجد بقرطبة، وكان لقب قاضي الجماعة موازيا للقب قاضي القضاة بالمشرق [1] وهذا حسب تفسير النباهي في قوله:«... وإضافة لفظ القضاء إلى الجماعة جرى التزامه بالأندلس منذ سنين إلى هذا العهد والظاهر أن المراد بالجماعة جماعة القضاة، إذ كانت ولايتهم من قبل غالبا من قبل القاضي بالحضرة السلطانية كائنا من كان فبقي الرسم كذلك»[2].

توافق النظامان أيضا في شأن صفات القضاة بحيث عمل كل نظام على تقليد منصب القاضي للأشخاص الذين تتوفر فيهم صفة القاضي التي حددها الماوردي [3]، وقد شغل هذا المنصب في النظامين أشخاص تتوفر فيهم هذه الصفات، إذ حرص المرابطون على اختيار أكابر العلماء والفقهاء لتقليدهم هذا المنصب مثل القاضي موسى بن حماد الصنهاجي سنة 535هـ/ 1140م الذي يصفه ابن بشكوال بقوله:« كان فقيها حافظا للرأي، عا لما بالمسائل والأحكام، مقدما في معرفتها، وكان من جلة القضاة في وقته، واشتهر بالفضل والعدل في أحكامه» [4]، وابن مضاء قاضي الدولة الموحدية سنة 592هـ/ 1195م تصفه المصادر بأنه كان فقيها محدثا وإماما في النحو[5].

ونسجل أيضا نقطة تشابه بين النظامين في شأن القضاء في جانب توليه القضاة، بحيث كان حكام الدولتين المرابطية والموحدية يقومون بتعيين قضاة الجماعة وقضاة المدن الكبرى، أما قضاة المدن العادية فقد كانت من صلاحيات أمراء الأقاليم، وكان حكام الدولتين يعتمدون في تعيين القضاة على العلماء والفقهاء فإذا أجمع أربعة فقهاء على شخص معين تم إصدار أمر الحاكم بتعيينه قاضيا للجماعة أو لمدينة من المدن الكبرى[6].

---

[1]- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص 140.

[2]- النباهي: المصدر السابق، ص 21.

[3]- حدد الماوردي صفة القاضي بالعقل والحرية والإسلام والعدل وسلامة السمع والبصر والعلم بالأحكام الشرعية. أنظر: محمد بن حبيب الماوردي: الأحكام السلطانية،تح: أحمد مبارك البغدادي ،ط1،مكتبة دار ابن قتيبة ،الكويت ،1989، ص 65- 66.

[4]- ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص 579- 580.

[5]- الضبي: بغية الملتمس، ص 193.

[6]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 162.

هذا وقد مارس قضاة الدولتين مهامهم في المسجد بحيث مثل المسجد في كلا النظامين مجلس الحكم والتقاضي، ولم يعرف عن أي نظام سواء النظام المرابطي أو الموحدي أنه وضع مجلسا خاصا للقضاء من غير المسجد ويعبر عن ذلك النباهي بقوله:« وكان قعود القاضي أبي عبد الله المذكور لتنفيذ الأحكام بالمسجد المذكور من داخل مالقة»[1].

ومن نقاط التوافق أيضا بين النظامين انه كان للقاضي أعوان وهم مجموعة حجاب وكتاب مكلفون بالإشراف على سير الدعاوي، وكتابة الشروط ويطلق عليهم الموثوقون[2]، فنذكر من هؤلاء الأعوان في العهد المرابطي أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن المقري الصنهاجي سنة 529هـ/ 1183م الذي كان عونا موثقا لقاضي سلا[3]، ومن الأعوان في العهد الموحدي نذكر علي بن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله الأنصاري والذي استوطن سبتة بعد مجيئه من الجزيرة الخضراء وعمل عونا موثقا لقاضي سبتة أبي موسى عمران بن عمران[4].

ومن نقاط التشابه بين النظامين أنه رغم قيام القاضي بمهامه التي سطرها الماوردي [5] فقد أضيف للقاضي في عصري المرابطين والموحدين مهام أخرى، واختلفت المهام الإضافية التي أسندت للقاضي في النظامين بحسب الحاجة التي أدت لذلك، ففي عصر المرابطين كثيرا ما تولى قاضي الجماعة بالعامة تعيين غيره من القضاة بحيث نجد أبو منظور قاضي الجماعة بمراكش يعين القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن [6] قاضيا على سلا[7]، ولم يذكر هذا في النظام الموحدي الذي

---

[1]- النباهي: المصدر السابق، ص 100.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 164.

[3]- ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص 321- 322.

[4]- نفسه، ص 305.

[5]- حدد الماوردي مهام القاضي في: الفصل في المنازعات وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، والحجر على السفهاء والمجانين، والإشراف على الأوقاف والأحباس، الإشراف على تنفيذ الوصايا، إقامة الحدود، الإشراف على الآداب العامة في الطرقات، الإشراف على معاونيه بمعاونته في تأدية وظيفته. أنظر: الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 70- 713.

[6]- هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن: من أهل سبتة متوفى سنة 510هـ/ 1117م. أنظر: ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ص 261.

[7]- نفسه، نفس الصفحة.

أوكل للقاضي صلاحية الإشراف على بيت المال كالقاضي ابن صقر الذي كان مسؤولا عن بيت المال في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[1]، وهذا ما يسجل كنقطة اختلاف بين النظامين.

وأما المهام الإضافية التي أسندت للقاضي في كلا النظامين المرابطي والموحدي هي الإشراف على بعض أعمال البناء، بحيث أمر يوسف بن تاشفين القاضي محمد بن عيسى بناء جامع سبتة سنة 491هـ الموافق لسنة 1097م، وبناء سور الميناء السفلي لسبتة على يد القاضي إبراهيم بن أحمد في عهد يوسف بن تاشفين [2]. وفي النظام الموحدي نجد يوسف بن عبد المؤمن يأمر قاضيه أبو القاسم أحمد بن محمد الكوفي أن يختط له ما يتصل بالقصور والمباني التي أزمع بناءها بإشبيلية سنة 567هـ/ 1171م ليغرس فيها أشجار الزيتون والأعناب[3].

هذا وقد كان من المهام الإضافية التي أسندت للقاضي في النظام الموحدي لم تسند إليه في النظام المرابطي صلاحية القضاة في مراقبة جميع العمال والولاة وإلزامهم بالخضوع لأوامرهم[4].

ومن خلال دراستنا للقضاء في النظامين المرابطي والموحدي فإننا سجلنا نقاط التوافق بينهما أكثر من نقاط الاختلاف، فنقاط الاختلاف بينهما قليلة ولا نجدها إلا في بعض جوانب خطط القضاء، بحيث اختلف المرابطون عن الموحدين في إضافتهم لخطة قاضي قضاة الشرق ويقصد به قاضي قضاة شرق الأندلس [5]، كما أنهم أنشؤوا خططا قضائية حسب طبقات المجتمع بحيث كان بالنظام المرابطي في القضاء خطة الأشراف ومهامها الفصل في المنازعات بين أشراف القوم[6]، وخطة صاحب الأحكام للفصل في المنازعات بين عامة الناس، وقاضي خاص بطبقة الصناع[7]، وخطة الشورى لمشاورة الفقهاء وعددهم يكون أربعة قبل إصدار الحكم لجميع القضاة باختلاف الطبقات الاجتماعية التي يتولون الفصل في منازعات أصحابها [8]، كما أنشؤوا خطة

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 167.

[2]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص 58.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 465- 466.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 166.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 288.

[6]- ابن خاقان: قلائد العقيان ، ص 180.

[7]- ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص 24.

[8]- نفسه: ص 9.

إضافية قضائية صغيرة تعطي للقاضي صلاحيات في تعيين فقيه بحي أو قرية للفصل في النزاعات وإصدار الأحكام نيابة عنه وبتفويض منه، كما أنش ؤوا خطة للقضاء العسكري فلم يكن بالنظام المرابطي فصل في المنازعات بين الجند مع عامة الناس، بينما أهل الذمة كانوا يخضعون لقاضي من أهل ديانتهم فإذا كان في النزاع طرفين طرف مسلم وطرف ذمي يخضع لقضاء الإسلام[1].

بينما خطط القضاء في النظام الموحدي اختلفت عن النظام المرابطي، فلم ينشئ الموحدون خططا قضائية بحسب طبقات المجتمع وإنما خططهم القضائية كانت بحسب الميادين التي تكثر فيها المنازعات، مثل خطة المواريث والتي أنشئت للعناية الدقيقة بالمواريث حتى يتم الفصل في منازعات الميراث بحكمة وفق الأحكام الشرعية، وخطة حسب ة السوق لضبط صحة الموازين والمكاييل، والفصل في المنازعات بين البائع والمشتري في شأن الغش في الموازين والمكاييل، وضبط معاملات البيع والشراء داخل المجتمع الموحدي[2].

هذا وقد أنشأ الموحدون خطتين في القضاء بنفس المهام وهما خطة الشورى والتي كان يقوم بها أحد الفقهاء ويسمى الفقيه المشاور أو ولي خطة الشورى، ومهامه إبداء رأيه في الفتاوى ومسائل الأحكام، وخطة الأحكام ولصاحبها نفس المهام في الإطلاع على الفتاوى ومسائل الأحكام وإبداء رأيه بها[3].

هذا وقد أضيف لخطط القضاء في النظام الموحدي منصب" متولي شؤون طلبة الحضر" وهو أحد المناصب الدينية والعلمية القيمة [4]، وذلك حتى يمكنهم تخريج قضاة ذو ي كفاءة من مدرسة الحفاظ، ومن هؤلاء أحمد بن عبد الرحمن بن محمد إذ يقول صاحب الإعلام عنه:«... ولما تصير الأمر للموحدين ألحقه عبد المؤمن بجملة طلبة العلم وتحضر به وقدمه إلى الأحكام بحضرة مراكش، فقام بها مرة ثم ولاه قضاء غرناطة ثم نقله إلى إشبيلية قاضيا»[5].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 191- 192.

[2]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الإسلام، ع 3، ق 2، ص 628- 629.

[3]- نفسه، ص 628- 629.

[4]- نفسه، ص 630.

[5]- عباس المراكشي: الإعلام، ج 1، ص 228.

اهتم كل من النظام المرابطي والنظام الموحدي إضافة إلى القضاء بالمظالم، بحيث نسجل توافقا بين النظامين في اهتمام حكام الدولتين بالمظالم إلا أننا نسجل اختلافا من حيث معالجتها من طرف الحاكم بصفته الشخصية أو إسنادها إلى أحد الأمراء أو قاضي الجماعة أو إلى الوزراء، فيذكر ابن الخطيب كيف كان تاشفين بن علي بن يوسف ينظر في المظالم بنفسه أثناء فترة ولايته على غرناطة فيقول:«... وواصل الجلوس للنظر في الظلمات وقراءة الرقاع ورد الجواب وكتب التوقيعات[1]». كما أسندت مهام النظر في المظالم إلى إسحاق بن ينتان بن عمر وزير علي بن يوسف بن تاشفين [2] ومن ثم يمكننا القول أن النظر في المظالم في النظام المرابطي كان من مهام الأمراء والوزراء، بينما في النظام الموحدي كان حكام الدولة الموحدية ينظرون في المظالم بصفتهم الشخصية بحيث كانوا يحددون أياما معلومة من الأسبوع يجلسون فيها إلى الرعية للنظر في ظلماتهم، فعبد المؤمن بن علي حين توجه لجبل طارق سنة 555هـ الموافق لسنة 1190م لم يتوقف يوما عن النظر في مظالم الناس طيلة مدة تواجده بجبل طارق والتي حددت بشهرين، وكان أيضا يعقوب المنصور يمارس بنفسه هذه المهام ويجلس للعامة ولا يحجب عنه أحدا من صغير ولا كبير[3].

أما بالنسبة للحسبة فالنظام المرابطي لم يذكر انه اهتم بالحسبة ماعدا فيما كان في مرحلة الدعوة من طرف عبد الله بن ياسين وهذا ما توصلنا إليه من اختلاف مع النظام الموحدي[4]، بحيث سلط النظام الموحدي اهتماما بالغا على الحسبة بحيث صاحبت الدعوة هي الأخرى واستمرت في نظام الدولة بحيث مارسها بعض حكام الدولة بصفتهم الشخصية حسب ما ذكره صاحب المعجب في محاسبة يعقوب المنصور أمناء الأسواق حيث يقول:«... وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم»[5].

ووجدت أيضا في النظام الموحدي وظيفة المحتسب وقد شملت وظيفته نوعين من المهام، مهام تتصل بالنواحي الدينية كأمر العامة بالصلوات الخمس وإقامة صلاة الجمعة والجماعة، ومهام

[1]- ابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص 458.

[2]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص148.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 173- 174.

[4]- نفسه، ص 177.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 285.

تتصل بالنواحي الدنيوية مثل ما يتعلق بمراقبة الحمامات ، ومراقبة النساء في الأفراح والمآتم والجبانات، وتأديب المجاهرين بالمحرمات كشرب الخمر وإقامة المنكرات، ومنها مراقبة الموازين والمكاييل إضافة إلى الإشراف على التعليم والمعلمين، وحتى يسهل على المحتسب ممارسة مهامه فقد منحه كل الصلاحيات والسلطة في معاقبة المذنبين[1].

بالنسبة للعلاقات الخارجية فالحكام في النظامين المرابطي والموحدي كانوا حرصين جدا على إثبات قوة الدولة بتفعيل العلاقات الخارجية والإجتهاد في التخطيط لسياسة الدولة الخارجية، واقتسمت علاقة النظامين حسب تصنيفنا لها إلى قسمين: قسم خاص بالعلاقات الخارجية مع الإمارات الإسلامية ومثل هذا القسم عند المرابطين النظام العباسي في المشرق وكانت علاقتهم به علاقة ودية نتيجة إعتراف النظام المرابطي بشرعية الخلافة في النظام العباسي ولم تتجاوزه [2]، كما مثله أيضا النظام الحمادي بشرق المغرب الأوسط وقد كانت العلاقات بين النظامين متأرجحة ما بين الودية مرة والمتوترة أحيانا، إذ كثيرا ما حدثت مناوشات بينهما نتيجة السياسة التوسعية للمرابطين[3] وقد وصلت في بعض الأحيان إلى التوتر الحاد بين النظامين، بحيث عمد الحماديون إلى استقبال ملوك الطوائف وتوفير الحماية لهم نكاية في المرابطين، لكن هذا لم يؤد إلى وقوع صدام مسلح بين النظامين[4].

هذا وقد كان هناك نظام آخر مثل الإمارات الإسلامية وهو نظام بني زيري بإفريقية، وعلاقته بالنظام المرابطي كانت شبه منقطعة إلا في ما أوردته المصادر عن استعانة بن زيري بالأسطول المرابطي في مواجهة خطر النورمنديين[5].

وانطلاقا من هذا فإن العلاقات المرابطية الإسلامية تأرجحت بين التوتر والود، وهذا ما يسجل كنقطة اختلاف مع النظام الموحدي حيث مثل المشرق الإسلامي في فترة النظام الموحدي الأيوبيين أو النظام الأيوبي ومقره بمصر وكانت العلاقة بين الطرفين عدائية.

---

[1]- حسن علي حسن :المرجع السابق ،ص180

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 235.

[3]- نفسه، ص 230.

[4]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، ص 82. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 108.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 220.

وتمثلت فيما أوردناه سابقا عن أعمال قراقوش بإفريقية وبلاد المغرب، ثم في إمتناع الحاكم الموحدي أبو يعقوب المنصور على تلبية طلب النجدة من الحاكم الأيوبي صلاح الدين، وفي هذا الشأن تذكر بعض المصادر والمراجع أنه امتنع عن إجابته ليس ردا على أعمال قراقوش وإنما استغاثة صلاح الدين جاءت في ظروف غير مناسبة للدولة الموحدية وهي تواجه خطرين في نفس الوقت: خطر بني غانية بإفريقية وخطر النصارى ببلاد المغرب [1]. أما ابن خلدون فيذكر أن السبب في عدم استجابة الحاكم الموحدي لنداء الاستغاثة الصادر عن الحاكم الأيوبي هو عدم إعتراف الحاكم الأيوبي بخلافة الحاكم الموحدي، وعدم خطابه له في كتابه بلقب" أمير المؤمنين" إذ يذكر ابن خلدون ما يلي في هذا الشأن فيقول:«... فبعث ...إلى ملك المغرب طالبا مدد الأساطيل لتجول في البحرين أساطيل الأجانب وبين مرامهم من إمداد النصرانية بثغور الشام وأصحبه كتاب إليه في ذلك من إنشاء البيساني يقول في إفتتاحه: فتح الله لسيدنا أبواب المناجح والميامين... فنقم عليهم المنصور يجافيهم عن خطابه بأمير المؤمنين وأسرها في نفسه، وحملهم على مناهج البر والكرامة، وردهم إلى مرسلهم ولم يجبه إلى حاجته من ذلك» [2].

ومثلت الدولة الحمادية والزيرية لفترة وجيزة في عصر الموحدين جزءا من الإمارات الإسلامية في إفريقية وشرق المغرب والأوسط، وقد كانت علاقة هذه الإمارات بالنظام الموحدي علاقة عدائية انتهت بضم هذا الجزء إلى أراضي الدولة الموحدية بعد الصدام المسلح بين الطرفين وخاصة بعد استغاثة أهالي المهدية بإفريقية بعبد المؤمن بن علي من خطر النورمان الصقليين على مدينتهم، فمن أجل إنقاذ إفريقية من هذا الخطر كان لابد من ضم أراضي الدولة الحمادية إما سلما أو حربا [3]، وكان الضم بالحرب كما سبق أن أشرنا مما يوضح عدائية العلاقة بين النظام الموحدي والنظام الحمادي.

وانطلاقا مما سبق ذكره فإن علاقة النظام الموحدي مع الإمارات الإسلامية كانت عدائية بخلاف النظام المرابطي الذي تأرجحت علاقاته في هذا الجانب ما بين الود تارة والتوتر تارة أخرى ولم تعرف العداء على الإطلاق.

---

[1]- الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 181. إبتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص 164.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 262.

[3]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 202- 203.

إلاّ أنه في جانب العلاقات مع الإمارات النصرانية فنسجل نقطة تشابه بين النظامين، بحيث امتازت علاقة الإمارات النصرانية مع النظامين المرابطي والموحدي بالعداء لطول الوقت، إذ كان للنظام المرابطي علاقة عداء مع إمارة قشتالة وأراغون بسبب إغتصابهما لأراضي المسلمين بالأندلس[1]، وتميزت بالعداء مع مملكة البرتغال وقطلونية لمحاولة النظام المرابطي ضم أراضي المملكتين للأراضي الإسلامية بالأندلس[2].

وفي النظام الموحدي اتصفت العلاقات أيضا مع الإمارات النصرانية بالعداء الشديد، بحيث كانت عدائية لطيلة الوقت مع مملكتي أراغون وقشتالة[3] وحتى مع مملكة ليون، إلا بعض معاهدات الصلح في بعض الفترات التي أجبر النظام الموحدي على عقدها للصلح سنة 563هـ الموافق لسنة 1168م وقد أشرنا إلى هذا سابقا وإلى الظروف التي ساهمت في إبرام هذه المعاهدات[4]، فالواجب الديني ومسؤولية الجهاد في الأندلس وحماية الأراضي الإسلامية من الإعتداءات النصرانية كان سببا قويا ومقنعا فكلا النظامين في تميز علاقتهما بالعداء المطلق مع الإمارات النصرانية.

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 156.

[2]- نفسه، ص 211- 212.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 239.

[4]- نفسه، ص 305- 306.

الفصل الثالث

المقارنة في انعكاسات نظامي الحكم

1 – الانعكاسات السياسية والعسكرية :

كان لنظامي الحكم المرابطي والموحدي ببلاد المغرب انعكاسات سياسية وعسكرية على الصعيدين الداخلي والخارجي منها الاجابية ومنها السلبية ومنها، ومنها ماكانت في العصور الأولى للنظامين إيجابية لكنها بمرور الوقت وتغير الأفراد في المناصب صارت سلبية وعادت على النظامين بالتفكك في اجهزة الدولة السياسية والعسكرية كما سيأتي .

أ –الدولة المرابطية:

أ– 1– الحركات المناوئة لنظام الحكم المرابطي:

❖ في المغرب:

– **حركة فاس:** تزامن ظهور هذه الحركة مع وفاة يوسف بن تاشفين وتولي ابنه علي الحكم، والذي كتب إلى مختلف امصار المغرب والأندلس يبلغهم بوفاة أبيه وتوليه الحكم ويطلب من ولاتها أخذ البيعة له، وقد تسلم البيعة من سائر البلاد ماعدا مدينة فاس التي كانت تحت سلطة يحي بن أبي بكر حفيد يوسف بن تاشفين وابن أخ علي بن يوسف، وقد رفض أداء البيعة لعمه وأعلن التمرد والعصيان وخروجه على طاعة أمير المسلمين ووافقته الرأي جماعة من قادة لمتونة ممن كانوا معه بفاس[1] .

وامتناع يحي بن أبي بكر من أداء البيعة فقد أدى بعلي بن يوسف إلى إعداد قوة عسكرية والتحرك نحو فاس، فلما علم يحي بذلك ولى الأدبار ولم يحرك جيشه للقاء عمه، وقد نزل علي بن يوسف بمغيلة الواقعة على الطريق المؤدية إلى فاس، ثم كتب لابن أخيه يعاتبه ويدعوه للطاعة وأداء البيعة له، كما كتب إلى فقهاء فاس وشيوخها يحذرهم من العصيا ن ويدعوهم للطاعة، إلا أن كتاب علي بن يوسف إلى الفقهاء وقع بيد يحي الذي لم يسلمهم إياه مخافة استجابتهم لأوامر أمير الدولة، فرأى أن يجمعهم ويستشيرهم في الأمر، وقد عرض عليهم مواجهة عمه والدفاع عن

[1]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 129.

المدينة لكنهم عارضوه في الفكرة وأقنعوه بالتخلي عنها لأن أهل فاس غير راضين على العصيان ويؤيدون يوسف بن تاشفين ويبذلون له الولاء والطاعة[1].

اقتنع يحي بآراء الفقهاء ورأى استحالة نجاح حركته ما دام أهل فاس يقفون ضده، فقرر ترك مدينة فاس واتجه نحو تلمسان حيث استنجد بواليها مزدلي الذي لقيه عند واد ملوية إذ كان هو الآخر في طريقه إلى المغرب الأقصى لتقديم بيعته إلى علي بن يوسف، فطلب منه أن يتشفع له عند عمه فوعده والي تلمسان بالسعي في الأمر[2].

وفعلا فقد قابل والي تلمسان مزدلي الأمير وبايعه وهو لا يزال بفاس التي دخلها في الأربعاء الثامن من ربيع الآخر 500هـ الموافق ل 1106م[3]، وتشفع ليحي عند الأمير الذي قبل شفاعته وعفا عن ابن أخيه فبادر يحي بمبايعة عمه وإعلان الولاء، لكن الأمير علي بن يوسف لم يعده إلى منصبه كوالي على فاس وإنما عرض عليه إما الإقامة بميورقة أو الصحراء [4] فاختار الصحراء[5]، وبهذا تم القضاء على هذه الحركة المناوئة لحكم المرابطين في بلاد المغرب.

ولم تكن لهذه الحركة أسبابا سياسية أو دينية أو اقتصادية وإنما هي أسباب شخصية نابعة من أحقاد شخصية كانت تملأ يحي بن أبي بكر كون أن والده كان هو أكبر أبناء يوسف بن تاشفين ومن هذا المنظور كان يجب أن يكون والده وليا للعهد فإذا توفي خلفه هو، خاصة وأن والده كان ينوب عن يوسف بن تاشفين في إدارة الدولة المرابطية في المغرب أثناء تواجده بالأندلس، واشتراكه في محاربة النصارى مع ملوك الطوائف في معركة الزلاقة وغيرها من الأمور التي كانت من منظور يحي تخول لأبيه ولاية العهد، ولم يكن يحي الحاقد الوحيد على عمه والرافض لتوليه الإمارة بل كانت هناك جماعة من أمراء أسرة ابن تاشفين غير موافقين على ولاية علي بن يوسف الإمارة لأنه ابن امرأة مسيحية إسبانية فساندوا يحي في فكرة العصيان وشجعوه عليها،

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ص 130.

[2]- نفسه، ص 130- 131.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 110.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 131.

[5]- بعد أن أقام بالصحراء اتجه لأداء فريضة الحج، ومن الحجاز عاد إلى المغرب واستأذن أمير الدولة في الإقامة بمراكش فأذن له فأقام فيها فترة من الزمن إلا أنه واصل مؤامراته ضد عمه، وبدرت عنه تصرفات تثير الشك فأمر أمير الدولة عمه بإلقاء القبض عليه وإبعاده من المغرب وإقامته بالجزيرة الخضراء إلى أن توفي بها. أنظر: ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 110.

لكن تمكن علي بن يوسف من إخمادها فلزموا الصمت ولم يفصحوا عن نواياهم رغم أن عليا قد أدركها[1].

ومن أهم النتائج التي حققتها هذه الحركة إدراك أمير الدولة علي بن يوسف أنه لا يجب أن يثق في أحد من ولاته، فباشر إلى تغييرهم وكان يغيرهم ما بين الحين والآخر، وقد فقد الثقة حتى في أخيه أبو الطاهر تميم فلم يكن يتركه يطيل في أي منصب يوليه إياه سواء في المغرب أو الأندلس[2].

❖ في الأندلس:

– **حركة قرطبة:** كانت هذه الحركة سنة 514هـ الموافق ل 1120م في عهد علي بن يوسف وقد تضاربت الآراء حول أسبابها فابن عذارى المراكشي يقول أنه في سنة 514هـ جاء أمر من الأمير علي بن يوسف إلى البلاد الأندلسية بصناعة المجانيق وآلات الحرب فلما تمت صناعتها أقيم استعراض لها، فتزاحم الجمع الغفير في الفسحة بقرطبة للمشاهدة وكان صاحب تسيير المجانيق وآلات الحرب آي بن سير اللمتوني وقد كان بيده رسيخ فأشار به على صبي فقتله فثارت الناس وانفض لفيف الاستعراض لكن أجري صلح مع والد الصبي بدفع الدية فسكنت الثورة[3].

ولكن لما كان عيد الأضحى كان قد تم الانتهاء من إقامة المجانيق والآلات الحربية فأعيد الاستعراض ثانية، وخرج عامل البلدة لمشاهدته وحضر جميع أهالي قرطبة من كل صوب وحدب للمشاهدة أيضا، فكثر التدافع والتزاحم وكانت هناك أحقاد دفينة لدى أهالي قرطبة على واليها وأصحاب القصر بسبب موت الصبي، فهاجموا القصر وتغلبوا على الحشم والحامية المرابطية وتمكنوا من اقتحام القصر ونهبه، وخرج والي قرطبة فارا بنفسه، ثم تدخل الفقهاء على رأسهم القاضي أبو الوليد بن رشد فعاقبوا رؤوس الفتنة وردعوا عامة الناس[4].

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 131- 133.
[2]- نفسه ، ص 132- 133.
[3]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص65 .ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص151
[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين،ص137-139

أما صاحب الحلل الموشية فلا يطيل في ذكر أسباب هذه الحركة ويصفها بالفتنة فقط فيقول:« أن أهل قرطبة كان قدم عليها الأمير أبي يحي بن روادة فحدث بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه وحدثت بين أهلها وبين من كان فيها من المرابطين فتنة كبيرة ونهبوا ديارهم وقصورهم»[1].

أما ابن الأثير فيتفصل في هذه الحركة ويبدو أنه الأرجح حسب ما يرويه من أسباب وأحداث موضوعية، فيذكر لنا أن أهل قرطبة خرجوا للاحتفال بعيد الأضحى وخرج أيضا والي المدينة أبي بكر بن يحي بن روادة للاحتفال بهذه المناسبة ولأنه كان يوم خروج جميع أهل قرطبة للفسحة فقد كثر الزحام في ظاهر المدينة، ويذكر أن أحد عبيد والي المدينة قد مد يده إلى امرأة فأمسكها فاستغاثت فأغاثها الناس واشتبك أهالي قرطبة مع الحامية المرابطية ونشب القتال بين الطرفين حتى حل الظلام وانفض الطرفين[2]، ثم تدخل الفقهاء وطالبوا والي المدينة بالإقتصاص لحق أهل قرطبة بقتل العبد، لكنه قابل طلبهم بالرفض وأعلن عن رغبته في تأديب أهل قرطبة الذين تسببوا في الفتنة، وأمر بالاستعداد وإخراج السلاح فانضم الفقهاء إلى أهالي قرطبة وبادروا بمقاتلته فانتصروا عليه وحاصروه بقصره، ثم اقتحموه عليه لكنه نجح في الفرار فأحرقوا القصر ودور المرابطين ونهبوا تحفهم ومحتوياتهم، وأخرجوهم على أقبح صورة من قرطبة[3].

وفي هذه الأثناء كان الأمير علي بن يوسف يستعد للعبور إلى الأندلس فبلغه خبر حركة أهالي قرطبة فحشد الحشود من صنهاجة وزناتة والمصامدة والبربر وعبر بهم إلى الأندلس، فوصل إلى ظاهر قرطبة في ربيع الآخر سنة 515هـ الموافق ل سنة1121م وعسكر بقواته هناك لأن أهل قرطبة بادروا بغلق أبواب مدينتهم واستعدوا لمقاتلة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين دفاعا عن أنفسهم وحريمهم وأموالهم[4].

لكن علي بن يوسف امتنع عن مقاتلتهم وعن اقتحام المدينة وفضل أن ينهي الموضوع سلميا ويحقن الدماء، فدارت مفاوضات الصلح بين الجانبين ذكر فيها فقهاء قرطبة الأمير بوصية

[1]- ابن السماك العاملي :الحلل الموشية، ص 151

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 290.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 290. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ص 46.

أبيه في أهل قرطبة بأن يقبل منهم من أحسن ويتجاوز عمن أساء، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على أن يلتزم أهل قرطبة برد ما نهبوه من ديار المرابطين وحاميتهم، وقد رضي بهذا الحل كلا الطرفين ورآه علي بن يوسف أحسن حل ليتفرغ لجهاد النصارى[1].

وفي الحقيقة أن سبب ظهور أهالي قرطبة كحركة مناوئة لحكم المرابطين ولو لفترة قصيرة لم يكن سببه الأصلي قتل صبي أو التحرش بامرأة وإنما كل ما ذكر من هذا القبيل ليس سوى النقطة التي أفاضت الكأس، لأن أهالي قرطبة كانوا يحملون حقدا دفينا على المرابطين منذ زمن بعيد ويودون التخلص منهم ومن حكمهم، وقد يعود إلى بداية دخول المرابطين قرطبة ومعاملة أهلها بجفاء وغلظة وخشونة بربرية حتى صاروا يعبرون في كثير من الأحيان عن استيائهم من السادة الجدد[2]، وقد استشعر الأمير علي بن يوسف هذا الاستياء وخشي من وقوع عصيان ضده فوجه رسالة إلى أهلها يأمرهم فيها بطاعة واليه المرابطي عليها جاء فيها:« فاسمعوا وأطيعوه ولا تخالفوه، فلن يعدو وجه القصد ولا تعصوه ولا تآلوه انقيادا وطاعة، ولا تدخروا عنه فيما يستعملكم فيه جهدا ولا استطاعة، وإياكم والخوض في أمر جعلناه إليه، واحذروا من تعقب ما صغر أو كبر عليه، واضربوا عنه، ودعوا ما لا يعنيكم منه، وليرشد خياركم شراركم، وليبصر كباركم صغاركم، وحسبا هذا إنذار لكم وإعذارا إليكم، ولا عذر يعد ولا يلم من تعدى إلا نفسه»[3].

كذلك التعصب الديني لدى المرابطين وحجرهم على الأفكار والعقائد أججت روح الحقد والتذمر لدى العلماء والفقهاء والمفكرين في قرطبة اتجاه الحكام المرابطين وخاصة بعد حرق كتاب الإحياء الذي تسبب في سخط عامة الناس على واليهم المرابطي، إضافة إلى الأسباب الأمنية كانتشار اللصوص وقطاع الطرق في القرى والمدن والأسباب الاقتصادية نتيجة كساد التجارة ومساهمة أهل الأندلس في نفقات الحملات العسكرية ضد النصارى[4].

ولم تكن هذه الحركة بقرطبة هي آخر حركة مناوئة لحكم المرابطين بالأندلس، وإنما ظهرت حركات أخرى في الفترات المتعاقبة في كافة أنحاء الأندلس وكثيرا ما تزعمها الفقهاء وعلماء

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 144- 145.
[2]- نفسه، ص 141- 145.
[3]- نفسه، نفس الصفحة.
[4] – نفسه، نفس الصفحة.

التصوف وقد عرفت على انها ثورات الأندلس ضد المرابطين في معظم المصادر والمراجع التاريخية ومن أبرزها:

- **ثورات غربي الأندلس:**

تعتبر ثورات غربي الأندلس أول الثورات على المرابطين وقد تزعمها أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي[1]، وهذا الأخير أصبح في وقت قصير شيخا من شيوخ الصوفية وقد عرف أتباعه في غربي الأندلس باسم المريدين [2]،وانتشرت أفكاره وتزايد أتباعه خاصة بعد تأليفه كتاب "خلع النعلين"[3]،وسميت ثورة ابن قسي وأتباعه باسم ثورة المريدين، فقد أخذ ابن قسي يحرض أتباعه المريدين والناس من حوله بالثورة على المرابطين وقد استجاب له العديد من الناس، وانضم بعض أشياخ الجند والعشائر إلى هذه الثورة، ومن بينهم ابن عنان ومحمد بن عمر ومحمد بن المنذر وعبد الله بن أبي حبيب ومحمد بن يحي الشلطيشي [4]، وهذا الأخير اصطفاه ابن قسي واتخذه كاتبه وكاتم سره؛ ولعل السبب الذي ساعد ابن قسي في قيامه بالثورة واستمالته في وقت قصير قلوب العامة هو إدعاؤه للولاية وتسمية نفسه بالمهدي والإمام، مما جعل المرابطين يحسون بخطر دعوته ويفكرون في القضاء على هذه الثورة قبل انتشارها[5].

---

[1]- أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي: هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي بن حشي أصله رومي من بادية شلب تولى فيها الإشراف على الأعمال المخزنية ثم مال إلى الزهد فتصدق بجميع ماله واعتنق مذهب الصوفية درسها على يد الشيخ الصوفي أبو العباس بن العريف في ألمرية إتبع في تفكيره الصوفي أبو حامد الغزالي، أنظر: هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط 1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1984، ص 70، فاطمة الزهرة جدو :السلطة والمتصوفة في الاندلس عهد المرابطين والموحدين (479-635هـ/ 1086-1238)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،تخصص تاريخ وحضارة بلاد الاندلس ،قسم التاريخ وعلم الاثار ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر ،2007-2008،ص 81 وأنظر:
Louis Viardot, Histoires des arabes et des mores d'Espagne, T1, pagneve édition, Paris1854,p 256.

[2]- المريدين: في فترة قصيرة أصبحوا في الظاهر طائفة دينية أو فرقة صوفية وفي الحقيقة آداة سياسية، أنظر: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر،(د،ت)، ص 263.

[3]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام تح: إ.ليفي، بروفسنال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر، 2006، ص 248-249.

[4]- محمد بن يحي الشلطيشي: عرف بابن القابلة اشتهر بالدهاء والشجاعة والبلاغة، أنظر: هشام أبو رميلة، المرجع السابق،ص 71.

[5]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الآبار القضاعي: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس،ج 2،ط2، دار المعارف، لبنان، 1985، ص 197-198.

وانطلاقا من هذا فإن القوات المرابطية شرعت على الفور في إلقاء القبض على بعض أنصار المريدين وإرسالهم أو نفيهم إن صح التعبير إلى اشبيلية، إلا أن ابن قسي استطاع الفرار إلى حصن ميرتلة[1]، وهناك اختبأ في قرية تسمى بالجوزة واحتمى بأهلها وهم قوم يعرفون ببني السنة، ومن موضعه أمر ابن القابلة أحد أخلص رجاله وأشجع قادته بالاستيلاء على حصن ميرتلة، فسار هذا الأخير ابن القابلة لتنفيذ الأمر تحت قيادته حوالي 70 رجلا واستطاع الاستيلاء على الحصن وكان ذلك بتاريخ 539هـ/ 1145م.[2]

وقد اعتبر ابن قسي الاستيلاء على الحصن نصرا كبيرا وانطلاقة جديدة لثورته فبعدنزوله في ميرتلة كتب إلى أعيان غربي الأندلس يحثهم على الثورةمن جديد،حيث استجاب له كل من سيدراي[3] بن وزير في يابرة[4]ومحمد بن عمر بن منذر

في شلب[5]مما أدى إلى قلق المرابطين واستيائهم وحاولوا استعادة الحصن [6]بأي طريقة لكنهم فشلوا فشلوا واحتاروا في أمرهم، مما جعلهم يفكرون في الانتقام بالاعتداء على الناس وتخريب الأراضي وكان هذا الانتقام في صالح ابن قسي فقرّب الناس منه، حيث تضاعف أنصاره والتف الناس حوله فجعل ابن قسي يقرب الناس منه بإعطائهم المال من غير عمل ولا خراج وكان أصحابه يقولون للناس:" إن المال يتكون عنده إذا فرغ."[7].

---

[1]- حصن ميرتلة: هو حصن يقع شرقي مدينة باجة بينهما أربعين ميلا، أنظر: الحميري: المرجع السابق، ص 191.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص71.

[3]- سيداري بن الوزير: هو أبو محمد سيداري بن عبد الوهاب بن وزير القيسي، كان يجيد اللغة الإسبانية، وكان له ولد أديب يسمى محمد، ترجم له ابن الآبار ، توفي سنة 565هـ، أنظر: البيذق: ص87.

[4]- يابرة: مدينة من كورة باجة بالأندلس تنتهي أحواز باجة فيما حواليها مائة ميل وهي تقع في شرق باجة، أنظر: الحميري: المصدر السابق ، ص 191.

[5]- شلب Silvy : مدينة تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي غربي جنوب باجة، وشمال غربي شنتمرية عليها صور حصين، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص106-107.

[6]- إبن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 198-199.

[7]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص250-251.

وفي تلك الأثناء سار محمد بن عمر بن المنذر بقواته للقضاء على بقية القوات المرابطية في غربي الأندلس واستطاع الاستيلاء على حصن مرجيق [1]من أعمال شلب، وقد حالفه الحظ وهزم المرابطين شر هزيمة مما جعله يفكر في السير إلى باجة [2]مستعينابسيدراي ابن وزير، والذي أمده ببعض القوات التي خشي المرابطون قتالها فطلبوا الأمان من أهل باجة فكان لهم ذلك وكان لابن المنذر دخول باجة والاستيلاء عليها[3].

وبعد ذلك سار كل من ابن الوزير وابن المنذر إلى حصن مريتلة لتقديم الولاء والطاعة لابن قسي الذي عين ابن الوزير على مدينة باجة وما والاها وابن المنذر على مدينة شلب وما والاها، حيث سار كل منهما إلى ولايته، إلا أن ابن المنذر جمع أنصاره وعاد من جديد إلى حصن مريتلة من أجل تجديد الولاء إلى ابن قسي الذي لقبه باسم العزيز بالله ومنحه الإشارة بمواصلة فتح البلاد بعد أن أبدى ابن المنذر استعداده لذلك، وانطل ق ابن المنذر على وجه السرعة فهاجم مدينة ولبة[4]استولى عليها ثم اتجه للهجوم على مدينة لبلة، واستطاع الاستيلاء عليها هي الأخرى بمساعدة يوسف بن أحمد البطروجي أحد زعماء المريدين[5]، وبعد هذه الانتصارات التي حققها حققها ابن المنذر اشتد طموحه فأراد الاستيلاء على اشبيلية والتي كانت تعتبر آنذاك عاصمة غربي الأندلس؛ لكن فكرته هذه بلغت قائد المرابطين يحي بن غانية الذي أرسل إليه قوة من جيشه لصد هجوم ابن المنذر وكان اللقاء بين القوتين بطريانة [6]، بضواحي اشبيلية وقد هزمت

---

[1]- حصن مرجيق: هي مدينة Monchique حاليا الواقعة جنوبي البرتغال إلا أنه يبدو هناك تباعدا بين الكلمة في أصلها العربي ولفظها البرتغالي مما يجعل هناك شك في أن مرجيق هي نفسها Monchique، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 149.

[2]- باجة Beja : من أقدم مدن الأندلس وأولها اختطاطا تبعد عن قرطبة حوالي 100 فرسخ وهي تقع بين مدينتي شلب ويابرة وهي حاليا من مدن جنوبي البرتغال، تبعد عن لشبونة ب 154 كلم وإليها ينتسب عبد المالك بن صاحب الصلاة، أنظر: الحميري: المصدر السابق ، ص 36، وأنظر أيضا: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص 289، وأنظر كذلك: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص149.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 73.

[4]- ولبة: مدينة قديمة تقع في غرب الأندلس تبعد عن طليطلة حوالي 20 مرحلة وعن اشبيلية 40 مرحلة، بينها وبين قرطبة 30 فرسخا، وهي تقع في الشمال الشرقي من ولبة بجنوب البرتغال الحالية، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 168، وأنظر أيضا: ياقوت الحموي: المصدر السابق ،ج5، ص 73، وأنظر كذلك: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص 150.

[5]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: عبد الله عنان، ج 1،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1996،ص 117-116.

[6]- عقيلة غناي: المرجع السابق، ص74.

قوة المرابطين ابن المنذر الذي انسحب عائدا إلى لبلة إلا أنه لم يمكث بها طويلا؛ بل بعد يومين سار إلى ولايته شلب وترك بلبلة يوسف بن أحمد البطروجي[1].

وانطلاقا من هزيمة ابن المنذر في محاولة هجومه على اشبيلية فإن يحي ابن غانية فكر بأن يتولى بنفسه عملية القضاء على الثوار المريدين بغربي الأندلس، لكن فكرته باءت بالفشل وذلك أنه خرج في اتجاه لبلة لكنه لم يستطع مهاجمتها لشدة حصانتها فحاصرها طيلة ثلاثة أشهر طيلة فصل الشتاء إن صح التعبير؛ لكنه لم ينل منها بل ترك حصارها بعد أن أدرك أنه أفلت قرطبة،من بين يديه بعد أن بلغه أن ابن حمدين [2]قام بالثورة على المرابطين في قرطبة مما جعله يتجه إلى اشبيلية والتي ثار أهلها عليه فاضطر إلى الخروج منها[3].

وقد شجعت ثورة ابن حمدين ابن قسي على أن يمد سيطرته على قرطبة خاصة وقد كان له أتباع في شرقها، فأرسل ابن المنذر وابن القابلة للاستيلاء عليها لكنهما فشلا وعادا إليه خائبين؛ ذلك أنه في تلك الأثناء طرد أهل قرطبة ابن حمدين واستدعوا سيف الدولة ابن هود[4]،وجعلوا منه أميرا عليهم،وفي تلك الأثناء نشب خلاف بين ابن قسي وقادته فقد خلع ابن الوزير طاعة ابن قسي الذي دخل معه في حرب بقيادة ابن المنذر الذي انهزم وانتهى به الأمر معتقلا في باجة، وأما ابن الوزير فقد سار بقواته باتجاه شلب وميرتلة وتمكن من الاستيلاء عليهما، ولم يكن أمام ابن قسي إلا الفرار حتى لا ينتهي به الأمر أسيرا في يد ابن الوزير فعبر البحر إلى المغرب يطلب النجدة من الموحدين وقد كانت هذه الأحداث في سنة 540هـ/1146م[5].

---

[1]- طريانة Triana: حاضرة من حواضر اشبيلية ينسب إليها الفقيه عبد العزيز الطرياني، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص371.

[2]- ابن حمدين: هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن حمدين ينتمي إلى بيت عربي عريق تلقى العلم بقرطبة واشتغل بسلك القضاء حتى وصل إلى منصب قاضي قضاة بقرطبة سنة 529هـ، وقد اختلف ابن حمدين مع حكام المرابطين فعزل من منصبه سنة 533هـ، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص 151، وأنظر أيضا: لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام،ص 252-253.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 74.

[4]- سيف الدولة بن هود: هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن هود الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله، وبنو هود هم ملوك مملكة " سرقسطة "، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص 151.

[5]- ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 205-206.

- **ثورات جنوبي الأندلس:**

لم يكن أهل جنوبي الأندلس ليختلفوا عن أهل غربي الأندلس في علاقتهم بالحكم المرابطي فقد ثاروا هم أيضا على المرابطين في معظم مدن جنوبي الأندلس منها رندة، وقد تزعم الثورة بهذه المنطقة أخيل بن إدريس الرندي[1]، والذي سار إليها واستبد بها بعد إنتصار المرابطين على ابن حمدين سنة 540هـ/1146م، وفي رندة أعلن الثورة على المرابطين لكنها لم تستمر طويلا حيث ثار عليه أهلها وإستدعوا قائد ثورة شريش [2] أبا الغمر بن عزون [3]،إذ كانت شريش آنذاك تعيش هي الأخرى حالة من الثورة على المرابطين وقد استجاب لهم أبا الغمر فانتزع رندة من يد أخيل وسجنه، ثم أطلق سراحه وترك أخيل **رندة** في اتجاه مالقة وكانت هي الأخرى تحت وطأة الثورة ضد المرابطين[4].

وفي مالقة تزعم الثورة أبو الحكم الحسين بن حسون الكلبي [5]، والذي خلع طاعة المرابطين واستبد بمالقة بعد أن كان قاضيا بها لدى المرابطين سنة 538هـ/1144م، اتخذ لقب أمير وأصبح يقوم بالوظيفتين القضاء والإمارة في نفس الوقت، وقد حاول المرابطون القضاء عليه واستعادة المدينة فقاومهم لكنه عجز عن هزمهم، فاستعان بالجند المرتزقة من النصارى مما جعله يفرض ضرائب على رعيته لتسديد نفقات المرتزقة النصارى، فنقم السكان

---

[1]- أخيل بن إدريس الرندي: كان أديبا وكاتبا عمل في بداية حياته كاتبا للمرابطين ثم استكتبه ابن حمدين الثائر في قرطبة على المرابطين ثم اتصل بابن عطية وزير عبد المؤمن بن علي فكانت له وظيفة معه ثم ولاه الموحدون بعض الوظائف منها القضاء، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 75.

[2]- شريش: مدينة متوسطة حصينة مسورة الجناب حسنة الجهات وقد أحاطت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين والحنطة وبين شريش وقابس 12 ميلا، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،ص 257.

[3]- أبا الغمر بن عزون: هو أبو الغمر بن السائب بن عزون، أحد رؤساء الثورة بالأندلس في أعقاب الدولة المرابطية، وأخوه أبو العلاء إدريس حضر غزوة وجدة مع يوسف بن عبد المؤمن ولقب بناصح الدولة المهدية، وكان أحد الرواة الذين اعتمد عليهم ابن صاحب الصلاة، أنظر: البيذق: المصدر السابق، ص 87.

[4]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 75.

[5]- أبو الحكم الحسين بن حسون الكلبي: هو الحسين بن الحسن عبد الله ابن الحسين بن حسون ويكنى ب" أبا الحكم" وينحدر من أسرة لها عراقة في العلو والجاه والثراء وقبل تزعمه للثورة كان قاضيا، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص 163، وأنظر أيضا: رسائل الموحدية: تح ودراسة: أحمد عزاوي،ج2،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، المغرب، 2001،ص98.

عليه مما جعله في موقف حرج ما بين حقد المرابطين خارج مالقة ونقمة أهلها في الداخل فقتل نفسه[1].

وأما في قادس[2] فقد استبد علي بن عيسى بن ميمون قائد الأسطول المرابطي بالمدينة، وخلع طاعة المرابطين بعد وفاة تاشفين بن علي وخطب للموحدين بجامع قادس[3]، وفي نفس الوقت كان أبو الغمر بن عزون قد استبد هو الآخر بشريش، وأخذ يسير بقواته حتى تمكن من الاستيلاء على أركش[4] وبعض النواحي الأخرى من بينها رندة[5].

وفي ألمرية أيضا قامت الثورة ضد المرابطين فقد ورد في المعجب: "... وأما أهل ألمرية فأخرجوا ما كان عندهم أيضا من المرابطين..." [6] فقد طرد سكان ألمرية الحامية المرابطية من المدينة وعينوا عليهم رجلا يدعى أبو عبد الله محمد بن ميمون وهو من أهل دانية[7]، لكنه رفض وقال لهم أنه يمكنه درء الخطر عنهم من جهة البحر لأنه خبير بالبحر ولا يمكنه تولي شؤونهم، فترك لهم الخيار فولوا أمرهم رجلا منهم يدعى عبد الله بن محمد ويعرف بابن الرميمي، وقد استمرت إمارته على ألمرية إلى أن دخلتها جيوش النصارى[8] متحدة في جيش واحد[9].

1- محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2005، ص 530.

2- قادس: جزيرة بالأندلس طولها من القبلة إلى الجوف 12 ميلا، وعرضها في أوسع المواضع ميل، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 145.

3- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 233.

4- أركش: حصن بالأندلس على وادي لكة وهو مدينة أزلية، أنظر: الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 270.

5- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 243، وأنظر: ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 242.

6- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 154-155.

7- دانية : مدينة بشرق الاندلس على البحر ، عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر بني بهندسة وحكمة، ولها قصبة منيعة جدا، وهي على عمار متصلة وشجر تين وكروم، والسفن واردة عليها صادرة عنها، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 231- 232.

8- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 76-77.

9- استولت على ألمرية قوات قشتالية وقطلانية ونبرية وجنوية واشترك في غزو ألمرية الكونت ريمند برنجار الرابع صاحب برشلونة وجيوم صاحب منبلييه وملك نبرة وعدد كبير من سفن الجنويين، أنظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية- قاعدة أسطول الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1984، ص 94.

وبعد ذلك قامت الثورة في غرناطة 539هـ/1145م، وهي نفس السنةالتي قامت فيها الثورة بقرطبة، وتزعمها القاضي أبو الحسن علي بن عمربنأضحي [1]،وقد حاصر المرابطين في قصبة قصبة غرناطة وكان المرابطون بقيادة علي بن أبي بكر المعروف بابن فتو يخرجون من القصبة فيوقعون بالثوار مما دفع بابن أضحي إلى طلب المساعدة من بعض الثوار في المدن الأخرى، وقد أمده ابن حمدين زعيم ثورة قرطبة بجيش لا بأس به في العدد والعتاد إلا أن هذا لم يضعف من حماس مقاومة المرابطين للثورة، مما دفع بأهل غرناطة إلى الاستنجاد بابن هود وهذا الأخير لبى نداءهم واشترك مع ابن أضحى في قتال المرابطين لكن المرابطين استطاعوا إلحاق الهزيمة بالثوار [2]؛ ورغم هذا لم يستسلم ابن هود وإنما استمر في قتال المرابطين فقتل ولد ابن هود وابن أضحى، هذا الأخير الذي خلفه ابنه محمـد في زعـامة الثورة متعـاونا مع ابن هود الذي يئس من التغلب على المرابطين فغادر غرناطة، وبقي محمد بن أبي الحسن بن أضحي لوحده يقاتل المرابطين بعد ابن هود لمدة ثمانية أيام لكنه هو الآخر يئس ففر إلى المنكب [3]،وبفراره تصالح أهل غرناطة مع المرابطين المتواجدين بالقصبة وعادت غرناطة لسلطة المرابطين [4]،ومن ثم يمكن القول أن ثورة غرناطة ضد المرابطين قد فشلت.

- **ثورات وسط الأندلس:**

إن أبرز الثورات في وسط الأندلس هي الثورة التي قامت في قرطبة بقيادة القاضي ابن حمدين الذي استولى على الحكم ونادى بنفسه أميرا، وتلقب بلقب المنصور بالله ودعي له على منابرها،

---

[1]- أبو الحسن علي بن عمر بن أضحي: ولد سنة 492هـ بمدينة ألمرية ونشأ في معاهدها حتى صار من كبار فقهائها وأدبائها وولى منصب القضاء بها ثم انتقل إلى غرناطة وعرف فيها بعلو منزلته الأدبية، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص 158.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص77

[3]- المنكب: بالضم ثم الفتح ثم تشديد الكاف وفتحها وباء موحدة من نكبت الشيء فهو منكب ويبدو أنه اسم عربي بمعنى الحصن المرتفع ويسمى حاليا Al Munecar أما الاسم القديم لهذا المكان فهو Sexi وهو مرفأ ساحلي مرتفع في جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة، وبهذا المرسى نزل الأمير عبد الرحمن بن معاوية عند دخوله الأندلس في ربيع الأول سنة 138هـ، أنظر: الحميري: المصدر السابق ،ص 186، وأنظر أيضا: لسان الدين ابن الخطيب: خطرة الطيف،ص 77، وأنظر كذلك: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ،ص 137.

[4]- عقيلة غناي: المرجع السابق، ص 84-85، وأنظر أيضا:

Rosseau .S. Thilare ;Histoire d’Espagne depuis les premiers temps jusqu'à la mort de Fernand VII,T4, Parsi, 1844, p 454

وكان ذلك في رمضان سنة 539هـ/1145م، لكنه لم ينجح في فرض سيطرته الكاملة على المدينة، إذ عارضه وخرج عليه بعض خصومه، واستدعوا سيف الدولة أحمد بن هود الذي لبى نداءهم ودخل قرطبة؛ وبدخوله هرب ابن حمدين إلى أحد الحصون المجاورة وذلك بعد حكمه لقرطبة مدة أربعة عشر يوما، وأما ابن هود فلم يقض هو الآخر مدة طويلة في حكم قرطبة فقد ثار عليه أهلها لما قام به من استقدام النصارى إلى المدينة مما اضطره إلى الفرار باتجاه جيان،وقد عاد ابن حمدين للحكم مرة ثانية وتمكن من بسط نفوذه على قرطبة وعلى عدة نواحي أخرى منها رندة وشريش وغيرها[1].

وبعد مرور سنة كاملة على حكم ابن حمدين لقرطبة وأحوازها خرجت مرسية على طاعته رغم محاولاته المتكررة للحفاظ عليها تحت سيطرته [2]، في هذه الأثناء سار ابن يحي ابن غانية بقواته لاسترجاع قرطبة، حيث ألحق الهزيمة بابن حمدين سنة 540هـ/1146م الذي هرب إلى بطليوس،ثم احتمى في حصن أندوجر [3]شرقي قرطبة، حيث حاصره ابن غانية مدة شهر مما دفع بابن حمدين إلى الاستنجاد بملك قشتالة ألفونسو السابع[4]،وهذا الأخير لاحق ابن غانية وأجبره على العودة إلى قرطبة والتحصن بالقصبة مدة زمنية معتبرة[5].

وبعد ذلك عقد ملك قشتالة صلحا مع ابن غانية وكان غرضه من هذا الصلح أن يبقى ابن غانية حائلا بين النصارى وبين الموحدين بعد عبورهم إلى الأندلس في مقابل انسحاب النصارى من قرطبة، وقد غادر ابن حمدين مع النصارى ثم عبر بعد ذلك إلى المغرب فقابل عبد المؤمن بن علي سنة 541هـ/1147م، ثم عاد إلى الأندلس وحاول استعادة قرطبة لكن دون

---

[1]- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص530.

[2]- ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج2، ص 229-230.

[3]- حصن أندوجر Andujor: يقع شمال شرقي قرطبة من مقاطعة جيان بشط الوادي الكبير يعبرها على قنطرة في غاية العلو، أنظر: نفسه ، ص26.

[4]- ألفونسو السابع Alphonse VII: ملك قشتالة يعتبر عهده أزهى عصور مملكته استطاع أن يتدخل في شؤون الأندلسين المسلمين ويتخذهم عملاء كابن هود وابن مردنيش واستطاع احتلال العديد من أراضي المسلمين في الأندلس أهمها ألمرية، أنظر: يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج1، ص 155.

[5]- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص531.

جدوى، فغادرها إلى مالقة ومكث بها إلى أن وافته المنية بها سنة 546هـ/1152م[1]؛ وعلى هذا فقد شهدت منطقة وسط الأندلس عدة ثورات أخرى، ففي قرمونة ثار رجل يدعى دردوش وثار ابن أحمد واستولى على شقورة، كما ثار أيضا أهل جيان واستطاع سيف الدولة أحمد بن هود هزم المرابطين بالثغور الجوفية ثم استولى على جيان وبسط سلطانه على قرطبة وقاتل المرابطين في غرناطة[2].

- **ثورات شرقي الأندلس:**

وقد كانت هناك أيضا ثورات في شرقي الأندلس حيث ثار أحمد بن محمد[3] ابن ملحان الطائي بوادي آش[4] والذي تلقب بالمستأيد بالله؛ وقد استبد في حكمه لكثرة أمواله وسلاحه؛ وقد ساعده هذا في توسيع نفوذه وضمّه مدينة بسطة وغيرها من الأراضي المجاورة[5].

وقد كان لثورة ابن حمدين في قرطبة انعكاسات على أهل بلنسية،حيث اشتعلت بها هي الأخرى الثورة ضد المرابطين، وقد حاول والي بلنسية المرابطي أبو محمد عبد الله ابن محمد بن علي بالتعاون مع أبي عبد الله بن مروان محمد بن عبد العزيز التصدي للثوار، لكن الثورة كانت ساخنة وأفشلت مقاومتهما مما أدى بالوالي المرابطي إلى الفرار خارج بلنسية[6].

ومما سبق ذكره يمكن القول أنه لما قامت أولى الثورات ضد المرابطين بداية بغربي الأندلس فإنها انتشرت في جميع أقطار الأندلس؛ ولم تسلم أي جهة من الثورات مما ساعد على انهيار السلطة المرابطية بالأندلس، ودخول الموحدين إلى المنطقة وإخضاعها شيئا فشيئا.

---

[1]- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص531.

[2]- نفسه، ص532.

[3]- محمد بن ملحان: هو احمد بن محمد بن ملحان الطائي الوادآشي، كان يستعين بجملة من أهل العلم والأدب ، ولما ضيق عليه ابن مردنيش الخناق دخل في طاعة الموحدين سنة 456هـ، ثم انتقل إلى مراكش واشتغل في أشغال البحيرة وبنائها وإجراء مائها، وجرت عليه بمراكش محنة قبل وفاته بها، أنظر: البيذق، المصدر السابق، ص 88.

[4]- وادي آش: مدينة شمال غرناطة وقريبة منها حولها الأنهار والمياه، ينحدر نهرها من جبل شلير وهي ضفته الغربية، أنظر: الحميري: المصدر السابق ، ص 192-193، وأنظر أيضا:شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،ج 1،دار الكتب العلمية ، لبنان، 1997،ص 126.

[5]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 264.

[6]- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1،ص 223.

أ- 2- الجانب السياسي والإداري:

تمثلت انعكاسات نظام حكم الدولة المرابطية سياسيا في جانبين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، فمن الجانب الإيجابي يمكن القول أنه لم يتحول نظام حكمها من شوري إلى وراثي عبثا وإنما خضع لمؤثرات قبلية [1] مستوحاة من طابع الدولة وسياستها القاضية بإحياء السنة ورفع لواء مذهب مالك، فعندما عقد يوسف بن تاشفين البيعة لابنه علي بن يوسف لم يغفل مبدأ الاختيار فاختار أصغر أبنائه لأنه رأى فيه أصلحهم وأقدرهم على أمور الدولة، كما أنه لم يغفل مبدأ الشورى بل تمسك به وحرص على استشارة أهل الرأي تحقيقا للمبادئ الإسلامية، إضافة إلى أن البيعة كانت مشروطة بشروط خاصة تفيد مصلحة الدولة السياسية والدينية[2].

هذا وقد حرص أمراء المرابطين على ألا يخرج الحكم من قبيلة لمتونة وذلك حتى لا يحدث انقلاب على الحاكم والإطاحة بنظام الدولة، ويذكر ابن خلدون أن جميع مناصب الحكم كانت تحت سيطرة لمتونة فيقول: « اقتسم- أي يوسف بن تاشفين- المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه»[3]. وقد كان الأمراء في المغرب والأندلس يعيشون في مقاطعاتهم شبه مستقلين كأنهم هم ولاة الأمر للدولة وكانت لهم صلاحيات واسعة، ولم يكونوا يدينون بشيء لأمير الدولة سوى بالولاء، لكن رغم هذا فإن أمير الدولة أو حاكمها كان يسير وفق قرار سياسي حكيم اتخذه يوسف بن تاشفين وعمل به باقي أمراء الدولة من بعده وهو عدم ترك النواب في مناصبهم مدة طويلة مخافة أن يستقلوا بالأمر عن الدولة[4].

ومن انعكاسات نظام الحكم الإيجابية على الدولة سياسيا هو مراقبة أمير الدولة لولاته، فكان أمير الدولة إذا عين أميرا على إحدى إماراته أو واليا بمجرد أن ينصرف الوالي إلى ولايته أو الأمير إلى إمارته حتى يرسل إليه رسالة يحدد له السياسة التي يسير عليها في حكم الرعية، ويضع له قواعد لا يتعداها، ويبين له أمورا لا يغفل عنها [5]، ويذكر لنا صاحب قلائد العقيان إحدى وصايا

---

[1]-مؤثرات قبيلة: يقصد بها معطيات سابقة في محاولة اختيار الحاكم الذي يمكنه الحفاظ على دولة تقيم شعائر الديانة الاسلامية وفق الكتاب والسنة .أنظر: حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين، 336.

[2]- نفسه، ص 345- 346.

[3]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 185.

[4]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 353- 355.

[5]- نفسه، ص 356.

الأمير يوسف بن تاشفين إلى أحد أمرائه في إحدى الرسائل فيقول:«.... لما تأوي إليه من السياسة والتجربة فاتخذ الحق إمامك وملك يده زمامك واصبر عليه في القوي والضعيف أحكامك وارفع لدعوة المظلوم حجابك، ولا تسد في وجه مضطهد بابك ووطن للرعية أحاطها الله أكتافك، وابذل لها أنصافك، واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها...، ومن سدد عليها من عمالك زيادة أو خرق في أمرها عادة أو غير رسما أو بدل حكما أو أخذ لنفسه منها درهما ظلما فاعزله عن عمله وعاقبه في بدنه وألزمه ما أخذ إلى أهله واجعله نكالا لغيره حتى لا يقدم أحد على مثل فعله إن شاء الله وهو تعالى...» [1]. رغم الصلاحيات الواسعة التي كانت بيد كل أمير أو والي أو نائب إلا أن ولاءه لأمير الدولة كان يحتم عليه أن يبعث له ويكتب إليه بكل ما يجده في ولاته ويشاوره في كل الأمور، ولا يتخذ أي واحد فيهم أي قرار إلا بموافقة أمير الدولة [2]، وهذا يؤكد لنا ما ذكرناه سابقا عن الولاء لأمير الدولة والالتزام بأوامره المحددة في رسالة يوسف بن تاتفين لأحد أمرائه المذكورة آنفا.

ومن بين انعكاسات نظام الحكم المرابطي الإيجابي على الدولة استعانتهم بباقي أهل قبائل المغرب والأندلسيين في الوظائف المدنية كالكتابة والحسبة وجباية الأموال والبريد، خصوصا وأن الدولة كانت قد بدأت في إقامة علاقات دبلوماسية مع جيرانها من أمراء المغرب ومع الخلفاء والأمراء في المشرق ومع الإمارات والممالك النصرانية، فكانت بحاجة لمن يتقن اللغات النصرانية ويتفنن ويبدع في اللغة العربية وكان كتاب الأندلس والبعض من أهل القبائل المغربية يبرعون في ذلك[3].

ومما انعكس إيجابا على الدولة في نظام حكمها هو تقرب الأمراء المرابطين من القضاة والفقهاء، واعتمادهم عليهم اعتمادا كبيرا خاصة في تطبيق مبدأ الشورى، وقد اهتموا بالقضاء اهتماما بالغا حتى جعلوا فقيها له السلطة العليا على قضاة المغرب والأندلس على السواء وهو يعادل رتبة وزير العدل في النظم الحديثة وهذا كان أملا منهم في تحقيق العدل والمساواة في الرعية

[1]- ابن خاقان: قلائد العقيان، ص 113.

[2]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 356.

[3]- نفسه، ص 360.

وتسوية أمورهم بكل ما يقتضيه الشرع[1]، فنجد في عقد تولية قاضي الجماعة ابن حمدين وصية أمير الدولة جاء فيها:«... ولا تبالي برغم راغم، ولا تشفق من ملامة لائم، فآس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع قوي في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يكن عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحق له، ولا أضعف من القوي حتى تأخذ الحق منه، وانصح لله تعالى ورسوله عليه السلام ولنا ولجماعة المسلمين، وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حق تمضيه ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيه...»[2].

هذا عن الانعكاسات الإيجابية لنظام الحكم في الجانب السياسي الإداري، وأما الجانب السلبي فتمثل في أن تولية يوسف بن تاشفين لابنه وليا للعهد بالاعتماد على مبدأي الشورى والاختيار قد اندثرت وعقد ابنه عليا من بعده البيعة لابنه تاشفين دون الاعتماد على مبدأي الشورى والاختيار بل بالوراثة، فانحراف نظام الحكم من شوري إلى وراثي قد سبب نزاعا عنيفا على منصب ولاية العهد بين أولاده- أي علي بن يوسف بن تاشفين- حيث تطلع البعض من إخوة تاشفين وأبناء عمومته إلى منصب أمير الدولة مما سبب انحلال وتفكك شؤون الدولة الإدارية والسياسية وسمح بظهور ثورات مناوئة للحكم المرابطي في عدة مناطق منها قرطبة وفاس[3].

أيضا من الانعكاسات السلبية عدم اهتمام أمراء الدولة بتجهيز رجال للدولة في كافة الأجيال وفئات الأعمار وتعمل على غرس المبادئ والقيم التي حملها الجيل المؤسس للدولة فيهم، مما أضعف شؤون الدولة السياسية والإدارية فما إن فقدت الدولة أكابر قياداتها وعلمائها مثل سير بن أبي بكر، ومحمد بن مزدلي، ومحمد بن فاطمة، ومحمد بن الحاج وغيرهم [4] حتى صار نظامها الإداري والسياسي يتفكك ويعرف الضعف.

ومن بين ما انعكس سلبا في نظام الحكم على الدولة المرابطية التزام أمراء الدولة بآراء الفقهاء، والفقهاء نفسهم كانوا يتصفون بالتعصب للمذهب المالكي، وهذا التعصب دفعهم إلى الإفتاء بإحراق" إحياء علوم الدين" للإمام" الغزالي" فقد صدرت فتوى من قبل فقهاء المغرب

---

[1]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ، ص 365- 368.

[2]- نفسه، ص 369.

[3]- محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص 228.

[4]- نفسه ، ص 228- 229.

والأندلس متمثلة في شخص القاضي ابن حمدين تفتي بحرق هذا الكتاب، وقد عرضت هذه الفتوى على الأمير علي بن يوسف ونالت استحسانه وموافقته وكان هذا سنة 503هـ الموافق ل 1109م[1].

وقد نفذ أمر الحرق هذا في قرطبة على الباب الغربي من المسجد الجامع في المدينة بحضور أعيان الناس وعامتهم، وأخذ المرابطون يطاردون كل من يمتلك نسخة من كتاب" الإحياء للغزالي" في بلاد المغرب والأندلس، وتم إصدار أمر بإنزال أشد العقوبات على كل من وجدت بحوزته نسخة من هذا الكتاب وتحليف من أنكره بالأيمان المغلظة كالطلاق وغيره[2].

وقد تضاربت آراء المؤرخين في أسباب الحرق، فيذكر صاحب أزهار البساتين أن الفقهاء المرابطين قد رأوا الغزالي على أنه كافر لأنه يؤول في تفسير القرآن [3]، أما محمد عبد الله عنان فيرى أنه بسبب شن الغزالي في كتابه حملة لاذعة على علماء الفروع والتنويه بجهلهم وسخف مجادلتهم السطحية ووصفه لهم بالمجانين كونهم يجهلون علم الأصول الذي ينوه هو به وبأهميته[4].

وأما حسن علي حسن فيورد لنا أسبابا ظاهرية وأخرى خفية، فمن الأسباب الظاهرية يقول أن فقهاء الدولة المرابطية استندوا في تبرير ذلك إلى احتوائه على علم الكلام والفلسفة وكراهية المالكية لهذه العلوم، وأما في الأسباب الخفية فيورد لنا تضايق الفقهاء مما وجدوه في كتاب" إحياء الدين" من الهجوم على طبقة العلماء والفقهاء الذين يتخذون من العلم وال دين مطية لتحقيق أطماع دنيوية من ثراء وجاه وأموال، وقد أورد الغزالي صفاتهم في كتابه" إحياء علوم الدين" وذكر أنهم علماء[5] السوء[6].

---

[1]- ابن زيدان عبد الرحمن: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج 1، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929، ص 88.

[2]- القيرواني: المصدر السابق، ص 111، أسامة عبد الحميد حسين: فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، قسم التاريخ، كلية التربية، سامراء، تكريت، 2005،(د. ت)، ص 94.

[3]- طارو، جان وجيرام: أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين، تر وتع: أحمد ملا فريج ومحمد الفاسي، المطبعة الوطنية، الرباط، 1349هـ – 1929م، ص 100.

[4]- محمد عبد الله عنان: تاريخ الأندلس، ع 3، ق 2، ص 79.

[5]- جاء في كتاب الإمام الغزالي في الباب السادس من كتاب الإحياء في وصفه للعلماء ما يلي: أثناء حديثه عن آفات العلم وعلامات الآخرة والعلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة، ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها... أنظر:حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 452.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

وقد كان علماء وفقهاء الدولة المرابطية بالمغرب والأندلس طبقة لها نفوذها وسلطانها وثرائها، وقد استغل البعض منهم نفوذه في جمع المال وبناء الدور وامتلاك الأرض وعاشوا حياة البذخ، مما أثار حفيظة المجتمع المرابطي وهاجمهم أحد الشعراء يصف حياتهم فيقول:

أَهْلُ الرِّياءِ لَبِسْتُمْ ناموسَكُمْ كَالذِّئْبِ أَدْلَجَ فِي الظَّلاَمِ العَاتِمِ

فَمَلَكْتُم الدُّنياَ بِمَذْهَبِ مَالكٍ وَقَسَّمْتمْ الأَمْوَالَ بِابْنِ القاسِمِ

وَرَكِبتُمْ شُهْبَ الدَّوابِ بِأَشْهَبِ وبِأَصْبَغٍ صَبَغْتُ لَكُمْ فِي العَالَمِ [1]

وإنّ مساندة عملية الحرق والتغشيش من قبل الأمير علي بن يوسف ليست سوى دليل على انقياده وراء آراء الفقهاء وسلطانهم وهذا للمكانة التي كانت للفقهاء عند ولاة الأمر في الدولة المرابطية[2]، كذلك مساندة علي بن يوسف لآراء وفتاوى الفقهاء في الحرق نابع عن حقد شخصي له للإمام الغزالي الذي كان يود لقاء يوسف بن تاشفين فعندما بلغه خبر وفاته رجع أدراجه وعزف عن مقابلة علي بن يوسف[3].

هذا وتذكر بعض المراجع أن كتاب الإحياء كان مناصرا لعلم التصوف وأهله، وكانت هناك عداوة من بعض الفقهاء باتجاه المتصوفين الذين كانت لهم مكانة متميزة في مجتمع المغرب الأقصى فخشى الفقهاء أن انتشار كتاب الإحياء بين الناس يكون بمثابة سند وقوة وتعزيز لمكانة علماء التصوف في طبقات مجتمع الدولة المرابطية وهذا ما لم يكن يرغبه الفقهاء[4].

وقد لقي عمل إحراق كتب إحياء الدين معارضة شديدة ومواقف مضادة لهذا العمل، ومن أبرز المواقف المعارضة والمضادة موقف علي بن محمد الجذامي(المتوفي سنة 509هـ) ويعرف

---

[1]- محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص 228.

[2]- أسامة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص 94.

[3]- تذكر بعض المراجع والمصادر أنه كانت هناك علاقة طيبة بين الأمير يوسف بن تاشفين والإمام الغزالي حيث عزم على زيارة الأول في مراكش حاضرة الدولة المرابطية سنة 500هـ الموافق ل 1106م، وعند وصول الإمام الغزالي إلى الإسكندرية جاءه نعي الأمير يوسف بن تاشفين فعدل عن رحلته إلى بلاد المغرب حيث مراكش، وردا على هذا التصرف أعلن الأمير علي بن يوسف التنكر والعداء للود الكبير والاحترام اللذين كانا متبادلين بين أبيه والإمام الغزالي، ومن مظاهر هذا العداء مساندته لفتوى الفقهاء في إحراق كتاب الإحياء. أنظر: نفسه،نفس الصفحة، ابن أبي دينار،: المصدر السابق، ص 110.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 452.

بالميرجي وهو من أهل ألمرية وكان قد أفتى بتأديب من يحرق كتاب الإحياء لأنه مال المسلم، وعندما بلغت هذه الفتوى القاضي ابن حمدين أصدر أمرا بعزله عن منصبه حيث كان يشغل منصب مشاور للأحكام في مدينة ألمرية[1].

ومن بين المعارضين أيضا لإحراق كتاب الإحياء أبو الفضل النحوي(المتوفي سنة 513هـ) وقد كتب للأمير علي بن يوسف بشأن معارضته لمطاردة هذا الكتاب، كما أفتى أن الأيمان التي فرضت أثناء عملية التفتيش عن كتاب الإحياء لا تلزم أصحابها، وكان أبو الفضل النحوي قد استنسخ كتاب الأحياء في ثلاثين جزءا فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا [2] وقال عنه:« وددت أني لم أنظر في عمري سوى كتاب الإحياء»[3].

لكن هذه المواقف المعارضة لم تحد من حملة حرق كتاب الإحياء وإنما استمرت مطاردة هذا الكتاب وحرقه حتى عهد تاشفين بن علي بن يوسف [4]، وتؤكد هذا إحدى الرسائل التي أرسلها الأمير تاشفين بن علي إلى أهل بلنسية والتي نصت على إحراق كتب الإحياء ومما جاء فيها:«... ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة وخاصة وفقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فلتتبع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع خبرها ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها»[5].

وتدل هذه الحادثة على مدى تعصب المرابطين في الفكر وتأخرهم في العلوم الدينية وانتصارهم للفكرالمالكي الذي لا يقبل التأويل، وعنايتهم بكتب الفروع، وهو ما انعكس سلبا على الحياة السياسية للدولة، فقد كان قرار حرق كتب الإحياء شائبة في نظام الحكم تسببت في إضعاف كيان الدولة وتنشئة طبقة مناوئة لنظام الحكم المرابطي[6].

وانطلاقا من فتوى إحراق كتب الإحياء والاستبداد في هذا الرأي فقد بدأ نظام الحكم يصاب بالخلل وبدأت تظهر الحركات المناوئة له حيث ظهرت أطماع كبار أمراء المرابطين أصحاب

---

[1]- أسامة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص 96.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- نفسه،نفس الصفحة.

[5]- نفسه ،نفس الصفحة

[6]- نفسه، ص 97.

المناصب الهامة في العديد من ولايات الدولة فاستبدوا في حكم ولاياتهم وصاروا ينكرون الكفاءة على علي بن يوسف في تسيير أمور الدولة وبأنهم أحق منه بها [1]، وقد كان أمير الدولة علي بن يوسف يخشى محاسبتهم رغم علمه باستبدادهم في وظائفهم ويذكر ابن عبدون أن تكاليف الجهاد كانت ضخمة وأرهقت كاهل الدولة ولم يكن الأمراء يساعدون في تكاليف الجهاد بل يغدقونه على أنفسهم ويعيشون حياة البذخ، وقد اقترح ابن عبدون في إحدى رسائله في الحسبة أن يعين أصحاب بعض الوظائف من سكان المنطقة كصاحب المدينة، وصاحب المواريش، والقاضي، والمحتسب لأنهم أعرف بأمور الناس وطبقاتهم وأنفع للسلطان وأوثق ولا يستحي السلطان أن يحاسبه كما يستحي أن يحاسب مرابطيا[2].

وقد امتد هذا الخلل في نظام الحكم إلى الصحراء نتيجة الحساسيات القبلية، حيث تمردت قبيلة مسوفة ورفضت أن تعمل تحت رئاسة أي زعيم من زعماء لمتونة، كما تمردت قبيلة جدالة عدة مرات وحاولت الغزو على باقي القبائل الملتمة، وإن هذا التمرد لم يضعف الدولة في الجنوب فقط بل هدد كيانها حتى في الشمال خاصة وأن كل من لمتونة ومسوفة يمثلان العمود الفقري للجيوش المرابطية[3].

وقد انتهزت بلاد السودان الخلاف بين القبائل وبدأت تستقل عن الدولة المرابطية شيئا فشيئا، حيث أعلنت غانةاستقلالها وأصبح ملكها يخطب لنفسه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي في بغداد لكنها لم تعمر طويلا لأنه سرعان ما أعلنت مملكة الصوصو [4] استقلالها وأخذت في التوسع على حساب مملكة غانة وتمكنت من ضمها إلى أملاكها، وممالك أخرى أخذت في التوسع باتجاه الشمال والجنوب معلنة استقلالها عن الدولة المرابطية كمملكة[5] مالي[6].

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430- 515هـ/ 1038- 1121م، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1988، ص 135.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، ص 136.

[3]- نفسه ، ص 135.

[4]- مملكة الصوصو: مملكة صغيرة استقلت عن مملكة غانة،وهي مملكة كونها افراد من قبيلة الصو suاحدى قبائل الفولاني التي استولت على مقاليد الحكم في كانياجا ،والتي اخذت تتوسع وتستولي على بعض المناطق المجاورة لها ،حتى استطاعت ان تضم اليها ولاية ديارا diaraفي نهاية ق 12م، وأطلقت على أملاكها اسم إمبراطورية الصوصو susu .أنظر: نفسه ،ص 123

[5]- مملكة مالي: هي مملكة ناشئة من ولاية كانجابا توسعت في اتجاه الشمال والجنوب .أنظر: نفسه ،ص 137.

[6]- نفسه، ص 136- 137.

هذا إضافة إلى أنه كان في بداية نشأة الدولة دور فعال لنساء المرابطين عادت على نظام الحكم بالإيجابيات كدور زينب الإسحاقية زوجة يوسف بن تاشفين، لكن ليست جميع نساء البلاط المرابطي لهن الآراء السديدة مثل زينب، بل منهن من كان تدخلهن في شأن الدولة قد عاد عليها بالعواقب الوخيمة حتى صار يؤخذ على المرابطين اهتمامهم بالمرأة وإشراكها في أمور الدولة، وجعلوها أحد أسباب انهيار سلطان المرابطين ويذكر ذلك صاحب المعجب بقوله:« واستولى النساء على الأموال، وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من كبار لمتونة ومسوفة، مشتملة على كل مفسد، وشرير، وقاطع سبيل، وصاحب خمور ومخمور»[1]. وبهذا فقد انهارت قاعدة نظام الحكم في الجانب السياسي، أما الجانب العسكري فهو الآخر له العديد من الانعكاسات.

بعد التفكك الإداري والصراع السياسي وتمرد القبائل وانفصال الممالك في الصحراء عن الدولة المرابطية ضعف الجيش المرابطي وعرف انهيارا عسكريا برز بشكل جدي في الهزائم التي توالت على الجيش المرابطي في حروبه ضد الموحدين وكان ذلك مع بداية سنة 516هـ الموافق لـ 1122م[2]، ثم انهزامه في معركة" كيك" ثم معركة" الجروبة"[3].

هذا وقد تمكن الجيش المرابطي من استعادة بعض قواه فحقق انتصارا على الموحدين في معركة البحيرة سنة 524هـ الموافق لـ 1130م، كما تمكن من إحراز نصر آخر على النصارى بالأندلس في موقعة إفراغة [4]، لكن بعد مبايعة عبد المؤمن بن علي بالخلافة وقيادته للحروب ومبايعة معظم القبائل البربرية له ودخولها في طاعته وتوسعاته المستمرة إضافة إلى ما كانت عليه الدولة المرابطية من ضعف سياسي وإداري وتقلص مساحة الدولة بالمغرب والأندلس فإن ضعف الجيش المرابطي أو انهزامه أمام الموحدين صار أمرا محتوما[5].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 177.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 101- 102.

[3]- كيك وجروبة: أسماء أماكن نسبت إليها المعارك التي وقعت بها بين المرابطين والموحدين. أنظر: نفسه، ص104- 105

[4]- موقعة إفراغة: كانت هذه الموقعة سنة 528هـ الموافق لـ 1134م حيث عزم ملك أراغون ألفونسو المحارب على إعادة بلنسية ومرسية إلى مملكته، فأعد جيشا جرارا من الفرسان واتجه بهم سنة 528هـ نحو بلنسية فتمكن من احتلال بعض القرى والثغور فأسرع كل من والي بلنسية ومرسية بالتصدي له، وتقابل الجيشان في مدينة صغيرة تسمى إفراغة جنوب غرب مدينة لاردة. أنظر: مجموعة لفلي سمايل، علي بن يوسف بن تاشفين- عهد المرابطين-، الباب الثالث، دويلات الطوائف وملوك المغرب، الفصل الثاني، عهد المرابطين.
01/ 09/ 2014.17 :30. w w w. Levely Smile. Com.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 110- 117.

ب- الدولة الموحدية:

ب- 1- الحركات المناوئة لنظام الحكم الموحدي:

❖ في المغرب:

لقد واجهت الدولة الموحدية الحركات المناوئة منذ نشأتها وبداية توسعها وأولى هذه الحركات هي حركة محمد ابن عبد الله بن هود الماسي المتلقب بالهادي ببلاد السوس، فقد ثار بعد فتح مراكش سنة 541هـ الموافق ل 1147م وسيطر على البلاد ما عدا مراكش وفاس وأوشك على العصف بالنصر الموحدي لكن خبرة عبد المؤمن بن علي العسكرية وحنكته السياسية أمكنته من القضاء عليه في السنة نفسها[1].

كذلك انتفضت مدينة سبتة في وجه الموحدين بقيادة القاضي عياض [2] الذي تغير فجأة وأعلن العصيان ضد الموحدين وقد كان من السباقين للدخول في طاعتهم، حيث سار إلى لقاء الخليفة عبد المؤمن وهو بسلا أواخر سنة 540هـ الموافق ل 1146م فأكرمه عبد المؤمن وأقره في منصبه، إلا أنه صار من المحرضين على الانتفاض ضد حكم الموحدين بسبتة، حيث ثار أهلها على واليها الموحدي يوسف بن مخلوف التينمللي وقتلوه ومن معه من الموحدين، بعدها عبر القاضي عياض البحر إلى الأندلس حيث قابل يحي بن غانية المسوفي والي الأندلس المرابطي وطلب منه واليا لسبتة فبعث معه يحي بن أبي بكر[3] الصحراوي[4].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 123- 124.

[2]- القاضي عياض: هو عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي من اهل سبتة ،واصله من بسطة ،ومنها انتقل اجداده قديما ،يكنى ابا عبد الله وسمع من ابيه القاضي ابي الفضل ،وابن العربي ،واجاز لهما وغيرهما .ويقول عبد الملك المراكشي وهو محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ،سبتي وهو ابو عبد الله ،ومن شيوخه والده ابو الفضل بن عياض وابن العربي المعافري وأبو بكر بن يحيى بن رزق وابن بشكوال وهو من اسرة القضاة منذ عهد المرابطين بحيث هو أول من توى القضاء ثم ابنه محمد ثم احفاده ،ترجح المصادر أن وفاته كانت سنة 575هـ بغرناطة والبعض منها تذكر انه توفي سنة 572 بسبتة .أنظر: المقري :أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض ،تح :سعيد احمد اعراب ،محمد بن تاويت ،ج1،اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي ،الراط ،المغرب ،1978،ص 2-15،أبي عبد الله محمد :التعريف بالقاضي عياض ،تق وتح : محمد بن شريفة،ط2 ،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،الرباط ،المغرب ،1982،ص3-12.

[3]- يحي بن أبي بكر الصحراوي: يذكر المراكشي صاحب المعجب أنه كان جنديا عظيما وفارسا وافر الجرأة. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 111.

[4]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 273.

وامتدت هذه الحركة إلى أراضي برغواطة ودكالة واجتمعتا حول راية الصحراوي الذي كان يتشوق للنزول إلى ميدان تضطرم فيه الثورة ضد الموحدين، وقد امتدت أراضي هذه الحركة المناوئة من سلا جنوبا إلى أراضي برغواطة واجتمعت إليه أيضا بعض القلائل من القبائل المجاورة[1].

وقد بلغ عبد المؤمن بن علي اجتماع هذه الحشود من مختلف القبائل والمناطق ضد حكمه وسلطان دولته، فجهز حملة بقيادة أحد خاصته وهو يصلاسن وبعث به لقتالهم، فسار في البداية يصلاسن إلى تادلا ومنها إلى سلا فاقتحمها وغلب على قصبتها وعاقب كل من نكث البيعة وأخضع أهلها لطاعة الموحدين من جديد، وعين موسى بن زيري الهنتاني واليا عليها، ثم تقدم إلى أراضي بني ورياغل الواقعة بين سلا ومكناسة فأخضعهم وخرج منهم بغنائم حملها إلى مكناسة حيث قسمت بين الموحدين، ثم اتجه صوب طنجة والتي كانت لا تزال إحدى معاقل المرابطين اللمتونيين فتمكن من اقتحامها وقتل واليها المرابطي يحي بن تاشا [2]، ثم سار شرقا إلى سبتة وحاصرها لكنه لم يدخلها وعاد إلى مكناسة لأنها كانت قد حصلت على العفو من عبد المؤمن بن علي بعد أن سعى في ذلك القاضي عياض وتوسل وتلطف في الاعتذار عما بدر منه ومن أهل سبتة فعفا عنهم وصفح عنهم عبد المؤمن بن علي[3]. هذا ويذكر أن القاضي عياض قابل يصلاسن لقاء ود ثم سار إلى مراكش سنة 543هـ، فعفا عنه وأمره بلزوم مجلسه وأغذق عليه عطفه[4].

أما منطقة برغواطة ودكالة فقد خرج إليهم عبد المؤمن بن علي بنفسه للقضاء عليهم بعد أن جاءته الوفود من كل الأنحاء إثر كتابته إليهم، فالتقت حشود النواحي الشرقية بقيادة تاشفين بن ماخوخ[5]، وحشود النواحي الغربية بقيادة عبد الله بن شريف وثلاثة قادة آخرين، كذلك حشود غمارة بقيادة عبد الله بن سليمان، وحشود صنهاجة بقيادة أبي بكر بن الجبر وأبي بدر بن ومصال، وحشود جمراوة بقيادة عبد الله بن داود[6].

---

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 274.

[2]- نفسه، ص273

[3]- البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 107- 108.

[4]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 1، ق 1، ص 274.

[5]- تاشفين بن ماخوخ: قاد عساكر النواحي الشرقية خلفا ليوسف بن وانودين الذي توفي في الطريق بفاس. أنظر : محمد عبد الله عنان: ع 3، ق1، ص 275.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

وقد خرجت كل هذه الحشود تحت رئاسة عبد المؤمن بن علي واجتمعت حشود برغواطة ودكالة بقيادة يحي الصحراوي عند مقربة ساحل المحيط جنوبي تفرازمور [1]، ويقدر ابن خلدون جيوش برغواطة ودكالة بحوالي ستين ألفا من الرجالة وسبعمائة من الفرسان إلا أنها كانت خالية من فرق الرماة[2].

هذا ونذكر أن عبد المؤمن فاجأ خصومه بخطة لم يتوقعوها فاختل نظامهم وتبدد شملهم فاضطروا إلى مغادرة مراكزهم نحو البحر حيث غرق منهم الكثير، وقد سحق بالأخص حشود دكالة وفر زعمائها برفقة يحي الصحراوي إلى السوس، فسار في إثرهم يصلاسن وشرع في تمزيقها حتى خضعت لطاعة الموحدين، واستولى عبد المؤمن على برغواطة ودكالة [3]، وأما يحي فمنهم من يقول أنه فر إلى الصحراء ومنهم من يقول أنه بعث إلى عبد المؤمن يستأمنه فأمنه وبايعه وحسنت طاعته[4].

واستمر ظهور الحركات المناوئة للحكم الموحدي حتى بعد عهد عبد المؤمن، ففي عهد ابنه يوسف ظهرت حركة جبل غمارة وامتدت إلى جبال صنهاجة ولكنه تمكن من القضاء عليها سنة 562هـ الموافق لـ1167م وقد خرج إليها بنفسه، إلا أنها عاودت الظهور سنة 572هـ الموافق لـ 1176م[5] وكذلك سنة 595هـ الموافق ل 1199م، هذا إضافة إلى حركة أحد أفراد صنهاجة بنواحي سجلماسة سنة 618هـ الموافق لـ 1221م، وحركة نواحي تاسررت سنة 563هـ الموافق ل 1168م، وحركة أبي قصبة الجزولي سنة 597هـ الموافق لـ 1201م بالسوس، وفي أيام الناصر ظهرت حركة مناوئة لحكم الموحدين تعود لسلالة الفاطميين قادها أحد القادمين من مصر ولم يقضى عليه إلا في عهد المستنصر سنة 612هـ الموافق لـ1215م[6].

رغم هذا العدد من الحركات في بلاد المغرب المناوئة للحكم الموحدي إلا أنه لم تستطع أي حركة أن تعصف بالحكم الموحدي، لكن الحركة الموالية أشرفت على ذلك واستمرت مدة زمنية

---

[1]- محمد عبد الله عنان: ع 3، ق1، ص 275.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 232.

[3]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 1، ص 276.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 124، ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 232.

[5]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في تاريخ المغرب، ص 99.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

طويلة وتمكنت في العديد من المرات من الاستيلاء على العديد من مناطق بلاد المغرب وهي حركة بني غانية[1].

لقد كان لبني غانية أمراء الجزائر الشرقية تاريخ صراع طويل مع الموحدين حيث أن الموحدين ما إن استتب لهم الامر في العدوتين، حتى واجههم مشكل أو فتحت عليهم جبهة أخرى من الصراع؛ وهي جبهة الصراع مع بني غانية في محاولاتهم لإعادة مجد الدولة المرابطية وقد اشتد الصراع في عهد الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور.

لقد سبق صراع يعقوب المنصور مع بني غانية عدة أحداث أدت إلى احتدام الصراع بين الطرفين في عهد المنصور ذلك أن بنو غانية كانوا بالجزائر الشرقية يشعرون بالاستقرار والأمان طيلة الفترة التي كانت فيها الدولة الموحدية منشغلة بالصراع في شرقي الأندلس لكن بعد أن فرغت الدولة الموحدية من هذا الأمر باخضاع شرقي الأندلس ، أحس بنو غانية بخطر الموحدين يتهددهم فأخذوا في مصانعتهم بإرسال الهدايا النفيسة من الغنائم والسبي [2]، وكان الموحدون يقبلون هذه الهدايا ولا يكترثون لأمر الجزائر الشرقية ثم أدركوا موقعها البحري فشرعوا في إرسال الرسائل لإسحاق بن غانية طالبين منه الدخول في طاعتهم[3].

وأول كتاب بعثه الموحدون لإسحاق بن غانية كان سنة 578هـ/1183م دعوه فيه إلى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر فوعدهم بالاستجابة لكن بعد الأخذ والرد في الأمر مع أصحابه وأعوانه، اختلطت عليه الأمور نظرا لاختلاف الآراء مما جعله يؤجل الموضوع إلى أن يعيد فيه النظر، وخرج غازيا لبلاد الروم فاستشهد ويقال أنه طعن طعنة في حلقه لم يمت في لحظته وإنما نقل إلى قصره ومات به[4].

---

[1]- بني غانية: هم ذوي اصول مرابطية ينتسبون لامهم غانية عارضوا الحكم الموحدي من ابرزهم الاخوان علي ويحيى ابنا غانية ،أنظر: ابن خلدون: العبر ،ج6،ص 190 Terrasse,HistoireduMaroc, des originies a l etablissement du protectorat francais,casablanca,sans date,vol1,p 328.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص149.

[3]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص147.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص197.

ويذكر الغبريني أن إسحاق بن غانية امتنع عن الدخول في طاعة الموحدين حيث يقول:"...كان إسحاق بن غانية بجزيرة ميورقة هو وبقية اللمتونيين، فوجه له من مراكش من قبل خليفتها من يطلبه بالبيعة والدخول تحت الطاعة، فامتنع [1] من ذلك..." ويقال أنه قال لرسول الخليفة:"أنا لا أراهم ولا يروني ولكن قل للموحدين يهيئون ما ينفقون على رأسي هذين أي ولديه"[2].

وأما ابن خلدون فيذكر أن إسحاق بن غانية اشتغل أول الأمر بالبناء والفراسة لكن بعض سلوكاته جعلت الناس يضجرون منه ومنهم من تركه وفر لطاعة الموحدين، وكان إسحاق ابن غانية يبعث بالأُسَارَى[3] والعلوج[4] للخليفة أبي يعقوب إلى أن مات وقد ولى قبل وفاته ابنه محمد وبعث إلى الخليفة أبي يعقوب بطاعته إلا أن الخليفة ارتاب في أمر طاعته فبعث علي بن الربرتير[5] للتأكد من الأمر، وقد أحس بقية أبناء إسحاق بحسد في أنفسهم لأخيهم محمد لتوليته العهد فقبضوا عليه وقدموا عليا منهم في تلك الأثناء بلغهم وفاة الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف وتولي ابنه المنصور من بعده فشجعهم موت الخليفة الموحدي على اعتقال ابن الروبرتير[6].

وهناك روايات تاريخية أخرى مفادها أن الموحدين بدؤوا بإرسال الرسل إلى بني غانية من أجل حثهم على تقديم الولاء والطاعة في عهد علي بن إسحاق بن غانية وليس في عهد أبيه على أن الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بعث بأبي الحسن علي بن الروبرتير إلى جزيرة ميورقة بعد

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص24.

[2]- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج2،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (د.ت) ص171.

[3]- الأسارى:أَسْرَى من قُبِضَ عليهم وأخذوا مقيدين، وأُسَارَى من قُبِضَ عليهم وأخذوا دون قيد، نقول أَسْرَى الحرب من يلقى عليهم القبض ويقيدون ، ونقول أُسَارَى الحرب من يلقى عليهم القبض ولا يقيدون ، أنظر: المنجد في اللغة والإعلام، ص 10.

[4]- العلوج: مفردها العلج وجمع الكلمة علوج أو أعلاج وتعني كلمة علج الرجل الضخم القوي من كفار العجم ، والبعض يطلق عليه الكافر عموما، أنظر: نفسه، ص 525.

[5]- علي بن الروبرتير: كان والده الروبرتير فارس برشلوني مسيحي وقع أسيرا بيد قائد الأسطول علي بن ميمون، فحمله هذا الأخير إلى الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين بمراكش حيث أصبح قائدا على الجند النصارى نظرا لكفاءته وشجاعته بأمر من الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين هذا وقد توفي في معركة ضد الموحدين قرب تلمسان سنة 539هـ/1145م، أما ابنه فقد اعتنق بعده الإسلام واتخذ اسم أبا الحسن علي ثم دخل في طاعة وخدمة الموحدين وبقي عليها إلى أن توفي سنة 583هـ/1187م، أنظر: أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 355.

[6]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص242-243.

وفاة إسحاق بن غانية ليعرض الطاعة، ويقدم في نفس الوقت الأعذار والأنذار في حين التخلف عن الطاعة للموحدين وتنسب هذه الرواية إلى ابن العذاري المراكشي[1].

وأما الحميري فيذكر أن رسل الموحدين سارت إلى بني غانية في عهد المنصور وليس في عهد أبيه وفي عهد علي بن إسحاق وليس في عهد أبيه؛ وأن عليا امتنع عن الطاعة واعتقل رسل الموحدين، حيث يقول الحميري:"...وكان السبب في التوجيه إلى ميورقة أن المنصور يعقوب كان وجه إلى صاحب ميورقة عليا بن إسحاق بن محمد بن غانية يستدعي بيعته، فأنف من ذلك وأساء الرد واحتال على الرسل حتى اعتقلهم وأودعهم في السجون..."[2].

ويبدو أن اختلاف الروايات هذا يعود إلى أن وفاة الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف حدث في نفس الوقت الذي كان فيه أبا الحسن علي بن الروبرتير مبعوثا بصفة رسول الدولة الموحدية إلى بني غانية أمراء ميورقة، ذلك أن فشل الموحدين في غزو النصارى بمدينة شنترين واستشهاد الخليفة أبو يعقوب يوسف في ربيع الثاني سنة 580هـ/جوان1184م[3] جراء إصابته في الغزو تصادف مع زيارة بعض وحدات الأسطول الموحدي بقيادة أبي الحسن علي بن الروبرتير حيث تظاهر الميورقيون بحفاوة استقباله ثم استولوا على مراكبه سرا وأسروا بحارتها مما أدى إلى استسلام أبي الحسن فاعتقله بنو غانية في دار الضيافة وشددوا عليه الحراسة لما كانوا يعرفونه عنه من دهاء ومكر واحتيال[4] ويؤكد هذا ابن عذاري المراكشي بقوله:"...وتمادى إمساكهم للقائد

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص150.

[2]- الحميري: المصدر السابق، ص189-190.

[3]- تضاربت الآراء واختلفت المصادر في تاريخ وفاته؛ وفي شهر وفاته بالتحديد، حيث ورد عند صاحب الاستقصاء أنه توفي يوم السبت 10 ربيع الثاني580 وقد أخذ بهذا التاريخ ابن خلدون، وأما الزركشي وعلي بن أبي زرع فيجعلون تاريخ وفاته في 18ربيع الثاني 580هـ وأما عبد الواحد المراكشي في المعجب فيجعل وفاته يوم السبت 7رجب580هـ، وأما صاحب الحلل الموشية فيذكر لنا سنة الوفاة فقط دون أن يذكر الشهر واليوم ويوافق بقية المصادر في السنة ويجعلها سنة 580هـ، والأرجح ربيع الثاني سنة 580هـ لأن هذا التاريخ ورد في أغلب المصادر والتاريخ الذي أورده صاحب المعجب قد يكون انفرد به وحده، أنظر:الناصري:المصدر السابق، ج 1، ص283، وأنظر : ابن خلدون: العبر، ج 6،ص242-243، وأنظر أيضا: الزركشي:المصدر السابق، ص 14، وأنظر كذلك: علي بن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق، ص215، وأنظر أيضا: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 191، وأنظر أيضا: مؤلف مجهول: الحلل الموشية،ص158.

[4]- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،ص355-356.

المذكور ومطاولتهم له مواعدته حتى اتصل بهم وفاة أمير المؤمنين أبي يعقوب...فاعتقلوا أبا الحسن في دار إنزاله ووكلوا به من الحرس والرقباء ما أمنوا به من مكره واحتياله..."[1].

وفي مثل كل مرة بعد وفاة الخليفة وتولي خليفة جديد تمر الدولة الموحدية بظروف حرجة-مرحلة انتقالية- من انشقاق بني عبد المؤمن وامتناع بعضهم عن تقديم البيعة للخليفة الجديد هذه الظروف شجعت علي بن إسحاق بن غانية على التمرد على الموحدين فلم يكتف بنو غانية برفضهم لتقديم الولاء والطاعة للموحدين واعتقال رسولهم بل اتجهوا بأنظارهم إلى محاولة توسيع إمارتهم محاولين في ذلك الاعتماد على بعض خصوم الموحدين [2]، وقد كانت وجهتهم الأولى مدينة بجاية[3].

هذا ويذكر أن بعض الرسائل وصلت علي بن إسحاق بن غانية بعثها أعيان بجاية من أنصار بني غانية يدعونه فيها إلى دخول بجاية ويؤكدون له بأنه لن يجد أية مقاومة وأنهم على استعداد للتعاون معه[4].

وانطلاقا من هذه الدعوة التي وجهها أعيان بجاية لبني غانية، قصد علي بن غانية بجاية على رأس أسطول من 30سفينة على ظهرها 200فارس و4000 من المشاة [5] يقودهم بنفسه إلى جانب أحد مواليه المسيحيين يدعى"الرشيد" [6]. ويورد عبد الواحد المراكشي في هذا

---

[1]- ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق، - قسم الموحدين- ، ص175.

[2]- تعددت خصوم الدولة الموحدية منهم طوائف العرب من بني هلال وبني رياح والأثيج وبني جامع وبني رند في قفصة والذين قضى الموحدون على ثورتهم سنة 576هـ/1181م إضافة إلى بني حماد أصحاب بجاية الحاقدين على الموحدين الذين قضوا على ملكهم، وكذلك بني مطروح في طرابلس وقرقوش مملوك صلاح الدين الأيوبي، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص151.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص311-312.

[5]- اختلفت المصادر في تقدير أسطول علي بن غانية الذي عبر به إلى بجاية حيث يقدرها الزركشي بـ 32 قطعة ويتفق معه في ذلك ابن خلدون ولكنه يقول وصلت إلى هذا العدد بإضافة سفن ابن الروبرتير ، أنظر: الزركشي:المصدر السابق، ص 15، وأنظر: ابن خلدون العبر،ج6،ص243، وأنظر أيضا:رشيد بورويبة: الجزائر في التاريخ الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984،ص309.

[6]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.

الشأن:"...وقصد مدينة بجاية حين راسله جماعة من أعيانها–على ما يقال– يدعونه إلى أن يُمَلِّكوهُ"[1].

هذا ومما شجع بني غانية على السير إلى بجاية أنهم كانوا على علم بأحوال المدينة نظرا لأن السفن التجارية كانت تسير باستمرار بين ميورقة وبجاية حيث يقول الغبريني:"...وكانت أجفان إسحاق بن غانية تصل أيضا من ميورقة كما تصل به أجفان بجاية..." [2] ، وتذكر بعض المصادر أن عليا بن غانية استخلف على ميورقة أثناء سيره لبجاية عمه أبا الزبير [3]،وأما إخوته فقد رافقوه صوب بجاية، وفي هذه الأثناء كان والي بجاية من طرف الموحدين وهو أبو الربيع سليمان غائبا عنها في طريقه إلى مراكش مما جعل بجاية في موقف ضعيف؛ فلم تكن بها آنذاك قوات كبيرة للدفاع عنها[4].

ويذكر أنه ما إن تراءت بجاية لعلي بن غانية حتى أمر إحدى السفن بالتقدم من الحصن بغرض التجسس وتظاهر طاقمها بأنهم قراصنة جاؤوا باحثين عن المؤونة [5]، ويؤكد هذا ابن عذاري المراكشي قائلا:"...قدموا زورقا إلى حريم أسوارها...فأشرف عليهم من أهل البلد من سألهم عن شأنهم ...فأخبروهم أنهم غزاة يطلبون مرافق السواحل..." [6] وقد نجح الطاقم في أخذ المعلومات التي احتاجها بنو غانية للدخول إلى بجاية التي استقوها من المتواطئين معهم من أهالي المدينة، وأدرك علي بن غانية أن الوقت جد مناسب للقيام بغزو المدينة؛ فبدأ بعد وصوله مباشرة بشن الهجوم وكان ذلك في الصباح الباكر، ونظرا لأن علي بن غانية نظم جنده تنظيما محكما إضافة

---

[1]– عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص197.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص24، وأنظر:محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص62-63.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص24، وأنظر:محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص62-63.

[4]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص149.

[5]– أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.

[6]– ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق،–قسم الموحدين–، ص175-176.

إلى الكميات المهمة من الأسلحة لم تستطع حامية المدينة المتواضعة الدفاع عن المدينة فتم الاستيلاء على بجاية من طرف علي بن غانية بكل سهولة[1].

فاحتشد أهل المدينة للمقاومة والدفاع عنها دون قائد ودون استعداد، فسلط عليهم علي بن غانية القسي والسهام للفتك بهم، ثم اقتحم المدينة واستولى عليها في 06 شعبان سنة 580هـ/13نوفمبر 1184م[2]، وتضاربت آراء المؤرخين واختلفت المصادر في تاريخ سقوط بجاية بيد علي بن غانية حيث يجعله ابن عذاري المراكشي في 19صفر581هـ/مايو1185م كما يشير إلى أن علي بن غانية أسر أبو موسى عمران بن عبد المؤمن والي إفريقية من طرف الموحدين إذ كان في طريقه إلى مراكش وكان نازلا ببجاية للاستراحة فيقول ابن عذاري: "...وقبضوا على السيد أبي موسى وذويه وأهله...وكان دخول البلد في التاسع عشر لصفر من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة..."[3].

ويوافق ابن خلدون ابن عذاري في تاريخ سقوط بجاية ويجعله هو الآخر في صفر سنة581هـ[4]، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه يؤكد على سقوط بجاية بيد علي بن غانية في التاريخ التاريخ الذي أوردناه أولا أي 06 شعبان سنة 580هحيث يقول:"...فقصد ساحل بجاية فنزل به فقاتله أهلها قتالا غير كثير ثم دخلها، وكان دخوله يوم الاثنين لست خلون من شعبان من السنة المذكورة"[5] ، وأما بالنسبة لعلي بن أبي زرع والزركشي فإننا نجد أن أبي زرع يأخذ بالرأي الأول الأول ويجعل تاريخ سقوط بجاية بيد علي بن غانية يوم 06 شعبان سنة 580هـ، وأما الزركشي فيأخذ بالرأي الثاني أي 19 صفر سنة 581هـ[6].

والأرجح التاريخ الأول 06 شعبان سنة 580هـ/13 نوفمبر 1184م هو الصحيح بناءا على تحليل أمبيرسيو هويثي ميراندا الذي جاء فيه أن التاريخ الثاني 19 صفر 581هـ لا

---

[1]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 3،ق2،ص149، وأنظر أيضا: عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية،ط 1،دار العلم للملايين، بيروت 1984،ص 353.

[3]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، - قسم الموحدين-،ص176.

[4]- ابن خلدون: العبر،ج6،ص143.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 197-198.

[6]- علي بن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق، ص269، وأنظر : الزركشي: المصدر السابق، ص15.

يتعلق باحتلال بجاية من طرف بني غانية وإنما استعادتها من طرف القوات الموحدية، وبما أن المدة بين التاريخين 06 أشهر وأنّ احتلال بني غانية لبجاية دام 06 أشهر حسب علي بن أبي زرع فإن التاريخ الأول هو الصحيح والثاني يقصد به استعادة الموحدين لبجاية[1].

وأما ما أورده الغبريني بخصوص دخول علي بن غانية بجاية قد يبدو غريبا بعض الشيء ويستبعده العقل والمنطق، حيث ينفي مقاومة أهل بجاية وأنهم بايعوا علي بن غانية بكل سهولة حيث يقول:"...فلما عزم بنو غانية...ساروا بالأسطول ونزلوا شاطئ بجاية بمحل بيع السبي منها...فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم لأجل السبي فنزلت الخيل معدة...والناس ما عندهم من شأنهم خبر...وطالبوا الناس بالبيعة فبايعوهم"[2].

وقد ورد عند علي بن أبي زرع الفاسي في روض القرطاس أن بني غانية دخلوا مدينة بجاية والناس في صلاة الجمعة وكانت أبواب المدن قبل ذلك لا تغلق وقت صلاة الجمعة، فاقتحم علي بن غانية المدينة وعمد إلى الجامع الأعظم وأدار به الخيل والرجل وجعل يخلي سبيل من يبايعه ويضرب عنق من يمتنع عن مبايعته [3]، وورد عند أمبير سيو هويثي؛ نقلا عن ابن عذاري المراكشي أن عليا بن غانية شن هجومه على بجاية في الصباح الباكر [4] ولعل هذا الرأي الأرجح بالنظر لأن ابن عذاري أقرب لعصر الموحدين من علي بن أبي زرع والناصري الذي وافقه الرأي.

وبلغ والي بجاية أبا الربيع سليمان الخبر وهو في طريقه إلى مراكش مما جعله يتوقف ويقرر العودة لاسترداد ولايته مع ما كان لديه من قوة والتي كانت حوالي 300 فارس ثم استنفر ألف فارس من عرب تلك النواحي [5]، ثم سار في اتجاه بجاية فالتقى بعلي بن غانية هذا الأخير

---

[1]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص313.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص24.

[3]- يذكر الغبريني أن قاضي الجماعة في بجاية امتنع عن البيعة وقال:" لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أو امرأة" فكشف علي بن غانية عن وجهه فبايعه القاضي، أنظر: نفسه،ص15.

[4]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص154.

الذي ترك بجاية في يد أخيه يحي [1] ومولاه الرشيد وخرج مقتفيا أثر واليها الموحدي فكان لقاؤهما بمنطقة تدعى "بلميلول"؛ فنشبت بينهما معركة انتهت بهزيمة الوالي الموحدي أبو الربيع سليمان ومقتل معظم رجاله وقد استطاع علي بن غانية هزيمة أبو الربيع سليمان بكل سهولة خاصة بعد أن تخلى عنه العرب الذين كانوا رفقته وانحازوا إلى علي بن غانية في حين تمكن أبو الربيع سليمان من الفرار مع من بقي من رجاله إلى مدينة الجزائر لكنه وجدها ضعيفة التحصينات فخشي من أن يستطيعابن غانية اللحاق به، فواصل سيره إلى تلمسان حيث اجتمع مع واليها الموحدي أبو الحسن بن أبي حفص، فتم تحصين المدينة وترميم أسوارها[2].

ثم سار علي بن إسحاق فاستولى على مدينة الجزائر وترك عليها ابن أخيه طلحة ثم توجه علي بن غانية إلى مليانة [3] ومازونة [4] فاستولى عليهما وعين على مليانة بدر ابن عائشة؛ ثم دخل أشير [5]وقصد قسنطينة لكنها امتنعت [6]عليه، وفي طريقه استولى على قلعة بني حماد[7] ويذكر ابن خلدون في هذا الصدد:"...استعمل أخاه يحي على بجاية ومضى إلى الجزائر

---

[1]- محمد مكيوي: الأوضاع السياسية والثقافية العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ/1236م-737هـ/1337م)، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2000- 2001، ص 34.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص150.

[3]- مليانة: هي مدينة رومانية جددها زيري بن مناد وحصنها وهي قديمة البناء، نضرة المزارع وفي جنوبها جبل الونشريس يسكنه قبائل من البربر منها مكناسة وكتامة ومطماطة وينتهي طرفه إلى مقربة من تاهرت، أنظر: الإدريسي: وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص 84-85، وأنظر أيضا: مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار،ص171

[4]- مازونة: بالقرب من مستغانم، وهي تقع على 6 أميال من البحر وهي مدينة بها مزارع وبساتين، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص163.

[5]- أشير: بلدة أو حصن أو مدينة بناها زيري بن مناد الصنهاجي، أنظر: نفسه، ص60.

[6]- الناصري: المصدر السابق،ج 2، ص143، وأنظر: ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق، ص 177، وأنظر أيضا: أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص314.

[7]- قلعة بني حماد: بينها وبين المسيلة 12 ميلا وهي من أكبر البلاد قطرا شيدها بنو حماد ونسبت إليهم، أنظر: الحميري:المصدر السابق، ص469، وأنظر أيضا: ابن خلدون: العبر،ج6،ص191.

فافتتحها وولى عليها يحي بن أخيه طلحة، ثم إلى مليانة فولى عليها بدر بن عائشة ونهض إلى القلعة ثم إلى قسنطينة[1] فنازلها".

ويذكر أن علي بن غانية أخذ أموال الموحدين وأغراضهم ووزّعها على جنده وعلى من كان معه من العرب ببجاية وبغيرها من المدن التي وقعت تحت يده [2]، وعاد علي بن غانية إلى بجاية وأقام بها وصلى فيها الجمعة فقطع الخطبة للموحدين وخطب لبني العباس وأمر بذلك في كافة البلاد التي استولى عليها، وكان خطيبه الفقيه الإمام المحدث المتقن أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي– مؤلف كتاب الأحكام وغيره من التآليف– [3] ، وكان من جملة الكلام في الخطبة التي أزعجت وضايقت وأخنقت الموحدين هو قول أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الخطيب في خطبته:" الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه"[4].

وقد علم الخليفة المنصور بأحداث بجاية وهو لا يزال في بداية عهده فأدرك خطورتها وقرر القضاء عليها فجهز جيشا بلغ عدده حوالي 20 ألف مقاتل، وقد زوده بوافر العدة والآلات وجعل على قيادته ابن عمه أبو زيد بن أبي حفص [5] وبعث برفقته أسطولا موحديا كبيرا من سبتة بقيادة أبي محمد بن إسحاق بن جامع وأبي محمد بن عطوش الكومي وأبي العباس الصقلي حيث سار الجيش والأسطول وفق خطة عسكرية واحدة في البر والبحر[6].

هذا وقد مهد الخليفة المنصور الطريق للجيش والأسطول في بجاية وذلك بإرسال بعض جواسيسه بالكتب إلى أهل البلاد يبشرهم فيها بالأمن والأمان والصفح والعفو، وقد رحل الجواسيس رفقة الجيش والأسطول ولما دنوا من البلاد رسوا فرحل الجواسيس بها ليلا إلى البلاد [7]، وقد شرع الأسطول الموحدي في استرداد البلاد المغتصبة منهم بداية من مدينة الجزائر حيث

[1]– ابن خلدون: العبر، ج6،ص243، وأنظر أيضا: عصام سالم سالم: المرجع السابق،ص363.

[2]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 156، وأنظر : عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 220.

[3]– عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 198.

[4]– الغبريني:المصدر السابق، ص24.

[5]– رشيد بوروبية: المرجع السابق،ص309.

[6]– الناصري:المصدر السابق، ج 2، ص143، وأنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 3،ق2،ص151، وأنظر أيضا: محمد عمرو الطمار: المرجع السابق، ص 64 –65.

[7]– أحمد مختار عبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،ص358–359.

استطاع الأسطول الموحدي الاستيلاء عليها وأسر يحي بن طلحة بن محمد بن غانية وأتباعه، ثم واصل الأسطول سيره إلى مليانة فاستولى عليها لكن حاكمها المرابطي استطاع الفرار وهو بدر ابن عائشة لكن أهل مليانة لحقوا به فدخلوا معه في معركة انهزم فيها فقيدوه ثم قطعوا رأسه، ثم تقدم أبو العباس الصقلي بسفينة من ميناء بجاية فأرسل عن طريق أعوانه الكتب إلى أهل بجاية يخبرهم بوصول جيش وأسطول الدولة الموحدية ويسألهم الثورة على بني غانية فاستجاب أهل بجاية وثاروا ضد بني غانية وفتحوا أبواب المدينة فاقتحمها رجال الأسطول في مقدمتهم أبو محمد ابن جامع وفتكوا بقوات بني غانية وأنصارهم وتمكنوا من أسر رشيد الرومي والاستيلاء على سفن بني غانية وإطلاق سراح الأسرى الموحدين وتم استرداد بجاية من طرف الموحدين بتاريخ 19 صفر 581هـ/22 مايو1185م[1].

رغم أن قوات بني غانية ببجاية كانت قواتهم ضئيلة لأن معظم الجيوش كانت تشارك في حصار قسنطينة؛ إلا أنهمحاولوا عرقلة تقدم القوات الموحدية خاصة البرية؛ وذلك من خلال ملأ كل المنافذ المؤدية لبجاية بقوات تابعة لبني غانية[2].

وأما يحي بن غانية والي بجاية فقد تمكن من الفرار مع بعض رجاله وسار إلى أخيه علي وهو في حصار قسنطينة، فأخبره بوصول القوات الموحدية مما جعل علي بن غانية يحرق المنجنيقات وآلات الحصار تحت أسوار قسنطينة وسار بقواته جنوبا صوب الصحراء، فلحق به الموحدون مسافة معتبرة حتى نقاوس[3] ثم عادوا إلى بجاية لعجزهم عن اللحاق به بسبب أحمالهم الثقيلة[4].

ألقى أبو زيد بن أبي حفص القبض على جميع أهل بجاية ممن ثبت عليهم تهمة التعاون والتواطؤ مع بني غانية ثم قتلهم جميعا وقتل معهم رجال بني غانية الأسرى، وقدكان من أهل بجاية بعض القادة والأعيان وهناك من أصدر أبو زيد في حقهم حكما بالنفي إلى سلا بعد أن أجبرهم

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص152.

[2]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص316.

[3]- نقاوس: هي مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين أكثر فواكهها الجوز وما بين نقاوس والمسيلة أربع مراحل وقيل ثلاث ومنها إلى حصن سكرة مرحلتان وبينهما وبين طبنة مرحلتان، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق، مج1، ص264.

[4]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص151-152.

على بيع أملاكهم وديارهم بثمن بخس [1] وتم صلب الشاعر الذي يدعى" الرميلي" والقائل البيت التالي:

أَنْتُم صَبَاحُ الدِّينِ يَجْلُو عَهْدُ الِ إلحَادَ وَالدُّنيَا بِكُمْ سَتُنِيرُ [2]

واشتدت وطأة الموحدين على أهل بجاية ولم يفرقوا ما بين العامة وأهل العلم ورجال الدين ويؤكد ذلك الغبريني:"...وتبع الموحدون الناس...فاشتدت وطأتهم على أهل العلم...وكان في جملة من اعتقل الشريف أبو الطاهر عمارة..."[3].

هذا وفي الوقت الذي كان فيه أبو زيد بن أبي حفص منشغلا باسترداد بجاية، تمكن علي ابن الربرتير الذي كان أسيرا بميورقة من التحرر من أسر بني غانية له والعودة إلى بلاد المغرب[4].

بعد تراجع القوات الموحدية واصل علي بن غانية توغله في الصحراء [5]، حيث اتجه إلى الواحات ببلاد الجريد [6]، وكان في طريقه يستميل إليه طوائف العرب بالعطايا والصلات الجزيلة واستطاع بمساعدتهم الاستيلاء على قفصة [7]، وقد بلغ علي بن غانية نزول شرف الدين [8] قراقوش بقواته في جهات طرابلس[9] وبالضبط في منطقة بلدة الحامة، فقام علي وإخوته بمراسلته وقد ورد في في رسائلهم لقراقوش ما يلي:"...إننا قوم من بني العباس ونريد دولتهم ونحن نريد أن نكون وإياك

1- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص158.

2- نفسه.

3- الغبريني:المصدر السابق، ص24-25.

4- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص317.

5- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق،ص15.

6- بلاد الجريد: وهي المنطقة التي تنقسم إلى قسمين قسم يسمى قسطيلة ويقصد به مدينة توزر وأعمالها وقسم يسمى "الزاب" يقصد به بسكرة وأعمالها وتوزر تعتبر حاضره بلاد الجريد وأم قراها، أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص254.

7- قفصة: تعتبر قفصة مركز البلاد ومن القيروان إلى قفصة شمالا أربع مراحل وبين قفصة وجبل نفوسة خمس مراحل وبينها وبين نفطة مرحلتان صغيرتان ومن قفصة إلى نفزاوة جنوبا يومان وبعض يوم وهي مدينة حسنة ذات سور ونهر جار ماؤه أطيب من ماء توزر ولها أسواق ومتاجر، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق، مج1، ص277.

8- شرف الدين قراقوش: هو شرف الدين قراقوش التقوي مملوك تقي الدين عمر أخ صلاح الدين الأيوبي، خرج من مصر بقواته فسار إلى جهات طرابلس واستولى على بعض البلاد، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص158-159.

9- طرابلس: مدينة حصينة عليها سور حجارة وهي في نهر البحر ومنها إلى صرت 230ميل وبينها وبين جبل مقدة ثلاث مراحل ومنها إلى جبل نفوسة ست مراحل، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1،ص297-299.

مجتمعين"[1] وقد استجاب لهم قراقوش فسار إليهم في حوالي 60 فارسا، والتقى بهم عند موضع يسمى حامة البهاليل[2] فتحالف الطرفان واتفقا على قتال الموحدين معا ثم اقتسما البلاد بينهما نصفين حيث صارت البلاد الواقعة غربي بونة[3] أي المغربين الأوسط والأقصى من حق بني غانية وأما البلاد الواقعة شرقي بونة فهي من حق قراقوش وقد تم هذا التحالف سنة581هـ/1185م

وبعد هذا التحالف عاد علي بن غانية للاستيلاء على البلاد فبعث بقائده غزي الصنهاجي للاستيلاء على مدينة أشير[4]، فسار إليها غزي واقتحمها عنوة وقتل واليها الموحدي بعد أن استولى عليها، وحاول أبو زيد في حملة بقيادة ابنه أبو حفص استرداد أشير، وقد كان في مساعدته أبي الظفر غانم أحد القادة الموحدين، فخرج غزي الصنهاجي لردهما لكنه انهزم وقتل فتولى أخوه عبد الله الصنهاجي من بعده مقاومة الموحدين مما أدى بالموحدين إلى الاتصال بالقاضي أبي العباس بن الخطيب من أجل مساعدتهم في إقناع عبد الله بالنزول عن المدينة فنجح القاضي في مهمة فقبض الموحدون على عبد الله وصلبوه ببجاية وجعلوا رأسه بجانب رأس أخيه[5].

هذا وقد سار علي بن غانية من اجل الاستيلاء على مدينة توزر[6] إلا انه فشل لمناعة حصنها، فضرب عليها الحصار وقطع أشجار النخيل التي حولها وداخل بعض أهلها مما ساعده في الاستيلاء عليها وكان هذا سنة 582هـ/1186م، وبعد أن دخلها عفا عن كل من ساعده في دخولها من أهل المدينة بينما من قاومه أو تخلى عنه فقد قتل البعض وسجن البعض الآخر،

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص159.

[2]- حامة البهاليل، هي نفسها بلدة الحامة في جهات طرابلس، أنظر: نفسه.

[3]- بونة: هي مدينة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ولكن متوسطة المساحة وتقع على ساحل البحر وكانت لها أسواق حسنة بها الكثير من الخشب بها معادن الحديد وبجنبيها جبل يسمى يدوغ وهي مدينة عنابة الجزائرية حاليا، أنظر: الإدريسي : المصدر السابق، مج 1، ص291.

[4]- يبدو أن الموحدين استردوا أشير مع استردادهم لمدينة الجزائر ومليانة وبجاية ثم عاود علي بن غانية التفكير في الاستيلاء عليها بعد فراره من بجاية حسب ما ورد في بعض المصادر، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 158-159، وأنظر أيضا: ابن خلدون: العبر، ج6، ص 243.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

[6]- توزر: وتسمى أيضا قسطيلة لها سور منيع وبها نخل كثير وتمرها يعمر بلاد إفريقية وبقولها كثيرة وماؤها غير طيب ولكنه ليس مر ومنها إلى مدينة باغاي أربعة مراحل وليست بعيدة كثيرا عن قفصة مرحلة أو مرحلتين، أنظر: الإدريسي :المصدر السابق، مج 1، ص277.

وطالبهم بمبالغ مالية كبيرة لإطلاق سراحهم وأما من امتنع عن فداء نفسه فقد ألقاه في بئر تسمبئر الشهداء[1]،وقد التف حول قراقوش بعض العرب من بني دياب وساروا معه إلى جبل نفوسة فتمكن من الاستيلاء عليه واستخلاص أموال كثيرة وتوزيعها على حلفائه من العرب، ثم انضم إليه مسعود بن زمام شيخ بني رياح هذا الأخير الذي كان من الخارجين على الموحدين، فشجع ذلك قراقوش على السير بقواته وبحلفائه العرب صوب طرابلس التي استولى عليها وذاع فيها صيته فهرعت إليه طوائف العرب للالتفاف حوله فملك الكثير من النواحي المجاورة لطرابلس[2]، في نفس الوقت استولى علي بن غانية على معظم أنحاء إفريقية حيث قصد جزيرة "باشر" [3] وقد أمن أهلها بعد أن طلبوا منه ذلك، إلا أنه بعد أن دخلها نهب جنده كل ما فيها من الأموال والدواب والغلات بل أنهم سلبوا الناس حتى ثيابهم ولم يستثنوا حتى النساء والصبيان، وأما عن تونس فقد كان فصل الشتاء سببا في فشله للاستيلاء عليها فقد أهلك البرد معظم جنده وأصابهم الوباء فمات منهم 12 ألف[4]، لكنه في نفس السنة أي 582هـ بعد أن استعاد جنده قواهم [5] قصد

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص153.

[2]- نفسه: ص156.

[3]- جزيرة باشر: تقع قرب تونس تشمل قرى كثيرة وردت في بعض المصادر والمراجع باسم "جزيرة باشو" وهي أرض مباركة وطيبة وهي إقليم ولم يبق منها الآن إلا قصر معمور على البحر يسمى نابل بها شجر الزيتون وعمارات متصلات ، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق،مج1،ص293، هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص160.

[4]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج11،ص211-212.

[5]- هؤلاء القادمين من مصر وهم أتباع أو جند قراقوش يطلق عليهم في بعض المراجع اسم –الأتراك أو الترك –إلا أن المصطلح يبدو غير مناسب لهذه الفترة الزمنية لأن اسم " الأتراك" أطلق على أهل منطقة من مناطق آسيا الصغرى- تركيا- بعد سنة 1929م في العصر الحديث وهم أقوام أو أفراد من مناطق بلاد الفرس أقصى بلاد الشرق على تخوم الصين دخلوا الإسلام ومنهم من أصبح موالي لبعض الخلفاء العباسيين ومنهم من وصلوا إلى السلطة في مصر وتسموا بالمماليك، وتسمية الأتراك متأخرة عن الفترة الزمنية التي نحن بصدد البحث فيها وربما الاسم المناسب لهم في هذه الفترة الزمنية هو ما ورد في بعض المصادر والمراجع اسم "الأغزاز" وربما سموا كذلك لأنهم يغزون كثيرا مفردها غزا غزي ومجمل الظروف التي نزح فيها هؤلاء الجند إلى أنحاء إفريقية هي الفتنة التي وقعت في مصر بعد وفاة آخر الخلفاء الفاطميين العاضد واستيلاء صلاح الدين الأيوبي على مصر فقد وقع الخلاف بين صلاح الدين وسيده القديم السلطان نورالدين وقد قرر بعض أمراء بني أيوب إذا ما تغلب عليهم نورالدين أن ينزحوا إلى بعض الجهات الآمنة مثل اليمن أو المغرب، ففكر تقي الدين عمر بالاتجاه إلى المغرب لكنه عدل عن المشروع لما واجهه من مصاعب ومخاطر إلا أن شرف الدين قراقوش الأرميني مملوك تقي الدين نفذ المشروع وفر في طائفة كبيرة من الجند ذوي الأصول الأواسط آسيوية أو من أصول تعود إلى آسيا الصغرى إلى بلاد المغرب، أنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 3،ق2،ص155-156، وأنظر أيضا: عز الدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،ط1،دار الشروق، بيروت1984، ص101، وأنظر كذلك: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص210، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق،ص120.

مدينة قفصة وحاصرها ثم أخرج أهلها من الموحدين وعساكرهم وتم تسليمهم إلى الملثم علي بن غانية هذا الأخير الذي رتب فيها جندا من أتباعه الملثمين والقادمين بقيادة مملوك التقي لدين الله[1] منمصر، فبالإضافة إلى حصانتها بالبناء حصنها بالرجال[2].

هذا وقد انضم قراقوش بقواته إلى علي بن غانية[3]، فكثر جمعهم وقويت شوكتهم واتبعوا جميعهم علي بن غانية الملثم ولقبوه بأمير المسلمين،وقصدوا بلاد إفريقية فملكوها شرقا وغربا إلا مدينتي تونس والمهدية[4]، ولم يكتف ابن غانية بلقب أمير المسلمين بل قطع الخطبة للموحدين وراسل العباسيين من خلال الكتاب الذي بعثه إلى الخليفة العباسي الناصر بن المستضيء ببغداد، فقبله الخليفة قبولا حسنا وكتب إلى صلاح الدين يأمره بأن يناصر الميورقيين بنو غانية فكتب صلاح الدين إلى قراقوش يخبره بأنه على استعداد لمناصرته وابن غانية في الكفاح ضد الموحدين[5]؛ ويؤكد هذا ابن الأثير في قوله:"...لما استولى الملثم على إفريقيا (إفريقية) قطع خطبة أولاد عبد

---

[1]- هؤلاء القادمين من مصر وهم أتباع أو جند قراقوش يطلق عليهم في بعض المراجع اسم – الأتراك أو الترك –إلا أن المصطلح يبدو غير مناسب لهذه الفترة الزمنية لأن اسم " الأتراك" أطلق على أهل منطقة من مناطق آسيا الصغرى- تركيا- بعد سنة 1929م في العصر الحديث وهم أقوام أو أفراد من مناطق بلاد الفرس أقصى بلاد الشرق على تخوم الصين دخلوا الإسلام ومنهم من أصبح موالي لبعض الخلفاء العباسيين ومنهم من وصلوا إلى السلطة في مصر وتسموا بالمماليك، وتسمية الأتراك متأخرة عن الفترة الزمنية التي نحن بصدد البحث فيها وربما الاسم المناسب لهم في هذه الفترة الزمنية هو ما ورد في بعض المصادر والمراجع اسم "الأغزاز" وربما سموا كذلك لأنهم يغزون كثيرا مفردها غزا غزي ومجمل الظروف التي نزح فيها هؤلاء الجند إلى أنحاء إفريقية هي الفتنة التي وقعت في مصر بعد وفاة آخر الخلفاء الفاطميين العاضد واستيلاء صلاح الدين الأيوبي على مصر فقد وقع الخلاف بين صلاح الدين وسيده القديم السلطان نورالدين وقد قرر بعض أمراء بني أيوب إذا ما تغلب عليهم نورالدين أن ينزحوا إلى بعض الجهات الآمنة مثل اليمن أو المغرب، ففكر تقي الدين عمر بالاتجاه إلى المغرب لكنه عدل عن المشروع لما واجهه من مصاعب ومخاطر إلا أن شرف الدين قراقوش الأرميني مملوك تقي الدين نفذ المشروع وفر في طائفة كبيرة من الجند ذوي الأصول الأواسط آسيوية أو من أصول تعود إلى آسيا الصغرى إلى بلاد المغرب، أنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 3،ق2،ص155-156، وأنظر أيضا: عزالدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،ط1،دار الشروق، بيروت1984، ص101، وأنظر كذلك: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص210، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق،ص120.

[2]- ابن الأثير: المصدر السابق،ج11،ص212.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي وأبي يوسف يعقوب، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1953 ص 93، وأنظر: إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ،ج1،ط2،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1984،ص276.

[4]- أمبرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص320.

[5]- ابن خلدون: العبر،ج6،ص192.

المؤمن وخطب للإمام الناصر لدين الله الخليفة العباسي، وأرسل إليه يطلب الخلع والأعلام السود"[1].

بلغ الخليفة يعقوب المنصور ما يجري من أحداث في إفريقية وأدرك خطورة الأحداث فقرر أن يقود جيشا بنفسه لاسترداد إفريقية فبعث إلى ولاته في البلاد يأمرهم بإعداد المنازل للجيش وتوفير المؤن والمياه مما هيأ أسباب الراحة للجيش، فقد حرص الخليفة على أن تخضع الحملة لتنظيم محكم [2]، خرج الخليفة بالجيش من مراكش في 3 شوال 582هـ/17 ديسمبر 1186م[3] وقد اصطحب معه شيوخ بني رياح وبعض من وثق بهم ولم يصطحب معه بني هلال وبني سليم خوفا من الانقلاب ضده أثناء القتال، وقد ترك الخليفة في مراكش أثناء غيابه خلفا له أبا الحسن أكبر أبناء عمه أبو حفص وأمره بالإشراف على إتمام أعمال البناء في الصالحة[4]، وما إن أشرف الخليفة على مدينة قسنطينة حتى شاهد قوات بني غانية وقراقوش وأنصارهما من قبائل بني سليم فعزم أن يبادرهم بالهجوم، لكن الأشياخ والوزراء أشاروا عليه بالتريث حتى الوصول إلى تونس قصد أخذ الجيش قسطا من الراحة؛ وقد تقبل الخليفة هذا الرأي وعمل به[5].

وعند وصول الخليفة إلى تونس بعث بحملة تتألف من 6 آلاف فارس بقيادة ابن عمه أبو يوسف يعقوب بن أبي حفص[6]وعمر بن أبي زيد أحد أشياخ الموحدين والقائد علي ابن ابن الربرتير، وقد كان علي بن غانية يرابط بقواته وحلفائه قرب قفصة ثم تقدم إلى سهل عمرة من أجل لقاء الموحدين فنشبت بين الطرفين معركة بتاريخ 15 ربيع الأول سنة 583هـ الموافق لـ 25

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج11،ص212.

[2]- ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق،- قسم الموحدين-، ص185-186.

[3]- ابن الأثير:المصدر السابق، ج11،ص175.

[4]- الصالحة: بعد أن أدرك المنصور أن قصر الحجر مقر إقامة جده ثم والده لم يعد يفي بالمطلوب، قرر إنشاء حي إمبراطوري خاص أطلق عليه اسم "الصالحة" وقد بدأت الأعمال به يوم الخميس 1 رجب 581هـ/ 28 سبتمبر 1185م وقد تم الإنتهاء منه في ربيع الأول 584هـ/1188م ووصل عدد العمال الذين شاركوا فيها إلى 4 آلاف قدموا من الأندلس وإفريقية وفاس وسوس، أنظر: ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق- قسم الموحدين- ص 185-186، وأنظر أيضا: أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص309.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص162-163.

[6]- علي أحمد: الموحدون وبنو غانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 31، دمشق،جوان 1989،ص191.

مايو 1187م[1]، فانقض ابن غانية على الموحدين بوابل من السهام فاختل توازن الجيش الموحدي وانقسم وسقط فيهم الكثير من القتلى؛ من بينهم العديد من أشياخ الموحدين كعمر ابن أبي زيد كما سقط الروبرتير أسيرا في يد[2] ابن غانية وأما أبو يوسف يعقوب بن أبي حفص فقرر الفرار ببعض رجاله صوب تونس[3].

وقد اختلفت الروايات التاريخية حول تاريخ وقوع هذه المعركة فابن خلدون يروي لنا روايتين متقاربتين في سرد الأحداث مختلفتين في التأريخ للمعركة حيث يجعلها في الرواية الأولى سنة 588هـ/1192م إذ يقول:"...ولما اتصل بالمنصور ما نزل بإفريقية...نهض من مراكش سنة ثمان وثمانين..."[4] ، وأما في الرواية الثانية فإنه يضعها سنة 582هـ/1186م،حيث يقول:"...نازل علي ابن غانية بلاد الجريد...وبلغ الخبر باستيلائه على قفصة فخرج المنصور إليه من مراكش سنة اثنين وثمانين..."[5] ، وأما ابن الأثير فيؤرخ للمعركة في ربيع الأول 583هـ/1187م[6].

وعلى الأرجح التاريخ الذي أوردناه أولا وهو ما أورده ابن الأثير 15 ربيع الأول سنة 583هـ الموافق لـ:25 مايو 1187م، وذلك بالنظر للأحداث التي ستعقب هذه المعركة حيث أن تأثير هزيمة سهل عمرة على الخليفة يعقوب المنصور جعلته يقرر في قيادة الجيش بنفسه؛ وسار به من تونس في اتجاه القيروان، وكان هذا في أوائل رجب 583هـ الموافق لـ: 8 سبتمبر 1187م[7] وهو في الطريق كتب كتابا لابن غانية ينذرهم بوجوب التراجع عما هم فيه والدخول في الطاعة، إلا أن ابن غانية عزف عن رد الجواب للخليفة واعتقل رسول الخليفة [8].تصرف ابن غانية جعل

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص163.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص161.

[3]- نفسه ،نفس الصفحة.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص192-193.

[5]- نفسه: ص 244.

[6]- ابن الأثير:المصدر السابق،ج11،ص211-212.

[7]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص165.

[8]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص161-162.

الخليفة يواصل زحفه حيث نزل بقواته على بعد فرسخين من الحمة [1] لمواجهة معسكر ابن غانية فنشبت المعركة بين الطرفين صبيحة يوم 09 شعبان 583هـ الموافق لـ: 15 أكتوبر 1187م[2]، وقد انتهت في اليوم ذاته بهزيمة ابن غانية وفراره مع قراقوش، بعد ذلك واصل الخليفة سيره إلى قابس، حيث كان ينزل أتباع قراقوش وأحاطها بجيشه وفي صباح اليوم التالي استنزل أهل قراقوش وأتباعه وأرسلهم إلى مراكش؛ ثم استولى على قابس وما فيها من ذخائر ومتاع[3].

بعد ذلك سار الخليفة يعقوب المنصور إلى توزر فافتتحها وقتل من وجد فيها من أتباع علي بن غانية، ثم واصل سيره إلى قفصة فحاصرها أياما حتى استسلموا فدخلها وأمن أهلها بالإضافة إلى تأمين أصحاب قراقوش أما أتباع علي بن غانية من الملثمين؛ فقد تم قتلهم ثم هدم أسوار المدينة وعاد إلى تونس[4]، ويتفق جل المؤرخين أن الخليفة يعقوب المنصور حاصر قفصة قبل دخولها فيقول ابن خلدون:" قصد المنصور إلى توزر فحاصرها فأسلموا إليه...ثم رجع إلى قفصة فحاصرها حتى نزلوا على حكمه..." [5]، وأما عبد الواحد المراكشي فيقول:"...انتفضت عليهم أيضا مدينة قفصة...ودعوا للميورقيين فنزل عليها أمير المؤمنين أبو يوسف... فحاصرها أشد الحصار ثم دخلها عنوة..." [6]، ويؤكد أيضا ابن الأثير على حصار قفصة قبل دخولها، فيقول:"...توجه إلى مدينة قفصة فحاصرها ثلاثة أشهر وقطع أشجارها وخرب ما حولها..."[7].ويذكر أيضا أن الخليفة المنصور في هذه الأثناء وصله كتاب من قراقوش يطلب فيه

---

[1]- الحمة: وردت في بعض المصادر باسم حامة دقيوس تتصل من جهة الجنوب والشرق بمدينة توزر بينهما مرحلة صغيرة وماؤها ليس بطيب لكنه شروب بها نخل كثير وتمر غزير تبعد عنها تاقيوس أو دقيوس حوالي 20 ميلا لهذا سميت بحامة دقيوس، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق،مج1،ص 277.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 166.

[3]- نفسه.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص344.

[5]- نفسه: ص193، وأنظر: الناصري: المصدر السابق، ج2،ص144.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 199-200.

[7]- ابن الأثير:المصدر السابق ،ج11،ص212.

العفو ويبدي استعداده ورغبته في دخول التوحيد [1]، وقد قبل ذلك الخليفة فأرسل العديد منهم إلى المغرب والأندلس للجهاد[2].

هذا وقد سار الخليفة من قفصة لإخضاع قبائل العرب حتى يمنع تعاونهم مع بني غانية، فطارد عرب إفريقية وفتك بهم واستباح محارمهم وأموالهم، وشردهم حتى تمكن من إخضاعهم وأرسل كل عناصر الفتنة والخلاف إلى المغرب الأقصى، ثم عاد إلى مراكش فدخلها في رجب 584هـ بعد أن أعاد تنظيم شؤون إفريقية وعين عليها أخوه أبا زيد[3].

أما عن علي بن غانية فقد تضاربت الآراء وتباينت الروايات التاريخية في شأن مصيره فيقال أنه فرّ إلى الصحراء وظل محتميا بها إلى أن توفي سنة 584هـ/1188م[4]، وهناك رواية أخرى مفادها أنه توفي في بعض حروبه مع أهل نفزاوة حيث أصابه سهم غريب فكان هلاكه ودفن في ميورقة [5]، وقيل أنه أصيب بسهم وهو في توزر سنة 585هـ[6]، ويقول ابن خلدون أنه جرح جراحا بليغة في معركة الحمة فخرج فارا بنفسه حتى بلغ خيمة عجوز عربية فبقي بها إلى أن مات[7]. وانتهى نشاط علي بن غانية بعد معركة الحمة فخلفه أخوه يحي بن غانية[8].

ويحي بن غانية لم يكن يختلف عن أخيه علي فقد سار على نهجه وعزم على التحالف مع قراقوش، هذا الأخير الذي أعلن الولاء والطاعة للموحدين، ولكنه لم يكن مخلصا في ذلك فقد هرب من تونس وعاد للاستيلاء على البلاد فاستولى على مدينة قابس بمخادعة أهلها ثم استبد بها ثم سار إلى طرابلس فاستولى عليها، ثم عاد إلى بلاد الجريد واستولى على أكثر أنحائها [9]، وقد سار يحي بن غانية بقواته لقتال قراقوش واسترداد البلاد الواقعة بيده إلا أن قراقوش فر إلى ناحية طرابلس

1- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص 165.

2- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،ص359.

3- الناصري:المصدر السابق ،ج2،ص 144، وأنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص168.

4- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،ص359.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر،ج6،ص193.

6- الحميري: المصدر السابق ،ص191.

7- عبد الرحمن بن خلدون: العبر،ج6،ص344.

8- إبراهيم حركات: المرجع السابق،ج1،ص274.

9- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص195.

خشية لقاء يحي بن غانية هذا الأخير الذي لحق به وهزمه في موضع بالقرب من طرابلس ففر قراقوش إلى ودان [1] جنوب طرابلس؛ وأما يحي بن غانية فواصل سيره للاستيلاء على طرابلس فحاصرها مدة طويلة إلا أن ياقوت مولى قراقوش أحسن الدفاع عنها مما دفع بيحيابن غانية إلى طلب المساعدة من أخيه عبد الله صاحب ميورقة الذي بعث إليه بقطعتين من الأسطول حاصرتا طرابلس من البحر حتى تمكن من الاستيلاء عليها؛ وبعث بياقوت مقيدا إلى ميورقة[2].

وقد عين يحي بن غانية على طرابلس ابن عمه تاشفين الغاني، ثم توجه للاستيلاء على بقية بلاد إفريقية وقد كانت قابس قد عادت لطاعة الموحدين فبعث يحي بن غانية كتابا إلى أهل قابس يسألهم إعلان الولاء والطاعة ويحذرهم إبداء المقاومة [3]، إلا أن أهل قابس رفضوا الإنذار والوعيد واستعدوا للدفاع عن مدينتهم، فضرب ابن غانية الحصار على قابس ونصب عليها آلات الحصار والمنجنيق ثم أمر جنده بغزوها وتخريب أحوازها؛ فقطعوا غابات النخيل المحيطة بها يقال إلا نخلة واحدة تركها يحي بن غانية عبرة لمن يعتبر، فلم يستطع أهل قابس الاستمرار في المقاومة فعرضوا تسليم المدينة مقابل الأمان لهم وللوالي الموحدي فوافق ابن غانية على هذا الطلب، ودخل قابس واستولى عليها في ربيع الثاني 591هـ الموافق لـ: أواخر مارس –أوائل أفريل 1195م[4] وقد أوفى ابن غانية بوعده بالأمان؛ لكنه فرض على أهل المدينة غرامة بقيمة 100 ألف دينار فلما عجزوا عن دفعها أخفض قيمتها إلى 60 ألف دينار[5].

هذا وقد نشبت العديد من المعارك بين ابن غانية والموحدين وكان النصر فيها غالبا لابن غانية ذلك نظرا لانشغال الموحدين بالجهاد في الأندلس [6]؛ وأيضا الظروف التي مرت بها الدولة

---

[1]– ودان: هي عبارة عن مناطق نخل متصلة تقع جنوب مدينة صرت بينهما خمس مراحل ومنها يدخل إلى بلاد السودان يقول الإدريسي في وصفها:"وودان جزائر نخل متصلة...وهما قصران بينهما مقدار رمية سهم والقصر الذي يلي الساحل حال والذي مع البرية مسكون ولها آبار كثيرة ويزرعون بها الذرة..."، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق،مج1،ص312.

[2]– ابن خلدون: العبر، ج6،ص193-194.

[3]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص171.

[4]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص252.

[5]– ابن خلدون: العبر، ج6،ص194.

[6]– انشغل الموحدون على رأسهم الخليفة يعقوب المنصوربالجهاد في الأندلس، حيث حققوا النصر المنشود في معركة الأرك والتي قارنها المؤرخون بحطين في بلوغ المسلمين ذروة الجهاد، أنظر: أمين الطيبي: وقعتا حطين والأرك المجيدتان نصران متوازيان على الغزاة الصليبيين في المشرق والمغرب،مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، طرابلس يناير 1988،ص67.

الموحدية من وفاة الخليفة يعقوب المنصور حيث توفي هذا الأخير في صدر سنة 595هـ ودفن بتينملل مع آبائه [1]، فمعظم الروايات التاريخية تنسب الأحداث إلى ما بعد مبايعة الخليفة الجديد محمد الناصر بن يعقوب المنصور، ومن ثم فإنه يمكن القول أن الصراع ما بين الموحدين وابن غانية استمر إلى عهد الخليفة محمد الناصر وقد اتسم صراعه مع ابن غانية بـ:

من أهم أحداث هذا الصراع التي ميزت بداية عهد الناصر ما ترويه المصادر عن الموقعة التي تذكر أنها تمت مباشرة بعد تمام بيعة الخليفة الناصر أي في سنة 595هـ الموافق لـ 1197م [2] وكان أول عمل قام به الخليفة هو تجهيز جيش إلى إفريقية للقضاء على ابن غانية؛ ويقول ابن عذاري أنه كان جيشا مشتت الآراء عديم النصحاء [3]، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون فيجعل بداية أحداث هذا الصراع سنة 596هـ الموافق لـ 1200م حيث يقول:"... لما هلك المنصور وأمر ابنه محمد ولي عهده وتلقب الناصر لدين الله...بلغه سنة ست وتسعين إجحاف العدو بإفريقيا وفساد الأعراب..." [4].

ويفهم من الروايتين أنه لما تمت البيعة للخليفة الجديد كان أول ما فكر فيه هو تجهيز الجيوش لإفريقية لردع تقدم يحي بن غانية وانتزاع منه البلاد التي استولى عليها، فقد كان أول جيش جهزه محمد الناصر هو الجيش الذي استعمل عليه أبا الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن ولم يعرف عن الموحدين أنهم جهزوا جيشا أضخم منه ولا أكثر منه سلاحا ولا أحسن عدة قبل ذلك وقد ضم الجيش بعض أعيان الموحدين وشيوخهم [5]، وقد سار أبو الحسن بجيشه وقد تم اللقاء بين هذا الجيش الموحدي الضخم ببني غانية فيما بين بجاية وقسنطينة، وبالقرب منها انهزم الموحدون بقيادة أبا الحسن ورجعوا إلى بجاية على حالهم السيئ؛ وقد استولى يحي بن غانية الميورقي على معسكرهم [6].

---

[1]- يجعل الزركشي وفاة يعقوب المنصور في 22 ربيع الأول 595هـ، أنظر: الزركشي: المصدر السابق ،ص 16، وأنظر أيضا: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 207.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 173.

[3]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق – قسم الموحدين-،ص213.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص246.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص273.

[6]- محمد عبد اله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص 254-255.

وبالنظر إلى الهزيمة التي لحقت بالموحدين يمكن أن نقول أن وصف ابن عذاري المراكشي للجيش أنه مشتت الآراء عديم النصحاء هو وصف صحيح وأنه لم يكن بالصورة التي وصفه بها عبد الواحد المراكشي، فإن المنطق يحتم علينا أنه لو كان بالصورة التي وصفه بها لما لحقت بهم تلك الهزيمة النكراء، ولأنهم كانوا على الحال الذي أورده ابن عذاري المراكشي فقد كان سهلا على يحي بن غانية هزيمتهم والاستيلاء على معسكرهم.

ورغم اختلاف الروايات التاريخية في التأريخ للحادثة أو الموقعة إلا أننا نرجح ما أورده المعجب وهو سنة 595هـ؛ وذلك بالنظر إلى هزيمة الموحدين؛ فيبدو أنه لما كان الخليفة الناصر حديث العهد بالخلافة لم تكن له خبرة في الحروب، واختيار عناصر الجيش الذي أرسله حتى جعل فيه أفرادا مثلما وصفهم ابن عذاري المراكشي مشتتي الآراء عديم النصحاء مما ألحق بهم الهزيمة.

وقد استطاع يحي بن غانية الاستيلاء على معظم بلاد إفريقية وقد نشأ صراع بينه وبين ابن عبد الكريم هذا الأخير الذي كان أحد قادة الموحدين على فرقة من الجند وبعد أن نشب خلاف بينه وبين والي تونس الموحدي ثار بجنده على الموحدين وأخذ يستولي على البلاد الإفريقيةفتمكن من المهدية ودعا لنفسه وتلقب بالمتوكل على الله [1]، ثم سار إلى تونس محاولا الاستيلاء عليها حيث هزم الموحدين سنة 596هـ الموافق لـ1200م وأسر عددا منهم ثم راسله الموحدين يسألونه الإفراج عن الأسرى ويذكرونه بسابق انتمائه لهم فاستجاب لهم وترك أسراهم وتونس وعاد للمهدية[2].

ولما قرر ابن عبد الكريم العودة للتفاهم مع الموحدين نشأ صراع بينه وبين يحي بن غانية حيث سار ابن عبد الكريم من المهدية بقواته لقتال ابن غانية بقابس لكنه ما إن أشرف عليها حتى أدرك عجزه عن دخولها أمام قوات يحي بن غانية فسار عنها إلى قفصة فتبعه يحي بن غانية وألحق بجيشه الهزيمة أما ابن عبد الكريم فإنه تمكن من الفرار إلى المهدية وتحصن بها مع جنده [3]، إلا أن يحي بن غانية لحق به إلى المهدية وحاصره في أول سنة 597هـ الموافق لـ 1201م، ولما استمر

[1]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص194.

[2]- نفسه ،نفس الصفحة .

[3]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص254.

الحصار ويئس ابن عبد الكريم بعث ابنه عبد الله إلى ابن غانية يعرض عليه تسليم المهدية مقابل المسالمة في نفسه وأهله وماله فقبل يحي بن غانية العرض؛ ولكن ما إن تحقق له دخول المهدية حتى أمر بتقييد ابن عبد الكريم وابنه عبد الله وسجنهما، وبعد فترة زمنية أخرج ابن عبد الكريم من السجن ميتا؛ وأما ابنه عبد الله فقد نفي إلى جزيرة ميورقة وفي عرض البحر ألقاه أرباب السفينة مقيدا في البحر إزاء ساحل قسنطينة[1].

ولما انقضى عهد ابن عبد الكريم وصارت أغلب مناطق إفريقية تحت سيطرته ولم يعد له منازع وحصل له البيعة في كل من طرابلس وقابس وصفاقس وبلاد الجريد كلها والقيروان وتبسة[2] وبلغت بيعته حتى بونة[3]، رأى ابن غانية أن يستكمل سيطرته على بقية أنحاء إفريقية فسار بقواته إلى باجة[4] ودخلها عنوة؛ بعد أن نصب عليها المناجيق وقتل عاملها الموحدي "عمر بن غالب" وقد أرهب الناس مما دفعهم إلى الهروب خارجها، إلا أن والي تونس الموحدي "أبا زيد" أعادهم إليها ودخل مع ابن غانية في قتال انهزم فيه واستولى ابن غانية على معسكره[5] .

ثم سار بعد ذلك يحي بن غانية إلى مدينة بسكرة وهي إحدى المدن التي خلعت طاعته فسار إليها ليعاقب أهلها على خلع طاعته فقبض على عاملها الموحدي " أبي الحسن بن أبي يعلى" وقطع أيدي الكثير من أهلها، وأما أهل بونة فمن خشية عقابه لهم بعثوا إليه بطاعتهم مما جعله لا يدخلها ويواصل سيره إلى تبسة والقيروان ثم عاد بعد ذلك إلى المهدية[6]، هذا وقد قرر يحي ابن غانية الاستيلاء على تونس فترك على مدينة المهدية ابن عمه علي بن الغاني

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص254.

[2]- تبسة: مدينة من مدن بلاد المغرب، هناك من ينسبها لولاية إفريقية، وهناك من ينسبها لبلاد المغرب الأوسط من الناحية الشرقية، بينها وبين بجاية ستة أيام، وهي حاليا في الشرق الجزائري، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص 260.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 176.

[4]- باجة: تقع بين طبرقة وتونس، مدينة حسنة كثيرة القمح والشعير صحيحة الهواء أهلها عرب بها عين ماء ينزل إليها الناس بالدرج بين باجة وطبرقة مرحلة يقابلها في جهة الشمال وعلى نحر البحر الملح مدينة مرسى الخرز وبينهما مرحلة كبيرة، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق،مج1،ص190.

[5]- لعل هذه الأحداث هي نفسها التي ذكرناها وقلنا أنها حدثت في بداية عهد الخليفة الناصر قرب قسنطينة والتي اختلفت فيها الروايات التاريخية لتداخل أحداثها بأحداث ابن عبد الكريم فإننا نجد معظم الروايات التاريخية تذكرها مرتين، أنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص 254-255، وأنظر أيضا: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 173-176.

[6]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 195.

ويعرف هذا الأخير باسم " الكافي بن عبد الله بن محمد بن علي بن غانية"؛ فقصد يحي تونس في أواخر 599هـ الموافق لـ أواخر أوت 1203م، فنزل بقواته بجبل من جهة جوفها وأقام بالجبل أياما ثم انتقل ونزل بالقرب من قرطاجنة [1]، وقد نزل أخوه الغازي بن إسحاق في موضع يعرف بحلق الوادي وهو المكان الذي يصب البحر في البحيرة [2] فردمه حتى صار أرضا يابسة ومنع بذلك تصرف القوارب الداخلة إليه والخارجة منه وجعل للمكان حارسا، وأما يحي فقد انتقل إلى الجهة الأخرى ونصب أمام باب المدينة منجنيقا وآلات الحرب وأقام فيها محاصرا أكثر من أربعة أشهر حتى تمكن من الاستيلاء عليها؛ وألقى القبض على واليها الموحدي أبا زيد وولديه وجماعة من أشياخ الموحدين وسجنهم بدار بنيت لهم داخل القصبة وأحاطهم بالحراسة المشددة؛ وكان هذا بتاريخ السبت 07 ربيع الثاني سنة 600هـ[3].

وقد أمن يحي بن غانية أهل تونس في أهلهم وأملاكهم إلا أنه فرض عليهم غرامة مالية قدرها 100 ألف دينار إلا أن أهل تونس لم يدفعوا 100 ألف وإنما قسطوا قيمتها حسب أحوالهم وسعة أموالهم؛ وقد جعل قابضها رجل من أهلها وهو "أبا بكر بن عبد العزيز بن السكاك" وكاتبه "الأثير بن عصفور"، فكانا شديدين عنيفين في استخلاصها من أصحابها مما أدى إلى زيادة ثقة يحي بن غانية بهما؛ وأدى أيضا إلى أن العديد من أهل تونس قتلوا أنفسهم بعدما أثقلت الغرامة كاهلهم ، ولما علم ابن غانية بالوضع رفعها عنهم ونادى فيهم بالأمان[4].

هذا ويذكر أن يحي بن غانية كان يحمل معه خلال غزواته والي تونس الموحدي المأسور أبا زيد، وقد بلغه وهو بتونس ثورة أهل جبل نفوسة وأنهم توقفوا عن دفع الإتاوة المفروضة عليهم،

---

[1]- قرطاجنة: ويقال لها أيضا قرطاجة من البحيرة إلى قرطاجنة ثلاثة أميال ونصف وهي من غرائب البلاد المذكورة وبينها وبين مدينة تونس ميلان وتتصل بها من جهة المغرب إقليم مدينة سطفورة، مدينة قرطاجنة لها تاريخ عريق سكنها عدة أقوام منهم الفنيقيين وهم أول من سكن المنطقة وبني المدينة ثم الروم وما زالت إلى الآن توجد بنايات الروم بها، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج 1،ص 286-288، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار:المصدر السابق،ص22.

[2]- البحيرة: وهو المكان المحتفر تربط تونس المدينة بالبحر وتتصل بها من جهة الجنوب مع انحراف إلى الغرب بحيرة ثانية تسمى بحيرة تينجة ومن أعاجيب الدنيا أن بها 12 نوعا من السمك في كل شهر يوجد نوع لا يمتزج بغيره من أصناف السمك فإذا أتم الشهر لا يوجد شيء من ذلك النوع، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق ،مج1،ص 288-289.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 176-177.

[4]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص 162.

فسار إليهم مستصحبا معه أبا زيد الوالي الموحدي المأسور وبعض الأسرى الموحدين فأخضعهم وأجبرهم على دفع الإتاوة وقد جعلها ألفي دينار ثم عاد إلى تونس وأقام بقصبتها[1].

وبالتالي أصبح يحي بن غانية يسيطر على كافة أنحاء إفريقية ففرق العمال وخطب للعباسيين، وولى على تونس أخاه الغازي ثم سار إلى جبال طرابلس ففرض عليهم غرامة مالية مرتفعة جدا قدرت ب ألف ألف دينار ثم عاد إلى تونس [2]، هذا ويقول الناصري في شأن يحي ابن غانية:"... لما هلك المنصور رحمه الله قوي أمر يحي بن إسحاق المسوفي المعروف بابن غانية بإفريقية واستولى على أعمال قراقوش...وعلى المهدية وتغلب على بلاد الجريد ثم نازل تونس...وقبض على السيد أبي زيد وابنه...ثم دخل في دعوته أهل القيروان... وفرق العمال وخطب للخليفة العباسي"[3].

ونظرا لأعمال يحي بن غانية هذه، وتوالي الهزائم على الموحدين فإنه يمكن القول أن بنو غانية تمكنوا من الاستيلاء على إفريقية؛ ولم يعد الخليفة الموحدي الناصر قادرا على انتزاعها منهم مما جعله يفكر في سبيل آخر أو خطة أخرى للقضاء على بني غانية في غير إفريقية.

بعد أعمال يحي بن غانية واستيلائه على إفريقية فكر الخليفة الناصر في أنه لا بد من القضاء على بني غانية ولكن دون أن يحاربهم في إفريقية؛ بل فكر في أن يحاربهم من جانب آخر أو في مكان آخر إن صح التعبير في مصدر قوتهم، فكر الخليفة الناصر في أن يوجه قوته ويحارب بني غانية في عقر دارهم بالجزائر الشرقية وانطلاقا من فكرة الناصر هذه كان:

أثناء تواجد علي بن غانية ويحي أخوه من بعده في بلاد إفريقية واستيلائهما عليها شيئا فشيئا عرفت الجزائر الشرقية عدة أحداث تمثلت في أن علي بن الروبرتير استطاع التحرر من معتقله في ميورقة، حيث وجد فرصة للاتصال بالجند المرتزقة النصارى الذين يتولون حراسته فعرض عليهم أن يطلقوا سراحه مقابل أن يساعدهم في العودة إلى بلادهم فقبلوا بالعرض واتفقوا معه على الأمر، وقد تمكن من استمالة بعض أعيان ميورقة من أنصار محمد بن غانية المعزول عن الحكم؛

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 178.

[2]- ابن خلدون: العبر،ج6،ص 248.

[3]- الناصري: المصدر السابق ،ج2،ص 191.

وفي يوم الجمعة من وقت الصلاة تم إخراج ابن الروبرتير من السجن ثم دخلوا مخازن السلاح واستولوا على ما فيها من ذخيرة وحاصروا القصبة وقتلوا من بها من جند وأتباع بني غانية المرابطين ثم تحصن ابن الروبرتير وأنصاره بالقصبة[1].

وقد بلغ أهل ميورقة المرابطين الخبر فحاصروا القصبة وضربوها بالمنجنيق إلا أن ابن الروبرتير هددهم بقتل أهل علي بن غانية إذ كان يحتجزهم بالقصبة بما فيهم أمه وأبناؤه مما أدى إلى وجوب التفاوض مع ابن الروبرتير، فاشترط إعادة محمد بن غانية إلى الحكم على الجزائر الشرقية مع إعلان الطاعة والولاء للموحدين، وتسريح الجند النصارى لبلادهم فوافقوا على شروطه، ثم غادر ابن الروبرتير إلى مراكش، حيث وصلها سنة 581هـ وبعض الروايات تذكر أن محمد بن إسحاق غادر ميورقة رفقة ابن الروبرتير ليقدم بنفسه الولاء والطاعة للخليفة بمراكش[2].

ولم تدم ميورقة طويلا تحت طاعة الموحدين ما إن علم علي بن غانية بالخبر حتى أرسل أخاه عبد الله لاستعادتها وقد نجح عبد الله بن غانية في مهمته خاصة وقد ساعده في ذلك النصارى إضافة إلى مواليه وجند على رأسهم مولاه نجاح، أما أخاه محمدا فقد بقي في حماية الموحدين وقد ولوه على إحدى مدن الأندلس وهي دانية[3]،ويؤكد هذا ابن خلدون في قوله:"...أن علياابن غانية لما نهض إلى فتح بجاية ترك أخاه محمدا وابن الروبرتير في معتقليهما...فلما خلا الجو من أولاد غانية...صالحهم أهلها على إطلاق محمد بن إسحاق بن غانية...فدخل في دعوة الموحدين ووفد مع علي بن الربرتير علي يعقوب المنصور وخالفهم إلى ميورقة عبد الله بنإسحاق...وركب البحر من إفريقية إلى صقلية وأمدوه بأسطول ووصل إلى ميورقة...فملكها ولم يزل بها واليا"[4].

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 3،ق2،ص 156-157، وأنظر: السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار عبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969،ص 224.

[2]- أحمد مختار عبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 360.

[3]- نفسه ،نفس الصفحة .

[4]- ابن خلدون: العبر،ج6،ص194.

وهناك رواية تاريخية أخرى؛ مفادها أن عبد الله بن غانية عندما وصل إلى ميورقة وجد أهلها قد ثاروا على أخيه محمد لدخوله تحت طاعة الموحدين وولوا أخاه تاشفين، فلما وصل عبد الله تسلم زمام الأمور[1].

وقد بعث الخليفة المنصور أسطوله لاحتلال الجزائر الشرقية إلا أنه لم يتمكن من ذلك مما جعل الموحدين يصرفون نظرهم عن فكرة الاستيلاء على الجزائر الشرقية لمدة 15 سنة حيث ركزوا اهتمامهم على محاولة منع ابن غانية من التوغل في بلاد إفريقية إلا أنهم فشلوا في ذلك، وفي عهد الخليفة الناصر أدرك أن الجزائر الشرقية هي بمثابة المورد الذي يغذي بني غانية في إفريقية بالرجال والعتاد[2]، وأن القضاء على بني غانية في إفريقية يجب أن يسبقه القضاء على مركز قوتهم في الجزائر الشرقية وانطلاقا من هذا صمم الخليفة الناصر على الاستيلاء عليها[3].

ومن ثمّ فقد أعد الخليفة الناصر حملة كبيرة في أحد ثغور الأندلس [4] من أجل الاستيلاء على الجزائر الشرقية وقد تكونت الحملة من ألفي ومئتي فارس وحوالي 700 من الرجالة؛ وكان الأسطول يحوي 300 قطعة منها 50 مركبا كبيرا وأخرى قوارب منوعة والأسلحة الصغيرة كانت أعدادها كبيرة لا تحصى، وقد تولى قيادة الحملة بأمر من الخليفة الناصر أبو العلاء عمه وأبو سعيد بن أبي حفص، وقد كانت الحملة تتكون من قوات بحرية وأخرى برية.وسارت الحملة من الأندلس ونزلت في جزيرة يابسة وفي يوم السبت 24 ذي الحجة سنة 599هـ[5] وصلوا ميورقة فنزلوا وتقرب

---

[1] – محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق2، ص157.

[2]– كانت الجزائر الشرقية بمثابة مورد لبني غانية في العتاد والرجال ذلك أن عبد الله بن غانية كان يسير وفق سياسة أبيه إسحاق في مسالمة الدول النصرانية من أجل مده بالجند والعتاد لا سيما الجمهوريات الإيطالية فقد راجت التجارة بين الجزائر الشرقية والدول النصرانية إذ عقد عبد الله ابن غانية سنة 594هـ/1198م معاهدة سلمية وتجارية لمدة 20سنة مع إحدى الجمهوريات الإيطالية وهي جنوا والتي كان يمثلها بميورقة سفيرها نيكولا لاكانوترى ومن ثم أصبح التجار النصارى يمدون الجزائر الشرقية بالسفن والسلاح والذخائر مقابل الحبوب والمنتوجات الأخرى من الجزائر الشرقية، أنظر: نفس المرجع،ص257.

[3]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 185.

[4]– اختلفت الروايات على المكان الذي انطلقت منه حملة الخليفة الناصر للاستيلاء على ميورقة، حيث يقول ابن أبي دينار القيرواني أن الخليفة الناصر جهز حملة احتلال ميورقة من جزائر بني مزغنة، أنظر: ابن أبي دينار القيرواني:المصدر السابق ،ص 122.

[5]– السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية،ص51.

الجند من المدينة، ورسى الأسطول بالمرسى بأمر من أبي العلاء وقد خرج إليهم عبد الله بن غانية بمجموعة من الرجال؛ فنشب بينهم القتال وقدم رجال بني غانية كل ما عندهم لكنهم انهزموا أمام قوة الموحدين الضخمة، فتم إغلاق المدينة وأحاط بها الرماة وغزاة البحر فتغلبوا عليها [1]، ودخلها الموحدون ولم يسلم من أهلها إلا من تحصن بالقصبة، وقد دخل قائد الحملة أبو العلاء وأبو سعيد ورأس عبد الله بن غانية معهما كان قد قطعه رجل غزي، فنهيا عن السلب والنهب وأمر بقطع رأس كل رجل قد خالف الأمر وسلب ونهب ثم نودي بالأمن والأمان فخرج الناس وآمنوا وكتبوا إلى الخليفة الناصر يبشرونه بنجاح الحملة وأنه تم الاستيلاء الكامل على ميورقة أو الجزائر الشرقية إن صح التعبير[2].

ويذكر أن قائدا الحملة دخلا مراكش ومعهما الأموال والأسرى والنساء، ثم نظرا في أمر النساء فتم تزويج بعضهن وتزهيجهن بأمر من الخليفة؛ وأما الرجال فوضعوا في السجن إلى أن عفا عنهم الخليفة فاتخذ بعضهم جندا في جيشه والبعض الآخر عفا عنهم وخلى سبيلهم[3].

وقد عين أبو العلاء قبل عودته إلى مراكش عبد الله بن طاع الله الكومي واليا على الجزائر الشرقية، لكن الخليفة الناصر عزله وجعله على قيادة الأسطول، وعين عمه أبا زيد واليا على الجزائر الشرقية، ومن بعده تولاها عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن ثم أبو يحي علي بن أبي عمران التينملي،[4] وبعد أن تم للخليفة الاستيلاء على الجزائر الشرقية فقد فكر في إمكانية استرداد إفريقية وبالتالي كانت:

بعد أن تمكن الخليفة الناصر من الاستيلاء على الجزائر الشرقية وإخضاعها لسلطة الدولة الموحدية بدأ يفكر في كيفية القضاء على بني غانية بشكل نهائي، فاجتمع رجال دولته واستشارهم في الأمر فمعظمهم أشاروا عليه بمسالمة بني غانية ومهادنتهم؛ إلا أن الشيخ عبد

---

[1]- الحميري: المصدر السابق ،ص 189.

[2]- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،ص 368.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 187.

[4]- أبي عمران النمللي : لم نهتد الى ترجمته في المصادر التي بين ايدينا .

الواحد بن أبي حفص [1]أشار عليه بقتال بني غانية، وقد أخذ الخليفة بهذا الرأي وبدأ في تجهيز الجيش والأسطول معا على الفور، وقد سلم قيادة الأسطول إلى "أبي يحي بن زكرياء الهزرجي" وأمره بالسير إلى إفريقية وأما الجيش فقد رأى الخليفة أن يقوده بنفسه مصطحبا معه صاحب هذه الفكرة الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص[2].

وقد خرج الخليفة على رأس قواته من مراكش في الأيام العشرة الثانية من جمادى الثانية 601هـ الموافق لـ: نوفمبر 1205م، فلما بلغ الخبر يحي بن غانية وأن الأسطول الموحدي يقترب من تونس والقوات البرية قادمة من بجاية خاف من أن يحاصره الموحدون من جهتي البحر والبر فقام بإخلاء تونس باتجاه المهدية،فنقل إليها ذخائره وأمواله، حيث يتواجد ابن عمه عليابن الغازي[3]، وبعد أن اطمئن يحي بن غانية على ثرواته بالمهدية سار إلى القيروان وقفصة وحامة وغيرها من المناطق قصد استمالة وجمع طوائف العرب إلى صفه ضد الموحدين وقد استجاب له العديد من قبائل العرب[4].

وقد وصل الأسطول الموحدي بقيادة أبي يحي إلى مدينة تونس فاقتحمها واستولى عليها وألقى القبض على جميع أنصار بني غانية فقتلهم[5]، فبلغ الخليفة انتصار أبو يحي في تونس فأمره أن يواصل سيره ويحاصر المهدية، وعين الخليفة داود بن أبي داود واليا على تونس وأعمالها وبعث معه

[1]- الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص: هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص عمر بن يحي بن محمد وأنودين بن علية بن أحمد بن والال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن نجية بن كعب بن محمد بن سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-وهذا النسب غارق في أنساب البربر فأصبح نسبهم من جهة البربر ينسب إلى الشيخ أبو حفص من قبيلة هنتانة من القبائل المصامدة وقد كانت قبيلة هنتانة أكثر القبائل جمعا وقد كان أفرادها من القائمين على نجاح دعوة المهدي بن تومرت والشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي والد الشيخ عبد الواحد ابن أبي حفص أحد أصحاب المهدي العشرة والمقربين إليه ومن الأوائل الذين بايعوه، أنظر: ابن أبي دينار القيرواني:المصدر السابق ،ص 130، أبي عبد الله بن عسكر ،أبي بكر بن خميس :أعلام مالقة ،تق وتح :عبد الله المرابط الترغي ،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1999،ص 323

[2]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 247، وأنظر: عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 220- 221.

[3]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص 394-395.

[4]- الزركشي: المصدر السابق ،ص 17.

[5]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 247.

جماعة من الموحدين، وأما الخليفة فقد تابع سيره، حيث استرد قفصة وصفاقص وقابس [1] وأما يحي ابن غانية فقد تحصن بجبل دمر[2].

وقد عين الخليفة على البلاد التي تمكن من فتحها إن صح التعبير ولاة إلا أنه لم يستطع اللحاق بيحي بن غانية فعاد الخليفة بالجيش لحصار مدينة المهدية، وقد نصب لذلك الآلات والمناجنيق والسلالم[3]، وفي أثناء ذلك بلغ الخليفة أن يحي بن غانية قد عسكر بقواته على مقربة من مدينة قابس فأرسل لقتاله 4 آلاف فارس موحدي بقيادة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص مما أرهب يحي بن غانية وفكر بالفرار إلى الصحراء إلا أن كبار قادته أشاروا عليه بالبقاء فأخذ برأيهم واستعد لخوض المعركة[4]، وفي شأن جعل الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص على قيادة الجيش يقول ابن عذاري:" قدم عليه أميرا الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص لمكانته وصحة دينه وحسن يقينه وتهيب الموحدين قدره ومسارعتهم إلى بره..."[5].

وقد نشبت المعركة في يوم 12 ربيع الأول سنة 602هـ الموافق لـ: 28 أكتوبر 1205م[6] بالقرب من مدينة قابس في موضع يسمى تاجرا [7]، وقبل انطلاق المعركة كانت القوات القوات الموحدية بقيادة عبد الواحد بن أبي حفص قد نزلت في مكان يسمى بمنزل أم العافية؛ ومن هذا المكان انطلقت تقتفي أثر يحي بن غانية، وأما العرب الذين أجبرهم يحي بن غانية على المشاركة في

1- ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق – قسم الموحدين– ،ص 244.

2- جبل دمر: بينه وبين جبل نفوسة 3 مراحل في رمل متصل وفي أطراف هذا الجبل قوم من البربر يسمون رهانة قوم يربون الإبل ويركبونها يغيرون على قبائل العرب يأخذون إبلهم ومتاعهم ثم يعودون إلى جبلهم وليست هناك قبيلة تجاورهم إلا وتشتكي من أذيتهم ويتصل بهذا الجبل من جهة الجنوب ببلاد ودان، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج1،ص299.

3- الناصري: المصدر السابق ،ج2،ص 192.

4- محمد الأندلسي الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتح: محمد الحبيب الهيلة،ط 1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985،ص 256-257.

5- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق – قسم الموحدين –،ص 245.

6- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 189-190.

7- تاجرا: موضع من أحواز قابس في مكان يقال له لاقية، أنظر: الحميري: المصدر السابق ،ص 125، وأنظر أيضا: التجاني أبو عبد الله أحمد بن محمد: رحلة التجاني قدمها له، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981،ص 176.

هذه المعركة[1] إلى جانبه فقد بدؤوا الاستعداد للمعركة؛ وقد أطلقوا عليها اسم " معركة النساء" ذلك أنهم قبل انطلاقها ربطوا في مكان قريب من مكان وقوعها جمالهم ووضعوا عليها أمتعتهم وبجوارها تركوا العربات التي تجرها الدواب، والتي كانت تحمل نساءهم ثم انطلقوا للقتال دون تراجع، وكان الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص قد تفطن لخطة العرب هذه وهي خطة الكر والفر فأمر رجاله قبل أن يبدؤوا بالقتال أن يتخلصوا من الجمال والعربات وأن لا يكترثوا للغنائم حتى يحققوا النصر، فنفذ أفراد الجيش الموحدي أوامر القائد عبد الواحد بن أبي حفص[2].

ثم نشبت المعركة [3] وقد كانت مدتها ثلاث ساعات تمكن من خلالها الموحدون من إفشال عدة هجمات مضادة شنها يحي بن غانية فتراجع منهزما وقد لاحقه الموحدون حتى حلول الظلام، وكان يحي قد ترك عائلته وبقية خاصته في مكان آمن يبعد خمسة فراسخ عن مكان المعركة وجعل لهم حراسا ممن يثق بهم من رجاله وأثناء فراره مر بهم وحملهم معه [4]، وقد حلت الهزيمة بابن غانية وتكبد خسائر فادحة حيث قتل أكثر جنده وأنصاره وقادته ومن بينهم أخوه جابر وكاتبه علي بن اللّمطي والفتح بن محمد، وتمكن الموحدون من الاستيلاء على معسكرابن غانية بما فيه من الغنائم والأموال والغطاء، ويقدر ابن خلدون ما غنمه الموحدون بـ 18 ألفاً من أحمال المال والمتاع والآلات[5]، وأما ابن عذاري فيصف قيمة غنائم هذه المعركة قائلا:"...واستولى الموحدون على تلك تلك الأموال الفاخرة والأحوال الضخمة الواسعة...وامتلأت أيدي الجماعة من سواد المحلة من الغطاء والوطاء وما غصبوه وما سلبوه من أحواز طرابلس إلى أنظار بجاية منذ عشرين سنة" [6]، كما

---

[1]- أجبرهم يحي بن غانية على المشاركة في المعركة إلى جانبه ذلك أنه أخذ عددا منهم وجعلهم كرهائن عنده حتى يضمن مشاركتهم في القتال إلى جانبه، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 189، أبو عبد الله محمد بن احمد بن الشماع :الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ،تحوتق :الطاهر بن محمد المعموري ،الدار العربية للكتاب ،تونس ،الجمهورية العربية التونسية ، 1984،ص 49-50.

[2]- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص 399.

[3]- تذكر أمبيرسيو هويثي ميراندا أن المعركة لم تكن بتاجرا بالضبط وإنما في مكان يبعد 5 أميال عن رأس تاجرا و 15 ميل من قابس وإنما سميت معركة تاجرا فقط لأن المكان أقرب مسافة إلى تاجرا منه إلى قابس، أنظر: نفسه، نفس الصفحة.

[4]- الأندلسي:المصدر السابق ،ص 257.

[5]- نفسه، نفس الصفحة ، وأنظر: ابن خلدون: العبر،ج6،ص 277.

[6]- ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق – قسم الموحدين- ص 246.

تمكن الموحدون من إنقاذ والي تونس" أبا زيد" وأهله وكل من كان من الموحدين أسيرا في يد يحي بن غانية[1].

وقد عاد الموحدون بقيادة أبي محمد عبد الواحد منتصرين إلى الخليفة الناصر فوجدوه لا يزال على حاله في حصار المهدية، ولم يحقق أي تقدم فقد كان والي المهدية من قبل ابن غانية يخرج بقواته بين الحين والآخر فيهاجم الموحدين ويلحق بهم الخسائر الجسيمة في الأرواح والمعدات؛ وقد أطلق عليه الموحدون اسم الحاج الكافر، وكان يعرف باسم الحاج وأما اسمه الحقيقي فهو علي ابن الغازي[2].

وقد فكر الخليفة في إضعاف معنويات رجال ابن غانية المحاصرين داخل مدينة المهدية والمدافعين عنها؛ فقرر عرض ما غنمه الموحدون في معركة تاجرا بعد هزيمة يحي بن غانية منها عرض الآلات الحربية، كما جعلوا الرجل الذي كان مكلفا بحراسة والي تونس أبا زيد ووقع أسيرا في يد الموحدين عقب معركة تاجرا يركب جملا ويطوف حول أسوار المهدية ويرفع بيده عاليا راية سوداء[3].

واستمر الخليفة ومن معه من الموحدين في إظهار الغنائم التي تدل على انهزام يحي ابن غانية ولكن المحاصرين بداخل المهدية لم يصدقوا بهزيمة يحي بن غانية؛ فصمم الخليفة الناصر على قتالهم وجمع المنجنيقات على جهة واحدة في السور وصوب نحوهم بعض الضربات فكثر فيهم الموتى والجرحى مما جعلهم يتأكدون من انهزام يحي بن غانية ويدفع بهم إلى طلب الأمان، وطلب علي بن الغازي وأتباعه وخاصته أن يخلي سبيلهم الخليفة الموحدي فكان لهم ذلك واستجاب لهم الخليفة ودخلها صلحا في 27 جمادى الأولى سنة 601هـ[4]، وهذا التاريخ أورده هشام أبو رميلة نقلا عن سراج الدين الأندلسي أما ابن عذاري المراكشي فيجعل دخول الخليفة الناصر إلى المهدية في يوم السبت 29 جمادى الأولى سنة 602هـ[5]، وأما الزركشي فيخالف ابن عذاري في اليوم

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص 265.

[2]- الناصري:المصدر السابق ،ج2،ص 192.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 191.

[4]- الأندلسي: المصدر السابق ،ص 257-258، وأنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 191.

[5]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق - قسم الموحدين-،ص 247.

ويخالفه في السنة، كما يوافق سراج الدين الأندلسي في اليوم ومن ثم فإن الزركشي يجعل دخول الخليفة الموحدي الناصر للمهدية في يوم 27 جمادى الأولى سنة 602هـ[1].

وبعد ذلك سار علي بن غازي هو وأتباعه من مدينة المهدية بأمان إلى مكان قريب من المهدية يسمى قصر فراضة بات فيه ليلة واحدة، وفي صباح اليوم التالي عاد إلى المهدية وقدم الولاء والطاعة للخليفة الناصر، ويذكر أنه لما قدم على الخليفة قال له كما أورده هشام أبو رميلة نقلا عن الأندلسي:" الآن أطعت بعد أن ضربت في حكم نفسي" [2]فاستحسن الناصر مبادرة علي ابن الغازي وأحسن إليه وأبقاه في صحبته [3] فيقول الزركشي:"...فقبل الناصر علي بن الغازي وأكرمه ولم يزل معه إلى أن استشهد" [4]، ويذكر أيضا أن صاحب ديوان سبتة وصل بالهدايا التي قضى في جمعها مدة طويلة وتضمنت ثوبان من النسيج مرصعان بأنواع الجواهر وجعل بهما أعلام من اليواقيت والأحجار النفيسة، فأمر الناصر بحمل جميع الهدايا إلى علي بن الغازي مما جعل صاحب ديوان سبتة وكان يدعى ناصح يموت غيظا[5].

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:"...افتتح الناصر المهدية ودخل إليها علي بن الغازي في دعوته فتقبله ورفع مكانه ووصله بهدية وافق وصولها برسمه إليه على يد واصل مولاه، وكان بها ثوبان منسوجان بالجواهر، فوصله بذلك كله ولم يزل معه إلى أن استشهد مجاهدا"[6].

هذا وقد دخل الخليفة الناصر المهدية فصفح وعفا عن جميع من كان بها ثم أمر بترميم سورها وتنظيم شؤونها وعين عليها واليا هو "محمد بن يغمور الهرغي أو الهنتاني" حسب اختلاف الروايات التاريخية، وعين على طرابلس عبد الله بن إبراهيم بن جامع، وفي جمادى الثانية سنة 602هـ الموافق لـ

---

[1]- الزركشي: المصدر السابق ،ص 17-18.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص191.

[3]- الزركشي: المصدر السابق ،ص 18.

[4]- الأندلسي: المصدر السابق ،ص258.

[5]- التجاني:المصدر السابق ،ص 358-359.

[6]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 195-196.

1206م غادر المهدية ونزل بتونس ثم أقام فيها أكثر من سنة، حيث عمل خلالها على تنظيم بلاد إفريقية ومطاردة بني غانية[1].

وأما يحي بن غانية فلم يستسلم ففي أثناء تواجد الخليفة الناصر بتونس استطاع ابن غانية الاستيلاء على بعض البلاد فبعث له الخليفة جيشا بقيادة أخيه أبو إسحاق، إلا أن ابن غانية تراجع بقواته بعد أن بلغه تحرك الجيش الموحدي باتجاهه، فطارده أبو إسحاق إلى ما وراء طرابلس حتى أشرف على أرض سرت[2]وبرقة وسويقة بن مكود[3] حتى توغل في صحراء برقة، وأما أبو إسحاق فعاد أدراجه وقام باستئصال أعوان بني غانية من أهل جبال نفوسة وكافة بلاد الجريد[4] وغيرهما.

وقد قرر الخليفة الناصر قبل أن يعود إلى مراكش أن يعين على إفريقية أحد كبار شيوخ الموحدين لحماية البلاد وتأمينها من غزوات ابن غانية وقد استقر رأيه على الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص أحد الذين يثق بهم وبخبرتهم العسكرية[5] وبذلك أصبح الشيخ أبي محمد عبد عبد الواحد بن أبي حفص واليا على إفريقية يرعى شؤونها من جميع الجوانب[6].

وبعد ذلك سار الخليفة الناصر من تونس إلى مراكش في شهر شوال سنة 603هـ الموافق لـ: مايو 1207م، وقد كان في توديعه أهل تونس معربين في وداعهم عن خوفهم الشديد من عودة يحي بن غانية لينتقم منهم، لكنه هدّأ من روعهم بإخبارهم أنه تركهم في

---

[1]- الناصري:المصدر السابق ،ج2،ص 192، وأنظر: الأندلسي:المصدر السابق ،ص 258-259.

[2]- سرت: وترسم أيضا "صرت" تقع شرق طرابلس بينهما 230ميل أي 11 مرحلة وبين سرت والبحر ميلان وبينها وبين زويلة خمس مراحل وهي مدينة عليها سور تراب وما استدار بها رمل بها بقايا زيتون وليس بها نخل بها الكثير من التوت والتين مياهها من المطر وآبارها قليلة وعليها قبائل من البربر، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج1،ص298-312.

[3]- سويقة بن مكود: تسمى أيضا سويقة بن مثكود بينها وبين قصر سامية 12 ميلا وهي تنسب إلى ابن مثكود تسكن بها قبائل هوارة البربرية وبها قصور مشهورة وكثيرة، أنظر: نفس المصدر ، مج1،ص 308-309.

[4]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق – قسم الموحدين–، ص 248.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 194.

[6]- يذكر صاحب البيان المغرب أن عبد الواحد الحفصي قبل منصبه الجديد دون تحفظ بخلاف المصادر الأخرى التي ترى أن عبد الواحد ابن أبي حفص لم يقبل المنصب بسهولة وأن الخليفة الناصر من أجل إقناعه أرسل وفدا مهما ترأسه ابنه ولي العهد مما جعل عبد الواحد بن أبي حفص يشترط شروطا على الخليفة منها أن لا يستمر في ولاية إفريقية أكثر من ثلاث سنوات بقدر القضاء على ابن غانية وأن يختار هو بنفسه الجند الذين يبقون معه بإفريقية وأن لا يتدخل الخليفة في شؤونه فيولي على نواحي إفريقية من يشاء ويعزل من يشاء،أنظر: ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق – قسم الموحدين –،ص 248-249، وأنظر أيضا: الزركشي: المصدر السابق ،ص18، وأنظر كذلك: الناصري: المصدر السابق ،ج2،ص 192-193، وأنظر:أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص 401-402.

أيدي آمنة من أشجع رجاله، ثم استأنف سيره يرافقه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص إلى غاية باجة ثم عاد إلى تونس ينظر في شؤونها[1].

أما يحي بن غانية فقد انتهز فرصة عودة الخليفة الناصر إلى مراكش فعاد بقواته من الصحراء وبدأ من جديد في جمع الأعراب حوله فانضم إليه مثل كل مرة عرب بني هلال وبني رياح، فبلغ ذلك والي إفريقية الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي سار بقواته من تونس فالتقى مع يحي بن غانية بالقرب من شبرو[2]؛ فنشبت بينهما موقعة في شهر ربيع الأول سنة 604هـ الموافق لـ: أكتوبر 1207م، وقد كانت الموقعة طيلة اليوم بكامله فأسفرت عن هزيمة يحي بن غانية الذي أصيب وفر جريحا باتجاه الصحراء [3]، وتم للشيخ أبي محمد عبد الواحد الاستيلاء على معسكر ابن غانية وأنصاره من العرب بما في ذلك متاعهم وأموالهم، وقد بعث إلى مراكش يخبر الخليفة بالنصر الذي حققه فرد الخليفة يشكره وبعث إليه بالمال والخيل والكسي للإنفاق والعطاء فقد بعث الخليفة بـ 100 ألف دينار، 1802 كسوة، 300 سيف و100فارس[4].

وبعد الهزيمة التي ألحقت بيحي بن غانية أدرك صعوبة الانتصار على الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص؛ وبدا له الاستيلاء على إفريقية من جديد أمر مستحيل،فنقل غزواته نحوبلاد المغرب الأوسط؛ فسار بقواته وبأنصاره من العرب وأخذ يعبث بالبلاد ويقتل الحاميات الموحدية ويستولي على الغنائم حتى بلغ مدينة سجلماسة؛ حيث استمال عدة قبائل إلى صفه[5].

في هذه الأثناء كان والي تلمسان من طرف الموحدين يقوم على قبائل زناتةلجمع الجباية، وبعد أن بلغه أمر يحي بن غانية بالمغرب الأوسط قرر أن يسير لقتاله ويمنعه من التقدم، قراره هذا بلغ والي إفريقية أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص فحذره من مجابهة يحي بن غانية لما يعرفه عنه من دهاء سياسي ومكر حربي؛ إلا أن أبا عمران موسى لم يأخذ بنصيحة الشيخ أبو محمد عبد

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص270.

[2]- شبرو: من نواحي تبسة من بلاد إفريقية، أنظر: الحميري: المصدر السابق ص338.

[3]- الزركشي: المصدر السابق ،ص 18-19.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 278.

[5]- نفسه ، ص 196.

الواحد وسار إلى تاهرت [1]، وفي صباح اليوم التالي الذي وصل فيه أبو عمران موسى إلى تاهرت شن عليه يحي بن غانية هجوما مفاجئا فأوقع به الهزيمة فسقط أبو عمران وأغلب جنده قتلى واستولى يحي بن غانية وأنصاره من العرب وزناتة على المدينة، وكان هذا سنة 605هـ الموافق لـ: 1208م[2]، وقد قام يحي بن غانية بتخريب المدينة هو وأنصاره واستباحتها، ويصف لنا ذلك ابن عذاري المراكشي قائلا:"...واستولى العدو على المحلة وأثقالها وخيلها وبغالها وسائر أحوالها وتبسطت جموعه على تلك الجهات وعاثوا بها عيث السباع الضاريات..."[3].

وأما أهل تلمسان فقد استولى عليهم الرعب ووصلت الأنباء إلى العاصمة الموحدية تعلن انتصارات يحي بن غانية الجديدة واستيلائه على مدينة تاهرت؛ فخشي الموحدون بمراكش أن يستولي ابن غانية على مدينة تلمسان وبالتالي تهديد المغرب الأقصى، فأرسل إليها والي فاس أبو زكرياء فدخلها بقواته وسكّن اضطرابها إلى غاية وصول الوالي الجديد الذي عينه الخليفة الناصر وهو "أبو زيد بن يوجان" برفقته جيش موحدي[4].

لما علم يحي بن غانية بأمر جيش والي فاس وجيش أبي زيد بن يوجان في تلمسان قرر عدم لقائهما وتراجع بقواته إلا أن والي إفريقية عبد الواحد بن أبي حفص كان يراقب تحركاته فاعترض طريق عودته وألحق به الهزيمة واسترد الغنائم وأنقذ أسرى الموحدين، وأما ابن غانية فقد فر إلى جهات طرابس[5] فاجتمع بأعوانه وجنده وأنصاره من العرب من أجل الاستقرار على رأي في

---

[1]- تاهرت: كانت تاهرت سابقا مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والثانية محدثة والقديمة ذات سور وتاهرت أسسها وقام ببنائها عبد الرحمن بن رستم في حوالي سنة 160هـ بينها وبين البحر 4 مراحل وبين تلمسان وتاهرت تسكن القبائل البربرية مثل زناتة، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج1،ص255.

[2]- محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية- تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي- دار المغرب الإسلامي، بيروت 1986،ص78.

[3]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق - قسم الموحدين- ،ص252.

[4]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق،ص79-80.

[5]- . ابن خلدون: العبر،ج 6،ص278-279، ويقال أنه لم يمض من الوقت إلا قليل حتى انفصل عن يحي بن غانية أخوه سير بن إسحاق وكان ممن شهد معه غزواته الأخيرة، وقد سار أخوه إلى تونس ملتجئا إلى الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ليقدم طاعته وولاءه للموحدين، فأكرمه والي إفريقية الشيخ أبي محمد عبد الواحد ثم استأذنه في السفر إلى حضرة مراكش فأذن له وهناك استقبله الخليفة الناصر بالمودة والترحاب وكان هذا سنة 607هـ، أنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 3،ق2،ص276-277.

قتال الموحدين، وأجمعوا على وجوب قتال والي إفريقية الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص والاستيلاء على البلاد التي تحت سلطته، ثم انطلقوا بعد أن اتفقوا إلى الأعراب يستميلونهم مثل كل مرة حتى اجتمعت لهم الحشود فأخذوا بالسير إلى إفريقية[1].

وبلغ ذلك والي إفريقية أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص، فكان لهم بالمرصاد وسار إليهم بقواته ونزل عند جبل نفوسة حتى يمنعهم من التقدم، فنشب القتال بين الطرفين سنة 606هـ الموافق لـ: 1209-1210م، وقد استمرت المعركة طوال النهار،؛ وقد سمّيت في بعض المصادر والمراجع بمعركة وادي أبي موسى لأنها وقعت بالقرب منه؛ وخلال المعركة انحازت عدة طوائف إلى صف الموحدين مثل بني سليم فحلت الهزيمة بابن غانية وأنصاره ولم يكن أمامه إلا الفرار مع بعض رجاله عند دخول الليل، وتم للموحدين الاستيلاء على معسكر يحي بن غانية بما فيه من متاع وسلاح بلغت حوالي 18 ألفا وقد هلك في هذه المعركة الكثير من الأعراب الذين ناصروا ابن غانية[2]، ويصف لنا ابن خلدون حالة ابن غانية المهزوم وحالة الجيش الموحدي المنتصر بقيادة أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص فيقول:"...انصرف ابن غانية مهيض الجناح مغلول الحد عفوفا باليأس من جميع جهاته، وانقلب أبو محمد والموحدون أعزة ظاهرين واستفحل أمر أبي محمد بإفريقيا وحسم عامة الفساد"[3]، وتعتبر هذه آخر معركة بين الطرفين لأنه ما يأتي بعدها مجرد مناوشات.

أما أهل جبل نفوسة فقد استغلوا هزيمة ابن غانية فثاروا على صاحب جباية الغرامة المالية لابن غانية وكاتبه الأثير بن عصفور وقاموا بقتل ولديه [4]، فبلغ هذا الخبر والي طرابلس من طرف الموحدين "محمد بن عبد السلام" فسار بقواته وتمكن من إخضاع أهل جبل نفوسة من جديد لطاعة الموحدين ثم اقتحم قصرا لابن غانية وجد فيه كمية وفيرة من الذخائر والمتاع والأموال فاستولى عليها.

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص196-197.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق2، ص 274-275.

[3]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 279.

[4]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 198.

هذا وقد أخذ الموحدون أسلوبا آخر للقضاء على بني غانية فأخذوا بمطاردة أنصارهم واغتيال بعض أشياخهم، حيث بعث والي تلمسان الموحدي أبو زيد بن يوجان أحد رجاله لقتل شيخ قبيلة زناتة "ابن عطية الزناتي" وقد نفذت المهمة بإتقان وتم اغتياله، كما سار والي إفريقية أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص لمطاردة أنصار يحي بن غانية من قبائل العرب فأنزل بهم الهزائم وشردهم واستاق أشياخهم بأموالهم وأهاليهم إلى تونس وأبقاهم عنده رهائن حتى يكفوا عن مساعدة ابن غانية فأتى هذا الأمر ببعض الاستقرار لإفريقية[1].

وقد سار ابن غانية بعد هزيمته في جبل نفوسة إلى الصحراء وأخذ كعادته في جمع الأنصار حوله من أجل الاستيلاء على المنطقة وانتزاع ودان من قراقوش ففي سنة 609هـ الموافق لـ 1212م سار ابن غانية إلى ودان مصطحبا قبائل العرب الذين يضمرون حقدا لقراقوش ويحلمون بأخذ ثأرهم منه بعد أن خدعهم أثناء استيلائه على قابس سنة 586هـ الموافق لـ 1190م[2]، فتمت محاصرة قراقوش حتى فني طعامه فاستسلم وسلم نفسه وولده واشترط أن يقتلوه قبل ولده فكان له ذلك فصلبه يحي بن غانية بظاهر ودان سنة 609هـ[3]. بعد ذلك تأكد يحي بن غانية أنه لا مجال لاسترداد إفريقية في أثناء تواجد أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص فتوقف عن غزو إفريقية طيلة عشر سنوات يرقب ويستطلع أخبار الموحدين دون أن يعثروا عليه وينالوا منه، ولما توفي عبد الواحد بن أبي حفص والي إفريقية سنة 618هـ الموافق لـ1221م عاد ابن غانية لغزو إفريقية والاستيلاء عليها وقد استطاع فرض سيطرته على العديد من المناطق[4].

وقد رأى الوالي الموحدي الجديد أبو العلاء إدريس استحالة القضاء على ابن غانية إلا إذا قسم الجيش إلى عدة فرق، وذلك حتى تقوم كل فرقة بتأمين ناحية من البلاد مما يؤدي إلى حصار ابن غانية ومطاردته واعتراض طريقه ومن ثم تسهيل القضاء عليه، وقد سار أبو العلاء إدريس بناءا على هذه الخطة إلى قابس سنة 621هـ الموافق لـ 1224م فنزل بها ثم بعث ابنه أبا

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص196.

[2]- تمثلت خدعة قراقوش في قابس أنه أعطى أهلها الأمان فلما دخلها قتل 70 رجلا من أشياخ قبائل العرب المتواجدة بها بقصر العروسين بقابس، أنظر: نفسه،ص 193.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 199 ، يذكر ابن خلدون أن ابن غانية اقتحم ودان وقتل قراقوش وولده ولم يسلم قراقوش نفسه لابن غانية وإنما قتل وولده في ساحة المعركة عند اقتحام ابن غانية لودان ، أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6،ص196.

[4]- الزركشي:المصدر السابق ،ص 19-20.

زيد ببعض قواته إلى الحمة وغدامس [1]، ثم بعث فريقا آخر إلى ودان لقتال يحي بن غانية وحصاره فاعترض طريق هذا الفريق بعض من قبائل العرب المناصرين لابن غانية مما ساعده على الفرار إلى الزاب[2] ثم اللجوء إلى بسكرة[3] ونواحيها[4].

وقد خشي " أبو العلاء إدريس" أن يهاجم ابن غانية تونس في غيابه فعاد إليها، بينما استأنف ابنه أبو زيد سيره وراء ابن غانية فاقتحم عليه مدينة بسكرة واستولى عليها لكن ابن غانية تمكن من الفرار، ثم جمع حوله الأنصار من العرب والبربر وقصد تونس فأسرع أبا زيد في اللحاق به مصطحبا معه بعض القبائل الخاضعة لطاعة الموحدين ولحق به فاشتبك معه بظاهر تونس سنة 621هـ الموافق لـ 1224م، وقد استطاع أبو زيد هزيمة ابن غانية والقضاء على أكثر جنده وأنصاره كما استولى على الغنائم وقد أبلت القبائل التي رافقت أبا زيد بلاءا حسنا في هذه المعركة [5] خاصة قبيلة هوارة[6]؛ وبعد أن هزم ابن غانية غير وجهته وأخذ يغزو ببلاد المغرب الأوسط ففي أواخر سنة 623هـ الموافق لـ 1226م هاجم قسنطينة لكنهلم يستطع الاستيلاء عليها، وفي أوائل سنة 624هـ

---

[1]- غدامس: تقع في الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة وهي قديمة أزلية إليها ينسب الجلد الغدامسي بها كهوف كانت سجون للكاهنة ومن غدامس يدخل إلى بلد تادمكة وغيرها من بلاد السودان، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج 1،ص 277، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق ،ص 22، وأنظر كذلك: الحميري:المصدر السابق ،ص 427.

[2]- الزاب: نعني بها مدينة طبنة ومنها إلى المسيلة مرحلتان وهي مدينة حسنة كثيرة المياه وبين مدينة بجاية وطبنة 6 مراحل وهي حاليا ناحية بالجزائر على حدود الصحراء من بين مدينة المسيلة، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج 1، ص263، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق ،ص 116.

[3]- بسكرة: من بلاد الزاب بأرض المغرب وهي قاعدة تلك البلاد تقع في غابة كبيرة مقدارها 6 أميال ولعلها هي طبنة ويقع بها حصن بشر، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ، مج1، ص 270، الحميري:المصدر السابق ،ص113.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 196-197.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

[6]- هوارة: قبيلة بربرية أرضها مرماجنة مدينة صغيرة تقع بين الأربس وتدمايت بينها وبين المدينتين المذكورتين مرحلة واحدة ومنها إلى مدينة مجانة مرحلة واحدة بينها وبين بجاية 13 مرحلة أو 14 مرحلة، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج1،ص 292-294.

غزى مدينة بجاية فدخلها عنوة ثم أخذ يغزو الجهات القريبة منها مثل تدلس[1] ومتيجة[2].واستمر يتقدم بغزواته ويستولي على المناطق ويثأر من القبائل التي لم تقف إلى جانبه[3].

ولما بلغت أخبار ابن غانية الموحدين أحسوا بالخطر على إفريقية خاصة وأنها كانت تمر بظروف حرجة نوعا ما؛ ففي أوائل سنة 623هـ الموافق لـ 1226م توفي أبو العلاء إدريس والي إفريقية فخلفه ابنه أبو زيد لكنه أساء السيرة واشمأزت له نفوس الرعية، فتم عزله من طرف الخليفة الموحدي[4] في ربيع الثاني سنة 623هـ الموافق لـ جوان 1226م وعين مكانه أبا محمد عبد اللهابن اللهابن الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص والي إفريقية السابق، وقد استقر الوالي الجديد أبو محمد عبد الله في مدينة تونس، ثم عين أخوه أبا زكرياء يحي والياً على قابس والحمة؛ وعين أخوه إبراهيم واليا على توزر وقفصة [5]. وقرر والي إفريقية الجديد أن يسير لقتال يحي بن غانية والقضاء على أنصاره فسار سنة 625هـ الموافق لـ 1227م وهاجم بعض القبائل المنحازة لابن غانية وألقى القبض على شيوخهم وأرسل بهم مقيدين إلى المهدية، ثم استأنف سيره لاسترداد البلاد التي استولى عليها ابن غانية؛ فتمكن من استرداد بجاية ومليانة ومتيجة وأصلح أحوالها، واستمر في ملاحقة ابن غانية حتى سجلماسة ثم توقف وعاد إلى تونس [6] ثم نشب خلاف بين والي إفريقية أبي محمد عبد الله وأخيه أبي زكرياء يحي، فتولّى هذا الأخير الولاية بدلا من أبي

---

[1]- تدلس: بينها وبين بجاية في البر 70 ميلا وفي البحر 90 ميلا وبينها وبين مرسى الدجاج 24 ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومنتزهان، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق ،مج1،ص 259.

[2]- متيجة: مدينة بالقرب من الجزائر العاصمة على نهر كبير عليه الأرجاء والبساتين ولها مزارع ومسارج وهي أكثر تلك النواحي كتانا ومنها يحمل، وفيها عيون سائحة وطواحن وماء،أنظر: الحميري:المصدر السابق ،ص 523.

[3]- ابن خلدون: العبر،ج6،ص 197.

[4]- الخليفة الموحدي: حسب الأحداث التاريخية أن الخليفة الموحدي الذي كان في الحكم هو أبو محمد عبد الله العادل بن المنصور ذلك أنه لما توفي محمد الناصر سنة 610هـ خلفه ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور وعمره 16 سنة تلقب بالمنتصر بالله وورد في بعض المراجع المستنصر بالله توفي يوم السبت 12 ذي الحجة سنة 620هـ فتولى الخلافة أخو يعقوب المنصور عم أبيه أبو مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن وفي رواية تم خلعه عن الخلافة وفي رواية أخرى تخلى عن الخلافة وتوفي بعد ذلك بثلاثة أيام سنة 621هـ وتولى بعده أبو محمد عبد الله العادل بن المنصور أي ابن أخيه وتلقب بالعادل ويقال أنه بويع أولا بمرسية في بلاد الأندلس ثم خلص له الأمر وبايعه كافة الموحدين بمراكش، أنظر: الناصري: المصدر السابق ،ج1،ص 324-326، وأنظر أيضا: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 236-240، وأنظر كذلك: مؤلف مجهول: الحلل الموشية: ص 160-163، وأنظر أيضا: محمد العروسي المطوي: المرجع السابق،ص 118، وأنظر كذلك: عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 221- 222.

[5]- الناصري: المصدر السابق ،ج2،ص 203-204.

[6]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص 376.

محمد عبد الله[1]، وفي أثناء ذلك انتهز ابن غانية فرصة الخلاف بين الأخوين وسار بقواته واستولى على جهات وادي شلف[2]، ثم أخذ يزحف نحو الشمال من أجل الاستيلاء على بقية البلاد، ولما بلغ ذلك والي إفريقية أبو زكرياء يحي سار بقواته من تونس وأخذ يطارد يحي بن غانية حتى جعله مشردا في الصحراء[3].

واستمر أبو زكرياء يطارده ويترقبه ويضيق عليه ويعترض طريقه ولم يتمكن يحي ابن غانية من العودة لقتال الموحدين حيث أيقن أنه لا يمكنه التغلب عليهم خاصة بعد أن تشرد في الصحراء وتخلى عنه الأنصار وسئم جنده القتال فأخلى سبيلهم ولم يبق حوله سوى أهله وخاصته، رغم ذلك بقي على عدائه للموحدين وكان يقوم من حين لآخر بغزوات انتقامية، واستمر على هذه الحال إلى حين وفاته سنة 631هـ/1234م، وقيل سنة 633هـ/1236م بعد خمسين سنة من حروبه ضد الموحدين[4]؛ وقد دفن في منطقة تسمى واد الرجوان وقيل بالصحراء من بلاد الزاب؛ الزاب؛ وبوفاته انتهت ثورة بنو غانية وسقطت إمارتهم وانقرض أمر الملثمين من مسوفة ولمتونة من جميع بلاد إفريقية والمغرب والأندلس؛ وبمهلكه ذهب ملك صنهاجة من الأرض [5] على حد تعبير ابن خلدون[6].

1- الزركشي: المصدر السابق ،ص 21-23.

2- وادي شلف:يعتبر أهم مجرى مائي بالجزائر، والذي يعبر ولاية شلف من الشرق إلى الغرب، فهو ينتهي شرقا إلى وادي الست قرب متيجة، وغربا إلى البطحاء ناحية نهر مينا، وهو ينبع من جبال عمور وجبال فرندة، ويصب في البحر الأبيض المتوسط قرب مستغانم ، طوله حوالي 650 كلم، أنظر: بكاي هوارية: العلاقات الزيانية المرينية- سياسيا وثقافيا- ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007- 2008، ص 10.

3- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 202.

4- نفسه، نفس الصفحة.

5- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 197.

6- يذكر ابن خلدون أن يحي بن غانية كان له من الأولاد البنات فبعث بهن إلى أبي زكرياء والي إفريقية في أواخر أيامه دون أن يفصح عن مكان تواجده وبعث بهن إلى أبي زكرياء خشية عليهن من بعده في الصحراء الموحشة فكفلهن أبا زكرياء وأحسن إليهن وبني لهن بحضرته دارا لصيانتهن عرفت بقصر البنات فأقمن تحت حراسته وفي سعة رزقه وحفظهن لوصاية أبيهن رغم العداوة التي بينهما وكن شريفات على أحسن خلق وأدب، أنظر: نفسه، نفس الصفحة.

❖ في الأندلس:

أهم حركة بالأندلس شغلت الموحدين وهدّدت نظام حكمهم هي حركة ابن مردنيش[1] بشرقي الأندلس بحيث بدأ هذا الصراع بسبب المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمها ابن مردنيش مع النصارى والتي أدت إلى استنكار بعض القضاة والأعيان في شرقي الأندلس، مما أدى إلى انطلاق المواجهة بين ابن مردنيش والموحدين.

إن استنكار القضاة والأعيان لسياسة ابن مردنيش في الحكم لم يكن هينا فبعد مرور سنة كاملة من إمضاء ابن مردنيش لمعاهدته مع ملك قشتالة وملك أراغون ثار عليه رعاياه حيث قامت ثورة في بلنسية قاعدة حكم ابن مردنيش وتزعمها رجل من أهل المدينة ويدعى" عبد الملك بن شلبان ولقبوه بالأمير"[2]، وقامت ثورة أخرى في لورقة، وقد كادت الثورتان أن تعصف بسلطان ابن مردنيش في كافة شرقي الأندلس، لكن ابن مردنيش كان لهما بالمرصاد حيث استطاع القضاء عليهما كما انه نكل بالثوار أشد التنكيل[3].

وقد أغفلت المصادر التاريخية ذكر هاتين الثورتين أو التفصيل فيهما وقد يرد الحديث عن هاتين الثورتين في سياق الكلام عن رسالة عبد المؤمن بن علي لابن مردنيش، وهي

[1]- ابن مردنيش:هو ابو عبد الله محممد بنسعيد بن محمد نسعد الجذاميبن مردنيش وذلك باتفاق عدد كبير من المؤرخين والنسابة المتقدمين ويذكر ابن الخطيب انه محمد بن سعد بن محمد بناحمد بن مردنيش الجذامي التيجيبي ولد سنة 518هـ فيقلعة بنشكلة احدى قلاع طرطوشة ،وتنسبه الروايات العربية الى قبيلة جذامة العربية ،وتكربعضالمراجعنقلا عن بعض المصادر ان اسم مردنيش او مردانيش او مرذنيشليساسما عربيا مما ينفي صلته بقبيلة جذامة ويوضح ان اصله من شبه جزيرة ايبيريا ومردنيش اسم اسباني حرفعند تعريبه وهو مارثنيث او مارثنيثي Martinez-Martinizi وتعني ابن مارتين وقد يكون له علاقة بالاصول البيزنطية .Mardinius .أنظر: القلقشندي :الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان تح:ابراهيم الابياري ،ج 10،ط2،دار الكتاب البناني ،بيروت ،لبنان ، 1982،ص 16،شمس الدين الذهبي :سير اعلام النبلاء ،ج 20،ص 131-135،كمال السيد مصطفى :محاضرات في تاريخ المغرب الاسلامي وحضارته ،مركز الاسكندرية للكتاب ،مصر ، 2007،ص 285،محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام في الاندلس ،ع 3،ق1،ص 366-367،محمد عبد الله علي علام :الدولة الموحديسة في عهد عبد المؤمنبن علي ،ص 171.

[2]- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تح: ألفرد بل وابن أبي شنب،ج2،ط2،الجزائر، 1919،ص 220،وأنظر أيضا: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص335.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص110.

الرسالة التي بعث بها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي لابن مردنيش من مراكش والمؤرخة بـ 16 جمادى الثانية سنة 548هـ/1154م[1]،و التي كتبها الوزير أبو جعفر

ابن عطية. هذا وقد بدأ عبد المؤمن رسالته إلى ابن مردنيش بالعبارات التالية:"... من أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد وفقه الله ويسره لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..."[2].

ثم أضاف عبد المؤمن في الرسالة:"... فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد وتعلقهم بهذا الأمر السعيد ما كان، ثم ما كان منكم في عقب ما اعتمدتموه في أمر أهل لورقة – وفقهم الله- حين ظهر اختصاصهم وبان إخلاصهم وليس لذلك وأمثاله عاقبة تحمد...والله يمن عليكم بما ينجيكم ويمكن لكم في طاعته..." [3] ، وواصل عبد المؤمن في رسالته فدعا ابن مردنيش دعوة صريحة لإتباع منهج التوحيد حيث قال:"... أجيبوا داعي الله تسعدوا وتمسكوا بأمر المهدي- رضي الله عنه- في إتباع سبيله تهتدوا"[4].

وأنهى عبد المؤمن رسالته بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم-صلى الله عليه وسلم- ثم الدعاء للمهدي مبينا أمره وتعظيم شأن التوحيد[5].

وتعتبر هذه الرسالة أول مواجهة مباشرة بين الموحدين وابن مردنيش، ولعل عبد المؤمن بن علي حاول تجنب الاصطدام مع ابن مردنيش وأراد إخضاعه دون قتال؛ مما دفع به إلى إرسال هاته الرسالة التي لم تحمل بين طياتها سوى عبارات الدعوة لإتباع المذهب الموحدي، فقد تجنب عبد المؤمن أن يسلك في رسالته سلوك التحذير والتهديد، وإنما سلك سلوك الدعوة ومحاولة التقرب من ابن مردنيش، هذا الأخير الذي لم يول هذه الرسالة أي اعتبار وأحس بأن خطر الموحدين يحيط به من كل جهة، فرأى أن السبيل الأصح للحفاظ على سلطانه هو أن يتحالف مع النصارى ضد الموحدين، ويظهر ذلك جليا حين حاصر الموحدون ألمرية التي كانت بيد النصارى؛ فقد سار ابن

---

[1]- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، ج6، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915،ص444.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- عقيلة غناي: المرجع السابق،ص 121.

[4]- القلقشندي: صبح الأعشى،ج6،ص 444.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

مردنيش في هذه الأثناء برفقة ملك قشتالة ألفونسو لنجدة حامية أسرته النصرانية إلا أن الموحدون تمكنوا من إلحاق الهزيمة بألفونسو وحليفه ابن مردنيش وكان هذا بتاريخ 552هـ/1157م[1].

وهذه الهزيمة جعلت ابن مردنيش يدرك أنه لا مناص له من الموحدين إلا مواجهتهم فأخذ ابن مردنيش بغزو بلاد الأندلس الخاضعة للموحدين بغرض الاستيلاء عليها، ففي سنة 554هـ/1159م سار ابن مردنيش بقواته وقوات نصرانية مساعدة له باتجاه جيان بغرض الاستيلاء عليها في هذه الأثناء كان عبد المؤمن بن علي الخليفة الموحدي يفتح إفريقية، ولما سار ابن مردنيش بقواته الضخمة فقد ارتعب والي جيان "محمد بن علي الكومي" من لقاء ابن مردنيش وسلم مدينة جيان لابن مردنيش بلا قتال [2]، ثم سار ابن مردنيش للاستيلاء على مدينة قرطبة، فيصف ابن صاحب الصلاة دخول ابن مردنيش إلى قرطبة فيقول: " فوصلها ونازلها ودمر زرعها وعفا ربعها[3]"، ويفهم من وصف ابن صاحب الصلاة أن ابن مردنيش عاث فيها فسادا، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها وذلك أن وليها "أبو زيد عبد الرحمن بن تيجيت" [4]أحسن تحصينها واجتهد في صد ابن مردنيش ومقاومته بدهائه وحكمته وسداد رأيه[5].

وبعد أن طال الحصار وضاق بالوالي ذرعا فكر في طريقة لفك الحصار عن قرطبة، فتشاور في الأمر مع القاضي أخيل بن إدريس [6]،واتفقا على كتابة رسالة على لسان "سيد راي بن وزير" تتضمن حث ابن مردنيش على التوجه إلى اشبيلية والاستيلاء عليها في هذه الأثناء، بحيث أنها دون جيش يكفي لحمايتها وحراستها وأنه إذا سار إليها عاجلا في هذه الأثناء سيكون دخوله إليها مضمونا، وأنه هو بنفسه "سيد راي بن الوزير" سيفتح له أحد الأبواب ليكون منها دخول ابن مردنيش[7].

---

[1]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص237.

[2]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص66.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- أبو زيد عبد الرحمن بن تيجيت: ويرسم كذلك بخيت وبكيث وتخيت، عينه عبد المؤمن واليا على قرطبة سنة 550هـ وتيجيت بالبربرية معناها الشجرة الصغيرة، أنظر: عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج6،ص492.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص112.

[6]- أخيل بن إدريس: سبق التعريف به أنظرص29 هامش03،أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص67.

[7]- سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في الأندلس،ط1،دار النهضة العربية، بيروت،لبنان، 1998،ص 325.

وسلما الكتاب إلى رجل من حول القاضي وأتباعه؛ وأشاروا عليه بأن يبدل هندامه وأن يرتدي هنداما يشبه هندام رجل زيات عليه أثر الزيت من أهل الشرف [1] بإشبيلية، ثم توجه نحو ابن مردنيش وسلمه الكتاب، وبعد إطلاع ابن مردنيش على الكتاب صدّق ما جاء فيه وسار نحو إشبيلية مقلعا عن قرطبة، فنزل بقواته في موضع يسمى ألبونت[2].

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن الموحدين كانوا قد أرسلوا جاسوسا حول مخيم ابن مردنيش في قرطبة فعلم بأمر كتاب ابن الوزير، فرجع مسرعا إلى إشبيلية وأخبر وليها " أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن" [3]، فألقى القبض على "ابن الوزير"، وحصّن المدينة بالجند والرجال واستعد لمقاومة الحصار، وبعد ذلك بعث ابن مردنيش فرقة من جيشه لاقتحام المدينة من باب قرمونة لكن دون جدوى، وبقي ابن مردنيش يحاصر اشبيلية لمدة ثلاثة أيام، لكنه لم ير شيئا مما ورد في الكتاب الذي وصله فأيقن أن قصة الكتاب الذي وصله خدعة ففك الحصار عن إشبيلية وأفل راجعا إلى مقر إمارته[4].

وبحلول سنة 555هـ/1160م توسعت جبهات الصراع بين الطرفين حيث أرسل ابن مردنيش جيشا بقيادة صهره إبراهيم بن همشك [5]؛ بغرض الاستيلاء على قرطبة فدمر زرعها وخرب أحوازها، ثم تراجع ونصب كمينا في بلدة أطابة[6] بالقرب من قرطبة، فخرج والي قرطبة "عبد الرحمــن

---

[1]- الشرف Aljarfe: تقع هذه المنطقة في الشمال الغربي من اشبيلية على بعد ثلاثة أميال منها وتعرف المنطقة بزيتها الشهير وتسمى المنطقة بهذا الاسم لأنها مشرفة على ناحية اشبيلية، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص67.

[2]- ألبونت: وترسم كذلك ألفونت (Al-Funt) تقع على ميل شرقي اشبيلية، أنظر: آمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص184.

[3]- أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن: هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي أمه وأم أخيه أبو حفص واحدة وهي إمرأة حرة اسمها زينبابنة موسى الضرير أحد شيوخ أهل تينملل وأعيانها من ضيعة يقال لها أنسا، وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج عنها، أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 174.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص67-68.

[5]- أطابة Ataba : وهي قرية قريبة من قرطبة، أنظر: نفسه، ص75.

[6]- ابن همشك: يسميه ابن ابي زرع ابراهيم ويسميه عبد الواحد المراكشي عبد الله وعلى راي ابن ابي زرع سار معظم المؤرخين ،وابوه هو محمد بن علي بن همشك بفتح الهاء وضم الميم وسكون الشين وهو ينتمي الى اصل نصراني لم يختلف فيه المؤرخون وكلمة همشك اسبانية حرفها العرب من كلمة هيمشيكو(Hemchico) ومعناها حسب ما يذكر ابن الخطيب —مقطوع الاذن-اذ كان جده مقطوع الاذن ،فعرف بهذا اللقب عند المناداة عليه في الحروب ،وقد نشا ابن همشك في سرقسطة ولما كبر قليلا اتصل بخدمة ابن هود فلما سقطت سرقسطة في يد النصارى لفترة قصيرة ،ثم فضل خدمة المرابطين فكان له ذلك حيث الحقه يحيى بن غانية بمدينة قرطبة وقد كان ابن همشك قاسيا متطرفا جبارا وبدت قسوته بشكل جلي على المسلمين في موقعة السبيكة بغرناطة ،أنظر: ابن الخطيب :اعمال الاعلام ،ص 263،عبد الله علي علام ،الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 172.حسين مؤنس :موسوعة تاريخ الاندلس ،ج2،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1996،ص 117.

ابن تيجيت" يستطلع المكان، فوقع في كمين ابن همشك وألحقت به الهزيمة وقتل وتراجعت باقي قوات الموحدين إلى المدينة وتحصنت بها. [1] ثم سار ابن همشك بقواته إلى مدينة قرمونة حصن اشبيلية من ناحية الشمال الشرقي فهاجمها واستولى عليها ما عدا قصبتها؛ وذلك بمعاونة أحد زعمائها يدعى "عبد الله بن شراحبيل"، وكان ذلك بتاريخ ربيع الأول سنة 555هـ/1160م ؛ هذا ويذكر ابن الخطيب أن ابن همشك ظل يحاصر قصبة قرمونة ومن بها من الموحدين حتى أجبرهم على حكمه[2].

وحاول ابن همشك الاستيلاء على مدينة إشبيلية؛ حيث ظل يواصل غزوها لكن دون جدوى، وقد ألحق بها أفدح الخسائر وعاث في أحوازها تخريبا وفسادا مستعينا في ذلك بالنصارى والأندلسيين العملاء[3]، فهاجر المزارعون أراضيهم خوفا من الحرب مما دفع بواليها" أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن "إلى الاستنجاد بوالده فأرسل إليه رسالة مبتدئة بقصيدة شعرية من تأليف" أبو العباس بن السيد المالقي"[4] جاء في مطلعها:

هُو الأَمْرُ أَمْرُ اللهِ لَيسَ لهُ رَدُّ يُؤَيِّدُهُ أَيِّدٌ وَيْسمُو بِه جِــدُّ

فَمَنْ يَبْغِ فِيهاَ الغَيَّ بَعدَ احْتِلاَئِهِ فَإِنّ حُسامَ الهِندِ فِيهِ لَهُ رُشْــدُ

إِلَيْكُمْ أَميرُ المُؤمِنينَ تَوَجَّهْتْ بِنَا الرَّغَبَاتُ الجَمُّ يَحْثُّهَا جُهْدُ[5]

وجاء في الرسالة أيضا من عبارات الاستنجاد والاستعطاف ما يلي:"... العدو يلح في الفتنة والضرر ويستعين بإخوانه النصارى وبالمنافقين أصحابه وإشبيلية مثل الحلقة من الفتن، قد نهل بالغصص ساكنها وذهل من القنص متحركها وساكنها وينتظر الفرج من الله تعالى ومن عدة منجزة في كتاب ويستمطر الغيث بأن يرفع الله العيث بآيات الله المتلوة في الكتاب"[6].

---

[1]-ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص75.

[2]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام،ص 261.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص113.

[4]-أبو العباس بن السيد المالقي: هو أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي، درس النحو والأدب وكان كاتبا بليغا تحول من مالقة إلى قرطبة ثم إلى مراكش وأدب بعض أبناء عبد المؤمن، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص76.

[5]- نفسه.

[6]- نفسه: ص77.

وعلى إثر هذه الرسالة رد عبد المؤمن الجواب لابنه وواليه على اشبيلية بجواب بعث به الرقاص[1]على وجه السرعة، بشر في جوابه أبناءه وولاته في الأندلس بانتصاره على أعراب بني رياح[2]وأعوانهم في موقعة قرب قسنطينة وإخضاعهم لطاعته، كما بشرهم بنيته في الجواز إلى الأندلس بغية الجهاد والقضاء على زعماء الفتنة كابن مردنيش وما شابهه،وكان هذا الجواب بتاريخ ربيع الأول سنة 555هـ/1160م[3].

وأتبع عبد المؤمن رسالته الأولى برسالة ثانية تضمنت أمر عبد المؤمن لأبنائه وولاته بالأندلس بناء مدينة حصينة وقاعدة حربية في جبل الفتح [4]، لينزل بها عند جوازه للأندلس إلى حين تقدم فتوحات الموحدين في المنطقة [5]، وقد أمر عبد المؤمن بأن يتولى بناء المدينة ابنه والي اشبيلية" أبو يعقوب يوسف" بمساعدة أخيه" أبو سعيد عثمان" والي غرناطة، وقد كانت الرسالة مؤرخة بـ 9 ربيع الأول سنة555هـ الموافق لمارس 1160م[6].

استمر البناء لهذه القاعدة عدة شهور وتم إنهاؤها في شهر ذي القعدة سنة 555هـ الموافق لـ 1160م، ويصفها ابن صاحب الصلاة الذي كان أحد شهود عيان على البناء وأحد أفراد البلاط الموحدي[7]"... وأحكم البناؤون البناء من القصور المشيدة والديار واخترعوا في أسسها

---

[1]- الرقاص: لفظ معروف منذ القدم في المغرب ويطلق على الشخص الذي يقوم بالبريد ولمهنة الرقاصة أمين يصهر على الحرفة وقد تسند لرجال أقوياء مدربين على الركض، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 77.

[2]- بني رياح: يقصد بهم قبائل بني رياح وهم من القبائل العربية التي زحفت إلى بلاد المغرب في ق 5هـ وينتسبون إلى رياح ابن أبي ربيعة بن عامر، أنظر: عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج6، ص69-70.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص77.

[4]- جبل الفتح: هو جبل طارق وسمي كذلك بجبل الفتح لأنه منه كانت الإنطلاقة لفتح الأندلس وسمي بجبل طارق لأنه أول موضع نزل فيه طارق بن زياد في حملته لفتح بلاد الأندلس، وقد قال فيه الشاعر الرصافي الأندلسي:

لِله مَا لِجَبَلِ الفَاتِحِينَ مِن جَبَلٍ مُعْظَمُ القَدَرِ فِي الأَجْيالِ مَذْكُوُر، أنظر: عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1978،ص133و أنظر: الحميري، المصدر السابق ، ص381.

[5]- عقيلة غناي: المرجع السابق،ص 125.

[6]- رسائل موحدية: دراسة وتحقيق: أحمد عزاوي: مج جديدة،ط 1،ج1،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب، 1995،ص79.

[7]- هو عبد الملك بن صاحب الصلاة ؛ عاش في ظل دولة الموحدين وصحب مواكب خلفائهم وهو من أصل أندلسي ينتسب إلى مدينة باجة توفي سنة 594هـ/1198م حياته في ظل الموحدين سمحت له بتدوين بعض الأحداث التاريخية في كتابه الذي أسماه " تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ممن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين"، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص289.

طبقانا والحنايا لتعتدل بها الأرض مبنية بالحجر المنجور والجيار مما هو عجيب في الآثار، وكما قيل – الملوك تبني على قدرها من الأقدار–"[1].

وكان هدف الخليفة من بناء هذه المدينة هو جعلها قاعدة خلفية لتموين الجيوش الموحدية المحاربة في الأندلس خاصة ضد الممالك النصرانية؛ وكذلك لردع الفتن والثورات الداخلية، وكانت مهمتها الأساسية أن يستقر بها القادة الموحدون الآتون من المغرب لإدارة الحرب في الأندلس، وإمداد الجيوش الموحدية الأندلسية بالمؤن[2].

وعبر الخليفة إلى الأندلس ونزل بجبل طارق وكان في استقباله ولداه "أبو يعقوب يوسف" والي اشبيلية و"أبو سعيد" والي غرناطة، وأيضا أشياخ الموحدين وأعيان الأندلس القضاة والطلبة والحفاظ، وتم الاحتفال بوصول الخليفة فجددت له البيعة وألقيت الخطب بين يديه [3]، وقد أقام الخليفة زهاء شهرين وأطلق اسم مدينة الفتح على المدينة الجديدة بجبل طارق، ثم أمر الوفود بالانصراف وعاد إلى مراكش في أوائل سنة 556هـ/1161م[4].

هذا وقد أوصى عبد المؤمن قبل عودته ولديه وقادته بمواصلة غزو ابن مردنيش وقتاله، كما أكّد تعيين ابنه أبو يعقوب يوسف واليا على إشبيلية، وابنه أبا سعيد عثمان واليا على غرناطة، وترك جيشا من الموحدين بالمنطقة تحت قيادة ابن الشرقي، كما عين على جيش الأندلسيين أحد قادتهم المشهورين والذي يعرف بابن صناديد[5].

ثم عاد عبد المؤمن بن علي إلى مراكش وترك الأوضاع في الأندلس على ما كانت عليه لاسيما إشبيلية وقرمونة ،وكان لا بد من أبو يعقوب الامتثال لأوامر أبيه الخليفة وغزو ابن مردنيش مما جعله يأمر بضرورة استرجاع قرمونة فأرسل جيشا بقيادة "أبي محمد عبد الله بن أبي حفص بن

---

[1]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص86.

[2]- Charles Romey : Histoire D'Espagne,T6,University du Michigan U.S.A,1858 ,p80.

[3]– فارس جوز: مؤسسة الطلبة في دولة الموحدين–مجلة الدراسات التاريخية– العدد 30،دمشق، 1988،ص173.

[4]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص386.

[5]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص114.

علي" فسار الجيش والعسكر إلى قلعة جابر [1]، وكانت هناك فرقة من الأندلسيين تساند الموحدين بقيادة "أبو العلاء بن عزون"، وفي هذه الأثناء كان ابن همشك قد غادر قرمونة باتجاه جيان بعد أن نظم شؤونها وعين عليها واليا يدعى "ابن أبي جعفر"، هذا الأخير أحسن الدفاع عن المدينة لمّا هاجمها الجيش الموحدي، إذ كان يخرج ويشتبك معهم ثم يعود إلى المدينة، وأثناء هذه المناوشات وقع عبد الله بن شرحبيل أسيرا في أيدي الموحدين وهو الذي أدخل ابن همشك إلى المدينة فتم إرساله مقيدا إلى اشبيلية[2].

ووصلت الإمدادات الموحدية بقيادة أبو يعقوب يوسف بن سليمان [3]،وكانت تتضمن الإمدادات الأغذية والآلات الحربية، مما ساعد الموحدين في حربهم لاسترداد قرمونة إلا أن الموحدين أجلوا حربهم نوعا ما، حيث تراجعوا إلى اشبيلية بسبب استدعاء من الخليفة الموحدي لابنه إلى مراكش فتولى حكم اشبيلية بعده "الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي" الذي سار بعد أيام برفقة ابن عزون قائد الجند الأندلسي نحو قرمونة وعسكر بقلعة جابر، ثم اتجه نحو حصار المدينة فحاصرها حصارا محكما.[4]

ضاق أهل قرمونة بهذا الحصار فبعثوا رجلا منهم يدعى شراحبيل [5]لمفاوضة الموحدين على مساعدتهم في دخول المدينة مقابل منحهم الأمان، فوافق الموحدون وفتحت لهم أبواب المدينة في ضحى يوم الجمعة 10 محرم سنة 557هـ الموافق لـ 30ديسمبر 1161م، فدخلها الموحدون واستولوا عليها لكنهم وفوا بوعدهم ومنحوا الأمان لأهلها[6].

---

[1]- قلعة جابر Alcalo de Gudaira: تقع جنوب قرمونة على مقربة منها ولا تبعد كذلك عن اشبيلية، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص121.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص115.

[3]- أبو يعقوب يوسف بن سليمان: وهو أبو محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي عين واليا على اشبيلية من لدن عبد المؤمن في الوقت الذي عين فيه عبد الرحمن بن تيجيت وذلك سنة 550هـ وقد استمر في مهمته مجاهدا إلى سنة 551هـ عندما أصبح أحد أشياخ الأندلس ثم استشهد في موقعة مرج الرقاد سنة 557هـ، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص93.

[4]- نفسه، ص120.

[5]- شراحبيل: هو لا يمت بأية صلة لعبد الله بن شراحبيل الذي ارسل مقيدا لاشبيلية ويؤكد هذا ابن صاحب الصلاة فيقول: "... ليس من أهل قرمونة، وليس من الغادر الكافر المسمى أولا، المذكور الذي غدرها، المعروف بعبد الله بن شراحبيل في حسب ولانسب إلا الاسم اتفق فيهما، أنظر: نفسه، ص121.

[6]- عقيلة غناي: المرجع السابق،ص128.

أما والي المدينة أبو جعفر فقد لجأ بجنده إلى القصبة، ثم استنزله الموحدون على حكمهم فكبلوه بالحديد وسجنوه في اشبيلية إلى أن جاء الأمر من مراكش بصلبه فصلب في مكان باشبيلية يسمى الرملة تحت قصر ابن عباد[1].

وبعد ذلك قام الشيخ أبو محمد بن أبي حفص بن علي مع رجاله بتطهير قرمونة وغسل جامعها؛ وذلك أن الموحدين كانوا يعتبرون خصومهم من المجسمين [2]كافرين. ويذكر ابن صاحب الصلاة حضوره هذه العملية ويصفها قائلا:"... وغسل جامعها بالماء ولقد مشيت إليه فيها وهنيته على الفتح وهو في الجامع يغسله... والرجال يغسلون بمرأى منه وأقام فيها حتى أصلحها وآمنها وأنصرف إلى اشبيلية وأعلم في خبر فتحها حضرة الخليفة بما فتح الله له فشكر وحمد".[3]

لقد كان للموحدين بعد مرج الرقاد[4]ردت فعل قوية رجحت الكفة لصالح الدولة الموحدية، الموحدية، وقد حدثت هذه المعركة بعد احتدام الصراع بين الطرفين، فبعد أن عزز الموحدون جبهتهم في اشبيلية وقرطبة شعر ابن همشك بضرورة الاستيلاء على غرناطة القريبة من مقر حكمه في جيان، وكذلك لقربها لمرسية شرقي الأندلس، فاتفق ابن همشك سرا مع يهود غرناطة- وهم الذين أسلموا إكراها وكان إسلامهم ظاهريا وفي أنفسهم عداءا للإسلام- وقائدهم "ابن دهري"[5]حتى يساعدونه في فتح أبواب المدينة له بعد غياب واليها "أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن" نحو مراكش تلبية لأمر والده الخليفة [6] ، وفي احدى ليالي جمادى الاولى 557هالموافق

[1]-ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص122.

[2]-هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص116.

[3]-ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص122-123.

[4]-مرج الرقاد: أطلق هذا الاسم على موضع بظاهر غرناطة على بعد بضعة كيلومترات من قرية الطرف(Atarfe) في سفح جبل بيرة (sierra de Elvira) على مقربة من نهر شنيل وتكتب بالإسبانية (Majorrcal) أو (Merrojal)، أنظر:نفسه، ص129.

[5]-ابن دهري: كان صهرا لابن زيد مشرف غرناطة، وقد استطاع أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام، وعليه اعتمد ابن همشك في التآمر على غرناطة، أنظر: نفسه،ص123.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

ل1161م فتح له ابن دهري باب الربض [1]فدخل ابن همشك المدينة ونادى اليهود"يا الأصحاب" مما دفع بالحامية الموحدية بالفرار إلى القصبة ولحقتها جموع من أهل غرناطة الموالين للموحدين، وقد حاول ابن همشك اقتحام القصبة لكنه لم يتمكن من ذلك نظرا لحصانة القصبة ومناعتها فضلا على أن الحامية الموحدية بالقصبة مزودة بالقوات والآلات الحربية [2]، فقرر ابن همشك طلب المساعدة من صهره أمير شرق الأندلس ابن مردنيش، وهذا الأخير لم يسر إلى غرناطة بمفرده بل رافقته فرقة من النصارى بقيادة ثلاث كونتات وهم" ألفار رودريغز" " Alvar Rodriguez"[3] و" أيرمانكو السابع" "Ermangaud VII"[4] وأخ هذا الأخير" كوسيران دوصال" " Causerand de sales"[5]. وفي هذه الأثناء كان ابن همشك قد احتل القصبة الحمراء [6]، ومنها شرع في قتال الموحدين واقامة المنجنيقات لرمي الحجارة على الموحدين داخل القصبة وعذب من وقع في يده من الموحدين[7].

أما الحامية الموحدية بالقصبة فقد شرعت في الاستنجاد؛ حيث بعثت برسالة نجدة إلى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي وكذلك إلى والي اشبيلية عبد الله بن أبي حفص وذلك بعد أن قطعوا القنطرة[8] المتصلة بينهم وبين القصبة الحمراء خشية من أن يعبر منها الأعداء لقتالهم [(9)]،

---

[1]- باب الريض: بفتحتين والمربض وزان مجلس، والربض مدينة وما حولها والمراد هنا الباب المخصص للدواب حيث تخرج للمرعى وتعود وورد أنه أحد أبواب غرناطة ويقصد دون شك ريض البيازين حيث كانت تقوم سوق البزاة(Albaicin) الذي يقع في شمال المدينة في العدوة الغربية منها، أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق ص124، وأنظر أيضا: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص194.

[2]-عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص124-125.

[3]-ألفار رودريغز:ألفارود ريكيث(Alvar Rodriguez): عرف في المصادر الإسلاميةتحت لقب الأقرع، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص125.

[4]-أيرمانكو السابع (Ermengaud VII):فقد سماه ابن صاحب الصلاة القمط أرجال Urgel ، أنظر:نفس المصدر: ص125.

[5]-كوسيران دوصال(Caucerand de sales): وهو أخ أرمانكو السابع وشهد مصرع الأقرع أما هو فقد توفي رفقة أخيه سنة 579هـ/1183م، أنظر: نفسه، نفس الصفحة.

[6]-القصبة الحمراء: تقع في العدوة الشرقية من غرناطة يفصلها عن القصبة القديمة نهر جدارة وقد ورد أنها تقع في جبل السبيكة بإزاء قصبة غرناطة، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص125، وأنظر أيضا:هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص116.

[7]-محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص387-388.

[8]-القنطرة: وردت عند ابن صاحب الصلاة باسم الساباط ويقال هي ما يعرف ب"إيكلاز"" Eguilaz" وتحمل اسم "قنطرة القاضي" وهي تجمع بين القصبتين- القديمة والحمراء- وقد شيدت حوالي سنة 447هـ الموافق لنهاية 1055م وبداية 1056م وتنسب إلى القاضي علي بن ثوبة الذي ولي القضاء أيام ابن باديس بن حبوس، أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص126.

لقتالهم(1)، وقد استجاب الخليفة عبد المؤمن وأمر ابنه أبا سعيد بالسير لإنقاذ غرناطة وقد أرسل بدوره أبو سعيد حين وصوله إلى مالقة في طلب والي اشبيلية والجند الأندلسي فالتقيا وواصلا السير معا رفقة الجند إلى غرناطة [2]، ثم نزلا بمكان في السواقي الجارية بالماء لسقي الحقول ويسمى هذا الموضع "بمرج الرقاد"، وهناك عسكرت الجيوش الموحدية فخرج إليهم ابن همشك ومعه جند النصارى وقد وصل عددهم إلى ألفي فارس يقودهم "ألفار رودريغز"، وما إن تواجه الطرفان حتى اندلع القتال واختل نظام القوات الموحدية وألحق ابن همشك هزيمة فادحة كما أغرق عدد كبير من الموحدين في سواقي مرج الرقاد، وقد كان من بين القتلى الشيخ "أبو محمد عبد الله بن أبي حفص" والي اشبيلية وعدد كبير من أشياخ الموحدين والأندلسيين، بينما تمكن أبو سعيد عثمان من الفرار إلى مالقة مع بعض رجاله[3].

هذا وقد اختلفت آراء المؤرخين حول اشتراك ابن مردنيش بنفسه في المعركة فهناك روايا ت تاريخية تقول أن ابن مردنيش لم يشارك في المعركة وإنما قاد ابن همشك جند ابن مردنيش في المعركة ومنهم ابن صاحب الصلاة حيث يقول واصفا جيش ابن همشك:"... فخرج إبراهيم بن همشك بالنصارى أصحابه ودارت الحرب بينهم في الموضع المذكور..." [4] ، ولم يذكر أن ابن مردنيش رافق ابن همشك في المعركة، أما لسان الدين بن الخطيب فيؤكد مشاركته في هذه المعركة، حيث يقول:"... وقد مثل ابن مردنيش بنفسه في الموقعة وكانت محلته قائمة فوق الربوة العالية المتصلة بريفي البيازين وهي التي عرفت فيما بعد بكدية ابن مردنيش"[5].

والأرجح ما أورده ابن صاحب الصلاة وليس ما أورده ابن الخطيب أي أن ابن مردنيش لم يحضر المعركة؛ وذلك لأن ابن صاحب الصلاة يعتبر مصدر أقرب للحدث أكثر من ابن الخطيب، لأن ابن صاحب الصلاة كان ضمن البلاط الموحدي وكان على علم بكل الأحداث الموحدية وخاصة المعارك وكان دقيقا جدا في روايتها فلا يمكن له أن يغفل اشتراك ابن مردنيش

1- نفسه، نفس الصفحة.

2- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص117.

3- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص388.

4- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص129.

5- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة،ج2،ص89.

بشكل شخصي في المعركة، وأما ابن الخطيب فيعتبر أبعد نوعا ما عن الحدث وربما اعتمد على أن ريفي البيازين سميت بكدية ابن مردنيش ،وقد يكون هذا الموضع نسب إلى ابن مردنيش لسبب آخر أو في أحداث أخرى أغفلها المؤرخون وليس نسبة لتواجد ابن مردنيش بالمكان أثناء معركة مرج الرقاد.

ويبدو من هذا أن الموحدين انهزموا في هذه المعركة لأن ابن همشك نصب لهم كمينا، وتحدث ابن صاحب الصلاة عن هذا الكمين قائلا:"... وظهر عدد النصارى، وراع الناس مددهم وعددهم بظهور الكمين..." [1] ، هذا وقد كانت معركة مرج الرقاد نكبة موحدية بالغة الخطورة كادت أن تعصف بسلطان الموحدين في وسط الأندلس وجنوبه[2].

وأما ابن همشك فقد رجع نحو القصبة الحمراء بصحبته عدد من الأسرى الموحدين وقد بالغ في تعذيبهم والتنكيل بهم، حيث أحرقهم بالنار وقذفهم من الشواهق والأبراج ورماهم من المنجنيقات، فقد كان جبارا قاسيا فظا غليظا كما وصفته المصادر التاريخية[3].

وقد بلغ الخليفة عبد المؤمن خبر هزيمة الموحدين في معركة مرج الرقاد وهو برباط الفتح [4] بالقرب من سلا فغضب غضبا شديدا وعزم على الانتقام إذ بعث بجيش كبير يتألف من حوالي 20 ألف مقاتل ويضم جماعة كبيرة من أعراب بني سليم [5]، وأسند قيادة الجيش إلى ابنه يوسف وجعل معه الشيخ أبو يعقوب يوسف بن سليمان، فسار الجيش من رباط الفتح وعبر البحر ونزل بالجزيرة الخضراء، ثم واصل سيره باتجاه مالقة حيث انضم إليه والي غرناطة أبو سعيد عثمان بن عبد

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص129.

[2]- محمد علي الصلابي: دولة الموحدين،المرجع السابق،ص144.

[3]- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة،ج1،ص299.

[4]- رباط الفتح: ويلقب كذلك بالمهدية يقع على شاطئ المحيط، ولما وصله عبد المؤمن سنة 545هـ بنى به قصبة حصينة على شاطئ البحر وأجرى إليه الماء وهي الرباط الحالية، تتكون من برج للسكن وما تبقى حوله أرض حراثية ، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 357،113-358، وأنظر كذلك: الحسن بن محمد الفاسي الوزان: وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر،ج1،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983،ص201.

[5]- أعراب بني سليم: بطن من بطون" مضر" وهم أكثرهم جموعا وكانت منازلهم بنجد وينتسبون إلى سليم بن منصور ابن عكرمة بن خضفة بن قيس بن عيلان بن مضر، أنظر: عبد الرحمن بن خلدون: العبر،ج6،ص 141-142.

المؤمن بقواته لإتمام المسير إلى غرناطة [1]، و قد أمر الشيخ أبو يعقوب يوسف بن سليمان القائدين يوسف وعثمان ولدا الخليفة أن يسيروا بالجيش مرحلة كل يوم حتى يكون وصولهم إلى غرناطة مريحا ولا يتعرض الجند والخيل للإرهاق[2].

علم ابن مردنيش بمسير الموحدين نحو غرناطة فجمع هو الآخر قواته وخرج من مرسية ترافقه فرقة من النصارى ونزل على الجبل المتصل بقصبة غرناطة على الضفة الأخرى لنهر حدارة [3]، فأصبح هذا النهر الفاصل الوحيد بين معسكر ابن مردنيش وصهره ابن همشك الذي كان لا يزال معسكرا في القصبة الحمراء فوق جبل السبيكة [4] ومعه القوات النصرانية بقيادة ألفا رودريغز تصل إلى حوالي 8 آلاف فارس[5].

وفي يوم الجمعة 27 رجب سنة 557هـ/12 جويلية 1162م[6]قام يوسف بن سليمان في جنده فنظمهم ثم ألقى فيهم خطبة دينية حماسية حثهم فيها على الشجاعة والبسالة أثناء الجهاد في سبيل الله[7]. وفي مساء ذلك اليوم ركب الموحدون خيولهم وساروا فوق الجبل وفي الأمام المشاة والطلائع الموحدية من المصامدة بالإضافة إلى العناصر العربية المتواجدة بالجيش من أعراب بني سليم وبني رياح وغيرهم، وهم يسيرون على ضفة وادي شنيل[8]المحاذي للسبيكة؛ وبما أنها كانت كانت ليلة مضيئة فقد ساعدهم ذلك على المسير.

---

[1]- أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص192.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص389.

[3]- نهر حدارة: هو نهر يشق مدينة غرناطة، وتسميه أيضا بعض المصادر نهر حدوة ويرسم بالإسبانية(Darro) وهو فرع صغير من نهر شنيل وقد كان في القديم يحمل اسم نهر القلزم، أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص 132، وأنظر أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص45.

[4]- جبل السبيكة: تقع به القصبة الحمراء وترسم أيضا بدون الياء بعد الباء –السبكة- لكن الياء تثبت في كثير من المصادر وقد ورد ذكر جبل السبكة زيادة على ذكره في المعارك في عدة أشعار، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص125.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص119.

[6]- نفسهن نفس الصفحة.

[7]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص389.

[8]- وادي شنيل: (Rio Genil): يقع جنوب غرناطة وهو متفرع من نهر الوادي الكبير، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص132.

ولما حل الفجر كان الموحدون قد وصلوا إلى محلة ابن همشك وحلفائه النصارى فهاجموه بغتة وأغلبهم لم يركبوا خيولهم، وقد أمعن الموحدون فيهم القتل وأراد ابن همشك وقواته اللجوء إلى ابن مردنيش ونسوا أن الوادي يفصل بينهم فهوى أغلب الجند فيه[1].

وقد أبلى الموحدون بلاءا حسنا وقتلوا من خصومهم جموعا غفيرة وكان ممن قتل" ألفا روديغز"، وهذا الأخير قطع رأسه وعلق على أحد أبواب قرطبة، وقتل أيضا أحد أصهار ابن مردنيش الذي يسمى "ابن عبيد"، وقد كان ابن مردنيش في الضفة الأخرى يراقب هزيمة قواته ومقتل أصحابه، فغضب غضبا شديدا لكنه لم يستطع التقدم لما شاهده من تفاني أفراد الجيش الموحدي في القتال دون ملل [2]، ودخل الموحدون غرناطة ونزل من كانوا محاصرين داخل القصبة وكان ذلك بتاريخ 28 رجب 557هـ الموافق لـ 13 جويلية1162م[3].

وأما ابن مردنيش وابن همشك فقد ارتدا عن المدينة، فاتجه ابن مردنيش نحو مرسية وابن همشك نحو جيان مع من بقي معه من الجنود على قيد الحياة، فتبعته القوات الموحدية لكنه لم يستقر بها خوفا من الموحدين وترك بها وزيره أبو جعفر الوقشي [4]، وهذا الأخير تحصّن بها فحاصره الموحدون مدة لكن دون جدوى فقاموا بتدمير زرعها وإهلاك قراها ثم آثروا الرجوع إلى غرناطة[5].

وتعتبر هذه المعركة أو موقعة السبيكة كما تسميها المصادر والمراجع التاريخية ردة فعل قوية على معركة مرج الرقاد، فقد ثأر الموحدون لأنفسهم ولإخوانهم في هذه المعركة فقد حققوا انتصارا كبيرا؛ وقد أعقب هذا الانتصار عدة أحداث أخرى كانت دائما في صالح الموحدين تمثلت في:

إصلاح أحوال بعض المدن القريبة من إمارة ابن مردنيش في الشرق، فبعد أن بلغ خبر انتصار الموحدين إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي وهولا يزال برباط الفتح أصدر أوامره بإصلاح شؤون المدن الأندلسية القريبة من الشرق، حيث أمر الخليفة أن تكون غرناطة وقصبتها مركز دفاع

---

[1]- ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ،ص 133- 134.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص390.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص134.

[4]- أبو جعفر الوقشي: لم نعثر على ترجمة خاصة به في المصادر والمراجع المتوفرة وإنما يظهر أنه من أخلص رجال ابن همشك كي يجعله واليا على المدينة.

[5]- ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص136.

قوي وذلك بشحنها بالآلات والقوات الحربية والأسلحة، فسارت القوافل البحرية من المغرب ونزلت في حصن المنكب، ثم اتجهت نحو غرناطة من أجل ملء مخازنها الموجودة في القصبة بالقمح والشعير والملح وآلات الحرب والقسي والسهام وكل ما له علاقة بالحرب والمؤونة [1]، كما ندب للدفاع على المدينة جماعة من خيرة جند الأندلسيين مع جند الموحدين الموثوق في كفاءتهم[2].

إضافة إلى هذا، أمر الخليفة الموحدي أن ينتقل مركز الحكم الموحدي في الأندلس من اشبيلية إلى قرطبة، فبعث الخليفة إلى ابنه أبي يعقوب يوسف والشيخ يوسف بن سليمان أمرا بدخولهما قرطبة وجعلها مقرا للأمير، وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي، فهي تتوسط بلاد الأندلس كما وردت في المصادر وأمر الخليفة أيضا بأن يكون مقر الجيوش الموحدية بقرطبة[3].

وامتثالا لأمر الخليفة سار أبو يعقوب وأخوه أبو سعيد عثمان برفقتهما القائد ابن سليمان إلى قرطبة، وكان وصولهم يوم 12 شوال 557هـ الموافق لـ 30 سبتمبر 1162م[4]عد أن كان أبو إسحاق براز بن محمد المسوفي قد أوصل أهل قرطبة بالأمر فخرجوا للاستقبال في حشود حافلة، وتم استدعاء أشياخ وأعيان اشبيلية وكتابها ومنهم أبو القاسم بن عساكر [5]وأبو بكر الحصار [6]، ويذكر ابن صاحب الصلاة أنه كان من بين المدعوين للعمل في هذه المدينة فيقول:"... وكنت في جملة من كتب من الكتاب، وعين للاشتغال بذلك الباب، فاستعفيت وقنعت..."[7].

ونقلت جميع الدواوين والأموال إلى قرطبة فغدت قرطبة قاعدة حكم الموحدين في الأندلس بعد اشبيلية وعادت بذلك لما كانت عليه أيام ملوك بني أمية، وقام على خزائنها براز بن محمد

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص137.

[2]- نفسه.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق،ص 138، وأنظر : عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين- عصر الطوائف الثاني- دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،ص172.

[4]- وورد في بعض المصادروالمراجع الأخرى 15 شوال 557هـ، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص140.

[5]- أبو القاسم بن عساكر: أحد الكتاب البارزين في البلاط الموحدي وهو كان من الذين يعينهم الخليفة أحيانا لمحاسبة المتصرفين في أموال الخزينة، أنظر: نفسه،ص138.

[6]- أبو بكر الحصار: هو أبو بكر بن محمد بن علي الحصار الاشبيلي توفي بمراكش سنة 579هـ، أنظر: نفسه،ص 139، وأنظر كذلك: ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق،- قسم الموحدين-، ص 155.

[7]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص138-139.

المسوفي، وعين على اشبيلية أحد أصحابه واستمر قائما على شؤون الأندلس إلى أن توفي بقرطبة559هـ[1].

وقام أبو يعقوب يوسف وأبو سعيد عثمان برفقة القائد ابن سليمان بتنظيم شؤون قرطبة وتعمير قصورها؛ إضافة إلى ترميم دورها المهدمة وإصلاح حصونها وأسوارها وتأمين أهلها، فساد الهدوء والأمن بها وعاد الكثير من أهلها إليها؛ وأما الذين شاركوا في الفتن السابقة فقد عفا عنهم واليها وأكرمهم بالأموال والمؤن فاستبشر الكل بالعهد الجديد[2].

وبعد تحصين غرناطة وتعمير قرطبة بدأ الخليفة الموحدي عبد المؤمن يستعد للعبور إلى الأندلس لجهاد النصارى وإخضاع ابن مردنيش، ومن أجل تحقيق هذا الأمر تم إرسال أوامره إلى كل نواحي بلاد المغرب بما في ذلك إفريقية؛ لحث الناس على الجهاد في سبيل الله، كما أمر بإنشاء الأساطيل في كل موانئ بلاد المغرب وجلب المؤن والعلف للخيل حتى اجتمعت له أعداد هائلة فتم تخزينها في المناطق المجاورة لوادي سبو، وتم أيضا جلب أعداد هائلة من السيوف والرماح والقسي والخيول بكل أنواعها[3]؛ ثم اتجه عبد المؤمن من رباط الفتح إلى مراكش ثم إلى تينملل في زيارة إلى قبر المهدي ابن تومرت صحبة بعض أشياخ الموحدين، وكان ذلك في شتاء 558هـ[4].

هذا وفي ربيع الأول من نفس السنة[5]خرج عبد المؤمن من مراكش متجها نحو رباط الفتح[6] الفتح[6] مع ما اجتمع له من عساكر موحدية ومتطوعين من قبائل العرب والبربر، حتى اجتمع لديه ما

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص390.

[2]- Jonathan Foster : History of the dominion of the Arabs in Spain, OxfordUniversity, England 1885,p14.

[3]- Pierre Guichard : op-cit, p162.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص149.

[5]- يتفق كل من ابن صاحب الصلاة وصاحب الاستقصاء في الشهر والسنة للتاريخ الهجري ويختلفان في اليوم حيث يذكر ابن صاحب الصلاة أن خروج عبد المؤمن يوم الخميس 15 ربيع الأول 558هـ/ 19 فبراير 1163م، أما صاحب الاستقصاء فيذكر أن خروج عبد المؤمن من مراكش كان يوم الخميس 05 ربيع الأول 558هـ، ولم يذكر التاريخ الميلادي والأرجح ما أورده ابن صاحب الصلاة لأنه كان شاهدا على معظم الأحداث الموحدية لتواجده ضمن البلاط الموحدي، فلابد أن الأخبار كانت تصله =صحيحة أما صاحب الاستقصاء فقد كان بعيدا عن البلاط الموحدي واستسقى الخبر من منبع آخر، أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق،ص 151، وأنظر كذلك: الناصري، المصدر السابق، ج1، ص274.

[6]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص152.

ما يقدر بـ 100 ألف فارس[1] و100ألف راجل حسب ابن صاحب الصلاة، ويقدرها صاحب الاستقصاء بحوالي أكثر من 300 ألف فارس من جيوش الموحدين والمرتزقة و 80ألف فارس و100ألف راجل من المتطوعين.

وبعد أن استقرت الجيوش في رباط الفتح، استدعى عبد المؤمن سائر القادة والأشياخ من الموحدين والعرب وأهل الرأي والمشورة لعقد مجلس حربي، وقد حضره "سيدراي بن وزير" [2]، وقد اقترح هذا الأخير أن تقسم هذه القوات إلى أربعة جيوش، حيث يسير أولها إلى البرتغالللمواجهة" ألفونسو أنركينز" " Alfonso Enriquez"[3]صاحب قلمرية[4]، والثاني يسير إلى مملكة ليون وملكها "فرناندو الثاني" " Fernando II de Leon"[5]، والثالث يسير إلى مملكة قشتالة وكان صاحبها آنذاك "ألفونسو الثامن" "Alfonso VIII"، و هذا الأخير كان لا يزال تحت الوصاية في تلك الفترة، وأما الجيش الرابع يسير نحو شرق الأندلس لإخضاع ابن مردنيش؛ وبعد ذلك يكمل طريقه نحو مملك أراغون[6].

لكن هذه الأفكار لم تجسد على أرض الواقع، وذلك أن المرض ابتدأ عبد المؤمن ابن علي واشتد عليه آلامه، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية نوع المرض الذي أصاب عبد المؤمن ابن علي ما عدا ابن صاحب الصلاة الذي سماه بالوجع في قوله:"... مرض أمير المؤمنين- رضي الله عنه- وأخذه وجعه..."[7].

---

[1]- الناصري:المصدر السابق، ج1،ص274-275.

[2]- بعد التأكد من أن الكتاب الذي وصل إلى ابن مردنيش على لسان ابن الوزير يدعوه إلى الاستيلاء على اشبيلية مجرد خدعة حربية قام بها والي قرطبة بعد أن ضاق بالحصار تم إطلاق سراح ابن الوزير وعاد لخدمة وطاعة الموحدين.

[3]- ألفونسو أنريكز(Alfonso Enriquez): ويرسم أيضا بالعربية هنريكز، وتسميه المصادر التاريخية بابن الرنك أو صاحب قلمرية أي صاحبالبرتغال لأن قلمرية آنذاك عاصمة البرتغال، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 96.

[4]-قلمرية(Coimbra) عاصمة بلاد البرتغال القديمة تقع في أقصى غرب الاندلس شمال شنترين تكثر بها فاكهة حب الملوك، أنظر: نفسه،ص153، وأنظر أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص164.

[5]- فرناندو الثاني (Fernando II) ويلقب كذلك بـ:"البيوج" ومعناها كثير اللعاب وقد حضر واقعة الأرك سنة 592هـ وغدر بالناصر في واقعة العقاب سنة 609هـ، أنظر: نفسه، ص153.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

[7]- الحميري: المصدر السابق، ص154.

وتذكر المصادر أن المرض اشتد بعبد المؤمن حتى وافته المنية يوم 10جمادى الثانية 558هـ الموافق ل16 ماي 1163م[1]،وقد أخذ بهذا التاريخ كل من البيذق وعلي ابن أبي زرع الفاسي، أما ابن صاحب الصلاة فيذكر السنة فقط [2]،ويتفق فيها مع البيذق وابن أبي زرع ويتفق معهم كذلك في سنة وفاة عبد المؤمن صاحب الحلل الموشية [3]،وأما عبد الواحد المراكشي فيذكر في المعجب أن وفاة عبد المؤمن كانت بتاريخ 27جمادى الثانية 558هـ[4] ويبدو انه بعيد جدا عن التاريخ الذي ذكره البيذق وابن ابي زرع الفاسي ،واما صاحب الاستقصاء فيجعلها 8 جمادى الثانية 558هـ[5] و على الأرجح أن وفاة عبد المؤمن كانت بالتاريخ الذي ذكره كل من البيذق وابن أبي زرع ذلك لأن البيذق واحد من المعاصرين لعبد المؤمن كما يعتبر أحد أشياخ الموحدين من أصحاب المهدي وأما ابن أبي زرع فربما يكون قد أخذ عن مصدر موحدي موثوق إما أنه البيذق أو مصدر آخر عايش وفاة عبد المؤمن.

ويختلف كل من البيذق وابن أبي زرع في تسمية اليوم الذي توفي فيه عبد المؤمن إذ يذكر البيذق أنه يوم الخميس ليلة الجمعة، بينما يذكر ابن أبي زرع أنه يوم الثلاثاء، وتذكر بعض المصادر أن عبد المؤمن بن علي توفي عن عمر يناهز ثلاثة وستين سنة وقيل أربعة وستين [6]وحمل إلى تينملل ودفن بها إلى جانب قبر المهدي بن تومرت[7].

ويذكر البيذق أنه توفي بالرباط ويوافقه في ذلك صاحب الحلل الموشية [8]بخلاف مصادر تاريخية أخرى، وقد دامت مدة خلافة عبد المؤمن حسب ابن أبي زرع الفاسي ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما وأكد على هذا بقوله:"...قاله غير واحد من المؤرخين

---

[1]- البيذق:المصدر السابق، ص81، وأنظر أيضا: علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص202.

[2]- ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص155.

[3]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية،ص157.

[4]- عبد الواحد المراكشي : المعجب،ص173.

[5]- الناصري:المصدر السابق،ج1،ص275.

[6]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق،ص155، وأنظر : ابن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق، ص202.

[7]- البيذق: المصدر السابق، ص81.

[8]- نفسهن نفس الصفحة، :مؤلف مجهول: الحلل الموشية،ص157.

لدولتهم..."[1] ، وتأخذ معظم المصادر بالمدة التي أخذ بها علي بن أبي زرع الفاسي إلا أن ابن قنفذ يذكر أن مدة خلافته كانت أربع وثلاثين سنة[2].

وتتفق المصادر على أن عبد المؤمن بن علي عندما اشتد به المرض وأحس بدنو أجله خلع ابنه محمد من ولاية العهد وأسقطه من الخطبة وكان ذلك بتاريخ الجمعة 02 جمادى الثانية 558هـ[3]، وذلك لما رآه فيه من عجز في القيام بأمور الخلافة، ويذكر صاحب المعجب أن محمدا بن عبد المؤمن لم يصلح للخلافة لما كان عليه من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس، زيادة على هذا كان مصابا بالجذام[4].

ويذكر صاحب الاستقصاء نقلا عن ابن خلكان أن عبد المؤمن عهد بالخلافة لابنه محمد وبايعه الناس والجند وكتب بيعته للبلاد فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الأمر لأنه كان على أمور غير صالحة مما أدى إلى اختلاف الناس عليه واضطرب أمره فخلع وكانت مدة ولايته خمسة وأربعون يوما، حيث تم خلعه في شعبان سنة 558هـ ؛ وقد ورد هذا الرأي أيضا عند صاحب المعجب[5].

وقد ترك عبد المؤمن بن علي من الذكور ثمانية عشر ولدا؛ ولي منهم بعده أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[6]،وهذا الأخير لم يتوان في محاولاته لإخضاع الثائر ابن مردنيش الذي انتهز فرصة اضطراب أحوال الدولة الموحدية وبدأ يخطط للاستيلاء على عدة مدن .

---

[1]- علي بن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق، ص202.

[2]- أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتح: محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،تونس،ص102.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 154، وأنظر أيضا : البيذق: المصدر السابق، ص 81، وأنظر كذلك: علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص202.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص173.

[5]- الناصري:المصدر السابق، ص257، وأنظر : عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص173.

[6]- ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص102.

لقد استغل ابن مردنيش الظروف التي كانت تمر بها الدولة الموحدية بعد وفاة عبد المؤمن بن علي[1]، فأراد أن يضعف القوات الموحدية المجاورة لإمارته حيث سار بقواته نحو غرناطة للاستيلاء عليها فهاجمها وصمم على غزوها إلا أنها امتنعت، وبلغ ذلك الأمير أبي يعقوب يوسف هذا الأخير الذي بعث بحوالي 4 آلاف فارس معظمهم من العرب بقيادة"أبي سعيد يخلف بن الحسين"و"أبي عبد الله بن يوسف" وقد نزل الجيش باشبيلية ثم استأنف المسير نحو غرناطة مما دفع بابن مردنيش إلى الانصراف عنها، وواصل جيش الموحدين سيره نحو قرطبة وفي طريق عودته من قرطبة التقى بقوات ابن مردنيش في وادي لكة [2]،والتقى الجيشان أكثر من مرة وكانت بينهما أكثر من معركة لكن دون أن يحدد فيها انتصار أو انهزام لأحد الطرفين[3].

ورد عند عقيلة غناي أن الجيش الموحدي قد انهزم وذلك استنادا إلى أن ابن صاحب الصلاة لم يشر إلى انتصار ابن مردنيش وأنه تحدث عن نصر الموحدين لكن في شكل دعاء لهم وليس تأكيدا على خبر نصرهم كذلك تستند عقيلة غناي بأنه لو أن الجيش الموحدي لم يكن منهزما لما قام بإرسال رسالة نجدة إلى العاصمة الموحدية على لسان قائدي الجيش[4].

ولما وصل الخبر إلى مراكش قام أبو حفص بن عبد المؤمن بتجهيز جيش من الموحدين والعرب وسار به من مراكش رفقة أخيه أبي سعيد عثمان، فنزلا بإشبيلية حيث اجتمع فيها بزعماء الموحدين من أجل التشاور في الأمر؛ واستقر الرأي على وجوب محاربة ابن مردنيش وغزو إمارته قبل أن يبادرهم هو بالغزو قاصدا قرطبة [5]،فخرج الموحدون بناءا على هذا الرأي من اشبيلية في 01ذي القعدة سنة 560هـ الموافق لـ:سبتمبر 1165م[6]وسار الجيش الموحدي وكان عازما على

---

[1]- لقد كان لوفاة عبد المؤمن بن علي بعض الانعكاسات السلبية على الدولة الموحدية خاصة الأسرة الحاكمة، ذلك أن الخليفة الجديد أبو يعقوب يوسف لم يبايع من كافة الأسرة لذلك لم يتلقب بأمير المؤمنين وهو لقب الخلافة بل بقي مدة عامين يلقب بالأمير فقط إلى أن حملت له البيعة من كافة الأسرة خاصة الأمير أبو سعيد عثمان والي غرناطة والأمير محمد المخلوع الذي توفي بعد فترة قصيرة من تقديم البيعة لأخيه، أنظر: ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق،–قسم الموحدين–، ص86.

[2]- وادي لكة: موضع بالجزيرة الخضراء بالأندلس وفيه جرت المعركة بين طارق بن زياد ولوذريق ملك القوطسنة 92هـ، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص605.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص122.

[4]- عقيلة غناي: قيام دولة الموحدين،ص139.

[5]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق2، ص15.

[6]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص197، وأنظر أيضا: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص123.

محاربة ابن مردنيش فتمكن من الاستيلاء على "أندوجر" [1] وهي إحدى معاقل ابن مردنيش ومنها كانت تنطلق قواته لغزو قرطبة وما إن استولى عليها الموحدون حتى بادر أهل الحصون القريبة إلى إعلان الطاعة والولاء[2].

واصل الموحدون سيرهم ناحية بسطة فنزلوا بوادي قشتالي القريب منها؛ وأخذوا يبعثون بسراياهم لإخضاع البلاد والحصون التابعة لابن مردنيش، ونجحت العملية وعادت السرايا منتصرة تسوق الغنائم من قرباقة [3]وجبال شقورة وفي هذه الأثناء انضمت إلى الموحدين فرقة من الرماة حضرت من غرناطة؛ فشجع ذلك الموحدين على استئناف زحفهم نحو مرسية وفي طريقهم أخضعوا حصن بلش، وفي يوم الجمعة 07ذي الحجة سنة 560هـ الموافق لـ15 أكتوبر 1165م[4] نزل الموحدون بفحص الجلاب[5]في ظاهر مرسية وقد وجدوا ابن مردنيش معسكرا بقواته أمامهم[6]، أمامهم[6]، فنظم الموحدون قواتهم والتي تكونت من أهل هرغة وتينملل وهنتاتة وجدميوة[7]وجنفيسةوالعرب من بني هلال ورياح وقد وصل تعداد الجيش كله الى حوالي 12ألف مقاتل ،أما جيش ابن مردنيش فلم تذكر الرواية التاريخية تعداده ،أما عدد النصارى الذين رافقوه في هذه الموقعة فقد فاق 13 ألفا [8].

ونشبت المعركة بين الطرفين في فحص الجلاب، وقد قسم ابن مردنيش قواته إلى ثلاث فرق حيث أرسل فرقتين لضرب الموحدين، وفرقة لمهاجمة العرب إلا أن الموحدين قدموا كل ما عندهم في هذه المعركة وقاتلوا بشجاعة وبسالة فألحقوا الهزيمة بابن مردنيش وقد قتل معظم أفراد جيشه فتراجع منسحبا إلى مرسية؛ غير أن الموحدين لاحقوه وضربوا عليه الحصار حتى نهاية عيد الأضحى سنة

[1]-أندوجر(Andujar): وهي بلدة من مقاطعة جيان تقع شمال شرقي قرطبة مشيدة بشط الوادي الكبير يتم العبور إليها عن طريق قنطرة في غاية العلو، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص197.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- قرباقة (Caravoca): وترسم أيضا قرباكة، وهي بالأندلس من إقليم صولة، تقع شرقي مرسية وتبعد عنها حوالي 8كلم أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص461.

[4]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص124.

[5]- فحص الجلاب: يقع هذا الموضع على بعد 10 أميال من مرسية، أنظر:ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص198.

[6]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص16.

[7]- جدميوة: وترسم كذلك قدميوة وهي تقع غربي هنتاتة وتينملل، أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص199.

[8]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص17.

560هـ الموافق لـ: أكتوبر 1165م[1] ثم عاد الموحدون أدراجهم ووضعوا حاميات في جميع المدن والحصون التي تمكنوا منها[2].

وكان لهذا الانتصار الموحدي صدى عميقا في نفوس الموحدين؛ فقام قائد هذه الحملة السيد أبو حفص عمر بن عبد المؤمن بإرسال رسالة إلى الخليفة أبو يعقوب يوسف في مراكش يخبره فيها بانتصار الموحدين ويروي له فيها أحداث المعركة ومسارها، كما أرفق الرسالة بأعلام ابن مردنيش كدليل على انتصارهم عليه[3]،وكانت الرسالة من إنشاء أبي الحسن بن عياش[4].

ورغم هذا لم يستسلم ابن مردنيش بل واصل حركته أو ثورته المناوئة للحكم الموحدي بالأندلس، حيث بعث ببعض النصارى المرتزقة للاستيلاء على مدينة رندة فغزوا وادي شانيل؛ وعند وصولهم أحواز رندة بلغ ذلك والي غرناطة فأرسل جيشا لقتال النصارى يتألف من الموحدين والجند الأندلسيين فخشي النصارى لقاءهم وامتنعوا بأحد الجبال القريبة من وادي آش، إلا أن الموحدين لحقوا بهم فصعدوا الجبل وانتصروا على النصارى في أعلى الجبل وهرب بعضهم أثناء القتال فسقطوا من منحدر الجبل، وقتل معظمهم وأسر الموحدون من بقي على قيد الحياة وقد بلغ عدد النصارى حوالي53 رجلا تم قطع رؤوسهم بغرناطة[5].

وتُعَدّ توالي انهزامات ابن مردنيش سببا من أسباب سقوط إمارته بالإضافة إلى عدة أسباب أخرى منها نزاع ابن مردنيش مع أعوانه وتدهور علاقته بهم، فقد ساءت علاقة ابن مردنيش بكبار رجال دولته وأعوانه فاضطهدهم وعذبهم مما أدى ببعضهم إلى الثورة عليه ومن الأسباب التي ضاق بها أعوان وجند ابن مردنيش ذرعا اعتماده على جند النصارى واهتمامه بهم، فيذكر ابن عذاري

---

[1]- Jonathan Foster : op-cit, p17.

[2]- أميرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص219.

[3]- ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق، -قسم الموحدين-، ص90.

[4]-أبو الحسن بن عياش: هو أبو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي القرطبي، من أهل يابرة يصفه ابن الأبار بأنه أديب وشاعر بارع في الخط، جميل الوراقة، استدعاه عبد المؤمن بن علي فاستكتبه بعد مقتل كاتبه أبو جعفر بن عطية فكتب له مع أبي القاسم القالمي، ثم كتب لأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن حين كان واليا على اشبيلية، واستمر كاتبا له أيام خلافته إلى وفاته سنة568هـ ومما كتب عنه رسالته من ظاهر مرسية بعد هزيمة ابن مردنيش في معركة فحص الجلاب، أنظر: رسائل موحدية، ج 1، المصدر السابق، ص20.

[5]- عبد الله محمد عنان: المرجع السابق، ع3،ق1،ص29-30.

المراكشي أن هزيمة ابن مردنيش في موقعة فحص الجلاب جعلته يختل عقليا فأصبحت تصرفاته طائشة وغير عقلانية؛ فصار يقتل جنده وقادته ويذكر أنه صار يقتلهم دون سبب وجيه، وبالغ في الأمر حتى صار يبني على بعض رجاله حائطا والبعض يعذبهم ويمنع عنهم الطعام والماء حتى يموتون إثر ذلك[1].وساءت علاقة ابن مردنيش بصهره يوسف بن هلال [2]فنشب النزاع والقتال بينهما، وفي هذا الصدد يروي ابن الخطيب أحداث النزاع بينهما فيقول:" كان يوسف بن هلال صهر الأمير شجاعا حازما، أحظاه الأمير محمد وصاهره وجعل لنظره حصن مطريشة ومواضع كثيرة، وفسدت طاعته فقبض عليه ونكبه وعنف به واستخلص ما كان لنظره وتركه فأعمل الحيلة ولحق مورتلة وثار بها وعاقد صاحب برجلونة على تصيير ما يملكه عليها، فأعانه بخيل من النصارى..."[3].

وعاود ابن مردنيش قتال صهره فقبض عليه ونزع عينيه [4]،فِعْلُ ابن مردنيش هذا زيادة على قتله وتعذيبه لكبار أعوانه، جعلت صهره ابن همشك ينقطع عن زيارته خوفا منه فيذكر ابن صاحب الصلاة عن فزع وخوف ابن همشك فيقول:"...وزاده روعا وفزعا قتله لابني الجذع [5]وزيريه، الجذع[5]وزيريه، وبناهما في الحائط بمرأى منه، وقتله لابن صاحب الصلاة الغرناطي[6]بالجوع..."[7].

غضب ابن مردنيش لانقطاع زيارة صهره له فطلق ابنته [8]مما أدى إلى نشوب القتال بينهما فيقول ابن صاحب الصلاة:"...طردها إلى أبيها مهانة مستهانة باكية بدموعها فغشيه من حديثها

[1]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، -قسم الموحدين- ص121-122.

[2]- يوسف بن هلال: هو زوج أخت محمد بن سعد بن مردنيش وقد نعته ابن الآبار بذي الوزارتين، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص319.

[3]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام،ص262.

[4]- بعد أن نزع عينيه تركه فسيق إلى شاطبة وبقي بها إلى أن مات سنة 643هـ.

[5]- ابني الجذع: لم تذكر المصادر التاريخية ترجمة لهما، بل جميعها تتفق وتكتفي بذكر أنهما وزيري ابن مردنيش وأنه بنى عليهما حائطا، أنظر: ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق، ص 302، وانظر أيضا: ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق، -قسم الموحدين- ص121.

[6]- ابن صاحب الصلاة الغرناطي: هو أبو عبد الله بن صاحب الصلاة الغرناطي الذي كان في جملة العلماء البارزين الذين تتهافت عليهم الإجازات في المرويات والمؤلفات، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص303.

[7]- نفسه، ص302-303.

[8]- يقال أنها كان لها ولد من ابن مردنيش فتركته له وهي عند أبيها وسئلت عنه وعن إمكان صبرها عنه فأجابت قائلة:"جرو كلب ابن كلب لا حاجة لي به..."، أنظر: نفسه، ص303.

الكرب، واتصلت في نفسه له الحرب..." [1] ،فتقاتل الطرفان مدة لكن ابن همشك لم يستطع الصمود في وجه ابن مردنيش ورد غزواته المتواصلة فأعلن الطاعة والولاء للموحدين، حيث يذكر ذلك ابن صاحب الصلاة في قوله:"... فعند ذلك تطارح إبراهيم ابن همشك المذكور بإرساله إلى الشيخ المرحوم أبي حفص بالتوحيد والتوبة ورغب أن يصدق متابة بظهور النصح منه بتمكين الموحدين من بلاده بأوفى ود وطاعة ومحبّة..."[2].

وعلى إثر هذا الحدث اتصلت بلاد ابن همشك ببلاد الموحدين فانتهز الخليفة أبو يعقوب يوسف توحيد ابن همشك وأرسل رسالة إلى ابن مردنيش يدعوه فيها إلى أن يحذو حذو ابن همشك هذا؛ وتم إرسال العديد من الرسائل إلى كافة ولاة الأندلس من أجل إخبارهم بتوحيد ابن همشك وبأنه أذاع للمهدية وأعلن الولاء لها، و ذلك كان هذا بتاريخ شهر رمضان 564هـ[3].

وأما ابن مردنيش فلم يستسلم بل واصل غزو بلاد ابن همشك طوال سنة كاملة لكن ابن همشك أحسن رد هجمات ابن مردنيش مع استنجاده بالموحدين، فيذكر ابن صاحب الصلاة أن ابن همشك استنجد بالموحدين؛ فيقول:"...فاستغاث ابن همشك بالموحدين وكثر صراخه إلى أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وشكا حاله ورجاله..."[4]. وقد أعطى ابن مردنيش بعض البلاد للنصارى للنصارى كحصني بلج والكرس من أجل غزو بلاد ابن همشك والتضييق عليه [5]، وقد عجز ابن همشك عن صد ابن مردنيش وحلفائه النصارى؛ واستبطأ قدوم الموحدين بالنجدة؛ فبعث وزيره أبا جعفر إلى مراكش يحث الموحدين على الإسراع في النجدة[6].

---

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، 303

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص129.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص312.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص130.

[6]- Charle Romey, op- cit, p154.

وحسب ما يذكر لسان الدين بن الخطيب فإن الموحدين قد تأخروا في نجدة ابن همشك مما دفع به إلى السير نحو مراكش بنفسه فيؤكد ابن الخطيب على هذا بقوله:"...ولما صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده وتغلب على كثير منها خدم ابن همشك الموحدين ولاذ بهم واستجارهم، فأجاز البحر فقدم على الخليفة سنة 565هـ". أنظر: لسان الدين ابن الخطيب:الإحاطة، ج1، ص 302.

و لما أدرك الموحدون مدى صدق استغاثات ابن همشك قرروا إرسال جيش لمساندته ومواجهة ابن مردنيش في نفس الوقت فيؤكد هذا ابن صاحب الصلاة في قوله:"...وكتب إلى الشيخ المرحوم أبو حفص من قرطبة إلى حضرة الخلافة معينا ابن همشك بكتابه مصدقا له فيما استغاث به من عدوه فأجمع الرأي الموفق السعيد والنظر الحميد أن يتقدم السيد أبوحفص-رضي الله عنه- بالخروج من مراكش بعسكره الضخم" [1] ، فسار السيد أبو حفص عمر بن عبد المؤمن من مراكش في أول ذي القعدة سنة 565هـ الموافق لـ: أوت 1170م[2]يرافقه أخوه السيد أبو سعيد عثمان وبعض الأشياخ والحفاظ الموحدين والزعماء الأندلسيين فوصل اشبيلية أواخر سنة 565هـ وأوائل سنة566هـ الموافق لـ: أكتوبر1170م، وقد وفد إليه من قرطبة الشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي ومعه إبراهيم ابن همشك؛ وبعد اجتماعهم وتشاورهم قرروا غزو ابن مردنيش في داره[3]، وانطلاقا من هذا الرأي سار أبو حفص بعسكره رفقة أخيه أبو سعيد عثمان والشيخ أبو حفص وإبراهيم ابن همشك من اشبيلية في رجب سنة 566هـ الموافق لـ: مارس 1171م فنزلوا مدينة قرطبة.[4]

وبعد أيام سار أبو حفص بعسكره لغزو ابن مردنيش فنازل مدينة قيجاطة [5]فاستولى عليها وقبض على واليها وتم قطع رأسه برأي من ابن همشك، ثم استأنف الجيش مسيره نحو مرسية مباشرة وفي طريقهم تمكن الموحدون من الاستيلاء على حصن الفرج منتزه ابن مردنيش وما به من رياض وبساتين؛ وتمكنوا حتى من القرى المجاورة وكان ابن همشك دليلهم في الطريق حتى وصل الجيش إلى مرسية وضرب الحصار على ابن مردنيش[6].

---

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص312.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص131.

[3]- ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق، -قسم الموحدين-، ص111.

[4]- عقيلة غناي: المرجع السابق،ص146.

[5]- قيجاطة:(Quesada) بهذه الطريقة رسمها ابن عذاري المراكشي وعند ياقوت الحموي نجدها ترسم بالطريقة التالية"قيشاطة" وهي مدينة أندلسية من أعمال جيان، أنظر: ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق، -قسم الموحدين- ص 112، وأنظر أيضا: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص422.

[6]- ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق، -قسم الموحدين-، ص112.

وفي هذه الأثناء قام أهل مدينة لورقة بالثورة على النصارى أعوان ابن مردنيش بمدينتهم فحاصروهم بالقصبة برفقة قائدهم "أبي عثمان بن عيسى" أحد أخلص رجال ابن مردنيش؛ ثم بعث أهل المدينة إلى أبو حفص بن عبد المؤمن يستنجدون به ويعلنون طاعتهم وولاءهم للموحدين، فاستجاب لهم أبو حفص فأقلع عن مرسية ودخل لورقة وشدد الحصار على القصبة، كما أرسل بعض السرايا لإخضاع البلاد والحصون المجاورة، وتم القبض على أحد أبناء أبي عثمان وكان اسمه "محمد" وجيء به على مرأى من أبيه حتى ينزل من القصبة لكنه رفض، إلا أن الموحدين لم يستسلموا وأطالوا الحصار على النصارى بالقصبة حتى نفذ لهم الماء والطعام، وتم التفاوض مع أبي عثمان وقد تشفع له ابن همشك في النزول عن القصبة وله ولمن معه الأمان فنزل من القصبة رفقة أصحابه ومن كان معه من النصارى الذين توجهوا فورا إلى بلادهم طالبين النجاة.[1]

ثم عاد أبو حفص بن عبد المؤمن إلى مرسية فضرب عليها الحصار مما دفع ببعض الحصون إلى إعلان الولاء والطاعة للموحدين، من بين هذه الحصون حصن آلج [2] ومعظم الحصون المجاورة له[3]،كما خرجت ألمرية عن طاعة ابن مردنيش، فقد ثار بها محمد بن مردنيش المعروف بابن صاحب البسيط وهو ابن عم محمد بن سعد بن مردنيش وزوج أخته، وقد ساعده في ثورته هذه محمد بن هلال، فألقيا القبض على والي ألمرية من قبل ابن مردنيش ويدعى"ابن مقدام"؛ كما أرسل خطابا لأبي حفص بن عبد المؤمن وهو بمرسية، فاستجاب لهما وبعث إليهما بقائد موحدي يساعدهما؛ كما أمرهما بقطع رأس ابن المقدام فنفذا أمره[4].

ولما علم ابن مردنيش بثورة ألمرية التي قام بها ابن عمه ومحمد بن هلال وهو محاصر بمرسية وكانت أخته زوج محمد ابن عمه هي وأولادها في زيارته فأمر بقتلها هي وأولادها حيث يؤكد هذا محمد عبد الله عنان نقلا عن ابن صاحب الصلاة: " فأخذهم ابن الراعي الموكل بالعذاب منه

---

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص317-318.

[2]- حصن آلج (Elche): هو حصن منيع يقع غرب مرسية، أنظر: الحميري:المصدر السابق، ص31.

[3]- ParisAlbert Cirriourt, histoire des mors mudjares morisques,T1,dentu imprimeur, 1846, p43.

[4]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص50.

بالناس وحملهم إلى البحيرة المتصلة بالبحر بقرب بلنسية وأدخلهم في قارب مع نفسه فلما توسط بهم البحيرة المذكورة غرقهم في البحر على أبشع حال وأشنع مقال..."[1].

وفي 27رمضان 566هـ/1171م[2]جاز الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى الأندلس بجيش كبير فوصل اشبيلية يوم الجمعة 12شوال 566هـ/1171م[3]، فبلغ ذلك أبا حفص ابن عبد المؤمن فرفع الحصار عن مرسية آخر شهر ذي الحجة سنة566هـ/1171م وسار إلى اشبيلية للقاء أخيه الخليفة أبي يعقوب يوسف وقد وصلها يوم 15محرم567هـ/1171م[4].

وأهم ما قام به الخليفة في هذه الفترة أنه أنفق الأموال واللباس والمؤن على الجيش الذي كان برفقة أخيه أبو حفص؛ والذي كان يضم عددا كبيرا من الجند الأندلسيين وأعيان وقادة شرقي الأندلس الذين أعلنوا الولاء والطاعة [5]. ولما غادر أبو حفص بن عبد المؤمن إلى اشبيلية لملاقاة أخيه الخليفة انتهز ابن مردنيش الفرصة وسار بجيشه لاسترداد جزيرة شقر [6]من القائد أبي أيوب بن هلال الشرقي، وهذا الأخير كان قد أعلن طاعته للموحدين، لكنه عجز عن استردادها فأرسل في طلب أخيه يوسف لمساعدته فلم يستجب له أخوه يوسف الذي ابتدأ بالميل للموحدين مما زاد في مرض وألم ابن مردنيش [7]، ويذكر ذلك ابن صاحب الصلاة فيقول:"...ثم إن أبا الحجاج يوسف أخاه المذكور أظهر الإنابة والمبادرة إلى التوحيد، وتحقق محمد بذلك فزادت علته بالذهول وتوقف أخوه عن عيادته ومخاطبته، فاشتدت علته وحضرت منيته فتوفي في العاشر من رجب الفرد من سنة سبع وستين وخمس مائة المؤرخة وله ثمانية وأربعون سنة..."[8].

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2، ص52.

[2]- محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996،ص133.

[3]- محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ،ج 1،ط1،دار الغرب الإسلامي بيروت، 1988،ص466.

[4]- سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في الأندلس،ص327.

[5]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص135-136.

[6]- جزيرة شقر: وترسم كذلك "شوقر" وهي قرية من شاطبة يحيط بها الوادي من كل جوانبها لذلك أطلق عليها اسم جزيرة، أنظر: الإدريسي:المصدر السابق، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،ص286.

[7]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص136.

[8]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص379.

ويفهم من رواية ابن صاحب الصلاة أن محمد بن سعد بن مردنيش قد توفي في 10 رجب 567هـ، أما ابن الخطيب فيروي لنا روايتين حول وفاة ابن مردنيش؛ إذ يورد لنا في أعمال الأعلام أنه توفي بعد فشله في استرداد جزيرة شقر وإعلان أخيه يوسف الولاء والطاعة للموحدين [1]، وأما الرواية الثانية فيذكر فيها أن ابن مردنيش توفي أثناء حصار الموحدين له بمرسية[2].

ويتفق ابن الآبار مع ابن صاحب الصلاة في روايته حول وفاة ابن مردنيش أي أنه توفي بمرسية بعد فشله في حصار جزيرة شقر؛ فهو يقول في هذا الصدد:"...تولى ابن هلال من المصابرة في تلك المحاصرة والمحاولة لتلك المصاولة ما أبقاه أثرا مشهورا وخبرا تداولته الألسن دهورا، واعتل ابن سعد خلال ذلك فلحق بمرسية وألزم أخاه ملازمة البلد فتنفس الخناق ثم انتعشت بوفاته الأرياق"[3].

وأما عبد الواحد المراكشي؛ فيذكر في المعجب ما ذكره ابن الخطيب في روايته الثانية أي أن ابن مردنيش توفي بمرسية أثناء حصار الموحدين له فيقول:" انهزم أصحاب محمد ابن سعد انهزاما قبيحا وقتل من أعيان الروم جملة ودخل محمد بن سعد مدينة مرسية مستعدا للحصار فضايقه الموحدون وما زالوا محاصرين له إلى أن مات وهو في الحصار [4]. ويروي لنا صاحب الاستقصاء في شأن وفاة ابن مردنيش رواية أخرى؛ على أنه توفي متأثرا بالسم الذي قدمته له والدته التي أصبحت تخشاه بعد غدره برجاله وأعوانه، حيث يقول:"...وقيل إن أمه سمته لأنه كان قد أساء إلى خواصه وكبراء دولته، فنصحته فهددها وخافت بطشه فسمته..."[5].

والأرجح ما أورده محمد عبد الله عنان في تحليله لهذه الروايات حول وفاة ابن مردنيش، حيث يذكر أنه بعد توالي الإنهزامات على ابن مردنيش والضربات الأليمة وانشقاق معظم قادته ووزرائه وقرابته؛ واستيلاء الموحدين على معظم قواعده وتشددهم في حصاره وإرهاقه قد بلغ به

[1]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام،ص262.

[2]- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ص90.

[3]- ابن الآبار: الحلة السيراء،ج2،ص268.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص184.

[5]- خالد الناصري: المصدر السابق، ج2، ص134.

ذروة اليأس والألم[1]، ويبدو أن انشقاق أنصار ابن مردنيش لم يتم مرة واحدة وإنما كان تدريجيا شيئا فشيئا، وأقسى فترة وجد فيها ابن مردنيش نفسه وحيدا هي فترة محرم سنة567هـ/1171م مما زاد في علته ثم وفاته، حيث يعبّر ابن صاحب الصلاة عن هذه الفترة قائلا:"...وفي الشهر محرم أيضا من هذه السنة المذكورة وصل في عسكر السيد الأعلى أبي حفص بأمره أعيان وفرسان من مرسية مهاجرين راغبين في البيعة والتوبة...فأذن لهم في الدخول إلى المجلس العالي والسلام للمبايعة...وأمر لهم بظهائر[2]كتبت لهم بتحرير أموالهم...فتسامع أهل الشرق بما فعل معهم الخليفة فجاءوا عند ذلك أفواجا وأفرادا وأزواجا حتى انفرد صاحبهم ابن سعد وتمادى به فكره إلى القبر واللحد"[3].

هذا وإن اختلفت آراء المؤرخين حول سبب وفاة ابن مردنيش فإن معظمهم وخاصة منهم المعاصرين للدولة الموحدية يتفقون في تاريخ وفاته وأنه توفي بتاريخ 10رجب سنة567هـ الموافق لـ 8مارس1171م ومن هؤلاء المؤرخين المتفقين في هذا التاريخ ابن صاحب الصلاة وابن عذاري المراكشي وعبد الواحد المراكشي ولسان الدين بن الخطيب ووفاته هذه كانت سبب آخر إضافة إلى الأسباب السابقة الذكر في نهاية وسقوط إمارته التي قام الموحدون بضمها إلى الأراضي الموحدية بالأندلس.

خلّف ابن مردنيش في الحكم ولده أبو القمر هلال، فعرض عليه أشياخ وأعيان شرقي الأندلس الدخول في طاعة الموحدين، فاستجاب لهم دون مقاومة وأعلن الطاعة والولاء للموحدين، فسار الشيخ أبو حفص بعسكر من الموحدين وتسلم بلاد شرقي الأندلس وأعلن الأمان للناس كافة بمختلف طبقاتهم من العامة وأفراد الجند وغيرهم ، ثم سار أبو القمر هلال

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3،ق2،ص253، ويورد السيد عبد العزيز سالم في كتابه المغرب الكبير اختلاف الآراء حول وفاة ابن مردنيش بشكل موجز، أنظر: السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير-العصر الإسلامي دار النهضة العربية، بيروت 1981،ص 799.

[2]- ظهائر: مفردها ظهير وهو بمثابة المرسوم ولا يزال هذا اللفظ مستعملا إلى غاية الآن بالمغرب الأقصى وأشهرها ما عرف في التاريخ بالظهير البربري في المغرب، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص341.

[3]- نفسه، ص378.

بإخوته[1] وحاشيته ورجال دولته إلى اشبيلية، فأمر الخليفة أخويه أبي زكرياء يحي وأبي إبراهيم إسماعيل بالخروج في موكب رسمي لاستقبال الأمير أبي القمر وحاشيته[2]، ووصل الوفد إلى اشبيلية قبيل صلاة المغرب ودخلوا القصبة العتيقة التي بها مجلس الخليفة فسلموا عليه[3]، ويذكر ابن صاحب الصلاة أنه في تلك الأثناء ظهر هلال شهر رمضان لسنة 567هـ فقال القاضي أبو موسى عيسى بن عمران[4]:" يا أمير المؤمنين طلع علينا في هذه الليلة هلالان، هلال شهر رمضان وهلال هذا بالطاعة"[5].

وفي صباح اليوم التالي جلس الخليفة أبو يعقوب يوسف في محلته لتلقي بيعة قادة وأعيان شرقي الأندلس ويقول ابن صاحب الصلاة أنه كان حاضرا هذه البيعة فيصفها لنا كالتالي:"...فحين جلس الخليفة خرج الوزير أبو العلاء بن جامع وأمرهم بالدخول عليه والمثول بين يديه، فدخلوا وسلموا سلام الجماعة، ثم بايعوا واحدا بعد آخر وتقدمهم شيخهم أبو عثمان سعيد بن عيسى كبير الأجناد المذكورين وصاحب الثغر، فلما أكملوا بيعتهم واطمأنوا مجلسهم، رغبوا إلى الخليفة في غزو من جاورهم من النصارى وبينوا أن مدينة وبذة ...البلاد للفتح فتوالت عليهم البركات مدة غاية الإدرار حتى نسوا ما كانوا عهدوه في رياستهم"[6].

وأما عبد الواحد المراكشي فيذكر لنا عن إعلان بني مردنيش الطاعة لأبي يعقوب يوسف أنه لما توفي محمد بن سعد بن مردنيش تم إخفاء أمر وفاته إلى أن ورد أخوه أبو الحجاج يوسف

---

[1]-إخوة هلال أو أبناء محمد بن سعد بن مردنيش هم: بعد هلال بن مردنيش نجد غانم، الزبير، العزيز، نصير، بدر، أرقم وعسكر، ومع هؤلاء البنين ترك بنتين: إحداهما زائدة والتي تزوجها أبو يعقوب يوسف والأخرى تزوجها ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص184.

[2]-هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص139.

[3]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ص55.

[4]-أبو موسى عيسى بن عمران: كان قاضي الجماعة بمراكش وقد كان فريدا من نوعه في زمانه علما وأدبا توفي في شعبان سنة 573هـ، أنظر: ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، -قسم الموحدين-ص80.

[5]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص381.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

فاجتمع رأيه ورأي أكابر ولد محمد بن سعد بن مردنيش؛ وكان الرأي أن يسلموا البلاد إلى أبي يعقوب يوسف ففعلوا ذلك[1].

ويتفق ابن الخطيب مع ابن صاحب الصلاة أن أبا القمر هلال خلف أباه في الحكم وبادر بالتخلي عن مرسية والإذعان للخليفة أبي يعقوب يوسف بالطاعة حيث يذكر أنه قدم إلى اشبيلية مستهل رمضان 567هـ/1171م، ويضيف ابن الخطيب قائلا:"...فذكروا أن الأمير محمد بن سعد لما يئس من نفسه وعلم بتصيير ملكه إلى الموحدين أشهد على نفسه بتوصية يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده وأهله ورغب منه في قبول ذلك وجلب إليه ولده بعد موته، فرق لهذا القصد الأمير أبو يعقوب واهتز لرعي هذه الوسيلة..."[2].

ويفهم مما ذكره ابن الخطيب أنه جمع بين كل الروايات فجعل أن أبا القمر هلال هو الذي بادر بالتخلّي عن إمارة الشرق للموحدين، كما نسب إلى محمد بن سعد جمعه لبنيه وأنه أوصى بهم الخليفة الموحدي ومن ثم تكون مبادرة من ابن مردنيش إلى الإذعان للموحدين من جانبه، لكن الأرجح ما ذكره ابن صاحب الصلاة لأن روايته معقولة ومنطقية كما أنه أحد المعاصرين للدولة الموحدية وأحد الحضور في يوم بيعة أبي القمر هلال ابن مردنيش للخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف.

هذا وبعد دخول بني مردنيش في طاعة الموحدين وتصاهرهم مع الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف حيث تزوج هذا الأخير إحدى بنات محمد بن سعد بن مردنيش وهي الأولى وتسمى"زائدة" فأعطاهم ذلك مكانة مرموقة، فقربهم إليه واختص بهم في تدبير شؤون مملكته، فقد جعل على أساطيل العدوة غانم بن محمد بن مردنيش أخو القمر بن هلال وجعل على بلنسية أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش أخو محمد بن سعد بن مردنيش والذي سبق ذكره وأما هلال

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص184.

[2]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام،ص271.

فقد أبقاه بمراكش وقربه منه وصار يستشيره في أمور دولته [1] وقد تزوج ابن الخليفة يعقوب بالابنة الثانية لمحمد بن سعد بن مردنيش[2].

وأما ابن همشك الذي كان خروجه عن ابن مردنيش أحد الأسباب في سقوط إمارة شرق الأندلس التي كانت مناوئة للحكم الموحدي فقد لبث مستقرا على حاله في جيان وأراضيها وأقره الخليفة على ولايته وذلك سنة 571هـ ثم نقله الخليفة إلى العدوة [3]، فانتقل إليها مع أهله وولده وسكن مدينة مكناسة وأقطع بها إقطاعات يعيش منها ولم يمض وقت طويل حتى أصيب بمرض ومات في نفس السنة571هـ[4].

وبالتالي فقد سقطت إمارة شرقي الأندلس ولم تبق هناك أي رقعة من هذه المنطقة لم تعلن الطاعة والولاء للموحدين، فقد ضم الموحدون إمارة شرقي الأندلس إلى الحكم الموحدي أو إلى سلطتهم إن صح التعبير بشكل نهائي وبصفة دائمة، إلا أن هذا الصراع بين الموحدين وابن مردنيش كانت له آثار ونتائج على الطرفين وشملت مختلف الميادين

ب- 2- الجانب السياسي والإداري:

كان لنظام الحكم الموحدي انعكاسات ايجابية وسلبية في الجانب السياسي والاداري ،فمن الانعكاسات الايجابية تميزالنظام الموحدي بنظام مؤسساتي وقد مثل هذا التنظيم مجلس اشياخ الموحدين الذي انشاه ابن تومرت وحافظ عليه عبد المؤمن بجعله هيئة استشارية [5] ،كذلك من ايجابيات النظام الموحدي حصر الولايات على سادة بني عبد المؤمن مما ساعد صمود السلطة

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام،271.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص184.

[3]- العدوة: المقصود بالعدوة هي بلاد المغرب بصفة عامة والعدوة بضم العين أو كسرها أو فتحها(العُدوَة- العِدوَة- العَدوَة) شاطئ الوادي وجانبه والنسبة إليها عدوى، لهذا أطلقت على عدوتي المغرب والاندلس لأن بينهما مضيق جبل طارق، وهناك عدوتي سلا والرباط ويفصل بينهما وادي أبو رقراق وعدوتي فاس وبينهما وادي فاس، كذلك اصطلح على تعميم كلمة العدوة ليس على المغرب الأقصى وحده بل على بلاد المغرب الإسلامي الكبير كله ذلك أن بلاد المغرب يمثل جانبا مقابلا لأوروبا وبينهما البحر المتوسط، أنظر: أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،(د.ت)،ص237.

[4]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام،ص263-264.

[5]- عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي :ص258.

العليا للبلاد لمدة طويلة ،بحيث مكن هذا من التغلب على نفوذ المصامدة واقصائهم من الحكم [1] ،وتميز ايضا النظام الموحدي باعتماده على القوة العسكرية كسند تقوم عليه الدولة الشيئ الذي جعل عبد المؤمن بن علي يفكر في الاستعانة بقبائل بني هلال في جيشه [2] ،اما عن الانعكاسات السلبية ،فهي جاءت نتيجة بعض المميزات التي كانت في العهود الاولى للدولة تمثل ايجابيات بحيث تحولت لسلبيات لعدم توافقها مع ظروف الدولة انذاك ، وذلك انه بعد وفاة يوسف المستنصر أو قبل ذلك بل بعد وفاة والد هـ الناصر صار تولي الخلافة واختيار الخليفة من شأن أشياخ الموحدين فولوا من شاؤوا وخلعوا من كرهوا وقتلوا من أرادوا، ونتيجة لاستبدادهم بأمور الحكم والخلافة فقد تعدد خلفاء الدولة في وقت واحد ومعظمهم كانوا حكاما ضعافا، وحدث صراع على السلطة داخل البلاط الموحدي [3] فبعد وفاة يوسف المستنصر بايعوا عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن وهو في سن الشيخوخة بالخلافة لكن بعد شهرين خالف عليه ابن أخيه العادل ابن المنصور بمرسية الذي حسم الأمر بخلع عبد الواحد ثم قتله والإجماع على تولي العادل الخلافة[4]، وبعد فترة قصيرة خرج على العادل واليه في قرطبة سنة 623هـ الموافق ل 1226م السيد أبو محمد عبد الله البياسي ثم قتل العادل وبايع الموحدون المأمون بن المنصور، ثم خشي أشياخ الموحدين قوة شخصيته فبايعوا يحي بن الناصر، وظل كل منهما مدعيا الخلافة لنفسه على

[1]- حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب والاندلس ،ص233

[2]- نفسه ،نفس الصفحة .

[3]- إن الصراع على السلطة والحكم في الدولة الموحدية قديم جدا، فقد واجه عبد المؤمن بن علي بعض المعارضين لخلافته، وبعد وفاته لم يؤدي ليوسف بن عبد المؤمن البيعة أخواه أبو محمد وأبو سعيد، ولم يرض أيضا أخوه أبو الحسن بخلافته رغم مبايعته له، مما أدى بيوسف إلى عدم التسمي بأمير المؤمنين واكتفى بلقب الأمير ولم يتلقب بالخليفة إلا سنة 563هـ الموافق ل 1168م بعد أن أجمع عليه سادة بني عبد المؤمن، وأما المنصور فقد كان له عدد كبير من المنافسين من إخوته وعمومته ممن لا يرونه أهلا لها حيث حاول أن يشتري أمن منصبه منهم ففرق فيهم الأموال، وعند خروجه لإخماد ثورة بني غانية في إفريقية حاول أخوه أبو حفص عمر أخذ البيعة لنفسه بمرسية وتلقب بالرشيد، وعمه سليمان حاول أخذ البيعة لنفسه في بلاد صنهاجة بتادلا فقتلهما، ولما مرض في غزوة شلب دعا أخوه يحي لنفسه عند أشياخ الأندلس. أنظر : عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 276- 278، ابن عذارى: البيان المغرب، ج 3، ص 171 -173.

[4]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص332-335، ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 162.

أمل الانتصار على منافسه طيلة خلافة المأمون وحوالي أربع سنوات من خلافة الرشيد بن المأمون[1].

هذا وفي سنة 629هـ الموافق ل 1231م ظهر إلى جانب يحي والمأمون خليفة ثالث ادعى هو الآخر الخلافة لنفسه وهو السيد أبو موسى ابن المنصور بسبتة وتسمى بالمؤيد، فحاصره المأمون لكنه تمكن من الفرار إلى الأندلس عند ابن هود، هذا وقد أحس المأمون أن لأشياخ الموحدين يد في خروج السيد أبو موسى عن طاعته ومن قبل يحي بن الناصر مما أدى به إلى التفكير في كيفية التخلص من سلطان أشياخ الموحدين[2].

فأول ما فكر به للتخلص من تسلط أشياخ الموحدين[3] هو استنجاده بملك قشتالة، وقتل الناكثين لبيعته، ثم الكفر بفكرة المهد وية وإزالة اسم المهدي من الخطبة والسكة والآذان، وقطع النداء بالبربرية عند الصلاة، لكن ابنه الرشيد استرضاهم بالأموال والديار حينما خلفه سنة 630هـ الموافق ل 1236م مخافة أن ينقلبوا عليه، فأشياخ الموحدين الذين احتلوا المراكز الأساسية في الدولة صارت لهم مكاسب لا يمكنهم التخلي عنها، فصاروا يبسطون نفوذهم باستمرار حتى لا تفلت أمور الحكم من بين أيديهم فاستبدوا بأمور الدولة، ونظرا لتضارب مصالحهم فقد أغرقوا الدولة في فتن وثورات[4].

وقد صاحب هذه الفوضى السياسية تفككا إداريا في الدولة حيث استبد الولاة بولاياتهم، وكان أنواع الولاة المستبدين بولاياتهم ثلاثة أنواع: إما من السادة أي بني عبد المؤمن فيحاول صاحبها أن يستقل بولايته ليتخذها نواة للمطالبة بالخلافة، أو من أسرة موحدية عريقة لها فضل

[1]- تذكر المصادر أن يحي بن الناصر توفي سنة 633هـ الموافق ل 1236م. أنظر: ابن عذارى المراكشي: البين المغرب، قسم الموحدين، ص336.ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 166.

[2]- عزالدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط 1، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1973، ص 88.

[3]- لقد ضمت فئة أشياخ الموحدين أفرادا من جدميوة وهنتانة وأهل تينملل، وظهر استبدادهم في تولي شؤون الحكم بالدولة الموحدية منذ وفاة الخليفة محمد الناصر وتولية ابنه يوسف المستنصر ابن السادس عشرة سنة الحكم، بل إنهم قتلوا الناصر مسموما لأنه تفطن لمكائدهم، وبايعوا ابنه لاستطاعتهم التحكم بآرائه، فكانوا يفضلون إما مبايعة حكام ضعفاء صغار السن أو شيوخ مقعدين أو الباحثين عن ملذاتهم، واستمروا على هذا الحال إلى غاية مبايعة السعيد علي أبو الحسن ثم مبايعة أبو حفص عمر المرتضى بعد وفاة السعيد.
أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 523- 533- 538. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 162.

[4]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في تاريخ المغرب، ص 88- 89.

في الدعوة فتحاول نزع الراية من بني عبد المؤمن، أو شخص مستبد بطبعه لا يقوى عليه فيبايع القوي من الحكام أو يستبد بولايته[1].

ومن النوع الأول كان السيد أبو زيد البياسي في بلنسية ودانية وشاطبة وجزيرة شقر منذ صفر سنة 621هـ الموافق ل 1224م، والسيد أبو موسى في سبتة سنة 629هـ الموافق ل 1231م، والسيد أبو عبد الرحمن والي سلا سنة 658هـ الموافق ل 1260م، ومن النوع الثاني نجد الحفصيين[2] حيث امتنع أبو محمد بن الشيخ أبي حفصي عن بيعة يوسف المستنصر لصغر سنه، وفي عهد المأمون أعلنوا انفصالهم بشكل نهائي، ومن النوع الثالث أبو علي بن خلاص البلنسي في سبتة سنة 640هـ الموافق ل 1242م، وأبو عبد الله بن زكرياء الهزرجي في سجلماسة وأبو محمد ابن وانودين في درعة سنة 634هـ الموافق ل 1236م، وأبو يحي يغموراسن [3] في تلمسان والعزفي في سبتة سنة 654هـ الموافق ل 1256م، وأبو محمد عبد الحق الجنفيسي في سجلماسة سنة 655هـ الموافق ل 1257م[4].

هذا إضافة إلى تسلط الوزراء والموظفين بالجهاز الإداري في الدولة، فبعد أن كانت مهمتهم التنفيذ والتبليغ صارت التوجيه ووضع الأسس السياسية، فقد استعلى الوزراء على الخلفاء في هذه المرحلة، حيث استعلى أبو سعيد بن جامع على الخليفة الناصر، واستعلى على أشياخ الموحدين والأجناد الأندلسيين مما أدى إلى الهزيمة الكبرى التي لحقت الناصر وجيشه في معركة العقاب [5] ضد النصارى[6].

---

[1]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في تاريخ المغرب ، ص 90.

[2]- الحفصيون: يقصد بهم بني ابي زكرياء يحيى بن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص عمر يحيى الهنتاتي ،حكام افريقية .انظر: ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب – قسم الموحدين- ،ص 292-293.ابن خلدون :العبر ،ج6،ص373-382

[3]- أبو يحي يغموراسن: هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد ،استقل بتلمسان والمغرب الاوسط .أنظر: ابن خلدون :العبر ،ج 7،ص105-107.

[4]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: المرجع السابق، ص 90- 91.

[5]- معركة العقاب: كانت يوم الاثنين منتصف صفر سنة 609هـ الموافق ل1212م،بموضع يسمى العقاب قرب حصن يدعى حصن سالم وهزم الموحدون فيها شر هزيمة .أنظر: عبد الواحد المراكشي :المعجب ،ص235.ابن خلدون :العبر ،ج6،ص337

[6]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: المرجع السابق، ص 92.

وأما الخليفة العادل فقد استعلى عليه وزيره أبو زيد محمد بن الشيخ أبي حفص [1]، وفي أيام الرشيد كان أمر تدبير شؤون الحكم بيد عمه وزيره السيد أبي محمد وكذلك الوزير أبي زكرياء بن أبي الغمر في آخر أيامه حتى جعل له صلاحيات لم يسبق أن كانت لوزير موحدي، وفي أيام الخليفة المرتضى تدخلوا حتى في الشؤون العسكرية مثل ابن يونس وأبي زيد بن بكين[2].

هذا ولم تسلم دولة الموحدين من تدخل النساء في الحكم فقد تدخلت حبابة الرومية زوجة المأمون وأم ابنه الرشيد[3] وعملت المستحيل حتى تمكنت من الإجماع على بيعة ابنها بعد أن فرقت الأموال لكبار القادة، وكتمت وفاة والده، ثم صارت تسير شؤون الدولة مع ابنها، ذلك أنه لما خرج لتأديب هسكورة سنة 631هـ حين أعلنت العصيان ضده وأعلنت الولاء ليحي بن الناصر الذي كان ينوي اقتحام مراكش في غياب الرشيد كتبت له والدته تستدعيه لحماية عاصمته[4].

ومما سبق ذكره يبدو أنه لم يكن أشياخ الموحدين والولاة والوزراء وحدهم المستبدين بالحكم والمتدخلين في شؤون الحكم والدولة، وإنما كل من كان قريبا من قلب الخليفة كان له يد في شؤون الحكم وصار الحل والعقد بيده، وفي هذا الصدد يقول ابن عذارى المراكشي عن يحي بن الناصر:«... وكان المتولي على باطن يحي والحاجب له والناظر عليه والكافل لأموره والضابط لنفقاته والمرجوع إليه في مصالحه وداره وحرمه ومملكته على تقلصها حتى اسمه بلال يكنى أبا حمامة»[5].

لقد أدى التفكك الإداري والصراع السياسي إلى الانهيار العسكري، فبعد إلغاء المأمون للمهدوية وإبرازه بشكل علني للعامة نوايا أشياخ الموحدين ضعفت الفكرة الموحدية في نفوس الجند فأصبح همهم خلال الحروب جمع الغنائم وليس نشر الدعوة، كما أصبح الجيش سياسة استيلاء وفرض للنفوذ لحساب أشخاص على أشخاص[6].

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 528.

[2]- نفسه، ص 546.

[3]- يذكر أن السعيد لما تولى الخلافة حبسها وأغرمها مالا. أنظر: عزالدين عبد الرؤوف موسى: المرجع السابق، ص 91 -92

[4]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: المرجع السابق، ص 93.

[5]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب- قسم الموحدين-، ص329

[6]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في المغرب، ص 93- 94.

كذلك تحول العرب والروم المنضمين للجيش الموحدي إلى مرتزقة تغزو وتغنم لصالح شخص معين، وقد عمد الموحدون إلى استخدام العرب في جيوشهم منذ أيام عبد المؤمن وذلك إما للاستفادة من طاقاتهم في جهاد النصارى أو عقابا لهم على قيامهم بما يتعارض مع نظام الحكم في الدولة الموحدية ومثل ذلك ما قام به المنصور حينما جاء بهم من أجل عقابهم بالتغريب جراء تعاونهم مع بني غانية في فتنة إفريقية[1].

ولأن طباعهم كانت تتسم بالسلب والنهب وكسب المال بأي وسيلة كانت دون التقيد بنظام أو الرجوع إلى أمر فإنهم قد وجدوا في فترة الصراع السياسي والتفكك الإداري فرصة ذهبية لتوخي مصلحتهم المادية وكانوا لا يتأخرون عن بيع قائد لهم مقابل المال[2].

وأما الروم فقد جوزهم إلى بلاد المغرب في عهد الموحدين المأمون واستعان بهم في جيشه أثناء نكث أهل مراكش بيعته وهو بالأندلس حيث استنصر ملك قشتالة ليمده ببعض الفرسان الروم الذي اشترط عليه مقابل ذلك بناء كنيسة للروم في مراكش والتنازل عن عشرة حصون يختارها[3]، وقد حرص على الاحتفاظ بهم في الجيش ابنه الرشيد ثم السعيد وزاد من عددهم المرتضى، وقد استبيحت لهم مراكش وأعلنوا هم كذلك تمردهم على نظام جيش الدولة وصاروا بيد من يدفع أكثر وهذا ما حدث حينما عجز المرتضى عن مطالبهم فتركوه وتحولوا الواثق[4] أبو دبوس[5].

هذا وقد حدث استعباد الأهالي وابتزازهم بالأموال من طرف الجند النصارى أيام المرتضى بفاس بالاتفاق مع واليها شديد، وكثيرا ما كان يشهد الجيش الموحدي تمردات بعض الكتائب كمناهضة

[1]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في المغرب ، ص 94- 95.

[2]- نفسه، ص 96.

[3]- نفسه، ص 84.

[4]- الواثق أبو دبوس: هو ابو دبوس الملقبالواثق الموحدي ،كان قد فر من مراكش سنة 665هـ الى ابي يوسف المريني فجهزه واعطاه مايحاصر به مراكش ،فلما دخلها وقتل ملكها المرتضى و تلقب بالواثق نقض العهد الذي اعطاه اليه ابو يوسف المريني بان يقوم بدعوته ،فتحرك اليه ابو يوسف وكانت بينهما حروب ووقائع الى ان قتل في هذه السنة بالقرب من مدينة ازمور وبسببه انقطعت دولة الموحدين من المغرب وصارت مرينية خاصة .أنظر: موسوعة اعلام المغرب ،تح :محمد حجي ،ج1،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،424،1996

[5]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في تاريخ المغرب، ص 96.

قوانين الدولة ونظامها مثل استقلال محمد بن عبد الكريم قائد الجيوش بجيش المهدية فترة من أواخر أيام المنصور وأخرى من أيام خلافة الناصر[1].

وقد بدأت انعكاسات نظام الحكم السلبية تظهر على الجيش الموحدي بشكل بارز منذ عهد الناصر وقد تجسد ذلك بوضوح في موقعة العقاب التي كانت 15 صفر 609هـ الموافق ل 16 يوليو(جويلية) 1212م، ولم تكن معركة عادية لأن استعداد النصارى لها كان استعدادا جماعيا موحدا رغبة منهم في استئنافهم لغزو الأراضي الأندلسية، فقد كان ملك قشتالة ألفونسو الثامن شغوفا بأن ينتقم لهزيمته في معركة الأرك، وكان ملك قطلونية بيدرو الثاني قد استشاط غضبا من أبو العلاء إدريس بن يوسف قائد الأسطول الموحدي الذي ألحق خسائر فادحة بسفنه واستولى على أموالها في صيف 607هـ الموافق ل 1210م فعزم على الانتقام، إضافة إلى رغبتهم المستمرة في تحقيق حلمهم باسترداد الأراضي الأندلسية[2].

فتزايدت الأحقاد الصليبية على المسلمين نتيجة تحسيس الكنيسة البابوية الجنود النصارى بمسؤوليتهم الدينية في حروبهم ضد المسلمين عن طريق ما كان يصرح به ويلقي به على أسماعهم البابا إنوصان الثالث الذي اعتلى كرسي البابوية سنة594هـ الموافق ل 1198م، حيث عمل هذا البابا على استعطاف جميع الأمم النصرانية المجاورة لهم واستجلاب المتطوعة والمرتزقة من سائر أنحاء النصارى[3].

وفي شهر ذو الحجة سنة608هـ الموافق ل مايو 1212م اجتمع ملك قشتالة بفضل البابا إنوصان الثالث من كافة أوربا حوالي ألفين من البارونات مع حاشياتهم وعشرة آلاف من الفرسان والمقاتلة وخمسين ألفا من الرجالة وكانت جميعها حوالي سبعون ألف مقاتل أغلبها من جيوش قشتالة وأرجون ونلقارا، وإمدادات من جليقة والبرتغال، إضافة إلى الأموال والأسلحة والمؤن التي وصلت من أنحاء فرنسا وبريطانيا واستمرت الوفود تتوافد على قشتالة لقتال المسلمين حتى بلغت في شهر يونيو(جوان) 1212م الموافق ل محرم 609هـ حوالي مائة ألف من الرجالة،

---

[1]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في المغرب ، ص 94- 95.

[2]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 284- 285.

[3]- نفسه ، ص 288.

وعشرة آلاف فارس، وكان قد بلغ البابا أنه يمنح الغفران التام لكل من يلتحق بهذه الحرب كما أمر بالصوم ثلاثة أيام، وإقامة الصلوات العامة[1].

كما عمد رجال الدين من رهبان وراهبات وقسيسين وكهنة إلى ارتداء السواد والسير حفاة، وسارت مواكبهم الدينية في الطرقات ببطء وخضوع من كنيسة لأخرى، وقد ألقى البابا إنوصان الثالث بنفسه مواعظة صليبية طلب من جميع النصارى التضرع إلى الله لنصرة النصارى[2].

أما عن الموحدين فقد استعدوا هم كذلك لهذه المعركة حيث أرسل الناصر الموحدي إلى سائر الجهات ليضاعف حشوده وليدعم جيوشه، فاجتمعت له قوات جديدة وقد تضاربت الآراء حول تقدير جيش الموحدين، حيث يذكر صاحب روض القرطاس أنها كانت حوالي نصف مليون غير المرتزقة[3]، وأما صاحب الاستقصاء فيقول أنها حوالي ستمائة ألف مقاتل[4]، وقد يكون صاحب الاستقصاء الأقرب إلى الصواب وقد يكون أقل من ذلك لا يتجاوز مائتي ألف مقاتل نظرا لمشاكل الجيش الموحدي في التموين، وضعفه عددا وعتادا نتيجة إنهاكه في مقاومة الحركات المناوئة- بني غانية وابن مردنيش-[5]، وقد خرج الناصر على رأس جيوشه في 20 محرم 609هـ الموافق ل 23 يونيو(جوان) 1212م من إشبيلية صوب جيان قاصدا لقاء النصارى وقد كانت الجيوش النصرانية في نفس الوقت تسير نحو الأراضي الإسلامية[6].

وعندما وصل الخليفة الناصر الموحدي إلى جبل الشارات عزم على التوقف ولقاء النصارى به فاحتل الموحدون جميع ممراته خاصة ممر لوسا الواقع جنوب غربي حصن العقاب مما صعب على النصارى اجتياز الجبل[7]، إلا أن أحد المتطوعين وهو راعي قد أرشدهم إلى طريق آخر يجتازونه من الجبل دون علم العدو وفعلا كان ذلك صحيحا واجتاز النصارى الجبل[8]، وقد بلغ الخليفة الموحدي

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 294.
[2]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص 308- 360.
[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 159- 160.
[4]- الناصري: الاستقصاء، ج 1، ص 191.
[5]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 300- 301.
[6]- نفسه، ص 296.
[7]- نفسه، ص 301- 306.
[8]- نفسه، ص 306- 308.

الموحدي خبر اجتياز النصارى للجبل وحاول خوض المعركة في الحال إلا أن النصارى امتنعوا عن ذلك لتقديسهم ليوم الأحد ولم تكن بين الفريقين سوى بعض المناوشات الخفيفة، وكانت المعركة في اليوم التالي يوم الإثنين 15 صفر 609هـ الموافق ل 16 يوليو(جويلية) 1212م[1] حيث بدأ النصارى بالهجوم على مقدمة الجيش الموحدي فتصدت لهم صفوف المتطوعة بقوة وثبات فبدأ النصارى في التراجع، لكن وصلتهم الإمدادات التي عززتهم وهاجمت جناحي الجيش الموحدي، واحتدم القتال بين الطرفين وقد أوشك النصارى على التراجع لولا أن ألفونسو الثامن ملك قشتالة نزل بالقوات الاحتياطية إلى الميدان وتبعته كل من قوات ملكا أرجون ونافارا بكل عنف وشدة مما أدى بتراجع ميمنة وميسرة الجيش الموحدي وفرار الأندلسيين والعرب، وحدث اضطراب في جميع صفوف الموحدين فتمكن النصارى من مهاجمة قلب الجيش الموحدي حيث يتواجد الخليفة في قبته الحمراء ورغم حثه لجنوده على الاستبسال والصمود إلا أن هجوم النصارى كان قويا بحيث تمكن من تمزيق الجيش الموحدي من كل ناحية، وفي آخر لحظة اضطر الخليفة إلى امتطاء صهوة فرس قدمها إليه أعرابي كان إلى جانبه وفر مع نفر من خاصته تمكنوا من النجاة جنوبا نحو بياسة ومنها إلى جيان، وطارد النصارى ما تبقى من فلول الجيش الموحدي التي كانت تفر في كل ناحية[2].

وقد قتل في هذه المعركة عدد كبير من جند الجيش الموحدي إضافة إلى جملة من الأعيان والطلبة مثل أبو بكر بن عبد الله بن أبي حفص، وعدد من أكابر العلماء والحفاظ كأحمد بن هارون بن عات النفزي، ومحمد بن حسن الأنصاري المعروف بابن صاحب الصلاة، والشاعر الزاهد تاشفين بن محمد وغيرهم كثيرون[3].

وانطلاقا من هذه الهزيمة الفادحة التي لحقت بالجيش الموحدي فقد ضعف وتقهقر وتوالت عليه الهزائم واحدة تلو الأخرى، فقد فشل في ردع حركة ابن بدر المناوئة بسوس، وتكررت هزائمه

---

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 310.
[2]- نفسه، ص 311- 313.
[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 183.

أمام بني مرين [1]، وانهزامه في واقعة بني بهلول سنة 653هـ الموافق ل 1255م[2] هزيمة نكراء، مما يدل على الضعف الكبير الذي كان يعاني منه الجيش الموحدي نتيجة فساد نظام الحكم والجهاز السياسي والإداري[3]، وقد أدى ضعف الجيش إلى ضعف الأسطول الموحدي حيث توالت هو أيضا عليه الهزائم منذ سنة 607هـ الموافق ل 1211م، ففي عهد السعيد فقدت الدولة الموحدية أسطولها نهائيا حيث طلب السعيد من ملك صقلية إمداده بالقطع البحرية سنة 645هـ الموافق ل 1247م حينما أراد أن يسترد إفريقية من الحفصيين[4].

---

[1]- بني مرين: وهم فخذ من الطبقة الثانية من زناتة ينتسبون الى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن حديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتانيص بن المعز بن ابراهيم بن ساحيك بن واسين ،اخوة بنو يلومي ومديونة ومواطنهم بواد ملوية والذين تولو الملك فرعان ينتسبان إلى وزير قبيلة ابن عبد الحق ،وبنو وطاس بن فجوس بن برماط بن مرين ،يذكر ابن خلدون ان ورتاجن وبنو يلومي اخوة لأب واحد أما مديونة فأخوهما للأم . أنظر: ابن خلدون :العبر ،ج7،ص74 ، بودواية مبخوث :المرجع السابق ،ص 21.

[2]- واقعة بني بهلول: يذكر ابن عذاري في شان هزيمة الموحدين في هذه الموقعة فيقول :...كانت مقابلتهما ومقاتلتهما بموضع يعرف ببني بهلول ...فنصر الله بني مرين على عساكر الموحدين ...الا وقد انهزمت جيوشهم المتكاثرة وصارت بعد انتظامها متناثرة ...واستولى بنو مرين على اثقال عساكر الموحدين وعلى مضارب المرتضى وجماعته وعلى ماكان من الاطعمة وغيرها في خزائنه وعلى الأحمال والبغال والجمال والاموال ...ان جملة ما اخذ من الدنانير الفضية العشرية سبعمائة الف مثقال .أنظر: ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب– قسم الموحدين-، ص 407.

[3]- عزالدين عبد الرؤوف موسى: دراسات في تاريخ المغرب، ص 94.

[4]- نفسه، ص 96- 97.

2- الانعكاسات االاجتماعية والثقافية:

لم تكن الانعكاسات السياسية والعسكرية للنظامين المرابطي والموحدي هي المعيار الذي يمكن من خلاله تقييم النظامين ،ولكن كان لهما انعكاسات اجتماعية وثقافية مست جميع الميادين التي تربط الرعية بحاكم الدولة من عمران وتعليم وحياة دينية وتجارة ومعاملات وفصل النزاعات وغيرها مما استوجب الوقوف عند هذه الانعكاسات للنظامين فيما يلي :

أ -الدولة المرابطية :

أ-1- الحياة الاقتصادية و الاجتماعية:

لقد عرفت الدولة المرابطية في حياتها الاقتصادية مجمل الأنشطة المرتبطة بهذا الجانب والمتمثلة في:

- **الزراعة**: لأن أصل المرابطين يعود إلى الصحراء لم تكن لهم أراضي خصبة فلم يمارسوا الزراعة بالأراضي الصحراوية إلا بعد انتقال قبائل الملثمين من منطقة الصحراء الجنوبية إلى منطقة السهول والواحات الشمالية، حيث نزلت كل من قبيلتي لمتونة ومسوفة مراكش ثم توالت باقي القبائل المرابطية الصحراوية عقب استدعاء يوسف بن تاشفين لهم وإقطاعهم الأراضي، فقد وفد بعضهم في فترة استخلافه على بلاد المغرب من قبل أبي بكر بن عمر والبعض الآخر بعد استقرار السلطة بيده نهائيا[1].

وفي هذا الصدد يذكر صاحب الحلل فيقول:«... لما كانت سنة سبعين وأربعمائة شرع في تحديد العساكر ووفودها وبعث إلى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله، ويؤكد عليهم في الوفود إليه فوفد عليه جموع كثيرة...»[2].

أما في كيفية امتلاك الدولة المرابطية للأراضي الزراعية فقد اتبعت هذه الأخيرة سياسة خاصة تمثلت في عدة مراحل وذلك منذ بداية الدعوة المرابطية وبأمر من عبد الله ابن ياسين صاحب الدعوة وأول هذه المراحل هي:

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 76.

[2]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 33.

التطبيب: ويقصد به أخذ ثلث أرض القبيلة التي تدخل في الدعوة المرابطية وضمها إلى أراضي صنهاجة الصحراء وذلك من أجل تطبيب الثلثان الباقيان، وقد اتبع ابن ياسين هذه السياسة في جميع الأملاك والأموال وزعم أنها تطبيب المال[1].

التخميس[2]: وهو المرحلة الثانية في مرحلة امتلاك الدولة المرابطية للأراضي الزراعية ويقصد بهااخذ الخمس من اراضي القبائل التي تدخل في الدعوة المرابطية وضمها لاراضي الدولة ، وذلك بعد التخلي عن نظام التطبيب في عهد بناء الدولة .

وتأتي مرحلة الإقطاع[3] كآخر مرحلة في سياسة امتلاك الأراضي وهي إقطاع بعض الأراضي الزراعية للجند، وتظهر سياسة الإقطاع بشكل بارز في الأندلس، حيث تم إقطاع العديد من الأراضي للجند من أجل زراعتها [4]، ويؤكد هذا صاحب الحلل بقوله:«... فمن ظهرت نجدته وإعانته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده» [5]. هذا إضافة إلى الأراضي التي كان يتم الاستيلاء عليها وأخذها كغنائم ومنها أراضي قبيلتي زناتة ومصمودة وبعض أراضي الأندلس[6].

وقد تضافرت عدة عوامل في زيادة الإنتاج الزراعي بالدولة المرابطية، منها توحيد الدولة المرابطية ما بين منطقتي السهول ومنطقة المراعي، والمنطقة الشبه الصحراوية [7]، إضافة إلى خصوبة التربة خاصة ناحية المحيط الأطلسي [8] حيث تنبسط الأراضي السوداء والأراضي الحمراء الشديدة الخصوبة،

1- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 16.

2- البكري :المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،ص 166

3- الإقطاع: لغة ماخوذ من مادة قطع أي اقطع الحاكم الجند اقطاعا ،وجعل لهم غلتها رزقا واستقطعت الحاكم واقطعني أي منحني ،والاقطاعية طائفة من ارض الخراج يقطعها الجند ،والجمع اقطاعات ،واسم ذلك الشيئ الذي يقطعه اياه قطعة ،والجمع قطائع ،اما اصطلاحا فهو تحديد مساحة معينة من ارض ارض الخراج تمنح لافراد الجند من اجل استغلالها والانتفاع بغلتها اثناء الفترات التي تعرف فيها الدولة استقرارا وهدوءا .
أنظر: ابن منظور :لسان العرب ،ج10،ص 3677، محمد الصادق بسيس :الاقطاع في الشريعة الاسلامية Uncategorized ، www.shariha.org ،11:42 ،2010-05-22.

4- عيسى بن الذيب المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 266.

5- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 82.

6- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص 22. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 175.

7- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 404.

8- المحيط الأطلسي: هو المقصود به بحر الظلمات او بحر الظلمة ،او بحر اقنايس او البحر الاعظم ويقرا في بعض الكتب بحر اقنايس .أنظر: أمين واصف :الفهرست – معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية ،ص 18

وخصوبة أراضي الدولة المرابطية مرتبط بموقعها الجغرافي وتضاريسها ومسطحاتها المائية، ويمكن تقسيم الأراضي المرابطية الصالحة للزراعة إلى ثلاثة أقسام:

1- الإقليم الساحلي : وهو ساحل البحر الأبيض المتوسط وتفصله عن الداخل جبال الريف[1]، ويمتاز هذا الإقليم بتربة خصبة وتخترقه عدة أنهار، ويضم هذا الإقليم أيضا ساحل المحيط الأطلسي[2].

2- إقليم الوديان: وهو الإقليم الذي به أنهار المغرب ويصب بعضها في البحر المتوسط، وبعضها الآخر في المحيط الأطلسي، مما جعل هذه الأنهار والوديان تكون أخصب سهول أراضي المغرب، ومن أهم هذه الوديان ببلاد المغرب: وادي ملوية، وادي سبو، وادي أبو رقراق[3]، وادي أم الربيع[4]، وادي تانسيفت[5]، وادي فاس[6]، السوس الأقصى[7] وغيرها من الوديان[8].

3- إقليم جبال درن : يقع جنوب منطقة الوديان، تمثل حاجزا طبيعيا إلا أنه في سفوح جبال درن توجد مناطق رعوية شبه صحراوية تكسو هضابها الأعشاب التي ترعاها الماشية[9].

---

[1]- جبال الريف: يطلق هذا الاسم على سلسلة جبال في شمال المغرب الاقصى ،تمتد في شكل هلال من سبتة الى مليلية ويتراوح ارتفاعها من الف إلى الفي متر ،وتنحدر منها عدة اودية تصب مياهها في البحر الابيض ،وهي المقصودة ببلاد نكور .أنظر: لسان الدين ابن الخطيب :أعمال الأعلام، ج3،ص171

[2]- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 233.

[3]- وادي أبو رقراق: هو واد كبير يخرج من احد جبال الاطلس في فاس ،ويبدا الجريان في اودية عميقة جدا بين جبال شاهقة ،ثم بعد مروره بين تلال صغيرة يسير في سهول ،ومن هناك الى المحيط ليصب فيه بين سلا والرباط .أنظر: مارمول :افريقيا ،ج1،ص 35

[4]- وادي أم الربيع: واد ضخم ينبع من احد جبال الاطلس الكبير ،بين اقليم تادلا وفاس حيث يجري بين سهول ادكسوم ،ثم بعد توغله في واد ضيق يجتمع على جسر جميل بناه ابو الحسن المريني ثم يتجه جنوبا ليخترق سهولا تفصل اقليم تامسنا عن اقليمي تادلا ودكالة ،ثم يسير ليصب في المحيط قرب ازمور اخذا معه وادي العبيد واخر يدعى درنه ينحدر هو الاخر من هذه الجبال وهو لايصلح للعبور إلا في الصيف .أنظر: نفسه، ص 34-35.

[5]- وادي تانسيفت: يخرج من الاطلس الكبير قرب مدينة اغماي في اقليم مراكش ،فيخترق اقليم دكالة ،ويذهب ليصب في المحيط قرب أسفي ،بعد ان يكون قد تلقى اودية عديدة من هذه الجبال .أنظر: نفسه،ص33-34.

[6]- وادي فاس: هو نهر كبير ياتي من عيون تسمى عيون صنهاجة يقع بين العدوتين عدوة الاندلس وعدوة القرويين ،وفي كل زقاق ساقية من ماء الواد يجرونها متى شاؤوا ،وفي كل دائرة صغيرة او كبيرة ساقية ماء .أنظر: الحميري :الروض المعطار ،ص434.

[7]- وادي السوس الأقصى: هو اكبر اودية بلاد البربر في جهة الغرب ،وهو يخرج من الاطلس الكبير ،بين هذا الاقليم واقليم حاحا ،ثم يخترق سهول سوس متجها نحو الجنوب الى ان يصب في المحيط قرب كوسطن ،ويسقي اكثر البلاد خصبا وسكانا في تلك المنطقة ،ويفيض في الشتاء حتى لايمكن عبوره من أي جهة الا انه في الصيف يمكن عبوره من كل جهة .أنظر: مارمول :افريقيا ،ج1،ص33

[8]- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 234.

[9]- نفسه، نفس الصفحة.

4- إقليم الصحراء: وهو الأراضي الواقعة جنوب جبال درن[1].

هذا إضافة إلى عامل المناخ الذي يتنوع في منطقة بلاد المغرب حيث تحول سلسلة جبال درن دون وصول الرياح الجنوبية الحارقة إلى السهول التي ترتفع بها نسبة الأمطار، بينما النواحي الشبه الصحراوية فإنها تعتمد على السقي في زراعتها[2].

هذا عن بلاد المغرب، أما عن بلاد الأندلس فهي الأخرى تنوعت أراضيها بين وديان وهضاب وسلاسل جبلية وهذا أدى إلى تنوع مناخها، وهناك من يقسمها إلى قسمين: أندلس غربي وأندلس شرقي، فالقسم الغربي الذي تصب أوديته في البحر والمحيط الغربي ويمتاز بالرياح الغربية، والقسم الشرقي ما تجري أوديته باتجاه الشرق أمطاره تتوقف على الرياح الشرقية[3].

وهناك عامل آخر وهو العامل البشري، وتنحصر في طبقة الفلاحين الذين نشأوا على أرض المغرب الأقصى متوارثين الفلاحة عن آبائهم وأجدادهم، ومن أهم القبائل التي عرفت بالزراعة قبائل تامسنا حسب الإدريسي حيث يقول:« وقبائل تامسنا متفرقة فمنهم برغواطة ومطماطة... وبعض من زناتة وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواش وجمال»[4].

هذا إضافة إلى قبائل أخرى من بلاد المغرب اهتمت أيضا بالزراعة خلال العهد المرابطي وتوارثتها مند القدم كالمصامدة الدين اهتموا بغرس الأشجار بمنطقتهم واقتبس سكان المغرب الأقصى خلال العهد المرابطي أيضا بعض شؤون الزراعة من الأندلس وبعضها الآخر أخذوه عن أهل إفريقية الذين وفدوا على بلاد المغرب الأقصى خلال العهد المرابطي[5].

كما اهتم أيضا الأمراء المرابطون بالزراعة خاصة بعد توفير الأمن والاستقرار بأراضي الدولة خاصة بلاد المغرب مما ساعد على استغلال الأرض، إضافة إلى تقديم مساعدات واهتمامات

[1]- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 235.

[2]- نفسه، ص 235.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 358.

[4]- الإدريسي: المصدر السابق ،مج1، ص 150-151.

[5]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 236.

خاصة بهذا الميدان منها إنشاء علي بن يوسف ابن تاشفين قنطرة على نهر تانسيفت وذلك لتسهم بدورها في توزيع المياه اللازمة للزراعة[1] وقد وصفها صاحب المعجب بأنها قنطرة عظيمة[2].

هذه العوامل أدت إلى تنوع الإنتاج الزراعي ببلاد المغرب والأندلس في عهد المرابطين، فمن بين المناطق في بلاد المغرب التي اشتهرت بالمحاصيل الزراعية مدينة مكناسة وتلمسان، جبال درن ومدينة نفيس حيث كثرت بها الأشجار والثمار [3]، وكانت أيضا مدينة مراكش كثيرة المحاصيل الزراعية حسب وصف صاحب الاستبصار حيث يقول:«... وهي كثيرة الزرع والضرع... وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها»[4].

وأما أهم المناطق الأندلسية التي اشتهرت بالزراعة فهي مرسية وبلنسية، فكلاهما أرض سهلية مستوية خصبة وإشبيلية ودانية ومالقة وغيرها، ومن أشهر المحاصيل الزراعية القمح والشعير والذرة، والقطن وقصب السكر، والحناء وبعض التوابل كالكمون والكروية، والزيتون والتين والكروم ومختلف الفواكه والأشجار المثمرة بكل من المغرب والأندلس[5].

وقد ذكرنا سابقا أن بلاد المغرب تحتوي على مراعي وانطلاقا من هذا فإن سكان بلاد المغرب اهتموا بتربية المواشي سواء بلاد المغرب أو الأندلس قبل وأثناء العهد المرابطي وذلك لعلاقة المواشي الوطيدة بالزراعة، وقد أشار صاحب الاستبصار إلى هذا الموضوع في أهل جبل فزاز:« ومن الجبال المشهورة ببلاد المغرب فازاز... وهم أهل كسب من الغنم والبقر والخيل» [6]. وقد انتشرت تربية الأغنام والأبقار والإبل والخيول وحتى البغال والحمير ولم تكن هذه الحيوانات مفيدة للزراعة فقط وإنما كانت لها أيضا علاقة بالحروب خاصة الخيول التي كانت تعتبر إحدى أساسيات الحرب[7].

---

[1]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 236.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 262.

[3]- الإدريسي: وصف المغرب والأندلس، ص 77- 80. مجهول: الاستبصار، ص 208.

[4]- مجهول: الاستبصار، ص 209.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 359. الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 241- 244.

[6]- مجهول: الاستبصار، ص 187.

[7]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 249- 251.

إضافة إلى ذلك فقد كانت بلاد المغرب والأندلس تزخر بغابات كبيرة احتوت على أنواع كثيرة من الأشجار كالأرز والبلوط والصنوبر والعرعار وغيرها من الأشجار التي عرفت الدولة المرابطية كيف تعمل على الاستفادة منها[1].

وقد عرفت الصناعة في عهد الدولة المرابطية ازدهارا كبيرا حيث ظهرت مراكز صناعية كبيرة وبضاعات مختلفة، فقد عرفت مراكش صناعة الصابون والمغازل، وفاس اشتهرت بصناعة الدباغة وتسبيك الحديد والنحاس والزجاج[2].

ولم تكن هذه المدن قبل قيام الدولة المرابطية تعرف الصناعة وإنما بمجيء المرابطين تفاعلت عدة عوامل لذلك ومنها توفر المادة الأولية للصناعة من معادن وخشب وجلود حيوانية، وتوفر اليد العاملة في أنحاء بلاد المغرب والأندلس، واكتساب الصناع وخبرتهم[3].

وقد اشتهرت أيضا مدينة نول لمطة بصناعة الدرق اللمطية والسروج ولجوم الخيل [4]، وأما أهم المراكز الصناعية المرابطية بالأندلس فقد تمثلت في ألمرية التي احتلت المركز الأول في صناعة المنسوجات وخاصة الحرير، ويشير إلى ذلك الإدريسي في قوله:«... ومدينة ألمرية كانت في أيام الملثم مدينة الإسلام وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز يعمل بها الحلل والديباج... وصنوف الحرير الأخرى»[5].

هذا وقد اشتهرت أيضا بصناعة السفن والزجاج، وأما قرطبة فقد اشتهرت بصناعة ودباغة الجلود إضافة إلى صناعة المنسوجات والتحف الزجاجية والبلورية والخزفية والحلي وبعض الصناعات الحديدية والعاجية وأنواع أخرى من الصناعات المعدنية[6].

وأما إشبيلية فقد اشتهرت بصناعة الزيت المستخرج من الزيتون، إضافة إلى صناعة الحلي من الذهب النفيس والجواهر المقيمة لمقابض السيوف، إضافة إلى الصناعات الحربية وصناعة قصب

---

[1]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص 249.

[2]- حسن محمود أحمد: قيام دولة المرابطين، ص 406.

[3]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 261- 263.

[4]- نفسه، ص 263.

[5]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 197.

[6]- حمدي عبد المنعم، محمود حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 354- 355.

السكر، ومدينة مرسية اشتهرت بصناعة البسط والحصر والأسرة وآلات الحديد والسكاكين، ومالقة اشتهرت بصناعة الفخار والذهب، وأما صناعة الفراء بمدينة سرقسطة[1].

وأما المدن الساحلية مثل سبتة وطنجة فقد اشتهرت بصناعة السفن وقد نالت هذه الصناعة عناية كبيرة من أمراء الدولة المرابطية وذلك لحاجتهم إليها في الحروب وفي الانتقال إلى جزيرة الأندلس[2].

وقد كان للتجارة أيضا دور مهم في عهد الدولة المرابطية على الصعيدين الداخلي والخارجي وذلك لتنوع الطرق التجارية ببلاد المغرب والأندلس من طرق بربرية إلى طرق مائية مما أدى لتنوع الأسواق بالدولة المرابطية، ومن أهم الطرق التجارية البرية في عهد الدولة المرابطية الطريق الشرقي والذي يبدأ من تلمسان عبر وجدة، فاس، صفروي [3]، سجلماسة مرورا بدرعة ثم تامدلت[4]
ثم أودغست[5] ثم بلاد السودان، أو من سجلماسة إلى غانة مباشرة، وقد كانت جميع هذه المدن تحت سيطرة المرابطين[6].

وأما الطريق الغربي فيبدأ من تلمسان إلى وجدة ثم فاس ليتجه إلى المغرب ناحية مكناسة ثم جبال فزاز فتادلا عبر جبال درن ثم أغمات فأدغست[7] وأحيانا أغمات سجلماسة ثم بلاد السودان[8].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمود حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 357.

[2]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 263.

[3]- صفروي:منها الى فاس مرحلة ،ومنها الى قلعة المهدي مرحلتان ،وهي مدينة صغيرة متحفرة بها اسواق قليلة ،اهلها فلاحون وزروعهم كثيرة ولهم ابل ومواشي وانعام ،ومياههم عذبة .أنظر: الادريسي ،ج1،ص243

[4]- تمدلت: هي مدينة ببلاد السوس ،كبيرة المساحة اسسها عبد الله بن ادريس العلوي ،وهي مدينة سهلية كثيرة العمارة حافلة الاسواق على نهر عنصره من جبل على نحو عشرة اميال منها ،بينهما عمائر وبساتين متصلة ،وهذا النهر هو نهر درعة (وادي درعة)،وهي على راس النهر وبينها وبين درعة مسيرة ستة ايام .أنظر: الحميري :المصدر السابق ،ص 128

[5]- أودغست: واحة تغناواست الحالية في تاغنت ،وكانت اهم محطات القوافل في هذه المنطقة ويسميها اليعقوبي غسط واودغست مدينة بين جبلين جنوب سجلماسة بها اسواق جليلة واهلها مسلمون ،يقرؤون القران ويتفقهون ولهم مساجد والعديد من الجماعات بها أسلموا على يد المهدي عبيد الله .أنظر: بودواية مبخوث :المرجع السابق ،ص 41،الادريسي :المصدر السابق ،ج1،ص 108

[6]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 55.

[7]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 351.

[8]- الحميري: الروض المعطار، ص 296.

وتعتبر هذه الطرق الرئيسية وهناك طرق أخرى تجارية تعتبر ثانوية وهي طرق محلية يتمثل دورها في توزيع البضائع منها الطريق الرابط ما بين فاس وسجلماسة عبر صفروي والذي تقدر مسافته بحوالي ثلاثة عشر مرحلة [1]، إضافة إلى الطريقين الرابطين بين كل من درعة وأغمات وبين سجلماسة ويعتبران مدخلا لتجار بلاد السودان[2].

هذه بعض أهم طرق بلاد المغرب في العهد المرابطي، وكانت هناك أيضا خلال هذه الفترة طرق أندلسية وأهمها الطريق الرابط بين ألمرية وغرناطة[3]، والطريق الرابط بين قرطبة وبطليوس والذي والذي يسمى بالزنجبار وتقدر مسافته بحوالي ثلاث مراحل [4]، والطريق الرابط بين قرطبة وبطليوس ويعرف لورة وتقدر مسافته بحوالي ثمانين ميلا[5].

وإلى جانب الطرق البرية هناك الطرق المائية ويمكن تسميتها بالطرق البحرية أو الطرق النهرية، ومن أهمها طريق نهر شقر [6] والذي كان يستخدم في نقل الأخشاب، ولم يكن بشرق الأندلس نهر غيره يصلح للملاحة [7]، أما بغربي الأندلس فقد وجدت عدة أنهار صالحة للملاحة أهمها الوادي الكبير الذي كان يربط إشبيلية بالساحل وقرطبة [8]، وكانت هناك طرق مائية أخرى ببلاد المغرب وأغلبها بحرية تربط بلاد المغرب بالأندلس وتنطلق معظمها من سواحل مدن بلاد المغرب المطلة على البحر الأبيض المتوسط إلى سواحل المدن الأندلسية كالطرق التجارية الممتدة من وهران وبجاية وتنس وسبتة وتونس وغيرها من المدن الساحلية ببلاد المغرب وبين العديد من المدن الأندلسية[9].

---

[1]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 352.

[2]-. Guichard,Lepoque almoravide,perspective d ensemble in Etats Pierre Puf, societes et cultures du monde musulman medival Xe-XVe siecle, Paris ,1995 ,p151-167.

[3]- الإدريسي: نزهة المشتاق 73، تاريخ مدينة ألمرية، ص 88.

[4]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 216.

[5]- نفسه، ص 206- 207.

[6]- نهر شقر: يقع اعلى قرية ارطانة يخلرج من غار الى حوض فيفرز الماء في الحوض مدة ويقل اخرى كالمد والجزر ويرى في ذلك كل يوم مرارا . أنظر: ابن الدلائي :نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار ،تح :عبد العزيز الاهواني ،منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مدريد ،(د.ت)،ص 17- 18

[7]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 198.

[8]- نفسه، ص 196.

[9]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 350.

هذا إضافة إلى طرق مائية نهرية بحرية أخرى ببلاد المغرب مثل طريق نهر طنجة الذي يصب بالبحر الأبيض المتوسط، وطريق نهر سفدد[1] الذي كان يؤدي إلى البحر ومن البحر يتمكن يتمكن التجار من أخذ وجهات وطرق أخرى كطريق مج كسة[2] والذي يستقبل السفن المتوسطة والتي تأخذ الوجهة إلى تطوان [3]، ويذكر أن مسافة هذا الوادي للوصول إلى تطوان حوالي عشرة أميال[4].

ومن أهم المراكز التجارية في الدولة المرابطية بلاد المغرب أغمات، واعتبرت من أهم مراكز التجارة الداخلية والتي عادت على أهلها بالثراء، وأما سجلماسة فقد كانت مركزا تجاريا كبيرا تخدم التجارة الداخلية والخارجية، فقد كان يقصدها تجار البصرة والكوفة وبغداد، وتحمل منها العديد من السلع إلى المشرق الإسلامي وإفريقيا [5]، ونافست أودغست سجلماسة في مكانتها التجارية، واعتبرت تارودانت هي الأخرى هي أهم المراكز التجارية الواقعة على الطريق التجارية الساحلية الذي ينتهي إلى نول لمطة وهي أيضا مركز تجاري وقد صارت هذه المدينة فيما بعد دارا لسك العملة نظرا لوفرة الذهب بها وكان يجلبه إليها قوافل بلاد السودان[6].

هذه أهم المراكز التجارية ببلاد المغرب في عصر المرابطين وقد وجدت أخرى في نفس الفترة بالأندلس، ومن أهمها ألمرية والتي اعتبرت من أهم المراكز التجارية الداخلية والخارجية وأيضا غرناطة، وإشبيلية التي اعتبرت مركزا تجاريا للزيت، ومالقة التي كانت مركزا في تجارة الفخار

---

[1]- نهر سفدد: هو نهر كبير عذب تدخله المراكب ومنه يشرب اهل تشمس ،واصله من ماءين من احدهما من بلد صنهاجة والثاني من كتامة يلتقيان فيكون منهما نهر كبير ،وكان الناس يستخدمون مياه النهر في تسيير مراكبهم ليصلوا الى البحر المحيط ،ويعودون الى البحر الغربي فيسيرون من حيث شاؤوا .أنظر: الادريسي :المصدر السابق ،ج 2،ص295 .فاطمة بلهواري :التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال ق 4هـ :10م ، انسانيات، 14-11-2015،21:30،insaniyat.reves.org

[2]- مجكسة:هي موطن قبائل من البربر تسمى مجسكة بينها وبين البحر الشامي خمسة اميال ،بينها وبين سبتة حوالي مرحلة وبها واد يصل الى البحر. أنظر: الادريسي :المصدر السابق ،ج2،ص 245.

[3]- تطوان: ظهرت المدينة ابتداءا من سنة 710هـ ،وخلال القرون اللاحقة كانت قد ظهرت من حين لاخر في النصوص العربية والاوروبية مدينة صغيرة مسماة بتطوان ،وبعض هذه النصوص يؤكد قدسيتها التي تشهد بها اضرحة القرنين الثاني عشر والثالث عشر التي ما لبثت ان اصبحت مصليات ومزارات من بعض القادمين من جنوة وبيزا ،واما اهل مارسيليا فيثبتون انشطة المدينة البحرية ،ولكن مرفا سبتة منع من افرادها بالدراسة والاهتمام .انظر: جون لوي مبيج ،احمد بن عبود واخرون :تطوان الحاضرة الاندلسية المغربية ،تر :مصطفى غطيس ،ط 1،منشورات جمعية نظارات، تطوان ،(د.ت)،ص 7- 8.

[4]- الحميري: الروض المعطار، ص 396. الإدريسي: المصدر السابق، ص 169. البكري: المغرب، ص 107.

[5]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 400.

[6]- نفسه، ص 400.

والذهب[1]، هذا وقد انتشرت العديد من الأسواق في المغرب والأندلس في عهد المرابطين، وانقسمت إلى ثلاثة أنواع:

– **الأسواق التي تصاحب الجيوش في حروبها** : وهي الأسواق التي تقام قرب القواعد العسكرية.

– **الأسواق الأسبوعية** : تقام في يوم معين من كل أسبوع، وتنتشر في أنحاء مختلفة من المغرب خاصة، وكانت تستقبل التجار من كل النواحي خاصة المتجولين، وكانت تباع فيها مختلف السلع[2]، فيذكر البكري أنه حتى اللحوم كانت تباع بها وذلك أنه بسوق أغمات وسوق كان يذبح أكثر من مئة ثور وألف شاة وتباع في اليوم نفسه[3].

وأما أسواق المدن فقد اعتبرت النوع الثالث من الأسواق، وتنظيم هذه الأسواق لم يختلف عن تنظيمات أسواق المدن الإسلامي، وذلك بأن يكون لكل جانب من السوق نوع معين من السلع، فاتخذت كل سلعة مكان خاص بها حسب نوعها، فالسلع الغذائية كان لها جانب خاص كالفنادق، وهي بدورها تنقسم حسب المواد الغذائية حيث نصادف فندق الزيت وفندق السكر وغيرها، أما السلع الصناعية فكانت تباع ليس بالفنادق ولكن لكل نوع من السلع الصناعية ناحية خاصة، مثل سوق الثياب، وسوق الفاكهة، وسوق الحرفيين وغيرها[4].

هذا وتميزت الحياة الاجتماعية في الدولة المرابطية بالتنوع في عدة جوانب وذلك نظرا لتنوع السلالات أو العناصر البشرية التي كونت هذا المجتمع وتمثلت في القبائل البربرية من بلاد المغرب وقبائل صنهاجة وقبائل زناتة وقبائل المصامدة، إضافة إلى البربر الذين سكنوا الأندلس بعد حركة الفتح الإسلامي[5].

---

[1]- المقري: نفح الطيب، ج 1، ص 152.

[2]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 133، البيذق: أخبار المهدي، ص 53.

[3]- البكري: كتاب المغرب، ص 153.

[4]- ابن القطان: نظم الجمان، ص 268.

[5]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 4- 29.

ونجد أيضا ضمن المجتمع المرابطي العنصر العربي وهم من دخل بلاد المغرب والأندلس أيضا أثناء حركة الفتح الإسلامي وبالضبط في فترة موسى بن نصير[1] الذي أخضع منطقة الغرب الإسلامي لمركز الخلافة الأموية بدمشق، وترك مجموعة من العرب ببلاد المغرب والأندلس من أجل تعليم البربر قواعد الدين الإسلامي ونشره بينهم، إضافة إلى العناصر العربية التي جاءت إلى بلاد المغرب هروبا من الخلافة الإسلامية بالمشرق وبحثا عن ملجأ لأفكارهم ودعواتهم الخارجة عن أفكار الخلافة نسبوا إليها باسم الخوارج[2].

وإلى جانب البربر والعرب تواجد أيضا بالمجتمع المرابطي عنصر المولدين، ويقصد بهم سكان الأندلس الأصليين ذوي الأصول الإسبانية والأيبيرية بصفة عامة واعتنقوا الإسلام أو ولدوا من آباء مسلمين، وقد كانت أصولهم تعود إلى قدماء الروم أو الجلالقة أو القشتاليين أو الأرغوانيين ومنهم أيضا اليهود الذين استقروا بالأندلس قبل الفتح الإسلامي[3].

وتضاف إلى هذه العناصر في المجتمع المرابطي عناصر أخرى لكن بعدد أو نسب قليلة كفئة السودانيين وهم العبيد والجواري الذين وفدوا على بلاد المغرب من بلاد السودان الغربي عن طريق العلاقات التجارية[4]، وأيضا فئة الأغزاز وهذه الفئة قد اتفق على ذكرها كل من ابن أبي زرع وصاحب الاستقصاء، ويقصد بهذه الفئة العناصر القادمة من آسيا الصغرى بسبب أو آخر [5]، هذا إضافة إلى فئة الصقالبة [6] والروم ويقصد بهم الوافدين من المنطقة الممتدة من بحر قزوين إلى البحر

---

[1]- موسى بن نصير: هو موسى بن نصير بن عبد الرحمان بن زيد اللخمي بالولاء المكنى ابا عبد الرحمان فاتح الاندلس ،اصله من وادي القرى بالحجاز ،كان ابوه نصير من حرس معاوية ،ونشا موسى في دمشق فخدم بني مروان عندهم علا شانه ،فلما الت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك ولاه افريقية وماوراء ها من المغرب سنة 88هـ ،فأقام في القيروان ،ووجه ابنيه عبد الله ومروان فاخضعا له من اطراف البلاد من البربر واستعمل مولاه طارق بن زياد الليثي على طنجة ،ثم امره بغزو شواطئ اوربة فزحف طارق وفتح جبل كالب Calpe الذي سمى بعد ذلك طارق .أنظر: ابن صاحب الصلاة :المصدر السابق ،ص 106

[2]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 1، ص 42. الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 307.

[3]- حسن أحمد النوش: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 33.

[4]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص 23. مجهول: الحلل الموشية، ص 25.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 89. الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 25.

[6]- الصقالبة: لفظ كان يطلقه العرب بالأندلس على الذين كانوا يشترونهم من اوروبا ،خاصة وان الجيوش الجرمانية دابت على سبي الشعوب الصقلبية (السلافية)وبيع رجالها ونسائها لعرب اسبانيا ،فاطلق العرب عليهم اسم الصقالبة ثم تعمم المصطلح ولم يعد خاصا الجنس السلافي ،وانما توسع ليشمل باقي العناصر الاوروبية ،ويذكر انه في القرن الرابع هجري لم يكن جميع الصقالبة من السلاف بل عدد كبير منهم كان من ايطاليا وجنوب ايطاليا وقطلونية وجليقة باسبانيا ،ولما كان الصقالبة قد جلبوا الى المغرب والاندلس صغارا فقد نشاووا نشاة اسلامية عسكرية ،وتعلموا اللغة العربية بسرعة ،واحتلوا مراكز عالية في المجتمع الاندلسي ،فكان منهم الأدباء والشعراء وأهل القيادة والرياسة .أنظر: ابن الخطيب :اعمال الاعلام ، ج3،ص 43.

الأدرياتيكي[1]، وقد وفدوا على بلاد المغرب في العصور الوسطى وذلك بعد أن ابتاعهم العرب من الجرمان والإسكندنافيين ويطلق عليهم اسم الفتيان أو الحضيان أو المجابيب[2].

ويبدو حسب رواية صاحب الحلل الموشية أن المرابطين استخدموا الصقالبة كحرس لهم حيث يقول:« قام يوسف بن تاشفين بشراء جملة من العلوج من الأندلس، فأركبهم عنده منهم مائتان وخمسون فارسا»[3] ونفهم من هذا أن صاحب الحلل قال لقب الصقالبة بالعلوج.

هذا وقد تواجد بالمجتمع المرابطي أيضا أهل الذمة، وقد ضمت هذه الفئة كل من النصارى المسيحيين واليهود، فأما النصارى فتواجدهم بالمجتمع المرابطي يعود لعدة أسباب منهم من كان موجودا ببلاد المغرب قبل تأسيس الدولة المرابطية، ومنهم من وجدوا بها بعد التأسيس وذلك بعد شراء عدد منهم لإضافتهم للجيش، حيث اشترى يوسف بن تاشفين حوالي مائتي وأربعين نصرانيا[4].

ومن النصارى من نفي إلى بلاد المغرب مع طائفة المعاهدين النصارى من أهل الأندلس[5]، ومنهم من وجد في المجتمع المرابطي عن طريق الأسر والسبي، إذ وصل عدد الأسرى في معركة الزلاقة وحدها إلى عشرين ألف أسير تم نقلهم إلى بلاد المغرب[6]، هذا إضافة إلى أسرى وسبايا معركة إقليش[7] وغيرها من المواجهات المرابطية النصرانية التي جلبت العديد من الأسرى والسبايا

---

[1]- ابن حوقل: صورة الأرض، ص 105.

[2]- المقري: نفح الطيب،مج 1، ص 342. ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، قسم 3، مج 11، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 112.

[3]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 25.

[4]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص 23.

[5]- النصارى المعاهدين:هم النصارى الذين عاهدوا على عدم الاخلال بالنظام العام للمجتمع الاسلامي بالأندلس وذلك في اتصالهم مع النصارى الآخرين من الممالك النصرانية فيتم معاقبتهم بنفيهم الى بلاد المغرب .انظر عيسى بن الذيب:المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 59.

[6]- مرمول كربخال: إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي، محمد زبير وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف، مكتبة المعارف، الرباط، 1984، ص 56-57.

[7]- ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب ،ج4، ص 37.

النصارى لبلاد المغرب، وقد تضمن الأسر والسبي النساء والرجال فيذكر ابن أبي زرع الفاسي الأمير المرابطي تاشفين بن علي في حملته على مدينة أشكونية[1] قد سبى ستة آلاف إمرأة[2].

هذا وقد استقر النصارى ببلاد المغرب بعد مدة مهمة، إضافة إلى العاصمة مراكش فقد استقروا بفاس وسلا [3] ومكناسة التي قدر ابن عذارى عدد النصارى بها بحوالي ثلاثة آلاف نصراني[4]، وكانت لهم أحياء خاصة بهم مزودة بما يلزمهم من حانات وأماكن بيع الخمر وما يؤكل لديهم كلحم الخنزير [5]، أما بالأندلس فقد استقر النصارى بعدة مدن كغرناطة وإشبيلية وبلنسية وألبيرة وبطليوس ومالقة[6].

وقد تمتع النصارى في عهد المرابطين بمكانة جيدة حيث تمكنوا من تقلد الوظائف الإدارية، وامتهنوا العديد من المهن الحرة، كما كانت لهم الحرية التامة في ممارسة حياتهم الاجتماعية وشعائرهم الدينية[7]، وكان يتم تعيين مسؤول عن شؤونهم أمام المسلمين ينقل انشغالاتهم ويجمع عنهم الضرائب والمستحقات ويسمى " قومس sensor" ويعمل ضمن القماسة [8]، وأما في القضاء فلم يكن القضاء المرابطي الذي يرعى شؤون المسلمين هو نفسه قضاء النصارى وإنما كان

---

[1]- أشكونية: وترسم ايضا اشكوني وهي بالاندلس من كور تدمير ،وصالحة لاتخاذ الجنان والبساتين ،بها نهر يساعد على ذلك لعذوبة مياهه ،تكثر بها اشجار التين والكمثري والرمان ،ولم يتمكن ليفي بروفنسال من تحديد موقعها بالضبط حسب احسان عباس في تحقيقه للروض المعطار .أنظر: الحميري :المصدر السابق ،ص 60

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 107.

[3]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 90. حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج 1، ص 201.

[4]- ابن عذارى: البيان المغرب- قسم الموحدين-، ص 24.

[5]- من بين أحياء النصارى في العهد المرابطي حي درب الفتيان وحي إسبانيا درب فيرو بمكناسة. أنظر : عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 52.

[6]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 91.

- Lagordere :(v) communautés Mozarabes et pouvoir Almoravide en 519 H/ 1125 in studio islamico, T, L X V II, 1988, P. 103 .

[7]- ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، تر: الطاهر أحمد مكي، ط 2، دار المعارف، 1985، ص 100.

[8]- نظام القومس : قومس الاندلس هو تحريف والصواب قومس والقومس هو الرسم العربي لكلمة Comes اللاتينية ،وهو الزعيم ااو الرئيس ، وقد انشا المسلمون منذ الفتح منصب القومس و القوامس وهو زعماء النصارى في القواعد الاندلسية ،ثم تطور المنصب حتى غدا منصبا دينيا يليه اسقف او مطران النصارى يرعى شؤونهم الروحية .أنظر: لسان الدين بن الخطيب :الاحاطة ،ج1،ص 103

لهم قضاء خاص بهم يرأسه قاضي يعرف بقاضي النصارى بفصل في نزاعاتهم وجميع أمورهم إلا إذا كانت الخصومة بين طرفين أحدهما مسلم والآخر نصراني فيفصل فيها قضاء المسلمين[1].

هذا وقد كان للنصارى لباس خاص بهم، ومقابر خاصة، غير أنه كان يسمح لهم باستقاء الماء من آبار المسلمين، وكان يتعرض منهم من خالف أوامر وقوانين الدولة المرابطية للعقاب والتشرد[2].

هذا وقد قدم النصارى عدة أدوار وخدمات في المجتمع المرابطي منها في المجال العسكري حيث استخدمهم الأمراء المرابطون كحرس خاص، وكان لهم أيضا دور في المجال السياسي ذلك أن مهمة الحرس الخاص مكنت النصارى من التقرب من جهاز الحكم المرابطي، فلم تصبح المناصب الحساسة في الدولة المرابطية حكرا على لمتونة وحدها [3]، وقد تم للنصارى المشاركة في العديد من الوظائف مثل جباية الضرائب، ومارسوا أيضا مهنة الطب، والعناية بالبساتين وإيصال الماء إليها مما عاد على الدولة المرابطية بتحسن في المجال الزراعي[4].

أما عن الطائفة اليهودية فقد تواجدت أو كان لها هي الأخرى دورا بالمجتمع المرابطي وذلك نظرا لوجودهم ببلاد المغرب والأندلس قبل تأسيس الدولة المرابطية وقد يعود ذلك إلى ما قبل الفتح الإسلامي، وقد استقر اليهود بالعديد من المدن منها فاس، ومكناسة، وبلاد فزاز، وأغمات، وسجلماسة، ونكور التي كان بها باب يسمى باب اليهود، وأما بالأندلس فقد انتشروا واستقروا بغرناطة، وطركونة، واليسانة[5]، إضافة إلى قرطبة التي كانت بها حارة تعرف بحارة اليهود[6].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 74.

[2]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 51- 57.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 286. توفيق مزاري عبد الصمد: التنظيمات العسكرية المغربية في عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1999- 2000، ص 131.

[4]- مرمول كربخال: إفريقيا، ج 2، ص 47- 56.

[5]- اليسانة: هي مدينة اليهود ،ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود ،وبه المسجد الجامع ،وليس على الربض سور ،والمدينة متحصنة بسور حصين ،ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر ،واليهود يسكنون بجوف المدينة ،ولا يداخلهم فيها مسلم البتة ،وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين ،ومن اليسانة الى قرطبة اربعون ميلا .أنظر: ابن السماك العاملي :الحلل الموشية ،ص 143.

[6]- الحميري: المصدر السابق، ص 445- 306، البكري: كتاب المغرب، ص 148.

O'collaghan. Joseph. F. A : History of medieval Spain T thaco, 1978, P 286.

هذا وقد شكل اليهود موردا اقتصاديا هاما للدولة المرابطية عن طريق دفعهم للجزية والضرائب وسيطرتهم على أعمال الصيرفة [1]، إضافة إلى استقرارهم بالمدن التجارية كالمدن الجنوبية لبلاد المغرب المؤدية لبلاد السودان الغربي، حتى أنهم شكلوا ضمن المجتمع المرابطي طبقة كبيرة من الأثرياء[2].

وقد كان لليهود حقوقهم الاجتماعية مثلهم مثل كل فئات المجتمع، فقد كانت الطائفة اليهودية تعين مسؤولها ويثبت ذلك في مرسوم صادر من قصر الخلافة المرابطية، ويسمى مسؤول اليهود الحاخام الأكبر، وما يأتي بعده من مسؤولين عن الطائفة اليهودية فهم أيضا من اليهود وهو المسؤول عن تعيينهم، وقد يرأس كل جماعة منهم شخص يدعى البرور ويسمى أيضا مقدما أو نعمانا ويكلف بمسؤوليته لمدة سنة أمام الخلافة المرابطية في مختلف الالتزامات كالضرائب والجزية وغيرها[3].

وقد شغل اليهود عدة مناصب مثلهم مثل النصارى منها الإدارية كجباية الضرائب وغيرها، ومنها الاجتماعية كالطب والهندسة، إلا أن أغلبهم اشتغل بالتجارة والصناعة خاصة بالزخرفة والمعادن كيهود فاس[4].

أما بالنسبة للقضاء فقد كان لليهود قضاء خاص بهم حسب شريعتهم ولقضاتهم الحرية ومختلف الصلاحيات في تطبيق أحكامهم وعقوباتهم الخاصة بهم، أما إذا كان الخلاف بين مسلم ويهودي فإن الفصل في النزاع يخضع للقضاء الإسلامي ولصلاحيات الدولة المرابطية[5].

هذا وقد كان اليهود يحبون العزلة عن المسلمين إلا أنهم في بعض الظروف والمواقف والمهن كانوا مجبرين على مشاركتهم كالتجارة وغيرها والعديد من المهن والفنون والعلوم التي اشتركوا فيها مع المسلمين[6].

[1]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 264- 265.

[2]- الحميري: الروض المعطار، ص 306.

[3]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 81.

[4]- Ricardo Izquierdo Benito,Santiago Palomero,Guia del Toledo Judio,Fotografias Antonio Parejay Carlos Villasante,1990,p27.

[5]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 82.

[6]- نفسه، ص 80.

هذا وإضافة إلى تركيبة المجتمع المرابطي في الأجناس فقد كان أيضا مجتمعا طبقيا مكونا من ثلاث طبقات متمثلة في الطبقة الحاكمة، والطبقة الوسطى، والطبقة العامة.

وأما الطبقة الحاكمة فقد تضمنت الأمراء والكتاب والوزراء والولاة ومشرفوا المدن بما فيهم رجال الجهاز المالي وأيضا كبار رجال الدين من الفقهاء باعتبارهم أساس نظريات توجهات الدولة[1].

وضمت الطبقة الوسطى مختلف أصناف التجار من المغرب والأندلس، وقد بعض المؤرخين إلى حوالي ثلاثة أصناف تمثلت في:

- *الصنف الأول* : يمثله التجار الذين يستثمرون أقل من مائة دينار في تجارتهم، ويتولونها بأنفسهم ومنهم المقيمون بمدينة معينة والمتنقلون.

- *الصنف الثاني* : يمثله تجار الصحراء أو تجار القوافل معظمهم يقصدون بلاد السودان، ويذكر أنهم أكثر التجار أمولا نظرا لتجارتهم بالسلع السودانية النادرة.

- *الصنف الثالث* : والمقصود بهم تجار الجملة وكانوا ينتقلون ما بين المدن المغربية والأندلسية، وقد كان منهم من يسير تجارته بنفسه ومنهم من يعين شركاء ووكلاء لتجارته[2].

وكانت هناك أكثر من طريقة للعمل في الصنف الثالث من التجارة، فمنها ما تكون مناصفة بين الشركاء في رأس المال والعمل ومنها ما يشترك بعض التجار في إرسال أحدهم لجلب البضائع ثم يتقاسمونها على حسب رؤوس أموالهم ثم يبيع كل واحد منهم كيفما شاء ومنهم من يقرض لأحدهم مالا ليتاجر به في سفره على أن يكون الربح بعد عودة التاجر المسافر مناصفة[3].

ونجد أيضا ضمن الطبقة الوسطى الصيارفة وكبار السماسرة، فالصيارفة تكمن مهمتهم في التيسير على المسلمين في صرف الذهب لقضاء حوائجه، وكثيرا ما يسهل على المتعاملين بهذا

1- J.Wasserstein,Samuel ibn Naghrila ha- nagid and Islamic Dvid ,historiography in Al Andalus,dans Al_Qantara,XIV_1,1993,p 109-125.

2- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 115- 117.

3- البرزلي: فتاوى البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تق وتح: محمد الحبيب الهيلة، ط 1، ج 3، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ص 436. الونشريسي: المعيار، ج 8، ص 200- 364.

الميدان التعامل بالربا، ويذكر أنهم كثيرا ما اتبعوا أساليب الغش والتحايل في هذا الميدان [1]، وأما السماسرة فمهمتهم تتمثل في دور الوسيط بين التجار والمشترين فيما يبيعونه من السلع[2].

هذا إضافة إلى أصحاب المهن الحرة وهي تتكون من مجموع الأطباء والمهندسين، كذلك بعض أصحاب الوظائف الحكومية كصاحب الأحكام وهو بمثابة أحد أعوان القاضي، وصاحب المدينة وهو المسؤول عن الشرطة ويحضى بتقدير الأمراء ويسمى أيضا صاحب الليل، وأيضا من أهم أصحاب الوظائف الحكومية ضمن الطبقة الوسطى المحتسب أو صاحب الأسواق وهو المكلف بمراقبة الأسواق من حيث تنظيمها والحرص على عدم الإخلال بقوانينها[3].

وآخر طبقات المجتمع المرابطي هي الطبقة العامة وتضم صغار التجار والباعة المتنقلون، وهم فئة كبيرة من الطبقة العامة، فمن هؤلاء التجار الذين مارسوا التجارة عن طريق الدكاكين والحوانيت منهم من اختص في تجارة الأحذية وأطلق عليهم اسم الإسكافي، ومنهم من تخصص في بيع الخضر والفواكه، ومنهم من اختص في بيع اللحوم بأنواعها ولكل نوع دكان خاص، إضافة إلى تجار الزيت والزبدة والعسل، وفي كل نوع من هذه التجارة هناك أصحاب دكاكين وباعة متنقلون خاصة كتجار الجير والفحم والعطارة وباعة العبيد والخدم[4].

وضمن هذه الطبقة نجد أيضا فئة الفلاحين وهي ثاني فئة في هذه الطبقة باعتبار الفلاحة والزراعة مصدرا لكسب العيش [5]، وثالث فئة هي فئة الصناع والحرفيين ويعتبر دور هذه الفئة مهم جدا لما تقدمه من خدمات يومية لأفراد المجتمع المرابطي وخاصة عند اتساع المدن وازدياد عدد سكانها وازدهار عمرانها، وينقسمون بدورهم إلى ثلاثة أقسام[6]:

- قسم يملك آلات العمل ودكاكين خاصة به ولهم معاونين لهم ومتعلمون في نفس الوقت وهم صبيان.

[1]- ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص 58.

[2]- الونشريسي: المعيار، ج 5، ص 38.

[3]- ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص 11- 18.

[4]- نفسه، ص 43- 45.

[5]- ابن خلدون: المقدمة، ص 408.

[6]- نفسه، ص 427.

- القسم الثاني يتمثل في الصناع الذين يزاولون أعمالهم بالأزقة والحارات، ولا يمتلكون آلات ولا دكاكين خاصة بهم.
- وأما القسم الثالث فهو للصناع بالأرياف والمدن وعادة ما يختصون بصناعة الأدوات الحديدية[1].

وضمن هذه الطبقة نجد أيضا فئات أخرى وهم أصحاب المهن الأخرى كالحمالين في الأسواق وفي السفن، وحراس للبساتين والحدائق، وبوابي المدن والرعاة، والسقاية في الأسواق وغيرها من المهن.[2]

ونجد كذلك ضمن هذه الطبقة فئة الأيتام والذين شكلوا ظاهرة اجتماعية في العصر المرابطي، حيث كثر عددهم وذلك كون الدولة المرابطية دولة تخوض الحروب الكثيرة، ويذكر أن عدد الأيتام في العهد المرابطي تجاوز عدد أوصيائهم ومشرفيهم حتى صار هذا مشكلة اجتماعية[3].

وضمن الطبقة العامة أيضا فئة السبايا والأسرى والعبيد، واعتبرت الأندلس هي المصدر الأساسي للأسرى والسبايا بحكم الحروب التي كان يخوضها المرابطون ضد إسبانيا المسيحية فيعودون من حروبهم بعدد كبير من الأسرى والسبايا، حيث يذكر صاحب كتاب إفريقيا أن الأسرى المسيحيين هم من قاموا بحفر قنوات مياه مراكش وكان عددهم حوالي عشرون ألف مسيحي[4].

وليسوا السبايا والأسرى فقط المسيحيين وغيرالمسلمين بل أيضا المسلمين منهم وهم الطائفة التي وقعت تحت أسر وسبي المرابطين في مواجهات حدثت إما بالمغرب أو بالأندلس، وذلك إما عقب سقوط دولة ما على يد المرابطين أو وقوع مواجهات بين السلطة المرابطية والأطراف المناوئة لحكمها بالمغرب والأندلس[5]. وحسب بعض المصادر أن الأسرى المسلمين كانوا

---

[1]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 138.
[2]- نفسه ، ص144- 145.
[3]- نفسه ، ص 153- 154.
[4]- مرمول كربخال: إفريقيا، ج 2، ص 56.
[5]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 155 – 156 .

يتعرضون للتعذيب والقتل، في حين أن أسرى المسيحيين تحتفظ بهم السلطة المرابطية وتحافظ عليهم لاستعمالهم لفداء أسرى المسلمين[1].

وأما العبيد فقد صنفوا كآخر فئة في الطبقة العامة أو في المجتمع المرابطي بصفة عامة، وقد كان عددهم كثيرا في المجتمع المرابطي وتعددت خدماتهم داخل البلاط وفي البيوت ولدى التجار، ومنهم من جاؤوا به عن طريق الحرب وفي الأسر، ومنهم من تم شراؤهم من سوق النخاسة إما من الأندلس أو بلاد السودان، ولم يكن امتلاك العبيد مقتصرا على الأمراء والأغنياء فقط بل إن مجموعة من الفقهاء قد امتلكوا هم أيضا العبيد وحتى بعض العامة [2]، وتذكر بعض المصادر أن معاملة العبيد في العصر المرابطي تميزت بحسن المعاملة والكرم إلا أنهم لم يكونوا يجالسوهم أو يقربوهم[3].

هذا وتلتحق بالمجتمع المرابطي بعض الفئات التي لا تنسب لأي طبقة، ومنها فئة المتسولين وقطاع الطرق والتي اعتبرت فئة غير منتجة وعبء على الدولة لكونها تشكل خطرا على رعايا الدولة، واعتبرها المؤرخون فئة عاجزة لم تساهم في أي ميدان للدولة المرابطية[4].

ولم تذكر المصادر التاريخية عن جوائح كبيرة شهدها المجتمع المرابطي إلا أنها تتحدث عن بعض أثر بعض المجاعات والحروب الكثيرة، وأكثر طبقة تضررت من أثر الحروب والمجاعات هي الطبقة العامة، وذلك لتدخل الدولة لحماية أعيان الدولة والطبقات الخاصة أثناء الحرب وترك عامة أفراد المجتمع يواجهون مصيرهم بأنفسهم، وأما المجاعات فقد عصفت بالعديد من أرواح الطبقة العامة بالمغرب والأندلس [5]، وقد كانت قاسية هذه المجاعات التي تسبب فيها الجفاف، حيث اضطر الناس إلى أكل جذور النباتات ثم الحيوانات، حيث يذكر ابن عذارى في هذا الشأن فيقول:«... وترمق سائر الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس، ومن دون هؤلاء بالفئرة

---

[1]- ابن عداري المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 55، الونشريسي: المعيار، ج 2، ص 158.

[2]- مجهول: الحلل الموشية، ص 25- 28، المقري: نفح الطيب، مج 3، ص 232.

[3]- عزالدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 120- 122. الموردي: الإشارة في تدبير الإمارة، ص 96.

[4]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 163 .

[5]- ابن عداري:البيان المغرب ، ج 4، ص 39 .

والقطط»[1]. وتذكر بعض المصادر أن مجتمع الدولة المرابطية شهد العديد من الجوائح متمثلة في مجاعات قاسية علقت بأذهان الرعية وأوبئة أدت إلى هلاك الكثير[2].

هذا وقد تميز المجتمع المرابطي عن غيره بالعديد من العادات والتقاليد والقيم والأعراف، ضمن أهم القيم الدينية التي قدسها المرابطون تكوين الأسرة عن طريق الزواج، حيث كانت الأسرة تتكون من الزوج والزوجة والأبناء، وكان للرجل الحق في الزواج بأكثر من واحدة طبقا للشريعة الإسلامية، على ألا يتجاوز أربع زوجات، غير أن بعض شيوخ قبيلة لمتونة وجدالة كانوا يتزوجون بأكثر من أربعة قبل مجيء الدعوة المرابطية بزعامة عبد الله ابن ياسين[3].

وبالنسبة للمرأة فإن الزواج كان شأنا عائليا، أسرتها ووالدها بشكل خاص يتكفل بترتيب أمور زواجها وهذا حسب ما يراه من مصلحة لابنته في حياتها، إلا أنه في بعض العائلات الراقية والوجيهة كان للمرأة دور في اختيار شريك حياتها، فلها الحق في أن تقبل أو ترفض وهذا ما حدث مع زينب النفزاوية حيث رفضت العديد من الشيوخ والأمراء وارتبطت بمن كانت هي توافق عليه[4].

وأما بالنسبة للمهر أو الصداق فقد كان يؤدى بصيغ مختلفة وحسب اختلاف المدن والبلاد، فأحيانا كان يؤدى نقدا وقد يدفع مرة واحدة أو بالتقسيط، ولا يكتب الصداق بحسب الدينار المرابطي وإنما حسب صرف كل مدينة[5]، ويذكر أن عبد الله بن ياسين حدد الصداق بحوالي بحوالي أربعة مثاقيل إلا أنه في الأندلس كان الصداق مكلفا جدا حيث وصل إلى ستين مثقالا إضافة إلى الثياب والجواهر، وكان مسموحا بالطلاق في ظل تعاليم الشريعة الإسلامية إذا لم يحصل توافق بين الزوجين[6].

هذا وقد تميز المجتمع المرابطي أيضا بالاحتفالات التي كان يقيمها المرابطون وهي تختلف حسب اختلاف المناسبات، حيث كانت هناك احتفالات خاصة بالمواسم والأعياد فقد احتفل

1- ابن عذاري:البيان المغرب ، 38- 39 .

2- ابن القطان: نظم الجمان ، ص 226 .

3- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 406.

4- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 18. المقري: نفح الطيب، ج 4، ص 295.

5- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 171.

6- نفسه، نفس الصفحة.

المرابطون كغيرهم من المسلمين بعيدي الفطر والأضحى وشهر رمضان المبارك حين إقباله وحين توديعه، إضافة إلى الاحتفاء بعيد عاشوراء وكانوا يطلقون عليه عيد الفاكهة وذلك لأنهم كانوا يحضرون له كل ما لذ وطاب من الفواكه والحلوى، وهناك احتفالات أخرى في بعض أيام شهر شعبان تسمى باسم الشعبانية تقام فيها المآدب ويلهو فيها الصبيان بالأبواق [1]، هذا إضافة إلى الاحتفال بيوم الجمعة ويوم الوقفة بعرفة وليلة القدر وغيرها، والمولد النبوي الشريف وغيرها من الأعياد التي اعتادتها المجتمعات الإسلامية على مر الزمن[2].

هذا وقد انفرد المرابطون ببعض الاحتفالات اعتادها المغاربة والأندلسيون كعيد" النيروز أو ينير"[3] وفيه يقومون بشراء فواكه معينة ويصنعون تماثيل مختلفة من الحلوى يطلقون عليها اسم" مدائن ينير"، وعيد المهرجان أو العنصرة[4] وهو اليوم الذي ولد فيه يحي بن زكرياء عليه السلام ومن ومن طقوس الاحتفال بهذا العيد إقامة شعلة من النار والقفز فوقها، ولبس اللباس الجديد، وإجراء سباق الخيل، إضافة إلى عيد الميلاد في رأس السنة وكل هذه الأعياد هي أعياد نصرانية دخلت إلى المجتمع المرابطي عن طريق الأسرى والسبايا وأهل الذمة من النصارى[5].

وكانت هناك أيضا احتفالات أسرية تتمثل في احتفالات الخطوبة والزواج والاحتفال بالمولود الجديد، هذا وانفردت الأسرة المرابطية أيضا باحتفال آخر على غرار أسر المجتمع الإسلامي وهو الاحتفال بالولد الذكر حين بلوغه سن الرشد فيلبس اللثام المرابطي كدليل على أنه أصبح رجلا راشدا، ويقام لذلك احتفالا كبيرا يعلنون فيه أن ابنهم قد بلغ سن الرشد، وله الحق في التمتع بكافة حقوقه المدنية وأنه صار عضوا فعالا في المجتمع المرابطي الملثم[6].

---

[1]- عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 182.

[2]- نفسه ، ص 179- 183.

[3]- عيد النيروز :او عيد النوروز وهو الاحتفال باول النوروز المعروف عندهم بينير وهو عيد ميلاد المسيح عليه السلام ،كما كانوا يحتفلون بسابع أيام ولادته عليه السلام ،ووصف صاحب المعيار المعرب هذا العيد بقوله ليلة ينير التي يسمونها الناس الميلاد .أنظر: الونشريسي :المعيار المعرب، ج1،ص294،نفسه ،ج11،ص 150

[4]- عيد المهرجان أو العنصرة: هو عيد يحتفل به سنويا وهو ميلد النبي يحيى بن زكرياء عليه السلام ،ويقال له المهرجان ايضا ،وليلة المهرجان ،ويقول المقري :يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيو الشمسي من شهورهم الرومية .أنظر: ابن عذاري : البيان المغرب ،ج3،ص84 . المقري :نفح الطيب ،ج3،ص 128

[5]- نفسه، ص 184. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 576- 577

[6]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 50. عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عهد المرابطين ، ص 106.

وعرف المجتمع المرابطي أيضا احتفالات عسكرية يقوم بها الجيش في عروض مختلفة، وتكون إما استعدادا لحملة عسكرية أو خروج لمعركة أو احتفالا بانتصار في معركة ما، وقد كانت هذه العروض على مرأى أفراد المجتمع المرابطي، حيث كانت المواكب العسكرية تسير في الشوارع رافعين الرايات والأعلام مع قرع الطبول، هذا إضافة إلى إقامة صلاة شكر جماعية في كافة المساجد إذا ما كان الاحتفال يخص الانتصار وتوزيع الناس الصدقات وعتق الرقاب[1].

هذا وقد تنوعت ألبسة أفراد المجتمع المرابطي من حيث النوعية التي تصنع منها ومن حيث اللون والشكل والأهمية، فمن حيث النوعية فقد اهتم المرابطون في البداية بالألبسة المصنوعة من الصوف لكن بعد اختلاطهم بالأندلسيين تغيرت ألبستهم المصنوعة من الصوف إلى الألبسة المصنوعة من الحرير والديباج[2].

وقد كان اللباس المرابطي متعدد الأجزاء فينقسم إلى لباس الرأس ويضم اللثام وهو العنصر الأهم في لباس المرابطين ويوجد نوعين من اللثام نوع يسمى" الريط" لونه أخضر، وآخر يسمى" السماري" لونه قرمزي، هذا وقد تغير مع مرور الزمن إلى اللون الأسود الذي يرمز إلى الارتباط بالخلافة العباسية، وهذا كان تقريبا عند الأسياد، بينما العبيد اختصوا باللثام الأبيض فقد أصبح اللثام يؤدي الوظيفة الاجتماعية والسياسية فلم يسمح لغير المرابطين بارتدائه من مختلف طبقات المجتمع المرابطي[3].

ويتضمن لباس الرأس أيضا ما يعرف ب" الغفائر القرمزية"[4] وقد اختلف فيه إذا كان من اختصاص الرجال أو النساء، فيذكر أن الغفائر جمع غفارة وإنه لباس مشهور بالمغرب والأندلس، وهناك من يقول أنه طاقية من طواقي المرأة أو خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها، وهناك من يذكر أنها طاقية يلبسها الرجال تحت العمامة وذلك استنادا إلى أن صاحب الحلل الموشية ذكر أن الغفائر القرمزية كانت ضمن الهدايا التي أهداها يوسف بن تاشفين إلى ابن عمه أبي بكر بن

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 97. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 117.

[2]- عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عهد المرابطين ، ص 216- 218.

[3]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 50- 51. شعيرة عبد الهادي محمد: المرابطون- تاريخهم السياسي-، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1969، ص 21.

[4]- القرمزية: لون يستخرج من الحشرة القرمزية، وهي حشرة طفيلية تعيش على شجر البلوط. أنظر: عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 223.

عمر[1]، لكن هذا ليس دليلا كافيا لأنه يمكن أن يوسف بن تاشفين قد أهدى ابن عمه أبو بكر بن عمر بعض ملابس النساء من أجل حريم وجواري أبي بكر بن عمر، والراجح من هذا الاختلاف أنها كانت تستعمل للرجال والنساء.

ويتصل دائما بلباس الرأس ما يعرف بالعمامة، وهي قطعة قماش تلف الرأس من منبت الشعر على الجبين إلى منبت الشعر على القفا بشكل دائري لأكثر من دائرة وتغطي كذلك الأذنين[2]، ويذكر أن أصلها فارسي ونقلت إلى بلاد المغرب مع الفتوحات الإسلامية [3] ويؤكد ذلك ابن خلدون بحديثه على عامة البربر فيقول:« رؤوسهم في الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق»[4]إلا أن استعمالها كان شائعا في العصر المرابطي وقد كانت هي الأخرى ضمن الهدايا التي قدمها يوسف بن تاشفين لابن عمه أبو بكر بن عمر[5].

هذا بالنسبة للباس الرأس أما لباس البدن فقد تنوع هو الآخر أو تعدد في الأنواع منه البرنس[6] وهو عبارة عن معطف مقفل مزود بقبعة يلبس أثناء السفر، وهو مصنوع من قماش لا ينفذ منه الماء ويستعمله المغاربة كثيرا، وحسب ما ذكرت المصادر أنه كان يلبس من طرف النساء والرجال[7].

---

[1]- المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية تر: أكرم فاضل، بغداد، العراق، 1971، ص 255- 257. لسان العرب، مج 5، ص 30. مجهول: الحلل الموشية، ص 27.

[2]- العمامة: هي ما يوضع على الراس من اجل تجنب البرد او الحر أنظر:عدلي الهواري :عود الند – حكاية صناعة شعبية مصرية ،المجلة الثقافية الشهرية ،ع72،افريل ، 1992،هيئة فنون وحرفة مصرية عريقة ،القاهرة ،مصر ،ص12.

[3]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 226.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 104.

[5]- مجهول: الحلل الموشية، ص 27.

[6]- البرنس:هو كل ثوب راسه منه ملتزق به ويعرفه الجوهري انه قلنسوة طويلة كان النساء يلبسونها في صدر الاسلام .أنظر :لسان العرب ،مج 6 ، ص 31.

[7]- عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عهد المرابطين ، ص 230.

أما لباس القدمين فكان يتنوع ما بين النعال [1] والخف[2] والقرق[3] والبلغة[4]، وقد كان لبعض لبعض فئات المجتمع المرابطي زي خاص بهم كفئة الأعيان والعلماء الذين تميزوا بارتدائهم ألبسة دقيقة الصنع متقنة الجودة ناعمة كالحرير والتي كان يصنع منها البرنس ذوي الشارات والكساء المصبوغة و" الأشكري" الذي كان يؤتى به من" أشكر" الأندلسية التابعة لغرناطة، وهذه بعض الألبسة التي ذكرها صاحب الحلل في ذكره لهدايا يوسف بن تاشفين لابن عمه أبو بكر بن عمر[5].

عمر[5].

ويذكر أن فخامة زي الأعيان والعلماء كانت تلفت النظر حتى أن أحد فقهاء سبتة جاء يوما مجلسا وهو يرتدي برنسا أبيضا وقد حسنت شاراته فمن شدة جماله جعل أحد الحاضرين يمدحه بجمال البرنس فقال:

لَبِسَ البُرْنُسَ الفَقِيهُ فَبَاه ـــى وَرَأَى أَنَّه المَلِيحُ فَتَاهَا

وَلَو زُلِيْخَا رَأَتْهُ حِينَ تَبَدَّى لتَـ مَنَّتهُ أَنْ يَكُونَ فتَاهَا [6]

هذا وقد كان للمتصوفة لباس خاص فقد كان اللباس أهم علامة خارجية بارزة تجسد السلوك الصوفي، فقد كان حرصهم شديدا على التقشف في اللباس كعلامة من علامات إبراز التقوى وحسن السيرة، ومن الأسم .اء التي أطلقت عل .ى ملابسهم المرقعة [7]، والخرق[8] البالي[1]،

---

[1]- النعال: هي لباس للقدمين تصنع من فراش جلدي او نحوه يوضع فوق القدم ويشد إليها بواسطة شريطين من الجلد يمر احدهما وسط الرجل والآخر بين الأصبع الأكبر والذي يليه .أنظر: ابن صاحب الصلاة :المصدر السابق ،ص 117.

[2]- الخف: هو ما يلبس في القدمين الى الكعبين وقد يطول الى نصف الساق او يقترب من موضع الركبتين ،ويصنع من الجلد او الصوف او الكتان .أنظر: عيسى بن الذيب :المرجع السابق ،ص 232-233.

[3]- القرق: هو نوع من النعال يعرف صانعها بالقراق وكانت منتشرة بكثرة بالمغرب والاندلس مما جعل رجال الحسبة يراقبون اختبار جلودها وتنظيفها قبل صناعتها .أنظر: عيسى بن الذيب :المرجع السابق ،ص 233.

[4]- البلغة: هي نعل مشدود عليه رقعة مشدودة بحبال .أنظر: الونشريسي ،المعيار ،ج1،ص 13.

[5]- البكري: كتاب المغرب، ص 147، مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 27.

[6]- المقري: أزهار الرياض، ج 5، ص 17.

[7]- المرقعة: يقصد به الثوب الذي تمزق ثم تمت خياطة مابه من تمزيق بغير قماشه وبلون مختلف .أنظر: عيسى بن الذيب :المرجع السابق، ص 238.

[8]- الخرق: مفرد الكلمة مؤنثة وهي خرقة وهنا يقصد بها الثوب او الرداء الغليظ الذي يلبسه الفقراء لا سيما المتصوفة منهم .أنظر: نفسه، ص 239.

والتليس[2]، والحلس[3]، وقد كان التقشف في اللباس عاملا أساسيا في أساسيات ومبادئ التصوف حتى يذكر أن أحد المتصوفة قال لرجل أراد التصوف:« أزل عنك هذه الثياب... وأخرج فارا بنفسك في طلب الصالحين»[4].

وأما عامة المجتمع المرابطي فقد ارتدوا الجبة والكساء والعمامة والسراويل والبرانس وغيرها، وكانت أغلب الألبسة مصنوعة من الصوف لانتشار الصوف في كل من المغرب والأندلس، فقد كانت ألبسة العامة الرجالية والنسائية جميعها تصنع من الصوف [5]، فيذكر الإدريسي أن قبائل صنهاجة رجالا ونساء كانوا يلبسون أكسية الصوف ويربطون رؤوسهم بعمائم الصوف[6].

هذا ورغم أننا صنفنا لباس المرأة على انه كان من الصوف إلا أن لباس المرأة أيضا فيه اختلاف بحسب اختلاف طبقات المجتمع المرابطي، فلم يكن لباس المرأة التي تصنف من الطبقة الخاصة نفسه لباسها في الطبقة العامة، فقد كانت ألبسة نساء الطبقة الخاصة زيادة على الصوف تتنوع بتنوع أسواق الدولة المرابطية، فقد كانت كل من سجلماسة وبلاد السوس وغيرها من المناطق تأتي بأنواع مختلفة من ألبسة النساء، حتى وصل سعر الثوب الواحد لدى نساء الطبقة الخاصة إلى أكثر من عشرين مثقالا [7]، وتنوعت ما بين القطيفة أو الأثواب المخملية والأثواب الحريرية وأثواب الديباج والزردجان[8]، هذا إضافة إلى ما كان يرد من الأندلس من أصناف متنوعة

---

[1]- البالي: الرث والقديم والذي مضى زمن على استعماله .أنظر: نفسه ،نفس الصفحة .

[2]- التليس: جمع الكلمة تلاليس وتلاس ويقال له بالاسبانية Teliz وهو عبارة عن قطعة كبيرة من نسيج خشن من صوف او شعر الماعز او الخوص يستعمل كبساط او غطاء او لباس ،وقد يتم تخييطه ليعمل منه اكياس لحمل المزروعات .أنظر: ابن منظور :لسان العرب ،مج 6،ص 39،عيسى بن الذيب :المغرب والاندلس في عهد المرابطين ،ص 238.

[3]- الحلس: هو كساء يجعل على ظهر البعير تحت القتب يلازمه .أنظر: نفسه ،نفس الصفحة.

[4]- نفسه ، ص 293.

[5]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 27.

[6]- الإدريسي: صفة المغرب، ص 58.

[7]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين، ص 247، البكري: كتاب المغرب، ص 147.

[8]- الزردجان: كلمة فارسية تعني دار السلاح، وأطلق على أحد أنواع أثواب النساء لأنه كان ينسج بنسيج سميك مزركش بالحرير الأصفر والأحمر مما يجعله شبيها بالدرع المصنوع من الزرد. أنظر :عدلي الهواري :عود الند –حكاية صناعة شعبية مصرية ،المجلة الثقافية الشهرية ، ع72،أفريل ،هيئة فنون وحرفة مصرية عريقة ،القاهرة ،مصر ، 1992 ،ص22 .

من أثواب النساء الفاخرة والمذهبة والمصنوعة بالحرير والقطن والكتان خاصة من غرناطة ومالقة ومرسية[1].

وأما لباس النساء من الطبقة العامة فهو ما أوردناه سابقا من كساء وجبة وغيرها والمصنوعة من الصوف وكذلك السراويل، إلا أن المصادر تذكر أن النساء لم تكن مجبرات على ارتداء السراويل وهن في بيوتهن ومجبرات على ارتدائها أثناء خروجهن من بيوتهن خاصة عند نساء فاس وذلك بعد أن أمر والي فاس من قبل يوسف بن تاشفين الرجال والنساء بلبس السراويل[2].

هذا ولم تكن المرأة المرابطية مجبرة على تغطية وجهها مع رأسها أو وضع اللثام، وإنما كانت تخرج سافرة الوجه[3] أما رأسها فتغطيه بقطعة من النسيج الرقيق طوله حوالي ذراع، فتعصب به المرأة المرأة رأسها ويلتف فيرتفع على شكل سنم الجمل حوالي ربع ذراع، وبالنسبة لنساء الطبقة الخاصة فقد كان يزين بزخرفته بالذهب واللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة، كما وجد أيضا غطاء الرأس المصنوع من الصوف أو الأقمشة الحريرية[4].

أما بالنسبة لسفور الوجه فيؤكد هذا ابن خلدون في روايته لحادثة لقاء ابن تومرت بأخت علي بن يوسف ابن تاشفين مع جواريها وكلهن سافرات الوجه وذلك في قوله:«... ولقي ذات يوم الصورة أخت علي بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم فوبخها ودخلت على أخيها باكية...»[5].

أما أهل الذمة فقد ألزمتهم الدولة المرابطية بزي خاص حسب تقاليد المجتمعات الإسلامية، ويعود إفراد أهل الذمة بزي خاص يميزهم عن المسلمين إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وذلك

---

[1]- الحميري: الروض المعطار، ص 46.

[2]- الإدريسي: صفة المغرب، ص 58. ابن القاضي: جذوة الاقتباس، قسم 1، ص 252- 253. عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 253.

[3]- جورج مرسية: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي، تر: محمد عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1991، ص 28.

[4]- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 259. عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 252. مريامة لعناني :الأسرة الاندلسية في عصري المرابطين والموحدين ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،تخصص تاريخ وحضارة بلاد الاندلس ،قسم التاريخ والاثار،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر ،(د.ت)،ص 64.

[5]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 268.

في الوثيقة التي تعهد فيها نصارى الشام برسم العلاقة بينهم وبين المسلمين حيث حددوا فيها لباسهم حيث قالوا في وثيقتهم:«... ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين... وأن نلتزم زينا حيثما كان وأن نشد الزنانير على أوسطنا»[1].

وفي عهد الدولة المرابطية دعا رجال الحسبة إلى التشديد على أهل الذمة في الالتزام بلباسهم ومنعهم منعا باتا من لبس زي المسلمين حتى يكون علامة يعرفون بها، وتميزت أزياؤهم عن أزياء المسلمين بالزنار [2] وهو خاص بالنصارى، فيلبسه الذمي النصراني ويشده على وسطه ويجب أنو يكون باديا فوق الثياب [3]، وأما اليهود فكانوا يتميزون بالشكلة [4] وهي تتكون من القميص والبرنس والقلنسوة وذات لون موحد وهو اللون الأزرق المائل للأسود [5]. وأما نساء أهل الذمة فقدكن يتميزن عن نساء المسلمين بخفهن فيكون إما أسود أو أبيض أو أحمر والجلجل خاصة عند نساء النصارى[6].

أما عن أنواع الأطعمة التي انتشرت بالعهد المرابطي فقد تنوعت وصنفت هي الأخرى حسب الطبقات، فطعام الطبقة الخاصة اختلف باختلاف عصور الدولة، ففي بداية قيام الدولة إقتصر طعام الأمراء المرابطين على أن يسد جوعهم وطاقة جسدهم الضرورية فقط، فزعيم الدعوة المرابطية عبد الله بن ياسين كان طعامه من صيد البرية فيأكل لحمها ويشرب بعض الألبان [7]، وأما يوسف بن تاشفين فكان يأكل الشعير ولحوم الإبل وألبانها ولم يعرف عنه الإسراف في الطعام[8].

1- الونشريسي: المعيار، ج 2، ص 237.

2- الزنار:ما يشد وسط الجسد ويلبسه الذمي .أنظر: ابن منظور : لسان العرب ،مج 4،ص 381.

3- الونشريسي: المعيار، ج 2، ص 256.

4- الشكلة: تتكون من القميص والبرنس والقلنسوة لهم لون واحد وهو ازرق مسود أي كحلي .أنظر: ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب ،قسم الموحدين ،ص 288

5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 217.

6- ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص 51. الونشريسي: المعيار، ج 2، ص 255.

7- البكري: المغرب في ذكر افريقية و المغرب ، ص 165.

8- جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصر المرابطين والموحدين)، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،مصر ،2004،ص 255.

إلا أنه بمجرد ضم الأندلس فقد صار الأمراء المرابطين يعيشون حياة رغيدة وتنوعت أطعمتهم منها التفايا[1] وشواء أنواع اللحوم، والدجاج على الطريقة العباسية و .....[2] وقد اشتهرت اشتهرت نساء السودان الغربي بتحضير أشهى المأكولات وفي هذا الصدد يقول الحميري:« ويجلب منها- أودغشت- سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهم بمائة دينار كبار وأزيد لحسن عمل الأطعمة الطيبة ولاسيما أصناف الحلاوات مثل الجوزينيات... والكنافات والقطائف... فلا يوجد أحذق بصنعتها منهن»[3]. وكان هناك نظام خاص لتقديم الطعام لدى الطبقة الخاصة يتمثل يتمثل في كيفية تقديمه والأواني المناسبة له والأوقات المناسبة لتقديم كل أكلة في وقتها المعين[4].

أما طعام الطبقة العامة فقد تمثل في اللحم الجاف الذي يدهن بالشحم المذاب أو السمن، وشرابهم كان إما اللبن أو نقيع الزبيب [5]، وعرفت عندهم أيضا أكلة" أسلو" وهي خاصة بقبيلة لمتونة وتصنع من الحنطة[6]، وقد اعتاد أهل الصحراء من لمتونة وغيرها من القبائل على أكل بعض الزواحف والحيات والسلاحف، ويذكر أن أهل سجلماسة أكلوا حتى الكلاب والجرذان [7]، لكن أهل جدالة وسكان نول لمطة فقد اعتادوا أكل قديد الجمال وشراب لبن النوق، وأما أهل السوس ومراكش فقد عرفوا بأكل الجراد ويشربون شرابا يسمى أنزير [8] يصنع من العنب، وأهل أودغشت اعتادوا طبخ الكمأة مع لحوم الجمال، وأما أهل نفيس وأغمات وريكة فقد اعتمدوا على أكل

---

[1]- التفايا: هي أكلة ياكله اهل المغرب وهي تتكون من ابسط المكونات دقيق وماء . أنظر: جمال طه ،المرجع السابقن ص 255.

[2]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 255.

[3]- الحميري: المصدر السابق، ص 64.

[4]- المقري: نفح الطيب، ج 3، ص 128.

[5]- نقيع الزبيب: يقصد به دق الزبيب ثم نقعه في الماء أي رشه او وضعه في القليل من الماء ثم يصبح شرابه نقيعا .أنظر: الادريسي : صفة المغرب والاندلس ومصر وارض السودان مأخوذ من نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،مطبعة بريل ،ليدن ، 1866 ،ص 59.

[6]- أكلة أسلو:يقصد به قلي الحنطة بشكل معتدل ثم دقها حتى تصبح جريشا ثم مزج العسل بالسمن وعجن الحنطة به ووضعها على النار في اثناء عجنها ثم وضعها في مزاود ثم ياكلونها ويشربون اللبن ولا ياكلون بعدها طوال اليوم .أنظر: الادريسي :صفة المغرب ،ص 59.

[7]- نفسه، ص 58- 59.

[8]- أنزيز:هو عبارة عن عصير العنب الحلو يطبخ على النار الى ان يذهب منه الثلث ثم يرفع منها ويخلط بالماء لكي يصبح صالحا للشرب وهو في بعض الاحيان مسكر ،وكان اهل السوس يرون شربه حلالا ما لم يصل في درجة تركيزه حد السكر .أنظر :نفسه، ص 62-63.

الخبز والذي كانت بعض المناطق لا تعرفه إطلاقا [1]، وأما أهل مراكش ودرعة فقد تنوعت أطعمتهم ومن أشهر أكلاتهم [2] ما يسمى بتاحصصت [3].

هذا وقد اشتهر أهل فاس بوجباتهم الخفيفة المكونة من اللحم المسلوق والخبز والفواكه اليابسة مع البلح، أما أهل سبتة فقد اشتهروا بأكل الأسماك، هذا إضافة إلى انتشار البقوليات والخضر ببلاد المغرب وكانوا يستعملون في طبخهم زيت الزيتون وبعض التوابل كالكمون والكروياء وغيرها [4].

هذا وقد انتشرت أيضا خلال العهد المرابطي ظاهرة التسول وانتشرت خاصة بالمدن الكبرى كفاس ومراكش وتلمسان ووهران وغيرها من مدن المغرب والأندلس، وقد عملت الدولة المرابطية على محاربة هذه الظاهرة خاصة بمعاقبة من يتخذها حرفة ويستعملها كحيلة لجمع المال [5]، وقد عمل الأندلسيون على محاربتها بعدة أشكال حتى أنهم كانوا لا يتصدقون إلا على صاحب عذر، فإذا رأوا متسولا بصحة جيدة سبوه وأهانوه، وقد وجد التسول بالمجتمع المرابطي نظرا لكونه مجتمعا يتمتع بالرحمة والإحسان والصدقة [6].

وقد عرف أيضا المجتمع المرابطي العديد من الأمراض والأوبئة منها داء الحميات والطحال والذي انتشر بين سكان أودغشت بشكل كبير، ومرض العيون الذي انتشر بين أهالي سجلماسة إضافة إلى مرض الجذام الذي أصاب بعض المدن المغربية ووصل حتى الأندلس، وانتشار الحمى الوبائية نتيجة تساقط الأمطار في شهري جويلية وأوت، إضافة إلى بعض الأمراض التي أصابت

---

[1]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق ،ص 258

[2]- تاحصصت: هو نوع من التفايا المقلية المصنوعة من اللحم السمين الذي يقطع الى اجزاء صغيرة تضاف اليه بعض التوابل مع قليل من البصل والزيت والماء ويتم تحريك تلك الخلطة حتى تجف بعدها تقلى في الزيت حتى تنضج .أنظر: عيسى بن الذيب :المرجع السابق، ص 258.

[3]- الحميري: الروض المعطار، ص 46.

[4]- ابن القاضي :جذوة الاقتباس ،قسم 1،ص 203.

[5]- نفسه ، ص 219.

[6]- المقري: نفح الطيب، ج 1، ص 220.

الأطفال كالقروح في الرأس وداء الحية الذي يتسبب في سقوط الشعر، كذلك داء الطاعون والجرب والبرص والصداع وغيرها من الأمراض[1].

إضافة إلى الكوارث الطبيعية فقد عرف المجتمع المرابطي أيضا العديد من الآفات الاجتماعية أهمها السرقة وغالبا ما كان يقوم بها قطاع الطرق، وقد انتشرت السرقة في كل من المغرب والأندلس حيث يؤكد هذا ياقوت الحموي في تفسيره لاسم مدينة مراكش على أنه كلمة بربرية وتعني- أسرع المشي- لما في الموضع من قطاع الطرق واللصوص والاعتداء على القوافل [2]، وأما في الأندلس فيذكر هذا ابن الخطيب بقوله:«... التعدي في الطرق... والفتك بالرفاق»[3].

هذا وقد عرفوا بأوصافهم كالشعر الطويل وحملهم للرماح الطوال وكانوا يستهدفون الأثرياء وأرباب المواشي وحتى عامة الناس، ومن أشهر قطاع الطرق واللصوص في العهد المرابطي" أبو يعقوب تصولي" وكان قاطعا للطريق هو وأتباعه بالطريق المؤدي لمراكش ويقال أنه من أرض دكالة[4]، ويذكر أن خطر قطاع الطرق ازداد بشكل معتبر في أواخر الدولة المرابطية وذلك بعد أن صار قطاع الطرق يخدمون النساء المرابطيات من لمتونة ومسوفة على حد قول صاحب المعجب:«... وصارت كل إمرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل»[5].

وانتشر بالمجتمع المرابطي أيضا البغاء فبعد اتساع رقعة الدولة وتنوع أجناسها تفشت ظاهرة البغاء، وعملت الدولة المرابطية ما في وسعها لمحاربة تلك الآفة والحد منها إلا أنه صعب عليها القضاء عليها بصفة نهائية حيث وجدت بعض الأماكن الخاصة بها[6].

هذا وقد اهتمت الدولة المرابطية بعلاج هذه الأمراض بكل أنواعها إضافة إلى أن المجتمع المرابطي كان مستوعبا لأهمية العلاج والطب خصوصا، حيث كان المرضى ينتقلون من مدينة إلى

---

[1]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عهد المرابطين ، ص 206- 208.

[2]- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 111.

[3]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 249.

[4]- عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 201- 203.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 126.

[6]- ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص 50.

أخرى قاصدين الأطباء وباحثين عن العلاج، وكان للأطباء عيادات خاصة ومؤسسات لعلاج المرضى خصصتها الدولة لهم على نفقتها الخاصة، حيث وجد مرض الجذام قدرا معتبرا من الرعاية الطبية في مراكش حيث تم تخصيص مؤسسة علاجية لهم، وأما في فاس فقد تم تخصيص حارة كاملة لهم حتى لا تنتقل العدوى لباقي سكان المدينة[1].

هذا وقد اعتمد أيضا المجتمع المرابطي زيادة على العلاج الطبي على العلاج الطبيعي لبعض الأمراض، ويتمثل في أشربة وأعشاب وعجائن ودهون يقدمها العطارون للمرضى ويصفون لهم طرق استعمالها إضافة إلى الاستحمام في الحمامات والعيون الساخنة، ومن أهم الذين برزوا في هذا الميدان" أحمد بن أبي عبيد الله الأموي" المعروف" بابن العشاب" والذي كان له دكان واسع يجلس فيه ليبيع النباتات الطبية وكان عالما بالنباتات ومنافعها وأضرارها[2].

وقد لجأ بعض عامة المجتمع المرابطي إلى العلاج الروحاني أيضا والذي تمثل في رقية نوع من الأعشاب أو بقايا طعام أو ماء، وزيارة الأولياء الصالحين ومطالبتهم بالدعاء لهم بالشفاء، ولم يقتصروا على هذا فقط وإنما أيضا صاروا يزورون قبور الأولياء ويستشفون بتراب القبور، وقد انتشر هذا النوع من العلاج بشدة عند الصوفيين وممن اشتهر منهم بهذا النوع من العلاج المتصوف الزاهد" أبو يغزي"[3].

وأما فيما يخص عدد السكان وتوزيعهم في الدولة المرابطية فإنه كان يتأثر بالعوامل الاقتصادية والسياسية، ففي مرحلة تأسيس الدولة المرابطية كان عدد السكان كبيرا جدا نتيجة شيوع الأمن والازدهار الاقتصادي والعمراني[4]، فقد ساهم تأسيس مراكش في زيادة النمو الديمغرافي

---

[1]- ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 2، ص 33- 34.

[2]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عهد المرابطين ، ص 210- 211.

[3]- ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 2، ص 564.

[4]- تفسير للتطور الديمغرافي: يذكر ابراهيم القادري بوتشيش ان الضعف شمل المو الديمغرافي في بداية نشر الدعوة ،بحيث نكل المرابطون باهل سجلماسة وقتلوا اعداد كبيرة من اهلها ،وقتلوا في اخضاعهم لفاس سنة 462هـ حوالي عشرين الف شخص من مغراوة وبني يفرن وقتلوا كذلك جماعات من سكان مكناسة واشبيلية ،وبتامسنا كانت ابادة جماعية ،لكن بمجرد ان ترسخت جذور الدولة وهدات الاوضاع واستتب الامن ،بدا التطور الديمغرالفي يعرف بعض التوازن خاصة بعد تاسيس العاصمة مراكش ،الا انه في المرحلة الاخيرة من عصر النظام المرابطي عاد النمو الديمغرافي ليتراجع منجديد نتيجة الحروب سواء جهاد النصارى بالاندلس او الحروب مع الموحدين ،هذا وكان يتم احصاء السكان بوحدة الكانون والكانون تعني الاسرة المتكونة من خمسة افراد .أنظر: ابراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 55.

الديمغرافي حيث صارت هذه المدينة تستقطب مختلف الأجناس إضافة إلى القبائل الصنهاجية حتى بلغ عدد سكانها حوالي مائة ألف نسمة، وقد كانت أغمات مكتظة هي الأخرى بالسكان وأيضا بعض القرى وجبال فزاز[1].

هذا ولم يكن عدد سكان مراكش وأغمات وجبال فزاز فقط من المغاربة بل من الأجناس المختلفة، حيث تواجد في بلاط يوسف بن تاشفين حوالي ألفي سوداني إضافة إلى من كانوا ضمن الجيش حيث شارك حوالي أربعة آلاف في معركة الزلاقة، وأعداد أخرى كانت تباع في سوق النخاسة بالمغرب الأقصى فقد تواجد في فاس وحدها حوالي ثلاثمائة سوداني، إضافة إلى جنس الروم ضمن التركيبة السكانية للدولة المرابطية لكن عددهم كان أقل من السودانيين خاصة في عهد يوسف بن تاشفين حيث قدر ب 250 نصرانيا، لكنه بدأ يرتفع شيئا فشيئا إلا أنه لم يعادل عدد السودانيين حيث كان بالأندلس كلها حوالي أربعة آلاف فارس نصراني وبمكناسة ثلاثة آلاف[2].

وهناك من يقول أن عدد سكان مراكش بمختلف أجناسها حوالي مليون نسمة [3]، وأما فاس فيذكر أنه كان بها حوالي 42 ألف نسمة عند بداية تأسيس الدولة المرابطية وقتل منهم 7 آلاف ليتحول عدد سكانها إلى 36 ألف نسمة[4]، ويذكر ابن أبي زرع رأيا مخالفا حيث يذكر أن عدد سكان فاس كان يقدر ب 16 ألف نسمة وذلك بعد أن قضى المرابطون على 20 ألف نسمة[5]، أما تامستا فيذكر أن عدد سكانها عند تأسيس دولة المرابطين كان حوالي مليون نسمة وقد أبيدوا جميعهم[6].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش :مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 56-59.

[2]- نفسه ، ص 57.

[3]- مليون نسمة أي أن كل أسرة تتكون من خمسة أفراد. أنظر ابراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ، ص 58.

[4]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 236.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 113.

[6]- ابراهيم القادري بوتشيش :مباحث في التاريخ، ص 58.

أما أغمات فقد بلغ عدد سكانها حوالي 35 ألف نسمة إلى 40 ألف نسمة لكن بعد تأسيس مراكش أصبحت شبه خالية لأن الأغلبية انتقلوا إلى العاصمة مراكش، وقد عرفت تلمسان هي الأخرى نموا ديمغرافيا في عهد يوسف بن تاشفين وصل إلى حوالي 80 ألف نسمة[1].

لكن في أواخر أيام الدولة المرابطية ومع بداية الضعف السياسي والتفكك الإداري تراجع نمو السكان بالدولة نتيجة الحروب المتواصلة إما مع النصارى ببلاد الأندلس أو مع الحركات المناوئة كحركة الموحدين، حيث يذكر أن هذه الحروب قد حصدت العديد من أرواح السكان أثناء المعارك والحصار، حيث تم قتل سبعين ألف شخص أثناء سقوط مراكش بين يدي الموحدين، إضافة إلى عدد كبير مات تحت تأثير الجوع والحصار[2]. هذا إضافة إلى عدد كبير من السكان أيضا لقوا حتفهم بسبب الأوبئة والأمراض والمجاعات التي شهدتها الدولة المرابطية.

أ- 2- الحياة الثقافية والإنجازات الحضارية:

لقد أولت الدولة المرابطية اهتماما كبيرا بالعلوم الدينية منذ تأسيسها، وذلك انطلاقا من اهتمامها بالفقهاء وعلماء الدين، وتقريبهم من بلاط الدولة حيث يذكر ذلك صاحب المعجب في قوله:«... ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحضى عنده إلا من علم علم الفروع أعني فروع مذهب مالك، ... في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذها سواها وكثر ذلك...»[3]، ويؤكد هذا أيضا ابن أبي زرع الفاسي حيث يقول عن يوسف بن تاشفين:« كان محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم متكرما لهم»[4] فقد اهتم أمراء الدولة المرابطية بجميع الفقهاء حتى فقهاء الأندلس كانت لهم مكانة خاصة عند الأمراء المرابطين مما جعل مجموع الفقهاء المغاربة والأندلسيين يكونون طبقة خاصة بهم في المجتمع المرابطي قد تمت الإشارة إليها سابقا وصار لهذه الطبقة دور كبير في شؤون الدولة[5].

[1]- ابراهيم القادري بوتشيش :مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص 59.

[2]- نفسه ، ص 58.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص177.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص180.

[5]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 338.

وقد تخصص علماء وفقهاء الدولة المرابطية في مذهب الدولة وهو المذهب المالكي، حيث صارت كل الأحكام والفتاوى تستمد منه ويؤكد هذا الرسالة الصادرة من تاشفين بن علي بن يوسف سنة 538هـ الموافق لـ 1143م إلى أهل بلنسية حيث يقول:«... واعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدا على ما اتفق عليه السلف الصالح... على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه... ومن حاد عن رأيه فتواه ومال عن الأئمة إلى سواه فقد ركب رأسه واتبع هواه»[1].

وقد صارت المدن المغربية مراكز لدراسة المذهب المالكي وقد حفلت المجالس والندوات ودور العلم بالفقهاء والعلماء المالكيين [2] في مختلف مجالات العلوم الدينية، فقد اهتم الفقهاء والعلماء المرابطون بمختلف العلوم الدينية أهمها:

– **علوم الفقه والحديث:** ومن أهم من برز في هذا العلم خلال العصر المرابطي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد(450- 520هـ) قاضي الجماعة بقرطبة وأحد أعلام الفقه المالكي بالأندلس، برز في علم الفرائض والأصول ومن أشهر مؤلفاته: كتاب" المدونة"، وكتاب" البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل"[3].

وكذلك القاضي الفقيه من سرقسطة أبو علي الصدفي حيث أخذ مبادئ العلم بالأندلس ثم ارتحل إلى المشرق سنة 480هـ وعاد سنة 490هـ وفي جعبته الكثير من العلوم والمعارف مما جعل طلاب العلم يتوافدون عليه بمرسية من مختلف أنحاء الأندلس، وقد برز في علم الحديث جامعا له وحافظا لمصنفاته قائما عليها ذاكرا لمتونها وأسانيدها ورواتها، وقد كان عارفا بطرق تناقل الحديث وأسماء رجاله وقد كتب صحيح البخاري في سفر، وصحيح مسلم في سفر[4].

هذا إضافة إلى الفقيه القاضي أبو بكر بن العربي وهو أحد أعظم فقهاء الأندلس، تولى القضاء فترة قصيرة بإشبيلية ثم انقطع للتدريس والبحث والتصنيف ومن أشهر ما ألف كتاب"

---

[1]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص 465.

[2]- نفسه ، ص 466.

[3]- ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص 576- 577.

[4]- ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص 144- 146.

العواصم والقواصم"، وكتاب" أنوار الفجر"، وكتاب" قانون التأويل"، وكتاب" القبس في شرح موطأ مالك"، وقد بلغت مؤلفاته حوالي أربعين كتابا[1].

وقد برز أيضا في علم الفقه خلال عهد المرابطين قاضي غرناطة أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المعروف بالقاضي عياض، وقد ولي القضاء وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره سنة 530هـ، وقد كان متمسكا بقضاء الحدود وتطبيق الأحكام فقد كان يعد من كبار علماء المذهب المالكي ومن مؤلفاته" ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك".

وهناك صاحب كتاب" اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار" وقد كانت له عناية بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف بن أحمد ابن عمر اللخمي[2].

كذلك برز في علم الحديث أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة ابن محمد الخزرجي صاحب كتاب" آفاق الشموس وأعلاق النفوس" وهو كتاب في أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن عطية المحاربي وله كتاب يسمى" بالوجيز في التفسير"، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي المعروف بابن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة[3].

وقد نال أيضا علم التفسير للقرآن الكريم عناية فائقة خلال العهد المرابطي، فقد نالت جميع العلوم الدينية الحظ الوافر والعناية التامة في عهد المرابطين ما عدا علم الكلام [4]، فقد كانوا يتهمون كل من يخوض في علم الكلام بالكفر، وقد أصدر فقهاء المرابطين قرارا بتقبيح علم الكلام ووصفه بأنه بدعة في الدين ومنعوا الخوض فيه وتوعدوا كل من يخوض فيه بالعقاب، لكن رغم ذلك فقد درسته فئة قليلة جدا ومنهم أبو بكر بن محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي

---

[1]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 3، ق 2، ص 456.

[2]- ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص 297.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 399.

[4]- علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية ،بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة ،وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد .أنظر: ابن خلدون :المقدمة ،ص 467.

المتوفي سنة 489هـ الموافق ل 1096م، وقد أخذ عنه أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير والمتوفى سنة 520هـ الموافق ل 1125م[1].

– **علوم اللغة** : لقد اعتنى الأمراء المرابطون بهذا النوع من العلوم فبرز فيه العديد من العلماء ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد السيد البطليوسي النحوي المتوفى سنة 521هـ، وقد كان حجة بالغة في هذا العلم بحيث يجتمع الناس عنده ليقرؤوا عليه، ومن مؤلفاته" الإقتضاب في شرح أدب الكتاب"، ومؤلف" التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة"[2].

ومن علماء اللغة أيضا في عصر المرابطين أبو الحسن علي بن أحمد ابن خلف الأنصاري النحوي وقد برز في عصر علي بن يوسف بن تاشفين، ويعد أحد علماء الآداب واللغة [3]، ونجد أيضا أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن غزوان الفهري وهو أحد علماء النحو واللغة والعروض، ومن مؤلفاته" فوائد الإفصاح عن شواهد الإيضاح"[4].

كان أيضا لعلم التاريخ العناية الوافرة في عهد المرابطين حيث برز العديد من أعلام الرواية والكتابة التاريخية وعلى رأسهم أبو زكرياء يحي بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي وقد كتب وهو بغرناطة عن الأمير تاشفين بن علي في ولايته عن الأندلس ومن مؤلفاته التاريخية" الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"، وكتاب" قصص الأنباء وسياسة الرؤساء"[5].

ومن برزوا في علم التاريخ أيضا أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542هـ الموافق ل 1148م، ومن أهم مؤلفاته" الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ، ويعتبر هذا المؤلف موسوعة أدبية تاريخية يتضمن تراث القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر ميلادي، وقد أنهي الشنتريني تأليفه سنة 503هـ الموافق ل1110م[6]، ونجد أيضا من علماء التاريخ ابن علقمة وهو من

[1]– المراكشي: المعجب، ص87؟، ابن المؤقت: السعادة الأبدية، ج 2، ص 121.
[2]– ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص 292– 293.
[3]– نفسه، ج 2، ص 425.
[4]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 400.
[5]– نفسه، ص 401.
[6]– محمد عبد الله عنان: ع 3، ق 2، ص 448– 449.

أهل مدينة بلنسية وقد ألف تاريخيا حول تغلب نصارى الأندلس على بلنسية مؤلفا بعنوان" البيان الواضح في الملم الفادح"[1].

وهناك العديد ممن اهتموا بتدوين التاريخ مثل أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الإشبيلي والمعروف بالفتح بن خاقان، ومن مؤلفاته كتاب" قلائد العقيان في محاسن الأعيان" و" مطبع الأنفس ومسرح التأنس" وكتاب" رواية المحاسن وغاية المحاسن"، إضافة إلى صاحب كتاب" الغوامض والمبهمات" في اثني عشر جزءا وهو أبو القاسم خلف بن عبد الملك والمعروف بابن بشكوال وله العديد من المؤلفات أهمها كتاب" الصلة" الذي جعله تتمة لكتاب ابن الفرضي في" تاريخ علماء الأندلس" ويذكر أن ابن بشكوال قد توفي سنة 578هـ الموافق ل1184م[2].

وقد اهتم المرابطون أيضا بعلم الجغرافيا حيث نبع فيه عدد كبير من العلماء بالمغرب والأندلس خاصة في عصر الأمير علي بن يوسف ومن أهم العلماء الجغرافيين في هذا العصر الشريف أبو عبد الله محمد الإدريسي ومن أهم مؤلفاته" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ويطلق على الكتاب اسم" الكتاب الرجاري Libro Rogeriano " وذلك لأنه يذكر أن الإدريسي ألفه نزولا عند رغبة" رجار الثاني"[3] صاحب صقلية[4].

ومن أبرز علماء الجغرافيا أيضا بالعصر المرابطي عبد الله ابن إبراهيم بن وزمر الحجاري صاحب كتاب" المسهب في غرائب المغرب"، وابن سعيد المغربي صاحب كتاب" المغرب في حلى المغرب"[5].

هذا وقد اهتم المرابطون أيضا بالعديد من العلوم العقلية زيادة على ما ذكرناه سابقا مثل العلوم الطبية والصيدلانية، حيث شهدت هذه الأخيرة ازدهارا واسعا في عهد المرابطين خاصة في عصر علي بن يوسف بن تاشفين ومن بين من اشتهر في هذا الميدان الطبيب الأندلسي" ابن زهر Avenzoar " واسمه الكامل أبو مروان عبد الملك بن زهر، ويعتبر هذا الطبيب من أشهر

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 401- 402.

[2]- نفسه ، ص 402.

[3]- رجار الثاني: صاحب صقلية .أنظر: ابن الخطيب : أعلام الأعمال ،ج3،ص 105

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 403.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

الأطباء في تاريخ الحضارة الإنسانية، فهو ينتسب إلى أسرة أندلسية برعت بشدة في ميدان الطب والعلوم الطبيعية والكيمياء، وقد ألف للأمير المرابطي أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين كتاب" الاقتصاد في صلاح الأجساد"[1]. ومن أهم ما ألف أيضا كتاب" التيسير في المداواة والتدبير" وقد ألفه أيضا بطلب من القاضي الفقيه أبو الوليد بن رشد، ويعتبر هذا المؤلف أعظم مراجع الطب خلال العصور الوسطى، إضافة إلى كتاب" الأغذية" والرسالة التي بعث بها إلى بعض أطباء إشبيلية لعلاج علتي البرص والبهاق، وسجن على إثر هذه الرسالة ثم أفرج عنه ليعود إلى إشبيلية التي توفي بها سنة 557هـ الموافق ل1163م[2].

وممن برز أيضا في ميدان الطب خلال العصر المرابطي أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي وله مؤلف بعنوان" الشفا"، وأبو عامر محمد بن يحي بن محمد بن خليفة بن بتق، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن جودي السعدي وأبو محمد عبد الله بن يوسف بن جوشن الأزدي[3].

هذا ومما يؤكد اهتمام المرابطين بعلم الطب والصيدلة هو وجود منصب رئيس الصناعة الطبية ويكون صاحبه المسؤول الأول أمام الأمير عن شؤون الطب والصيدلة وكل ما يتعلق بالصحة والأمراض وأسبابها والأدوية الكيميائية وأيضا الأدوية بالأعشاب[4].

واهتم المرابطون أيضا بالعلوم الصعبة والغامضة نوعا ما عند بعض الناس ومشبوهة عند الآخرين كعلم الفلك والتنجيم[5]، حتى صاروا لا يخوضون حربا ولا يؤسسون مدينة إلا ورجعوا لآراء

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 408.

[2]- محمد عبد الله عنان: ع 3، ق 2، ص 473.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 408- 409.

[4]- نفسه، ص 409.

[5]- علم الفلك والتنجيم: هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة و،ويستدل بكيفيات الحركات على اشكال واوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوبة بكرق هندسية ،ويسميه ابن خلدون بعلم الهيئة ويذكر ا ناهل المغرب عنوا بهلوثاقة مبناه على مايزعمون ،واما التنجيم فهو معرفة مواضع الكواكب من الفلك لتبنى عليها الاحكام النجومية ،وهو معرفة الاثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية والكوائن الحادثة ، فالمنجمون يستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية ،و في العصر الحديث صار التنجيم فن يتلاعب به من يشاء باسس وطرق مختلفة غالبا ما يفتقر الى اسس علمية.انظر ابن خلدون :المقدمة ،ص 339،515،محمد رجب السمرائي :علم الفلك عند العرب ،منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر ،بغداد ، العراق ، 1984،حميد مجول النعيمي :علم الفلك والتنجيم ،جامعة الامارات للفلك ، 2011-08-16:28،22 . www.falak.ae

علماء الفلك والمنجمين، وقد اعتمد أيضا بعض علماء الدين على علم الفلك في تحديد مواقيت العبادات كالصلاة والصوم والحج[1].

ومن شدة اهتمام المرابطين بعلم التنجيم فقد كان رئيس مجلس العلماء عند المرابطين ملما بعلم التنجيم وهو الوزير مالك بن وهيب وقد سبق الإشارة إليه، ونجد أيضا العديد من العلماء الذين برزوا واختصوا في علم الفلك والتنجيم وذلك خاصة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ومنهم ابن الكماد واسمه الكامل أبو العباس أحمد بن يوسف التنوخي ومن أهم مؤلفاته كتاب" القبس والمستنبط على أرصاد أبي إسحاق الطليطلي المعروفة بالزرقالة"، وأبو الحسن علي بن خلف الأموي صاحب كتاب" اللؤلؤ المنظوم في معرفة الأوقات بالنجوم" والعديد من أعلام الفلك والتنجيم[2].

هذا وقد اهتم أيضا المرابطون بعلم آخر كان محل جدل في العديد من العصور الإسلامية وهو علم الفلسفة[3] وقد منحته الدولة المرابطية مكانة سامية وتألق في سمائها العديد من العلماء في هذا المجال وأشهرهم الفيلسوف أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف باسم ابن باجة [4]، وقد بلغت مؤلفاته في هذا المجال حوالي 25 مؤلفا، كما اشتغل على شرح بعض مؤلفات أرسطوومنها" السماع الطبيعي"، وشرح" المنطق" للفارابي، ومن بين فلاسفة العصر المرابطي أيضا مالك بن وهيب الإشبيلي وقد برز في أكثر من علم واحد[5].

هذا ويذكر أن المرابطون لم يولوا اهتماما كبيرا بالفنون الأدبية من شعر ونثر وموشحات وأزجال خاصة عصر يوسف بن تاشفين الذي تميز بالجهاد والكفاح، أما في

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 409.

[2]- نفسه، ص 410.

[3]- علم الفلسفة:هي علوم الحكمة وهي تشتمل على اربعة علوم الاول علم المنطق ،والثاني علم الارمتماطيقي ،والثالث علم الموسيقى ، والرابع علم الهيئة .أنظر: ابن خلدون :المقدمة ،ص 504-505

[4]- ابن باجة: ذاع صيته في الاندلس واوروبا في العصور الوسطى ،عرفه الناس باسم Avenpace،عاش في مدينة سرقسطة في بلاط المستعين بالله بن هود ،وبعد انضواء سرقسطة تحت لواء المرابطين تمكن ابن ماجة من اكتساب ثقتهم ،فاتخذه عاملها ابوبكر ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تافلويت وزيرا وكاتبا وظل في خدمته إلى أن توفي .أنظر: حمدي عبد المنعم ،محمد حسين : التاريخ السياسي والحضار للمغرب والاندلس في عصر للمرابطين، ص 411.

[5]- نفسه، ص 411.

عصر ابنه الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين فقد ازدهر سوق الشعر حتى أقل الشعراء على الأمراء بقصائد المدح وانتشر أيضا فن النثر والنظم والموسيقى والغناء حتى صارت مجالس الأمراء مليئة بالشعر والغناء، ويؤكد على هذا حمدي عبد المنعم ومحمد حسين نقلا عن غرسييه في قوله:« إن الشعر الأندلسي لم يمت في عصر المرابطين وكل ما حدث أنه كيف نفسه بما يلائم الظروف الجديدة التي أحاطت به، بيد انه من الإنصاف أن نقرر أن خلفاء يوسف بن تاشفين لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثقافة الأندلسية العاهرة وأصبحوا أقرب إلى الأندلسية منهم إلى الأفارقة»[1].

هذا ويذكر أن بلاط علي بن يوسف بن تاشفين كان مزدحما بأكبر شعراء الأندلس من أمثال أبي العباس أحمد بن عبد الله القسي المعروف بالأعمى التطيلي وقد قال قصيدة في مدح علي بن يوسف بن تاشفين ومنها[2]:

يَا عَلِيَّ العَلاَءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ	وَ مَا أَنتَ لِلْمُلْكِ بِالسَّائِسِ
يَا رَبِيعَ البِلاَدِ يَا غَيمَةَ العَا	لَمِ مِنْ بَينِ مُؤْتَلٍ وَمَــوَّالِ
يَا قَرِيعَ الأَيَّامِ عَنْ كُلِّ مَجْدٍ	يَا سَلِيلَ الأَذْوَاءِ وَالأَقْيَـــالِ
لَكَ مِن تَاشْفِينَ أَوْ مِنْ أَيِّ	يَعْقُوبٍ ذِكْرَى مَكَارِمٍ وَفِعَالِ [3]

والعديد من الشعراء منهم أبو بكر بن سهل اليكي، ومحمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي، وأيضا أبو بكر يحي بن محمد بن يوسف، هذا وقد كان القضاة والفقهاء والعلماء محل احترام وتقدير عند غالبية الشعراء في العصر المرابطي حتى أنهم نظموا قصائد في مدحهم [4]، ومما قاله الشعراء في القضاة مدح الأعمى التطيلي للقاضي الفقيه ابن حمدين في قوله:

---

[1]- حمدي عبد المنعم ،محمد حسين :التاريخ السياسي والحضار للمغرب والأندلس في عصر للمرابطين ، ص 383.

[2]- نفسه، ص 383.

[3]- نفسه، نفس الصفحة. الأعمى التطبلي: الديوان، تح: إحسان عباس، بيروت، 1963، ص 104.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 385.

إليك ابن حمدين وإن بعد المدى وإن غربت بي عنك إحدى المغارب

صبابة ود لم يكدر حمامـــــــه مرور الليالي وازدحام السوائـــــــب

وذكرى عساها أن تكون مـــهزة ترد على أعقابه كل شاغــــــــب

بأية ما كان الهوى مــــــتقاربا وخطوى فيه ليست بالمــــــتقارب[1]

إلا أنه كانت هناك طائفة أخرى من الشعراء في العصر المرابطي انتقدت حكم المرابطين وفقهائهم ومنهم الشاعر أبو بكر يحي بن سهل اليكي والذي قال في هجاء المرابطين ما يلي:

في كل من ربط اللـــــثام دناءة ولو أنه يعلو على كــــــيوان

ما الفخر عندهم سوى أن يتعلوا من بطن زانية لظهر حصـــان

المنتمون لحمير لكنـــــــهم وضعوا القرون مواضع التيجان

لا تطلبن مرابطا ذاعـــــــفة وأطلب شعاع النار في الغدران [2]

ومنهم من قصد في شعره الهجائي الفقهاء بالضبط وأحكامهم وفتاويهم كأبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن البني حيث يقول:

أهل الرياء لبستمو ناموســـكم كالذئب أدلج في الظلام العـاتم

فتملكتمو الدنيا بمذهب مالـك وقسمتمو الأموال بابن القــاسم

وركبتمو شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم [3]

فالشعر قد نشط في عهد المرابطين بكل أوجهه وفي كل أغراضه من مدح وهجاء وفخر وحتى رثاء وغيرها، وقد ارتبط بالشعر فن آخر من الفنون الأدبية وهو النثر، فمعظم الشعراء كانوا

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 386.

[2]- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج 2، ص 266.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص387.

يجيدون الكتابات النثرية وبرزت كتاباتهم في الرسائل الديوانية والإخوانية والعلميةذات الصيغة الأدبية، وتميزت كتاباتهم النثرية باستعمال المحسنات البديعية والصور البيانية بشكل مبالغ فيه[1].

ومن أشهر كتاب النثر في جميع أنواع الرسائل معظم كتاب الديوان المرابطي منهم ابن خاقان، وابن عبدون، وابن الجد، وابن الصيرفي، وابن أبي الخصال، وابن الأزرق القرطبي وغيرهم[2].

هذا وقد اهتم المرابطون أيضا بالموشحات [3] حيث شاع شيوعا كبيرا في عصرهم ونبغ فيه العديد ممن اهتموا بهذا الفن كيحي بن بقى القرطبي، والأعمى التطبلي هذا الأخير الذي يذكر أنه تفوق ونبغ في هذا المجال عن كل أترابه حتى عزم الموشحون في إحدى المجالس على تمزيق موشحاتهم بعد سماع موشحته التي نذكر منها ما يلي:

ضاحك عن جمان س ـــافر عن در

ضـاق عنه الزمان وح ـــــوله صدري[4]

وقد نبغ أيضا في هذا المجال ابن باجة وهو فيلسوف وأديب ووشاحي أيضا، كما شاع أيضا في عصر المرابطين الزجل[5] وهو فن استحدثه العامة ونظموه بطريقتهم الحضرية ولغتهم، وأولمن ابتكره

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 389.

[2]- نفسه، ص387.

[3]- الموشحات: مفردها موشح يذكر ابن خلدون في تعريفه لهذا الفن أنه لما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح، ينظم أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد، وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية واستطراف الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه. أنظر : ابن خلدون: المقدمة، ص 436.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 392.

[5]- الزجل: يذكر ابن خلدون أنه لما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظر فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاؤوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة. أنظر : ابن خلدون: المقدمة، ص 441.

هو أبو بكر بن قزمان القرطبي المتوفى سنة 555هـ، وقد اشتهرت كتاباته من الزجل في المشرق والمغرب حتى جمعت له في ديوان خاص[1]، ومن أزجال ابن قزمان ما يلي:

والكتف يتعلق والقحف يقســـم

وشينوران راقد في بــرك مـــن دم

قد حط فيه السيف حطا لا يفــهم

وجاء الغبار من فوق يحمل نشاره[2]

هذا وقد برز في عصر المرابطين علم آخر وهو علم التصوف أو حركة دينية تتمثل في الزهد ومجاهدة النفس والإكثار من العبادة والأذكار، ولم يكن نفسه التصوف الذي بالمشرق والذي اغترف من علوم الفلسفة والكلام[3]، وممن برز في هذا العلم ابن العريف [4] حيث يدعو هذا الآخر إلى وجوب الزهد في كل شيء ما عدا الله، وألف لطريقته الصوفية هذه كتابا أسماه" محاسن المجالس"، وقد ذاع صيته وصار له أتباع كثيرون حتى بلغ ذلك الأمير المرابطي علي بن يوسف ابن تاشفين، والذي أمر بإحضاره إلى مراكش بعد أن أنكر فقهاء ألمرية مذهبه وحذروا منه، إلا أن ابن العريف لم يمكث طويلا بمراكش لأنه توفي ودفن بها في يوم الجمعة 23 صفر 536، ويذكر أن أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين قد ندم على ما كان منه من تشديد الحرص والحذر من ابن العريف وأفكاره[5]، وقد كان ابن العريف ينظم شعرا بخصائص وسمات صوفية، ومن أشعاره ما يلي:

---

[1]- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج 1، ص 167.

[2]- نفسه، ص 167- 168.

[3]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 476.

[4]- ابن العريف: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي الأندلسي الألميري المعروف بابن العريف، ولد سنة 481 هـ نشأ نشأة دينية وأقبل على دراسة الفقه وعلوم الدين واشتهر بالزهد والعبادة. أنظر : السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص 183- 184. حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 403- 404 . أحمد بابا التنبكتي :كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،تح :محمد مطيع ،ج 1،مطبعة فضالة ،المحمدية ،المغرب ، 2000،ص 71.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 404- 405.

شدو المطي وقد نالوا المـــنى بمنى وكلهم بأليم الشوق قــد باحا

سارت ركائبهم تنــدى روائحها طيبا بما طاب ذلك الوفد أشباحا

نسيم قبـر النبي المصطفى لهـم روح إذا شربوا من ذكـــره راحنا

يا واصلين إلى المختار من مضر زرتـم جسوما وزرنـ ـا نحن أرواحا

أنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عـ ـذر كمن راحا

ولم يكن ابن العريف البارز الوحيد في هذا العلم فقد برز فيه أيضا ابن الإقليشي وهو أبو العباس أحمد بن معد ابن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد وأصل أبيه من إقليش فيعرف بابن الإقليشي، وقد كان عالما متصوفا وشاعرا، ومن مؤلفاته كتاب" الكواكب"، وكتاب" النجم من كلام سيد العرب والعجم"، وكتاب" ضياء الأولياء"، وهناك بعض المتصوفة الذين تحولوا من علماء تصوف إلى مناهضين لسياسة المرابطين ويسمون بالمريدين [1] وسيرد التفصيل في أمرهم في المباحث اللاحقة.

اهتم المرابطون أيضا بفن الزخرفة الأندلسية وذلك لشدة تأثرهم بالفنون الزخرفية الأندلسية فقد كان علي بن يوسف شغوفا بالزخارف النباتية مما جعله يدخلها في زخرفة المسجد الجامع بتلمسان فأصبحت زخرفة هذا الجامع صورة طبق الأصل من الزخارف النباتية في قصر الجعفرية بسرقسطة وقصر القصبة بمالقة.

هذا ولم يهتم المرابطون في بداية قيام دولتهم بفن الموسيقى والغناء إلا أن احتكاكهم بالأندلسيين وإطلاعهم على حياتهم وما بها من وسائل الترفيه والتسلية خاصة مجالس الشعر والموسيقى والغناء، فقد تأثر المرابطون بهذا المجال ومال بعض أمراء الدولة المرابطية للاهتمام بهذا المجال خاصة مع وجود بعض الجواري اللائي يحسن الغناء، حتى صار المرابطون يلفتون أنظار الأندلسيين باهتمامهم بهذا المجال وذلك من خلال إهداء الأمير يوسف بن تاشفين المعتمد بن

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 405- 406.

عباد جارية مغنية[1] وبمرور الزمن صارت الآلات الموسيقية وكل أنواع الغناء واللهو مسموحا به في الدولة المرابطية[2].

إلا أنه في كل المجالات الثقافية والعلمية التي ذكرناها أوردنا العديد من الشخصيات العلمية والثقافية وكلها شخصيات رجالية مما يوضح غياب المرأة في الحياة الثقافية المرابطية بشكل كبير جدا لكن ليس كليا، ذلك أن النساء من مختلف طبقات المجتمع المرابطي لم يكن لهن حظ في التعلم ما عدا اللواتي تنتمين إلى الأسرة الحاكمة حيث تشير العديد من المصادر والمراجع أن نساء الأسرة الحاكمة تحصلن على قسط وافر من العلم والثقافة، فقد كانت تميمة بنت يوسف بن تاشفين وأخت علي بن يوسف المكناة أم طلحة راجحة العقل مشهورة بالأدب والكرم، وابنة أخ يوسف بن تاشفين لأمه وهي حواء بنت تاشفين كانت أديبة وشاعرة وكانت تحضر المجالس الأدبية وتحادث الشعراء والأدباء[3].

هذا وقد ساهم بعض أهل الذمة بالحياة الثقافية والعلمية في الدولة المرابطية، حيث كان لبعض علماء اليهود بالمغرب والأندلس في العصر المرابطي حرية الكتابة والبحث، فقد وضع العالم يهوذا شويج الفاسي قاموسا عبريا ومباحث قيمة عن الإنشاء والترقيم في اللغة العبرية، كما أنه ازدهرت المباحث العلمية اليهودية بالأندلس بشكل خاص[4].

هذا وقد انعكست الحياة الثقافية والدينية في العهد المرابطي على المجال العمراني، حيث انقسمت العمارة المرابطية إلى ما يلي: عمارة دينية وعمارة مدنية وعمارة عسكرية أو حربية[5].

– **العمارة الدينية:** اهتم المرابطون منذ بادئ أمرهم بالمنشآت الدينية، حيث أن الدين كان الطابع الذي يسود الحياة العامة فيذكر أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين شرع في بناء

---

[1]– الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ص 430.

[2]– انتشار الآلات الموسيقية والغناء بالدولة المرابطية كان سببا في مساعدة ابن تومرت على انتقاد سياسة المرابطين. أنظر حسن محمود حسن: قيام دولة المرابطين، ص 422- 423، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 108.

[3]– ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص 105- 106، الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ص 357.

[4]– يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج 2، ص 256.

[5]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 361.

عاصمته مراكش ببناء مسجدها الكبير، واهتم من بعده ابنه علي بن يوسف ببعض الإضافات في مئذنته حيث كلفه ذلك 70 ألف دينار[1].

ومن أهم المنشآت الدينية التي اهتم بها المرابطون جامع القرويين [2] بفاس حيث أمر علي بن يوسف بن تاشفين بالزيادة فيه حيث بلغت الزيادة في مساحته بحجم خمس وثمانمائة وألف متر مربع وهذا كان سنة 530 هـ الموافق ل 1135م[3].

هذا وقد اهتم المرابطون عموما ببناء المساجد في كافة مدينة فاس، حيث أمر يوسف بن تاشفين ببناء مسجد بكل شارع وذلك سنة 463هـ الموافق ل 1071م[4]. ومن المنشآت الدينية أيضا للمرابطين المسجد الجامع بتلمسان وقد بني هذا الأخير في عهد علي بن يوسف سنة 530هـ الموافق ل 1135م[5]، وهو مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب حوالي 60 مترا مترا ومن الشرق إلى الغرب حوالي 50 مترا[6].

ويتضح في هذا المسجد فن الزخرفة الأندلسية بشكل جلي خاصة في مقصورة المحراب وهي شبيهة إلى حد كبير وتقليد مباشر لمقصورة المسجد الجامع بقرطبة خاصة في لوحتي الرخام اللتين تكسوان إزار واجهة المحراب بتلمسان، ونجد تقليدا آخر في السقف الخشبي المسطح وهو النحو

---

[1]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 367، ابن المؤقت: السعادة الأبدية، ج 1، ص 14.

[2]- جامع القرويين: اسسته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري ام البنين من نساء مهاجري القيروان الذين استقروا في عدوة القرويين بفاس ،كان والدها ذو ثراء طائل ،ولم يكن لديه الا بنتان هما فاطمة ومريم ،وهبت فامة كل ما تملكه لبناء جامع القرويين وقد ابتدا بناؤه سنة245هـ الموافق ل 859م انظر الناصري :الاستقصاء ،ج 1،ص 157،ايمام بنت دخيل الله العصمي :العلاقات العلمية بين الاندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث هجري وحتى سقوط غرناطة (201هـ-897هـ)/(817هـ-1492م)،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ،الدراسات العليا التاريخية ،قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ،جامعة ام القرى ،المملكة العربية السعودية ،2009،ص 257.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 364، الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 398- 399.

[4]- االناصري : الاستقصاء، ج 2، ص 29.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 367.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

المتبع بالمسجد الجامع بقرطبة، وهناك تقليد في العديد من النواحي من المسجد الجامع بتلمسان للمسجد الجامع بقرطبة[1].

وتمثل قبة البروديين بمراكش إحدى أهم المنشآت الدينية المرابطية وتعتبر أروع ما أنتجه الفن المرابطي، وهي تقع بالقرب من الجامع الذي شيده علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش، وقد تم بناؤها فيما بين 514- 525هـ الموافق ل 1120- 1130م، وقد تم بناؤها على أساس لتكون مدفنا لإحدى الشخصيات المهمة لكنها لم تكن كذلك وتحولت إلى مضيأة[2].

وهناك قبة أخرى أبرزت مدى اهتمام المرابطين بالعمارة الدينية هي قبة دار الوضوء في مسجد أبي يوسف وهي موجودة بالمسجد الذي أسسه علي بن يوسف بن تاشفين، وهذه القبة تظهر للرائي كأن الزخرفة الأندلسية انبعثت بمراكش من جيد وليس تقليدا[3].

هذا إضافة إلى منبر مسجد الكتبية بمراكش حيث يعتبر من أعظم المنابر الأثرية للمرابطين، فقد نقش على هذا المنبر العبارة التالية:« اللهم أعن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين ومن بعده ولي عهده تاشفين» وهو ما يحدد تاريخ بناء هذا المنبر وهو بين سنتي 534- 537هـ وهي الفترة الممتدة بين تولية تاشفين ولاية عهد أبيه ووفاة أمير المسلمين علي بن يوسف [4]. ويمتاز هذا المنبر بالزخرفة مطعمة جوانبه بالعاج، وبه زخارف نباتية وفي سقفه بقايا حشوات خشبية ذات الأشكال المختلفة المزينة بعناصر نباتية رائعة من النوع المعروف بالأرابسك[5].

أما بالنسبة للمدارس التي يمكن إدراجها ضمن المنشآت الدينية فلم تذكر المصادر والمراجع الكثير عنها ما عدا ما جاء حول المدرسة التي أنشئت في عهد يوسف بن تاشفين وسميت بمدرسة الصابرين ولم يذكر مكان بنائها[6]، مما يدل على أن المرابطين كانوا يتلقون العلوم بالمساجد والجوامع

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 368.

[2]- نفسه، ص 368- 369.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 369- 370.

[4]- نفسه ، ص 380.

[5]- نفسه، ص 380- 381.

[6]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 401.

والجوامع والأربطة والزوايا [1]. حيث عمل المرابطون على بناء الأربطة والزوايا تقديسا لدعوتهم التي بدأت رباط عبد الله بن ياسين، ثم جعلوا ما تم بناؤه من أربطة وزوايا لغرض الزهد والتعبد والتقرب إلى الله ثم الجهاد، لكن بمرور الزمن تحولت هذه الأربطة عن غاية الجهاد إلى غاية التعليم بهدف نشر تعاليم الإسلام واللغة العربية خاصة في المناطق الداخلية من المغرب التي كانت لا تزال بحاجة إلى العديد من التوضيحات في الإسلام ولغته، ومن أجل هذه الغاية الأخيرة وهي التعليم انتشرت الأربطة والزوايا في مختلف أجزاء المغرب[2].

– **العمارة المدنية** : لقد اعتنى بها المرابطون أشد الاعتناء حيث شيدوا القصور والقناطر والحمامات والفنادق، فمن أهم القصور التي شيدها المرابطون قصر منتقوط في مرسية، وقد تميز هذا القصر بالتناسق التام في مخارج سوره ومداخله وفي توزيع غرفه، ويتوسطه صحن مستطيل يطل على جانبيه القصرين جوسقان مربعان بارزان، ويتقاطع ممشيان يؤلفان محوري البناء على شكل صليبي وتمتلئ المستطيلات الأربعة الناشئة من هذا التقاطع بأشجار البرتقال والليمون[3].

أما القناطر فقد أنشأ المرابطون العديد منها على أنهار المغرب الأقصى، وذلك من أجل ربط المناطق ببعضها البعض مع استغلال مياه الأنهار، ومن أهم القناطر التي بناها المرابطون قنطرة تانسيفت على نهر تانسيفت والتي بلغ طولها أربعمائة متر وقد بنيت بالآجر والجير في عهد علي بن يوسف بن تاشفين بيد بنائين أندلسيين ومغاربة، لكنها لم تلبث طويلا وجرفتها سيول المياه [4]، كما اهتم المرابطون أيضا ببناء الحمامات حيث بلغت حمامات مدينة فاس لوحدها حوالي عشرين حماما[5].

---

[1]– الزوايا: تطلق الزاوية على البناية ذات الطابع الديني والثقافي ،وتقام فيها الصلوات الخمس ،وتلقى فيها الدروس على الطلاب في مختلف العلوم ،كما يسمح لهم احيانا بالسكن فيها ولهذا كثرت الاحباس عليها لتقوم بوظيفتها على احسن وجه .انظر عبد العزيز الفيلالي :تلمسان في العهد الزياني ،ج1،موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2002،ص148،كمال السيد ابو مصطفى :جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية بالمغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي ،مركز الاسكندرية للكتاب ،الاسكندرية ،1997،ص 117

[2]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 342.

[3]– نفسه ، ص 371- 372.

[4]– الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية للمغرب والأندلس، ص 404- 405.

[5]– نفسه، ص 402.

اهتم المرابطون أيضا ببناء الفنادق وذلك لما لها من أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية، فإلى جانب أنها تأوي الغرباء والتجار الوافدين فهي أيضا مخزنا ومكانا لبيع السلع والموارد التجارية المختلفة، هذا ما أدى بيوسف بن تاشفين إلى بناء مجموعة من الفنادق بمدينة فاس سنة 462هـ الموافق ل 1070م[1].

أما المشافي فلم تذكر لنا المصادر والمراجع أن المرابطين كانت لهم مستشفيات أو قاموا ببناء مشافي، وإنما لابد أنه كان الأطباء يتنقلون لمحل إقامة المرضى لمعالجتهم، وأما الجند فلابد أنهم كانوا يعالجون بمقراتهم العسكرية من أثر جروح الحروب[2].

– **العمارة الحربية** : اهتم المرابطون أيضا اهتماما شديدا بالعمارة الحربية أو العسكرية، حيث أقام المرابطون العديد من الحصون في أماكن متفرقة من بلاد المغرب والأندلس وخاصة فوق جبل درن بالمغرب وذلك من أجل مراقبة المصامدة وبقية القبائل التي كانت تعيش على أرض المغرب الأقصى كقبائل زناتة وقبائل برغواطة، وإلى جانب انشغال المرابطين بالجهاد في الأندلس توجب عليهم حماية ظهرهم بالمغرب بمجموعة من الحصون والأسوار حيث بلغ عدد الحصون والقلاع ما يزيد على سبعين حصنا[3]، ومن أهم المنشآت الحربية المرابطية ما يلي:

* **سور مراكش:** يذكر أن يوسف بن تاشفين عندما أسس مدينة مراكش أقام سورا صغيرا ليحيط بالمسجد الجامع وبقصبة المدينة، إلا أنه بعد تولي علي بن يوسف العرش شرع في بناء سور ضخم حولها، ويذكر أن قاضي قضاة الأندلس الفقيه أبو الوليد بن رشد هو من أشار عليه بفكرة بناء السور، وقد دام بناؤه حوالي ثمانية أشهر وقد تكلف حوالي سبعين ألف دينار ذهبي [4] وقد

[1]– الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية للمغرب والأندلس، ، ص 403.
[2]– نفسه، ص 401.
[3]– نفسه، ص 392.
[4]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 373- 374.

حدد تاريخ بناءه سنة 522هـ[1]، هذا وقد أضيف إلى هذا السور العديد من الأبراج سنة 530هـ حتى صار يحيط بمقابر المدينة[2].

وقد حضيت مدينة فاس أيضا باهتمام المرابطين حيث هدم يوسف بن تاشفين السور الفاصل بين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين وجعلها مدينة واحدة، ثم بنى علي بن يوسف سور القوارجة بين باب الجيسة وباب أصليتن، هذا وتميزت أسوار المرابطين بأنها كثيرة الزوايا الداخلية والخارجية حيث يتخذ السور شكلا منعرجا مما يساعد المدافعين على التغلب على أعدائهم[3].

هذا ولم يقف المرابطون على بناء الأسوار ببلاد المغرب فقط وإنما شيدوا أسوارا أيضا ببلاد الأندلس أهمها أسوار ألمرية المرممة، وسور الشرقية بقرطبة ويقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة ويمتاز بأبراجه المستطيلة الضخمة المتقاربة، إضافة إلى أسوار إشبيلية التي أمر علي بن يوسف بن تاشفين ببنائها من جهة نهر الوادي الكبير[4].

هذا وقد اهتم أيضا المرابطون ببناء القلاع والحصون في كل من بلاد المغرب والأندلس ومن أهم هذه القلاع والحصون:

– **قلعة تاسغيموت**: وهي من أعظم القلاع التي شيدها المرابطون حيث كانت تقيم بها حامية مرابطية تتألف من مائتي فارس وخمسمائة راجل، وهي تقع على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب شرقي مراكش وعلى بعد نحو عشرة كيلومترات شرقي أغمات، على سطح هضبة أطرافها ذات أجراف وعرة شديدة الانحراف يصعب على الأعداء ارتقاؤها، وأسوارها تمتد على حافة الهضبة نفسها[5].

[1]- أقام يوسف بن تاشفين سنة 462 سور صغير حول المسجد والقصبة ،لكن في عهد ابنه علي فقد سورها من جميع جهاتها .انظر عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص108

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 374.

[3]- الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 395.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 357- 358.

[5]- نفسه، ص 377.

– **قلعة بن تاودا** : تقع هي الأخرى ببلاد المغرب بنيت بقطع حجرية غير مهذبة، ترتبط فيما بينها[1].

– **قلعة آمرجو** : ببلاد المغرب على مرتفع من الأرض يشرف على وادي ورغة المتفرع من وادي سبو جنوبي قلعة بني تاودا، بها أبراج مستديرة الشكل في السور الأمامي[2].

– **قلعة منتقوط**: ببلاد الأندلس تشرف على بساتين مرسية تسمى حاليا بالقصير El Castillejo ، وتعود إلى عصر علي بن يوسف بن تاشفين وذلك من خلال مقارنتها بالمسجد الجامع بتلمسان[3].

ب– الدولة الموحدية:

ب– 1– الحياةالاجتماعيةو الاقتصادية:

*** الزراعة:**

اهتم الموحدون بالزراعة حيث شجع الخلفاء المزارعين على استغلال الأرض كما اهتموا بتوفير المياه اللازمة للزراعة، هذا وتذكر بعض المصادر والمراجع أن الموحدين يهتمون بالزراعة ويقدسونها منذ أولى بداية دعوتهم وذلك حين حذر ابن تومرت أتباعه من إتلاف المزروعات حسبما ذكر ابن القطان حيث قال:« وأوصاهم– ابن تومرت– في سفرهم إذا مروا على طريق متصل بها زرع ودرأوا أهل الفساد عنه»[4]، وأيضا حين توجه الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إفريقية سنة 554هـ الموافق ل 1149م فإنه أمر جنوده بعدم المساس بالمزروعات[5].

واهتم الموحدون بالزراعة في كافة بلاد المغرب، فقد لجأ ولاة الأمر عند الموحدين لمنح بعض الأراضي الزراعية إلى الجنود وغيرهم من طبقات المجتمع الموحدي على شكل إقطاعات وذلك

[1]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 377.
[2]– نفسه، ص 378.
[3]– نفسه، ص 376.
[4]– ابن القطان: نظم الجمان، ص 228.
[5]– الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 237.

لاستثمارها وقد ساعد هذا على ازدهار الزراعة ونموها، وقد منح أيضا الموحدون الأراضي الزراعية إلى كل من تقرب إليهم أو دخل في طاعتهم، على سبيل المثال منح الخليفة عبد المؤمن ضيعة لشاعر مدحه، ومنحوا أيضا أراضي بمدينة مكناسة لابن همشك حينما دخل في طاعتهم سنة 571هـ الموافق ل 1175م، وكذلك تم منح أراضي لصاحب قفصة بعد دخوله في طاعة الموحدين، ومنح الموحدون أيضا أراضي لكل من دخل في خدمتهم فقد منح المنصور الموحدي بعض الإقطاعات للغز [1] حيث يقول صاحب المعجب:« أقطع رجلا منهم فيما عرف من أهلهم يعرف بأحمد الحاجب... وأقطع شعبان المذكور بالأندلس قرى كثيرة تغل في كل سنة تسعة آلاف دينار» [2].

ومن بين أهم المحاصيل الزراعية التي اهتم بها الموحدون هي القمح والشعير لكون القمح والشعير يسدان الحاجات الغذائية لهم ولدوابهم في الأيام العادية وأيام الحروب، حيث يعبر عن هذا ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالإمامة أثناء عبور الموحدين إلى الأندلس فيقول:«... وأعد– أي عبد المؤمن– من القمح والشعير للعلوفات والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة المذكورة ما عاينته مكدسا كأمثال الجبال بما لم يتقدم للملك قبله ولا سمعنا به في جيل من الأجيال...» [3].

إضافة إلى هذا فقد اهتم الموحدون أيضا بزراعة الزيتون وغرس أشجاره في أكثر من مدينة، إلا أنهم ركزوا على زراعته بمدينة مكناسة حتى سميت بمكناسة الزيتون، وانتشرت زراعته أيضا بفاس والرباط، ويذكر الحسن علي حسن في كتابه الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس استنادا إلى عباس المراكشي نقلا عن ابن اليسع عن كميات الزيتون وثمنه في سبتة سنة 543هـ الموافق ل 1148م كان ثمن البستان الواحد من الزيتون ثلاثين ألف دينار مؤمنية وذلك أيام رخص الفاكهة بمراكش [4]. ويذكر لنا ابن الغازي في كتابه الروض الهتون أسعار الزيتون حسب البساتين في العديد

[1]– الغز: ويطلق عليهم ايضا الاغزاز لكثرة غزوهم ومفرده غزي وهم اقوام من مناطق اقصى بلاد الشرق دخلوا الاسلام و منهم من صار موالى لبعض الخلفاء العباسيين .أنظر: عز الدين عمر احمد موسى :دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي ،ط 1،دار الشروق ، بيروت ،1984،ص101

[2]– الحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 239.

[3]– ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 214.

[4]– الحسن علي حسن: المرجع السابق، ص 243.

من المناطق في عهد الموحدين حيث يقول:« ولما ولي محمد بن عبد الله بن واجاج [1] في أول أيام الموحدين ببلاد المغرب سيفا وعملا غرس بها وبفاس وبالمقرمدة وبرباط تازا بحيرات كثيرة أكثر غراستها الزيتون، فكان حب زيتون بحيرة مكناس يباع عامل الحمل بخمسة وثلاثين ألف دينار ونحوها، وحب زيتون بحيرة فاس بخمسين ألف دينار ونحوها، وحب زيتون بحيرة تازا بخمسة وعشرين ألف دينار»[2].

هذا وقد اهتم الموحدون أيضا بمزروعات أخرى كالذرة والقطن وقصب السكر والكتان، وبعض التوابل كالكمون والكراوية، وأعشاب التزيين والتجميل كالحناء [3]، إلى جانب ذلك اهتم الموحدون بزراعة أشجار الفاكهة على اختلاف أنواعها فيذكر لنا البيدق صاحب كتاب أخبار المهدي بن تومرت أن عبد المؤمن ابن علي غرس بستانا كبيرا خارج مدينة مراكش وذلك سنة 550هـ الموافق ل 1156م، حين خرج لزيارة قبر المهدي بن تومرت وهبط إلى سلا فبقي بها عامين وفي طريق عودته إلى مراكش وقبل أن يدخلها غرس هذا البستان وسمي بحيرة بشنطلولية[4].

ويذكر أن طول هذا البستان كان ثلاثة أميال وعرضه قريب من ذلك، وبه كل فاكهة تشتهيها الأنفس، وقد جلب إليه الماء من أغمات، وبجانبه كان هناك بستان الصالحة هو أيضا للفاكهة وأنشأه أيضا عبد المؤمن بن علي، وهو بستان كبير من جملة بساتين أجدال بمراكش[5].

وقد اهتم أيضا ابنه يوسف بن عبد المؤمن من بعده بغراسة بساتين الفاكهة حيث يعبر صاحب الاستبصار عن ذلك بقوله:«... وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب بحائر مثلها في الغرس بل أجمل، وجلب لها المياه وأخذها في صهاريج أعظم من المتقدمة»[6].

---

[1]- محمد بن عبد الله بن واجاج: قدم على عبد المؤمن بن يوسف أبي يعقوب من أهل فاس ومكناسة وعمالها لتهنئته بالإمارة بعد وفاة والده أبي يعقوب. أنظر ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 4، قسم الموحدين، تح: إبراهيم الكتاني وابن تاويت، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 172.

[2]- ابن غازي المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، دراسة وتحقيق عطا أبو رية وسلطان بن مريح الأسمري، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2007، ص 50.

[3]- الحسن علي حسن: المرجع السابق، ص 241- 244.

[4]- البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 120.

[5]- الحسن علي حسن: المرجع السابق، ص 245.

[6]- مجهول: الاستبصار، ص 210.

أما الخليفة المنصور الموحدي فقد أولى هو الآخر عناية شديدة ببساتين الفاكهة حيث غرس بستانا كبيرا طوله اثنا عشر ميلا وعلى إحدى جانبيه مجموعة كبيرة من أشجار الفواكه التي يبلغ عددها أربعمائة شجرة بين كل اثنين إما ليمونة أو ريحانة [1]. ولم يقتصر خلفاء الموحدين غرس بساتين أشجار الفاكهة بالعاصمة فقط بل كثرت أيضا بالعديد من المدن المغربية كفاس ومكناسة اللتين امتلأتا بأنواع كثيرة من فاكهة الصيف والخريف[2].

وتعدد البساتين في مختلف مناطق بلاد المغرب أدى إلى تنوع الفاكهة في عصر الموحدين ببلاد المغرب، فالعاصمة مراكش كانت أكثر منطقة مليئة بالجنات والبساتين في عهد الموحدين فتنوعت بها الفاكهة والثمرات [3]، وأما مدينة أغمات فقد اشتهرت بالجوز واللوز والبلح، أما جبال درن فقد اشتهرت بالتين الكثير الطيب البالغ الحلاوة، والعنب المستطيل العسلي والذي يتخذ منه الزبيب، وأما سجلماسة فقد اشتهرت بالنخل والعنب والرمان، وأما فاس فقد اشتهرت بتفاح حلو يعرف بالأطرابلس حسن الطعم والرائحة، وأما مكناسة فقد اشتهرت إلى جانب الكروم بأشجار العبقر وهو البرقوق والمشمش والإجاص والكمثرى والسفرجل والخوخ والرمان والعنب الأبيض والأسود، وأما منطقة السوس فقد تنوعت بها أشجار الفاكهة والثمار ولم تتميز بنوع خاص، ومن بين الفواكه التي رغم زراعتها إلا أن كميتها بقيت ضئيلة بالنسبة لباقي الفواكه هي التوت والجوز واللوز والنارنج والليمون والبطيخ ويطلق عليه عند المغاربة" الدلا ع" [4]. إلى جانب زراعة أشجار الفواكه فقد اهتم الموحدون أيضا بزراعة أنواع أخرى مختلفة من الخضر من الخيار والقثاء واللفت والباذنجان والقرع والجزر واللوبيا والكرنب وغيرها من أنواع الخضروات[5].

هذا وقد اهتم الموحدون أيضا كغيرهم من الأمم بتربية المواشي وقد ساعدهم على ذلك تنوع المراعي ببلاد المغرب والمناخ، وقد اهتم الموحدون بتربية الخيول بشكل كبير وذلك لتعدد فائدتها خاصة في الحروب والتنقل حيث يذكر أن عبد المؤمن بن علي بعث في إحدى حملاته

---

[1]- الحسن علي حسن: المرجع السابق، ص 245.

[2]- نفسه، ص 245.

[3]- نفسه، ص 245- 246.

[4]- فسه ، ص 246- 248.

[5]- نفسه، ص 248.

العسكرية إلى الأندلس اثني عشر ألف حصان وذلك لنجدة قرطبة أثناء حصارها سنة 543هـ الموافق ل 1150م[1]. واهتموا أيضا بعض الشيء بتربية الدواجن خاصة في فاس، وبالثروة السمكية نظرا لإطلال بلاد المغرب على شاطئين إحداهما يطل على البحر المتوسط والآخر يطل على المحيط الأطلسي إضافة إلى كثرة الوديان والأنهار مما أدى إلى تنوع الأسماك[2].

كما اهتم الموحدون بحماية الغابات التي كانت تضم العديد من أنواع الأشجار منها الأرز المتواجد بين الأطلس المتوسط والريف، والعرعار والبلوط والصنوبر، وقد تناثرت الغابات في مناطق متفرقة من بلاد المغرب، وقد اعتمد الموحدون على أخشابها في صناعة السفن بالدرجة الأولى وأغراض أخرى كالأسلحة والبناء وغيرها[3].

*** الصناعة:**

اهتم الخلفاء الموحدون بالصناعة على مختلف أنواعها المعدنية والنباتية الخشبية والحيوانية كصناعة الجلود وغيرها، واستقدموا إلى بلاد المغرب الصناع المهرة من أجل الإستفادة من خبراتهم، ومن أهل الصناع الذين تم استقدامهم لبلاد المغرب الحاج يعيش المالقي الذي استقدمه الخليفة عبد المؤمن بن علي لصناعة مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الجامع، والتي وضعت على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتنخفض لدخوله [4]، واستقدم أيضا عبد المؤمن بن علي من الأندلس مجموعة من المهندسين والصواغين والنظاميين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواتين والمجلدين وغيرهم لعزمه على كسوة مصحف سيدنا عثمان- رضي الله عنه-[5].

ونظرا لكثرة استقدام الصناع الأندلسيين إلى بلاد المغرب واحتكاك الصناع المغاربة بهم فقد ازدهرت الصناعة ببلاد المغرب في عصر الموحدين، وكان الخلفاء الموحدين يحافظون على سلامة أرواح الصناع حتى أثناء الحروب عند خصومهم، ويبرز ذلك جليا حين استولى عبد المؤمن بن علي

[1]- الحسن علي حسن: المرجع السابق، ، ص 250.
[2]- نفسه، ص 253.
[3]- نفسه، ص 248- 249.
[4]- نفسه، ص 261.
[5]- نفسه،ص 261.

على عاصمة المرابطين مراكش فلقد أبقى على حياة الصناع [1] بقوله:«...هؤلاء صناع وأهل الأسواق من ننتفع به...»[2].

ومن أهم المراكز الصناعية ببلاد المغرب في عصر الموحدين مدينة فاس والتي تنوعت بها دور الصناعة وبشكل كبير جدا حسب الجزنائي الذي يقول:«... والأطرزة ثلاثة آلاف وأربعمائة وتسعين، ودور عمل الصابون سبعة وأربعين، ودور الدباغين ست وثمانين، ودور الصباغ مائة وستة عشر، ودور تشبيك الحديد والنحاس اثني عشر، ودور عمل الزجاج إحدى عشر، وأحجار عمل الكاغيد أربعمائة، كل ذلك بداخل المدينة، ودور الفخارة مائة وثمانين بخارج المدينة نقل ذلك عن المشرف علي بن عمر الأوسي قال نقلته من خط الغريغر مشرف المدينة في أيام الناصر بن المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمائة»[3].

وتأتي في المرتبة الثانية في المراكز الصناعية الموحدية بعد فاس مراكش والتي اشتهرت بصناعة الزرابي والمنسوجات وحتى الصابون، أما المدن الساحلية مثل سبتة وطنجة فقد اشتهرتا بصناعة السفن وقد نالت هذه الصناعة الاهتمام الكبير من الخلفاء الموحدين حيث أن عبد المؤمن بن علي أمر بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل بلاد المغرب، فقد أنشأت سبتة وطنجة مائة قطعة لكل منهما مختلفة الأشكال والأنواع [4]، ومن أهم الأنواع التي تم إنشاؤها المراكب، والحراقات، والمسطحات، والطرائد، والشلنديات وغيرها[5].

إضافة إلى هذا فقد كان أهل مدينة سبتة يستخرجون المرجان من البحر ويصنعونه عقودا ويصدرونه إلى غانة وجميع بلاد السودان، كما ازدهرت بها أيضا صناعة الورق، أما منطقة السوس فقد اشتهرت بصناعة السكر، وتلمسان بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية، ونول لمطة بصناعة

---

[1]- الحسن علي حسن: المرجع السابق، ، ص 261.

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 301.

[3]- علي الجزنائي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 44.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 214.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 264.

الدرق اللمطية للحروب والسروج واللجم وغيرها من محتجات المواشي، أما مدينة إيجلي فقد اشتهرت بسبك النحاس وصناعته وتصديره إلى السودان[1].

أما صناعة السلاح فقد كانت منتشرة في معظم بلاد المغرب وذلك لسد حاجات الحملات العسكرية المتكررة، ففي سنة 557هـ الموافق ل. 1061م حينما أمر عبد المؤمن بالاستعداد لغزو الأندلس كانت مصانع السلاح المغربية تنتج له يوميا عشرة قناطير من السهام زيادة على السيوف والقسي والرماح والخوذات[2].

*** التجارة:**

اهتم أيضا الخلفاء الموحدون بالتجارة وعملوا على تنشيطها بعدة أساليب منها بناء الفنادق، فقد ورد عند صاحب الاستبصار أنهم أقاموا فندقين للتجار وذلك في قوله:«... وأحدث الأمر العالي في موضعه- أي في مدينة قصر صنهاجة- في هذه المدن فندقين عجيبين وتمدن هذا الموضع وشرف وقصده التجار واستوطنوه» [3]. كما أنشأ المنصور الموحدي عدة فنادق بمراكش ولها وظيفتين تخزين السلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة، والثانية إيواء النزلاء من التجار والوافدين، وكلما ازدهرت التجارة بمدينة معينة زاد عدد فنادقها[4].

هذا وقد عمل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على إسقاط الضرائب وتوزيع الأموال والعفو على المسجونين سنة 563هـ الموافق ل 1163م بمناسبة تجديد البيعة وذلك كله من أجل تنشيط التجارة[5]، وفعلا حدث ذلك حيث يذكر نتائج هذه العملية ابن صاحب الصلاة فيقول:«... وزادت المخازن إثر ذلك وفورا، ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة، ودرت على الناس بالخيرات درورا، واغتبط العالم به وببيعته، وكثر المال في الأيدي...»[6].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 264- 265.

[2]- René Millet : Les Almohades, Paris, 1923, p 93.

[3]- مجهول: الاستبصار، ص 189.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 267.

[5]- نفسه، ص 267.

[6]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 347.

ومما ساعد على ازدهار التجارة الطرق التي تربط معظم المدن المغربية ببعضها البعض، إلى جانب مجموعة الأنهار التي كانت تشق وديان المغرب والتي كانت تزخر بالقوارب والمراكب المحملة بالبضائع المختلفة، فوادي سبو كانت تسير فيه القوارب والسفن الصغار إلى البحر المتوسط، كما أن وادي أم الربيع وغيره من الأنهار كانت تسير بها المراكب، ومن الأنهار ما كانت تربط المناطق الداخلية بالسواحل المطلة على البحر المتوسط والمطلة على المحيط الأطلسي[1].

ومن أهم المراكز التجارية ببلاد المغرب في عصر الموحدين هي المناطق التي انتشرت فيها الزراعة والصناعة، وذلك بتصدير الصناعات والمزروعات الصناعية واستيراد المواد الأولية للصناعة ومنها العاصمة مراكش، فقد كانت القبلة الأولى للتجار في عهد الموحدين ومركزا للتجارة الداخلية بين مدن الشمال ومدن الجنوب، وذلك لاهتمام الخلفاء الموحدين بمبانيها وعمرانها فزيادة على الفنادق التي وجدت بها فقد بنى بها المنصور الموحدي عدة أسواق وأكبر أسواقها هو ذاك الذي بناه المنصور الموحدي سنة 585هـ الموافق ل 1189م، والسلعة الرئيسية في أسواق مراكش كانت الزيتون وزيته[2].

وتعتبر فاس أيضا مركزا تجاريا مهما في عصر الموحدين نظرا لتنوع الصناعات بها وتوفر مختلف المحاصيل الزراعية بها أيضا مما يجعل أسواقها حافلة بمختلف البضائع [3]، وهناك العديد من المراكز التجارية ببلاد المغرب في عصر الموحدين كمدينة مكناسة التي امتلأت بالأسواق العامرة والتجارات المختلفة في عهد الموحدين فصارت محطة للمسافرين يبيعون ويشترون بها، ويعبر عن ذلك ابن غازي فيقول:«... وعمرت المدينة والحوائر والبسائط، ونفقت الأسواق، وقويت التجارة، وصار المسافرون ينزلون بالمدينة ويبيعون ويشترون»[4].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 268.

[2]- نفسه، ص 269.

[3]- نفسه، ص 271.

[4]- ابن غازي المكناسي: المصدر السابق، ص 74.

هذا وقد كانت أغمات في عهد الموحدين مركزا تجاريا لتجمع التجار المتوجهين بتجاراتهم للصحراء، واعتبرت سجلماسة كذلك أيضا فهما مركزان تجاريان يستقبلان السلع الواردة من الصحراء ليدخلوا بها إلى بلاد المغرب ويصدرون منها السلع المغربية إلى الصحراء[1].

وانتشرت أيضا بالدولة الموحدية الأسواق، وقد انفرد كل سوق بصناعة خاصة أو سلعة خاصة كسوق الفاكهة، وسوق الزياتين، وسوق النحاسين، وسوق الأسماك وغيرها، وكانت الأسواق تضم عدة متاجر تبيع كلها نفس السلعة [2]، وقد أشار ابن القطان إلى وجود الأسواق بمدينة فاس في حديثه عن الحريق الذي حدث بها سنة 533هـ الموافق ل 1138م حيث قال:«... وقع الحريق في سوق مدينة فاس... واحترق سوق الثياب والقراقين... وغير ذلك من الأسواق إلا البقالون»[3].

وقد كانت الأسواق كثيرا ما تتعرض للحريق حيث نجد ابن عذارى المراكشي يروي لنا أيضا الحريق الذي أصاب أسواق مدينة مراكش سنة 607هـ الموافق ل 1210م حيث يقول:«... وفي هذه السنة- أي سنة 607هـ- كان الحريق الشائع الضرر الجاري بقيسارية مراكش- أي سوق مراكش- وما اتصل بها... فتمكنت النار بيابس العيدان وشفوق الثياب وأسرعت كالشهاب في سقف الأسواق»[4].

هذا وقد كانت الأسواق في عصر الدولة الموحدية لها أيام معلومة يتوجه فيها التجار إلى السوق لبيع سلعهم ويتوجه السكان لشراء ما يلزمهم من الحاجيات، فمدينة مكناسة كان سوقها يوم الخميس، وأغمات كان سوقها يوم الأحد، وسوق سبتة يوم الجمعة وكذلك مراكش [5]. هذا وكان التعامل في الأسواق بين التجار بالعملة الموحدية وفي بعض الأحيان يكون التعامل بين

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 272- 273.

[2]- نفسه، ص 273.

[3]- ابن القطان: نظم الجمان، ص 246.

[4]- ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 230.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 274.

بعضهم بالأجل ويذكر ابن أبي زرع أن أحد الصالحين باع شحنة كبيرة من القمح لأهل فاس بالأجل سنة 595هـ وذلك حين أصابت أهل فاس مجاعة[1].

وكان الخلفاء الموحدين يشرفون على الأسواق ويتبعون حركتهم ونشاطهم وذلك عن طريق توظيف أمناء الأسواق لمراقبة الأعمال التجارية داخل الأسواق، فيذكر صاحب المعجب أن الخليفة المنصور الموحدي كان يستقبل أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم[2].

وقد نشطت أيضا التجارة الخارجية في بلاد المغرب على عهد الموحدين وذلك لارتباط المغرب الأقصى بمراكز التجارة الخارجية بعدة طرق برية أهمها: الطريق الجنوبي الذي يمر بسجلماسة ودرعة متجها إلى أودغشت ثم منحى النيجر وحتى المناطق الممتدة للغرب، وكانت المدة الزمنية لقطع هذا الطريق تصل إلى حوالي خمسين يوما، وكان الطريق محفوفا بالأخطار والصعاب كقلة المياه وهبوب الرياح الساخنة إضافة إلى اللصوص وقطاع الطرق [3]، فيذكر المقري ما فعله السيد أبو الربيع والي سجلماسة في عهد الموحدين ببعض اللصوص الذين قطعوا طريق القوافل فقال:« قال- أي السرخسي في رحلته- لي الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلاني: دخلت إلى السيد أبي الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الأرض من الأنبوس ويقول:

ولا غرو أن كانت رؤوس عداته جوابا إذا كن السيف رسائله [4]

وكان للمغرب الأقصى أيضا طريقان شرقيان: أحدهما يسير حذاء الساحل حتى يصل إلى مصر، والثاني من أودغشت وغانة وسجلماسة ومنها تسير القوافل في الصحراء حتى الواحات الداخلة في مصر[5]. هذا وقد كان للطريقان الجنوبي والشرقي وارتباطهما ببعض وبمراكز التجارة في المغرب

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 218.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 285.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 277.

[4]- المقري: نفح الطيب، ج 4، ص 104.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 277.

الأقصى دور كبير في تنشيط الحركة التجارية، مما نتج عنه رواجا في الحركة التجارية وانتعاشا للاقتصاد الموحدي[1].

وكان أيضا للموانئ البحرية دورا تجاريا كبيرا ومنها ما كانت تطل على البحر الأبيض المتوسط ومنها ما كانت تطل على المحيط الأطلسي، فمن بين الموانئ التي كانت تطل على البحر المتوسط ميناء سبتة الذي كان ينشط تجاريا حيث شبهه ابن سعيد بميناء الإسكندرية في قوله:« وهذه المدينة بين بحرين وهي ركاب البرين تشبه الإسكندرية في كثرة الحط والإقلاع، وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب الكبير بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة...»[2].

إضافة إلى ميناء طنجة حيث كان يصدر منه أيام الموحدين الصوف والجلود والفواكه والشمع والعسل، وكان يرد إليه الثياب والأسلحة وغيرها. وأما أهم موانئ المحيط الأطلسي فميناء سلا الذي كان يستقبل بالدرجة الأولى السفن الأندلسية فيعبر عن ذلك الإدريسي فيقول:«... ومراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها- أي سلا- ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية»[3].

هذا وقد عملت الدولة الموحدية على اختلاف مراحلها على العناية بالتجارة الداخلية والخارجية وتشجيع التجار وتصدير السلع المختلفة من مزروعات ومصنوعات وحتى أسماك وسلع حيوانية كالجلود والصوف، كما أنها كانت تستورد كل ما تحتاج إليه حتى ولو كان موجودا ببلاد المغرب، فإذا كان لا يغطي حاجيات المجتمع الموحدي فإنها تلجأ للاستيراد كالقطن والسكر وبعض المنسوجات والزيوت وغيرها[4].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ، ص 278.

[2]- نفسه، ص 279، ابن سعيد المغربي.

[3]- الإدريسي: وصف المغرب والأندلس، ص 73.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 280- 281.

*** الحياة الاجتماعية:**

تعددت أجناس المجتمع الموحدي فقد احتوى كغيره من مجتمعات بلاد المغرب التي سبقته والتي توالت من بعده على عدة أجناس من البشر والسكان وأهم هذه الأجناس:

– **البربر**: تكون المجتمع الموحدي من البربر بفريقيه البتر والبرانس، وأبرز القبائل في المجتمع الموحدي هم قبائل بربر البرانس المنتمون إلى قبائل المصامدة الذين كانوا يشكلون أعدادا كبيرة من السكان، حتى أن بعضا من هذه القبائل نالت مكانة اجتماعية ممتازة نتيجة تأييدها لدعوة الموحدين، ويذكر أنهم انضموا إلى الدعوة قبل الاستيلاء على مراكش فأطلق عليهم أهل السابقة[1].

ويذكر أنه حوالي سبع قبائل من مصمودة احتلت الصدارة في المجتمع الموحدي ولكل منها سبب يخول لها ذلك وهي كالتالي:

هرغة: لأنها قبيلة المهدي بن تومرت.

هنتانة: أول من اهتم بالدعوة الموحدية.

أهل تينيملل: اتخاذ المهدي بن تومرت مسكنه ومسجده بمنطقتهم.

جنفيسة: قبيلة اشترك بعض أفرادها في مجلس الخمسين.

جدميوة(كدميوة): لها أيضا أعضاء في مجلس الخمسين.

وريكة: مجاورون لهنتانة انتصرت عليهم في عدة حروب لكنهم من أوائل من بايعوا المهدي بن تومرت.

وتضاف إلى هذه القبائل قبيلة زناتية من البتر وهي قبيلة كومية وسبب حصولها على مكانة مرموقة هي أنها قبيلة عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للدولة الموحدية[2].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 293- 300.

[2]- نفسه ، ص 302- 305.

وإلى جانب هذه القبائل نجد قبائل أخرى مصمودية لكنها لم تكن مميزة في المجتمع الموحدي وذلك لأنها لم تكن ضمن القبائل التي سارعت إلى مبايعة المهدي بن تومرت منها قبيلة هسكورة وهم بطون كثيرة وواسعة، هذا إضافة إلى باقي القبائل البربرية البرنسية كصنهاجة وغيرها من القبائل البترية كزناتة التي كان يضمها المجتمع الموحدي[1].

هذا ويعتبر العرب العنصر الثاني من المجتمع الموحدي، فزيادة على العنصر العربي الذي كان متواجدا ببلاد المغرب منذ فترة الفتح الإسلامي فقد زاد توافد الجنس العربي على بلاد المغرب بعد تصريح عبد المؤمن بن علي بنسبه العربي، وكان عبد المؤمن يستغل نسبه العربي في استمالة العرب الموجودين بإفريقية لسببين: الأول: الإتيان بهم من إفريقية إلى المغرب الأقصى وبذلك يتخلص من ثوراتهم ويؤمن جبهة من جبهات دولته. الثاني: إشراكهم في عمليات الجهاد بالأندلس عند الحاجة، ويتضح ذلك في وصية عبد المؤمن لأبنائه حيث قال:«... وأخل إفريقية من العرب وأجلهم إلى بلاد المغرب وأدخرهم لحرب ابن مردنيش إن احتجت لذلك»[2].

وأما العرب فقد كانوا يأتون إلى بلاد المغرب إما لانهزامهم أمام الموحدين فلا يجدون مفرا إلا الاستسلام والدخول في طاعتهم، حيث توالت الهزائم على العرب في إفريقية ضد الموحدين، أو طمعا في الغنائم والعطايا بعد مشاركتهم في الجهاد بالأندلس[3].

ومن أبرز الهزائم التي تعرض لها العرب من طرف الموحدين انهزامهم على يد عبد المؤمن بن علي أثناء استيلائه على بجاية سنة 547هـ الموافق ل 1152م وقام بنقل نسائهم وأبنائهم إلى مراكش، ثم انهزامهم على يد عبد المؤمن مرة أخرى بعد استيلائه على المهدية سنة 555هـ الموافق ل 1160م ونقل مرة أخرى نسائهم وأبنائهم إلى مراكش، وكان عبد المؤمن بن علي ينقل ذويهم إلى مراكش طمعا في استسلامهم واللحاق بأهاليهم والدخول في طاعته[4]. وفي سنة 574هـ الموافق ل 1178م تم نقل جماعة من العرب إلى مراكش بعد انهزامهم بقفصة على يد

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 305.
[2]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 276.
[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 310- 312.
[4]- نفسه، ص 310- 311.

الموحدين، وفي سنة 582هـ الموافق ل 1186م خرج الخليفة يعقوب المنصور إلى إفريقية ضد بني غانية وحلفائهم من قبائل العرب فهزمهم، ونقل الكثير من العرب إلى بلاد المغرب وكان هذا سنة 584هـ الموافق ل 1188م[1].

وقد كانت معظم القبائل العربية التي تنتقل إلى بلاد المغرب هي من بني هلال وبني رياح[2] والأثيج[3] وغيرها، ونجد هذا واضحا في تعبير ابن صاحب الصلاة عن جموع العرب التي كان يسوقها عبد المؤمن بن علي إلى بلاد المغرب حيث يقول:«... وقد استاق- أي عبد المؤمن- في أتباعه من العرب من رياح وبني جشم وبني عدس من بني هلال وقبائلهم ما يضيق بهم الفضاء على عدد الذباب والحصى»[4]. وفي عهد الناصر الموحدي فقد استعان بهم للقضاء على بني غانية وقد نجح في ذلك[5].

وقد أقام العرب في مناطق مختلفة من بلاد المغرب وعبروا إلى الأندلس مع الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة 555هـ الموافق ل 1159م، حيث ترك عبد المؤمن عند عودتهم جماعات منهم في العديد من مدن الأندلس، وقام الخليفتين أبو يعقوب وأبو يوسف بنفس العمل في أيام خلافتهما حيث قاموا بتهجير جماعات كبيرة من العرب إلى الأندلس [6]، فيذكر صاحب المعجب أن عدد العرب بالأندلس سنة 621هـ وصل إلى ما يقارب خمسة آلاف فارس دون الرجالة[7]. وفي وفي عهد الخليفة المنصور فقد تم تحديد أماكن معينة لإقامة القبائل العربية حيث أنزلهم بسهول

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 311.

[2]- بني رياح: من اعز قبائل هلال واكثرهم جمعا عند دخولهم افريقية ،وهم ينسبون حسب ابن الكلبي الى رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر وكانت رياستهم حينئذ لموسى بن يحيى الصنبري من بطون مرداس بن رياح .انظر ابن خلدون :العبر ،ج6،ص43

[3]- الأثيج: يذكر ابن خلدون انهم من الهلاليين وهم اوفر عددا واكثر بطونا ويقال ان اثبج هو ابن ربيعة بن نهيك بن هلال وكان منهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفة ،وفي دريد بطنان توبة وعنز ،وكان لهم جمع وقوة ،وكانوا احياءا غزيرة وهم من جملة الهلاليين الداخلين لافريقية ،وكانت مواطنهم حيال جبل اوراس من شرقه .أنظر: ابن خلدون :العبر ،ج6،ص 30-31

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 14.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 312.

[6]- نفسه، ص 313- 314.

[7]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 226.

المغرب المحاذية للمحيط الأطلسي، وجعل لكل قبيلة مكان محدد فبنو جشم ببلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش، وبني رياح وبني هلال بناحية الغرب فيما بين القصر الكبير وساحل المتوسط[1].

هذا وبعد استقرارهم بأراضي الدولة الموحدية فقد كانت عليهم التزامات اتجاه الدولة أي عليهم واجبات من دفع الضرائب، والمساهمة بعدد من أبنائهم في الحملات العسكرية، كما كانت لهم كل الحقوق التي يتمتع بها جند الدولة الموحدية، فقد كانت توزع عليهم الأموال في الحملات العسكرية المختلفة، وأقطعوهم هم أيضا ولاة الأمر بعض الأراضي وذلك لضمان طاعتهم واستقرارهم ودرء خطرهم وتحرك فتنتهم[2].

هذا وقد كانت هناك أجناس أخرى وأقليات ضمن المجتمع الموحدي منها الروم والصقالبة الذين تواجدوا ببلاد المغرب منذ العهد المرابطي، ودخلوا في خدمة الموحدين فور إعلان قيام الدولة الموحدية، وزاد عددهم بعمليات جهاد الموحدين في الأندلس ضد النصارى حيث كانوا يأتون بهم كأسرى، ومن ذلك ما قام به المنصور الموحدي سنة 586هـ الموافق ل 1190م حيث قام بتغريب أهل قصر أبي دانس من غرب الأندلس إلى مراكش وهم من الروم والصقالبة [3]، وكانوا يستعملونهم خدما وحراسا حسب ما تذكر المصادر، ومنها ما ذكره ابن القاضي في قضية خطيب مسجد فاس الذي بلغ الخليفة أن لا يدعو له فيذكر ابن القاضي أن الخليفة أخذ من يد أحد الصقالبة آلة حديد وأمر أن يقتل بها [4]، ومن هذا نستنتج أنه لا حاجة لوقوف أحد الصقالبة بآلة حديد في مجلس الخليفة إلا إذا كان أحد حراس مجلسه. ومن بين الأجناس نجد أيضا الغز وهم قوم من أقصى الشرق على تخوم الصين، وقد سبق أن استعان بهم المرابطون في جيوشهم[5]، أما طبقات طبقات المجتمع الموحدي فقد تشكلت نتيجة عدة عوامل بشرية وعرقية ودينية أحيانا وقد تكون حتى علمية. فنجد في طبقات المجتمع الموحدي:

---

[1] - Nevell : A survey of north west Africa, , Barbour(the Maghrib), London, 1952, p 84.

[2] - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 315- 316.

[3] - نفسه، ص 324- 325، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 107.

[4] - ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص 33.

[5] - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 325.

* **الطبقة الحاكمة**: وهي لبني عبد المؤمن وأفراد قبيلة كومية والتي صارت بعد انتقالها من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى أعظم قبائل الموحدين وتحتل الصدارة عند ولاة الأمر، وقد كان ضمن الطبقة الحاكمة الخلفاء وولاة العهد والوزراء والنواب.

* **طبقة الفقهاء والعلماء**: وهي طبقة حظي أصحابها بمنزلة كريمة عند الخلفاء كون البرامج الدينية والمبادئ الموحدية احتلت ركنا هاما وبارزا في حياة الموحدين [1]، وفي هذا الصدد يقول المراكشي:«... وكان عبد المؤمن مؤثرا لأهل العلم محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم في البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته» [2]، وكان الخلفاء الموحدين ينفقون الأرزاق والأموال على العلماء والفقهاء حتى تحولت حياة البعض منهم من الفقر إلى الغنى واليسر وذلك بعد اتصالهم بالخلفاء، وقد كان هذا في بعض الأحيان موضع نقد ورفض عند بعض الشعراء وعبروا عن ذلك في بعض أشعارهم[3].

* **طبقة القضاة** : هي طبقة ليست بعيدة عن طبقة الفقهاء والعلماء لأن معظم القضاة كانوا ينتقون من خيرة العلماء والفقهاء ورجال الدين، وقد كانوا ينعمون هم أيضا بالعطايا والأموال من قبل خلفاء الموحدين مما دعم مكانتهم وهيبتهم عند أهل بلاد المغرب والأندلس، حيث نجد أن الخليفة عبد المؤمن قد عفا عن القاضي عياض قاضي سبتة بعد أن أعلن الطاعة للمرابطين والعصيان للموحدين، فبعد أن أخضع عبد المؤمن بن علي مدينة سبتة عفا عنه وأسكنه مدينة مراكش وذلك ليس لشيء وإنما فقط لما كان للقاضي عياض من منزلة في نفوس أهل المغرب والأندلس[4].

* **طبقة التجار والصناع وأصحاب المهن المختلفة** : بالنسبة للتجار فقد زخرت المدن المغربية في عهد الموحدين بالتجار خاصة فاس وطنجة وسبتة وتلمسان وسجلماسة وهي مدن تجارية بطبيعتها، إلا أنه في عهد الموحدين نتيجة للاستقرار واهتمام الخلفاء بالتجارة فقد نشطت بها وازدهرت، وكانوا يتقسمون إلى تجار الجملة وتجار التجزئة إضافة إلى التجار المتجولين، وكانوا

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 338- 339.
[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 200.
[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 341- 342.
[4]- نفسه، ص 343- 344.

يتعاملون مع تجار الصحراء والأندلس ومعظم البلدان المجاورة، هذا ولم يكن التجار في عهد الموحدين بمعزل عن الأحداث التي تدور في البلاد، بل إنهم كانوا يتأثرون بالأحداث أكثر من غيرهم فيما يخص تجارتهم[1].

إضافة إلى فئة التجار نجد فئة الصناع وهي فئة لها مكانتها بين طبقات المجتمع لما لها من أهمية في الحياة الاجتماعية،وقد أدرك أهمية هذه الفئة أيضا ولاة الأمر من الموحدين حيث يذكر ابن الأثير حرص الخليفة عبد المؤمن بن علي على حياة الصناع فيقول:«... ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش... فلما كان بعد سبعة أيام أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسواق من ننتفع به فتركوا» [2]. وقد ضمت فئة الصناع الفلاحين، وصانعي الثياب، والبنائين، وصانعوا الأدوات المنزلية، وصانعوا الخبز، وصانعوا الأسلحة، وكذلك صانعوا الورق والصابون والجلود والسفن وغيرها من المصنوعات[3].

ونجد أيضا فئة المهن المختلفة وكانت تضم المنادي وهو من يقول بالإعلان عن أمر من أوامر الخليفة أو حكم من أحكامه أو وفاة شخص بالمدينة، وأيضا الحمالون وهم من يحملون البضائع والسلع من مكان لآخر، والسقاؤون وهم من يقومون بنقل الماء إلى المنازل والدور وتقديم الماء في الأماكن العامة للمارة، والدلالون وهم الوسطاء بين الباعة والمشترون، والبوابون وهم القائمون على أبواب المدن، والصيادون، والحلاقون، والغسالون وهم من يقومون بتغسيل الموتى وغير ذلك من المهن المختلفة[4].

* **طبقة أهل الذمة**: وقد تواجدت ضمن طبقات المجتمع الموحدي وقد عانت هذه الطبقة في بداية عهد الدولة الموحدية بعض الاستبداد والتشدد حيث أن عبد المؤمن بن علي فرض عليهم إما الإسلام أو ترك البلاد أو القتل، حتى أن منهم من تظاهر بالإسلام ثم فر إلى مكان لم يكن بسلطة الموحدين ولعل الأسباب التي جعلت عبد المؤمن بن علي يفرض عليهم الإسلام تكمن في استمرار الصراع المسلح في الأندلس ومساندة النصارى لأبناء دينهم، واستمرار الحملات الصليبية

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 345- 347.

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 301.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 348- 349.

[4]- نفسه ، ص 350- 352.

في المشرق[1]، وتشدد عبد المؤمن في حكمه هذا بالإسلام أو الرحيل أو القتل جعلت كل من بقي ببلاد المغرب من نصراني أو يهودي يتظاهر بالإسلام حيث يذكر المراكشي ذلك فيقول:«... ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد ويقرؤون أولادهم القرآن جادين على ملتنا وسنتنا، والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم»[2].

إلا أنه في عصر باقي الخلفاء الموحدين فقد تواجد أهل الذمة في المجتمع الموحدي كطبقة من المجتمع لها حقوقها وعليها واجباتها والدليل على ذلك ما أصدره الخليفة يعقوب المنصور فيما يخص بتغير زي اليهود المقيمين في البلاد، ويذكر ذلك المراكشي في قوله:«... وفي آخر أيام أبي يوسف أمر أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختمون به دون غيرهم وذلك بثياب كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قرب من أقدامهم...»[3].

كما أنه كثيرا ما واجهتنا نصوص بالمراجع والمصادر حول وجود النصارى بالجيش الموحدي، وقد تفرقوا في بلاد المغرب فمنهم من تواجد بقلعة فزاز، ومنهم من كان بسجلماسة وهؤلاء كانوا يشتغلون بالبناء، ومنهم من تواجد بفاس وهم تجارها وأغنياؤها[4].

هذا ونجد ضمن طبقات المجتمع طبقة لها منزلة رفيعة عند الخلفاء، وكلما مر الوقت اتسعت أكثر فأكثر وانقسمت إلى فئات وزادت أهميتها عند الخلفاء وهذه الطبقة هي:

* **طبقة الطلبة**: فهذه الطبقة كانت تضم في البداية أصحاب المهدي ابن تومرت وباقي الداخلين في دعوة الموحدين، وكان المقصود بلفظ الطلبة أنهم في مرحلة التلقي من أستاذهم ابن تومرت الذي كان يقوم بتعليمهم وتلقينهم مبادئ دعوته الجديدة، لكن عندما انتشرت الدعوة وكثر فرادها لجأ ابن تومرت إلى تقسيم أصحابه وأتباعه وقد تطرقنا إلى هذا سالفا، وفي تقسيمه حافظ على طبقة الطلبة وقسمها إلى قسمين: الطلبة والحفاظ وهم صغار الطلبة وقد كانوا بمثابة

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 369- 370.
[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 305.
[3]- نفسه، ص 304.
[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 370- 371.

هيئة الدعاة بالنسبة للدعوة الموحدية كلا القسمين [1]، أما في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي فقد حافظ على هذه الطبقة وقسمها إلى ثلاث فئات وجعل لكل فئة وظيفة ودور:

– **فئة الطلبة الحفاظ**: وهم من مختلف القبائل جمعهم عبد المؤمن بن علي وأنشأ لهم مدرسة خاصة بمراكش لتعليمهم الدين وأسس الدعوة الموحدية، وتدريبهم على فنون القتال، ووصل عددهم إلى حوالي ثلاثة آلاف طالب، وبعد إتمامهم لدراساتهم يوزعهم في الوظائف الإدارية.

– **فئة طلبة الموحدين وهم طلبة المصامدة** : وهم المشتغلون بالدعوة دراسة وفهما وحفظا، ثم قيامهم بعد ذلك بالدعوة في مختلف أقاليم الدولة ويمكن تسميتهم برجال الدعوة.

– **طلبة الحضر**: وهم المشتغلون بالعلم والذين يحضرون إلى العاصمة باستدعاء من ولاة الأمر[2]، وذكرهم المراكشي في قوله:«... وقد جرت عادتهم– أي الموحدين– بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم من أهل كل فن وخاصة أهل علم النظر وسموهم طلبة الحضر...»[3]. وقد كانت هذه الطبقة تتميز عن غيرها بامتيازات مادية حيث كانت تصرف لهم المرتبات والأعطيات والأرزاق من خزائن الدولة.

هذا ويتصل بهذه الطبقة منصب شيخ الطلبة الذي احتل مكانة بارزة لدى الخلفاء الموحدين، ووظيفته تكمن في أنه المتحدث باسم الطلبة في مجالس الخلفاء والمدافع عن حقوقهم، وبمرور الوقت علا شأن هذا المنصب حتى وصل إلى مستوى الوزراء، فعند مرض الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة 568هـ الموافق ل 1169م لم يكن يدخل عليه سوى الأطباء ووزيره وشيخ الطلبة أبو محمد عبد الله المالقي آنذاك، ولما توفي شيخ الطلبة هذا أسرع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لحضور جنازته[4].

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 331- 332.
[2]- نفسه، ص 333.
[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 342.
[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 333- 336.

* **الطبقة العامة**: هي طبقة كثيرة الأفراد ومختلفة عن الطبقات السالفة الذكر، فهي طبقة لا تضم غنيا ولا متعلما، يعيش أفرادها ظروفا قاسية جدا تضم كل من المتسولين، والمجرمين، والمشعوذين وغيرهم[1]، وقد أطلق عليها عدة أسماء كالأوباش، أو الرعاع، أو السفهاء، أو الأرذال[2]، وقد كان البعض منهم يمتهن مهنا شريفة كالبناء والفلاحة والصيد والرعي، ومنهم من اعتمد على ممارسة السحر حتى ساد الاعتقاد بالجن، وانتشرت في أوساطهم ممارسات السحر البعيدة كل البعد عن تعاليم الشرع والدين[3].

أما بالنسبة للمرأة في مجتمع وبلاط الدولة الموحدية فقد كانت لها مكانة موقرة إذ كانت تحضى بالكثير من الاحترام والصيانة والحماية تبعا لأحكام الدين التي نادى بها المهدي بن تومرت في قضية الحفاظ على المرأة وصيانتها والحد من حريتها وسفورها في الطرقات العامة واختلاطها بالرجال[4]، هذا وقد كان الموحدون يتزوجون من السبايا والأسيرات، فيذكر لنا البيدق ذلك في قوله:«... وقسم الخليفة الغنائم... وأخذنا فيها مائة بكر وكن عندنا مؤمنات فقسمهن الخليفة على الموحدين وتزوجوهن، وبقيت فاطمة بيت يوسف الزناتية وبنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة فرمى الخليفة القرعة مع أبي إبراهيم على فاطمة فأخذها أبو إبراهيم وأخذ الخليفة بيت ماكسن بن المعز...»[5]. هذا وقد منع الموحدون بيع المرأة أو شرائها سواء كانت حرة أم من السبايا ويظهر هذا جليا في رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة 543هـ الموافق ل1148م والتي جاء فيها:«... وأنه أعلمنا بأن من يرضى تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه ولا يبالي أحسن الفعل فعله أم قبيحه يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء ويعبث في ذلك بكل إقدام على الله تعالى وإجتراء... ومخالفة الواجب مع الفرض... فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيئا منهن أو يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع... وكذلك فليتوقفوا

[1]- القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي: ص 163.
[2]- نفسه، نفس الصفحة.
[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص 459.
[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 355.
[5]- البيذق: المصدر السابق، ص 88.

عن بيع النساء في جميع ما تغنمونه منهن في تلك الأرجاء حتى تخاطبون بأصل أمرهن وكيفيته، وتعلمونا في ذلك بجليه لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم ويجري إليه اقتصادكم»[1].

كما اشتهر الموحدون بإنصافهم للمرأة وعطفهم عليها، نجد هذا في إكرام الناصر الموحدي لسبايا ميورقة وذلك حين أمر بإطلاق سراحهن ومساعدتهن بالأموال على الزواج، وكذلك تكريم نساء عرب بني هلال حين وقعن سبايا في يد عبد المؤمن بن علي حيث وكل لهن الخدم لخدمتهن وأسكنهن المساكن الفسيحة بمراكش وأجرى عليهن النفقات الواسعة، هذا وأيضا إنصافهم في عدة مواقف مع نساء المرابطين ومنها موقف تاماكونت ابنة ينتان ابن عمر حينما طلبت من عبد المؤمن بن علي أن يشفع لها وباقي نساء المرابطين اللائي كان يقدر عددهن بحوالي أربعمائة إمرأة بموقف أبيها في تشفعه للمهدي بن تومرت عند علي بن يوسف لإطلاق سراحه، وفعلا امتثل عبد المؤمن بن علي لهذا الموقف وأطلق سراحها هي وباقي نساء المرابطين[2].

كذلك موقف أبي زكرياء والي الموحدين على إفريقية مع بنات يحي ابن غانية حيث يذكر ابن خلدون أن يحي بن غانية كان له من الأولاد البنات فبعث بهن إلى أبي زكرياء والي إفريقية في أواخر أيامه دون أن يفصح عن مكان تواجده، وبعث بهن إلى أبي زكرياء خشية عليهن من بعده في الصحراء الموحشة فكفلهن أبا زكرياء وأحسن إليهن وبنى لهن بحضرته دارا لصيانتهن عرفت بقصر البنات فأقمن تحت حراسته وفي سعة رزقه وحفظهن لوصاية أبيهن رغم العداوة التي بينهما[3].

كان بعض الرجال من المجتمع الموحدي يتزوجون نساء من جنسيات مختلفة، وكان التعدد موجود في الدولة الموحدية حسب الشرع إلا أن الموحدين لم يكونوا يتزوجون من الحبشيات واعتبروا ذلك عارا[4]، وكان البعض منهم لا يتزوج إلا ممن تيست أحوالها المادية مما جعل البعض من الصالحين ينفقون الأموال التي يجمعونها على تزويج الفقيرات ومنهم محمد بن أحمد بن محمد اللخمي أحد الصالحين بتلمسان والمولود بها سنة 558هـ الموافق ل 1162م والمتوفى سنة 614هـ

1- ابن القطان: نظم الجمان: ص 160.
2- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 356.
3- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 197.
4- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 407.

الموافق ل 1217م، وقد كان وافر الحظ عند خلفاء الموحدين فكانوا يكرمونه بالأموال وكان هو يتصدق بها لتزويج الفتيات الفقيرات[1].

وكان الموحدون ينفقون الكثير في المهور التي يقدمونها لزوجاتهم ومن ذلك ما دفعه والي غرناطة أبو عبد الله بن أبي إبراهيم لابنة السيد أبي حفص سنة 564هـ الموافق ل 1168م، وقد دفع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قرانه على ابنة ابن مردنيش سنة 507هـ الموافق ل 1174م مهرا يقدر بخمسين دينارا وأرسل لها هدية ألف دينار، هذا وكانت عقود الزواج تتم بالمساجد، وتقام الأفراح للاحتفال بهذه المناسبة عند جميع الطبقات من المجتمع الموحدي[2].

هذا وقد اتبع يعقوب المنصور عادة نسبت إليه ولم يسبقه إليها أحد من الخلفاء وهي أنه كان يجمع الأطفال الأيتام والمنقطعون في العاصمة مراكش لإختتانهم، ويفرق لكل طفل دينار ذهبي ودرهما فضيا وثمرة فيقول الثمرة ليأكلها فتخفف عليه الآلام، والدينار والدرهم للعلاج[3].

أما بالنسبة لطعام المجتمع الموحدي فقد تنوع فمنها ما كان خاصا بمدن معينة مثل طعام" حصحصت" والخاص بمدينة مراكش، وهو لحم ممزوج ببعض التوابل، وقد اشتهر أهل مراكش وتارودانت بأكل الجراد أيضا، وهناك طعام خاص بالمناسبات مثل" أسماس" ولم تشر المصادر إلى مكوناته لكنه به لحم حسب تقديمه في المناسبات فقط، حيث يذكر أن المهدي بن تومرت قدمه لأصحابه بعد إحدى معاركهم مع المرابطين، كما يذكر أن عبد المؤمن بن علي قدمه لأحد قادة المرابطين بعد انضمامه إليه، وفرق الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين توليه الخلافة أسماس على الناس، ومن هنا نفهم أنه كان طعام المناسبات السعيدة[4].

وهناك مأكولات خاصة ببعض الفئات كطعام الخاصة المكون من لحوم البقر والغنم والدواجن، وطعام الأمخاخ خاص بالخلفاء يتكون من أمخاخ ما يذبح من الحيوانات والطيور، وأكلة الأحراش كانت تصنع للسيد أبي الحسن حفيد الخليفة عبد المؤمن بن علي، وهناك بعض

---

[1]- أبي زكرياء يحي: بغية الرواد، ج 1، ص 27.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 409.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 433- 434.

المأكولات المنسوبة لبعض البلدان كالمرزونة المصرية، والدجاجة العباسية، والقرصة التونسية، ومنها ما تنسب إلى الطوائف كالفروج اليهودي، والحجلة اليهودية[1].

وبالنسبة للأشربة فإن أهم شراب أقبل عليه أفراد المجتمع الموحدي وتفنن فيه المصامدة هو الرب، وهو الطبخ الخاثر من عصير العنب وكانوا يشربونه لأنه يبعث الحرارة في أجسامهم فيساعدهم على تحمل شدة جبل درن، وقد صار الناس يسرفون في تخميره حتى صار مفعوله مفعول الخمر، مما أدى بالخليفة عبد المؤمن إلى إصدار رسالة سنة 556هـ الموافق ل 1160م يأمر فيها بالكشف عن الرب وصانعيه ومدى مطابقته للشرع[2].

لكن رغم ذلك فإن البعض من أفراد المجتمع الموحدي استمروا في اتخاذ شراب الرب كشراب مسكر مما دفع بالخليفة يعقوب المنصور إلى تحريمه نهائيا سنة 580هـ الموافق ل 1184م. هذا إضافة إلى شراب آنزيز وهو شراب حلو وذلك بطبخ عصير العنب على النار حتى يذهب ثلثه، ثم يخلط بالماء[3] ومما سبق ذكره يمكن القول أن المائدة الموحدية تنوعت بالأطعمة والأشربة.

أما بالنسبة لأنواع لباس الموحدين فهو متعدد الأنواع أيضا، لكن قبل أن نعطي شرحا موجزا عنه فإنه يمكن القول أنه كان للمهدي بن تومرت تدخل في شأن لباس أتباعه وهو ما سارت عليه الدولة الموحدية وهو في وجوب كشف الرجال عن وجوههم وعدم استعمالهم للثمام، ووضع المرأة للثام على وجهها دون كشفه للعامة وفي ذلك عداء للمرابطين كشف عنه ابن تومرت في كتابه" أعز ما يطلب" وذلك في قوله:« أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أهل الباطل في زيهم وأفعالهم... وكذلك المجسمون الكفار وهم يتشبهون بالنساء في تغطية الوجه بالتلثم والتنقيب ويتشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقيب والتشبه بهم حرام»[4].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 435.

[2]- نفسه، ، ص 436.

[3]- نفسه، ص 436- 437.

[4]- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 236.

أما بالنسبة للألبسة فقد كانت معظمها صوفية وعادية حيث كانت قبائل المصامدة أهم قبائل الموحدين ملابسهم من الصوف ويحتزمون في أوساطهم بمآزر صوف ويسمونها أسفاقس، أما رؤوسهم فتبقى عارية، وقد حث ابن تومرت أتباعه على التقشف في اللباس والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن، وكان يضرب لهم المثل بنفسه حيث كان يرتدي عباءة مرقعة وقد اقتدى به الخليفة عبد المؤمن حيث كان يلبس قميص وسروال وجبة من الصوف رغم سلطانه وكثرة أمواله[1].

لكن عقب عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي فقد تحرر الناس من التقشف في اللباس وأقبل أفراد المجتمع الموحدي بمختلف طبقاته على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة، وقد تفننوا وأبدعوا في ذلك حتى جاء عهد الخليفة المنصور الموحدي، وفي سنة 580هـ الموافق أمر بصنع اللباس الغالي من الحرير ومنع النساء من الطرز الكثير وأمر بالرسم الرقيق على الحرير والاكتفاء بالتطريز القليل، كما أمر بإخراج ما كان في المخازن من ثياب الحرير والديباج المذهب حيث تم بيعها بأثمان لم تعرف[2].

وأما الخليفة المنصور فقد كان يرتدي الملابس الصوفية وكانت له ألبسة خاصة بكل موكب، حيث كان يلبس أثناء جلوسه للناس غفارة وهي نوع من الكساء مع برنس مكسي وهو رداء متصل بغطاء الرأس[3].

أما بالنسبة لزي ولباس الجند في الدولة الموحدية فقد ذكر أن ثيابهم كانت توزع عليهم من قبل الخلافة، ففي سنة 558هـ الموافق ل 1162م وزع الخليفة عبد المؤمن على جنوده الثياب والكساء والعمائم والبرانس، وفي سنة 561هـ الموفق ل 1167م وزع عليهم الخليفة بن عبد المؤمن كسوة تامة لكل جندي تتكون من غفارة[4] وعمامة وكساء[5] وقبطية[6]

[1]- الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 5، ابن القطان: نظم الجمان، ص 132.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 441.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- غفارة: كساء يلبس فوق آخر. أنظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 215.

[5]- كساء: الكساء فوق الغفارة يعني الرداء. أنظر نفسه، نفس الصفحة.

[6]- القبطية: ثوب أبيض رقيق من الكتان. أنظر نفسه، نفس الصفحة.

وشقة[1]، وفي سنة 566هـ الموافق ل 1170م وزع الخليفة نفس الثياب على الجند وزاد عليها مقطعين[2] مهدويين[3].

وقد كان اللون الأبيض هو الغالب على ملابس الموحدين إقتداء منهم بابن تومرت الذي كان يقول أنه هو نفسه يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أن اللون الأبيض كان يريح ابن تومرت لأنه كان مخالفا لألوان ملابس المرابطين التي كانت أغلبها سوداء [4]، وقد خص المنصور الموحدي في عهده اليهود باللون الأسود حتى يميز بينهم وبين باقي أفراد المجتمع الموحدي، وحدد لهم أيضا طريقة لباسهم ليس فقط اللون فقد كانوا يرتدون قميصا أسودا بأردان زرقاء بطول ذراع وعرض ذراع، وبرانس زرقاء، وقلانس زرقاء وذلك سنة 595هـ، وقد كره اليهود هذا اللباس واستاؤوا منه فتوسلوا للخليفة الناصر الذي سمح لهم بتغييره[5].

وعرفت حياة أفراد المجتمع الموحدي مجالسا متعددة النظر في أمورهم وحياتهم الدينية والدنيوية ومنها مجالس الخلفاء وهي المجالس التي كان يحضرها الخلفاء ومنها: مجلس الخليفة عبد المؤمن بن علي في داره مع طلبة الحضر، وكانت هذه المجالس تضم الخلفاء والأدباء وبعض رجال الدولة، ومن بين الذين حضروا مجالس الخلفاء الحافظ أبو بكر بن الجد حضر مجلس الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وأبو الحجاج المقسر وعبد الله بن سليمان بن حوط وابن زهر حضروا مجلس الخليفة يعقوب المنصور إضافة إلى طلبة المصامدة[6].

وكان لمجالس خلفاء الموحدين نظام خاص حيث يتصدر الخليفة المجلس، ثم خطيب الجماعة، ثم قاضي الجماعة بمراكش، ثم رئيس الأطباء، ثم أكبر علماء الحضرة، ثم باقي الأعلام، ثم يبدؤون النقاش حول مسألة علمية من طرح الخليفة أو أحد الحاضرين بعد إذن الخليفة، وتختتم

[1]- شقة: ما شق من الثياب على شكل مستطيل. أنظر نفسه، نفس الصفحة.
[2]- مقطع مهدوي: قميص داخلي. ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص 215.
[3]- نفسه، ص 215.
[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 442.
[5]- المراكشي: المعجب، ص 304.
[6]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 414- 415.

الجلسة بالدعاء للخليفة إضافة إلى المجالس العلمية كانت هناك مجالس أخرى لحل مشاكل الدولة[1].

وقد كانت هناك أيضا مجالس الوعظ والتي كانت من إنشاء المهدي ابن تومرت أيام نشر دعوته، ثم صارت عادة للصلحاء والعلماء يعظون الناس ويرشدونهم ومنهم من كان يتخذ الأسواق والطرقات مكانا لوعظ الناس كأبي العباس السبتي المراكشي المتوفى سنة 601هـ الموافق لـ1203م، ومنهم من كان يحدد أياما في الأسبوع للوعظ كأبي مدين المتصوف المتوفى سنة 594هـ الموافق ل 1197م وقد كان الناس يقصدونه من كل مكان، إضافة إلى المجالس العامة التي كان يحضرها الشعراء والأدباء والعلماء وأحيانا يشترك فيها حتى الأمراء في ولاياتهم[2].

وكان لموكب الموحدين العسكري نظام خاص وضعه داعيتها ابن تومرت وقد أشار إليه ابن القطان في قوله:« وعلم- ابن تومرت- الناس الحركة كيف تكون، فأمرهم إذا عزموا على الركوب أن ينادي منادي: الاستخارة بالله والتوكل عليه، وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجالة يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل، ويكون الأمير متقدما على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به يحفون به، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر [3] المعروفون بالساقة، ثم كل قبيل على ترتيب وحسن هيئة معه علاماته». وقد التزم الموحدون فأضافوا عليه أخذ مؤلفات المهدي ومصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه على دابة مزينة بالأقمشة الفاخرة[4].

وتضاف إلى الاحتفالات الدينية والعسكرية الاحتفالات المتنوعة التي كانت تقام بالعاصمة وغيرها من مدن المغرب وذلك لسبب هام كمجيء وفد أو تشييد إحدى المنشآت أو تولي أحد الخلفاء منصب الخلافة، وكان في هذه الاحتفالات يصدر العفو وتوزع الأموال، منها احتفال مراكش باستقبال يوسف بن عبد المؤمن وفود العرب التي قدمت لمبايعته وذلك سنة 566هـ

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ، ص 416- 417.

[2]- نفسه، ص 417- 418.

[3]- ابن القطان: نظم الجمان، ص 127.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 423.

الموافق ل 1170م، كذلك الاحتفال بإنشاء مدينة جبل الفتح سنة 555هـ الموافق ل 1159م، والاحتفال بشفاء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بعد مرضه لأيام عديدة[1].

أما بالنسبة للتسلية فقد كان أفراد المجتمع الموحدي سيلون أنفسهم في المنتزهات والحدائق ومنها الحديقة الكبيرة التي أنشأها عبد المؤمن بن علي وتعهدها من بعده باقي الخلفاء، إضافة إلى المنتزهات التي أنشئت في سلا في عهد الموحدين وحدائق سبتة، ولم تكن المنتزهات مقصدا للخلفاء أيضا والطلبة والحفاظ، وكانت بركة الماء التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن بن علي في بستانه مكانا للسباحة يقصده أبناء مراكش بمختلف طبقاتهم، إضافة إلى ممارسة الصيد في الغابات، واستقبال البلاد أصحاب الألعاب والفنون[2].

أما بالنسبة للموسيقى والغناء فقد عمل عبد المؤمن بن علي على محاربتها اقتداء بالمهدي بن تومرت، فحارب المغنيين ووسائل الغناء واللهو، إلا أنه رغم ذلك فقد تواجدت بعض الملاهي في المدن المختلفة من بلاد المغرب مما أدى بالخليفة عبد المؤمن إلى إصدار منشور عام سنة 556هـ الموافق ل 1160م يتضمن عدة أوامر ومنها محاربة أصحاب الملاهي ومصادرة آلاتهم، ونفس الشيء كرره حفيده يعقوب المنصور في محاربة الغناء والموسيقى حيث أمر بالقبض على المغنيين ومصادرة آلاتهم سنة 570هـ الموافق ل1184م[3].

أما عن احتفالات المجتمع الموحدي وأيام التسلية فقد تعددت فمنها الاحتفالات الدينية كصلاة الجمعة التي كان يقدسها الخلفاء الموحدون، فيخرجون إليها في موكب من كبار رجال الدولة باتجاه مسجد العاصمة الكبير، إضافة إلى احتفالات شهر رمضان التي كانت تعم كل طبقات المجتمع الموحدي، وكان الخلفاء يحتفلون بقراءة القرآن في مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه[4]، وقد أحضره الخليفة عبد المؤمن من الأندلس إلى قصره بمراكش[5].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ، ص 426- 428.

[2]- نفسه، ص 429- 432.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 430- 431.

[4]- المقصود به عثمان بن عفان رضي الله عنه.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 419.

أما احتفالات الأعياد فقد كان الخلفاء يخرجون لصلاة العيد في موكب من كبار رجال الدولة الذين يتقدمون لتهنئته بالعيد بعد الصلاة، فإذا كان عيد الأضحى ذبح بين يديه كبشا، وفي اليوم التالي يبقى بقصره ليستقبل الوفود التي تأتي لتهنئته وفي مقدمة هذه الوفود أشياخ الموحدين والجماعة وطلبة الحضر والفقهاء والقضاة والكتاب وكثيرا ما كان الخلفاء يوزعون الكباش على المحتاجين والفقراء [1]. ومن بين الاحتفالات الدينية الأخرى تشييع جنازة أحد الصالحين أو المتصوفين والتي كانت شبه مظاهرة دينية مثل جنازة المتصوف ابن العريف والذي توفي بمراكش سنة 536هـ الموافق ل 1141م[2].

إضافة إلى الاحتفالات الدينية فقد شهد المجتمع الموحدي احتفالات عسكرية والتي لم تكن حكرا على العاصمة فقط وإنما كانت تشمل عدة مدن أحيانا، وكان الناس يخرجون لمشاهدة الاستعراضات العسكرية، وقد كان محببا للخليفة عبد المؤمن بن علي أن يجلس ويستعرض جنوده وكتائبه، ويذكر أنه في سنة 579هـ الموافق ل 1183م دام الاستعراض العسكري بمراكش شهرا كاملا وذلك حين جهز الخليفة يوسف بن عبد المؤمن جنوده للعبور إلى الأندلس[3].

هذا وقد عرف المجتمع الموحدي عدة جوائح وأوبئة عادت عليه بالانعكاسات السلبية، وأدت إلى انتشار السرقة والسلب والاعتداء على أملاك وأعراض الغير، فقد تعرضت الدولة الموحدية لتلوث هواء مراكش سنة 564هـ الموافق ل 1168م مما شكل خطرا على المجتمع الموحدي حيث أدى إلى مرض الكثير من أفراد المجتمع، وكان سريع الانتقال، وقد عرف مجتمع الدولة الموحدية أيضا مرض الطاعون انتشر بمراكش سنة 571هـ الموافق ل 1175م وقد وصل عدد الموتى به إلى حوالي مائة وتسعين شخصا خلال سنة كاملة من الوباء [4]. وقد وصل الوباء إلى أسرة الخلافة حيث توفي به عدد من أفراد الأسرة مثل السيد أبو عمران وأخوه السيد أبو سعيد والسيد أبو زكرياء أولاد عبد المؤمن بن علي، والشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني جد

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ، ص 420.
[2]- المقري: نفح الطيب، ج 4، ص 101.
[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 420- 421.
[4]- نفسه، ص 410.

الحفصيين، وعدد من خدم القصر، ونتيجة لانتشار الوباء فقد لجأ الناس إلى حمل بطاقات فيها بياناتهم الشخصية حتى إذا فاجأهم الموت تم التعرف عليهم وأخذهم إلى أسرهم[1].

هذا إضافة إلى عشر مجاعات شهدها المجتمع الموحدي فيما بين سنة 614هـ إلى 651هـ الموافق لـ 1220م إلى 1257م[2]، ومجاعة بجاية سنة 610هـ الموافق لـ 1214م[3]، إضافة إلى جفاف سنتي 614- 615هـ الموافق لـ 1217- 1218م حيث أعقبته مجاعة كبيرة سنة 616هـ الموافق ل 1219م[4] إثر مهاجمة الجراد للمزروعات، ثم خف البلاء على البلاد نوعا ما سنة 618هـ الموافق ل 1220م ليعود إليها سنة 620هـ الموافق ل 1223م من جديد بجفافه ومجاعته وجراده[5].

إضافة إلى المجاعة والجفاف والقحط والجراد فقد عرفت الدولة الموحدية أيضا كارثة الفيضانات والسيول، وأهمها السيل الذي ضرب مدينة فاس ووصفت المصادر التاريخية بأن الأضرار التي خلفها كانت جسيمة وعظيمة وكان ذلك سنة 626هـ الموافق ل 1228م[6]، هذا زيادة على الأوبئة والأمراض التي انتشرت بالدولة الموحدية منها وباء سنة 610هـ الموافق ل 1213م[7]، ووباء سنة 630هـ الموافق ل1232م[8].

هذا ولم تسلم بلاد الأندلس هي الأخرى من الجوائح فقد شهدت غرناطة مجاعة كبيرة فيما بين سنتي 617هـ- 618هـ الموافق ل1220م- 1221م[9]، ومجاعة أخرى أصابت إشبيلية سنة 648هـ الموافق ل 1247م بسبب حصار النصارى[10]، هذا إضافة إلى تضررها من المدن الواقعة

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 410.

[2]- الحسين بولقطيب:المرجع السابق ، ص 47.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص 135.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 288.

[5]- مزدور سمية:المرجع السابق ، ص 113.

[6]- الحسين بولقطيب: المرجع السابق، ص 61- 68(إعادة النظر).

[7]- نفسه، نفس الصفحة.

[8]- نفسه، نفس الصفحة.

[9]- ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج 5، ص 645.

- فخري الوصيف: المجاعات في الأندلس، مجلة الفسطاط، ص 19.

[10] 11/ 08/ 2014, 12 : 30, W W W. elfustat. Blogspot. Com.

بين الأندلس والعدوة المغربية عندما تصاب بجائحة كالقحط الذي ضرب سبتة سنة 590هـ الموافق لـ1197م فتضرر أهلها وأهل المدن الأندلسية المجاورة لها [1]. هذه الجوائح والأوبئة أدت إلى زيادة عدد أفراد فئة المتسولين والأرامل والأيتام والمرضى وأصحاب الاحتياجات الخاصة، وأدت إلى نشر بعض الآفات الاجتماعية كالسرقة والسلب والنهب والبغاء وغيرها.

ب- 2 - الحياة الثقافية والإنجازات الحضارية:

لقد اهتمت الدولة الموحدية في الحياة الثقافية بمختلف العلوم النقلية والعقلية، ففي العلوم النقلية اهتمت ب

* **العلوم الدينية** : في مجال الفقه والأصول والحديث والتفسير، فكان لها عدة مفسرون عظماء كأحمد بن مسعود القرطبي، وأبي الحجاج يوسف بن عمران المزدغي، وأبي الربيع الكلاعي[2]، الكلاعي[2]، وأما في علم الحديث فقد برز ابن القطان الفاسي، وأبي عمر [3]، وفي مجال أصول الفقه الفقه كان هناك العديد من المشايخ كأبو عمر عثمان بن عبد الله بن عيسى السلاجي، وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم القندلاوي[4].

* **اللغة العربية وآدابها** : نشط في عهد الدولة الموحدية الشعر والنثر والأدب بصفة عامة وبرز العديد من علماء اللغة وآدابها منهم ابن هاشم اللخمي الإشبيلي، وابن معناء القرطبي، وأبو موسى الجزولي، وظهر العديد من الشعراء أيضا ومنهم من اشتهر في غرض معين من الشعر كابن سهل في الغزل، وابن خرمون في الهجاء، وابن مدحل في المدح [5]، وأما في العلوم العقلية فقد اهتم الموحدون أيضا بمجمل اختصاصاتها.

---

[1]- فخري الوصيف: المجاعات في الأندلس، مجلة الفسطاط، ص 19

[2]- إبراهيم حركات:المرجع السابق، ج 1، ص 354.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 485.

[4]- عبد الله كنون: النبوغ المغربي النبوغ المغربي في الادب العربي ، ج1،ط1،معرض الكتب ،دار النهضة العلمية ،بيروت ،لبنان 1960 ، ص 121-126.

[5]- عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 62.

* **الطب** : حيث اعتبر عصر الدولة الموحدية العصر الذهبي للطب، وبرز العديد من الأطباء خاصة في الأندلس مثل ابن البيطار، وبني زهر من أشراف مدينة إشبيلية وهم عائلة توارثوا علم الطب وامتهنوه أبا عن جد، وبني زهر هم من اكتشفوا علاج الأمراض الجلدية لكثرة أبحاثهم خلال ستة أجيال متتابعة ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، وقد تقدموا باكتشافهم للخليفة يعقوب المنصور [1]، وقد بنى الموحدون المستشفيات ونظموها تنظيما محكما، وكان الطب يدرس على عهدهم بالمغرب ومن أساتذته أبو الحجاج يوسف المريبطي حيث أخذ عنه بمراكش أبو العباس الكتباري[2]. هذا وقد اهتم الموحدون أيضا بفن الصيدلة وامتهنوها حيث كان بلاط الخلفاء يعج بالصيادلة كما يعج بالأطباء وقد كانت تمارس الصيدلة بمستشفى مراكش[3].

* **علم الحساب** : شجع الخلفاء الموحدون تعلم علم الحساب وبرز في هذا العلم أيضا العديد من العلماء مثل الإمام أبو العباس السبتي، وأبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي حيث ألف في هذا العلم كتاب أسماه" اللباب في مسائل الحساب"[4].

* **علم الكيمياء** : برز فيه علي بن موسى الأنصاري السالمي المعروف بابن النقرات، وأبو الطواجين القصري الكتامي وغيرهم ممن برزوا في هذا الميدان[5].

* الطب عند الموحدين: أسرة بني زهر ومنهم أبو مروان عبد الملك الذي عمل في خدمة الخليفة عبد المؤمن وألف له الترياق السبعيني مع عدة مؤلفات أخرى حتى نال مكانة رفيعة عنده، والتحق بعده بخدمة ابنه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ثم بخدمة حفيده يعقوب المنصور، إضافة إلى العديد من الأطباء المشهورين كابن طفيل، وأبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد [6]. استعمل الموحدون إضافة إلى الطب والصيدلة العلاج الطبيعي كالاعتماد على مياه أحد أنهار فاس

[1]- ليلى أحمد النجار: المرجع السابق، ص 517- 525.

[2]- مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 21.

[3]- ليلى أحمد النجار: المرجع السابق، ص 526.

[4]- أحمد ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص 483.

[5]- محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 87.

[6]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 413.

التي كانت تقضي على حشرات الرأس، ومياه العيون الساخنة، وبعض النباتات التي كانت تتواجد بجبل فزاز ومدينة إجلي[1].

* **علم التاريخ** : اهتم الموحدون اهتماما بالغا بهذا العلم وذلك لاهتمامهم بأمر دولتهم، ومحاولة تدوين كل صغيرة وكبيرة حسنة وسيئة عن أيامها وعصورها، ومن أهم مؤرخي هذه الدولة والذين حملوا على عاتقهم تدوين أحداث الدولة عبد الملك بن صاحب الصلاة صاحب كتاب" المن بالإمامة"، وعبد الواحد المراكشي صاحب مؤلف" المعجب في تاريخ المغرب"، وابن عذارى المراكشي[2]، ومنهم من اهتم بتدوين أحداث الدولة الموحدية بالأندلس مثل عبد الله القضاعي المشهور باسم ابن الآبار ومن أهم مؤلفاته" الحلة السيراء" و" التكملة لكتاب الصلة"[3].

* **علم الجغرافيا** : من أهم علماء هذا الميدان محمد بن عبد الله الحسني السبتي المعروف بالشريف الإدريسي صاحب مؤلف" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[4].

* **علم الفلسفة** : اهتم الخلفاء الموحدون بعلم الفلسفة وفي مقدمتهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، حتى أنهم أفسحوا المجال لترجمة مؤلفات فلاسفة يونانيين، فقد ترجم أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد العديد من مؤلفات أرسطو [5]، ومن أشهر فلاسفة العصر الموحدي أيضا ابن طفيل وقد كان أحد المقربين للخليفة يوسف بن عبد المؤمن وهو الذي أرشده إلى أبي الوليد بن رشد[6].

* **علم التصوف** : انتشر علم التصوف في الدولة الموحدية خاصة في ق 5هـ الموافق ل 11م ويؤكد هذا صاحب مفاخر البربر في قوله:«... وأما الأولياء والصلحاء والعباد والأشقياء والزهاد والنساك فقد كان في بلاد البربر ما يوقي على عدد الحصى» [7]. وقد اهتم الخلفاء الموحدون

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 411- 412.

[2]- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 11- 12.

[3]- نفسه ،نفس الصفحة

[4]- محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 57.

[5]- عبد الله كنون: النبوغ المغربي ،ج1 ، ص 134.

[6]- إبراهيم خليل السمرائي: المرجع السابق، ص 252.

[7]- مجهول: مفاخر البربر، ط 1، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي فراق، الرباط، 2005، ص 176.

الموحدون بهذا العلم وشجعوا عليه ويعبر ابن أبي زرع على أن الخليفة المنصور كان يهتم بالمتصوفة فيقول:« الخليفة المنصور كان كثير الصدقة، مجلا للجهاد، يشهد جنائز الفقهاء والصالحين، ويزورهم ويتبرك بهم»[1].

وفي خلال ق 6هـ الموافق ل 12م ظهر وبرز العديد من علماء التصوف بالدولة الموحدية مثل أبي مدين الغيث[2]، وقد كان للمرأة الموحدية حظ في تعلم مختلف العلوم وقد برزت العديد من النسوة في مختلف العلوم منهن: الأميرة زينب التي برزت في علم الأصول والتي أخذته عن والدها يوسف بن عبد المؤمن، حفصة بنت الحاج الركونية وهي من أشهر شاعرات الأندلس وقد مدحت الخليفة عبد المؤمن ثم قامت بالتدريس في قصر الخليفة المنصور الموحدي للنساء وغيرهن كثيرات [3]، إلا أنه رغم حظ المرأة الموحدية في التعلم لم يكن لها حظ في النفوذ والسلطة ما عدا زوجة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ابنة محمد بن سعد بن مردنيش عدوه بشرق الأندلس التي استغلت مكانتها عند زوجها وعينت بعض أقربائها في بعض المناصب المهمة حتى قيل أن الناس كانوا يضربون المثل بحب الخليفة للزرقاء المردنيشية [4]، ويعبر أيضا ابن الخطيب عن هذا فيقول:« واتفق لقومها من البخت بسببها ما لم يتفق لثائر ولا مخالف ملك من إعادته إلى ملكه فأنفذ تقديم الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش على بلنسية وجهاتها وقدم غانم ابن محمد على أساطيل العدوة بسبتة وأمسك هلالا بحضرته أثير الرتبة لدية»[5].

هذا وقداهتم الخلفاء الموحدون بالبناء والتعمير واستعانوا بخبرة أهل الأندلس، وابتعد عبد المؤمن بن علي في بداية عهده عن الزخرفة والنقش عملا بتعاليم ابن تومرت، لكن بعد فترة زمنية أخذ بأسباب الزخرفة في المباني وتبعه في ذلك باقي الخلفاء الموحدين، وأنشأوا المدن وأهمها مدينة رباط الفتح وهي بالقرب من سلا، وقد سميت في البداية بالمهدية تيمنا بالمهدي بن تومرت، ثم اتخذها عبد المؤمن كقاعدة عسكرية لجيشه، ثم شيد بها المنشآت وسكنها الناس سنة 545هـ

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 267.

[2]- أبي مدين الغيث: هو أبي مدين الغيث بن الحسن الأنصاري ولد بإشبيلية سنة 509هـ الموافق ل 1115م، درس بفاس واستقر ببجاية لكنه بعد مدة رحل إلى تلمسان وتوفي بها. أنظر الذهبي أمير أعلام النبلاء، ج 5، ص 380.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 361.

[4]- نفسه ،نفس الصفحة .

[5]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام،، ص 312.

الموافق لـ 1150م وصارت مدينة عادية وليست عسكرية، وقد اهتم بها مجمل الخلفاء الموحدين حتى أن المنصور الموحدي كان يفكر في جعلها عاصمة وأنفق أموالا طائلة لتوسيعها لكن المنية منعته[1].

هذا وقد اهتم عبد المؤمن بن علي بإدخال الماء إلى مدينة سلا عبر القنوات المتصلة بإحدى العيون المائية وذلك سنة 454هـ الموافق لـ1150م، وكذلك عمل الخلفاء الموحدين على توسيع الطرق في المدن، وإنشاء الأسواق بها خاصة بالعاصمة مراكش، وأنشأوا الأبواب للمدن كباب أكناور الذي أنشأه يعقوب المنصور بمراكش، وكانت أبواب المدن تغلق ليلا، وشجع الخلفاء الموحدين الناس على بناء المنازل والقصور، والقصور التي بناها يعقوب المنصور فقد كانت ذات أسوار عالية، وبها مقر الخلافة بالإضافة إلى بنائه لعدة ديار منها دار البلور ودار الريحان[2].

أما بالنسبة للحصون والقلاع فلم يشيد الموحدون حصونا وقلاعا كثيرة، ومن أهم حصون الموحدين: قصبة المهدي التي بناها عبد المؤمن بن علي سنة 545هـ الموافق لـ 1150م عند مصب وادي أبي رقراق، والحصن الذي شيده الموحدون بالقرب من تلمسان، وحصن السوس الأقصى والذي بناه عبد المؤمن بن علي للإشراف على الفضة [3]. هذا إضافة إلى تشييد بعض الأسوار على بعض المدن ومن ذلك إعادة بناء أسوار مدينة فاس في عهد المنصور الموحدي والتي هدمها جده عبد المؤمن بن علي، كذلك الأسوار التي أمر الخليفة الناصر بإقامتها سنة 601هـ الموافق لـ 1204م حول بعض المدن منها مليلة[4].

أما المنشآت العامة كالمساجد والمدارس فهي الأخرى لم يهملها الموحدون، فبالنسبة للمساجد قام الموحدون بهدم مساجد المرابطين وإقامة مساجد أخرى مكانها، حيث شرع الخليفة

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 382- 385.
[2]- نفسه، ص 387- 391.
[3]- نفسه، ص 394.
[4]- نفسه، ص 396.

عبد المؤمن في بناء جامع كبير بمراكش فيسنة 553هـ الموافق لـ 1157م، وقد حشد له مجموعة كبيرة من الصناع حتى اكتمل في فترة وجيزة، كما أمر عبد المؤمن سنة 555هـ ببناء وإصلاح المساجد في جميع بلاده، وبنى مسجدا بمدينة تينملل[1]، والخليفة يوسف بن عبد المؤمن بنى مسجدا بمدينة رباط الفتح ضخما يصفه المراكشي في قوله:« وبنى فيها مسجدا عظيما كبير المساحة واسع الفناء جدا لا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه وعمل له مئذنة في نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يصعد فيه بغير درج»[2]. وتميزت مآذن الموحدين بالشكل المربع ومنه انتقلت إلى باقي مآذن المغرب، وكانت بعض المساجد تنار ليلا وخاصة في ليالي رمضان ومنها مساجد فاس[3].

وقد اهتم الخلفاء الموحدون أيضا ببناء المدارس، حيث بنى عبد المؤمن بن علي مدرسة بقصره لتخريج الحفاظ، ومدرسة الأوداية لتخريج ضباط البحرية، أما الخليفة يعقوب المنصور فقد بنى عدة مدارس منها مدرسة المهدية بمدينة المهدية، وكانت بعض المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها، وكانت تشتمل على عدة غرف وعلى قاعة كبيرة للدرس[4].

أما بالنسبة للمستشفيات فقد اهتم بعض خلفاء الموحدين بإنشائها ومنهم المنصور الموحدي الذي قام بإنشاء مستشفى كبير وجهزه بكل أنواع العلاج وحشد له مجموعة من الأطباء وذلك للسهر على راحة المرضى، كما اهتم الموحدون ببناء الحمامات وقد اهتم بإنشائها على وجه الخصوص الخليفة الناصر الموحدي حيث بنى حوالي ثلاثا وتسعين وثلاثمائة حمام، وأما مدينة مكناسة فقد احتوت في عهد الموحدين على ثلاث حمامات[5].

أما الفنادق فقد ارتبطت بالحركة التجارية لأنها كانت تنشأ للتجار، فقد أنشأ يعقوب المنصور العديد من الفنادق بمراكش ووالده يوسف بن عبد المؤمن أنشأ العديد منها بمدينة رباط

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 398- 399.

[2]- المراكشي: المعجب، ص 266.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 400.

[4]- نفسه، ص 401.

[5]- نفسه، ص 402.

الفتح، وفي عهد الناصر بلغ عدد الفنادق حوالي سبعة وستين وأربعمائة، وكانت الفنادق تقسم إلى عدة أمكنة مكان للنوم والراحة، وآخر لأشغال البيع وغيرها، وكان يطلق على الفندق اسم السلعة التي تباع فيه[1].

وقد اهتم الموحدون أيضا ببناء القناطر حيث شيد عبد المؤمن بن علي قنطرة بين سلا والمهدية، إلا أنها تهدمت بتأثير قوة التيار، وقنطرة تانسيفت التي تهدمت بفعل السيول فقد أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بتجديد بنائها، واهتم الخليفة المنصور هو الآخر بتشييد القناطر[2].

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص 404.
[2]- نفسه، ص 405.

ب-3- دراسة مقارنة: الانعكاسات:

بالنسبة لانعكاسات نظامي الحكم على بلاد المغرب من الناحيتين السياسية والعسكرية فيمكن القول أننا سجلنا العديد من نقاط التشابه، بحيث شهد النظامان حركات مناوئة لسياستهما بالعدوتين فالنظام المرابطي شهد بالمغرب حركة فاس بعد وفاة يوسف بن تاشفين [1]، وشهد بالأندلس حركة قرطبة والعديد من الحركات المناوئة التي أطلقت عليها المراجع والمصادر اسم الثورات بالأندلس ضد حكم المرابطين [2]، إلا أن هذه الثورات أو الحركات المناوئة بالأندلس لم تظهر إلا بعد أن كانت الدعوة الموحدية قد عصفت بنظام الحكم المرابطي بالمغرب، فحركة الموحدين هي أهم حركة مناوئة للنظام المرابطي فقد تمكنت من أن تعصف بالحكم المرابطي بالمغرب والأندلس لأن زعماء الحركة المناوئة بالأندلس ما إن ثاروا على حكم المرابطين حتى سارعوا بطلب النجدة من الموحدين ومبايعتهم[3].

وقد استطاعت حركة الموحدين المناوئة لنظام الحكم المرابطي أن تعصف به لأنها اتخذت مع الحركات المناوئة لنظام الحكم المرابطي داخل البلاط كما سياتي التفصيل فيها ، مما أحدث الإنقلاب في السلطة لصالح الزناتيين بتوظيف جموع المصامدة ضد الصنهاجيين، فالنظام المرابطي لم يشهد حركة مناوئة قوية ومنظمة من الناحية العسكرية لولا ظهور حركة الموحدين التي استعانت عسكريا بالعناصر المعارضة في الجيش المرابطي نفسه، وهذا ما يسجل كنقطة اختلاف مع النظام الموحدي، بحيث شهد النظام الموحدي نوعين من الحركات المناوئة خاصة ببلاد المغرب فقد شهد حركات مناوئة مردها الأحقاد الشخصية أو محاولة الاستقلال بإقليم معين لكن هذه الحركات كانت تتميز بسوء التخطيط وضعف في الجانب المادي والمعنوي وغياب فكرة الإيمان بالمبدأ الذي على أساسه تقوم هذه الحركة وتدعو إليه، ومن هذه الحركات أخواي أبي المهدي بمراكش سنة 549هـ/ 1155م[4]، بحيث قام عيسى وعبد العزيز أخواي المهدي بالتصدي لعبد المؤمن بن

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 129.

[2]- ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 197- 198. هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 71- 73. Louis Vurdot : op. cit, p 256.

[3]- ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 205- 206.

[4]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 28.

علي ومحاولة انتزاع الحكم منه بحجة أنهما أخواي المهدي وأبناء قبيلة هرغة، وهذه حركة بدافع الأحقاد الشخصية وقد برزت بشكل جلي بعد إعلان عبد المؤمن بن علي بيعة ابنه محمد وليا للعهد سنة 549هـ/ 1155م[1]، لكن أهل مراكش وجند الجيش الموحدي لم يستجيبوا لهذه الحركة وتمكنوا من القضاء عليها بحيث قتلوا عبد العزيز عند باب الدباغين وقتلوا عيسى عند باب أغمات إيلان[2]، وبالقضاء على هذه الحركة قضى عبد المؤمن [3] على أدنى شك عند المصامدة قد يراودهم في مسألة منازعة الحكم.

وحركة قبيلة هرغة في عهد يوسف بن عبد المؤمن بدافع الاستيلاء على مال الرعية عن طريق الاستحواذ على معدن الفضة الذي كان يستخرج من جبل السوس بالقرب من ديارها، إلا أن يوسف بن عبد المؤمن تصدى لها وأرغمها على الولاء والطاعة وجعل التصرف في معدن الفضة المستخرج من شأن رجال الدولة[4].

وشهد النظام الموحدي العديد من الحركات المناوئة إما قبلية كحركة دكالة، وجزولة، ولمطة[5]، وإما جاءت بظهور أشخاص متأثرين بالمهدي بن تومرت ورأوا أن تقليدهم له قد يعود عليهم بالمكانة المقدسة بين الأتباع مثلما عادت عليه، ومن هذه الحركات حركة محمد بن عبد الله ابن هود الماسي وباءت بالفشل [6]، وحركة تزعمها شخص آخر اسمه عبد الرحمن وادعى أنه من الفاطميين ظهر فيما بين 596هـ/ 1200م- 601هـ/ 1205م وهزمه الموحدون بفاس فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى مراكش [7]، وحركة عبد الرحمن الجزولي سنة 598هـ الموافق لسنة 1202م[8]،

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 149.

[2]- البيذق: المصدر السابق، ص 78. ابن عذارى: البيان المغرب، ج 3، ص 28.

[3]- تواجد عبد المؤمن بتينملل حيث كان في زيارة اليها ثم عرج على سلا لبنائها وكان قد عقد لولاية العهد لابنه محمد فبايعه بها الناس وعبد المؤمن بسلا. انظر البيذق :المصدر السابق ،ص78

[4]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 120. عقيلة غناي: سقوط دولة الموحدين، ص 130.

[5]- البيدق: المصدر السابق، ص 69- 70.

[6]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 26. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 480.

[7]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 327- 328. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 311.

[8]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 315.

وحركة عبد الله بن زكرياء الهزرجي [1] وهو أحد مشايخ الموحدين وهذا الأخير لم يعارض النظام الموحدي منذ البداية وإنما ظهرت معارضته بعد إعتلاء الحكم السعيد علي بن إدريس بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن سنة 646هـ الموافق لسنة 1152م، لكنه تمكن من القضاء عليه وقتله رغم محاولة التشفع له من باقي الأشياخ[2]، وفي أواخر العهد الموحدي ظهرت العديد من من الحركات المناوئة للنظام الموحدي منها حركة ابن الفرس [3]، وحركة علي بن يدر [4]، وحركة أبي دبوس[5].

هذه الحركات المناوئة للنظام الموحدي ما ظهر منها في بداية العهد الموحدي كانت كما ذكرنا إما نتيجة لأحقاد شخصية أو تمرد قبائل، وما ظهر منها في أواخر العهد الموحدي كان نتيجة الصراع من أجل الحكم، إلا أن الحركتين اللتين حملتا أفكارا سياسية وكان هدفها القضاء على النظام الموحدي هما الحركتان اللتان تفصلنا فيهما حركة بني غانية ببلاد المغرب، وحركة ابن مردنيش بالأندلس، فهما حركتان تحملان أهدافا سياسية وتخطيطا عسكريا، وكادت كلاهما أن تعصف بالحكم الموحدي واستمرتا وقتا طويلا، وشهد النظام الموحدي مع الحركتين صداما مسلحا طويلا عاد عليه بالنتائج السلبية، وهذه نقطة اختلاف تسجل بين النظامين المرابطي والموحدي بحيث النظام المرابطي لم يعرف العديد من الحركات المناوئة ولم يعرف حركة من هذا النوع.

---

[1]- عبد الله بن زكرياء الهزرجي: كان واليا على سجلماسة سنة 645هـ الموافق لسنة 1244م. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 617.

[2]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 365.

[3]- حركة ابن الفرس: هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس ويعرف بالمهر، وكان من طبقة العلماء بالأندلس فادعى أنه صاحب مبادئ يريد تحقيقها ودعى الناس إليها، ومن مبادئه الإمامة في رجل من قحطان وأنه هو قحطاني. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 522- 523. الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 218.

[4]- حركة علي بن يدر: هو وزير المرتضى أبي حفص عمر بن السيد إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن فخالف بن يدر المرتضى وهرب إلى السوس، بحيث انضمت إليه قبائل جزولة وأعلنت طاعتها إليه، وتمكن من الاستيلاء على السوس الأقصى وتمكن من هزيمة الموحدين في بعض الوقائع واستمر عصيانه إلى غاية عهد أبي دبوس أبي العلاء بن السيد محمد بن السيد عمر ابن عبد المؤمن سنة 565هـ الموافق لسنة 1266م، حيث ألقى عليه القبض قرب ثارودانت وطلب منه تجديد الولاء والطاعة فجددها يدر. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 544. الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 253- 254.

[5]- حركة أبي دبوس: هو أبو العلاء إدريس بن السيد محمد بن السيد عمر بن عبد المؤمن بن علي ابن عم المرتضى وقائد جنده، لكنه خرج على طاعة المرتضى وفر من مراكش، وذلك من أجل طمعه في منصب الحاكم، فلحق ببني مرين أعداء الموحدين وتحالف معهم ضد المرتضى. أنظر: ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 3، ص 441. ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 260.

فوجه التشابه بين النظامين أنه كلاهما شهدا حركات مناوئة أما وجه الاختلاف فهو في أن الحركات المناوئة التي هددت النظام الموحدي هي أكثر وأخطر من التي هددت النظام المرابطي.

وحركة بني غانية ببلاد المغرب استطاعت أن تبقى مدة طويلة على مناوئتها لنظام الحكم الموحدي وصممت على الاستمرار في ذلك وخوض معارك مسلحة ضد النظام الموحدي، لأنها الحركة الوحيدة التي كان لها مبدأ تؤمن به وهو إحياء مجد النظام المرابطي، فمحاولتها إحياء مجد النظام المرابطي وإيمان أصحاب هذه الحركة بهذا المبدأ أحدث زعزعة في كيان النظام الموحدي ليس عدة وعتادا وإنما من ناحية الفكرة، فقد خشي حكام الدولة الموحدية انتشار أفكار بني غانية المرابطية والتفاف الناس حولها، لذلك عزموا على مطاردتهم وخوض معارك طاحنة معهم أثقلت كاهل الدولة في جميع الجوانب خاصة العسكري، ورغم أن هذه الحركة أضعفت الدولة إلا أنها لم تعصف بنظامها ولم تتمكن من إعادة إحياء مجد النظام المرابطي حتى في مرحلة ضعف النظام الموحدي لأنه كان قد تم القضاء عليها من الناحية المعنوية كفكرة ومن الناحية المادية كجيش يتألف من جند وقادة.

أما حركة ابن مردنيش بالأندلس فهي حركة كان مصيرها الفشل رغم أنها استمرت مدة طويلة، جاء استمرارها هذا نابع من الإيمان بمبدأ الاستقلالية بإمارته، بحيث أراد ابن مردنيش الاستقلال بإمارته في شرقي الأندلس وامتنع عن إعلان الطاعة والولاء للنظام الموحدي مما جعله يخوض هو الآخر صراعا مسلحا ضد النظام الموحدي، وأرهق هو الآخر كاهل النظام الموحدي لكن لأنه لم يكن له أتباع من ضمن أعضاء البلاط الموحدي فلم يتمكن من الصمود، فبدأ يفقد أتباعه تدريجيا أولهم ابن همشك ، ثم بعض الرجال من حوله إلى أن تسرب الضعف إلى داخل بلاطه مما ساعد النظام الموحدي في القضاء عليه.

ومما سبق ذكره يمكن القول أن الحركتين– بني غانية بالمغرب، وابن مردنيش بالأندلس– كان لهما مبدأ تقومان على نشره بين الجند والرعية حتى تمكنتا من الاستمرار لوقت طويل، وقد أخذ النظام الموحدي مسألة محاربتهما على محمل من الجد لأن الحكام الموحدين كانوا على يقين بأنهم يحاربون مبدأ الحركتين قبل أن ينتشرا وليس جيش الحركتين، فلو انتصر ابن مردنيش سادت

في جميع ربوع الأندلس فكرة الاستقلال عن النظام الموحدي، ولو انتصر بنو غانية لتم القضاء على النظام الموحدي وعاد النظام المرابطي إلى سابق عهده بمراكش.

وأخيرا مجمل القول أن النظام الموحدي بدأ كفكرة ثم تحول إلى حركة مناوئة للنظام المرابطي اتحدت مع عناصر المعارضة داخل البلاط المرابطي، مما أدى إلى العصف بهذا النظام والانقلاب في الحكم لصالح الزناتيين والمصامدة، وإنشاء نظام حكم جديد هو النظام الموحدي، والمجموعة التي بقيت على وفائها للنظام المرابطي ولم تلتحق بالأقوى(النظام الموحدي) صارت بدورها حركة مناوئة لهذا النظام(النظام الموحدي) وتمثلت في حركة بني غانية .

هذا ورغم تفاوت الحركات المناوئة للنظامين من جانب عدد الحركات وقوتها واستمراريتها إلا أنها كلها ساهمت في تسرب الفساد السياسي والإداري لأجهزة النظامين خاصة وأن بعض المميزات التي ميزت النظامين من الناحية الإيجابية صارت بمرور الوقت سببا في تفكك أجهزة الدولتين ومن هذه المميزات ما يلي:

- حرص كل من حكام النظامين المرابطي والموحدي على أن لا يخرج الحكم من أسرتيهما، مما أدى إلى طمع كل فرد من الأسرة في اعتلاء منصب الحاكم وأنه الأحق به، والشيء الذي أحدث الصراع بين الأفراد داخل كل أسرة من الأسرتين الحاكمتين ونلمس هذا من خلال اختيار يوسف بن تاشفين أصغر أبنائه وليا للعهد، هذا الأخير الذي عقد البيعة لابنه تاشفين مما جعل نظام الحكم ينحرف من مبدأ الشورى إلى مبدأ الوراثة، وسبب صراعا على منصب ولاية العهد بين باقي أفراد الأسرة[1].

وأما في النظام الموحدي فنلمس هذا من خلال عقد عبد المؤمن بن علي بيعة ولاية العهد لابنه محمد واستبعاد أشياخ الموحدين وجموع المصامدة من التفكير في اعتلاء منصب الحكم، مما أدى إلى الصراع بين أبناء وأحفاد عبد المؤمن بن علي على السلطة، فيوسف بن عبد المؤمن لم

---

[1]- محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص 288. حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 345- 346.

يتسلم بيعة أخويه أبو محمد وأبو سعيد، وأما المنصور فقد كان له عدد كبير من المنافسين من إخوته وعمومته[1].

– مراقبة الحكام للولاة، مما جعل هؤلاء الولاة يضيقون ذرعا بهذه المراقبة ويفكرون في الاستقلال بولايتهم وإعلان العداء على النظام، ونلمس هذا من خلال ذكر المصادر لاستنكار العديد من الولاة لكفاءة علي بن يوسف بن تاشفين في تسيير أمور دولته وعدم مساهمتهم في نفقات الجهاد[2].

أما في النظام الموحدي فنلمس هذا من خلال امتناع أبو محمد بن الشيخ أبي حفص عن بيعة يوسف المستنصر[3]، وهذا ما يسجل كنقطة توافق بين النظامين من ناحية تشخيص أسباب التفكك السياسي والإداري الذي أصاب جهاز الحكم في النظامين.

هذا إضافة إلى نقطة توافق أخرى تمثلت في تدخل النساء في الحكم، بحيث أشرنا إلى هذا عند المرابطين حسب ما ذكره عبد الواحد المراكشي [4]، أما في النظام الموحدي فقد أشرنا إلى هذا في ذكر حادثة تدخل زوجة المأمون حبابة في حصول البيعة لابنها الرشيد[5].

أما نقاط الاختلاف المسجلة في هذا الصدد فهي التزام ولاة الأمر والحكام في النظام المرابطي بآراء الفقهاء مما أدى بهم إلى مسايرتهم في الفتاوى التي ترضي أهواءهم الشخصية، ونلمس هذا من خلال فتوى إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي [6]، وهذا ما لم نلمسه في النظام الموحدي إلا أننا لمسنا بشكل جلي تسلط الوزراء والموظفين بالجهاز الإداري، واستعلائهم على الحكام مما أدى إلى ضعف في جميع مؤسسات الدولة وخاصة المؤسسة العسكرية [7]. كما نلمس في النظامين اختلافا بعض الشيئ في معاملة الحكام للخصوم ،بحيث انه في النظام المرابطي

---

[1]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 276– 278.
[2]– عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 135.
[3]– عزالدين عبد الرؤوف موسى: المرجع السابق، ص 90– 91.
[4]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 177.
[5]– عزالدين عبد الرؤوف موسى: المرجع السابق، ص 93.
[6]– أسامة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص 94.
[7]– نفسه ، ص 90– 91.

لم يكن حكام الدولة يرحمون الخصوم او يشفعون لهم ،بل بمجرد اخضاعهم يقومون باسرهم او قتلهم وهذا ماحدث مع ملوك الطوائف ولعل معاملة يوسف بن تاشفين لخصمه المعتمد بن عباد بعد اخضاع امارته ابرز دليل على ذلك [1]، رغم ان الدعوة المرابطية جاءت تتسم ببعض الرحمة وعدم التساهل في اراقة الدماء،ا ما الموحدون فرغم انه مراحل الدعوة شهدت بعض التساهل في اراقة الدماء كعملية التمييز ومرحلة التاسيس ايضا شهدت نوعا من هذا الشيئ كقتل عبد المؤمن لتاشفين بن علي وغلامه وبعض الناكثين لبيعته كاخواي المهدي ،الا انه بعد عهد عبد المؤمن شهد النظام الموحدي بعض الرحمة والشفقة بالخصوم ،بحيث عزم حكام الدولة الموحدية على تقريب الخصوم الى بلاط الحكم بعد اعلان الطاعة لهم والتصاهر معهم بعقد القران على بناتهم ،وهذا ما قام به الحكام الموحدون مع بني مردنيش بعد اعلان الطاعة [2]،والاعتناء بذويهم واكرامهم و نلمس هذا في معاملة حكام الدولة الموحدية لمن اعلن الطاعة من بني غانية ثم مدى الاعتناء الذي تلقته بنات يحيى بن غانية في ظل الحكم الموحدي بافريقية من غير اعلان والدهم لطاعة الموحدين[3] ، وقد عبر عن هذا صاحب المعجب بقوله :حسن معاملة الموحدين لمن يغلبونهم من الملوك[4]، وهذا وجه اختلاف اخر يسجل بين النظامين .

هذا وانعكس النظامان الموحدي والمرابطي بإيجابياتهما وسلبياتهما على الحياة الإقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية لبلاد المغرب والأندلس، فمن الناحية الإقتصادية اهتم النظامان بكل أنواع الأنشطة الإقتصادية، بحيث ازدهرت الحياة الإقتصادية في عصري المرابطين والموحدين، فقد اهتم كل من حكام النظام المرابطي وحكام النظام الموحدي بالزراعة فرغم ان المرابطين ليسوا بمزارعين في الأصل إلا أن انتقالهم إلى السهول الشمالية ببلاد المغرب ودخولهم إلى الأندلس جعلهم يهتمون بالزراعة[5].

---

[1]- المراكشي: المعجب، ص 106-108.

[2]- نفسه، ص 183-184.

[3]- ابن خلدون :العبر ،ج6،ص197.

[4]- المراكشي: المعجب، ص186

[5]- نفسه، ص 76.

وشدد أيضا الحكام الموحدون على الاهتمام بالزراعة خاصة وأنهم أهل زراعة، فأغلبهم ينتشرون بجبال درن من أراضي- المصامدة- كما قدس الموحدون الزراعة منذ بداية دعوتهم إذ حثهم على ذلك ابن تومرت [1]، هذا وحينما دخل عبد المؤمن بن علي إلى إفريقية فإنه أمر جنوده بعدم المساس بالمزروعات مما يؤكد على قداسة الزراعة في النظام الموحدي [2]، أما بالنسبة للنظام المرابطي فقد جاء اهتمامه بالزراعة متأخرا وكان بعد استباب الأمر للنظام وهذا ما يسجل كنقطة اختلاف بين النظامين، بحيث اهتم كلاهما بالزراعة إلا أن اهتمام النظام المرابطي بها جاء متأخرا على اهتمام النظام الموحدي بها.

أما في سياسة إمتلاك الأراضي فكلاهما عمد إلى نظام الإقطاع بحيث وزع الحكام المرابطون والحكام الموحدون الأراضي على شكل إقطاعات لمجموعات من فئات المجتمع [3]، وهذا ما يسجل كنقطة تشابه بين النظامين. أما نقطة الاختلاف في هذا الصدد فقد أضاف النظام المرابطي نظامين آخرين في سياسة امتلاك الأراضي لم يعرفهما النظام الموحدي وهما نظام التطبيب ونظام التخميس[4].

انتشرت الزراعة في عصر المرابطين بالإقليم الساحلي، وإقليم الوديان، وإقليم جبال درن، وإقليم الصحراء وهي نفس الأراضي التي انتشرت فيها في عصر الموحدين ومن هذه المناطق مكناسة، وتلمسان، وجبال درن، مراكش وأغمات ببلاد المغرب، ومرسية وبلنسية وإشبيلية ودانية ومالقة بالأندلس[5].

ويمكن اعتبار المحاصيل الزراعية التي انتشرت بالعصرين المرابطي والموحدي نقطة تشابه بين النظامين من حيث اهتمامهما بهذه الأنواع من المحاصيل الزراعية والتي تمثلت في القمح، والشعير،

---

[1]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 228.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 237- 239.

[3]- نفسه، ص 237.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 245- 248. حمدي عبد المنعم ،محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 359.

والذرة، القطن، قصب السكر، الكتان، وبعض التوابل كالكمون والكروية [1]، إلا أن النظام الموحدي اختلف بعض الشيء عن النظام المرابطي بحيث اهتم ببعض الخضر مثل الخيار، القثاء، اللفت، الباذنجان، القرع، الجزر، اللوبيا، الكرنب وغيرها. تشابه أيضا النظامان في اهتمامهما بالغابات، وتربية الموشي، وزاد النظام الموحدي عن النظام المرابطي في اهتمامه بتربية الدواجن[2].

واهتم أيضا النظامان المرابطي والموحدي بالصناعة، بحيث ازهرت الصناعة ببلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين بمختلف انواعها، وانتشرت المراكز الصناعية ببلاد المغرب والأندلس فقد كانت سبتة وطنجة في عصري المرابطين والموحدين مركزا لصناعة السفن، ومراكش لصناعة الصابون والمغازل، وفاس لصناعة الدباغة وتسبيك الحديد والنحاس والزجاج، وسوس لصناعة الورق، ونول لمطة لصناعة الدرق اللمطية للحروب والسروج واللجم [3]، وألمرية لصناعة المنسوجات والحرير بالأندلس والسفن، وإشبيلية لصناعة الزيت، وسرقسطة لصناعة الفراء[4].

إهتم النظامان المرابطي والموحدي بالنشاط التجاري، فقد تنوعت الطرق التجارية ببلاد المغرب والأندلس البرية والمائية، فقد ظلت موانئ سبتة وطنجة وسلا تلعب الدور الأساسي خلال العصرين في ربط الطرق المائية بين الأندلس والمغرب[5].

هذا وقد نشطت التجارة الخارجية في العصرين المرابطي والموحدي وذلك لارتباط المغرب الأقصى بمراكز التجارة خاصة في الطريق الذي يمر بسجلماسة ودرعة ثم أدغشت ثم بلاد السودان ثم منحى البنجر[6].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 244- 245.

[2]- نفسه، ص 248- 253.

[3]- علي الجزنائي: المصدر السابق، ص 44. حسن احمد محمود: المرجع السابق، ص 406. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 264- 265.

[4]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: المرجع السابق، ص 354- 355. الإدريسي: المصدر السابق، ص 197.

[5]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 350. الحميري: المصدر السابق، ص 396.

[6]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 352. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 277.

وأهم المراكز التجارية ببلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين أغمات وسجلماسة مركزين لخدمة التجارة الداخلية والخارجية، مراكش وفاس ومكناسة ببلاد المغرب، وألمرية وغرناطة وإشبيلية ومالقة بالأندلس[1].

وكانت بلاد المغرب والأندلس تعج بالأسواق في عصري المرابطين والموحدين، ومن الأسواق التي وجدت في العصرين الأسواق الأسبوعية، بينما عند المرابطين وجدت أيضا أسواق المدن والأسواق التي تصاحب الجيوش، وكان نظام الأسواق نظام إسلامي [2]، هذا وقد كان الحكام الموحدون يشرفون على الأسواق بأنفسهم ويتبعون حركتهم ونشاطهم وهذا من خلال توظيف أمناء الأسواق[3]، وهذا ما لم يكن موجودا في عصر المرابطين مما يشكل نقطة اختلاف بين الطرفين في هذه النقطة.

بالنسبة للانعكاسات في الحياة الاجتماعية فقد تنوعت السلالات البشرية في المجتمعين المرابطي والموحدي، بحيث كان المجتمعان المرابطي والموحدي يشكلان فسيفساء من السلالات البشرية، وتعتبر هذه السلالات أو العناصر البشرية التي شكلت المجتمعين نقطة تشابه بين النظامين، بحيث احتوى النظامان على العنصر البربري لأنه العنصر الأصلي لنواة المجتمعين من بلاد المغرب، واحتوى المجتمعان على العرب لوجودهما ببلاد المغرب والأندلس عن طريق عملية الفتح الإسلامي[4]، غلا أن في النظام الموحدي عهد عبد المؤمن بن علي تضاعف عدد العرب لأنهم وفدوا إلى بلاد المغرب خاصة بعد ان صرح عبد المؤمن بنسبه للعرب[5].

ووجد أيضا بالمجتمعين الروم والصقالبة والغز [6]، كما توافق المجتمعين أيضا في اتصافهما بالطبقية، إلا أنهما اختلفا في تشكيلة الطبقات بحيث ضم المجتمع المرابطي ثلاث طبقات والتي تمثلت في الطبقة الحاكمة والطبقة الوسطى والطبقة العامة إضافة إلى طبقة أهل الذمة [7]، أما المجتمع

---

[1]- المقري: نفح الطيب، ج 1، ص 152. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 269- 271.

[2]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 2، ص 133.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 285.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 305. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 1، ص 42.

[5]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 276.

[6]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 324- 325.

[7]- عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 99- 107، 115- 117.

المجتمع الموحدي فإضافة إلى الطبقات الثلاث أنشأ الحكام الموحدون طبقات أخرى في المجتمع وهي طبقة الفقهاء والعلماء، وطبقة القضاة، وطبقة التجار والصناع وأصحاب المهن المختلفة، وطبقة الطلبة، إضافة إلى أهل الذمة أيضا[1].

هذا ونلمس اختلافا في الحياة الاجتماعية بالنسبة لطبقة أهل الذمة، بحيث عكف الحكام المرابطون على وجوب إحترام عادات النصارى وسمحوا لهم بتقلد وظائف مهمة في الدولة، وعمل بالهندسة والطب في العصر المرابطي أفراد من النصارى واليهود، كما كان لأهل الذمة من اليهود والنصارى قضاء خاص بهم، وبالنسبة لليهود كان يعين لهم مسؤول خاص عن شؤونهم من فئتهم ويثبت ذلك في مرسوم صادر عن بلاط النظام المرابطي ويسمى هذا المسؤول بالحاخام الأكبر[2].

بينما في النظام الموحدي فقد كان التشدد على أهل الذمة في عهد عبد المؤمن بن علي بحيث أجبرهم إما على الإسلام او ترك البلاد أو القتل، لكن بعد عهد عبد المؤمن صار أهل الذمة طبقة من المجتمع الموحدي عليها الواجبات ولها بعض الحقوق [3]، هذا وقد حدد النظام المرابطي لباس أهل الذمة لتميزهم عن المسلمين سواء نصارى أو يهود، فقد امتاز لباس النصارى بالزنار بينما لباس اليهود امتاز بالشكلة ذات اللون الأزرق المائل للأسود [4]، أما النظام الموحدي فقد حدد لباس اليهود فقط وحدد لهم كذلك اللون وجعله أسود، لكن في عهد الخليفة الناصر سمح لهم بتغييره[5].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 200. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 343- 344. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 163.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 74. عيسى بن الذيب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 57- 59.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 304- 305.

[4]- نفسه، ص 217. الونشريسي: المعيار، ج 2، ص 256.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 304.

هذا ونسجل نقطة تشابه أخرى بين النظامين في الحياة الاجتماعية بحيث أن كلاهما عرف طبقة الأرذال من المجتمع والتي جمعت المتسولين خاصة بالمدن الكبرى، والسراق وأصحاب الأفعال غير الأخلاقية[1].

كلا النظامين اهتما بالمرأة من الناحية الاجتماعية، ففي المجتمع المرابطي منحت المرأة الحق في قبول أو رفض من يتقدم لخطبتها، وكان يسمح لها بالخروج دون لثام أي سافرات الوجه، رغم هذا فلم يكن لها الحظ الكبير في الثقافة والعلم ما عدا اللواتي كن ينتمين للأسرة الحاكمة[2].

أما في النظام الموحدي فقد كان للمرأة شأن وقدر وتحضى بالحماية والصيانة، مع الحد من حريتها وسفور وجهها وهذا ما يسجل كنقطة اختلاف مع النظام المرابطي في الحياة الاجتماعية، إلا أن المرأة في العصر الموحدي قد نالت الكثير من العطف والإنصاف وسمح لهن بالتعلم[3].

هذا وقد تنوعت الألبسة بالمجتمعين المرابطي والموحدي وقد كان افراد المجتمعين يرتدون ألبسة بأنواع مختلفة منها الصوف والحرير والديباج وغيرها، إلا أنه في كل عصر انعكس نظام الحكم في لون لباس الرعية بحيث برز اللون الأسود في لباس أفراد المجتمع المرابطي كدليل على ارتباط نظام حكمهم بالخلافة العباسية، بينما في اللباس الموحدي برز اللون الأبيض الذي يرمز إلى الراية الموحدية ويميزها عن الأسود لون المرابطين[4] وهذا ما يسجل كنقطة اختلاف بين النظامين.

كما تنوعت الأطعمة بالمجتمعين وتواجدت بالنظامين أطعمة خاصة بالطبقة الحاكمة، وأخرى خاصة بالطبقة العامة مما يشكل نقطة توافق بين النظامين، بينما الأنواع اختلفت باختلاف البيئة فقد كان المرابطون يميلون لبعض الأكلات الصحراوية في البداية لكن بدخولهم الأندلس تعرفوا على عدة أطباق أندلسية وصارت أساسية في طعامهم، وبالنسبة للموحدين مزجوا أيضا ما

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 163. ابن عبدون: المصدر السابق، ص 50.
[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 357. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 268.
[3]- نفسه، ص 355- 356.
[4]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 50- 51.

بين الأكلات الأندلسية والمغربية ذات الأصول المصمودية، إلا أنه كانت لهم بعض الأشربة المصنوعة من الفواكه التي كان لها مفعول الخمر مما أدى بالنظام الموحدي إلى منعها[1].

هذا وتوافق النظامان في شأن احتفالات المجتمع فقد شهد المجتمعين المرابطي والموحدي بالمغرب والأندلس عدة احتفالات منها الاحتفالات الدينية كعيدي الفطر والأضحى وعاشوراء...، واحتفالات عسكرية كالتحضير لحملة او معركة معينة، إضافة إلى احتفالات إعتلاء العرش او تولية العهد لأحد أفراد الأسرة الحاكمة [2]، إلا أن وجه الخلاف في هذه القضية إنفراد المجتمع المرابطي ببعض الاحتفالات كإحتفال الأسرة بالابن الذكر حينما يبلغ سن الرشد ويرتدي اللثام وهذا لم يكن موجودا عند الموحدين مما يوضح انعكاسات نظامي الحكم في الحياة اليومية لأفراد مجتمع بلاد المغرب، هذا كما شارك المرابطون احتفالات بعض الأندلسيين وأبقوا عليها منها الاحتفال بعيدي النيروز والعنصرة بينما منع النظام الموحدي بالأندلس من الاحتفال بهما وذلك خلافا لمبادئ النظام المرابطي، وأقر النظام الموحدي بالمغرب والأندلس الاحتفال بالإنتهاء من أشغال المنشآت العمرانية[3].

هذا ولم يسلم المجتمعان المرابطي والموحدي من الجوائح والأوبئة، وقد كانت الطبقة العامة هي الأكثر تضررا فقد عرف أفراد المجتمعين الطاعون والفيضانات والجفاف والجراد، مما أثر سلبا على توزيع السكان حيث كان الناس يهجرون المناطق التي تنتشر بها الأوبئة، كما كان للعامل السياسي والعامل الإقتصادي دور كبير في توزيع السكان ومحاولة درء خطر الجوائح والأوبئة التي تمكن محاربتها، كما أثرت الحروب على المجتمعين وأثرت على إقتصاد الدولتين[4].

أما بالنسبة للحياة الثقافية فقد إهتم النظامان على السواء المرابطي والموحدي بالعلوم الدينية من فقه وحديث وعلم تفسير، إلا أن نقطة الخلاف بين الطرفين في هذه النقطة فهي واردة

---

[1]- الزركشي: المصدر السابق، ص 5. عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 255.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 97. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 416- 418.

[3]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 576- 577. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 5. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 420- 421.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 56- 58. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 410. الحسين بولقطيب : جوائح و أوبئة المغرب عهد الموحدين ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،المغرب ، 2002، (د.ط) ، ص 61- 68.

في اهتمام النظام المرابطي بالمذهب المالكي دون غيره، ومنع الخوض في علم الكلام واتهام أصحابه بالكفر ووصفه بأنه بدعة في الدين[1]، وأولى حكام النظام المرابطي اهتماما خاصا بالفقهاء وعلماء الدين وقربهم من بلاط الحكم[2].

النظام الموحدي إهتم هو الآخر بالفقه من العلوم الدينية إلا أنه لم يمنع الخوض في علم الكلام، لأن عقيدة التوحيد عند ابن تومرت كانت مبنية على علم الكلام، ورغم معاداة ابن تومرت لعلماء المالكية إلا أن النظام الموحدي بداية بعبد المؤمن بن علي لم يهمل المذهب المالكي، إذ أمر بإحراق كتب الفقه التي تثقلها خلافات الفقهاء، ورد الناس إلى كتب الحديث وفي مقدمتها" الموطأ" كتاب الإمام مالك[3].

هذا وقد أهمل الخلفاء الموحدون العقيدة التومرتية وعادوا إلى أصل الدين في الكتاب والسنة، ويتجلى هذا فيما أورده المراكشي عن حوار يوسف بن عبد المؤمن مع أبي بكر بن الجد في شأن كتاب يونس في الفقه وآرائه المتشعبة ثم تصريح يوسف بن عبد المؤمن أنه لا يجب عليه إتباع سوى المصحف او الحديث أو الجهاد[4]. وأما في عهد يعقوب المنصور فقد عزم على حفظ القرآن والأحاديث من مؤلفات الفقه المالكي والآراء المعتدلة وحرق ما تبقى منها، كما عمل على ترك الإشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، كما جاهر ببطلان المهدوية والعصمة والإمامة لابن تومرت لكنه أبقى عليها في الخطبة وهذا حبب فيه علماء المالكية[5].

ولم يمنع حكام النظام الموحدي في مجالسهم الخوض في العلوم الدينية والمذاهب، رغم أن بعض المراجع وصفت هذه المجالس أنها لترجيح المذهب الظاهري على المذهب المالكي [6]، إلا أن هذا يبدو غير صحيح ولم يكن الحكام الموحدون يريدون ترجيح المذهب الظاهري على المذهب المالكي بقدر ما كانوا يريدون الابتعاد عن عقيدة ابن تومرت إما عن طريق الرجوع إلى المالكية وإما

[1]- ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص 297. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 465.
[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 177.
[3]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ابن علي، ص 308.
[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 185.
[5]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص 309- 312.
[6]- محمد المنوني: حضارة الموحدين ، ص 86.

بالإنتساب إلى الظاهرية، لكن الفكرة التي راودتهم ليس ترجيح الظاهرية وإنما القضاء على التومرتية، فكما سبق أن ذكرنا أن يعقوب المنصور صرح ببطلان المهدوية والعصمة والإمامة، والمأمون تخلى عنها نهائيا ولم يثبت عن حكام النظام الموحدي أنهم قتلوا علماء مالكيين أو ظاهريين، بل أكرموهم حسب ما ورد عند محمد المنوني في كتابه حضارة الموحدين في هذا الصدد فيقول:«... قال ابن زرقون كنت في العلماء الذين جمع عبد المؤمن بن علي وقام الوزير أبو جعفر بن عطية وقال: بلغ سيدنا أن قوما تركوا الكتاب والسنة وصاروا يفتون بفروع لا أصول لها، وقال: من نظر فيها عاقبته. وأن عندهم كتابا يقال له المدونة لا يرجعون إلا إليه ثم قال ومن العجب قولها بإعادة الصلاة في الوقت...، قال ابن زرقون فحملتني الغيرة فتكلمت بأن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لما صلى أعرابي أمامه فقال له صل فإنك لم تصل– كما في البخاري– لا أحسن غيرها فعلمه ولم يأمره بالإعادة لما خرج من وقته، فقام عبد المؤمن وسكن الحال ولم أر منه بعد ذلك إلا الكرامة»[1].

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن النظام الموحدي لم يحارب علماء المالكية ولا علماء الظاهرية بل عاملهم بالكرامة، وعمل على محاربة عقيدة ابن تومرت ومحاولة التخلص منها لأن حكام النظام الموحدي إبتداءا بعبد المؤمن لم يكونوا على إيمان يقين بها وإنما تم توظيفها لأهدافهم السياسية ودرء خطر المصامدة بني بلدة ابن تومرت– كما سبق أن أشرنا–.

هذا وقد إهتم النظامان زيادة على العلوم الدينية بكل أصناف العلوم النقلية من تاريخ وعلم جغرافيا، وعلوم اللغة وآدابها من شعر ونثر [2]، كما إهتم أيضا النظامان بالعلوم العقلية من فلسفة وكيمياء، وعلوم طبية وصيدلانية، وعلم التصوف [3]. وهذا ما يسجل كنقطة توافق بين النظامين أما نقطة الاختلاف في هذا الشأن فهي إهتمام النظام المرابطي بالموشحات والأزجال

---

[1]– محمد المنوني: حضارة الموحدين ، ص 86.

[2]– ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص 292– 293. حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري لبلاد المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 400– 402.

[3]– حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري لبلاد المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 409– 411. محمد المنوني: حضارة الموحدين ، ص 87. مجهول: مفاخر البربر، ص 175.

والموسيقى والغناء وندرتها في النظام الموحدي، بل حارب الموحدون الغناء والموسيقى منذ أولى مراحل دعوتهم[1].

إهتم النظامان المرابطي والموحدي بتشييد المنشآت العمرانية وقد تنوعت المنشآت من عمارة دينية ومدنية وعسكرية في العصرين المرابطي والموحدي وهذا ما يسجل كنقطة توافق بين النظامين، أما ما يسجل كنقطة اختلاف هو إهتمام المرابطين بالزخرفة الأندلسية وتقليدها وقد بدى هذا واضحا حسب ما تذكر المصادر والمراجع في مقصورة المحراب، فهي شبيهة إلى حد كبير وتقليد مباشر بمقصورة المسجد الجامع بقرطبة، وهناك تقليد في العديد من النواحي من المسجد الجامع بتلمسان للمسجد الجامع بقرطبة. أما النظام الموحدي فقد ابتعد في البداية عن الزخرفة والنقش خلافا للنظام المرابطي، لكن بمرور الزمن صارت ملامح الزخرفة الأندلسية تبرز من حين لآخر في العمارة الموحدية[2]، وهذا ما يثبت لنا أن النظام المرابطي حقق ببلاد المغرب من الناحية الثقافية وحدة مذهبية وفنية معمارية إضافة إلى السياسية بخلاف النظام الموحدي الذي حقق وحدة سياسية فقط.

وانطلاقا مما سبق ذكره فان اوجه الاختلاف بين انعكاسات نظامي الحكم قليلة في جميع الميادين ،وذلك لاننا لم نسجل اختلافا كبيرا في انظمة ومؤسسات الدولة الادارية والسياسية والعسكرية الا ماكان ابداعا واجتهادا من الموحدين بعد المرابطين او ما فرضته الظروف لتسيير امور الدولة ، بمعنى ان النظام الموحدي لا يختلف عن النظام المرابطي خاصة وانه كلا النظامين استمدا قوتهما من القبائل البربرية الجبلية في شكل دعوتين دينيتين غرضهما توحيد بلاد المغرب تحت لواء سلطة سياسية واحدة تمثلها عصبية قبلية واحدة تنصهر فيها جميع العصبيات ،وبالتالي فان نقطة التوافق الجوهرية بين النظامين تتمثل في كون كلا النظامين نابعين من العصبية[3] القبلية لكل قبيلة رغبت في توحيد قبائل بلاد المغرب تحت سلطتها السياسية بانصهار مختلف العصبيات

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري لبلاد المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 383. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 419.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري لبلاد المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 398- 399. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 382- 385.

[3]- العصبية القبلية: هي النعرة والتذامر والمغالبة والممانعة واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه .انظر ابن خلدون :المقدمة ،ص166.

في عصبيتها ،الا ان نقطة الاختلاف بين النظامين في هذا الشان هي فكرة انشاء دولة تمثل نظام الحكم السياسي يضم جميع قبائل بلاد المغرب باختلاف عصبياتهم وانصهارها في عصبية واحدة ، ذلك ان فكرة اقامة النظام الموحدي ليست الا انقلاب [1] في النظام المرابطي دبرته افراد من قبائل زناتية بتوظيف جموع المصامدة ويمكننا الوقوف على هذا بعد دراسة فكرة قيام كل دولة وكل نظام .

إن فكرة إقامة الدولة المرابطية جاءت بإجماع من أفراد القبائل الصنهاجية على اختلاف مستوياتهم ومواطنهم للتخلص من سيطرة القبائل الزناتية، ويتجلى هذا من خلال تفكير عبد الله ابن ياسين في إقامة دولة صنهاجية بعد رؤيته لعداء الزناتيين المسلط على جموع قبائل صنهاجة وهو في طريق عودته من رحلته العلمية [2] بالأندلس، كما نجده أيضا واضحا من خلال اطلاعنا على أوضاع القبائل الصنهاجية وإدراكنا لمدى حاجتها في التحالف تحت سلطة سياسية دينية واحدة من أجل محاربة الخطرين اللذين كانا يحاصرانها خطر صراع قوى الإمارات الزناتية في الشمال، وخطر سيطرة غانة على طرق التجارة في الجنوب[3].

ونجد هذه الفكرة أيضا واضحة حينما نعلم أن أبي عمران الفاسي كان هو الآخر غرضه الثورة على الأوضاع السياسية والإقتصادية ببلاد المغرب بجمع شمل قبائل صنهاجة في حلف قوي فتحققت بذلك أمانيه في التخلص من ظلم زناتة وإعلاء شأن المذهب المالكي[4].

ومن ثم فإنه يمكن القول أن فكرة تأسيس الدولة المرابطية جاءت لمناهضة الواقع المعيش عند القبائل الصنهاجية، وقد خدمت الفكرة روح العصبية القبلية التي كانت تنتشر آنذاك بالمنطقة، بحيث أن قبائل صنهاجة تحالفت ضد القبائل الزناتية بكل ما تستدعيه العصبية القبلية حينما وجدت عبد الله بن ياسين يدعوها إلى التوحد تحت سلطة حاكم واحد- يحي بن إبراهيم الجدالي- ثم يحي بن عمر من بعده وأبو بكر بن عمر من بعد ذلك والغرض منه أن يكون حكما،

[1]- أشار عبد الله كنون في كتابه النبوغ المغربيي إلى أن قيام النظام الموحدي هوانقلاب في النظام المرابطي لكنه نسبه للمصامدة وبالضبط للمهدي بن تومرت .انظر عبد الله كنون :المرجع السابق ،ص 99-104.

[2]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 13.

[3]- أحمد حسن محمود" قيام دولة المرابطين، ص 85.

[4]- البكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص 165.

وتحت زعامة دينية هي الإسلام يزيل بها ما بينهم من خلاف وفوارق وحاكمهم يكون حكما بينهم يرجعون إليه إذا ما اختلفوا مما يسمح بإنشاء دولة صنهاجية حسب ابن خلدون [1] حيث يقول في هذا الصدد:«... أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه... وإن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض، فلابد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية... وهذا التغلب هو الملك...»[2].

وقد جسد هذا ابن ياسين حينما أقر سيادة رؤساء لمتونة على جموع أفراد القبائل الصنهاجية، إذ كان يعتز أمامهم بجاه يحي بن إبراهيم الجدالي وبعد وفاته أرغم الناس على الطاعة ليحي بن عمر لضرورة وجود حاكم يجتمع إليه الأمر وتتوحد عنده الخلافات، وذلك باستمراره إعطاء الأمير حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة وهو الفقيه المسير للدعوة[3].

ويؤكد ابن خلدون أن دولة المرابطين هي وليدة العصبية القبلية للتخلص من الواقع المعيشي لصنهاجة، وأن الدعوة لها بصبغة دينية كان الغرض منها إنصهار الفوارق الاجتماعية في وازع ديني حيث يقول:«... الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى حق... وه م مستميتون عليه وأهل الدولة هم طالبوها... واعتبر ذلك أيضا في دولة لمتونة... فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومونهم في العدد والعصبية... إلا أن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار...» [4]. ومما سبق ذكره يتضح ان عبد الله بن ياسين صاحب الدعوة الدينية للنظام المرابطي كان يحمل فكرة انشاء نظام سياسي في شكل دولة تمثله العصبية القبلية الصنهاجية وتنصهر فيها باقي العصبيات وهذا على حد تعبير ابن خلدون في قوله — ان كل امر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية[5] –

وتتوافق الدولة الموحدية مع المرابطية في النقطتين اللتين ذكرناهما، بحيث أن فكرة إقامة الدولة الموحدية جاءت هي الأخرى لمناهضة واقع معيش، وهي الأخرى اعتمدت على توظيف

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص 152.
[2]- نفسه ،نفس الصفحة،.
[3]- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 285- 286.
[4]- ابن خلدون: المقدمة، ص 169- 170.
[5]- نفسه ،نفس الصفحة .

نفس العناصر التي وظفها المرابطون لإقامة دولتهم وهي العصبية القبلية والدعوة الدينية، إلا أن ما تختلف فيه الدولة الموحدية مع الدولة المرابطية هي أنها لم تعتمد على عصبية قبلية واحدة وإنما حاولت أن تجمع جميع العصبيات المعارضة للعصبية القبلية الصنهاجية ثم أخضعتها لدعوة دينية جاءت فيها بأساليب إقناع قوية لإثبات صحتها وكسب ولاء العصبيات الأخرى، وفعلا نجحت في ذلك فقد انصهرت العصبية القبلية لزناتة في عصبية مصمودة لقوة دعوتها الدينية وقد عبر عن هذا ابن خلدون في قوله:« ... واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة أبدى من المصامدة وأشد توحشا، وكان للمصامدة الدعوة الدينية بإتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها...»[1] .

وإنطلاقا من هذا فإن فكرة إقامة الدولة الموحدية اتحدت فيها عصبيتان ضد عصبية واحدة عصبية زناتة وعصبية مصمودة ضد عصبية صنهاجة، ونحن نعلم العداء والحقد الدفين الذي تحمله زناتة لصنهاجة[2]، كما نعلم أن المصامدة لم يكونوا على توافق تام مع النظام المرابطي إلا في المواقف التي تفرضها الظروف، أو رضى ناتج عن مهادنة النظام المرابطي وهذا على حد تعبير ابن خلدون:«... إلى أن أظلتهم دولة لمتونة فكان أمرهم فيها مستفحلا وشأنهم على أهل السلطان والدولة مهما، حتى لما اختطوا مدينة مراكش لنزلهم جوار موطنهم من درن ليتميزوا عمن سواهم، ويذللوا من صعابهم»[3]، ثم يضيف:«... جعل يوسف- أي يوسف بن تاشفين- مدينة مراكش لنزله ولعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المضيفة بمواطنهم بها في جبل درن»[4].

وبالتالي فقد اتحدت العصبيتين الزناتية والمصمودية ضد العصبية الصنهاجية وانصهرت عصبية زناتة في عصبية مصمودة لأنه كان للمصامدة الدعوة الدينية حسب ابن خلدون في قوله:«... لما كانت زناتة أبدى من المصامدة وأشد توحشا، وكان لمصامدة الدعوة الدينية بإتباع

1- ابن خلدون: المقدمة، ص 170.

2- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 86.

3- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 300- 301.

4- نفسه، ص 245.

المهدي فلبسوا صبغتها، وتضاعفت قوة عصبيتهم بها، فغلبوا على زناتة أولا واستتبعوهم، وإن كانوا من حيث العصبية والبداوة أشد منهم»[1].

وبالتالي ففكرة إقامة الدولة الموحدية جاءت تامة الشروط حسب ابن خلدون فيها دعوة دينية وعصبية قبلية إذ لا تتم الدعوة الدينية دون عصبية قبلية حسب ابن خلدون[2].

هذه الأسباب العامة لفكرة إقامة الدولة الموحدية وهي اتحاد مصمودة وزناتة تحت لواء دعوة المهدي بن تومرت للظهور بمظهر الحركة المناوئة للنظام المرابطي والداعية إلى إصلاح الأوضاع على جميع الأصعدة.

وجميع المصادر والمراجع والدراسات السابقة تنسب فكرة إقامة الدولة الموحدية للمهدي بن تومرت صاحب الدعوة الدينية ، لكن بعض ما تكتنفه المصادر من بعض المعلومات تجعلنا نطرح فرضية لماذا لا يكون عبد المؤمن بن علي هو صاحب فكرة إقامة الدولة الموحدية ؟ بمعنى المناوءة والخروج على النظام المرابطي ودعوة الرعية للإطاحة به وإقامة دولة أخرى على أنقاضه يرد بها الإعتبار لزناتة ؟ وما المهدي بن تومرت إلا شخص له نصيب من العلم اصطنع الدروشة [3] للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد سماع عبد المؤمن وأصحابه بأمره تم توظيفه لغرضهم السياسي لأنهم كانوا على ثقة أنه لا يمكن جمع الرعية إلا على دعوة دينية حسب ما ورد عند ابن خلدون كما سبق ان اشرنا .

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص 170.

[2]- نفسه، ص 170- 171.

[3]- الدروشة: مصطلح حديث استعمل للدلالة على الوصول الى الاهداف وقضاء الحوائج المادية والمعنوية عن طريق القيام بافعال الدراويش ،والدراويش جمع مفرده درويش ويعني هذا المصطلح الزاهد او الفقير او الصوفي او الجوال او المتسول او الناسك ،واصل الكلمة فارسي ،وانتشرت عند اهل البدو والحضر خاصة في الحجاز ومصر والسودان والشام وايران وتركيا ،ويغلب ارتباطها بالفقر والحكمة ومعرفة امور الطب والدرويش يعلو على ملذات الحياة ،ويكتفي بعلو مكانته في اعين الناس ،وينصرف عن تاسيس بيت وبناء اسرة ،والدرويش يتكلم بلغة تشبه الادب او الشعر ويحاول ان يوهم الناس ان كلامه شبيه بالوحي ،ولا يحبذ كلامه اهل المنطق ،والدروشة هي الاخلاق الحميدة والذوق والسلوك والالتزام للوصول الى الاهداف بتوظيف العبادة والمحبة والزهد وجهاد النفس .انظر محمد بن عبد الكريم الكسينزان الحسيني :موسوعة الكسينزان فيما اصطلح عليه اهل التصوف والعرفان ،ج 2،ط1،دار اية ،دمشق ، سوريا ،2005،ص 295،خالد محمد عبده :في معنى الدراويش ،2014-9-12،11:30 www.maaber_ts.org

إن الأسباب التي جعلتنا نطرح هذه الفرضية هي بعض المعلومات التي احتوت عليها المصادر منها لقاء المهدي بن تومرت بعبد المؤمن بن علي، فجميع المصادر تروي لنا ذلك اللقاء الأسطوري الذي أوردناه سابقا حتى البيذق [1] يرويه لنا بالتفصيل، فكلما تعمقنا في رواية البيذق لهذا اللقاء صور لنا عبد المؤمن الشاب الودود الساذج البريء طيب القلب المطيع للمهدي والخاضع لسلطته، إلا أن هذا يتناقض مع شخصية عبد المؤمن بن علي إذا ما واصلنا البحث في صفات هذه الشخصية وجدناه الرجل الذكي الفطن، والقائد العسكري ذو القلب الصامد، والداهية السياسي كل هذا يجعلنا لا نأخذ بما يرويه البيذق ونأخذ بالرواية التي انفرد بها ابن القطان حيث يذكر لنا أن عبد المؤمن تم إرساله من طرف جماعة بتلمسان إلى المهدي بن تومرت حتى يقوم على تعليمهم بعد وفاة فقيههم، فقد أورد ابن القطان في هذا الشأن ما يلي: «... ولما مات التونسي[2] برباط تلمسان اتفق أصحابه المواظبون لمجلسه أن يجلبوا إلى مكانه الإمام المهدي... فوجهوا إليه... أبا محمد عبد المؤمن بن علي... وكان أحد طلبة التونسي المذكور الذين يحضرون معه عنده ويذكر ويتذاكر مع الطلبة»[3].

وقبل هذا يذكر لنا ابن القطان أن التونسي كان متعلقا بابن تومرت وما سمعه عنه من علم فيقول:«... وتعلق به هنالك عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية...»[4].

إذا قمنا بالتمعن والتأمل فيما أورده ابن القطان يظهر لنا أن التونسي هذا رغم أنه لم يذكر لنا شيئا عن نصيبه من العلم ومذهبه إلا أنه ذكر لنا أنه كان يقوم بتعليم طلبته برباط تلمسان،

---

[1]- البيذق: المصدر السابق، ص 16- 17.

[2]- التونسي: هو عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية وجاء إلى تلمسان. أنظر: ابن القطان: المصدر السابق، ص 77.

[3]- ابن القطان: المصدر السابق ص 77.

[4]- نفسه، نفس الصفحة ،يذكر صاحب رياض النفوس ان التونسي كان من علماء افريقية قبل مجيئه الى تلمسان وانه معلم القابسي . أنظر: أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي :رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضلائهم واوصافهم ،تح :بسير البكوش ،مر:محمد العروسي المطوي ،ج 2، ط2،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1994،ص 361.

ففي الوقت الذي كانت تعج فيه تلمسان بالمراكز الفكرية والثقافية [1] في الحقبة المرابطية نجد هذا الفقيه يتخذ رباطا لتعليم طلبته.

وحسب المعاني التي يكتسبها مصطلح الرباط فهو إما الإقامة على جهاد العدو بالحرب، أو الحصن أو المكان الذي يرابط فيه الجند، أو زاوية إسلامية محصنة، وتذكر بعض المراجع أن كلمة الرباط أطلقت منذ عهد قديم على منشأة دينية وحربية في آن واحد اختص بها المسلمون دون غيرهم من الأمم[2].

كل هذه المعاني تصب في أن الرباط منشأ ومسقط رأس الحركات المناوئة للواقع المعيش من منطلق ديني له أبعاد سياسية عسكرية، وما يؤكد هذا أن نواة الدولة المرابطية نشأت برباط ابن ياسين لمناهضة واقع القبائل الصنهاجية، وابن تومرت نفسه اتخذ رباط ملالة ليظهر للناس بأنه يعارض النظام القائم على ما يقدمه في المراكز العلمية والثقافية المرابطية من علوم لاسيما الدينية.

ومن ثم فإن رباط التونسي بتلمسان يدل على أنه وطلبته كانوا يم ثلون حركة مناوئة لنظام الحكم المرابطي ، دون أن ننسى أن عبد المؤمن أحد الطلبة الملازمين لهذا الرباط قبل لقائه بابن تومرت باعتمادنا على رواية ابن القطان الأقرب للمنطق.

هذا إضافة إلى أنه بعض المصادر سكتت عن دخول المهدي بن تومرت إلى تلمسان منها ابن القطان الذي ينتقل مباشرة إلى الحديث عن إنتقال المهدي إلى جبل إجليز [3]، وابن السماك في كتابه الحلل الموشية يشير هو الآخر إلى إنتقال ابن تومرت مباشرة إلى فاس [4]، وبعض المصادر الأخرى أوردت خبر دخوله تلمسان أو مروره بها، فابن خلدون يذكر أن ابن تومرت دخل تلمسان وبدأ يمارس نشاطه كمحتسب حر، مما جعل القاضي يستدعيه ويوبخه على نشاطه ونشره الفتنة من منظور القاضي[5].

---

[1]- كانت تلمسان في مؤسساتها الثقافية تضاهي فاس ومراكش وقرطبة وإشبيلية. أنظر: أحمد حسن محمود أحمد: المرجع السابق، ص 450.

[2]- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 35- 36.

[3]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 78.

[4]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 175.

[5]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 303.

أما ابن زرع الفاسي فلا يتفق مع ما سبق من مصادر إطلاقا، فهو لا يوافق ابن القطان في أن عبد المؤمن أرسل من أصحابه للمجيء بابن تومرت لرباطهم، ولا يتفق مع ابن خلدون وابن السماك العاملي في أن عبد المؤمن كان في طريقه إلى الحج مع عمه والتقى بابن تومرت صدفة بملالة، وإنما أورد لنا أن ابن تومرت دخل تلمسان ونزل بقرية تاجرا فلقيه بها عبد المؤمن ابن علي وبدأ يأخذ عنه بها العلم ثم رافقه في رحلته[1].

فإذا افترضنا أن رواية ابن أبي زرع سليمة فهي تصب في الفرضية التي تصب فيها رواية ابن القطان رغم اختلاف حادثة اللقاء بينهما إلا أنها تثبت أنه كان بتلمسان من هو غير راض على النظام المرابطي والتف حول ابن تومرت من أجل توظيفه في إقناع الرعية بفساد النظام المرابطي ،أي ان الحركة المناوئة كانت قائمة لكنها كانت في حاجة لدعوة دينية ولمن يتقن القيام بها .

أما البيذق فيروي لنا أحداث دخول ابن تومرت تلمسان ويذكر لنا بعض الطلبة الذين لازموه بتلمسان[2] مما يجعلنا نستنتج أن هؤلاء الطلبة الذين لازموه هم طلبة رباط التونسي الذين أرسلوا في طلبه، ثم يذكر لنا خروجه من تلمسان ولم يفصح إن رافقوه طلبة تلمسان أم لا[3].

ثم إن ما اتسمت به شخصية ابن تومرت حسب المصادر والمراجع من تقشف وإدعائه علم الغيب وإطلاعه على كتاب [4] الجفر[5] هي ليست صفات شخص سياسي عسكري يمكنه الإطاحة بنظام حكم بل هي صفات أحد الدراويش الذين يسعون بتصرفاتهم وصفاتهم إلى نيل رتبة ولي صالح تتبرك به العامة وتلجأ له في الأزمات المعنوية والمادية.

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 111.

[2]- البيذق: المصدر السابق، ص 20.

[3]- نفسه، ص 20- 21.

[4]- كتاب الجفر: الجفر من اولاد الماعز ما بلغ اربعة اشهر ،وكان القدماء يكتبون على جلود اولاد الماعز ،ويسمون هذه الجلود جفورا ،وقد زعم افراد احدى الفرق الشيعية ان جعفر الصادق قد اودعهم جفرا فيه علم ماكان وما يكون الى يوم القيامة وزعموا انه لا يقرا فيه الا من كان منهم ويذكر ابن خلدون في هذا الشان فيقول :واعلم ان كتاب الجفر كان اصله ان هارون بن سعيد العجلي وهو راس الزيدية ،كان له كتاب يرويه عن جعفر لصادق ،وفيه علم ما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص ...وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير ،فرواه عنه هارون العلجي وكتبه ،وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب عليه ...انظر ابن خلدون :المقدمة ،ص338-339،عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 91

[5]- البيذق :المصدر السابق ،ص16

ونلمس هذا من خلال ما ذكره البي ذق عن الكتاب الموجود في الوعاء الأحمر وأنه يدعي أنه بهذا الكتاب يعلم الغيب إذ يذكر البيدق أنه بعد أن ناوله الكتاب وإطلع عليه أخبر عبد المؤمن بأنه سراج الموحدين[1].

كما ذكر لنا البيذق نوعا آخر من هذه التصرفات في قوله:«... يا شيخ ما اسمك واسم أبيك ؟... فكتب له... خط يده، وقال أعطيني جلدا فدفع له جلدا من مزود... جعله حرزا وقال له يا شيخ أمسك هذا عندك فإن مت يكون عند بنيك فإنه خير لك ولعقبك حتى يصل إلى هذا الموضع ملك وعسكر فادفع البراءة من يديك ليد الملك ولا تعطها أحدا غيره...»[2].

وهذا كله يؤكد لنا أن ابن تومرت لا يحمل أية صفة تدل على أنه قادر على التفكير في إقامة دولة والإطاحة بنظام حكم، وإنما هذه تصرفات الأشخاص الذين يدعون أنهم دراويش وأولياء صالحين، هذا فضلا عن إدعائه الكرامات يوضح لنا أنه كان يسعى لنيل مرتبة ولي صالح وشخص مقدس له مكانته المعتبرة بين قومه المصامدة خاصة إذا علمنا أن المهدي بن تومرت قبل بدء دعوته لم يكن من سادة قومه ولا معترفا به ولا صاحب مكانة عندهم وقد أكد هذا ابن خلدون في قوله:«... فإن المهدي لم يكن منبت الرئاسة في هر ثمة قومه، وإنما رئس عليهم بعد إشتهاره بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة في دعوته، وكان مع ذلك من أهل المنابت المتوسطة فيهم»[3]. وبعد تزعمه الدعوة نزولا عند رغبة عبد المؤمن بن علي وحسب ما يذكر ابن خلدون ترأس قومه وصار بينهم ذو مركز مرموق مما جعله يحس بعظمة شأنه بين قومه ومحاولته المحافظة على فكرة عبد المؤمن بن علي لاستمرار شأنه هذا، وهذا كله يوضح أن شخصا مثل المهدي بن تومرت لا يمكنه التفكير في الإطاحة بنظام حكم، ولكنه يمكنه إستيعاب معنى الحصول على مركز مرموق بين قومه.

ويبدو من خلال إطلاعنا على المصادر أن تلمسان كانت أرضا خصبة لنشأ ة الحركات المناوئة ضد النظام المرابطي وحتى إن لم تكن إدارة الإقليم تحمي هذه الحركات فإنها كانت

---

[1]- البيذق :المصدر السابق ، ص 16.

[2]- نفسه ، ص 19.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص 146.

تتجاهلها ولا تتصدى لها مما سمح لها بمزاولة نشاطها، بحيث يذكر ابن خلدون أن ابن تومرت تعرض لتصدي القاضي بتلمسان [1] لكن لم يذكر أنه تعرض للتصدي والي إقليم تلمسان وهذا يجعلنا نأخذ برأي ابن السماك العاملي الذي ذكر لنا أن تلمسان كانت بيد الأمير يحي بن إسحاق المسوفي [2] صهر علي بن يوسف بن تاشفين، وأنه بعد وفاته خرج على طاعة المرابطين وأعلن الطاعة للموحدين مما جعل الموحدين يستثنون داره من الفيئ وأهله من السبي عند دخولهم مراكش، وهذا إن دل على شيء يدل على أن يحي بن إسحاق المسوفي كان بتلمسان معارضا للنظام المرابطي إلا أن ما منعه من إعلان العصيان هو مصاهرته لعلي بن يوسف بن تاشفين، فبعد وفاته مباشرة أعلن خروجه عن المرابطين وإلتحاقه بالموحدين مما يدل على أنه لعب دورا كبيرا في تهيئة الجو المناسب لتشكيل حركة عبد المؤمن بن علي المناوئة بتلمسان حينما كان واليا عليها.

أضف إلى ذلك أن كتابات البي ذق الذي كان يرافقه كلما تأملنا فيها بمنطق نجد كلامه مليء بالسذاجة والخضوع لابن تومرت والثقة العمياء في تصرفاته والإيمان الشديد بكراماته وعصمته، فالبيذق ليس بعالم أو رجل سياسي أو عسكري فهو لا يزيد عن كونه أحد تلاميذ ابن تومرت والملازم له والقائم على خدمته في سفره. وكلمة البي ذق هي كلمة بربرية تعني القصير ، أما اسمه فهو أبو بكر بن علي الصنهاجي [3] وشخصية البيذق هذه مطلوبة للمهام التي انجزها من اشاعة الاخبار ونقلها للناس عن ابن تومرت والشهادة له بالعصمة والكرامات وغيرها وقد اشار ابن خلدون في مقدمته عن مدى تاثير مثل هؤلاء الاشخاص في صنع الحدث عند الناس وتوظيفهم يكون مقصودا لا صدفة لتحقيق المقاصد فقال:...واما الشهرة والصيت انما هما بالاخبار ،والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ، ويدخلها التعصب والتشيع ،ويدخلها الاوهام ،ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال ،لخفائها بالتلبيس والتصنع او الجهل الناقل ،ويدخلها التقرب لاصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 303.

[2]- يحي بن إسحاق المسوفي" اللمتوني": المعروف بابن جمار أو بونزمار صاحب تلمسان، وبعد وفاة علي بن يوسف وصهره- زوج ابنته- علي بن يوسف بن تاشفين حدثت الشحناء والمقاطعة بين لمتونة ومسوفة فالتحق بجميع إخوانه ورجاله ودخل في طاعة الموحدين. أنظر: ابن السماك العاملي: ص 218.

[3]- ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص 210 ،حمد بن صالح النحساني: المرجع السابق، ص 569.

واشاعة الذكر بذلك[1] ، وانطلاقا من هذا فانه يمكن الشك في روايته عن اللقاء بين ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي، ونأخذ برواية ابن القطان مع أنه يمكن مطابقتهما بحيث يمكننا استقراء الأحداث على النحو التالي:

أن عبد المؤمن بن علي أرسل من قبل جماعة من تلمسان كانت برباط تونسي بعد وفاته وهي تمثل حركة مناوئة للنظام المرابطي، وبعد لقائه بابن تومرت أخبره مراده فوافق ابن تومرت في حين كان لابد من تدبير يوهم به الأتباع أن الأمر يجتمع بيد عبد المؤمن حتى لا ينازعه أحد على قيادة الحركة، فاختار ابن تومرت استعراض طقوس العلم بالغيب بالإطلاع على كتاب الجفر وإخبار عبد المؤمن بأنه سراج الموحدين[2].

وكان هذا الاستعراض الخرافي أمام البيذق عمدا لسذاجته وسرعة تصديقه لذلك، ثم سرعة نشر الحدث بين الأتباع وهذا هو المطلوب منه لكن بطريقة غير مباشرة، فقد تم توظيف البي ذق كعنصر إعلامي بين الأتباع للإعلان عن إنطلاق دعوة ابن تومرت إلى المغرب تحت قيادة عبد المؤمن بن علي فعليا من الناحية السياسية .

وقد كان عبد المؤمن مجبر على الخوض في هذه السذاجات والخزعبلات مع ابن تومرت حتى يتمكن من إقناع أتباع ابن تومرت عن طريق نشر البيذق للخبر بينهم بأن يرافقوه إلى تلمسان دون محاولة الدخول في نزاع معه حول قيادة الحركة من تلمسان إلى العاصمة مراكش.

وقد كان من الضروري لعبد المؤمن أن يضم لحركته ابن تومرت لأن ابن تومرت كان يخبر الناس بلقائه بأبي حامد الغزالي [3]، وهذه الفكرة كانت تخدم إلى حد بعيد الطموح السياسي عند عبد المؤمن والجماعة التي كان ينتمي إليها بتلمسان، لأن نسبة كبيرة من الرعية كانت لا تزال

[1]- ابن خلدون :المقدمة ،ص 283.

[2]- البيذق: المصدر السابق، ص 16.

[3]- حسين مؤنس في كتابه معالم تاريخ المغرب والأندلس يقول أن ابن تومرت لم يلق أبي حامد الغزالي قطعا ولم يدرس عنده بمجلسه لأن الغزالي غادر بغداد إلى غير رجعة سنة 500هـ الموافق لسنة 1106م ثم توفي في ملوس سنة 506هـ الموافق لسنة 1111م، فإذا كان ابن تومرت قد غادر بلده متجها إلى المشرق سنة 506هـ فهو قطعا لم يلق الغزالي بل الشك يراودنا في أنه قد بلغ بغداد، وأنه ما يمكن الجزم به أن ابن تومرت وصل الإسكندرية في مصر ودرس على بعض شيوخها، ثم عاد إلى المغرب فدرس في القيروان وبجاية وحصل جانبا لا بأس به من العلم والفقه. أنظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 200- 201.

مشحونة غضبا على البلاط المرابطي لإصداره فتوى إحراق كتاب" إحياء علوم الدين"، هذا واحد من الأسباب التي جعلت عبد المؤمن والجماعة التي ينتمي إليها يتصلون بابن تومرت لقيادة حركتهم السياسية في شكل دعوة دينية، خاصة وأن ابن تومرت ذو أصول مصمودية والمصامدة معرفون بوفرة عددهم وحصانة مواطنهم كما سبق أن أشرنا، وأن المصامدة يعتزون ويآجرون بني جلدتهم كما يذكر ابن خلدون[1].

فابن تومرت توفرت فيه جميع الشروط التي جعلت عبد المؤمن يرى توظيفه بدعوة دينية يخدم حركته السياسية إيجابيا، إذ وجد عبد المؤمن في ابن تومرت دعوة يحمل الناس عليها لأغراضه السياسية، ووجد في المصامدة أهل ابن تومرت شوكة وعصبية تسمو به إلى الملك حسب ما جاء عند ابن خلدون:«... بأن يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها من الأمم والقبائل إما بدعوة يحمل الناس عليها... أو يكون صاحب شوكة وعصبية كبيرا في قومه قد استفحل أمره فيسمو بهم إلى الملك...»[2].

ورغم أن ابن تومرت لم يكن كبيرا بين قومه ولا ذو شأن عظيم ولكن ما اكتسبه من العلم و ما كان ينشره عنه البيذق من أخبار تروي عن كراماته وعلمه بالغيب ثم مرافقة عبد المؤمن بعض الاتباع من المغرب الاوسط له والتظاهر بالخضوع له أكسبته مكانة بين قومه جعلته كبيرا بينهم ووقفوا إلى جانب دعوته وحركة عبد المؤمن السياسية ضد المرابطين.

من الأدلة التي توضح لنا أن عبد المؤمن وظف دروشة المهدي ابن تومرت لأغراضه السياسية هو أنه أول من بايع ابن تومرت بالمهدوية، بحيث يذكر ذلك البيذق في قوله:«... فأول من بايع المعصوم الخليفة عبد المؤمن بن علي...» [3]، وهذا يدل على أن عبد المؤمن بن علي كان يهدف من وراء هذا إلى وهم الأتباع أنه مؤمن بدعوة المهدي وخاضع لأوامره وطاعته، وأن تقربه من ابن تومرت ليس قيادة سياسية للحركة وإنما هي إيمان منه بمهدوية ابن تومرت مما سهل لعبد

[1]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 273.
[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 304- 305.
[3]- البيذق: المصدر السابق، ص 34.

المؤمن إلتفاف الناس حول حركته السياسية المناوئة للنظام المرابطي وذلك من خلال إلتفافهم بدعوة ابن تومرت.

من الأحداث الدالة على أن الحركة السياسية هي حركة عبد المؤمن بن علي وتم توظيف ابن تومرت بدعوته الدينية هي حدث عملية" التمييز" التي أسندت للبشير الونشريسي، حيث يذكر البيذق في هذا الشأن فيقول:«... فأكرم الله المهدي بدعوة البشير فأمر بالميز فكان البشير يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين حتى إمتاز الخبيث من الطيب، ورأى الناس الحق عيانا، وازداد الذين آمنوا إيمانا... وكان تمييز البشير للخلق من يوم الخميس إلى يوم الجمعة بعد أربعين يوما، فمات يومئذ من الناس خمس قبائل بموضع يقال له إيكرن وسنان»[1].

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنه رغم حرص عبد المؤمن في التفاف الناس حول حركته بمبايعته لابن تومرت بالمهدوية، إلا أن الشكوك حول مهدوية ابن تومرت ودعوته ودخول غرباء مثل عبد المؤمن والبشير إلى أراضي المصامدة بدأت تساور العديد من أفراد قبائل المصامدة مما جعل عبد المؤمن يفكر في عملية التمييز ويأمر ابن تومرت بأن يصرح بها ويأمر بها البشير.

وهذا خاصة إذا علمنا أن بعض الباحثين ذهب إلى أن عملية التمييز لم تكن كرامة للبشير لأن هذا لا يتوافق مع المنطق وإنما هي مهمة البشير بالتجسس على الأتباع حتى يعرف المؤيد من المعارض لدعوة ابن تومرت، أي أوكلت للبشير مهمة مخابرتية [2] حتى يتم التخلص من كل من يحاول الإرتداد عن الدعوة.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن صاحب فكرة عملية التمييز هو عبد المؤمن بن علي وهذا بالنظر إلى ما سيقوم به فيما بعد من خطط وحيل لاستبعاد المصامدة من الحكم، ثم إن شخصية عبد المؤمن العسكرية لا تتهاون في قتل المعارضين وإراقة دمائهم كانوا من كانوا من المصامدة أو أهالي ابن تومرت كما سيرد لاحقا في البحث. إضافة إلى أنه أوكل المهمة لشخص ليس من المصامدة حتى لا تأخذه الرأفة بأحد من المصامدة [3]، إضافة إلى أنه من المغرب الأوسط

[1]- البيذق: المصدر السابق ، ص 39.

[2]- علي الهادي الإدريسي: المرجع السابق، ص 212.

[3]- علي الهادي الإدريسي: المرجع السابق ، ص 212.

بحيث لا يمكنه أن يخذل عبد المؤمن بن علي لإنتمائهما لنفس النطاق الجغرافي وانتسابهما لنفس الاصل لقيس بن عيلان حسب عبد الله علي علام[1] .

وانطلاقا من هذا فإنه يمكن القول أن عبد المؤمن بن علي هو صاحب فكرة الإطاحة بنظام الحكم المرابطي الصنهاجي، وإقامة نظام حكم زناتي باستخدام الدعوة الموحدية، فعبد المؤمن بن علي كان يفتقد في حركته السياسية إلى دعوة دينية وشوكة العصبية القبلية والدولة لا تقوم إلا على دعوة دينية وشوكة العصبية القبلية حسب ابن خلدون كما أشرنا سابقا. وعبد المؤمن بن علي وجد في دروشة ابن تومرت عامل الدعوة الدينية، وفي جذوره المصمودية شوكة العصبية القبلية فوظفهما في حركته السياسية، والأحداث اللاحقة في كيفية استبعاد عبد المؤمن المصامدة من مناصب الحكم دليل آخر على صحة هذه الفكرة.

من الأدلة الموضحة أيضا أنها كانت حركة سياسية هدفها سياسي أكثر منه ديني وهو محاولة كسب الولاء بأي وسيلة، فعند دخول ابن تومرت وأتباعه تينملل اعتبرتهم بعض القبائل دخلاء ولم يطمئنوا لوجودهم، ولم يثقوا في شأن دعوتهم الدينية لكن الموحدون بتخطيط من عبد المؤمن وأمر من ابن تومرت تم التخلص من كل هؤلاء بالإحتيال عليهم روحيا ثم القتل مخافة عودة الشكوك لمساورتهم ومن ذلك ما ذكره ابن القطان عن هزميرة حيث قال:«... وكانت قبيلة هزميرة يمسكون العدة فقال لهم الإمام يوما: مالكم تمسكون العدة وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا، وقد كان الإمام- أي ابن تومرت-... خاف من جهتهم لكثرتهم ومنعتهم، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة، فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون... معهم العدة قد أحاطوا بهم فقتل منهم في ذلك اليوم نحو خمسة عشر ألفا...»[2].

وقد كان عبد المؤمن بن علي كلما أحس بخطر تشتت المصامدة وبقية الأتباع من حوله فكر في خطة وحيلة يجدد بها ولاء الأتباع خاصة جموع المصامدة، وفي نفس الوقت نجده يخطط لإستبعادهم من مشاركته الحكم ومنصب القيادة، ونلمس هذا من خلال ما احتال به على

---

[1]- عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 96.

[2]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 139.

المصامدة بعد هزيمة البحيرة، بحيث كادت هذه الهزيمة أن تؤدي إلى تشتت جموع المصامدة من حوله وحول المهدي بن تومرت فلجأ مرة أخرى إلى القتل لكن هذه المرة ليس بحيلة كرامة البشير، وإنما بحيلة أدهى من ذلك فقد عمد وابن تومرت وبقية الأتباع إلى اختيار بعض الأشخاص منهم ودفنهم أحياءا بين الموتى وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وتلقينهم بعض الكلام، ووعدهم بالمنزلة الرفيعة بعد إنتهاء المهمة والمتمثلة في تكلمهم مع الأحياء من جموع المصامدة لتثبيتهم على الإخلاص لدعوة المهدي ومحاربة لمتونة، حتى إذا انتهت المهمة أغلق على كل واحد متنفسه في قبره وتركه يموت فقد دفنهم أحياءا [1]، ومما لقنهم حسب ما ورد عند ابن أبي زرع الفاسي ما يلي:«... قال لهم إن سئلتم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفة الثواب على جهاد لمتونة، وعلو الدرجات التي نلناها بالشهادة فجدوا في جهاد عدوكم فإنما دعاكم إليه الإمام المهدي صاحبكم حق...» [2].

وإن التأمل في هذه العبارات يدل على أن هذه العبارات أو هذه الشهادات تحمل فيما بينها دعوة لتوحيد صفوف جموع المصامدة للإطاحة بنظام الحكم المرابطي، وكل العبارات التي يرددها ابن تومرت عن المرابطين تدعو للإطاحة بحكمهم رغم أنه ليس بين المصامدة وصنهاجة أحقاد دفينة مثلما هي بين صنهاجة وزناتة مما يدل على أن عبد المؤمن كان يزرع من خلال دعوة ابن تومرت أحقاد زناتية ضد صنهاجة بين جموع المصامدة.

وإن إرسال البيذق ليعلم ابن تومرت بالهزيمة في موقعة البحيرة [3] إنما هو دليل على أن حيلة دفن الأحياء وسط الموتى كان متفق عليها بين ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي، ولكن وقت تنفيذها لم يكن قد حان بعد وإن هذه الهزيمة النكراء جعلت عبد المؤمن يبعث إلى المهدي ليخبره أن الوقت قد حان ومناسب لتنفيذ الحيلة لأنه كان على يقين أنه بعد هذه الهزيمة سيلقى ردة من المصامدة عن حركته، ويتضح هذا من خلال جواب ابن تومرت للبيذق ب:«... ثم قال لي ارجع إليه وقل له الأمر باق ولا تجزعوا، فرجعت حتى لقيته فأعلمته» [4]، وهذا يدل على أن المراسلات

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 121.
[2]- نفسه ، ص 120.
[3]- البيذق: المصدر السابق، ص 40.
[4]- نفسه، نفس الصفحة.

الشفاهية التي كانت بين عبد المؤمن بن علي وابن تومرت بواسطة البي ذق كانت مشفرة ولم يكن مستوى البيذق ومحدودية فكره لتصل به إلى فهم ما بينهما من تخطيط، فعبارة" الأمر باق ولا تجزعوا" تعني أنه سأعمل على تهيئة بعض الأتباع لتنفيذ الحيلة ولا تخف لن تكون هذه الهزيمة مؤثرة على مستقبل حركتك السياسية وستستمر حركتك بتأييد من جموع المصامدة.

أما تخطيطه لاستبعادهم من الحكم فنلمسه في وصية ابن تومرت له بالخلافة وذلك فيما أورده المراكشي ومنه:«... وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه أميرا عليكم... وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن...»[1]، وهذا ما يدل على أن عبد المؤمن وظف المهدي بن تومرت وقبائل المصامدة وفي نفس الوقت خطط لاستبعادهم من منازعته الحكم والسلطة.

ثم إنه بتتبع الأحداث يتبين لنا أن عبد المؤمن بن علي أخضع البلاد إلى سلطته في ظرف وجيز، وأحرز العديد من الإنتصارات، وأقام دولة بكيانها السياسي والعسكري والإقتصادي، وهذا يدل على أنه هو صاحب فكرة الإطاحة بالنظام المرابطي وإقامة دولة تحل محل الدولة المرابطية.

ونستند في هذا أيضا إلى أن عبد المؤمن زناتي ولزناتة حقد دفين وعداء مستحكم على النظام المرابطي الصنهاجي ،لان يوسف بن تاشفين اول حاكم في النظام المرابطي قد دحر الامارات الزناتية التي كانت تحكم المغربين الاوسط والاقصى قبل قيام النظام المرابطي ،وجعل المغربين دولة واحدة تحت سلطته المرابطية الصنهاجية [2]، والمصامدة أيضا كانوا على عداء غير صريح مع المرابطين كان خامدا بسبب مهادنة المرابطين لهم[3]، ونستند في هذا أيضا إلى مجموعة من الأخبار أوردتها المصادر تتفق على أن عبد المؤمن هو صاحب فكرة إقامة دولة، وما المهدي بن

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 295. 296.

[2]-في هذا الشان يذكر عبد الله علي علام ان القبائل لا تنسى الثار .انظر عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 128.

[3]- في هذا الشان يذكر الادريسي ان يوسف بن تاشفين دفع ثمن ارض مراكش للمصامدة سنة 470هـ جملة من الاموال ثم شرع في اختطاطها له ولبني عمومته وذلك درءا لخطر المصامدة حتى لا ينازعونه فيها وشراء الارض احسن حل ولم يتمكن من اخذها منهم بدون ثمن بصفته حاكما،وذلك لان ابن السماك العاملي يذكر ان اختطاط مدينة مراكش بدا سنة 462هـ مع الامير ابو بكر بن عمر الا انه لم يذكر انه دفع ثمنها بل يذكر انه اختار الموضع برفقة جماعة من الملثمين واشياخ المصامدة ،مما يجعلنا نرجح ان المصامدة في عهد يوسف بن تاشفين ضايقوه بحجة انهم اصحاب الارض فاشتراها منهم كما ذكر الادريسي .انظر: الادريسي :المصدر السابق ، ج 1، ص 233، ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص 59.

تومرت إلا شخص ادعى الدروشة وتم توظيفه بها لأغراض سياسية، وهذا إذا علمنا أن هذه الحركة المناوئة للمرابطين التي مثلها المهدي بن تومرت من ناحية الدعوة الدينية ومثلها عبد المؤمن من الناحية السياسية بعد أن دخلت مراكش استطاعت أن تكسب في صفها أطراف معارضة داخل البلاط المرابطي وذلك بناءا على الأحداث التالية:

- أوردت لنا المصادر أن ابن تومرت تم طرده من الإسكندرية ومن بجاية [1]، أي أنه لم يجرؤ على التصميم في آرائه أو يعقد مناظرات مثلما فعل بمراكش، بل إنه كثيرا ما ادعي الجنون حيث يذكر البيذق أنه إذا خشي بطشا وهو يأمر بالمعروف خلط في كلامه حتى ينسب إلى الجنون [2]، ولكنه بمراكش صمم على آرائه وعلى أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، واستمر في دعوته وأجاب دعوة علي بن يوسف بن تاشفين إلى عقد المناظرة مع العلماء، وهذا إن دل على شيء يدل على أنه كان يدرك أن هناك من يوفر له الحماية داخل البلاط وأن الجماعة التي أتت به من تلمسان لها حلفاء داخل البلاط، ويتضح هذا جليا في نقطتين:

1- تشفع ينتان بن عمر وسيرين بن ورييل لابن تومرت عند علي بن يوسف حينما عزم على قتله، على عكس مالك بن وهيب الذي أشار عليه بقتله مع أنه كان يجب على ينتان بن عمر إذا كان له ولاء خالص أن يشير هو بقتل ابن تومرت لأنه كان قائدا عسكريا، والطبيعة العسكرية هي السباقة إلى التفكير في التخلص من كل من يعارض البلاط، بينما طبيعة العالم هي الرحمة وهذا عكس ما حدث مع ابن تومرت.

2- ما أورده ابن أبي زرع من كيفية إبلاغ المهدي بأن علي بن يوسف في طريقه إليه جديرة بالتمعن فيها، فحسب البيذق أن ينتان بن عمر رافقه وأصحابه بعد خروجهم من المناظرة إلى محل إقامتهم، أي أنه كان على علم بمحل إقامتهم وقد وفد عليهم أكثر من مرة يبلغهم أوامر علي بن يوسف [3]، هذا إذا كان البيذق مطلع على ما كان يأتي به ينتان بن عمر إلى ابن تومرت وأصحابه خاصة عبد المؤمن.

[1]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 302.

[2]- البيدق: المصدر السابق، ص 22.

[3]- البيدق: المصدر السابق، ص 28- 29.

رواية البيذق هذه تتفق مع الرواية التي أوردها ابن أبي زرع الفاسي والتي تتضمن أنه حينما فكر علي بن يوسف في التخلص من ابن تومرت كان ابن تومرت قد تمكن من الفرار، لأن أحد تلامذته وقف بالقرب من خيمته ونادى بأعلى صوته" يا موسى إن الملأ يتآمرون بك ليقتلوك فأخرج أني لك من الناصحين" ويقول ابن أبي زرع الفاسي أنه كرر النداء ثلاث مرات ثم سكت فتفطن المهدي لندائه[1] ولاذ بالفرار.

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن تلاميذ ابن تومرت وأصحابه كان لهم إتصال بأطراف من داخل البلاط المرابطي خاصة وأنه لم يذكر لنا من هو هذا الذي أبلغه هل كان يلازمه دائما وجاء معه من تلمسان ؟ أم أنه احد أبناء مراكش وأصبح واحدا من تلامذته ؟ هذا إن لم يكن شخص وسيط ما بين أطراف البلاط المعارضة وعبد المؤمن بن علي ارسله ينتان بن عمر لابلاغه اوشخص زرعه بين التلاميذ ينتان بن عمر ليكون وسيطا بينه وبين عبد المؤمن والمهدي ودون ان يتفطن لذلك باقي اتباع المهدي ، الشيء الذي جعل العفو يلحق بأهله [2]– أي ينتان بنعمر – ليس لأنه شفع للمهدي فقط بل لأنه كان حليفا لحركة عبد المؤمن بن علي المناوئة.

وهناك معلومات أخرى أوردها المصادر تتطابق مع ما سبق وهو إنتصار الموحدين في معظم حروبهم ضد المرابطين، فلا يمكن لطلبة علم وحفظة قرآن في قرية صغيرة مثل تنملل الإنتصار على جيش دولة بكيانه العسكري له ما له من العدة والعتاد والفرسان المدربة على خوض المعارك.

كيف لجيوش كانت تواجه النصارى بالأندلس ان تهزم أمام قلة من طلبة علم وحفظة قرآن يتقدمهم فقيه مثل ابن تومرت كل اعتماده على الدروشة والخزعبلات ؟ ثم نجد البيذق وغيره من المصادر الموحدية تعدد لنا إنتصارات متتالية وهي ليست مبالغة وقد حددها ابن السماك

[1]– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 176.

[2]– العفو على أهل ينتان بن عمر :يذكر البيذق في هذا الشان ان عبد المؤمن بن علي في سنة 532 قصد الاستيلاء على حصن تينيلين ،وفي اثناء المواجهة مع المرابطين أسر العديد من نسائهم وعاد بهن الى تينملل ومن بينهن تاماكونت ابنة ينتان بن عمر (تاموجونت) التي وقفت بين يدي عبد المؤمن بن علي تذكره بصنيع والده في التشفع للمهدي بن تومرت عند علي بن يوسف بن تاشفين ،فاطلق عبد المؤمن سراحها وسراح من كان معها من النساء في كرامة وامانة حتى ادخلهن مراكش .انظر: البيذق :المصدر السابق ،ص49،عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص114-115

العاملي بحوالي اربعين هزيمة [1] وهذا محتمل ، لأنه بتتبعنا للأحداث نجد فعلا أن حركة الموحدين أطاحت بالنظام المرابطي الصنهاجي، وأقامت في نفس العاصمة ونفس البلاط نظام حكم آخر لزناتة هو النظام الموحدي بمشاركة بعض المصامدة في الهيئات الإستشارية- كما سنرى-.

ولا يمكن لأي حركة مناوئة أن تحقق انتصارا دون جند ومال ودعوة دينية ولا يمكن إقامة ملك دون هذه العناصر، وقد خلص إلى هذه الشروط ابن خلدون بعد دراسته لأخبار الأمم والملوك وأوردها في مقدمته حيث يقول:«... أن أسباب الغلب في الأكثر مجتمعة في أمور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكمال الأسلحة، واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف...» [2]، ثم يقول في موضع آخر:«... لأن الملك لابد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان من أمر السيف وأمر القلم وأمر المال...»[3].

ولم يحدد ابن خلدون في شروطه لأسباب الغلب واتخاذ الملك السذاجة ولكنه وصف ابن تومرت بالسذاجة في موضع آخر فيقول:«... ولما جاءت دولة الموحدين... لم يأخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن إمامهم محمد بن تومرت المهدي...»[4].

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن انتصار الموحدين كان بتخطيط من عبد المؤمن ابن علي وأتباعه، وليس ببركة المهدي بن تومرت كما أورد لنا البيذق[5]، ويتمثل هذا التخطيط في:

* المعارك التي كانت بين الموحدين والمرابطين حسب البي ذق هي إما قتال بين الطرفين ثم انتصار الموحدين، وإما تحل بركة المهدي بن تومرت فيرعب بها جنود الجيش المرابطي فيفرون ويتركون خيلهم وذخرهم وسلاحهم[6].

[1]- ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص187.
[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 281.
[3]- نفسه، ص 252.
[4]- نفسه، ص 221.
[5]- البيذق: المصدر السابق، ص 35.
[6]- نفسه ، ص 35- 40.

- *الحالة الأولى*: حدوث قتال بين الطرفين ثم انتصار الموحدين دليل على أن أتباع عبد المؤمن بن علي كانوا يتلقون تدريبات عسكرية تمكنهم من خوض القتال، وأنهم كانوا ذو ي حنكة عسكرية ورجال حرب وليس حفظة قرآن وطلبة علم كما صورتهم المصادر الموحدية خاصة رواية البيذ ق، فالموحدون على الأرجح كانوا يتدربون على القتال بتنملل أي أن بقائهم حوالي ثلاث سنوات بتنملل كان تخطيطا من عبد المؤمن لتدريب أتباعه على القتال، خاصة إذا علمنا أن تنملل في موقعها الجغرافي صالحة لأن تكون قاعدة عسكرية للتدريب أو معسكر للجند، ونلمس هذا من خلال وصف ابن القطان لها حيث يقول:«... ثم أدار على المدينة سورا أحاط بوهدتها، وبنى على رأس الجبل سورا وأفرد في قبته حصنا يكشف ما وراء الجبل...ولا أعلم مدينة أحصن ولا أمنع منها...»[1] إلى آخر الوصف يتبين لنا أن تنملل ليست بمكان عادي وأنه لا يمكن لأحد أن يصلها أو يدخلها بسهولة مما يؤكد أن عبد المؤمن بن علي اتخذها معسكرا للتدريب ،على الرغم من ذكر بعض المصادر [2] على ان بعض طبقات الموحدين كانت مهامها عسكرية فلا يمكن ان تكون بالحنكة والقوة التي تحقق ارعين انتصارالو لا التدريبات المتواصلة والامدادات .

لكن السؤال المطروح من كان يقوم بتدريبهم ؟ والإجابة تكون على الأرجح من أفراد الجيش المرابطي، فكما سبق أن أشرنا أن ينتان بن عمر كان يتردد على المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي قبل دخولهما تنملل، فعلى الأرجح أنه واصل إتصاله وتردده عليهما حتى في تنملل او ارسال لهما بعض العناصر من الجيش المرابطي لتدريبهم خاصة وانه كان قائدا لفرقة الحشم بالجيش المرابطي وفرقة الحشم تضم المصامدة وزناتة [3] مما يؤكد تواطؤه مع حركة عبد المؤمن المناوئة للنظام المرابطي ، رغم أن المصادر لم تذكر هذا إطلاقا إلا أنه وارد منطقيا ،اكثر من السبب الذي رجحه عبد الله علي علام ،بحيث رجح ان ينتان بن عمر تراجع عن القتال لحقن الدماء بين الطرفين[4] .

---

[1]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 140.

[2]- ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص179.

[3]- حمدي عبد المنعم محمد حسين :التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين ،ص298.

[4]-عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص77.

وحتى إذا استثنينا ينتان بن عمر فالجيش المرابطي كان يعج بالمصامدة [1] الذين على الأرجح تعاونوا مع حركة عبد المؤمن لظنهم أنهم في صف ابن تومرت من بني جلدتهم- وكما سبق أن أشرنا- أنهم يآجرون بني جلدتهم، ثم اعتقادهم أن بزوال النظام المرابطي الصنهاجي سيحل محله النظام المصمودي وقد أورد ابن خلدون عن عظمة شأنهم في النظام المرابطي فقال:«... لم يزل أمر هؤلاء المصامدة بجبال درن عظيما وجماعتهم موفورة وبأسهم قوي وشأنهم على أهل السلطان والدولة مهما...»[2].

- *الحالة الثانية:* وهذا ما يؤكد لنا الحالة الثانية التي تمكن فيها الموحدون من التغلب على المرابطين، والمتمثلة في دعم حركة عبد المؤمن بن علي من داخل البلاط المرابطي، أي التواطؤ مع عبد المؤمن بن علي ضد نظام الحكم المرابطي ونلمس هذا من خلال ما يذكره لنا ابن القطان وابن السماك العاملي عن الفلاكي[3] الفارس النصراني المرتزق الذي كان يخالف المرابطين ويبايع الموحدين ثم يعود لنكث بيعته والعودة إلى صفوف المرابطين، ثم يخالف المرابطين ويعود لصفوف الموحدين [4] وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أنه كان يتردد على الموحدين لتدريبهم ثم يعود لصفوف المرابطين ليتجسس لصالح الموحدين، أو أنه كان وسيطا بين عبد المؤمن بن علي وبين أطراف المعارضة داخل البلاط المتواطئة مع عبد المؤمن، لكن الأرجح أنه كان جاسوسا لأنه أنهى نشاطه هذا بالدخول في صفوف الموحدين وإن عبد المؤمن قبله بينهم لأنه كان يعمل لصالحهم وكان بحاجة إليه في إطلاعه على منافذ الحصون لأنه واحد من المشاركين في بنائها أثناء تواجده بالجيش المرابطي[5].

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 300.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 246

[3]- الفلاكي: أو الفلكي كان قاطع طريق في الأندلس، ثم استنزله علي بن يوسف بن تاشفين واتخذه من قادة جيشه، استخدمه أولا في إشبيلية ثم نقله إلى السوس لقتال الموحدين، ثم انضم إلى عبد المؤمن ابن علي مع أصحابه، ثم رجع إلى صفوف المرابطين لكنه لم يستمر معهم طويلا، فعاد إلى الموحدين ووفد على عبد المؤمن في تنملل سنة 535هـ/ 1140م. أنظر: ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 184.

[4]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 140. ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 184.

[5]- حسب ابن السماك العاملي أن الفلاكي شارك في بناء الحصون لحماية المناطق المحيطة بمراكش، هذا جعله على دراية وعلم بمنافذ هذه الحصون. أنظر: ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 184.

ومن خلال ما سبق ذكره فإنه يمكن القول أن ما كان يحرزه الموحدون من انتصارات كانت البعض منها تراجع من الجيش المرابطي وليس قوة جماعات الموحدين وهذا التراجع في إطار التواطؤ ضد النظام المرابطي من الأطراف المعارضة داخل البلاط، بحيث يذكر لنا البي ذق أن الحرب الأولى كان الجيش المرابطي تحت قيادة ينتان بن عمر ان عناصر الجيش المرابطي هربوا[1].

وهذا يؤكد تحالف ينتان بن عمر مع عبد المؤمن وجماعته المعارضة وأما خروجه بالجيش للحرب فلم يكن إلا تمويها على قيامه بمهامه أمام الأمير المرابطي، وفي الميدان تراجع حتى لا يلحق بهم الأذى الذي قد يعرقل نجاح الحركة المناوئة ،وما ساعده على ذلك انه كان قائدا لفرقة الحشم المتكونة من المصامدة والزناتيين الذين كانوا على توافق معه في الراي وليس بينهم صنهاجيين اوفياء للنظام المرابطي يخالفونهم الراي .

أما الانتصار في الحرب الثانية لم يكن انتصارا وإنما تراجعا من طرف الجيش المرابطي إن لم نقل تواطؤا من داخل القصر المرابطي أو البلاط المرابطي مع حركة عبد المؤمن بن علي، فحسب ما ذكره البيذق أن ابن تومرت ألقى على الجيش قبضة من تراب فتراجعوا وتركوا الخيل والبغال والذخر والسلاح[2].

وهذا يؤكد على تواطؤ أطراف المعارضة من داخل البلاط المرابطي مع حركة عبد المؤمن بن علي لتزويده بالسلاح والذخيرة من أجل الإطاحة بالنظام المرابطي، وأما مسألة قبضة التراب فهي حيلة متفق عليها لتقوية إيمان أتباع عبد المؤمن بن علي بأن الحركة ليست سياسية بل هي دينية ومهدوية ابن تومرت هي حق، وهذه بعض خدع الحرب التي ينتصر بها الجيوش حسب ما أورده ابن خلدون:«... إن أسباب الغلب في الأكثر مجتمعة في أمور ظاهرة... ومن أمور خفية وهي إما من خدع البشر وحيلهم في الإرجاف والتشانيع التي يقع بها التخذيل[3]...».

[1]- البيذق: المصدر السابق، ص 35.

[2]- نفسه، نفس الصفحة .

[3]- ابن خلدون :المقدمة ،ص281.

فانطلاقا من هذا على الأرجح أن هناك من نشر بين أفراد الجيش المرابطي لصالح الموحدين أن ابن تومرت معصوم وله قوى خفية وغيرها من الإشاعات التي أربكت جند المرابطين وجعلتهم يتخاذلون في القتال، بل يتراجعون ويتركون الخيل والذخر والسلاح.

ولم يذكر لنا البيذق وغيره من المصادر أن الموحدين انهزموا في حروبهم ضد المرابطين هزيمة نكراء ما عدا موقعة البحيرة، والتي تفاجا فيها الموحدون انهم وجدوا انفسهم ليس امام الجيش المرابطي وحده كالعادة ،وانما امامهم جيش اخر وهو جيش ابن همشك الاندلسي الذي طلب من الامير المرابطي باصرار السماح له بادخال بعض عناصر جيشه لقتال الموحدين ،فسمح له بذلك وفعلا حقق انتصاره عليهم ،وفي هذا الشان يذكر ابن السماك العاملي فيقول : «وفي خلال حصار مراكش كان بها رجل من رؤساء الثغور بالاندلس يعرف بعبد الله بن همشك ...فقال يوما لامير المسلمين علي بن يوسف :مانحن نعير الا بالمقام تحت الحصار ،فضحك امير المسلمين من قوله ...وقال له :يا ابا محمد ،اتحسب ان قتال المصامدة مثل قتال الروم ؟ فقال له ...ولكن ارغب من الله ومن الحضرة ان تامروني بجمع ثلاثمائة فارس ،فاخرج بهم ،فاذن لهم في الخروج ،فخرج ابن همشك بمن تجمع له من اصحابه الاندلسيين لقتال الموحدين ،فراى لهم عوالي كثيرة الطول فعند ذلك اشار على اصحابه ان يقصروا رماحهم ،فما انتصف الليل حتى ادخل البلد منهم نحو ثلاثمائة راس ...وهزم الموحدين وسائر المصامدة وقتل منهم في ذلك اليوم ازيد من اربعين الفا ... »[1] وانطلاقا من هذا يفهم انه لم يكن الموحدون المصامدة بالقوة التي وصفها علي بن يوسف بن تاشفين وانها لاتهزم ،ولكن لان الجيش المرابطي كان متخاذلا في القتال بحجة تواطئه مع حركة عبد المؤمن بن علي الموحدية للاطاحة بالنظام المرابطي ،واما جيش ابن همشك لم يكن متواطئا فعلى الرغم من قلة عدده لكنه احرز انتصارا على الموحدين وذلك لعدم تخاذله في ساحة المعركة ، هذا خاصة إذا علمنا أنه حتى عندماا خرج علي بن يوسف بن تاشفين لحرب الموحدين في جيش بقيادة سير ابن واربيل انهزم [2]، لأن سير بن واربيل كما سبق أن أشرنا كان من أطراف المعارضة داخل البلاط مما جعله يتشفع للمهدي بن تومرت [3] مع ينتان بن عمر عند علي بن

[1]- ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص185-186.
[2]- البيذق: المصدر السابق، ص 41.
[3]- نفسه ، ص 28.

تاشفين، فقيادته للجيش جاءت تخدم أغراضه السياسية في محاولة إصلاح النظام أو الإطاحة به وبالتالي تخاذل الجيش في ساحة المعركة اثناء القتال .

إضافة إلى أن علي بن يوسف بن تاشفين خرج على رأس أربعة جيوش [1] وعلى الأرجح اثنان منهما كانا معارضين مما أدى إلى هزيمته، الأول جيش سير بن واربيل وسبق أن أشرنا إلى أنه ينتمي لأطراف المعارضة، والثاني جيش مسعود بن ورتيغ وهو جيش زناتة، وزناتة كانت تتوق للقضاء على ملك صنهاجة لأنه أطاح بإمارتها كما سبقت الإشارة، ولابد انها استوعبت أن عبد المؤمن الزناتي الأصل سيعيد لها أمجادها مما جعل جيش زناتة يتخاذل في القتال بدافع العصبية القبلية مع عبد المؤمن بن علي، الشيء الذي أدى إلى إلحاق الهزيمة بعلي بن يوسف بن تاشفين.

كما أنه إذا قارنا حروب الموحدين ضد المرابطين مع حروب بني غانية ضد الموحدين يظهر لنا أن بني غانية [2] الذين كانوا ذوي بأس ومعظمهم قادة جيوش وأساطيل وأمراء لم يتمكنوا من الإطاحة بالنظام الموحدي رغم استمرار حركتهم المناوئة لحوالي خمسين سنة، وذلك بوجود جيش منظم وتحالفات مع قبائل العرب بإفريقية كما ورد في الفصول السابقة من البحث، لكنهم لم يتمكنوا من الإطاحة بالنظام الموحدي بل تمكنوا من إلحاق بعض الهزائم بالجيش الموحدي وأنهكوا كاهل الدولة من جميع النواحي، لكن في آخر المطاف تراجعت قواتهم أمام قوة الجيش الموحدي او أمام قوة جيش الدولة أو جيش النظام الحاكم، بينما الموحد ين كحركة مناوئة للنظام المرابطي لم يكونوا أمراء ولا قادة جيوش سابقين ولا قادة أساطيل بل صورتهم المصادر على أنهم مجموعة أتباع رجل يدعي المهدوية والعصمة وطلبة وحفظة قرآن، إلا أنهم تمكنوا في حوالي سبعة عشر سنة على الأكثر أي من سنة 514- 531هـ الموافق لسنة ؟؟ من الإطاحة بالنظام المرابطي في شكل كيان دولة قائم من الناحية السياسية والعسكرية والإقتصادية.

وهذا يدل على أن حركة الموحدين كحركة مناوئة لقيت الدعم المتواصل المادي والمعنوي وعدة وعتادا وجندا من داخل البلاط المرابطي الذي تواجد به أشخاص من المصامدة وزناتة وكانوا على مقربة من الدائرة الحاكمة سياسيا وعسكريا و لكن كانوا يخفون معارضتهم الشديدة للنظام

[1]- البيذق: المصدر السابق ، ص 41.

[2]- استمرت حروب بني غانية ضد النظام الموحدي لما يقارب نصف قرن .انظرالتيجاني :المصدر السابق ،ص300-303

ويتوقون لأي فرصة للإنقلاب عليه، وحركة الموحدين أعطت لهؤلاء هذه الفرصة فتعاونوا معها ونتج عنها الإطاحة بالنظام المرابطي وقيام نظام موحدي التحق به من بقي على قيد الحياة من المعارضين كابن نجمار صهر علي بن يوسف بن تاشفين.

أضف إلى ذلك أن الدعوة المرابطية كانت تأخذ من أموال الغنائم لتمويل الجيش كما سبق أن أشرنا، بينما لم تذكر لنا المصادر التي بين أيدينا شيء عن تمويل الموحدين إلا ما ذكرته عن بعض الغنائم في القبائل والإستيلاء عليها [1]، ومهما يكن قدر هذه الغنائم فإن لم تكن هناك أسلحة وتدريبات وتنظيمات للجيش فإنه لا يمكن الإطاحة بنظام حكم وكيان دولة، وكل ما نعرفه عن تنظيمات الموحدين هي طبقات الموحدين من أهل الخمسين وأهل العشرة وغيرهم من الطبقات، وأغلبهم أشياخ قبائل وحفاظ وليست هناك أي طبقة للعساكر أو الجيش ماعدا بعض الرماة والغزاة في الطبقة الثالثة عشر [2] من طبقات الموحدين والجيش الموحدي لم يتشكل بشكل فعلي إلا بعد تأسيس الدولة في عهد عبد المؤمن بن علي [3] ، مما يدل على أنها كانت موجودة في الخفاء وتتلقى تدريبات وتمويل من البلاط المرابطي، لكنها لم تظهر إلا بعد إقامة النظام الموحدي ونشأة الجيش الموحدي بصفة رسمية.

ونستند في هذا إلى القرارات والخطط والحيل التي قام بها عبد المؤمن بن علي، ومن هذه القرارات اتخاذه قرار القضاء على شوكة قبائل المصامدة، إذ أحس أن مهامهم في حماية الفكرة للإطاحة بنظام الحكم المرابطي وذلك بحمايتهم لدعوة ابن تومرت الموحدية قد انتهت.

ومن الخطط والحيل التي اتخذها للقضاء على شوكة قبائل المصامدة استبعادهم من الحكم بحيث عمد إلى إخفاء موت المهدي، وفي تلك الفترة قام بتربية طائر لم تذكر لنا المصادر نوع الطائر لكن على الأرجح هو الببغاء لأنه الطائر الوحيد الذي يمكنه الكلام، وقد درب الطائر على نطق اسمه في عبارة" النصر والتمكين لسيدنا الخليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين"، و ربى شبلا حتى أنس إليه ثم أمر أن يحضر مجلسه أشياخ الموحدين وقبائلهم للبيعة العامة، فلما حضروا أمر بعض

[1]- ابن القطان :المصدر السابق ،ص 139-140

[2]-ابن السماك العاملي :المصدر السابق ،ص179.

[3]- عبد الله علي علام :الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص 260.

أتباع بإطلاق الطائر والأسد فأحدثا الأثر المطلوب في نفوس المجتمعين من المصامدة ولم يعترضوا على مبايعته بالخلافة[1].

بعد قراره في استبعاد المصامدة من الحكم اتخذ قرار قتل كل من يحاول أن يبدي معارضة لخلافته بحيث نفى هذا القرار ابن ملوية [2] وهو أحد أعضاء مجلس العشرة لكنه أراد الغدر بعبد المؤمن بالاتفاق مع علي بن يوسف بن تاشفين وذلك بمهاجمة تنملل، إلا أن أتباع عبد المؤمن ألقوا عليه القبض وقتلوه[3]. قراره أيضا بقتل بعض أقرباء ابن تومرت بعد أن ثبتت عليهم محاولتهم الفتك به ليلا[4] وهو نائم[5].

وانطلاقا من هذه الحادثة اتخذ عبد المؤمن بن علي قرارا آخر وهو الإتيان بقبيلة " كومية" من المغرب الأوسط من تلمسان للإحتما ع بها، وحتى تكون له ولأبنائه من بعده سندا في الحكم ويؤكد هذا ابن أبي زرع الفاسي فيقول:«... ورد على أمير المؤمنين قبيلة كومية في جيش عظيم من أربعين ألف فارس والسبب في قدومهم أنه لما همت طائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي بات مكانه، وتحقق ذلك منهم جاؤوا لأخذ ثأره منهم حيلة لكونه غريبا بين قبائلهم ليس له بينهم عشيرة يستند إليها ولا قبيلة يثق بها...»[6].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 121- 122.

[2]- ابن ملوية: هو عبد الله بن يعلى الزناتي أحد العشرة من أصحاب المهدي بن تومرت. أنظر: حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 67.

[3]- البيذق :المصدر السابق ،ص 46،عبد الله علي علام :الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ،ص110

[4]- يذكر صاحب المعجب ان بعض قرابة المهدي بن تومرت حاولوا قتل عبد المؤمن بن علي أثناء نومه في محلته في إحدى حملاته العسكرية، ولكن أحد المخلصين وهو إسماعيل بن يحي الهزرجي طلب من الخليفة السماح له بالنوم في فراشه فكانت النتيجة أنه قتل بدلا من عبد المؤمن بن علي، مما ثبت التهمة على أقرباء المهدي فتعقبهم عبد المؤمن وقتلهم. أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 233- 234.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 131.

هذا وإتصاله بهم خفية وتزويدهم خفية بالكساوي والعدة كانت خطة منه حتى يتظاهر أنه لا علم له بقدومهم وحرص على أن يظهروا أمام المصامدة مظهر القوي بالعدد والمال [1]، وهذا ما يدل على أنه كان يخطط للإطاحة بنظام حكم الصنهاجيين ويقيم نظام حكم الزناتيين.

قراره أيضا بتولية ابنه محمد ولاية العهد هو قرار يصب في محاولة استبعاد المصامدة من الحكم، بحيث عمد في ذلك إلى التخطيط وإشراك طرف آخر غير قبيلة كومية في الأمر إذ أشرك عرب إفريقية من الهلاليين وبني زغب وغيرهم في ذلك، بحيث خطط لكسب ولاء العرب وذلك بعد أن أمر ابنه محمد أن يكاتب أمراء العرب بأن نسا ءهم وأبناءهم في الحماية والرعاية ويطلب منهم الحضور للعاصمة مراكش لاستلامهم، إذ كان عبد المؤمن قد أسرهم في إحدى حملاته ضد العرب فبعد مجيء أمراء العرب إلى العاصمة وجدوا الترحيب والتكريم والأموال الجزيلة، مما شجعهم على البقاء بها وصاروا يكنون الحب والإجلال لمحمد ووالده عبد المؤمن بن علي، فلما تأكد من حقيقة ولائهم له أوحى إليهم بمطالبة تنصيب ابنه وليا للعهد وقد فعلوا ذلك، فتظاهر عبد المؤمن بالإمتناع في بداية الأمر لكن إلحاحهم جعله يقبل بذلك خاصة وأن أبا حفص عمر [2] قد صرح بتنازله عن ولاية العهد وتقديمه لمحمد بن عبد المؤمن، وقد عمد عبد المؤمن إلى اتخاذ قرار قتل كل من يعارض ولاية ابنه محمد بحيث قتل القائد يصلتين الهرغي الذي حقد عليه بخصوص هذا الشأن، وقتل أخواي المهدي لمعارضتهما لهذا التصرف [3]. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تمسك عبد المؤمن بإقامة نظام حكم زناتي يعيد لزناتة اعتبارها.

ثم احتياطه من قبائل المصامدة من الناحية السياسية والعسكرية بحيث جعل كل الهيئات التي أسسها ابن تومرت هيئة العشرة، وهيئة الخمسين، وهيئة السبعين، مجالس إستشارية أي ليس لها أي علاقة بسياسة الدولة وإدارتها، ومن الناحية العسكرية حافظ عليها لكن جعل قبيلته" كومية" بعد قبيلة ابن تومرت في الترتيب مباشرة حتى يكون لها دور فعال في الشؤون العسكرية

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس ، ص 131.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 87.

[3]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، ص 260.

للدولة[1]. وهذا يؤكد حرص عبد المؤمن الشديد على استبعاد المصامدة من مشاركة زناتة المجد والحكم.

ومما يدل على أن عبد المؤمن بن علي وظف ابن تومرت كدعوة دينية في حركته السياسية هو توريث أبنائه الحكم دون مشاركة المصامدة وعدم توريثهم العقيدة التومرتية، فعبد المؤمن بن علي أظهر في البداية المحافظة على تعاليم ابن تومرت ومبادئ دعوته، وذلك ليس إيمانا بها وإنما حفاظا على مكانته ومنصبه كحاكم بين المصامدة وأتباع ابن تومرت، بحيث عمل على دعوة الناس إلى تعلم تعاليم ابن تومرت وأصدر الأوامر وبعث الرسائل من أجل هذا، لكنه لم يجبر أبناءه على التمسك بها من بعده ولا على إشتراطها في الحاكم ولا أي شيء من هذا القبيل[2].

هذا ونلمس أيضا بداية اندثار العقيدة التومرتية في عهد يوسف بن عبد المؤمن بحيث يذكر عبد الواحد المراكشي أن يوسف بن عبد المؤمن قد دار حوار بينه وبين أبو بكر بن الجد حول بعض الكتب الفقهية بأيها يؤخذ ؟ وأن ابن الجد حاول ان يناقش معه المسألة إلا أن يوسف بن عبد المؤمن قاطعه وأشار إلى المصحف وسنن أبي داود وإلى السيف وقال:«... يا أبا بكر ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان عن يمينه أو السيف»[3].

ويضيف المراكشي في هذا الصدد أن يعقوب المنصور هو الآخر أدرك أن العقيدة التومرتية ليست إلا دعوة دينية قامت عليها دولتهم وأنه لاأساس لعصمة ابن تومرت، وذلك حين أورد المراكشي أن يعقوب المنصور صرح لأحد المقربين إليه بقوله:«... يا أبا العباس إشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة...» [4] أي عصمة ابن تومرت، ثم يضيف المراكشي في كتابه المعجب أنه قال لنفس الشخص مرة أخرى تحسرا على عدم وجود الإمام للأمة:«... يا أبا العباس أين الإمام ؟ أين الإمام ؟»[5] مما يوضح أنه كان لا يؤمن بإمامة ابن تومرت.

[1]- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، ص 260.

[2]- حمد بن صالح السحيباني: المرجع السابق، ص 576.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 212.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 212

ويذكر عبد الواحد المراكشي أيضا أن يعقوب المنصور زار مدينة جيان بالأندلس بعد معركة الأرك فقدم أهلها شخصا لمحادثته نيابة عنهم، فسأله يعقوب المنصور عما بدى له من أحوال الناس وأمور رجال الدولة فلما فرغ سأله عن نصيبه في العلم، فيذكر المراكشي أن هذا الشخص أجابه أنه قرأ تواليف الإمام- أي ابن تومرت- مما أغضب يعقوب المنصور ورد عليه انه كان يجب أن يكون قد قرأ كتاب الله ثم شيئا من السنة ثم يلي ذلك أي شيء آخر قرأه [1]. ثم يضيف أنه أي يعقوب المنصور كان لا يرى رأي العامة في ابن تومرت وأنه كلما رأى موقفا من العامة يشهد بإمامة ابن تومرت ومهدويته يبتسم استخفافا بعقول العامة وأنه لا يرى شيئا من هذا كله[2].

واستمر إضمحلال واندثار العقيدة التومرتية شيئا فشيئا إلى أن أعلن الحاكم الموحدي أبو العلاء إدريس الملقب بالمأمون ببطلانها، بحيث يذكر ابن أبي زرع الفاسي في هذا الصدد ما يلي:«... في وقت صلاة العصر من يوم السبت الخامس والعشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرون وست مائة... دخل المأمون مدينة مراكش فبايعه الموحدون كافة فصعد المنبر بجامع المنصور وخطب الناس ولعن المهدي وقال: أيها الناس لا تدعوه بالمعصوم وأدعوه بالغوي المذموم إنه لا مهدي إلا عيسى وأنا قد نبذنا أمره النجيس...، وأمر بإسقاط اسم المهدي من الخطبة وإزالته عن الدنانير والدراهم المركنة التي كان قد ضربها المهدي، وقال كل ما فعله المهدي وتبعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لإبقاء البدع»[3]، ثم احتجب ثلاثة أيام بقصره ثم خرج ودعا عليه بأشياخ الموحدين فقتلهم جميعا[4].

رغم أن هذه الأحداث كانت في ظل الصراع على السلطة كما ورد لكن بينت أن العقيدة التومرتية لم تكن متغلغلة في نفوس بني عبد المؤمن وكانوا جميعا يوظفونها لأغراضهم السياسية. فإذا تصادمت العقيدة التومرتية مع مصالحهم السياسية أعلنوا حقيقتها على انها ليست سوى بدعة وهراء وأن من سبقهم من الحكام وظفها لكسب ولاء العامة وهذا هو الأرجح.

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 212.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 167- 168.

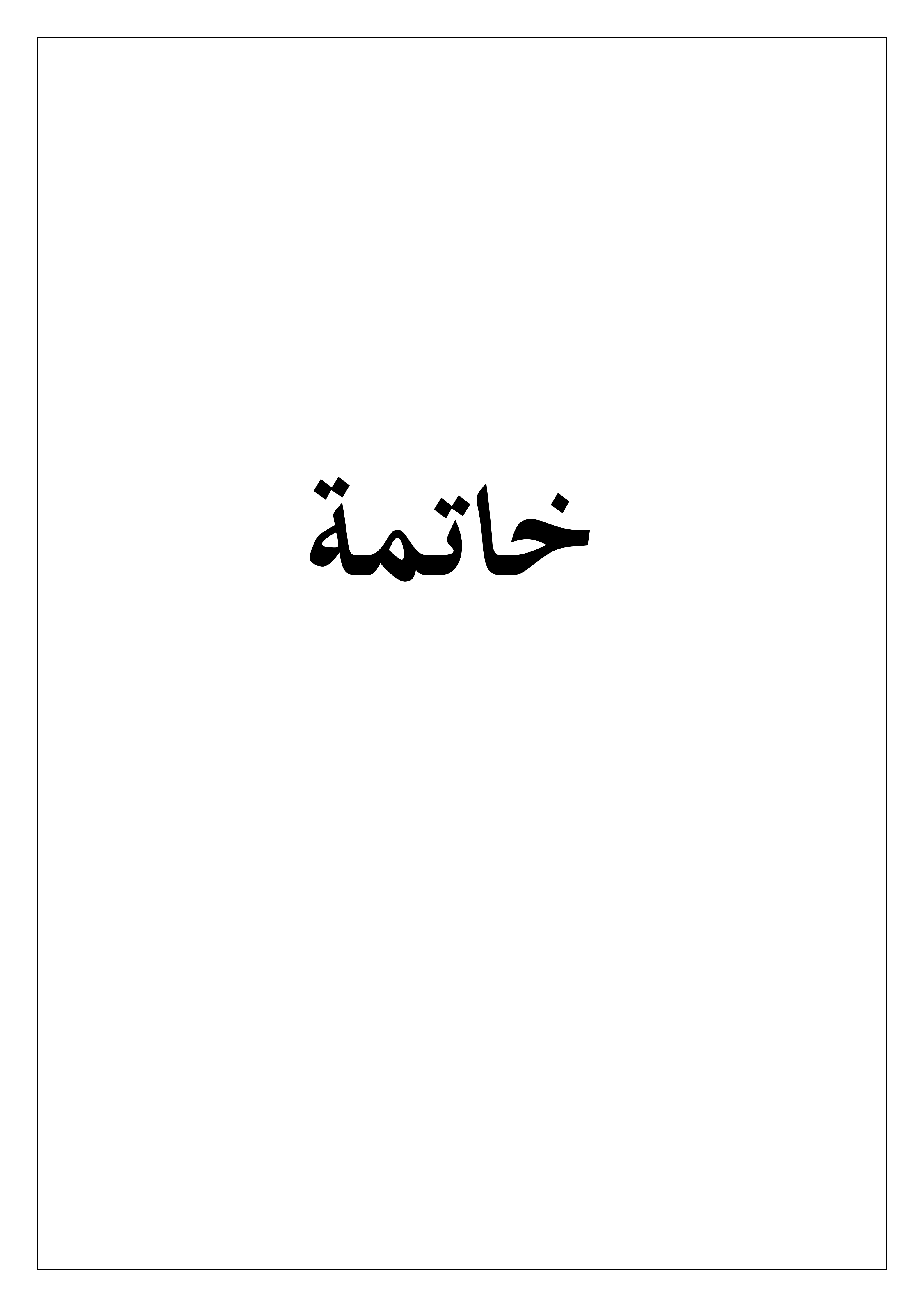
[4]- نفسه، ص 168.

وانطلاقا مما سبق ذكره يمكن القول ان فكرة الإطاحة بالنظام المرابطي الصنهاجي هي فكرة نشأت بالمغرب الأوسط بتلمسان، وعكف على تحقيقها واحد من أفراد القبائل الزناتية وهو عبد المؤمن بن علي لرد اعتبار زناتة، وتم توظيف المهدي بن تومرت وعقيدته التومرتية وقبائل المصامدة لنجاح الفكرة، فالدولة الموحدية دولة نشأت فكرتها ونواتها الأولى بالمغرب الأوسط عند أفراد القبائل الزناتية، وتبلورت كحركة سياسية مناوئة بتنملل واستعانت بتوظيف المهدي ابن تومرت لدعوة دينية حول الأهداف السياسية، قبائل المصامدة بتوظيف عصبيتهم القبلية وكثرة عددهم، وحصانة مواطنهم وقربها من العاصمة المرابطية مراكش حتى صارت نظام حكم لدولة قائمة بكيانها السياسي والعسكري.

الدولة الموحدية دولة مغرب أوسطية زناتية وليس المصامدة بالمغرب الأقصى إلا أرضية لتنفيذ مشروع الإطاحة بالنظام المرابطي وإقامة سلطان وملك زناتة في دائرة مصمودية من حيث الدعوة والمكان وعدد الأتباع.

وهذا ليس بجديد فقد أشار ابن خلدون أن الفكرة والإنطلاقة الأولى كانت من زناتة، وأن المصامدة ليس إلا أرضية نفذ عليها مشروع الدولة الموحدية وذلك في قوله الذي ذكرناه سابقا والمتمثل في:«... لما كانت زناتة أبدى من المصامدة وأشد توحشا، وكان للمصامدة الدعوة الدينية بإتباع المهدي فلبسوا صبغتها، وتضاعفت قوة عصبيتهم بها، فغلبوا على زناتة أولا واستتبعوهم وإن كانوا من حيث العصبية والبداوة أشد منهم».

ومن هذا فإن الدولة الموحدية أساسها زناتي ولكن نسبت للمصامدة وسميت باسمه م لكثرة عددهم وقوة عصبيتهم، إلا أنها كفكرة ونواة وأسرة حاكمة هي زناتية مغرب أوسطية، فلم يتقلد الحكم من حكام الدولة الموحدية منذ قيامها إلى سقوطها فرد من المصامدة وتداول طيلة فترة تواجدها ببلاد المغرب على منصب الحاكم بني عبد المؤمن الزناتيين.



خاتمة

ومما سبق ذكره و من خلال ما مرّ بنا في هذا البحث من أحداث سياسية وعسكرية خاصة بتاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط يمكن القول: أن بلاد المغرب الاسلامي عاشت في الفترة الممتدة من ق 5هـ-7هـ الموافق ل 11م-13م تحت سلطة نظامي حكم إسلاميين ، قام كل واحد منهما بالدعوة إلى افكار اصلاحية بصبغة دينية إسلامية

-لم يكتف النظام المرابطي والنظام الموحدي ببسط نفوذهما على كافة بلاد المغرب الإسلامي، وإنما وجها انظارهما في وجوب إخضاع بلاد الأندلس بصفتها تابعة لبلاد المغرب وقد ساعدهما على ذلك الظروف الداخلية التي كانت تمر بها بلاد الأندلس في الفترة لخاصة بكل دولة وهو الانقسام الطائفي الذي كانت تشهده بلاد الأندلس من فترة لأخرى.

-دخول كل من المرابطين والموحدين إلى بلاد الأندلس كان عبر مراحل ونتيجة استنجاد أهل الأندلس بهم مرة طمعا في درء خطر النصارى عنهم ومرة في محاولة البحث عن سلطة مركزية توحد الأندلس من جديد .

-تمكن كل من المرابطين و الموحدين بعد دخولهم إلى الأندلس من إخضاع جميع نواحي بلاد الأندلس الا ان المدة الزمنية التي قضاها الموحدون في الإخضاع أطول من المدة التي استغرقها المرابطون وذلك لان الموحدين واجهوا صعوبة في منطقة شرقي الأندلس التي تطلب إخضاعها بعض الوقت لأنها كانت بيد ابن مردنيش أحد المعارضين للتواجد الموحدي بالمنطقة وللحكم الموحدي بالأندلس.

-عمل كل من النظامين المرابطي و الموحدي خلال فترة حكمهما بالمغرب الاسلامي على توسيع نفوذهما؛ لكن اختلفا في المدة الزمنية التي استغرقها كل نظام في بلوغ أكبر مساحة نفوذ واختلفا ايضا في الحدود الجغرافية، حيث امتدت الدولة المرابطية إلى جزء من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس وإلى غرب إفريقيا ووسطها ،أما الدولة الموحدية فقد شملت افريقية وبلاد المغرب الاوسط و المغرب الأقصى والأندلس .

-لم يكن هناك اختلاف شاسع بين النظامين من حيث الشكل فكلاهما اهتما بالتنظيم السياسي والاداري للدولة ،في مقدمة ذلك جهاز الحكم والجيش وكلاهما استعانا في انظمتهما بالأندلسيين خاصة الوزارة والكتابة والقضاء

—عرف النظامان بالمغرب الاسلامي نظام الوراثة في الحكم ،النظام الموحدي اتخذه مبدءا منذ النشأة، بحيث عمل عبد المؤمن بن علي على التفكير في توريث أبنائه الحكم واستبعاد باقي العناصر منذ توليه منصب الحاكم ، بينما النظام المرابطي فقد تبنى مبدأ الشورى في اختيار الأمراء وحاول أن يصب مبادئ الشورى على نظام الوراثة وذلك من خلال ما قام به يوسف بن تاشفين من مشاورات في شان ولاية عهد ابنه علي له ،لكن بمرور الوقت صار حكم الدولة وراثيا محضا.

—اعتمد البلاطان المرابطي و الموحدي على وزراء اندلسيين ومغاربة ، واسندت في بعض الأحيان لعناصر من الاسرة الحاكمة ،إضافة إلى أن الوزير في النظامين اسندت له زيادة على مهام وزير مهمات أخرى كان ملزم على القيام بها ،كما اهتم النظامان بالدواوين وتسخيرها لفائدة أجهزة الدولة السياسية والعسكرية بحيث أنشأ كل نظام في عصره ديوانا خاصا بالجيش.

—تميزت اجهزة النظامين السياسية والعسكرية بالتنظيم المحكم والتسيير الحسن في العصور الذهبية للدولتين ،الا ان عدم الانضباط وسوء التسيير بدأ يتخلل هذه الاجهزة في مراحل الضعف ،خاصة بعد انقسام البلاط الواحد من حيث الفكر ،بحيث انقسم البلاط المرابطي لمؤيد للنظام ومعارض له في الفكر بعد حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، وانقسم البلاط الموحدي بين مؤيد للنظام ومعارض له من حيث الفكر في مسألة إثبات مهدوية وعصمة ابن تومرت أو نفيها عنه ، ولم تكن هذه الانقسامات والانشقاقات بين مؤيد للنظام ومعارض له حكرا على عناصر البلاط فقط بل شملت مختلف طبقات المجتمع خاصة طبقات العلماء والفقهاء وحتى الطبقة العامة مما انعكس سلبا على النظامين .

—تخلل الجيش في النظامين إضافة إلى العناصر البربرية عناصر أندلسية وعربية وحتى نصرانية.

—عمل النظامان قدر الامكان في محاولة الحفاظ على جباية الضرائب الشرعية فقط ، لكن احتياجات الدولتين أدّى بالنظامين إلى استحداث ضرائب جديدة وفرضها على الرعية.

—اعتمد النظامان على قضاة اندلسيين بالدرجة الأولى في النظام القضائي وذلك لما كان عليه أهل الأندلس من علم في الدين واجتهاد في القضاء والفتوى ،واهتم النظام المرابطي و الموحدي بمسائل الحسبة والمظالم بشكل كبير لمحاولة احلال المساواة بين طبقات المجتمع .

—تميزت علاقات المغرب الاسلامي الخارجية في خلال فترة حكم المرابطين والموحدين بالود تارة والتوتر تارة اخرى مع الامارات الاسلامية وبالعدائية الدائمة مع الممالك النصرانية خاصة المجاورة لبلاد الاندلس .

—عرف المغرب الاسلامي في العصر الوسيط خلال عصري دولتي المرابطين والموحدين رخاءا اقتصاديا متنوعا ،حيث مارس المجتمع المغربي خلال العصرين مختلف الانشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ، وقد تعددت أنواع المحاصيل الزراعية وانواع الصناعات، كما تعددت الاسواق والسلع المتبادلة بها والمراكز الصناعية والموانئ التجارية
و رغم هذا، عرف المغرب الاسلامي في نفس الفترة بعض التراجع والتدهور الاقتصادي وبعض المشاكل الاجتماعية ، وذلك أما نتيجة الحروب أو نتيجة الجوائح والكوارث الطبيعية التي كان يتعرض لها بلاد المغرب من حين لأخر.

كان مجتمع بلاد المغرب الاسلامي في عصري المرابطين والموحدين مجتمعا طبقيا ويتكون من عدة فئات وقد كانت متشابهة بين العصرين ولهم ايضا تشابه في الحياة اليومية من مهن وحرف ومأكل وملبس وذلك لطبيعة البيئة الواحدة ، لم يكن هناك اختلاف الافي تحديد البسة اهل الذمة بالنسبة لعصر كل دولة. وبالتالي فانه يمكن القول أن حالة
مجتمع بلاد المغرب كانت صورة واضحة لنظام الحكم في عهدي المرابطين والموحدين ، فقد عكس المجتمع فترات القوة بالرخاء والاستقرار ونشاط الحركة الاقتصادية والعلمية والعمرانية ، وعكس فترات الضعف بانتشار الفوضى وركود في الحركة الاقتصادية والعلمية وانتشار الفوضى وقطاع الطرق وعدم القدرة علة مواجهة الأوبئة والجوائح والكوارث الطبيعية.

—لم يسلم النظامان المرابطي و الموحدي من الحركات المناوئة سواء بالمغرب أو الأندلس، وكانت في مجملها تدور حول الصراع على الحكم ،وهي أما محاولة الاطاحة بالنظام أو الاستيلاء على منصب الحاكم ما بين أفراد الأسرة الحاكمة ،أو محاولة الاستقلال بإمارة عن النظام الحاكم في بلاد المغرب أو الاندلس ، وهذا أحد العوامل التي ساهمت في تفكيك الجهاز السياسي والاداري في النظامين المرابطي و الموحدي .

—النظامان المرابطي و الموحدي هما نظامان سياسيان ببلاد المغرب الإسلامي ، اعتمدا في توحيد بلاد المغرب على العنصر البربري الجبلي المؤمن بالعصبية القبلية وذلك بتوظيفها في دعوة

دينية اصلاحية تحرك الجانب الروحي عند طبقات مجتمع بلاد المغرب لخدمة اهداف وأغراض سياسية .

ومن ثم فان تأسيس النظامين المرابطي و الموحدي ببلاد المغرب هو في حد ذاته إنعكاسات لأحقاد بين القبائل البربرية لبلاد المغرب زناتة ، صنهاجة ، مصمودة ،بحيث حاولت كل قبيلة توظيف العصبية القبلية في قالب دعوة دينية اصلاحية ، بغرض بسط النفوذ والسيطرة وممارسة الحكم لصالح قبيلة واحدة على باقي القبائل البربرية ببلاد المغرب ، وقد تمكنت صنهاجة وزناتة من تحقيق ذلك بينما مصمودة وظفت لذلك في صف زناتة .

الملاحق

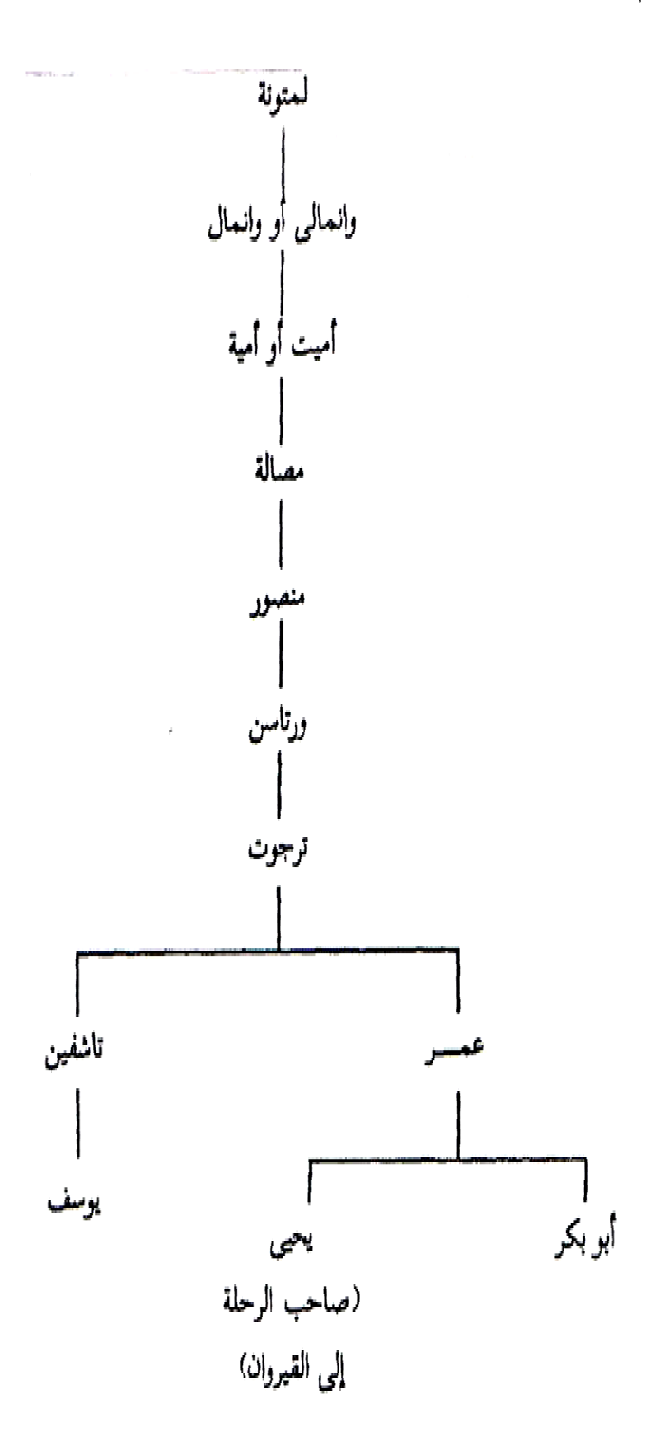
الملحق رقم 01 : مواطن القبائل الصنهاجية[1]



---

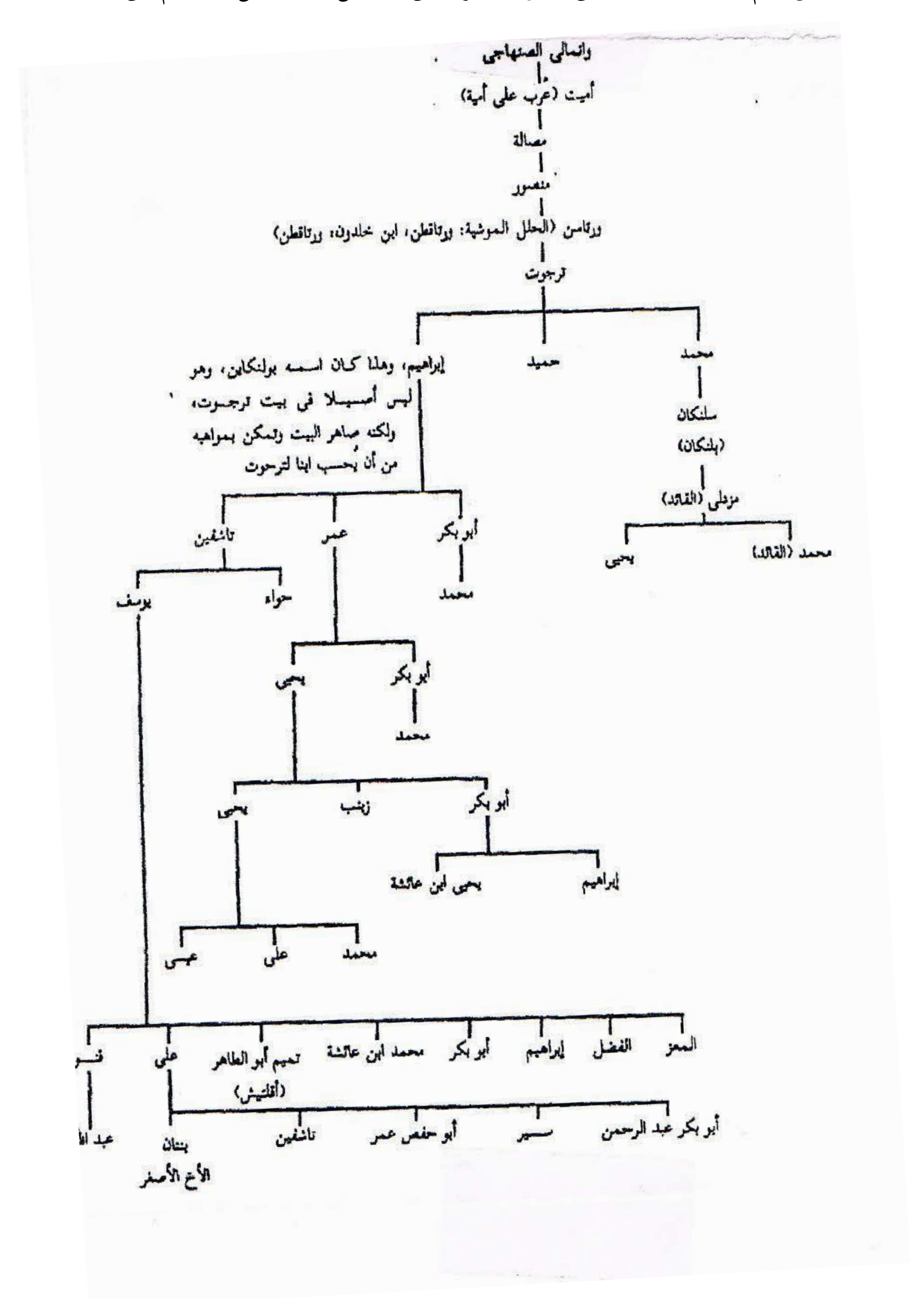
[1] – محمد القبلي وآخرون: المرجع السابق ، ص 166.

الملحق رقم 02: مخطط يبين انحدار الأمراء المرابطين من قبيلة لمتونة



[1]- عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين، ص 15.

الملحق رقم 03: مخطط يبين أصول المرابطين الأوائل وما يتصل بنسبهم من الأبناء والأعمام



---

[1] – عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين، ص 16.

الملحق رقم 04: حكام الدولة المرابطية بالترتيب

يحيى بن إبراهيم الجدالى } قبل سنة ٤٤٧ = ١٠٥٥
يحيى بن عمر اللمتونى }

١ – أبو بكر بن عمر اللمتونى (توفى سنة ٤٨٠) ... ٤٤٨ = ١٠٥٦

٢ – يوسف بن تاشفين ... ... ٤٨٠ = ١٠٧٨

٣ – على بن يوسف ... ... ٥٠٠ = ١١٠٦

٤ – تاشفين بن على (توفى سنة ٥٤٠) ... ... ٥٣٧ = ١١٤٢

٥ – إبرهيم بن تاشفين بن على ... ... ٥٤٠ = ١١٤٥

٦ – إسحق بن على بن يوسف (توفى سنة ٥٤١) ... ٥٤٠ = ١١٤٥

يحيى بن غانية (آخر ولاة المرابطين بالأندلس توفى سنة ٥٤٣) .

[1]– أحمد محود : قيام دولة المرابطين ، ص 455

الملحق رقم 05: نواب الأمراء المرابطين على أقاليم المغرب

فاس وسبتة	تلمسان	بلاد السوس
أبو بكر بن إبراهيم أبو عبد الله محمد ابن الحاج	تاشفين بن تينامر مزدلي بن سلنكان	أبو بكر بن محمد اللمتوني

إقليم الصحراء	سجلماسة	
أبو بكر بن ابراهيم	إبراهيم بن أبي بكر بن عمر أبو عبد الله بن أبي زنقي	

[1] – حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 15.

الملحق رقم 06 : تنظيم الجيش المرابطي

الجند

الجند المتطوعون

الجند النظاميون

الملثمون: لمتونة، جدالة، مسوفة

باقي الأصناف: الحشم (مصمودة، زناتة)، العرب، العبيد

رواتب الجند

رواتب النظاميون: ديوان العطاء والنفقات، الغنائم

رواتب المتطوعون: عطيات مقررة طيلة مدة الحرب تصرف على ذويهم عند ديوان العطاء

ديوان الجند

ديوان العطاء والنفقات

ديوان الطعام

ديوان السلاح

ديوان المراسلات

ديوان العلامات

اجتهاد الباحثة.

ملحق رقم 07: نظام الحكم المرابطي

- **جهاز الحكم**
  - **الكتاب**
    - كتاب أندلسيون
  - **الحاكم**
    - نواب الحاكم
      - نائب ببلاد المغرب
      - نائب ببلاد الأندلس
    - ولاة الأقاليم
      - ولاة أقاليم ببلاد المغرب
      - ولاة أقاليم ببلاد الأندلس
  - **الوزراء**
    - وزراء حرب
    - وزراء إدارة
- **الدواوين**
  - **دواوين مالية**
    - ديوان الجند
    - ديوان الضرائب
    - ديوان الجباية
    - ديوان الدخل والخرج
  - **ديوان الرسائل**
- **الجيش**
  - **المتطوعون**
  - **الجند النظاميون**
    - الملثمون
      - لمتونة
      - جدالة
      - مسوفة
    - الحشم
      - مصورة
      - زناتة
    - باقي الأصناف
      - العرب
      - العبيد
    - جند الروم
- **النظام المالي**
  - **العاملين عليها**
    - المستخلص(أحد افراد القبائل الصنهاجية)
  - **الضرائب والجباية**
    - ضرائب شرعية
      - الزكاة
      - الأعشار
      - خمس الغنائم
      - الجزية
    - ضرائب مستحدثة
      - المعونة
      - الشكات
      - التغريب
      - أملاك سلطانية
    - المستخلص(الأملاك السلطانية)
- **النظام القضائي**
  - **قاضي الجماعة**
    - ببلاد المغرب
    - ببلاد الأندلس
    - قاضي قضاة الشرق
  - **خطة القضاء**
    - خطة الإشراف
    - خطة الشورى
  - **باقي المهام**
    - الشرطة
    - الحسبة
    - المظالم

اجتهاد الباحثة.

الملحق رقم 08: نواب الأمراء المرابطين بميورقة

1 - **محمد بن علي بن إسحاق بن غانية**

2 - **وانود بن أبي بكر اللمتوني**

3 - **يحي بن علي بن إسحاق بن غانية**

حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ، ص 475.

الملحق رقم 09: باقي طبقات الموحدين

الطبقة الرابعة: الطلبة وهم العلماء

الطبقة الخامسة: الحفظة وهو صغار الطلبة

الطبقة السادسة: أهل الدار

الطبقة السابعة: قبيلة هرغة

الطبقة الثامنة: أهل تينملل (وهم أهل قبائل متعددة)

الطبقة التاسعة: قبيلة جدميوة

الطبقة العاشرة: كنفيسة (جنفيسة)

الطبقة الحادية عشر: هنتاتة

الطبقة الثانية عشر: أهل القبائل الموحدة المختلفة

الطبقة الرابعة عشر: الفرات (أي الأحداث و الأميين و العبيد)

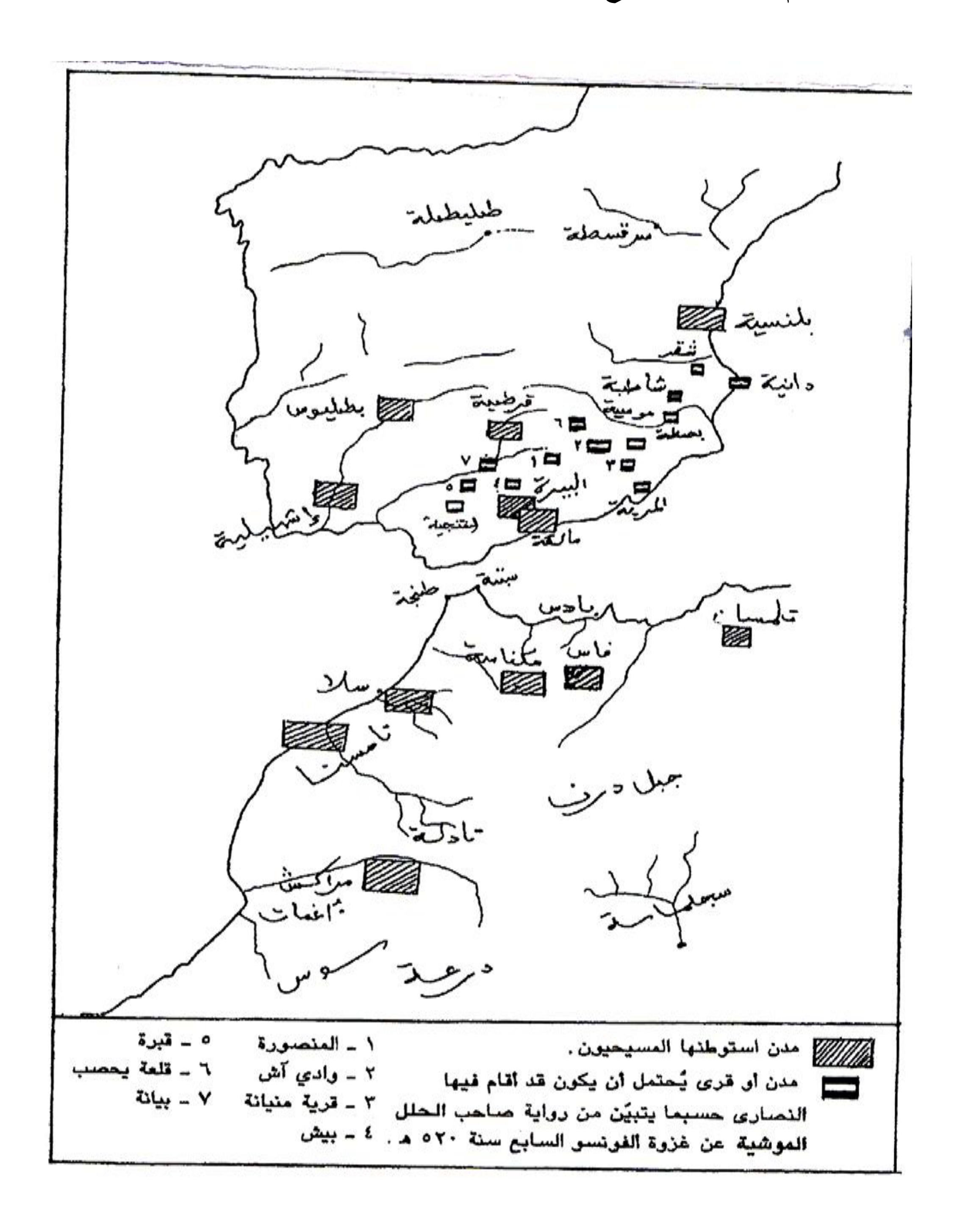
[1] – عبد الحميد حاجيات: تأسيس دولة الموحدين، مجلة التاريخ، ص 15.

الملحق رقم 10 : مراكز تجمع فئة اليهود بالمغرب والأندلس في عصر المرابطين



[1] – ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 150

الملحق رقم 11: مراكز تجمع المسيحيين بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين



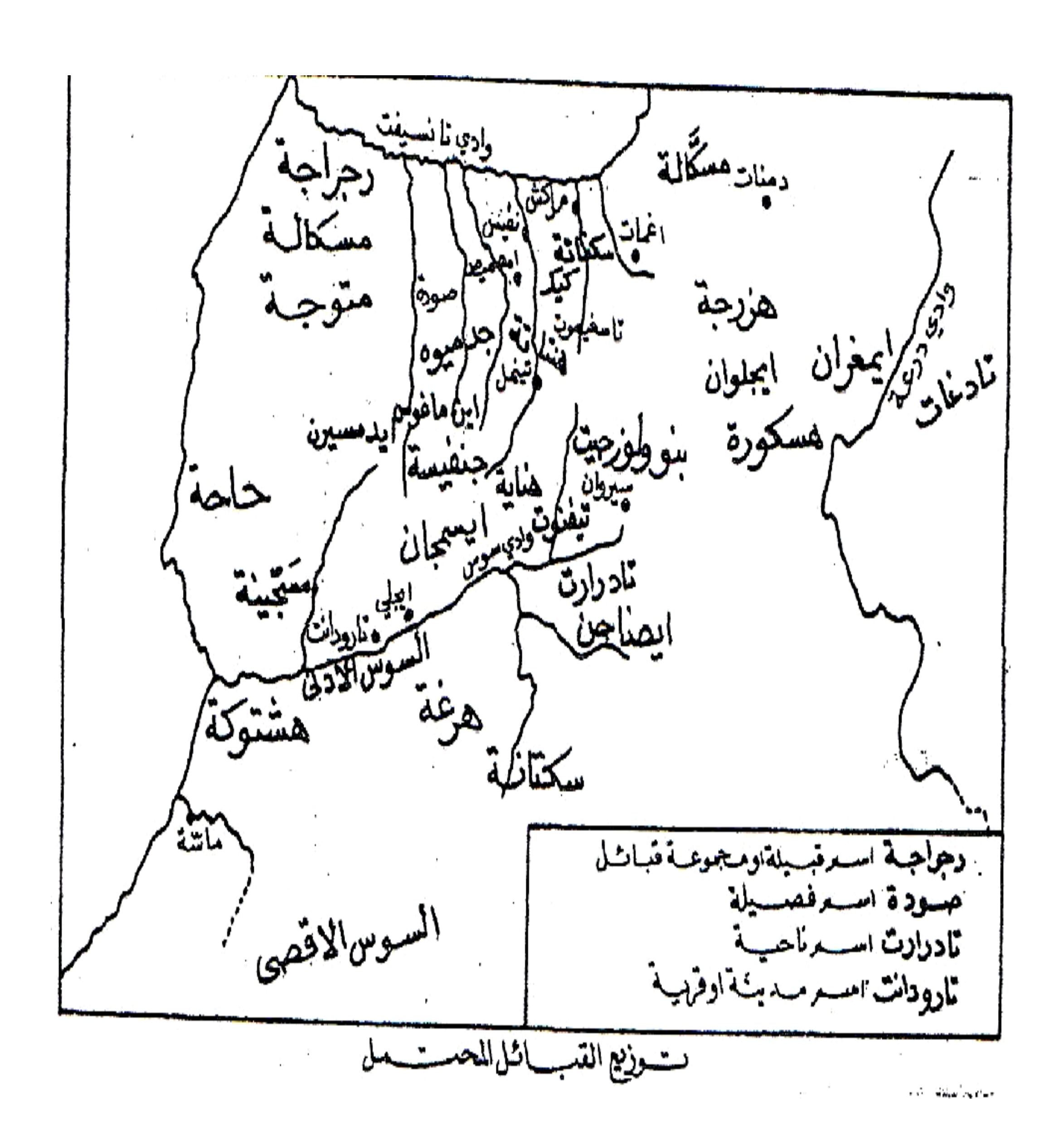
[1] – ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 151.

الملحق رقم 12: جدول يبين أهم الفقهاء والقضاة الأثرياء في الدولة المرابطية مع تحديد العبارة الدالة على ثرائه وسنة وفاته

الفقيه	سنة وفاته	النص المعبّر عن ثرائه
عبد الله بن محمد بن جبل الهمذاني	غير محددة	نال بخدمة السلطان دنيا عريضة
عبد الله بن عبد الله بن عيشون المعافري	٥٧٣ هـ	صاحب ثروة ويسار
ابن الرمامة	٥٦٧ هـ	من ذوي اليسار
عيسى بن يوسف الأزدي	٥٤٣ هـ	من أعيان فاس
علي بن طويل بن أحمد	٥٦٠ هـ	من أعيان فاس وحسبائها
محمد بن الحسن الكامل	٥٣٩ هـ	لم يكن ببلده نظيره في سعة الحال وكثرة المال
محمد بن عبد الله بن حسون الكلبي	٥١٩ هـ	من جلة أعيان بلده وكبار حسبائه
سعيد بن عبد الله اللخمي	كان حياً ٤٩٤ هـ	من ذوي اليسار
أبو محمد عبد الله بن عيسى الشبلي	٥٤٨ هـ	من بيت شرف وجاه عريض مع سعة الحال والمال
محمد بن أصبغ الأزدي	٥٣٦ هـ	كان مشاركاً بجاهه وماله في المعروف والخير
سراج بن عبد الملك	٥٠٨ هـ	كان أوسع أهل عصره مالاً وجاهاً
محمد بن أحمد بن نمارة الحجري	٥٦٣ هـ	كان كثير المال واسع الحال
عبد الغفور بن اسماعيل بن خلف المكرني	٥٤٠ هـ	كان ذا يسار
محمد بن أحمد بن خلف الغساني	٥٠٨ هـ	نبيه البيت رفيع القدر عالي الصيت

[1] – ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 152.

الملحق رقم13: مواطن قبائل مصمودة



توزيع القبائل المحتمل

[1] – رشيد بورويبة: ابن تومرت، ص 78.

الملحق رقم14: الطريق التي سلكها اب تومرت من مراكش إلى إيجلي[1]



---

[1]– رشيد بورويبية: ابن تومرت، ص 60.

الملحق رقم15: نظام الحكم الموحدي

- جهاز الحكم
  - الحاكم
    - صاحب الشرطة
    - متولي أشغال البرين
    - ولاة الأقاليم
      - ببلاد المغرب
      - ببلاد الأندلس
    - نواب الحاكم
      - نائب ببلاد المغرب أثناء نهاية الحكم (من الأسرة الحاكمة)
  - الوزراء
    - وزراء أمراء
    - وزراء إداريون
  - الكتاب
    - كتاب مغاربة
    - كتاب أندلسيون
- الدواوين
  - ديوان الإنشاء
  - ديوان الأعمال المخزنية
  - ديوان العسكر
- الجيش
  - الجند المتطوعون
  - الجند النظاميون
    - الأصناف الموحدية
      - أهل العشرة
      - مجموعة الموحدين إلى 539 هـ
      - مجموعة الموحدين بعد 539هـ
    - باقي الأصناف
      - العبيد
      - جند الصقلب
      - العرب
      - الأفزاز
- النظام المالي
  - ضرائب
    - ضرائب شرعية
      - الزكاة
      - الأعشار
      - الجزية
    - ضرائب مستحدثة
      - الخراج
      - ضرائب السلع في البيع والشراء
  - العاملين عليها
    - صاحب الأعمال المخزنية
    - متولي المجابي
    - المختصون بأمور النفقات والمحاسبة
    - المشرفون
    - المستخلص(الأملاك السلطانية)
- النظام القضائي
  - قاضي الجماعة
    - ببلاد المغرب
    - ببلاد الأندلس
  - خطة القضاء
    - خطة الشورى
    - خطة الأحكام
    - خطة الشورى
    - خطة الأحكام
    - خطة المواريث
  - باقي المهام
    - حسبة السوق

الملحق رقم 16 : تنظيم الجيش الموحدي

الجند المتطوعون

الجند

الجند النظاميون

باقي الأصناف

العبيد
جند الصقلب
العرب
الأفزاز

الأصناف الموحدية

أهل العشرة
مجموعة الموحدين إلى 539 هـ
مجموعة الموحدين بعد 539هـ

ديوان العسكر

وزير استقبال عند الروم
صاحب الطعام
صاحب العلامات
صاحب دوان السلاح
صاحب ديوان كتاب الجيش
صاحب دوان الرسائل

رواتب الجند

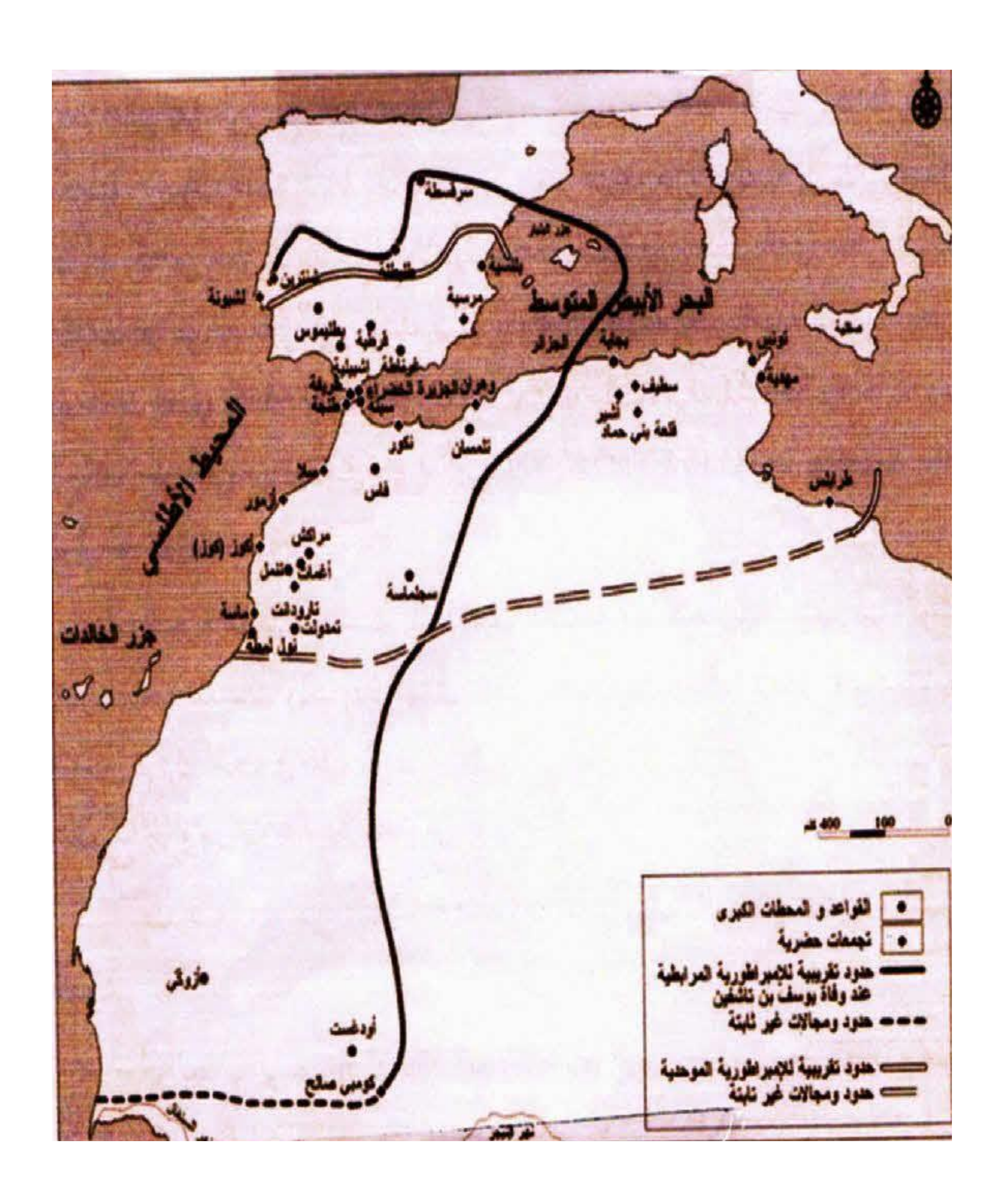
رواتب النظاميون

بيت المال
الغنائم
الأقطاع
الغنائم

رواتب المتطوعون

اجتهاد الباحثة.

الملحق رقم 17: امتداد حدود نظامي الحكم المرابطي والموحدي



[1] – محمد القبلي وآخرون: المرجع السابق ، ص 169.

الملحق رقم18: رسالة المهدي بن تومرت إلى جماعة الموحدين (الرسالة المنظمة)

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، الى جماعة اهل التوحيد[5] وفقهم لما يحبه[6] ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيّه ورسوله، والذي نُوصيكم به تقوى والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه[7].

كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتصلت بنا اخباركم، وقيامكم في نصرة الحق واجتهادكم على إحياء السنة، وتآلفكم وتعاونكم على إظهار الحق، واجتماعكم على إخماد الباطل والضلال، وجهاد المجسّمين والمفسدين، فحمدنا الله تعالى على ذلك وشكرناه اذ منّ علينا بالاخوان على اظهار الدين واحياء[8] السنة، امتثالا لقول الله تعالى : «وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ»[9]، نبه على ان كثرة الإخوان والانصار منّة منه عظيمة، لأن[10] بأنصار الحق يظهر نور الحق وجمال الدين، وبه يهدم الباطل والضلال حتى تمحي[11] آثاره ورسومه، وتبقى بعده انوار الحق مشرقة واعلامه واضحة.

فلما كان الحق لا ينصر والدين لا يظهر الا بانصار الحق والمجاهدين عليه، عظم الله امر المجاهدين وبيّن فضلهم، واخبر ان الجهاد بالاموال والانفس تجارة تنجي من عذاب اليم، فقال تعالى : « يايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب اليم، الى قوله : «ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[12]، فسماه تجارة لما فيه من الأجر الدائم، والثواب الباقي استعارة وتقريبا للأفهام، ليفهموا ما فيه ويرغبوا فيما ذكر فيه من درجات المجاهدين وما اعد الله لهم، فسمّى الجهاد تجارة لما فيه من البيع والشراء لأن المجاهد باع نفسه وماله من ربه، فاشترى منه ربُّه مالَه ونفسَه بالثمن الباقي الدائم الذي لا زوال له وهو الجنة ونعيمها، فأخبرنا بذلك ليرغب فيه الراغبون، ويسعى فيه العاملون لعلمهم وتصديقهم بالوفاء والوعد من الله، فلما آمنوا به وصدقوه، وعلموه يقينا وحققوه، باعوا انفسهم من الله اذ لا شيء اعز عندهم منها، فلما عَلِمَ صِدْقَهم وإيمانهم اشترى منهم ما باعوا بالجنة التي فيها مالا عَيْنٌ رأت ولا أذن سمعت، ولا يبلغه الواصفون، ولا يحيط به العقل، قال الله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ» (الى قوله) ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[13]. ولهذا عظّم الله الشهادة، وجعل القتل في سبيل الله حياة لئلا يظن الظّان انه ميت فقال تعالى في كتابه : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، (الى قوله) وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»[14]، وقال تعالى : «وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ (عند ربهم) وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ»[15] فلما علم رسول الله ﷺ فضل الشهادة أمر بذلك اصحابه وتمني القتل في سبيل الله، فقال ﷺ : «وددتُ أنّي أُقاتِل في سبيل الله فأُقْتَل ثم أُحيَى فأُقتَل ثم أُحيَى فأُقتَل»، فكرر ذلك

تعظيما لأمر الشهادة، وفي فضل الشهادة كثير من الأخبار. فلما علم أصحابه فضل الشهادة سألوا الله عزّ وجل ان يرزقها لهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك» وغيره، لتصديقهم بالكتاب ويقينهم بالثواب[16]، فلما علموا ان وعد الله حق، جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، رجاءا لثواب الله ونصرة للدين، فجعلوا بينهم المودة والرحمة، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة، وبذلك وصفهم الله في كتابه فقال تعالى : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، (الى قوله) لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا[17]... »(الآية) فقاتلوا الأعداء على دين الله صابرين على البأساء والضراء محتسبين ما أصابهم في سبيل الله بالاموال والانفس في جنبة الله لعلمهم بأن ذلك كله في موازينهم، فصبروا على المكاره، وحملوا المشاق، حتى انجلت عنهم ظلمات الجهل والضلال «فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ[18]»، فكل هول وشدة غشيهم قابلوه بالقوة والتوكل على الله، وكل ضرر وأذى[19] مسهم قابلوه بالصبر والاحتساب حتى فتح الله لهم، فجا(ء)هم[20] الفتح والنصر.

والدين الذي جاهدوا عليه هو الدين، لا يحول ولا يزول، حتى ينفخ في الصور، والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه، لاتتبدل[21] ولا تتغير، حتى يرث الله الارض ومن عليها. فاصبروا على هذا الدين كما صبروا، وجاهدوا عليه كما جاهدوا، واحتسبوا ما أصابكم في سبيل الله كما احتسبوا تنالوا عند الله من الأجر ما نالوا فإنهم إنما نالوا النعيم الدائم بالصبر على الجهاد، والاستعداد بالاعمال الصالحة، ولزوم التقوى في السر والعلانية، فاقتفوا آثارهم واسلكوا سبيلهم، وتأسّوا باعمالهم، فقد كانت لكم فيهم أسوة حسنة، فالجهاد على الدين والصبر على الأذى[22] نعمة عظيمة لا يؤدى شكرها، فعظّموا ما عظم الله، واعرفوا قدر هذه النعمة التي خصّ بها الله اهل التوحيد/ ومنّ بها عليهم حتى اخرجوا من ديارهم واوذوا على دينهم، ولاشك ولا ريب ان من تحمّل ذلك وصبر فأجره عظيم عند الله تعالى لا جزاء[23] له الا الجنة لقوله تعالى : «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا لأُكَفِّرَنَّ عنهم سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ[24]»، فاذكروا هذا واشكروا الله عليه كثيرا، واغتنموا الأجر والثواب في هذه الايام قبل فواتها، وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله حق جهاده، فجهاد

الكفرة الملثمين قد تعيّن على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، لا عذر لأحد في تركه، ولا حجة لهم عند الله، فانهم سعوا في هدم الدين واماتة السنة، واستعباد الخلق[25]، وتمادوا على الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان، وعلى هلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في اخذ اموالهم، وخراب ديارهم وفساد بلادهم، وسفك دمائهم، واستباحوا اكل أموال اليتامى والأرامل، وتمالأوا[26] كلهم على ذلك وتعاونوا عليه فرحين مسرورين، لا ناهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت حتى اعتادوا الاسراف والتبذير في اللذيذ من الطعام، والرقيق من الثياب، والخيل المسوّمة وغير ذلك مما عُلم من اباطيلهم وجورهم وفسادهم في الأرض، قد علمه الخاص والعام، واشتهر في سائر البلدان، وقد ظهر[27] باطلهم للصغير والكبير لا يحتاج الى بيان، ومن اعظم أباطيلهم[28] أن من رأوه تاب الى الله وأناب الى الخير، واشتغل بتعليم فرائضه، ومايلزمه من توحيده وغير ذلك مما يصلح به صلاته، وترك الفواحش والمحارم، واشتغل بما ينفعه في آخرته ودنياه، فكل من رأوه على هذه الصفة رموه عن قوس العداوة بسهام الغل عدوانا وظلما، وقالوا له ضللت وخرجت من الدين، نسبوه الى البدعة ليسدّوا بذلك باب التوبة[29] ويقطعوا طريق الآخرة ويصدّوا عن سبيل الله، وقد أهانوا كثيرا من الناس وعذّبوهم على أديانهم، ومنهم من قتلوه على دينه بعد التعذيب، ليعتبر به غيره حتى لا أحد يتوب الى الله ولا يرجع اليه، وقطعوا طريق الله وأبواب الخير والتوبة ليبقى/ لهم السحت، ويدوم لهم الحرام[30] يتقلّبون فيه ويتنعمون، فحملهم ذلك على عناد الحق وإنكاره بتعذيب الناس وقتلهم عليه ولم نسمع بهذه الافعال ولا نظن انها تكون بعد الجبابرة والفراعنة الذين يعذبون الناس على الحق بأنواع العذاب ويقتلونهم عليه، حتى جاء هؤلاء الكفرة، فاذا هم اشد طغيانا وعنادا ؛ فهذا فعلهم بكل من حفظ دينه وتوحيده، وايقن بلقاء ربه ووعده، وحسبوا ان ذلك كله هدى، وزيّن لهم سوء اعمالهم، ورأوا أن جميع افعالهم سنة ودين، وكل من خالف افعالهم خارج عن الدين ، وضال عندهم، فاذا رأوا مجسّما سفيها مضيعا، على الفجور والخمور مصرّا، او قاطعا للطريق سفاكا، أو عاصيا فاجرا، أو متهاونا بالدين، مستخفا بالحق، قربوه ورفعوه وأكرموه، لفعله مثل افعالهم وسلوكه لسبيلهم، ونسبوه الى الهدى والسنة، واعطوه السحت والخبيث ليتقوى به على قطع طريق الآخرة وسفك دماء أهل التوحيد.

فهذه[31] صفة المؤمن عندهم الذي تمسك بسنة رسول الله ﷺ واعتصم بدين الله، وهذا اجتراء على الله، واستهزاء باياته، وتلاعب بدينه، حجبهم الله عن الحق، وحال بينهم وبين الاقرار به، عصمنا

الله من بليتهم، وسلّمنا مما نزل بهم، وأعاذنا من فتنتهم(32) ومصيبتهم، حرمهم الله الآخرة، ووسع عليهم في الدنيا حتى افتتن كثير من حزب الشياطين، وجنوده من أبناء الدنيا المذبذبين، والبرابر المفسدين، والملبّسين من الطلبة المكّارين، وغيرهم من أولياء الشياطين وأعوان الكفرة الملثمين.

فهذه الطوائف الثلاثة الذين شمروا وتجردّوا لهدم الدين وامانته، أعني أهل التجسيم الملثمين والبرابر المفسدين والمكارين الملبسين من الطلبة وهم شر الثلاثة تسمّوا باسم العلم، ونسبوا انفسهم الى السنة، وتزينوا بالفقه(33) والدين، وتعلقوا بالكفرة، وانحازوا الى جَنْبِهم، واستفرغوا بجهودهم في معونتهم وفي طلب مرضاتهم، لما رأوا الدنيا في جنبتهم، وتركوا دينهم وراء ظهورهم، واعانوهم على باطلهم، فصوّبوا لهم ضلالهم عن الطريق وحَيْدَهم عن السبيل، وقالوا لهم انهم على الحق المبين والطريق المستقيم، انتم انصار الحق واوتاد الدين، فزادوهم ضلالا على ضلالتهم وعنادا على عنادهم حتى/ ظنوا انهم في الطريق المستقيم، وعلى الطريق المبين كما قالوا، واذا هم في ضلال وخسران، غرّوهم ولبّسوا عليهم ليتحيّلوا بذلك على ما في ايديهم، وليصونوا بذلك دنياهم، فغرتهم الدنيا حتى جحدوا ما استيقنته أنفسهم من الحق لينالوا بذلك الحظ العاجل، ويجمعوا به الحرام، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(34). فلولا ان رسول الله ﷺ عيّن الدجّال بصفته لقلنا : ان هذا هو الدجّال وهؤلاء أتباعه، لما ظهر منهم من الميل الى الدنيا وتبرّيهم من الدين وانكارهم الحق واتباعهم الباطل، ويقطعون الناس عن الحق ويردّونهم الى الباطل، لينالوا مرضاة(35) الكفرة بسخط الله وطاعتهم بمقت الله، فلبسوا على الناس بالزور والغرور، وظنوا ان الأمر كما قالوا، وحسبوا أن ذلك هو الحق، وإذا هو تلبيس وحيلة يردونهم بها إلى الباطل، وطاعة أهل التجسيم والفساد والانحياز الى جنبتهم لينالوا بذلك ويصلوا إلى بغيتهم، وقالوا لهم : طاعتهم لازمة، والانقياد اليهم واجب عليكم، مع علمهم بعناد الظلمة للحق وخروجهم عن السبيل، وقالوا لهم : عليكم السمع والطاعة في كل ما امروكم به، مع علمهم بانهم لا يأمرون الا بالباطل والفساد والضلال، وهلاك الحرث والنسل، وقالوا لهم تلزمكم طاعتهم في ذلك كله، اتباعا لأهواء الكفرة وافترا(ءا)(36) على الله، فبغضوا اليهم أهل التوحيد، وحذروهم من الرجوع اليهم وسلوك سبيلهم، ولبّسوا عليهم بتبديل الكلام، وتحريف القول بالزور والبهتان، وتقوّلوا علينا ما لم نقل (نحيا)(37) وتبغيضا للحق عند العوام حتى لايستمعوا اليه ولا يقبلونه(38) ، وعدوا لهم جملا من الأبواب، ونسبوا ذلك كله الينا ليقرروا به بغض الحق في قلوب الناس ودلسوا عليهم بهذه(39) الابواب ليكون ذلك تنفيرا لهم عن سماعها فضلا

عن قبولها الناس، فمنها انهم قالوا : هذا رجل يكفر المسلمين، ويمتنع من الصلاة على أهل القبلة، ويقول : ان من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة(40) والصيام وغير ذلك من العبادات، ويرد المطلقة ثلاثا الى زوجها، والمناكر والفساد في الأرض(41)، والاعتداء على الناس في اديانهم وانفسهم واموالهم، والاعتداء(42) هو أدنى مراتب/ أباطيلهم، فجهادهم عليه فرض لقول رسول الله ﷺ : «من قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» (الحديث)، ولا شك انهم بغوا على الناس في أديانهم وانفسهم وأموالهم، فمن قتل من المجسمين والمفسدين فهو في النار ومن قتل من الموحدين المجاهدين فهو شهيد.

فحسّنوا نياتكم واخلصوها، وَقُوّوا(43) انفسكم، واعلموا أن الله لا يخلف وعده، ولا بد ان ينصر الحق كما وعد، ويبطل الباطل كما وعد، فخذوا بحظكم من الجهاد على الحق ونصره، فحزب الله هم الغالبون، والعاقبة للمتقين، واصبروا على دينكم في البأساء والضراء، فانكم على الحق المبين عنه تدافعون، وعليه تقاتلون، فأيقنوا بثواب الله وصدّقوا بما ورد في الجهاد، واعتصموا بالله، هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير، جعلنا الله وإياكم من عباده المخلصين، ومن حزبه المفلحين(44).

---

[1] – رسائل موحدية: ج1، ص 44-49.

الملحق رقم 19: الرسالة المشهورة لعبد المؤمن بن علي تحمل علامة بخط يده



«... وتخيروا لرسائلكم إرسالا، وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة رجالا، وادفعوا إليهم زادا يقوم بهم في المجيء والانصراف ويقطع شأنهم عن التكليف والإلحاف، وارسموا لهم أياما معروفة العدد، معلومة الأمد، لينتهوا إليها إلى مواقف رسائلهم، ويوزعوها على مسافات مراحلهم، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة، وأوعدوا من تسبب منهم بمساءة أو مضرة...»[1]

---

[1] – ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 230.

البيبليوغرافيا

-القرآن الكريم برواية حفص.

1 - المصادر:

📖 ابن أبي الضياف أحمد : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس 1976.

📖 ابن أبي زرع علي الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 .

📖 (ـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تعليق: كارل يوحن نورنبرغ، دار الطباعة المدرسية أبسالة ،باريس ،فرنسا.

📖 (ـ): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

📖 ابن تومرت محمد مهدي الموحدين: أعز ما يطلب، تق وتح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985 .

📖 ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي: الكامل في التاريخ ج 3، ج8، ج10،ج11، دار صادر، بيروت، 1982.

📖 ابن حيان القرطبي :المقتبس من أنباء أهل الأندلس ،تح: محمود علي مكي ،لجنة احياء التراث الاسلامي ،القاهرة ،مصر ،1994.

📖 ابن الخطيب لسان الدين: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام تح: إ.ليفي، بروفسنال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2006.

📖 (ـ): خطرة الطيف - رحلات في المغرب والأندلس- تحقيق وتقديم: أحمد مختار العبادي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،2003.

📖 (ـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، ج 2،ج4، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.

📖 (ـ):تاريخ المغرب في العصر الوسيط – القسم الثالث – من كتاب أعمال الأعلام ،تح: أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،المغرب ،1964.

📖 ابن جبير محمد: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1980.

- ابن خرد دابة أبي القاسم عبيد الله: المسالك والممالك، مطبعة المثنى، بغداد، (د.ت).
- ابن خلدون (أبي زكريا يحيى): بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، تقديم وتعليق عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.
- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6،ج7، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.
- (ــ):العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن :خليل شحادة ،مر: سهيل زكار ، ج2،ج5،4،ج6،ج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،2001،(د.ط).
- (ــ): المقدمة ، دار صادر، بيروت، 1968.
- (ــ):المقدمة ،دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،2008
- ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس،ج2،ط1، دار صادر، بيروت، لبنان(د.ت).
- ابن الأحمر :تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ،تقديم وتح وتعليق :هاني سلامة ،ط 1،مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ،بور سعيد ،مصر 2001
- ابن الدلائي أحمد بن عمر بن أنس العذري :نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جمع الممالك ،تح: عبد العزيز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ، إسبانيا، (د.ت).
- ابن رشد أبو الوليد :فتاوى ابن رشد ،تقديم وتحقيق وجمع وتعليق :المختار بن طاهر التليلي ، ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1987.
- ابن زيد عبد الرحمان :اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ،ج1،المطبعة الوطنية ، الرباط ،1929.

🕮 ابن سعيد المغربي علي بن موسى :المغرب في حلى المغرب ،ج1،ج2،تح وتع:شوقي ضيف، ط4،دار المعارف ،القاهرة، مصر ،2009.

🕮 ابن السماك العاملي :الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح:عبد القادر بوباية ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،2010.

🕮 ابن صاحب الصلاة عبد الملك :تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ممن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تح:عبد الهادي التازي ،ط 3،دار الغرب الاسلامي، بيروت ،لبنان ،1987.

🕮 ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس ، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني،1964.

🕮 ابن عبدون محمد أحمد التيجيبي :ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،تح :ليفي بروفنسال ،المعهد العلمي للأثار الشرقية ،القاهرة، مصر، 1955.

🕮 ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج4،المكتب التجاري للطباعة والنشر ،بيروت ،(د.ت).

🕮 ابن غازي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي :الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ،دراسة وتحقيق عطا أبو رية وسلطان بن مريح الأسمري ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،مصر،2007.

🕮 ابن القاضي أحمد المكناسي :جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ،المغرب ،1973.

🕮 ابن القطان عبد المالك الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي،ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

📖 ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني: شرف الطالب في أسنى
المطالب، تح:محمد حجي ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان، 1996.

📖 (ــ) :الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتح: محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،تونس، (د.ت).

📖 ابن كثير أبي الفدا الحافظ الدمشقي:البداية والنهاية،ج 3، م 7، ط 1،دار الريان، مصر،1989.

📖 أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي :رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم ،تح : بشير البكوش ،مراجعة محمد العروسي المطوي ، ج 2، ط 2، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان،1994.

📖 أبو جعفر أحمد بن ابراهيم الغرناطي :صلة الصلة ،تح:شريف أبو العلا العدوي ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،مصر ،2008.

📖 أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي :تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تح:لجنة إحياء التراث العربي ،ط5، منشورات دار الافاق الجديدة ،بيروت ،لبنان ،1983

📖 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع :الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ،تح وتقديم :الطاهر بن محمد المعموري ،الدار العربية للكتاب ،تونس ،الجمهورية التونسية ،1984.

📖 أبو عبد الله محمد بن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ،تح ودراسة وتحليل :حسين مؤنس ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،2003.

📖 أبو عبد الله بن عسكر ،أبو بكر بن خميس :أعلام مالقة ،تق وتح وتع :عبد الله المرابط الترغي ، ط 1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، لبنان،1999 .

📖 أبو عبد الله محمد بن عياض :التعريف بالقاضي عياض ،تق وتح :محمد بن شريفة ، ط2،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1982 .

📖 أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، (د.ت).

📖 أبو الفرج بن هارون غريغوريوس الطبيب الملطي المعروف بابن العبدي :تاريخ مختصر الدول ، تصحيح :أنطوان صلحاني اليسوعي ،ط 3،دار الرائد البناني ، الحازمية، لبنان ،1983

📖 أبو القاسم الحسين بن علي المغربي الوزير الكامل :كتاب في السياسة ،تح: سامي الدهان ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ،دمشق ،سوريا 1948،

📖 أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان :مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ،تح: محمد علي شوابكة ،ط 1،مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ،1983.

📖 (ــ):قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،تح: حسن يوسف خربوش،ط 1 ،مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، الزرقاء ،الأردن ،1989.

📖 أبو محمد الرشاطي ،ابن الخراط الاشبيلي :الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تق وتح :إيميليو مولينا ،خانثينوبوسك بسيلا ، تر: معهد التعاون مع العالم العربي ،ط 1 ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد 1990.

📖 أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولتين المرابطية والموحدية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري،ج 2، دار الكتابة، الدار البيضاء، 1954.

📖 (ـــ): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولتين المرابطية والموحدية، تح: محمد عثمان، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.

📖 البرزلي :فتاوى البرزلي ،جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام ،تق وتح: محمد الحبيب الهيلة ،ط1،ج3،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، 2002.

📖 الإدريسي أبو عبد الله : وصف أرض المغرب والسودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

📖 (ـــ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان ، 1989.

📖 الأيوبي محمد بن تقي الدين عمر: مضمار الحقائق وسر الخلائق، تح: حسن حبشي،ط1،دار الكتاب، القاهرة، 1968.

📖 التجاني أبو عبد الله أحمد بن محمد: رحلة التجاني قدمها له، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981،ص 176.

📖 التطلي أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة المعروف بالأعمى التطلي :ديوان الأعمى التطلي،تح: احسان عباس ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1963.

📖 التنبكتي أحمد بابا :كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،تح: محمد مطيع ،ج 1،مطبعة فضالة ،المحمدية ،المغرب ،2000.

📖 التنسي أبو عبد الله: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمد بوعياد، الجزائر ، 1985.

📖 الجزنائي أبو الحسن علي :جني الاس في بناء مدينة فاس ،تح :عبد الوهاب بن منصور ، ط2، المطبعة الملكية ،الرباط ،المغرب ،1991.

📖 الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت: معجم البلدان، ج 1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

📖 (ـــ): معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1986.

📖 الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر :جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح إبراهيم الأبياري، القسم الأول، دار الكتاب البناني، بيروت، لبنان، (د.ت).

📖 الحميري محمد عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

📖 الخنيزري أبو الحسن: الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامة، تح: محمد جواد مغنية، ج2، ط1، مطبعة الإقبال، بيروت، 1956.

📖 الذهبي شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء، ج 4، ط1، مكتبة الصف، (د.م)، 2003.

📖 (ـ):الاعلام بوفيات الأعلام ،تح: مصطفى بن علي بن عوض ،ربيع أبو بكر عبد الباقي ، مج1 ،ط 1،مؤسسة الكتاب الثقافية ،بيروت ،لبنان ، 1993.

📖 (ـ):الاشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الاسلام ،تح: إبراهيم صالح ،ط1،دار ابن الأثير ،بيروت ،لبنان ،1991.

📖 (ـ): سير أعلام النبلاء،ج20،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1993.

📖 الرقيق ابراهيم بن اسحاق :تاريخ افريقية والمغرب ،تح:عبد الله العلي الزيران ،عزالدين عمر موسى ،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1990.

📖 الزركشي أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت).

📖 السبتي عياض بن موسى اليحصبي :اكمال المعلم بفوائد مسلم تح :الحسين بن محمد شواط، ط1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ،مكتبة المملكة العربية السعودية ،1994.

📖 (ـ):ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تح :محمد بن تاويت الطبنجي، ط2،ج4، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،الرباط ،المغرب ،1982.

📖 (ـ): وولده أبي عبد الله محمد :مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ،تح محمد بن شريفة ، ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1990.

📖 السبتي محمد بن القاسم الأنصاري :اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تح: عبد الوهاب بن منصور ،ط 2،مطبعة انبعاث أمة، الرباط ، المغرب ،1983.

📖 السلاحي اسماعيل بن نصر بن عبد المحسن المعروف بابن القطعة :ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، تح: رياض مصطفى العبد الله ، ط1،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،1992.

📖 الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم :الملل والنحل ،تصحيح وتعليق:محمد فهمي محمد، ج1،ط2،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ، 1992.

📖 الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تح: إحسان عباس،ج 5، ط1،الدار العربية للنشر، بيروت، لبنان، 1981.

📖 الصنهاجي أبو بكر بن علي المكنى بالبيذق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين راجعه عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط ، 2004.

📖 الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة:بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تح: إبراهيم الأبياري ،ج 1،ط1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ، 1989.

📖 الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري :سراج الملوك ،تح :محمد فتحي أبو بكر ،تق : شوقي ضيف ،مج1،ط1،الدار المصرية اللبنانية ،1994.

📖 العبدري محمد البلنسي :الرحلة المغربية ،تقديم سعد بوفلاقة ،منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة ،الجزائر ،2007.

📖 العباس ابن إبراهيم: الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب منصور، ج4،ج10، المكتبة الملكية ، الرباط، 1976.

📖 عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس :كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ،ط1،تح:علي عمر ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، مصر، 2006.

📖 الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد: عنوان الدراية فيمين عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية ، تح: رابح بونار، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).

📖 الغساني محمد الأندلسي :رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691م)،تحرير وتقديم: نوري الجراح،ط 1،دار الفارس للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ، 2002.

📖 كربخال مارمول :افريقيا ،تر :محمد حجي وعمر زينبر واخرون ،ج 1،ج2،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرباط ،المغرب ،1984.

📖 القابسي أبو الحسن علي :الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، دراسة وتحقيق وتعليق :أحمد خالد ،ط 1،الشركة التونسية للتوزيع ، تونس،1986.

📖 القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تح: ألفرد بل وابن أبي شنب، ج 2، ط 2، الجزائر، 1919.

📖 (ـــ):درر السمط في خبر السبط من ادب التشيع الاندلسي ،تح:عبد السلام الهراس ،سعيد أحمد عراب ،رسائل نادرة ، ع13، الرباط ،1992.

📖 (ـــ): الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف، لبنان ، 1985.

📖 الفاسي عبد الكبير بن المجذوب :تذكرة المحسنين بوفيات الاعيان وحوادث السنين ،تح محمد حجي ،ط 1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1996.

📖 القلصادي أبي الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي: كتاب رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978.

📖 القلقشندي أبو العباس أحمد: الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط2، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان 1982.

🕮 (ـ): نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتب المصرية، 1991.

🕮 (ـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج6، المطبعة الأميرية، القاهرة ، 1915.

🕮 القرماني أحمد بن يوسف :أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ،تح:فهمي سعد ،أحمد حطيط، مج1،ط1،عالم الكتب ،بيروت ،لبنان ،1992.

🕮 القيرواني الرعيني أبو عبد الله ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط 3، تح : محمد شمام ، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت).

🕮 المخزومي أبي المطرف بن عميرة: تاريخ ميورقة، تح: محمد بن معمر، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2007.

🕮 المراكشي ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين- تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت).

🕮 (ـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1،ج3،ج4، ط 1، تح مرا:ج.س كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1980.

🕮 المراكشي عبد الواحد: وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

🕮 (ـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: صلاح الدين الهواري، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت 2006.

🕮 المراكشي عبد الملك :الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،ق 1،تح :محمد بن شريفة ، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان، 1989.

🕮 المراكشي محمد بن محمد بن عبد الله الموقت :السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ،مراجعة وتعليق :أحمد مفتكر، ط3،مؤسسة افاق للدراسات والنشر ،مراكش ،المغرب ،2011.

🕮 المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، تقديم: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية ، مصر، (د.ت).

📖 المقدسي شمس الدين محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية لبنان، 2002.

📖 المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي ج 1،ط1، إشراف مكتبة البحوث والدراسات دار الفكر، بيروت، لبنان 1998.

📖 (ــ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 6، ط1،مطبعة السعادة، مصر،1949.

📖 الناصري أحمد بن خالد السلاوي: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: محمد عثمان ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2007.

📖 (ــ):الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولتين المرابطية والموحدية ،تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ،ج2،دار الكتابة ،الدار البيضاء ،1954.

📖 الماوردي ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب: الأحكام السلطانية ،تح: أحمد مبارك البغدادي،ط1،مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت، 1989.

📖 (ــ):أدب الوزير – قوانين الوزارة وسياسة الملك – تح :عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،1976.

📖 النصيبي ابن حوقل محمد: صورة الأرض، ط2، مطبعة ليدن، (د.م)، 1938.

📖 (ــ): صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت،(د.ت).

📖 الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر،ج 1، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

📖 الوزير السراج محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتح: محمد الحبيب الهيلة،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985.

📖 الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى :المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب ،تح محمد حجي وجماعة من الفقهاء ، ج 2، ج5، ج7،ج10،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،الرباط ،المغرب،1981.

- 🕮 رسائل موحدية: تح ودراسة: أحمد عزاوي،ج 2، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، المغرب، 2001.
- 🕮 (ـ): تح ودراسة: أحمد عزاوي، ج 1، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، المغرب، 1995.
- 🕮 مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار تج: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1968.
- 🕮 مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1979.
- 🕮 مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوبابة، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 🕮 مؤلف مجهول :بيوتات فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط،1961.
- 🕮 مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تقديم لويس مولينا،ج1،مدريد، 1983.
- 🕮 مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتح: عبد القادر بوباية، رسالة ماجستير،معهد التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 1996.
- 🕮 مقديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ،ج1،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

2 –المراجع باللغة العربية:

- 🕮 أبو الفضل أحمد محمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.
- 🕮 (ــ):تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الاسلامي ،دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،مصر ،1996.
- 🕮 أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالممالیك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط 1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1984.
- 🕮 أبو مصطفى السيد كمال: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي (95-495هـ/ 714-1102م)- دراسة في التاريخ السياسي

والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، (د.ت) .

- 🕮 (ـــ):جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ،مركز الاسكندرية للكتاب ،الاسكندرية ،1997.
- 🕮 (ـــ): محاضرات في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر 2007.
- 🕮 أبو النصر عمر :تغريبة بني هلال ورحيلهم الى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة ، ط1،دار عمر أبو النصر وشركاؤه للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان، 1971.
- 🕮 أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،ج1، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1997.
- 🕮 (ـ): الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،ج3، مكتبة الحياة، بيروت ، 1909.
- 🕮 إسماعيل عز الدين: نوابغ العرب- أبو حامد الغزالي إمام العقل وحجة الإسلام، ط 1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1974.
- 🕮 اسماعيل محمود :فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني ،ط1،سينا للنشر ،القاهرة، مصر ،1999.
- 🕮 إسكان الحسين :تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط – ق1-9هـ/ 7-15م،المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ،الرباط ،المغرب ،2004.
- 🕮 أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: عبد الله عنان، ج1،ج2، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1996.
- 🕮 الأنطوني أنطنيوس : وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها من بعد الأباء والرسل حتى عصر الرئيس الراحل السادات(منذ عام 150م إلى عام 1981م)،دار الطباعة القومية، الفجالة ،مصر ،(د.ت).
- 🕮 الباز العريني : الدولة البيزنطية (323م- 1071م) ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1982.

📖 البوزيدي أحمد :التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع ق 17- مطلع ق 20-دراسات في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية ،مؤسسة الملك عبد العزيز ،الدار البيضاء ،المغرب ،1994.

📖 بو لقطيب الحسين : جوائح و أوبئة المغرب عهد الموحدين ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،المغرب ،2002، (د.ط).

📖 الجراري عباس :أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب - ضمن ندوة الامام مالك - وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ،الرباط ،المغرب ،1980.

📖 الخياط عبد العزيز :نظرية العرف ،مكتبة الاقصى ،عمان ،الاردن ،1977.

📖 الخربوطلي حسن علي :أبو عبد الله الشيعي ،مؤسس الدولة الفاطمية ،المطبعة الفنية الحديثة ، (د.م) ،1972.

📖 الداودي عبد الله:بيوتات طنجة في القرن 18م من خلال حوالة أحباسها - دراسة وثائقية- ، ط1،مطبعة الطوريس للطباعة والنشر ،طنجة ،المغرب ،2013.

📖 السبتي عبد الأحد ، فرحات حليمة: المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي،ط1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994.

📖 السبحاني جعفر :المذاهب الاسلامية -كتاب يبحث عن المذاهب الاسلامية تاريخيا وعقائديا على ضوء المصادر الموثوق بها ،الملل والنحل ،دار الولاء ، بيروت ، لبنان ،2005.

📖 السعدني محمود :مصر من تاني ،دار الكتاب ،مصر ،(د.ت).

📖 السمرائي رجب محمد: علم الفلك عند العرب ،منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، بغداد، العراق ،1984.

📖 السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2004.

📖 الشطشاط حسين علي: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001.

📖 الصلابي علي محمد: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين،ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2003.

- (ـ): تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط 3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009.
- (ـ): الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2003.
- الطمار بن عمرو محمد: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985
- العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،(د.ت).
- (ـ): دراسات في التاريخ العباسي الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).
- العربي اسماعيل :دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1980.
- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب،ج 2،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، (د.ت).
- الفقي عصام الدين عبد الروؤف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر،(د.ت).
- القبلي محمد وآخرون :تاريخ المغرب – تحيين وتركيب –،ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ،الرباط ،المغرب ،2011.
- المنوني محمد :حضارة الموحدين ،ط1،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،1989.
- المدني أحمد توفيق: قرطاجنة في أربعة عصور- من عصر الحج ارة إلى الفتح الإسلامي- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- المشرقي محمد محي الدين :افريقيا الشمالية في العصر القديم ،ط 4،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،1969
- الناعوري عيسى: في ربوع الأندلس ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1978.
- النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى 524 هـ/ 1129م حياته وآراؤه الإجتماعية وثورته الفكرية وأثره بالمغرب الاسلامي ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت، لبنان، (د.ت).

🕮 (ـ):فصول في تاريخ الفكر الاسلامي في المغرب ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1992.

🕮 النجار عبد الوهاب: الخلفاء الراشدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

🕮 النشار محمود محمد: تأسيس مملكة البرتغال، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، طنطا، مصر 1995.

🕮 النوش أحمد حسن :التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي ،ط 1،دار الجيل، بيروت ،لبنان ،1992.

🕮 الهادي معمر،القرقوطي محمد: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541-629هـ، 1146-1233م) دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

🕮 الورطاسي قدور :معالم من تاريخ وجدة ،سلسلة روائع الخالدين ،مطبعة الرسالة ،الرباط ، المغرب ،1972.

🕮 ألي تورنو روجيه: حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13هـ ، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982.

🕮 بوتشيش القادري ابراهيم : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،2000.

🕮 بروفنسال ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس تر: السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي مرا ، لطفي عبد البديع مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990.

🕮 (ـ): الحضارة العربية في اسبانيا ،تر:الطاهر أحمد مكي ،ط2،دار المعارف ،1985.

🕮 بن تاويت محمد :تاريخ سبتة ،ط1،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب ،1982.

🕮 بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

🕮 بلغيث محمد الأمين :دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي ،دار التنوير للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2006.

- بورويبة رشيد: ابن تومرت ، تر: عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 .
- (ـــ):الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ،سحب للطباعة الشعرية الحديث ،الجزائر،2007.
- بول ستنالي لين :الدولة الاسلامية ،تر:محمد صبحي فرزات ،ج 1،مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق ،(د.ت).
- حاجيات عبد الحميد وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ،ج1،ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1984.
- حسن علي حسن :الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس-عصر المرابطين والموحدين ، ط1،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،مصر ،1980.
- حقي محمد : البربر في الأندلس –دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح الى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/ 711م-422هـ/ 1031م)،ط1،المدارس للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ،2001.
- خطاب شيت محمود: قادة الفتح الإسلامي – المغرب العربي -، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1966.
- خلف الله مرعي ابتسام :العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 564-936هـ/ 1131 -1569م،دار المعارف ،مصر ،1985.
- دندش عبد اللطيف عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين- عصر الطوائف الثاني- دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- (ـــ):دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/ 1038-1121م، ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1988.
- زغروت فتحي :الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين ،دار التوزيع والنشر الاسلامية ،القاهرة ،مصر ،2005.

📖 زنبير محمد :المغرب في العصر الوسيط – الدولة – المدينة – الاقتصاد ،تنسيق محمد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،المغرب ،1970

📖 سالم سالم عصام: جزر الأندلس المنسية،ط1،دار العلم للملايين، بيروت 1984.

📖 سالم عبد العزيز السيد ، العبادي مختار أحمد: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، 1969.

📖 (ـــ):المغرب الكبير –العصر الاسلامي –،دار النهضة العربية ،بيروت،1981.

📖 (ـــ): تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية– قاعدة أسطول الأندلس– مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1984.

📖 شعيرة عبد الهادي محمد :المرابطون – تاريخهم السياسي – ،ط 1، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، مصر ،1969.

📖 صبحي صالح :النظم الاسلامية نشاتها وتطورها ،ط 2،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ، 1990.

📖 طبانجي محمد :الدولة الأغلبية ،تر:المنجي الصيادي ،ط 1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت، لبنان، 1985 .

📖 طارو جان وجيرام :أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين ،تر وتع :أحمد الملا فريج و محمد الفاسي ،المطبعة الوطنية ،الرباط ،المغرب ، 1929.

📖 طوريس دي دييكو :تاريخ الشرفاء ،تر:محمد حجي ،محمد الأخضر ،المرداش للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ،المغرب ،1989

📖 طقوش سهيل محمد: تاريخ المسلمين في الأندلس، ط 1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2005.

📖 طه جمال أحمد: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ/ 1256م إلى 668هـ/ 1269 م، دراسة سياسية وحضارية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، 2002.

📖 (ـــ):الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الاسلامي (عصر المرابطين والموحدين)، ط1،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،(د.ت).

📖 طه ذنون عبد الواحد: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004.
📖 عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، الموحدون، مصامدة السوس، الجباليون، ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500هـ-558هـ/1100م-1123م) منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000.
📖 عبد الرزاق محمود اسماعيل :الخوارج في بلد المغرب – حتى منتصف القرن الرابع هجري – ط2، دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب ،1985.
📖 عبد المنعم حمدي ، حسين محمد: مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر ،1991.
📖 (ـ):التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ،دار المعرفة الجامعية ، السويس ،مصر ،1997.
📖 (ـ):دراسات في التاريخ الأندلسي – دولة بني برزال في قرمونة (404-459/ 1093-1067) ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،مصر ،1990.
📖 علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1968.
📖 (ـ):الدعوة الموحدية بالمغرب ،ط1،دار المعرفة ،القاهرة ،مصر ،1964.
📖 علوي حافظي حسن :سجلماسة وأقاليمها في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي ، ط1،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،الرباط ،المغرب ،1997

📖 عنان عبد الله محمد: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،قسم 1،ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1992.
📖 (ـ): دولة الإسلام في الأندلس ،ع2،ع3،ع4، ط4، مكتبة غانجي، القاهرة، مصر، 1997.

📖 عميرة عبد الرحمان :الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الاسلام ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،2006

📖 ابن العميد جرجس :أخبار الأيوبيين ،مملكة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،مصر ،(د.ت).

📖 غناي عقيلة: قيام الدولة الموحدية، منشورات جامعة فاريونس ،بنغازي، 1998.

📖 كولان ج.س: الأندلس، تر: لجنة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، (د.ت).

📖 كنون عبد الله :مشاهير رجال المغرب في العلم والادب والسياسة ،مر وتر :محمد بن عزوز ، مركز التراث الثقافي المغربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،2010

📖 (ـ):النبوغ المغربي في الادب العربي ،ج 1،ج2،ط2،تعليق :عبد السلام الهراس ،معرض الكتب ،دار النهضة العلمية ،بيروت ،لبنان،1960

📖 لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

📖 مؤنس حسين: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج3، ج2،ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، لبنان 1992.

📖 محمود أحمد حسن :قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى،دار الفكر العربي ،القاهرة ،(د.ط)،(د.ت).

📖 مرمول الصالح محمد :السياسة الداخلية للدولة الفاطمية في بلد المغرب الاسلامي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1983.

📖 مرسيه جورج :بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي ،تر :محمد عبد الصمد هيكل ، الاسكندرية ،منشاة المعارف ،1991.

📖 موسى أحمد، عز الدين عمر: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،ط 1،دار الشروق، بيروت، 1984.

📖 نصر الله سعدون: تاريخ العرب السياسي في الأندلس،ط 1،دار النهضة العربية، بيروت،لبنان، 1998.

📖 (ـ):دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين – أمير المرابطين – ،ط1،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،1985.

🕮 (ـ): تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20 - 798هـ/ 640- 1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
🕮 نايف معروف:الخوارج في العصر الاموي ،نشاتهم وعقائدهم ،أدبهم ،ط 1،دار الطبع ، بيروت، لبنان ،1981.
🕮 هويثي ميراندا أمبرسيو: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب: عبد الواحد أعمر، ط1، منشورات الزمن.
🕮 وات مونتغمري: في تاريخ إسبانيا الإسلامية مع فصل في الأدب بقلم بيير كايكا، تر: محمد رضا المصري، ط 2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1998.

3- القواميس والموسوعات:

🕮 امين واصف :الفهرست – معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية ،مر :أحمد زكي ، ط1،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،مصر ،2014.
🕮 المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية تر:أكرم فاضل ،بغداد ،العراق ،1971.
🕮 موسوعة أعلام المغرب ،تح محمد حجي ،ج 1،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1996.
🕮 ابن منظور الافريقي :لسان العرب ،ج 4،ج5،ج8،ج10،ج15،دار صادر ،بيروت ،(د.ت)
🕮 المنجد في اللغة والإعلام، المكتبة الشرقية، دار المشارق، بيروت، لبنان، 2005.
🕮 سليمان محمد الطيب: موسوعة القبائل العربية، مج3، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
🕮 مؤنس حسين: أطلس تاريخ الاسلام ،ط1،الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ،مصر ،1987
🕮 (ـ): موسوعة تاريخ الأندلس،ج2،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1996.

3 - المجلات والدوريات:

🕮 أحمد علي: الموحدون وبنو غانية، مجلة الدراسات التاريخية ع31، دمشق،جوان 1989.

🕮 الياس قنيز علي :بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508-599هـ / 1110 -1202)، مجلة ابحاث ،كلية التربية الاساسية ،ع2،جامعة الموصل ،العراق ،2010.
🕮 الحيالي عباس عبد الأمير : أبعاد الصراع الموريتاني – السنغالي في حوض نهر السنغال مجلة الفتح، ع 34،كلية التربية ،جامعة ديالي ،موريتانيا ،2008.
🕮 الخفاجي كاظم عبد نتيش ،جابر جنان جود ة :المدن التي أنشاها المسلمون في الأندلس عصري الامارة والخلافة، بحث خاص ، قسم التاريخ ،كلية الاداب جامعة ذي قار ،العراق ، (د.ت).
🕮 الطيبي أمين: بنو هلال ودورهم في الجهاد في إفريقية والأندلس إلى نهاية القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي، مجلة البحوث التاريخية،ع1، طرابلس يناير، 1985.
🕮 (ـ): وقعتا حطين والأرك المجيدتان نصران متوازيان على الغزاة الصليبيين في المشرق والمغرب، مجلة البحوث التاريخية، ع1، طرابلس، يناير 1988.
🕮 السحبياني حمد بن صالح :دعوة ابن تومرت – دراسة تاريخية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، ع2007،6،(د.م).
🕮 السمرائي عبد الحميد حسين أحمد :علاقة صلاح الدين الأيوبي بالمغرب الاسلامي 540هـ-589هـ/ 1168-1193م، مجلة سمراء ،ع 8،كلية التربية للبنات ،قسم التاريخ ،جامعة تكريت ،العراق ،ديسمبر ،2007.
🕮 الغامدي سعيد بن ناصر :المرجعية – معناها وأهميتها وأقسامها - ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية ،ع 50،مكة ،المملكة العربية السعودية، رجب،1431الموافق لـ2011 .
🕮 القاسمي هاشم العلوي :الدولة المرابطية – امتداد تاريخي - مجلة الآداب ، عدد خاص، جامعة محمد بن عبد الله ،فاس ،المغرب ،2013-2014 .
🕮 بن خليفة مشري ،فايزة زيتوني :الكرامة الصوفية من الشفوية الى الكتابة –كتاب البستان لصاحبه ابن مريم الشريف المليني – عينة ، مجلة الآداب واللغات ،الاثر ،ع 7،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ،الجزائر ،ماي 2008
🕮 بوتشيش القادري ابراهيم :الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين والموحدين ، أعمال الندوة مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية

خلال العصر الوسيط ،سلسلة الندوات ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ،جامعة مولاي اسماعيل، مكناس ،المغرب ،1999.

📖 براون كنيث :موجز تاريخ سلا 1000–1800م،تر:محمد جيدة ،اناس لعلو، مجلة أمل التاريخ والثقافة والمجتمع ، عدد خاص ،ط1،الدار البيضاء ،المغرب ،2000

📖 جوز فارس: مؤسسة الطلبة في دولة الموحدين– مجلة الدراسات التاريخية –ع30،دمشق، 1988.

📖 حاجيات عبد الحميد : تأسيس دولة الموحدين، مجلة التاريخ ، ع 8، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، النصف الأول من سنة 1980.

📖 حسين عبد الحميد أسامة :فقهاء الدولة المرابطية واحراق كتاب احياء علوم الدين للإمام الغزالي، مجلة سمراء ،عدد خاص،قسم التاريخ ،كلية التربية ،تكريت ،2005

📖 عبد الحميد زغلول سعد: العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي وأبي يوسف يعقوب، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1953.

📖 عمار ربيح :ابن مضاء القرطبي – ثورة في الفقه ،ثورة في النحو ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ،ع5،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،الجزائر ،جوان 2009

📖 قدور سمير :القاضي أبي الأصبغ بن سهل ، مجلة التاريخ العربي ،ع37،(د.م)،2006

📖 ناصوري أحمد :النظام السياسي وجدلية الشرعية والمشروعية ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ،ع2،دمشق ،2008

📖 مؤنس حسين: عقد بيعة بولاية العهد لابن عبد الله محمد المعروف بالناصر الموحدي ، مجلة كلية الآداب ،ع12، جامعة القاهرة، مصر، 1950،ص 156.

📖 مزيان عبد المجيد :مدرسة الآبلي وانتشار الرشدية الجديدة بالمغرب العربي، دورية التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ،الرباط ،المغرب ، 21–23افريل 1992

📖 نهر السنغال أشهر أنهار افريقيا ، مجلة افريقيا قارتنا ، ع8،نوفمبر ،2013

📖 هلال عمار: العلماء الجزائريون في الأندلس فيما بين القرنين 10- 14م/ 4-8هـ) مجلة الدراسات التاريخية، ع8، معهد التاريخ، الجزائر، 1993- 1994.

5- الرسائل الجامعية:

- 🕮 الادريسي عبد الهادي :الامامة عند ابن تومرت - دراسة مقارنة مع الامامية الاثني عشرية - رسالة ماجستير ،معهد الفلسفة ،جامعة الجزائر ،1986-1987
- 🕮 بلغيث محمد الأمين :الربط بالمغرب الاسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين ،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ، 1986-1987
- 🕮 بن الذيب عيسى: التجارة في عهد المرابطين (480- 540هـ/ 1056- 1145م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 1990.
- 🕮 (ـ):المغرب والأندلس في عصر المرابطين – دراسة اجتماعية و اقتصادية 480-540هـ / 1056-1145م ،رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،جامعة الجزائر ،2008-2009
- 🕮 جدو فاطمة الزهراء :السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479-635هـ/ 1086-1238م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس ،قسم التاريخ وعلم الاثار ،جامعة منتوري ،قسنطينة ، الجزائر ،2007-2008
- 🕮 صبح محمد علي محمود :ادارة الدولة في الاسلام – دراسة تأصيلية لمفهوم ادارة الدولة في الفكر السياسي الاسلامي ،رسالة ماجستير ،كلية الدراسات العليا ،جامعة النجاح الوطنية، نابلس ، فلسطين ،2011.
- 🕮 العابد وردة :القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في القرن الخامس الهجري حتى الربع الأول من القرن السادس الهجري (ق 11-12م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ،تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ والاثار ،جامعة محمود منتوري ،قسنطينة ،الجزائر ،2007-2008.
- 🕮 عبدلي لخضر: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/ 1236- 1554م)، رسالة دكتوراه دولة ، قسم التاريخ، كلية الآدا ب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2004-2005.

📖 لعناني مريامة :الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس ،قسم التاريخ والآثار،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر ،(د.ت)

📖 مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بين زيان، رسالة دكتوراه دولة ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2005- 2006.

📖 مزاري توفيق عبد الصمد :التنظيمات العسكرية المغربية في عهد المرابطين والموحدين ،رسالة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،1999-2000

📖 مكيوي محمد: الأوضاع السياسية والثقافية العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ/1236م- 737هـ/1337م)، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية واللوم الاجتماعية، جمعة تلمسان، الجزائر، 2000- 2001.

6- المراجع باللغة الأجنبية:

📖 Albert Cirriourt, histoire des mors mudjares morisques, T1,dentu imprimeur, Paris,1846,

📖 Benachenhou.A, connaissance du Maghreb. Notions d’ethnographie d’histoire et de sociologie, édition populaires de l’armée Alger , 1971.

📖 Bernard F.Reilly : Castilla Under King Alfonso, University New York,1975.

📖 CH.A.Julien :Histoire de l’Afrique du Nord,2eme édition revue et mise a jour par R.le Tourneau , Paris ,1952.

📖 CH. Haskins ,Normans in European Hutory, London 1980.

📖 Charles Romey : Histoire D'Espagne,T6,University du Michigan U.S.A, 1858 .

📖 Claudio S’anchez-Albornoz : L’Espagne Musulman, traduction : Claud Farraggi, Edition OPU/Publisud, Espagne, 1985.

📖 Erest Mercier,l’ Afrique Septentrionale,T1,Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1888.

- Gaid Mouloud ; Les berbères dans l’Histoire de l’Kahina à l’occupation turque, T II Ed Mimoune , Boumerdes Alger, 1983.
- Guichard, Lepoque almoravid, perspective d’ ensemble, hn Etats, cultures du monde musulman medieval Xe-XVe siècle, paris ,1995
- J.Wasserstein, Samuel ibn Naghrila ha_ Nagid and Islamic David, historiography in Andalous, dans Al _Qantara, XIV_1, 1993.
- Jonathan Foster : History of the dominion of the Arabs in Spain, Oxford University England 1885.
- José Andrés Gallego : Historiia général de Espagnay, America, Ediciones Riolp 1992.
- Kaddach Mahfoud, l’Algérie Médiéval, Société National , Edition etde diffusion, Alger, 1982.
- La comtesse Drohojowski, l’histoire de l’Algérie, A-Allwrd, Libraire, Editeur commissionnaire, Paris, 1848.
- Leon Geley, l’ Espaggne des Gothset des Arabes,librairie leopold cerf, Paris, 1882
- Louis Viardot, Histoires des arabes et des mores d’Espagne, T1, pagneve édition, Paris1854.
- Nehmia Levtzion,Abd Allah b. Yasin and Almoravid ,in ;John Ralph Willis,Studies in West African Islamic History, san dat
- Nevell : A survey of north west Africa, , Barbour(the Maghrib), London,
- Nevill Barbour : Morocco, London, 1965
- Piere Guichard : Espagne et la Sicile musulmanes aux 11 et 12 siècles, presses universitaires, Lyon 1990.
- Rachid Bourouiba : Abdelmoumene ,Ministre de l’information et de la culture , Alger 1976.
- René Millet : Les Almohades, Paris, 1923.
- Remiro Gaspar : Histoire de Murcia Musulmana, university of Michigan,U.S.A 1905
- Rosseau .S. Thilare ;Histoire d’Espagne depuis les premiers temps jusqu'à la mort de Fernand VII,T4, Parsi, 1844.

📖 Ricardo Lequierdo Benito, Santiago Palomero, Gguia del Toledo JUDIO ? Fotografias Antonio Parrjay Carlos Villasante,1990.

📖 Tauxier (E) : Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mohamet, Revue Africaine, 1964, p59.

📖 Terrasse, Histoire du Maroc, des origines a l' établissement du protectorat français ,Casablanca, San dat, vol1.

7- مواقع الانترنت:

- www.aljazeeratolt.net
- www.omanss.com
- www.mekkaoui.net
- www.chtal3nabi.com
- www.hukam.net
- www. slaaby.com

- الأندلسي علية :الحركة العلمية والثقافية عند المرابطين ،ج 3، مغرس، ع 420، 9-4-2010

www.maghress.com

- أكصي الحسين: خنيفرة – موقع اثار بلاد فزاز الاطلس المتوسط في سياسة الحكومة الجديدة . www.amazighworld.org

- حمد زلمادي مزابي :قبائل المغرب – قبيلة غياثة – www.maroc.com

- سفر الحوالي :عبد الله بن اباض التميمي www.alhawali.com

- المرشد للفنون الاسلامية amwaj.org.il

-زناتي أنور محمد :فقهاء الأأندلس والجهاد في عصر دولة المرابطين ، البيان ، ع324 www.albayan.com

- بلعربي خالد :البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد ، دورية كان التاريخية، ع25،مجلة الكترونية دولية محكمة ،سبتمبر ، 2009 www.kanhistorique.org

- سليمان حسن :قفصة التونسية – التاريخ عندما يرتدي ثوب ثائر ،، القدس، ع1203،جريدة يومية تونسية سياسية مستقلة ،13-02- 2013 www.alquds.co.uk

- عزت ندراوس :موسوعة تاريخ أقباط مصر ،منهم الفاطميون ww.coptichistory.org

- قاسم محمد :بنو حماد ency.kacemb.com

- مجموعة لفلي سمايل :علي بن يوسف بن تاشفين – عهد المرابطين – لباب الثالث ،دويلات الطوائف وملوك المغرب ،الفصل الثاني ،عهد المرابطين . www.levelysmile.com

الفهارس

- **فهرس الأعلام**
- **فهرس الأماكن**
- **فهرس الشعوب والقبائل**
- **فهرس المحتويات**

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

مكناسة ,103 ,95 ,92 ,89 ,51 ,45 ,37 ,9 ,

فهرس الشعوب والقبائل

الملخص:

إن المقارنة بين نظامي الحكم المرابطي والموحدي ببلاد المغرب يفرز العديد من نقاط التوافق ، وبعض نقاط الاختلاف ، فمن أهم نقاط التوافق بين النظامين أنه كلاهما اعتمد في نشأته على دعوة دينية ذات صبغة اسلامية ،مستمدا كيانه السياسي والعسكري من العصبية القبلية البربرية ،مما نتج عنه التوافق الكبير في مؤسسات الدولة والنظم السياسية والادارية، ولا نجد في هذا الجانب الا بعض الاختلافات الجزئية ،اما اهم ما اختلف فيه النظامان هو نشأة النواة الاولى للنظام المرابطي بديار القبائل الصنهاجية البربرية جنوب الصحراء ونمو الفكرة بين جموع هذه القبائل بالاعتماد عليهم في اخضاع باقي القبائل لسلطتهم ،حتى قيام الدولة وتشكل نظام الحكم المرابطي ، ونشأة النواة الاولى للنظام الموحدي بالمغرب الاوسط بتلمسان موطن القبائل الزناتية البربرية ، إلا إن نمو الفكرة كان بين جموع قبائل المصامدة بالمغرب الاقصى بسوس بالاعتماد على جموع المصامدة للإطاحة بالنظام المرابطي ، وقد انعكس هذا على الطرفين انهما كلاهما حل في حقبة زمنية معينة محل حركة مناوئة لنظام الحكم .

الكلمات المفتاحية: بلاد المغرب ،نظام الحكم، الدولة ،المرابطون ،الموحدون، الأندلس، النظام السياسي والإداري، حركات المقاومة.

Résumé :

En comparant la dynastie **almoravide** avec celle des **almohades** au pays du Maghreb on constate plusieurs points en commun ainsi que quelques différences .parmi les points en commun entre les deux dynasties , toutes les deux se sont basées dans leur émergences sur l appel religieux islamiste en instaurant leur structures politiques et militaires sur le tribalisme berbère ce qui a permis une grande compatibilité dans les institutions étatiques et les systèmes politiques et administratifs , a part quelques différences partielles .Mais ,les grand points de différence entre les deux dynasties , est que le régime almoravide dans son émergence a été appuyé par les tribus berbère sanhadjienne au sud du Sahara et la propagation de l idée parmi les foules de ces tribus s'est réalisée en soumettant le reste de ces tribus a leur autorité jusqu'à que la construction étatique almoravide soit achevée .Alors que pour le régime almohade , son émergence a été au Maghreb central a Tlemcen le pays des tribus Zénète berbères . Ce mouvement religieux a été accueillis par les foules des tribus masmouda à l ouest du Maghreb au pays du Sousse en comptant sur leur tribalisme pour renverser le régime Almoravides , ce qui a entrainé des conséquences sur les deux dynasties puisque chacune était dans une certaine période en forme de mouvement rival au pouvoir .

Les mots clés : pays du Maghreb, le pouvoir, Almoravides , Almohades , l'andalous ,la structure politique et administrative , mouvement rival.

Abstract :

Comparing the Almoravid and Almohad dynasties in Maghreb country, we see several common points and some differences .Among the commonalities between the two dynasties, we notify that each one was based in their emergence on Islamic religious appeal and founding their political and military structures on the Berber tribalism which gave high compatibility in state institutions and in their political and administrative systems, excepting some partial differences .However , the difference between the two dynasties, is that the Almoravid regime in its emergence was supported by the Berber tribes of sanhaja in south Sahara and spreading the idea among the crowds of these tribes was achieved by subjecting the rest of the other tribes to their authority until establishing almoravid state .While ,the Almohad regime, its emergence was in the middle Maghreb , in Tlemcen ,the Zenetes Berber tribes country . This religious movement was greeted by crowds of massmouda in western side of the Maghreb, the country of Sousse , counting on their tribalism to topple the Almoravid regime.All this , resulted impacts on the two dynasties as each one was in a period such as rival movements to the authority.

Keywords: Maghreb, power, Almoravid, Almohad, the Andalusian, political and administrative structure, rival movements.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد * تلمسان *

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

تخصص : المغرب الإسلامي الوسيط

نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين

دراسة مقارنة (ق 5-7هـ/ 11-13م)

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالبة الباحثة:
مغنية غرداين

إشراف:
أ.د /لخضر عبدلي

السّنة الجامعية:1436-1437هـ / 2015- 2016م

لقد عملت الدولتان المرابطية و الموحدية منذ قيامهما على توحيد بلاد المغرب بكل أقطاره بما في ذلك بلاد الأندلس تحت سلطة دينية وسياسية واحدة، إلا أنه قد سجل اختلاف الدارسين حول نظامي حكمهما وانعكاساته على مختلف الميادين والعلاقة بين النظامين من حيث الفكر الديني و السياسي ، وفي هذا الاطار تندرج رسالتي المعنونة بـ: **نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين –دراسة مقارنة– ق 5هـ –7هـ/ 11 –13م** وهي الفترة الأبرز في التاريخ السياسي للغرب الاسلامي باعتبارها فترة اهم دولتين قامتا بتوحيد بلاد الغرب الاسلامي.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يمتاز بالجدية، ويسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ السياسي الموحدي لبلاد المغرب، وكان اختياري لهذا الموضوع مبنيا على عدة عوامل موضوعية؛ منها ضرورة البحث في مدى تأثير الحركتين على الحكم الموحدي، إضافة إلى الطابع المميز لكل حركة، مما يدفع بالباحث إلى توخي الدقة حتى يتمكن من تتبع الأحداث بشكل سليم ليخلص إلى استنتاجات هامة حول الموضوع.

والإشكالية التي يدور حولها الموضوع تشغل ذهن اي باحث في المميزات السياسية والعسكرية و التي ميزت هذه الفترة في كل من الأندلس والمغرب ، والوقوف على اوجه الشبه والاختلاف بين نظامي الحكم ؛ وانطلاقا من هذه الإشكالية يمكن أن نطرح عدة تساؤلات منها:

- ما مراحل تأسيس كل دولة ؟وماهي السياسة التي اتخذتها في بسط نفوذها على بلاد المغرب الإسلامي والى اين امتد سلطانها ؟
- بماذا تميز نظام الحكم المرابطي ؟وماهي نظمه السياسية والادارية ؟
- وماهي الاختلافات التي سجلت بينه وبين نظام الحكم الموحدي ؟
- ما هي الانعكاسات الناتجة عن كل نظام في المغرب والاندلس ؟
- وهل سقوط النظام المرابطي وقيام النظام الموحدي محله يعود للاختلاف المذهبي بين النظامين او للتنظيم السياسي والاداري ا والى ابعد من ذلك ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اعتمدنا على خطة بحث تضمنت بعد المقدمة مدخلا للموضوع وثلاثة فصول، وقد جاء في المدخل لمحة عامة عن **جغرافية وتاريخ المغرب والأندلس**، وأما الفصول الثلاثة فقد ألزمتنا الأحداث التاريخية على دراستها بالشكل التالي، حيث تضمن الفصل الأول **المقارنة في ظروف قيام دولتي المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس** ، وأما الفصل الثاني تطرقنا فيه الى **المقارنة في التنظيم السياسي والاداري للدولتين المرابطية و الموحدية** و اما الفصل الثالث فقد اوردنا فيه **المقارنة في انعكاسات كل نظام على مجتمع بلاد المغرب والاندلس في مختلف الميادين** ، وأنهينا البحث بخاتمة استنتاجية حول الموضوع، حاولنا فيها الإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة.

كما دعمنا البحث بملاحق؛ وهي عبارة عن خرائط تتعلق بالموضوع؛ إضافة إلى بعض الجداول التوضيحية لفترة كل دولة ، وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي العلمي القائم على جمع المادة التاريخية المتوفرة حول الموضوع، وسرد الأحداث وذكر المعلومات، وتحليلها تحليلا عقلانيا، وتوظيفها لخدمة الموضوع وذلك بعد الوقوف على أهم المصادر المتعلقة بالموضوع ومقارنة نصوصها وتفسير الأحداث ومناقشتها اضافة الى المنهج المقارن الذي الزمتنا به طبيعة الدراسة ، وقد تحرينا في ذلك الدقة والموضوعية قدر الإمكان.

- دراسة المصادر:

تطلبت طبيعة الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر المغربية والأندلسية من كتب التاريخ، إضافة إلى مصنفات الرحالة الجغرافيين وبعض كتب الطبقات والتراجم.

- كتاب " أعز ما يطلب " لصاحبه محمد بن تومرت صاحب فكرة المهدوية والدعوة الموحدية، ويعتبر من أهم المصادر الموحدية، كونه أحد أهم الشخصيات الموحدية أو صاحب فكرة التوحيد إن صح التعبير، وجاء فيه التفصيل الدقيق لعقيدة التوحيد عند المهدي بن تومرت، والمبادئ التي دعا إليها مثل : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وبعض الأمور الدينية الأخرى التي كان يدعو إليها المهدي بن تومرت ويوليها أهمية كبيرة، وقد كان من تحقيق وتقديم عمار طالبي، الجزائر 1985.

- كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " لصاحبه أبو عبد الله محمد بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي المتوفي سنة 548هـ/ 1154م، ويعتبر أعظم كتاب جغرافي يحتوي على دراسة جغرافية وصفية للأقاليم والمدن بطابع سياسي واقتصادي واجتماعي في آن واحد، وقد استعنا بالمجلد الأول وجزئه الخاص بإفريقيا والأندلس، وقد أفادني كثيرا في التعريف جغرافيا بمعظم المناطق المذكورة في الاطروحة

- كتاب " معجم البلدان " لصاحبه ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله المتوفي سنة 626هـ/1228م، ويعتبر هذا الكتاب من المعاجم الجغرافية المهمة بالنسبة للعالم الإسلامي، وهو أيضا يجمع بين الجغرافيا والتاريخ والأدب.

- كتاب " نظم الجمان في أخبار الزمان " لمؤلفه ابن القطان أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي (ت 628هـ/ 1230م)، وقد حققه محمد علي مكي، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة في تاريخ المغرب خلال هذه الفترة، ذلك أنه وقف عند الكثير من الأحداث في المغرب والأندلس وقوفا مفصلا.

- كتاب " الكامل في التاريخ " وهو من تأليف المؤرخ المشرقي ابن الأثير عز الدين ابن الحسن علي المتوفي في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري، ولد بالموصل سنة 558هـ الموافق لـ 1165م، وانتقل لخدمة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة 587هـ، ثم خدم ولده نور الدين حتى صار وزيرا له، وقد كتب ابن الأثير كتابه بعيدا عن مسرح الأحداث في المغرب والأندلس وتحت تأثير البلاط الأيوبي، مما يجبر الباحث على مقارنة المعلومات التي أوردها بخصوص الموحدين بالمعلومات الواردة في المصادر الموحدية.

- كتاب " أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين " لصاحبه أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، من تحقيق

ومراجعة عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، الرباط 2004، وقد جاء الكتاب يروي سيرة المهدي بن تومرت بالتفصيل الدقيق، حيث كان المؤلف مرافقا للمهدي ابن تومرت وأحد تلاميذه، كما رافق أيضا عبد المؤمن بن علي، وتحدث المؤلف أيضا عن غزوات الموحدين ضد المرابطين، و كان من أشد المخلصين للدعوة الموحدية، مما جعله يعاصر بعض الأحداث، وكان شاهد عيان في الكثير من الأحيان، فنجده يصف لنا بعض الأحداث بعناية شديدة، إلا أنه يميل أحيانا إلى المدح والمبالغة والذاتية لصالح الموحدين.

- كتاب " المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين " لمؤلفه عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي ، المتوفي أواخر المائة السادسة للهجرة، وقد حققه الهادي التازي، ويستمد أهميته من كون مؤلفه معاصرا للأحداث الموحدية، فهو مفيد لتتبع أحداث الصراع خاصة في الأندلس، كما ينقل لنا الكتاب بعض الرسائل بين مسلمي الأندلس والخلفاء الموحدين، وبعض القصائد التي ألفت في شأن الموحدين، هذا بحيث عايش المؤلف بعض الأحداث المهمة في الدولة الموحدية بالأندلس.
- كتاب " رحلة التجاني " لأبي عبد الله بن محمد التجاني المتوفي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وقد أفادنا هذا الكتاب فيما يتعلق بالصراع بين الموحدين وبنو غانية، كما أنه تضمن تفصيلا دقيقا حول توحيد بلاد المغرب بعد فتح المهدية سنة 555هـ/ 1160م.
- كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لصاحبه محيي الدين أبو محمد عبد الواحد المراكشي، المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وقد شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، بيروت 2006، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية لدولة الموحدين، بحيث ان صاحبه عاش في مطلع حكم الخليفة يعقوب المنصور مما سمح له بمعاصرة الكثير من أحداث هذه الدولة، ويبدو أن المؤلف التزم الموضوعية والصدق في سرد الأحداث التاريخية، ذلك لأنه ألفه في بغداد أي وهو بعيد كل البعد عن الضغوط السياسية والمشاعر الذاتية.

- كتاب " الحلة السيراء " لصاحبه ابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المتوفي سنة 658هـ/ 1260م ،حققه حسين مؤنس، ويتناول الكتاب طائفة من تراجم رجال الثقافة بالمغرب والأندلس من القرن الأول الهجري حتى أوائل القرن السابع، كما يتعرض الكتاب للكثير من الأحداث التاريخية خاصة فيما يتعلق بالصراع بين الموحدين وابن مردنيش.

- كتاب " الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلفه ابن سماك العاملي ابي القاسم محمد بن ابي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي عاش في القرن الثامن الهجري ويعد من علماء هذا القرن، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر للدولة المرابطية والموحدية، فهو يتناول بدقة تاريخ الأندلس والمغرب في عهد المرابطين وكذا الموحدين، حتى نهاية خلافة عبد المؤمن بن علي بشكل مفصل ، وقد اعتمدنا على النسخة المحققة من طرف عبد القادر بوباية لما تضمنته من توثيق لكل المصطلحات التاريخية والجغرافية واللغوية بالشرح والتفصيل وعرض الآراء المتباينة من مختلف المصادر مع ما جاء به المؤلف لبعض الوقائع والاحداث التاريخية مما ساعدنا على الالمام بجميع المعلومات التي تخص موضوعنا من حيث الوقوف على صحة بعض الاحداث ،كما اطلعنا على النسخة المحققة ايضا من طرف كل من سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الطبعة الأولى دار الرشاد الحديثة ،والتي نسبت الى مؤلف مجهول.

- كتاب " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس " لصاحبه علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي، ويتناول هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من سنة 145هـ إلى 724هـ أي أنه يتضمن فترة خمس دول قامت في بلاط المغرب، بداية بدولة الأدارسة ومرورا بدول أخرى منها الموحدية، وينتهي عند الدولة المرينية، والتي كان دائما مؤيدا لها باعتباره كان كاتبا للسلطان المريني أبي سعيد عثمان (719- 731هـ)، والملاحظ أن ابن أبي زرع اعتمد في كتابه على عدة مصادر أغفل ذكر معظمها.

- كتاب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لصاحبه ابن خلكان المتوفي سنة 681هـ/ 1283م، ويحتوي هذا الكتاب على تراجم لمشاهير علماء وشخصيات العالم الإسلامي حتى عصر المؤلف.

- كتاب " تاريخ إسبانيا الإسلامية " أو كتاب " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام " وهو كتاب جاء مختصرا وشاملا لتاريخ إسبانيا الإسلامية والمسيحية لصاحبه ابن الخطيب لسان الدين (776هـ/ 1374م)، من تحقيق إ. ليفني بورفنسال، بيروت 1956، وقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في الجزء الخاص بالأندلس من البحث لما تميز به من الدقة في المعلومات، كون المؤلف استقاها من المخطوطات والوثائق والرسائل الرسمية عن تاريخ المغرب والأندلس، وكذلك استعنا بكتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة " لنفس المؤلف، والذي أفادني كثيرا في الجزء الخاص بالأندلس من الاطروحة

وكما سبق أن ذكرت، تعرضت في المدخل إلى التعريف ببلاد المغرب، وبالتالي يمكن القول أن لفظ المغرب : اسم لمنطقة كانت غير معروفة وغريبة عند العرب قبل دخولهم إليها، ويُنطق لفظ المغرب عند الأوربيين بـ :"مُغْرِبْ" من الفعل العربي غَرَبَ ، وتعني غير معروف وأجنبي أي غريب، وهناك من يقول أن لفظ المغرب نسبة إلى الجهة التي تغرب فيها الشمس، وهناك من حدد هذه الرقعة الجغرافية بالمنطقة الواقعة غرب مصر، وأنّ المغرب ضد المشرق، وهو بلاد واسعة ويقصد بها تلك البلاد الواقعة من حدود مصر شرقا أو من طرابلس شرقا إلى بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي غربا، ومن بحر الروم شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وهناك من يضمنه الأندلس ويقسمه إلى نصفين، نصف شرقي وهو شمال إفريقيا، ونصف غربي وهو الأندلس.

هذا وقد اختلف المؤرخون في تحديد الموقع الجغرافي للأندلس وفي معنى تسميتها مثلما اختلفوا في شأن بلاد المغرب، فالأندلس كلمة أعجمية لم يستعملها العرب قديما وإنما عرفها العرب في الإسلام، وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام وهي جزيرة عامرة ، وبلاد الأندلس على شكل مثلث طوله من المشرق إلى المغرب على ساحل البحر، فالأندلس كلها محدقة بالبحر، المحيط الغربي والبحر المتوسط القبلي، ويصعد منه قليل إلى ناحية الشرق، فحد

الأندلس في الشرق والغرب وبعض الجوف في البحر المحيط، وحدها في بعض القبلة والشرق البحر المتوسط، وهي تقع جنوبي غرب أوروبا، تصلها بالقارة سلسلة جبال البرانس، وأما الجوانب الباقية فتحفوا بها جبال المحيط الأطلسي والبحر المتوسط.

هذا عن جغرافية المنطقة التي نحن بصدد دراستها، وأما عن سكان المنطقة فقد عرفوا قديما باسم البربر (Berbère)، وهو اسم أطلقه الرومان على سكان بلاد المغرب، بحيث اعتبروهم أعاجم بالنسبة لحضارتهم، فسموهم بربرا، وفي القرن 4 هجري كانت أنساب البربر قد دونت بالعربية من طرف بعض النسابة البربر، حيث تم تقسيم قبائل البربر إلى "برانس " و"بتر" ، فالبرانس ينتسبون إلى برنس بن بر ، وأما البتر فينتسبون إلى جدهم مادغيس الأبتر، هذا عن السكان الأصليين لبلاد المغرب، وهناك أيضا السكان الوافدين وهم خليط من المستعمرين الأجانب، وبقايا الشعب القرطاجي القديم ومزارعي البيزنطيين وصناعهم.

وبالنسبة للأندلس فقد توالت عليها عدة أجناس منهم: " الأندليش " بالسين المعجمة، وهم قوم كانوا مجوسا ثم هلكوا ، وجاء بعدهم قوم آخرون عرفوا باسم " الإشبان " نسبة لرجل ظهر بإشبيلية اسمه " إشبان "؛ ثم دخلها قوم القوط، وبقوا فيها إلى أن شهدت الفتح الإسلامي، ودخلها المسلمون.

هذه الخصائص الطبيعية والبشرية لبلاد المغرب، بما في ذلك الأندلس، إضافة إلى الأوضاع السياسية التي عرفتها المنطقة قبل وبعد الفتح الإسلامي، خاصة ما تعرضت له من ضغط بعض الولاة المسلمين، الذين استغلوا بعد المنطقة عن مركز الخلافة الإسلامية، هذه الأسباب كلها وهذه الظروف فتحت المجال إلى تنوع المذاهب الدينية والسياسية للمنطقة، مما أدى إلى ظهور عدة دول بالمنطقة منها الدولة المرابطية والدولة الموحدية .

لقد قام النظامان المرابطي و الموحدي على أسس دينية إصلاحية بهدف تحقيق الوحدة المذهبية والسياسية لبلاد المغرب الاسلامي ،وكان ذلك على إثر دعوة عبد الله ابن ياسين التي تمخض عنها النظام المرابطي ،هذه الدعوة التي اتسمت بمرجعية مالكية محضة ،أما دعوة المهدي بن تومرت، هذا الأخير الذي ولد ببلاد السوس بالمغرب الأقصى، وانتقل إلى المشرق لطلب

العلم، وفي حوالي 510هـ/1116م عاد إلى بلاد المغرب، جاءت دعوته متعددة المرجعيات بحيث اطلق عليها عند الباحثين مرة بعقيدة التوحيد ومرة اخرى بالعقيدة التومرتية، رغم اختلاف الداعيتين في المرجعية الا انهما توافقا في العديد من النقاط من حيث الشكل ،بحيث قام كلاهما بدور المحتسب الذي ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف، بحيث اتجه ابن ياسين بطلب من شيخه وجاج بن زللو اللمطي الى ديار قبائل صنهاجة وباشر مهامه كمحتسب وكداعية لتعليم الشريعة الاسلامية ،وأما ابن تومرت فانه وفي طريق عودته مر بعدة مدن كان يقوم فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق تكسير آلات الطرب وزجاجات الخمر، مما جعل ولاة المدن يطردونه منها، وقد كان في كل مدينة يستقطب عددا من الأتباع، فعند نزوله بملالة التقى بعبد المؤمن بن علي، هذا الأخير الذي كان ينتمي لجماعة معارضة للنظام المرابطي بتلمسان وتم ارساله إلى ملالة للمجيء بالمهدي بن تومرت من أجل توظيف دعوته ودروشته لخدمة اغراضهم السياسية ،وقد خلف عبد المؤمن ابن تومرت، وعلى يده تأسست الدولة الموحدية، فبعد وفاة ابن تومرت، كانت الدعوة الموحدية قد بلغت أوجها، وحفاظا عليها تمت مبايعة عبد المؤمن بن علي بالخلافة، هذا الأخير استطاع ترسيخ نظام الدولة الموحدية بالاعتماد على دعوة المهدي، ثم فكّر في توسيع نفوذه مما جعله يغادر تينملل سنة 535هـ/ 1142م، ويشرع في الهجوم على المرابطين، حيث سيطر على مختلف القلاع والحصون المرابطية، وقد تعددت الوقائع بين الطرفين الموحدي و المرابطي، استطاع خلالها الموحدون السيطرة على وهران وتلمسان، وفاس ثم العاصمة مراكش؛ حيث تم القضاء على جميع المرابطين، واطمأن عبد المؤمن على دولته مما دفع به إلى التفكير في الاستيلاء على بجاية، وفعلا كان له ذلك واستطاع دخول بجاية والقضاء على بني حماد، ثم اتجه بنظره إلى إفريقية فما إن حلت سنة 555هـ/ 1160م حتى كان عبد المؤمن قد استولى على كامل بلاد إفريقية.

تمكن عبد المؤمن بن علي من الإطاحة بالنظام المرابطي وصارت حركته المناوئة للنظام المرابطي هي النظام الحاكم لبلاد المغرب الاسلامي ،وهذا ما يسجل كنقطة اختلاف بين النظامين بحيث ان عبد المؤمن اطاح بكيان نظام حكم سياسي عسكري بينما يوسف ابن

تاشفين عند اعتلائه منصب الحاكم كان ابو بكر بن عمر قد قضى على جميع الامارات الزناتية المتفرقة ببلاد المغرب وأقام هدنة مع المصامدة واستقر بمراكش الى جانبهم مما جعل الأمر سهلا نوعا ما عند يوسف بن تاشفين في بناء الدولة وتوسيع رقعتها الجغرافية واستقطاب القبائل البدوية الى طاعته ، ففكرة توحيد امارات متفرقة وقبائل تحت سلطة سياسية واحدة ليست بحجم الاطاحة بنظام حكم قائم بكيانه السياسي والعسكري .

هذا وقد وجه حكام النظامين انظارهما صوب بلاد الاندلس ،فيوسف بن تاشفين لم يتردد حين استنجد به المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ثم ما فتئ هذا الانجاد ان صار اخضاع لبلاد الأندلس من اجل الدخول في طاعته ،وأما عبد المؤمن بن علي فبعد أن فرغ من توسيع نفوذه في بلاد المغرب، فكّر في العبور إلى الأندلس، وقد تعدد الأسباب والدوافع لذلك، منها فساد الحكم المرابطي في الأندلس، وقيام عدة ثورات بالمنطقة مناهضة للأوضاع، ففي غرب الأندلس قامت ثورة المريدين بزعامة أبو القاسم أحمد بن الحسن بن قيسي، وفي جنوبي الأندلس قامت أيضا ثورات مناهضة للحكم المرابطي، بداية بمدينة رندة وتزعمها أخيل بن إدريس الرندي، وفي وسط الأندلس وبالضبط في قرطبة قامت ثورة ضد المرابطين بقيادة القاضي بن حمدين، وفي شرق الأندلس ثار أحمد بن محمد بن ملحان الطائي بوادي آش، هذه الثورات وهذه الفوضى في بلاد الأندلس دفعت بأهل المنطقة إلى الاستنجاد بالموحدين، فبدأت الدعوات الرسمية والشخصية تتوافد على سلطان الموحدين، هذا الأخير الذي كان يتوق إلى الجهاد بالأندلس، فكانت بداية دخول الموحدين إلى الأندلس مع أوائل 541هـ/1146م، حيث استولت الجيوش الموحدية على مدينة طريف والجزيرة الخضراء، ثم توجهت إلى شريش ثم إلى إشبيلية، التي تم فتحها يوم الأربعاء 12 شعبان 541هـ/ 1174م، ومن ثمّ فقد تمكن الموحدون من دخول الأندلس وإخضاعها شيئا فشيئا، وفكّر الموحدون في إخضاع شرقي الأندلس هذه المنطقة التي استبد بها ابن مردنيش.

ابن مردنيش هذا هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، وذلك باتفاق عدد كبير من المؤرخين والنسابة المتقدمين، وقد ولد سنة 518هـ في

قلعة ينشكلة إحدى قلاع طرطوشة، إلا أن بعض الباحثين يجعلون أصله إسباني وأن جدّه دخل في ولاء الجذاميين فنسب إليهم، وأنّ اسم مردنيش أو " مردانيش " أو "مرذنيش" ليس اسما عربيا مما بنفي صلته بقبيلة جذامة ، ويُوضح أن أصله من شبه جزيرة إيبيريا، وقد عُرف في المصادر الإسبانية باسم الملك " لوبو" ومعناه الذئب.

وقد وصلت إمارة شرقي الأندلس إلى يده بوصية من ابن عياض الذي أشار إلى من اجتمع إليه من الأعيان والجند حين حضرته الوفاة بتولية ابن مردنيش الإمارة من بعده، لما رآه فيه من صفات الشجاعة والباسلة ، وقد كان لابن مردنيش علاقات متينة وحميمية مع الإمارات والممالك النصرانية بما فيه الإسبانية، أما الإمارات الإسلامية فقد كانت تختلف علاقاته معها حسب مصالحه.

فقد كانت له علاقة حميمية مع ابن همشك حاكم إحدى الإمارات الإسلامية بالأندلس، حتى أنه صاهره وصار ابن همشك يلقب بسيف ابن مردنيش، ويقود له الجيوش ويفتتح البلاد باسمه، وأما علاقته بالدولة الموحدية قد كانت متوترة في كل الأحوال، وأصبحت حركة ابن مردنيش إحدى الحركات المناوئة للحكم الموحدي في الأندلس.

وقد حاول الموحدون إخضاعه عن طريق عدة رسائل وجهها له سلطان الموحدين يدعوه فيها إلى اتباع دعوة المهدي بن تومرت، وتقديم الطاعة والولاء للموحدين، لكن بعد رفضه كانت عناك عدة مواجهات بين الطرفين، أهمها معركة مرج الرقاد، والتي انهزم فيها الموحدون بسبب الكمين الذي نصبه لهم ابن همشك، موقعة السبيكة التي جاءت كرد فعل على مرج الرقاد من طرف الموحدين، والتي استطاعوا فيها رد اعتبارهم، لكن بعد ذلك عرفت الدولة الموحدية ظروفا خاصة بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي ، مما دفع ابن مردنيش إلى محاولة استغلال هذه الظروف وشن بعض الحملات على بعض البلاد الموحدية في الأندلس، لكن سرعان ما عاد الموحدون إلى النظر في أحوال الأندلس والدفاع عنها والوقوف في وجه ابن مردنيش، فنشبت بين الطرفين معركة فحص الجلاب، والتي انتصر فيها الموحدون، وبعد توالي الانهزامات على ابن

مردنيش ضعف وتدهورت علاقاته مع أعوانه ورجاله، وحتى مع صهره ابن همشك الذي بايع الموحدين وقدم لهم الطاعة والولاء، وابتعد عن ابن مردنيش، فمرض هذا لأخير واختل عقله.

وتذكر المصادر أنه توفي في 10 رجب من سنة 967هـ ، وخلفه في الحكم ولده أب القمر هلال والذي دخل في طاعة الموحدين، وبالتالي تمكن الموحدين من إخضاع شرقي الأندلس وبني مردنيش.

لكن لم تكن حركة ابن مردنيش بشرقي الأندلس هي الحركة الوحيدة المناوئة للحكم الموحدي، فقد عرفت الدولة الموحدية عدة حركات مناوئة لحكمها، حتى في بلاد المغرب، حيث مدت سلطاتها على المنطقة، فمن بين الحركات المناوئة للحكم الموحدي ببلاد المغرب حركة بنو غانية، ويعود أصل بنو غانية إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية بصحراء لمتونة، وينتسبون إلى أمهم غانية، وهي امرأة من أهل بيت يوسف بن تاشفين ، وقد كان لبني غانية علاقة قوية بالمرابطين، حتى أن حركتهم كانت تهدف إلى إعادة إحياء مجد المرابطين، فقد تولى بنو غانية إمارة الجزائر الشرقية بأمر من المرابطين، وأول من تولى الإمارة بها محمد بن غانية، وقد جعل منها ملجأ للمرابطين الفارين من الموحدين، وقد حاول الموحدون إخضاع بن غانية في الجزائر الشرقية عن طريق دعوتهم لتقديم الولاء والطاعة مثلما فعلوا مع ابن مردنيش، لكن ردهم كان مثل رد ابن مردنيش، وامتنعوا عن تقديم الولاء والطاعة للموحدين، وبعد استشهاد الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف في ربيع الثاني 580هـ/ جوان 1184م، وحدوث بعض الظروف الحرجة في البلاط الموحدي، من انشقاق بني عبد المؤمن، وغيرها من الأمور، جعلت بني غانية يفركون في توسيع إمارتهم ، فوجهوا نظرهم إلى بجاية، واستطاعوا دخولها في 06 شعبان 580هـ/ 13 نوفمبر 1184م، وعلم الخليفة المنصور بأحداث بجاية وهو لا يزال في بداية عهده فأدرك خطورة بني غانية، فقرر القضاء عليهم، فجهز لذلك جيشا بلغ عدده حوالي 20 ألف مقاتل، وتمكن من الموحدون من استرداد بجاية بتاريخ 19 صفر 581هـ/ 22 مايو 1185م، وتواصل الصراع بين الطرفين، حيث استطاع بنو غنية الاستيلاء على إفريقية واستمالة معظم قبائل

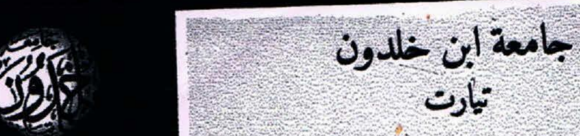
الأعراب ، وتحالف بنو غانية حتى مع بعض الأفزاز القادمين من مصر بقيادة قراقوش للإطاحة بالموحدين.

هذا وفي عهد الخليفة الناصر فكر الموحدون في وجوب القضاء على بني غانية واستقر رأيهم على أنه يجب الاستيلاء على الجزائر الشرقية وإخضاعها للقضاء على مورد بني غانية، فأعد الخليفة الناصر حملة كبيرة في أحد ثغور الأندلس ، توجه بها إلى الجزائر الشرقية، وفي يوم 24 ذي الحجة 599هـ وصلوا ميورقة، ونشب القتال بين الطرفين، وانتهى بانتصار الموحدين واستيلائهم على الجزائر الشرقية، مما دفع بالخليفة الناصر إلى التفكير في تجهيز حملة لاسترداد إفريقية، فخرج الخليفة على رأس قواته من مراكش في الأيام العشرة الثانية من جمادى الثانية 601هـ/ نوفمبر 1205م، وبدأ النصر يحالف الموحدين وهم يستردون إفريقية من بني غانية شيئا فشيئا، حتى تمكنوا من استردادها كلها، وبعد ذلك عاد الخليفة الناصر إلى مراكش، وعيّن على إفريقية أحد كبار رجال الموحدين وهو الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، لكن بنو غانية استمروا في مناوشاتهم واستطاعوا إلحاق الأذى بالعديد من المناطق الموحدية، خاصة بعد انتقالهم للمغرب الأوسط، فقد ألحق بنو غانية الأذى بأهل تلمسان خاصة، لكن بعد بلوغ هذه الأخبار إلى الموحدين تصدوا لهم وطاردوهم ، وبمرور الوقت تفرق بنو غانية ، ومنهم من بايع الموحدين، وقدم لهم الطاعة والولاء، بعد أن يئس من القتال دون فائدة، وبقي يحي بن غانية وحده يقوم بمناوشات لكنه لم يقدر على العودة لقتال الموحدين، وتوفي هذا الأخير وهو على عدائه للموحدين سنة 631هـ/ 1234م، وبوفاته انقرض بنو غانية وانقرض أمر الملثمين من مسوفة و لمتونة، ومن جميع بلاد المغرب وإفريقية والأندلس.

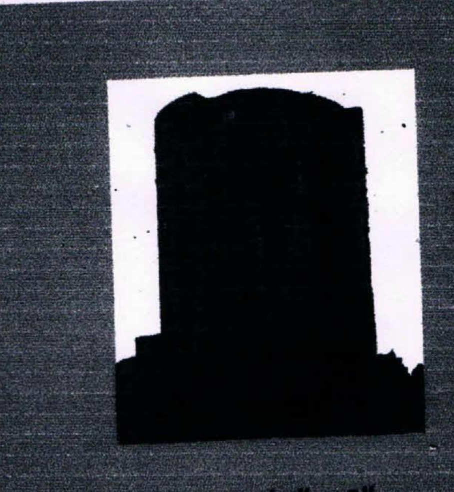
ومما سبق ذكره يمكن اعتبار الثورات بالأندلس ضد الحكم المرابطي احدى الحركات المناوئة للنظام المرابطي بالأندلس اضافة الى ثورة قرطبة ،واما بالمغرب فيمكن اعتبار حركة الموحدين او حركة عبد المؤمن بن علي السياسية هي حركة مناوئة للنظام المرابطي ،بالمقابل شهد النظام الموحدي حركة مناوئة بالأندلس والعديد من الحركات ببلاد المغرب لكن اهمها حركة بني غانية التي كانت تسعى لإحياء مجد النظام المرابطي ،وبالتالي فانه يمكن ان نخلص الى النتيجة التالية ان أهم ما ميز هذا الصراع الذي كان

قائما ما بين النظامين المرابطي و الموحدي والحركات المناوئة لحكمهما في الأندلس وفي بلاد المغرب أنه كان صراعا ذو طابع سياسي اتسم نوعا ما بالصبغة الدينية، حسب ما ورد في المصادر والمراجع فصراع ابن مردنيش كان صراعا سياسيا أكثر منه دينيا إذ أن ابن مردنيش هدف من وراء شن حربه ضد الموحدين إلى توسيع نفوذ إمارته، مما جعل الموحدين يرون فيه تهديدا لسلطانهم بالأندلس فكانوا له بالمرصاد، وأما الصبغة الدينية فإننا نلمسها في تشبه ابن مردنيش بالنصارى مما دفع بمؤرخي ذلك العصر إلى التشكيك في انتمائه إلى الأصل العربي والطعن في دينه وولائه للإسلام، أما حركة الموحدين ضد المرابطين وحركة بني غانية فهدفهما كان سياسي محض يتمثل في محاولة الاطاحة بنظام حكم دولة واقامة نظام حكم اخر يعيد لزناتة كرامتها واعتبارها بالنسبة لحركة الموحدين ،وبالنسبة لبني غانية الاطاحة بنظام حكم دولة واقامة نظام حكم اخر يحيي لصنهاجة امجادها .

وفي الأخير يمكن القول أن الحركات المناوئة للنظامين المرابطي و الموحدي في الأندلس والمغرب ، قد استنزفت الكثير من موارد لدولتين المرابطية و الموحدية البشرية والمادية فقد أضعفتها لا تزال في طور النشأة، وشغلتها لمدة طويلة عن جهاد النصارى وأرهقتها وهزت كيانها ، حتى صارت تعد في التاريخ من أهم الاسباب التي اطاحت بالنظامين المرابطي و الموحدي والسبب يعود مرة لاستعادة اعتبار وكرامة ومرة أخرى لإحياء مجد مندثر .

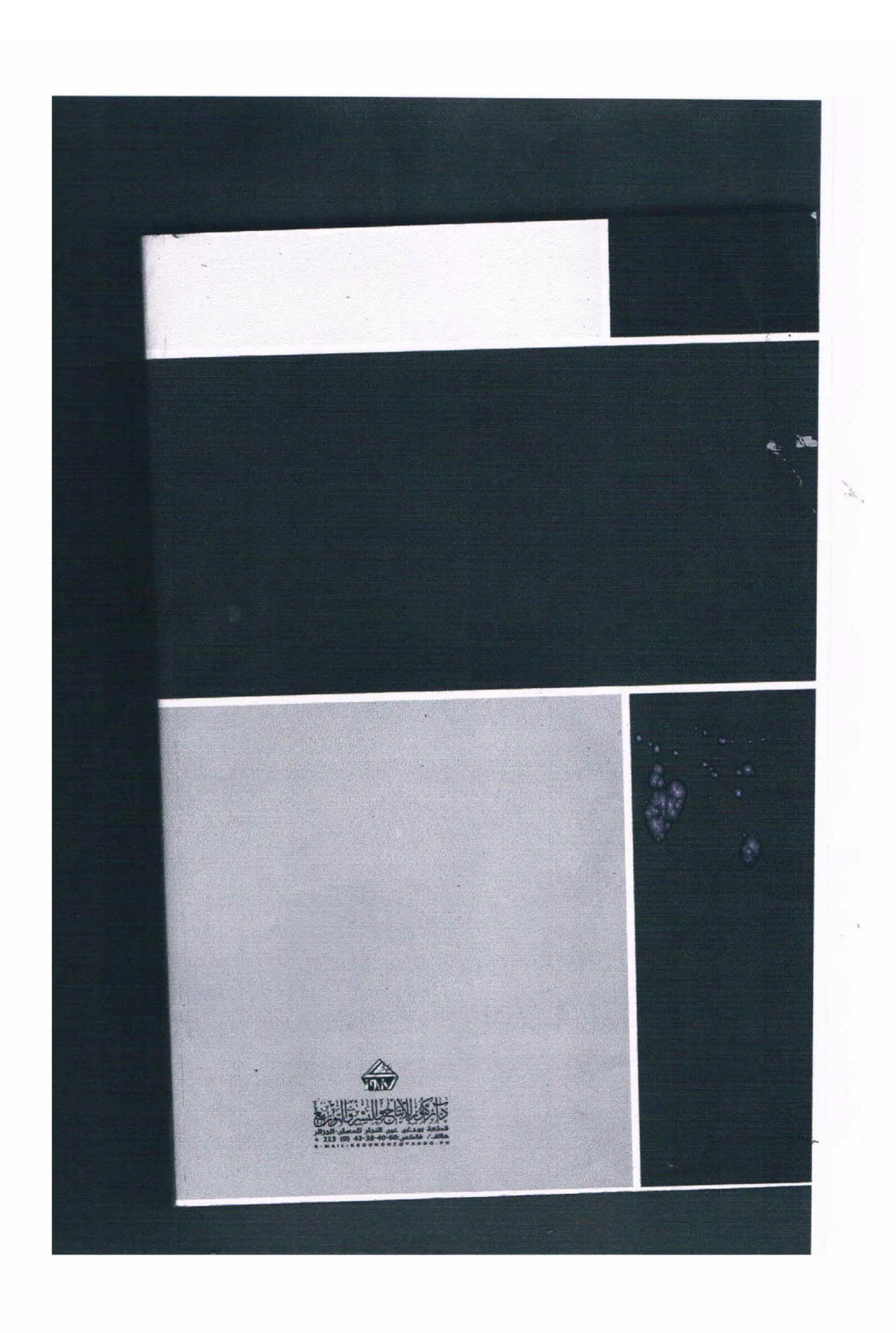


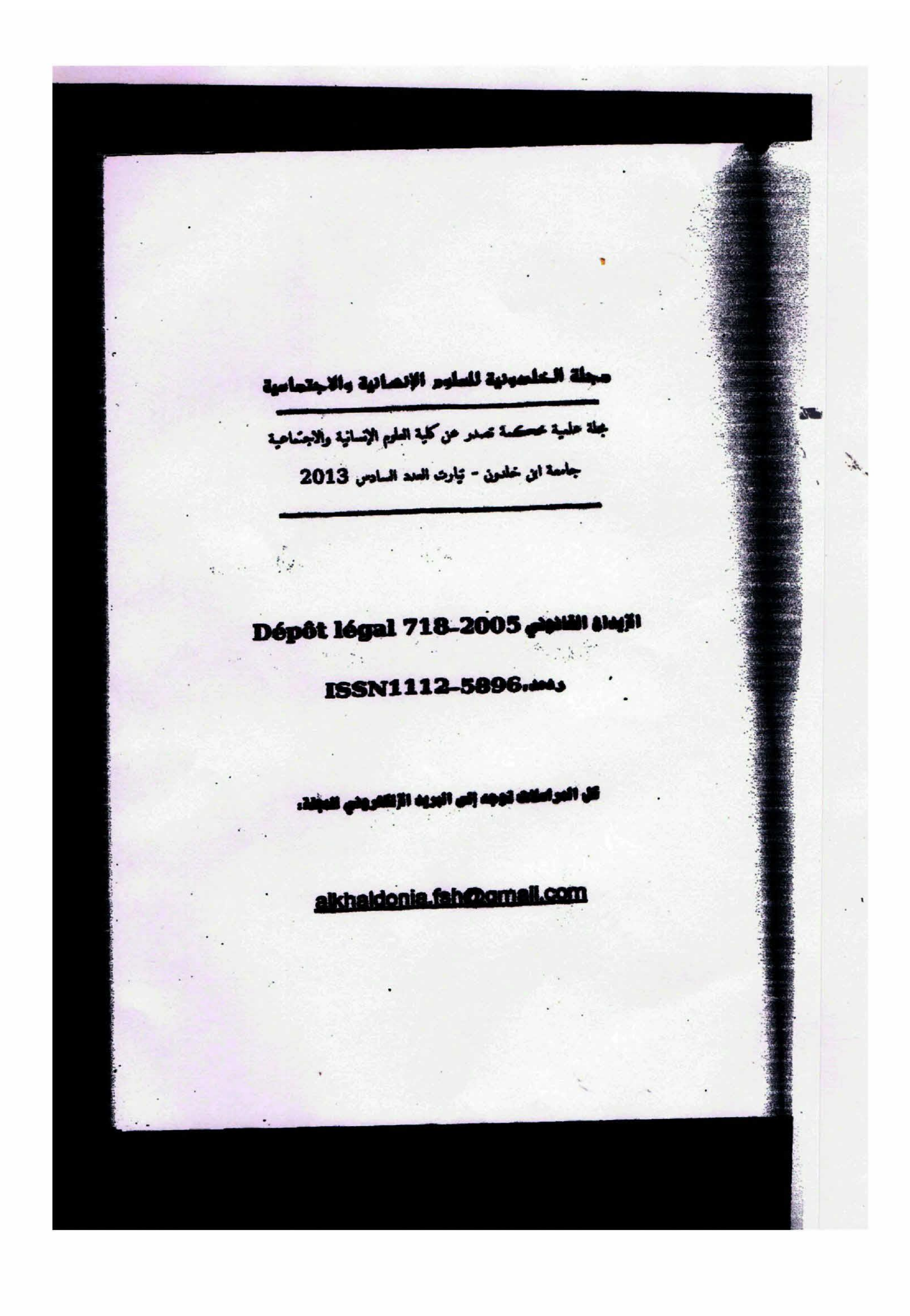




العدد السادس 2013

يداع القانوني: 2005 / 718 ردمد: 5896 / 1112


دار كنوز للإنتاج للنشر والتوزيع
قطعة بودغن عين النجار تلمسان-الجزائر
هاتف/ فاكس: 60-40-38-43 (0) 213 +



مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن خلدون - تيارت العدد السادس 2013

الإيداع القانوني Dépôt légal 718-2005

ردمد ISSN1112-5896

كل المراسلات توجه إلى البريد الإلكتروني المجلة:

alkhaldonia.fsh@gmail.com

جامعة ابن خلدون
تيارت



الخلدونية العلوم الإنسانية والاجتماعية

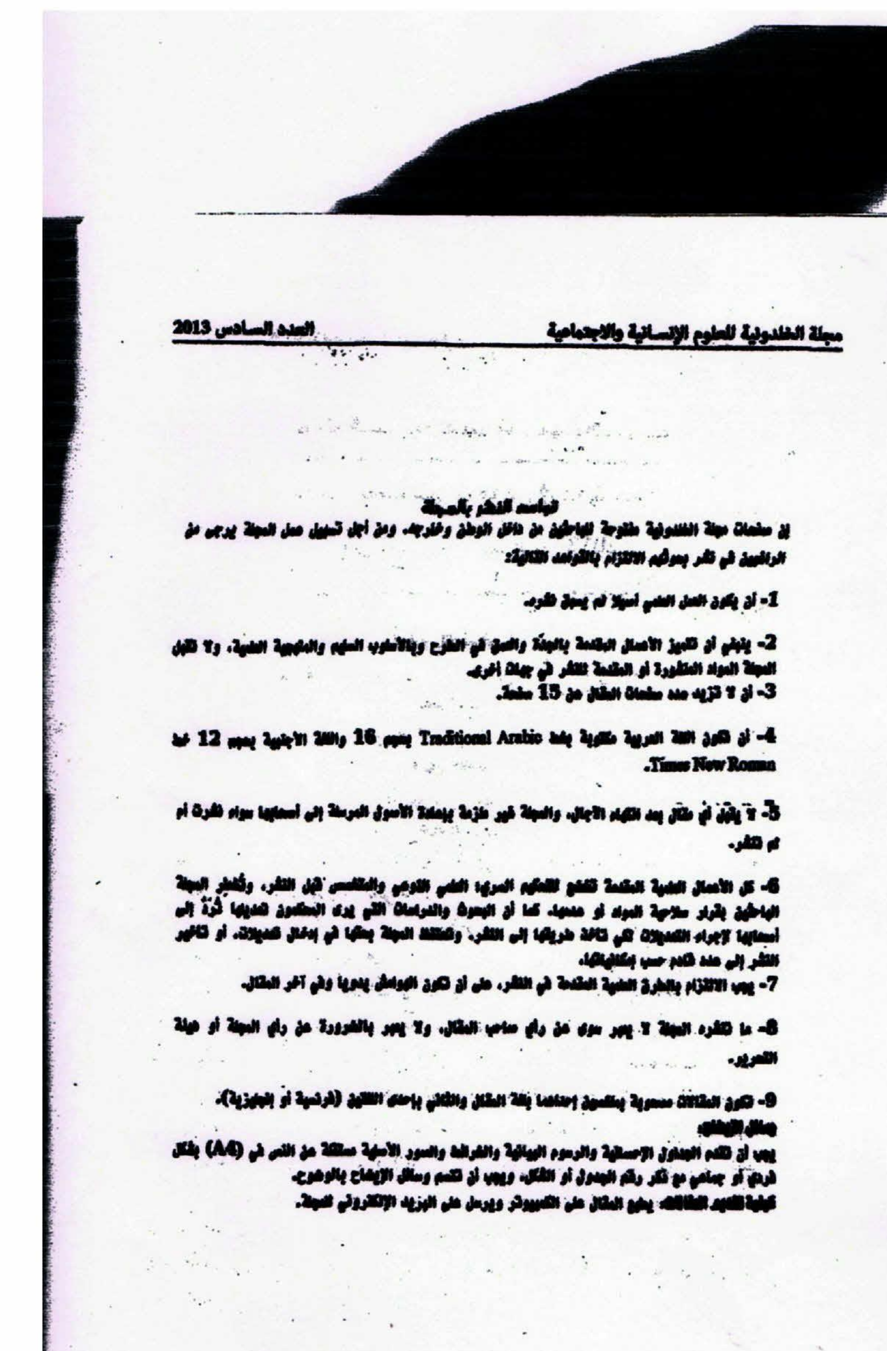
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد السادس 2013
الإيداع القانوني: 2005 / 718 ردمد: 5896 / 1112

مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن خلدون – تيارت العدد السادس 2013



قواعد النشر بالمجلة

إن صفحات مجلة الخلدونية مفتوحة للباحثين من داخل الوطن وخارجه، ومن أجل تسهيل عمل المجلة يرجى من الراغبين في نشر بحوثهم الالتزام بالقواعد التالية:

1- أن يكون العمل العلمي أصيلا لم يسبق نشره.

2- ينبغي أن تتميز الأعمال المقدمة بالجدة والعمق في الطرح وبالأسلوب السليم والمنهجية العلمية، ولا تقبل المجلة المواد المنشورة أو المقدمة للنشر في جهات أخرى.
3- أن لا تزيد عدد صفحات المقال عن 15 صفحة.

4- أن تكون اللغة العربية مكتوبة بخط Traditional Arabic بحجم 16 واللغة الأجنبية بحجم 12 خط Times New Roman.

5- لا يقبل أي مقال بعد انتهاء الآجال، والمجلة غير ملزمة بإعادة الأصول المرسلة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

6- كل الأعمال العلمية المقدمة تخضع للتحكيم السري العلمي النوعي والمتخصص قبل النشر، وتُخطر المجلة الباحثين بقرار صلاحية المواد أو عدمها. كما أن البحوث والدراسات التي يرى المحكمون تعديلها تُرد إلى أصحابها لإجراء التعديلات التي تؤهلها طريقها إلى النشر، وتحتفظ المجلة بحقها في إدخال تعديلات، أو تأخير النشر إلى عدد قادم حسب إمكانياتها.
7- يجب الالتزام بالطرق العلمية المتبعة في النشر، على أن تكون الهوامش يدويا وفي آخر المقال.

8- ما تنشره المجلة لا يعبر سوى عن رأي صاحب المقال، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة التحرير.

9- تكون المقالات مصحوبة بملخصين إحداهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين (فرنسية أو إنجليزية).
وسائل الإيضاح:
يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في (A4) بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل، ويجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح.
كيفية تقديم المقالات: يطبع المقال على الكمبيوتر ويرسل على البريد الإلكتروني للمجلة.

الفهرس العام للموضوعات

ثورة المريدين بغربي الأندلس

(539-541هـ/1144-1146م)

أ. منية غرداين، جامعة تلمسان

مقدمة:

لقد توالى على حكم الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها العديد من أنظمة الحكم، جميعها إسلامية إلا أنها تختلف باختلاف العصور والمراحل التي مرت بها، إلا أنها من عصر الولاة وإلى غاية عصر ملوك الطوائف، هذا الأخير الذي انقضى بتواجد المرابطون بالأندلس.

لكن النظام المرابطي بالأندلس استطاع أن يضبط أموره لفترة زمنية ويحكم زمام السلطة بيده، مثله مثل غيره من الأنظمة، ثم ينقضي عهد النظام المرابطي بالأندلس نتيجة قيام العديد من الثورات في مختلف أنحاء الأندلس، لكن كان ظهورها وقيامها لأول مرة بغربي الأندلس، نتيجة لانتشار حركة المريدين بالمنطقة، فهل تمكنت هذه الحركة من زعزعت كيان الحكم المرابطي؟ وضمن هذه الإشكالية تنطوي عدة تساؤلات منها ما هي أصول حركة المريدين؟ ومن تزعمها بغربي الأندلس؟ ثم كيف تمكنت من القيام بالثورة ضد المرابطون؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا خطة عمل تضمنت أصول حركة المريدين، ثم قيام ثورة المريدين بغربي الأندلس وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر، من كتب تاريخ المغرب والأندلس منها: كتاب "تاريخ إسبانيا الإسلامية" أو كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب(776هـ/1374م)، وهو كتاب جاء مختصرا وشاملا لتاريخ إسبانيا الإسلامية والمسيحية من تحقيق ليفي بورفنسال بيروت 1956، وقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في الجزء الخاص بالأندلس من البحث لما تميز به من الدقة في المعلومات، كون المؤلف استقاها من المخطوطات والوثائق والرسائل الرسمية عن تاريخ المغرب والأندلس، وكتاب "المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين" لمؤلفه عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي، المتوفي أواخر المائة السادسة للهجرة، وقد حققه الهادي التازي، ويستمد أهميته من كون مؤلفه معاصرا للأحداث الموحدية، فهو مفيد لتتبع أحداث الصراع خاصة في

الأندلس، كما ينقل لنا الكتاب بعض الرسائل بين مسلمي الأندلس والخلفاء الموحدين، وبعض القصائد التي ألفت في شأن الموحدين، هذا وقد عالج المؤلف بعض الأحداث المهمة في الدولة الموحدية بالأندلس إضافة إلى مجموعة أخرى من المراجع باللغتين العربية والأجنبية تخص الموضوع، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هو كثرة المعلومات وصعوبة حصرها وتشابهها، لكن حاولنا قدر المستطاع الإلمام بما هو جدي ومهم في الموضوع، وحصر المعلومات في قالب تاريخي موضوعي.

أصول حركة المريدين:

انقسم المجتمع الأندلسي في عهد المرابطين إلى قسمين، قسم منغمس في لذة الحياة ولهوها منذ عهد الطوائف، وقسم مال إلى التزهد والتصوف بعيدا على مفاسد المجتمع الأندلسي، ومن هذا القسم نشأت حركة المريدين، وذلك بعد انتشار التصوف في جل المدن الأندلسية[1].

وقد تزعم حركة المريدين في بدايتها بغربي الأندلس أبا محمد عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف، والذي كان يقطن بالمنطقة، وقد لازم هذا الأخير ابن برجان[2] وأخذ عنه، وضمت منطقة غربي الأندلس أيضا العديد من زعماء حركة المريدين، كأبي القاسم أحمد بن قسي[3]، وأبي الوليد بن المنذر، وأبي عبد الله محمد بن سالم، وكانوا إما أصحاب مناصب قضائية أو وظائف مخزنية[4].

هذا وقد كان للمريدون فرق مختلفة، إلا أن أغلبهم من أنصار الالتزام بالكتاب والسنة، إلا أن الفرقة المريدية أو فرقة المريدين بغربي الأندلس كانت متطرفة، حيث يذكر ابن الأبار أنهم أكثروا من الاهتمام بكتب التصوف ورسائل إخوان الصفاء، وكتب أبي حامد الغزالي[5].

هذا وقد تعرض المريدون إلى مجموعة مطاردات خاصة سنة 529هـ/1134م[6]، وقد توالت بعض الأحداث على الأندلس عامة، ومنطقة غربي الأندلس خاصة، مما جعل حدة الصراع بين فرق المريدين تتضاعف بسبب تورط بعضهم في هذه الأحداث، وقد كانت معظم فرق المريدين تتهم الجناح المتطرف بأنه السبب في مطاردة السلطة المرابطية لهم، فلجأ هذا الأخير -الجناح المتطرف- إلى الدعوة من أجل استعمال القوة وتغيير الحكم[7]، فلجأ إلى القيام بثورة ضد المرابطين، سميت بثورة المريدين، وشملت كل مناطق غربي الأندلس.

قيام ثورة المريدين بغربي الأندلس:

تعتبر ثورات غربي الأندلس أول الثورات على المرابطين وقد تزعمها أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي[8]، وهذا الأخير أصبح في وقت قصير شيخا من شيوخ الصوفية وقد عرف أتباعه في غربي الأندلس باسم المريدين[9]، وانتشرت أفكاره وتزايد أتباعه خاصة بعد تأليفه كتاب "خلع النعلين"[10]، وسميت ثورة ابن قسي وأتباعه باسم ثورة المريدين، فقد أخذ ابن قسي يحرض أتباعه المريدين والناس من حوله بالثورة على المرابطين وقد استجاب له العديد من الناس، وانضم بعض أشياخ الجند والعشائر إلى هذه الثورة، ومن بينهم ابن عنان ومحمد بن عمر ومحمد بن المنذر وعبد الله بن أبي حبيب ومحمد بن يحي الشلطيشي[11]، وهذا الأخير اصطفاه ابن قسي واتخذه كاتبه وكاتم سره؛ ولعل السبب الذي ساعد ابن قسي في قيامه بالثورة واستمالته في وقت قصير قلوب العامة هو إدعاؤه للولاية وتسمية نفسه بالمهدي والإمام، مما جعل المرابطين يحسون بخطر دعوته ويفكرون في القضاء على هذه الثورة قبل انتشارها[12].

وانطلاقا من هذا فإن القوات المرابطية شرعت على الفور في إلقاء القبض على بعض أنصار المريدين وإرسالهم أو نفيهم إن صح التعبير إلى اشبيلية، إلا أن ابن قسي استطاع الفرار إلى حصن ميرتلة[13]، وهنالك اختبأ في قرية تسمى بالجوزة واحتمى بأهلها وهم قوم يعرفون ببني السنة، ومن موضعه أمر ابن القابلة أحد أخلص رجاله وأشجع قادته بالاستيلاء على حصن ميرتلة، فسار هذا الأخير ابن القابلة لتنفيذ الأمر تحت قيادته حوالي 70 رجلا واستطاع الاستيلاء على الحصن وكان ذلك بتاريخ 539هـ/1145م.[14]

وقد اعتبر ابن قسي الاستيلاء على الحصن نصرا كبيرا وانطلاقة جديدة لثورته فبعد نزوله في ميرتلة كتب إلى أعيان غربي الأندلس يحثهم على الثورة من جديد، حيث استجاب له كل من سيدراي[15] بن وزير في يابرة[16] ومحمد بن عمر بن منذر في شلب[17] مما أدى إلى قلق المرابطين واستيائهم وحاولوا استعادة الحصن[18] بأي طريقة لكنهم فشلوا واحتاروا في أمرهم، مما جعلهم يفكرون في الانتقام بالاعتداء على الناس وتخريب الأراضي وكان هذا الانتقام في صالح ابن قسي فقرّب الناس منه، حيث تضاعف أنصاره والتف الناس حوله فجعل ابن قسي يقرب الناس منه

بإعطائهم المال من غير عمل ولا خراج وكان أصحابه يقولون للناس: "إن المال يتكون عنده إذا فرغ"[19].

وفي تلك الأثناء سار محمد بن عمر بن المنذر بقواته للقضاء على بقية القوات المرابطية في غربي الأندلس واستطاع الاستيلاء على حصن مرجيق[20] من أعمال شلب، وقد حالفه الحظ وهزم المرابطون شر هزيمة مما جعله يفكر في السير إلى باجة[21]، مستعينا بسيدراي ابن وزير، والذي أمده ببعض القوات التي خشي المرابطون قتالها فطلبوا الأمان من أهل باجة فكان لهم ذلك وكان لابن المنذر دخول باجة والاستيلاء عليها[22].

وبعد ذلك سار كل من ابن الوزير وابن المنذر إلى حصن مريتلة لتقديم الولاء والطاعة لابن قسي الذي عين ابن الوزير على مدينة باجة وما والاها وابن المنذر على مدينة شلب وما والاها، حيث سار كل منهما إلى ولايته، إلا أن ابن المنذر جمع أنصاره وعاد من جديد إلى حصن مريتلة من أجل تجديد الولاء إلى ابن قسي الذي لقبه باسم العزيز بالله ومنحه الإشارة بمواصلة فتح البلاد بعد أن أبدى ابن المنذر استعداده لذلك، وانطلق ابن المنذر على وجه السرعة فهاجم مدينة ولبة[23]، واستولى عليها ثم اتجه للهجوم على مدينة لبلة[24]، واستطاع الاستيلاء عليها هي الأخرى بمساعدة يوسف بن أحمد البطروجي أحد زعماء المريدين[25]، وبعد هذه الانتصارات التي حققها ابن المنذر اشتد طموحه فأراد الاستيلاء على اشبيلية والتي كانت تعتبر آنذاك عاصمة غربي الأندلس؛ لكن فكرته هذه بلغت قائد المرابطين يحي بن غانية الذي أرسل إليه قوة من جيشه لصد هجوم ابن المنذر وكان اللقاء بين القوتين بطريانة[26]، بضواحي اشبيلية وقد هزمت قوة المرابطين ابن المنذر الذي انسحب عائدا إلى لبلة إلا أنه لم يمكث بها طويلا؛ بل بعد يومين سار إلى ولايته شلب وترك بلبلة يوسف بن أحمد البطروجي[27].

وانطلاقا من هزيمة ابن المنذر في محاولة هجومه على اشبيلية فإن يحي ابن غانية فكر بأن يتولى بنفسه عملية القضاء على الثوار المريدين بغربي الأندلس، لكن فكرته باءت بالفشل وذلك أنه خرج في اتجاه لبلة لكنه لم يستطع مهاجمتها لشدة حصانتها فحاصرها طيلة ثلاثة أشهر طيلة فصل الشتاء إن صح التعبير؛ لكنه لم ينل منها بل ترك حصارها بعد أن أدرك أنه أفلت قرطبة[28]، من بين

يديه بعد أن بلغه أن ابن حمدين[29] قام بالثورة على المرابطين في قرطبة مما حمله يتجه إلى إشبيلية والتي ثار أهلها عليه فاضطر إلى الخروج منها[30].

وقد شجعت ثورة ابن حمدين ابن قسي على أن يمد سيطرته على قرطبة خاصة وقد كان له أتباع في شرقها، فأرسل ابن المنذر وابن القابلة للاستيلاء عليها لكنهما فشلا وعادا إليه خائبين؛ ذلك أنه في تلك الأثناء طرد أهل قرطبة ابن حمدين واستدعوا سيف الدولة ابن هود[31] وجعلوا منه أميرا عليهم، وفي تلك الأثناء نشب خلاف بين ابن قسي وقادته فقد خلع ابن الوزير طاعة ابن قسي الذي دخل معه في حرب بقيادة ابن المنذر الذي انهزم وانتهى به الأمر معتقلا في باجة، وأما ابن الوزير فقد سار بقواته باتجاه شلب وميرتلة وتمكن من الاستيلاء عليهما، ولم يكن أمام ابن قسي إلا الفرار حتى لا ينتهي به الأمر أسيرا في يد ابن الوزير فعبر البحر إلى المغرب يطلب النجدة من الموحدين وقد كانت هذه الأحداث في سنة 540هـ/1146م[32].

خاتمة:

- ومما سبق ذكره يمكن القول أن سنة 539هـ/1144م تعتبر بداية حركة المريدين الدينية والسياسية بزعامة ابن القسي، وكان هدفها هو القضاء على الحكم المرابطي، الذي اعتبره الأندلسيون ثقيلا عليهم من حيث تمسك الحكام المرابطين بالدين والأخلاق ومنع الانحلال المجتمع الأندلسي، كما أنه من الطبيعي أن تنعكس أحداث بلاد المغرب على بلاد الأندلس لما كانت تعرفه من حروب وثورات وفتن بسبب ظهور الدعوة الموحدية؛ فمن الطبيعي أن يكون لانعكاس الأحداث ببلاد الأندلس رد فعل عنيف على الحكم المرابطي.

الهوامش

1- عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين- عصر الطوائف الثاني، 510-526هـ/1116-1151م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص 50.
2- ابن مرحان: هو أبو الحكم عبد السلام بن أبي الرجال، من أهل إشبيلية، كان إمام في علم الكلام، ولغات العرب والأدب، عارفا بالتأويل،أنظر: المرجع نفسه ص53.
3- ابن قسي: قائد ثورة المريدين وسيأتي التفصيل في حياته.
4- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 54.
5- نفسه، ص 58.

6- نفسه، ص 61.

7- نفسه، ص 65.

8- أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي: هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي بن حقي، أصله رومي من بادية شلب تولى فيها الإشراف على الأعمال المخزنية ثم مال إلى الزهد فتصدق بجميع ماله واعتنق مذهب الصوفية درسها على يد الشيخ الصوفي أبو العباس بن العريف في ألمرية أثر في تكوينه الصوفي أبو حامد الغزالي. أنظر: هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1984، ص 70، وأنظر:

Louis Viardot, Histoires des arabes et des mores d'Espagne, T1, pagnerre édition, Paris1854,p 256.

9- المريدون: في فترة الصوفية أصبحوا في الظاهر طائفة دينية أو فرقة صوفية وفي الحقيقة آلة سياسية. أنظر: حسام الدين عبد الرؤوف الغلي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر(د.ت)، ص 263.

10- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام تح: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2006، ص 248-249.

11- محمد بن أبي الشغيفي: عرف بابن القابلة اشتهر بالدهاء والشجاعة والبلاغة. أنظر: هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 71.

12- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف، لبنان، 1985، ص 197- 198.

13- حصن مرتلة: هو حصن منيع غربي مدينة باجة بينهما أربعون ميلا. أنظر: الحميري محمد عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 191.

14- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص71.

15- سيداري بن الوزير: هو أبو محمد سيداري بن عبد الوهاب بن وزير القيسي، كان عبد الله الإشبيلية، وكان له ولد أديب يسمى محمد ترجم له ابن الأبار، توفي سنة 565ه. أنظر: أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004، ص 87.

16- يابرة: مدينة من كورة باجة بالأندلس تحيط بها أسوار يابسة فيما حواليها ... وهي تقع في غرب باجة. أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 191.

17- شلب Silvy: مدينة تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي غربي جنوب باجة وشمال غربي ... أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص106-107.

18- ابن الأبار: الحلة السيراء، ص 198-199.

19- لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص250-251.

20- حصن مرجيق: هي مدينة Monchique حاليا الواقعة جنوب البرتغال إلا أنه يبدو هناك تباعدا بين الكلمة في أصلها العربي ونطقها البرتغالي ... أنه مرجيق هي نفسها Monchique. أنظر: عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1968، ص 149.

21- باجة Beja: من أقدم مدن الأندلس وأوسعها ... تبعد عن قرطبة حوالي 100 فرسخ وهي تقع بين مدينتي شلب ويابرة وهي حاليا من مدن جنوب البرتغال، تبعد عن لشبونة ب 154 كلم ... أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص36، وأنظر أيضا: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة

ومعالم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص289، وأنظر كذلك: عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص149.

22- هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 73.

23- ولبة: Wuelva هي مدينة صغيرة متحضرة عليها سور تشتهر بالتجارة والأسواق والصناعات وهي مطلة على جزيرة شلطيش التي يحيط بها البحر من كل ناحية ولها من ناحية الغرب اتصال بأحد طرفيها إلى مقربة من البر، وهي حاليا تقع بجنوب البرتغال بالقرب من شاطئ المحيط الأطلسي، أنظر: الإدريسي أبو عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص260، وأنظر أيضا: عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 150.

24- لبلة: مدينة قديمة تقع في غرب الأندلس تبعد عن طليطلة حوالي 20 مرحلة وعن اشبيلية 40 مرحلة، بينها وبين قرطبة 30 فرسخا، وهي تقع في الشمال الشرقي من ولبة بجنوب البرتغال الحالية، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 168، وأنظر أيضا: ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 73، وأنظر كذلك: عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 150.

25- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1996،ص 116-117.

26- عقيلة غناي: قيام الدولة الموحدية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998، ص74.

27- طريانة Triana: حاضرة من حواضر اشبيلية ينسب إليها الفقيه عبد العزيز الطرياني، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص371.

28- قرطبة Cordoba: قاعدة بلاد الأندلس، كان جامعها المشهور تقع شرقي اشبيلية على بعد 138 كلم أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 153-158.

29- ابن حمدين: هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن حمدين ينتمي إلى بيت عربي عريق تلقى العلم بقرطبة واشتغل بسلك القضاء حتى وصل إلى منصب قاضي قضاة بقرطبة سنة 529هـ وقد اختلف ابن حمدين مع حكام المرابطين فعزل من منصبه سنة 533هـ، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 151، وأنظر أيضا: لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام،ص 252-253.

30- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 74.

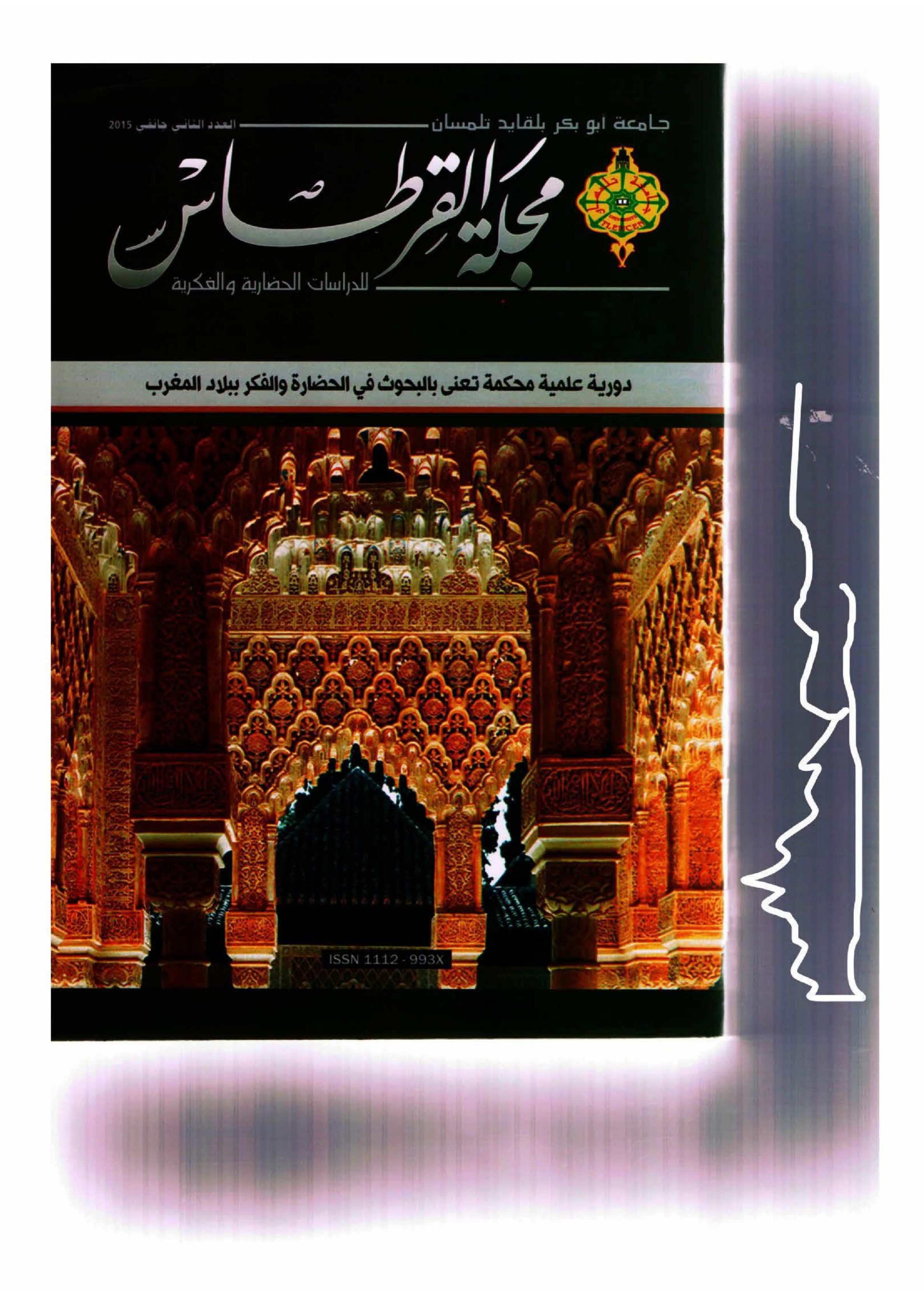
31- سيف الدولة بن هود: هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن هود الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله، وبنو هود هم ملوك مملكة " سرقسطة "، أنظر: عبد الله علي علام: المرجع السابق،ص 151.

32- ابن الأبار: الحلة السيراء،ج2، ص 205-206.



REVUE PERIODIQUE DIRIGEE ET PUBLIEE PAR
LE LABORATOIRE DES ETUDES CIVILISATIONELLES ET INTELLECTUELLES





جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
العدد الثاني جانفي 2015
مجلة القرطاس
للدراسات الحضارية والفكرية
دورية علمية محكمة تعنى بالبحوث في الحضارة والفكر ببلاد المغرب
ISSN 1112 - 993X

مخبر الدراسات الحضارية والفكرية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان



مجلة القرطاس

للدراسات الحضارية والفكرية

دورية علمية محكمة تعنى
بالبحوث في الحضارة والفكر بالمغرب العربي

العدد الثاني جانفي 2015
ISSN 1112 - 993X



قواعـد النشـر

1- لا تتجاوز صفحات المقال 15 صفحة

2- أن يكون المقال متخصصا و مسايرا لاهتمامات المجلة ولم يسبق نشره من قبل.

3- أن يرفق المقال في بدايته بملخص باللغة الانجليزية وملخص عربي في حالة ما إذا كان المقال مدونا بلغة أجنبية.

4- تكون لغة النشر إما باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية.

5- أن يكون:

- ❖ خط العنوان الرئيسي للمقال بـ AGA Furat Regular Gras 14
- ❖ خط العناوين الفرعية بـ AGA Furat Regular Gras 14
- ❖ خط المتن بـ Traditional Arabic 16
- ❖ خط الهوامش بـ Traditional Arabic 14

06- يجب وضع الهوامش في نهاية المقال، متسلسلة بشكل أوتوماتيكي

07- احترام تقنية المنهجية العلمية المتعارف عليها في التهميش.

08- هيئة التحرير غير ملزمة برد الأعمال التي تصلها سواء نشرت أم لم تنشر.

09- الآراء و الأفكار الواردة في الأعمال المنشورة لا تعبر بالضرورة عن آراء المجلة و لا تعني إلا أصحابها.

10- كل عمل مرشح للنشر على صاحبه إرساله في نسخة مطبوعة و نسخة في قرص مضغوط.

الفهرس

بجاية الوجهة الاولى لبني غانية في التوسع
(580-581هـ/ 1184-1185م)

أ/ مغنية غرداين
جامعة بسكرة

الملخص:

بعد أن قضى الموحدون على المرابطين، كان لا يزال بنو غانية ذوي الأصول المرابطية أمراءا على الجزائر الشرقية، وحاول الخلفاء الموحديون دعوتهم لتقديم الولاء والطاعة ومبايعتهم، لكن بنو غانية امتنعوا عن ذلك، وعلى عداوتهم التي عملوا سابقا على إخفائها بالهدايا، كما أنهم فكروا في توسيع إماراتهم على حساب نفوذ الدولة الموحدية آملين وراء ذلك إلى محاولة إعادة إحياء مجد الدولة المرابطية، وقد فكروا بالتعاون مع بقايا المرابطين في بجاية على أن تكون المدينة وجهتهم الأولى في بداية توسع إمارتهم، وفعلا تمكنوا من الاستيلاء عليها لكن الموحدون لم يتوانوا في إعداد جيوشهم لاسترداد بجاية ، وبعد الدخول مع بني غانية في مواجهات ، تمكن الموحدون من استرداد بجاية تحت سلطتهم، ولم تبق هذه المدينة تحت سلطة بني غانية سوى ستة أشهر حسب ما أوردته المصادر التاريخية.

مقدمة:

لقد استطاعت الدولة المرابطية أن تحكم جميع بلاد المغرب الإسلامي، ووصل نفوذها وسلطانها إلى غاية بلاد الأندلس، وقد جعلت من إحدى ولاياتها بالأندلس إمارة تابعة لها وهي الولاية التي تضم كل من الجزر الثلاث : ميورقة ، منورقة و يابسة، وسميت هذه الجزر بالجزائر الشرقية، وقد أمّرت الدولة المرابطية على هذه المنطقة بني غانية وقد عرفوا طيلة أيام الدولة المرابطية بأمراء الجزائر الشرقية، وحتى بعد انهيار سلطان المرابطين وقيام الدولة الموحدية، كان بنو غانية [1] لا يزالون يحتفظون بإمارتهم في الجزائر الشقية، كما انهم لم يعلنوا الدخول في طاعة الموحدين لكن بعد مرور بعض الوقت من قيام الدولة الموحدية، فكّر بنو غانية في محاولة توسيع إمارتهم ، مما دفع بهم إلى التوسع في بلاد المغرب، وكانت وجهتهم الأولى في التوسع بجاية[2] بالمغرب الأوسط.

ونحاول في هذه الدراسة الوصول إلى الأسباب التي جعلت من مدينة بجاية الوجهة الأولى لبني غانية في التوسع، ثم الهدف الذي سعى إلسه بنو غانية في توسيع إمارتهم ،ورفضهم الدخول

في طاعة الموحدين. وانطلاقا من هذا فإننا نتساءل ؛ ما هي خطوات بني غانية للاستيلاء على بجاية، وهل استطاع الموحدون استرداد بجاية ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على مجموعة من المصادر المغربية منها: كتاب « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب « لمؤلفه أبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري، من تحقيق إ.ليفني بروفنسال و ج.س كولان، بيروت 1980، وقد أفادني هذا الكتاب في البحث خاصة قسم الموحدين لأنه تتبع الأخبار المتعلقة بالحركتين المدروستين في البحث ، ابن مردنيش وبنو غانية ، كما أنه جاء يسرد الأحداث المتعلقة باستيلاء الموحدين على مدينة بياسة وبذة ، وقد اعتمد ابن عذاري في مؤلفه على مصادر مغربية وأندلسية أغلبها الصادرة أو المؤلفة في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر « الجزء 6، لصاحبه أبو زيد عبد الرحمن المعروف بابن خلدون المتوفي سنة 808هـ/1406م، ولد ونشأ في *تونس، تولى الكتابة بين الملوك في الأندلس والمغرب، ثم ارتحل إلى مصر، ويتكون كتابه هذا من* سبعة مجلدات، المجلد الأول والمعروف بالمقدمة، ويشير فيه إلى الموحدين خاصة في التعريف بأبي العباس الصقلي قائد الأسطول الموحدي، وأما الجزء السادس فإنه يحتوي على جزء كبير من تاريخ الموحدين مما جعلني أعتمد عليه بشكل كبير، وكتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية « لصاحبه الغبريني، ومجموعة أخرى من المراجع الخاصة بالموضوع.

أ- استيلاء بني غانية على مدينة بجاية:

وفي مثل كل مرة بعد وفاة الخليفة وتولي خليفة جديد تمر الدولة الموحدية بظروف حرجة - مرحلة انتقالية- من انشقاق بني عبد المؤمن وامتناع بعضهم عن تقديم البيعة للخليفة الجديد، هذه الظروف شجعت علي بن إسحاق[3] بن غانية على التمرد على الموحدين فلم يكتف بنو غانية برفضهم لتقديم الولاء والطاعة للموحدين واعتقال رسولهم بل اتجهوا بأنظارهم إلى محاولة توسيع إمارتهم محاولين في ذلك الاعتماد على بعض خصوم الموحدين[4]، وقد كانت وجهتهم الأولى مدينة بجاية[5].

هذا ويذكر أن بعض الرسائل وصلت علي بن إسحاق بن غانية بعثها أعيان بجاية من أنصار بني غانية يدعونه فيها إلى دخول بجاية ويؤكدون له بأنه لن يجد أية مقاومة وأنهم على استعداد للتعاون معه[6].

وانطلاقا من هذه الدعوة التي وجهها أعيان بجاية لبني غانية، قصد علي بن غانية بجاية على رأس أسطول من 30سفينة على ظهرها 200فارس و4000 من المشاة[7] يقودهـم بنفسه إلى جانب أحد مواليه المسيحيين يدعى»الرشيد«[8].

ويورد عبد الواحد المراكشي في هذا الشأن:»...وقصد مدينة بجاية حين راسله جماعة من أعيانها-على ما يقال- يدعونه إلى أن يُمَلِّكوهُ«[9].

هذا ومما شجع بني غانية على السير إلى بجاية أنهم كانوا على علم بأحوال المدينة نظرا لأن السفن التجارية كانت تسير باستمرار بين ميورقة وبجاية حيث يقول الغبريني:»...وكانت أجفان إسحاق بن غانية تصل أيضا من ميورقة كما تصل به أجفان بجاية...«[10]، وتذكر بعض المصادر أن عليا بن غانية استخلف على ميورقة أثناء سيره لبجاية عمه أبا الزبير[11]، وأما إخوته فقد رافقوه صوب بجاية، وفي هذه الأثناء كان والي بجاية من طرف الموحدين وهو أبو الربيع سليمان غائبا عنها في طريقه إلى مراكش مما جعل بجاية في موقف ضعيف؛ فلم تكن بها آنذاك قوات كبيرة للدفاع عنها[12].

ويذكر أنه ما إن تراءت بجاية لعلي بن غانية حتى أمر إحدى السفن بالتقدم من الحصن بغرض التجسس وتظاهر طاقمها بأنهم قراصنة جاؤوا باحثين عن المؤونة[13]، ويؤكد هذا ابن عذاري المراكشي قائلا:»...قدموا زورقا إلى حريم أسوارها...فأشرف عليهم من أهل البلد من سألهم عن شأنهم ...فأخبروهم أنهم غزاة يطلبون مرافق السواحل...«[14]، وقد نجح الطاقم في أخذ المعلومات التي احتاجها بنو غانية للدخول إلى بجاية التي استقوها من المتواطئين معهم من أهالي المدينة، وأدرك علي بن غانية أن الوقت جد مناسب للقيام بغزو المدينة؛ فبدأ بعد وصوله مباشرة بشن الهجوم وكان ذلك في الصباح الباكر، ونظرا لأن علي بن غانية نظم جنده تنظيما محكما إضافة إلى الكميات المهمة من الأسلحة لم تستطع حامية المدينة المتواضعة الدفاع عن المدينة فتم الاستيلاء على بجاية من طرف علي بن غانية بكل سهولة[15].

فاحتشد أهل المدينة للمقاومة والدفاع عنها دون قائد ودون استعداد، فسلط عليهم علي بن غانية القسي والسهام للفتك بهم، ثم اقتحم المدينة واستولى عليها في 06 شعبان سنة 580هـ/13نوفمبر 1184م[16]، وتضاربت آراء المؤرخين واختلفت المصادر في تاريخ سقوط بجاية بيد علي بن غانية حيث يجعله ابن عذاري المراكشي في19صفر581هـ/مايو1185م كما يشير إلى أن علي بن غانية أسر أبو موسى عمران بن عبد المؤمن والي إفريقية من طرف الموحدين إذ كان في طريقه إلى مراكش وكان نازلا ببجاية للاستراحة فيقول ابن عذاري: «...وقبضوا على

السيد أبي موسى وذويه وأهله...وكان دخول البلد في التاسع عشر لصفر من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة...»[17].

ويوافق ابن خلدون ابن عذاري في تاريخ سقوط بجاية ويجعله هو الآخر في صفر سنة581هـ[18]، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه يؤكد على سقوط بجاية بيد علي بن غانية في التاريخ الذي أوردناه أولا أي 06 شعبان سنة 580هحيث يقول:»...فقصد ساحل بجاية فنزل به فقاتله أهلها قتالا غير كثير ثم دخلها، وكان دخوله يوم الاثنين لست خلون من شعبان من السنة المذكورة»[19]، وأما بالنسبة لعلي بن أبي زرع والزركشي فإننا نجد أن أبي زرع يأخذ بالرأي الأول ويجعل تاريخ سقوط بجاية بيد علي بن غانية يوم 06 شعبان سنة 580هـ، وأما الزركشي فيأخذ بالرأي الثاني أي 19 صفر سنة 581هـ[20].

والأرجح التاريخ الأول 06 شعبان سنة 580هـ/13 نوفمبر 1184م هو الصحيح بناءا على تحليل أمبرسيو هويثي ميراندا الذي جاء فيه أن التاريخ الثاني 19 صفر 581هـ لا يتعلق باحتلال بجاية من طرف بني غانية وإنما استعادتها من طرف القوات الموحدية، وبما أن المدة بين التاريخين 06 أشهر وأنّ احتلال بني غانية لبجاية دام 06 أشهر حسب علي بن أبي زرع فإن التاريخ الأول هو الصحيح والثاني يقصد به استعادة الموحدين لبجاية[21].

وأما ما أورده الغبريني بخصوص دخول علي بن غانية بجاية قد يبدو غريبا بعض الشيء ويستبعده العقل والمنطق، حيث ينفي مقاومة أهل بجاية وأنهم بايعوا علي بن غانية بكل سهولة حيث يقول:»...فلما عزم بنو غانية...ساروا بالأسطول ونزلوا شاطئ بجاية بمحل بيع السبي منها...فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم لأجل السبي فنزلت الخيل معدة...والناس ما عندهم من شأنهم خبر...وطالبوا الناس بالبيعة فبايعوهم»[22].

وقد ورد عند علي بن أبي زرع الفاسي في روض القرطاس أن بني غانية دخلوا مدينة بجاية والناس في صلاة الجمعة وكانت أبواب المدن قبل ذلك لا تغلق وقت صلاة الجمعة، فاقتحم علي بن غانية المدينة وعمد إلى الجامع الأعظم وأدار به الخيل والرجل وجعل يخلي سبيل من يبايعه ويضرب عنق من يمتنع عن مبايعته[23]، وورد عند أمبير سيو هويثي نقلا عن ابن عذاري المراكشي أن عليا بن غانية شن هجومه على بجاية في الصباح الباكر[24]؛ ولعل هذا الرأي الأرجح بالنظر لأن ابن عذاري أقرب لعصر الموحدين من علي بن أبي زرع والناصري الذي وافقه الرأي.

وبلغ والي بجاية أبا الربيع سليمان الخبر وهو في طريقه إلى مراكش مما جعله يتوقف ويقرر العودة لاسترداد ولايته مع ما كان لديه من قوة والتي كانت حوالي 300 فارس ثم استنفر ألف

فارس من عرب تلك النواحي[25]، ثم سار في اتجاه بجاية فالتقى بعلي بن غانية هذا الأخير الذي ترك بجاية في يد أخيه يحي[26] ومولاه الرشيد وخرج مقتفيا أثر واليها الموحدي فكان لقاؤهما بمنطقة تدعى «بلميلول»؛ فنشبت بينهما معركة انتهت بهزيمة الوالي الموحدي أبو الربيع سليمان ومقتل معظم رجاله وقد استطاع علي بن غانية هزيمة أبو الربيع سليمان بكل سهولة خاصة بعد أن تخلى عنه العرب الذين كانوا رفقته وانحازوا إلى علي بن غانية في حين تمكن أبو الربيع سليمان من الفرار مع من بقي من رجاله إلى مدينة الجزائر لكنه وجدها ضعيفة التحصينات فخشي من أن يستطيع ابن غانية اللحاق به، فواصل سيره إلى تلمسان حيث اجتمع مع واليها الموحدي أبو الحسن بن أبي حفص، فتم تحصين المدينة وترميم أسوارها[27].

ثم سار علي بن إسحاق فاستولى على مدينة الجزائر وترك عليها ابن أخيه طلحة ثم توجه علي بن غانية إلى مليانة[28] و مازونة[29]، فاستولى عليهما وعين على مليانة بدر بن عائشة؛ ثم دخل أشير[30]وقصد قسنطينة لكنها امتنعت[31] عليه، وفي طريقه استولى على قلعة بني حماد[32].

ويذكر ابن خلدون في هذا الصدد:»...استعمل أخاه يحي على بجاية ومضى إلى الجزائر فافتتحها وولى عليها يحي بن أخيه طلحة، ثم إلى مليانة فولى عليها بدر بن عائشة ونهض إلى القلعة ثم إلى قسنطينة[33] فنازلها».

ويذكر أن علي بن غانية أخذ أموال الموحدين وأغراضهم ووزعها على جنده وعلى من كان معه من العرب ببجاية وبغيرها من المدن التي وقعت تحت يده[34]، وعاد علي بن غانية إلى بجاية وأقام بها وصلى فيها الجمعة فقطع الخطبة للموحدين وخطب لبني العباس وأمر بذلك في كافة البلاد التي استولى عليها، وكان خطيبه الفقيه الإمام المحدث المتقن أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي- مؤلف كتاب الأحكام وغيره من التآليف-[35]، وكان من جملة الكلام في الخطبة التي أزعجت وضايقت وأخنقت الموحدين هو قول أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الخطيب في خطبته:» الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه» [36].

ب- عودة بجاية لطاعة الموحدين:

وقد علم الخليفة المنصور بأحداث بجاية وهو لا يزال في بداية عهده فأدرك خطورتها وقرر القضاء عليها فجهز جيشا بلغ عدده حوالي 20 ألف مقاتل، وقد زوده بوافر العدة والآلات وجعل على قيادته ابن عمه أبو زيد بن أبي حفص[37]؛ وبعث برفقته أسطولا موحديا كبيرا

من سبتة بقيادة أبي محمد بن إسحاق بن جامع وأبي محمد بن عطوش الكومي وأبي العباس الصقلي حيث سار الجيش والأسطول وفق خطة عسكرية واحدة في البر والبحر[38].

هذا وقد مهد الخليفة المنصور الطريق للجيش والأسطول في بجاية وذلك بإرسال بعض جواسيسه بالكتب إلى أهل البلاد يبشرهم فيها بالأمن والأمان والصفح والعفو، وقد رحل الجواسيس رفقة الجيش والأسطول ولما دنوا من البلاد رسوا فرحل الجواسيس بها ليلا إلى البلاد[39]، وقد شرع الأسطول الموحدي في استرداد البلاد المغتصبة منهم بداية من مدينة الجزائر حيث استطاع الأسطول الموحدي الاستيلاء عليها وأسر يحي بن طلحة بن محمد بن غانية وأتباعه، ثم واصل الأسطول سيره إلى مليانة فاستولى عليها لكن حاكمها المرابطي استطاع الفرار وهو بدر بن عائشة لكن أهل مليانة لحقوا به فدخلوا معه في معركة انهزم فيها فقيدوه ثم قطعوا رأسه، ثم تقدم أبو العباس الصقلي بسفينة من ميناء بجاية فأرسل عن طريق أعوانه الكتب إلى أهل بجاية يخبرهم بوصول جيش وأسطول الدولة الموحدية ويسألهم الثورة على بني غانية فاستجاب أهل بجاية وثاروا ضد بني غانية وفتحوا أبواب المدينة فاقتحمها رجال الأسطول في مقدمتهم أبو محمد بن جامع وفتكوا بقوات بني غانية وأنصارهم وتمكنوا من أسر رشيد الرومي والاستيلاء على سفن بني غانية وإطلاق سراح الأسرى الموحدين وتم استرداد بجاية من طرف الموحدين بتاريخ 19 صفر 581هـ/22 مايو1185م[40].

رغم أن قوات بني غانية ببجاية كانت قواتهم ضئيلة لأن معظم الجيوش كانت تشارك في حصار قسنطينة؛ إلا أنهم حاولوا عرقلة تقدم القوات الموحدية خاصة البرية؛ وذلك من خلال ملأ كل المنافذ المؤدية لبجاية بقوات تابعة لبني غانية[41].

وأما يحي بن غانية والي بجاية فقد تمكن من الفرار مع بعض رجاله وسار إلى أخيه علي وهو في حصار قسنطينة، فأخبره بوصول القوات الموحدية مما جعل علي بن غانية يحرق المنجنيقات وآلات الحصار تحت أسوار قسنطينة وسار بقواته جنوبا صوب الصحراء، فلحق به الموحدون مسافة معتبرة حتى نقاوس[42] ثم عادوا إلى بجاية لعجزهم عن اللحاق به بسبب أحمالهم الثقيلة[43].

ألقى أبو زيد بن أبي حفص القبض على جميع أهل بجاية ممن ثبت عليهم تهمة التعاون والتواطؤ مع بني غانية ثم قتلهم جميعا وقتل معهم رجال بني غانية الأسرى، وقد كان من أهل بجاية بعض القادة والأعيان وهناك من أصدر أبو زيد في حقهم حكما بالنفي إلى سلا بعد أن أجبرهم على بيع أملاكهم وديارهم بثمن بخس[44] وتم صلب الشاعر الذي يدعى» الرميلي»

والقائل البيت التالي:

أنتم صباح الدين يجلو عيهب الـ إلحاد والـدنيا بكـم سينير[45]

واشتدت وطأة الموحدين على أهل بجاية ولم يفرقوا ما بين العامة وأهل العلم ورجال الدين ويؤكد ذلك الغبريني :»...وتبع الموحدون الناس...فاشتدت وطأتهم على أهل العلم...وكان في جملة من اعتقل الشريف أبو الطاهر عمارة...»[46].

هذا وفي الوقت الذي كان فيه أبو زيد بن أبي حفص منشغلا باسترداد بجاية، تمكن علي ابن الربرتير الذي كان أسيرا بميورقة من التحرر من أسر بني غانية له والعودة إلى بلاد المغرب[47]. بعد تراجع القوات الموحدية واصل علي بن غانية توغله في الصحراء[48]، حيث اتجه إلى الواحات ببلاد الجريد[49]، وكان في طريقه يستميل إليه طوائف العرب بالعطايا والصلات الجزيلة واستطاع بمساعدتهم الاستيلاء على قفصة[50]، وقد بلغ علي بن غانية نزول شرف الدين[51] قراقوش بقواته في جهات طرابلس[52] وبالضبط في منطقة بلدة الحامة، فقام علي وإخوته بمراسلته وقد ورد في رسائلهم لقراقوش ما يلي:»...إننا قوم من بني العباس ونريد دولتهم ونحن نريد أن نكون وإياك مجتمعين»[53] وقد استجاب لهم قراقوش فسار إليهم في حوالي 60 فارسا، والتقى بهم عند موضع يسمى حامة البهاليل[54] فتحالف الطرفان واتفقا على قتال الموحدين معا ثم اقتسما البلاد بينهما نصفين حيث صارت البلاد الواقعة غربي بونة[55] أي المغربين الأوسط والأقصى من حق بني غانية وأما البلاد الواقعة شرقي بونة فهي من حق قراقوش وقد تم هذا التحالف سنة581هـ/1185م.[56]

وبعد هذا التحالف عاد علي بن غانية للاستيلاء على البلاد فبعث بقائده غزي الصنهاجي للاستيلاء على مدينة أشير[57]، فسار إليها غزي واقتحمها عنوة وقتل واليها الموحدي بعد أن استولى عليها، وحاول أبو زيد في حملة بقيادة ابنه أبو حفص استرداد أشير، وقد كان في مساعدته أبي الظفر غانم أحد القادة الموحدين، فخرج غزي الصنهاجي لردهما لكنه انهزم وقتل فتولى أخوه عبد الله الصنهاجي من بعده مقاومة الموحدين مما أدى بالموحدين إلى الاتصال بالقاضي أبي العباس بن الخطيب من أجل مساعدتهم في إقناع عبد الله بالنزول عن المدينة فنجح القاضي في مهمة فقبض الموحدون على عبد الله وصلبوه ببجاية وجعلوا رأسه بجانب رأس أخيه[58].

خاتمة:

إن امتناع بني غانية من الدخول في طاعة الموحدين هو محاولتهم إعادة إحياء مجد الدولة المرابطية لأنهم مرابطون أو بقايا المرابطين في بلاد المغرب الإسلامي، وقد اتخذوا بجاية كوجهة أولى لتوسيع إمارتهم ، ذلك أن بجاية في عهد المرابطين كانت مستقلة في ظل سلطة بني حماد ، وإن بني حماد والمرابطين ينتمي كلاهما إلى قبيلة صنهاجة البربرية، فالأصل الذي جمع بين المرابطين والحماديين أبقى على بجاية مستقلة في عهد المرابطين، وجعل منها الوجهة الأولى التي فكر فيها بني غانية لتوسيع إمارتهم، كونهم يعتقدون أن الأصول الصنهاجية ما زالت باقية ببجاية لتتعاون معهم في إعادة إحياء مجد الدولة المرابطية، وهذا ما كان فعلا بالنظر للرسائل التي وردت لبني غانية من أعيان بجاية.

تمكن الخليفة الموحدي من استعادة بجاية لطاعة الموحدين في مدة قصيرة، ولم تبق بجاية تحت سلطة بني غانية سوى ستة أشهر حسب المصادر المؤرخة لهذه الحادثة من شعبان 580هـ إلى صفر 581هـ الموافق لـ نوفمبر 1184م إلى ماي 1185م، لكن استرداد الموحدين لبجاية لا يعني إنهاء خطر بني غانية ، بل ظل خطر بني غانية يهدد سلطان الموحدين لعقود من الزمن.

الهوامش

1- بنو غانية : يعود أصل بني غانية أمراء الجزائر الشرقية إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية بصحراء لمتونة إحدى أعظم قبيلتين قامت عليهما الدولة المرابطية، وقد كان جدهم علي المسوفي يتمتع بشخصية قوية ويتحلى بمواهب عدة وله مكانة عالية بين قومه الشيء الذي جعله أحد المقربين جدا من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين إلا أنه أقدم في أحد الأيام على قتل رجل من لمتونة بعد اختلافه معه ففر هاربا إلى الصحراء خوفا من ثأر أهل القتيل إلا أن الأمر انتهى بعد تدخل يوسف بن تاشفين، أنظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين على من جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، 1987 ، ص117، هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالیك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1984، ص 144.

2- بجاية: قاعدة الغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر وهي على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى (جبل سام)، سماها الفينيقيون بـ « صلدة « وسماها الرومان بـ « صلاتي « ، ثم خربت على أيدي الوندال ، بناها الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي سنة 457 هـ سماها الناصرية ، ثم سميت بجاية نسبة إلى القبيلة االبربرية التي تخيم حولها ، في عهد المنصور بن الناصر صارت عاصمة للحماديين ولعل الفرنسيين هم من أطلقوا عليها اسم بوجي « Bougie» يعني الشمعة وذلك نسبة لشهرة أهلها بتجارة الشمع منذ القديم، أنظر: أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر إفريقية

والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، (د.ت)، ص 82، وأنظر أيضا: الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية ، تح: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 4-5.

3- إسحاق بن غانية: هو إسحاق بن محمد بن غانية ، أحد الأبناء الأربعة لمحمد بن غانية، ويُذكر أن إسحاق حقد على والده وأخوه الأكبر ، فدبر قتلهما ، وتولى إمارة الجزائر الشرقية، أنظر: محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،قسم1،ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1992، ص 145.

4- تعددت خصوم الدولة الموحدية منهم طوائف العرب من بني هلال وبني رياح والأثبج وبني جامع وبني رند في قفصة والذين قضى الموحدون على ثورتهم سنة576هـ/1181م إضافة إلى بني حماد أصحاب بجاية الحاقدين على الموحدين الذين قضوا على ملكهم، وكذلك بني مطروح في طرابلس وقرقوش مملوك صلاح الدين الأيوبي، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص151.

5- نفسه الصفحة.

6- أمبيرسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب: عبد الواحد أعمر، ط1، منشورات الزمن، الدار البيضاء المغرب، 2004 ،ص311-312.

7- اختلفت المصادر في تقدير أسطول علي بن غانية الذي عبر به إلى بجاية حيث يقدرها الزركشي بـ32 قطعة ويتفق معه في ذلك ابن خلدون ولكنه يقول وصلت إلى هذا العدد بإضافة سفن ابن الروبرتير ، أنظر: الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور،المكتبة العتيقة، تونس (د.ت)، ص15، وأنظر: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج6، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 1995،ص243، وأنظر أيضا:رشيد بورويبة: الجزائر في التاريخ الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984،ص309.

8- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.

9- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت 2006،ص197.

10- الغبريني: المصدر السابق، ص24، وأنظر:محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص62-63.

11- يذكر ابن خلدون أن عليا بن غانية ترك أخاه طلحة على ميورقة خلفا له وليس عمه أبا الزبير ثم نجده في موضع آخر يذكر أنه ترك عمه أبا الزبير خلفا له على ميورقة والأرجح أنه ترك عمه أبا الزبير مثلما تذكر جل المصادر ويبدو أن ابن خلدون حينما تأكد من صحة المعلومة ذكرها في موضع آخر، أنظر: ابن خلدون: العبر،ج6،ص190-243، وأنظر أيضا: روجي آلي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13هـ ، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 84-85.

12- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3،ق2،ص149.

13- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.

14- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين- تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت)،ص175-176.

15- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.

16- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3،ق2،ص149، وأنظر أيضا: عصام سالم سالم: جزر الأندلس المنسية،ط1،دار العلم للملايين، بيروت 1984،ص 353.
17- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، - قسم الموحدين-،ص176.
18- ابن خلدون: العبر،ج6،ص143.
19- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 197-198.
20- علي بن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 ، ص269، وأنظر : الزركشي: المصدر السابق، ص15.
21- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص313.
22- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية ، تح: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص24.
23- يذكر الغبريني أن قاضي الجماعة في بجاية امتنع عن البيعة وقال:» لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أو امرأة» فكشف علي بن غانية عن وجهه فبايعه القاضي، أنظرالغبريني المصدرالسابق،ص15.
24- أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص312.
25- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص154.
26- محمد مكيوي: الأوضاع السياسية والثقافية العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ/1236م- 737هـ/1337م)، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، -2000 2001، ص 34.
27- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3،ق2،ص150.
28- مليانة: هي مدينة رومانية جددها زيري بن مناد وحصنها وهي قديمة البناء، نضرة المزارع وفي جنوبها جبل الونشريس يسكنه قبائل من البربر منها مكناسة وكتامة ومطماطة وينتهي طرفه إلى مقربة من تاهرت، أنظر: الإدريسي: وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص84-85، وأنظر أيضا: مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1968،ص171
29- مازونة: بالقرب من مستغانم، وهي تقع على 6 أميال من البحر وهي مدينة بها مزارع وبساتين، أنظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص163.
30- أشير: بلدة أو حصن أو مدينة بناها زيري بن مناد الصنهاجي، أنظر: الحميري: المصدر نفسه، ص60.
31- الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولتين المرابطية والموحدية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري،ج2، دار الكتابة، الدار البيضاء، 1954، ص143، وأنظر: ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص177، وأنظر أيضا: أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص314.
32- قلعة بني حماد: بينها وبين المسيلة 12 ميلا وهي من أكبر البلاد قطرا شيدها بنو حماد ونسبت إليهم، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص469، وأنظر أيضا: ابن خلدون: العبر،ج6،ص191.
33- ابن خلدون: العبر،ج6،ص243، وأنظر أيضا: عصام سالم سالم: المرجع السابق،ص363.
34- هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص 156، وأنظر : عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ص 220.
35- عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 198.
36- الغبريني: المصدر السابق، ص24.

-37 رشيد بورويبة: الجزائر في التاريخ الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984،ص309.

-38 الناصري: المصدر السابق، ج2، ص143، وأنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3،ق2،ص151، وأنظر أيضا: محمد عمرو الطمار:المرجع السابق ص 64 65-.

-39 أحمد مختار عبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،(د.ت)، ص358-359.

-40 محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3،ق2،ص152.

-41 أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص316.

-42 نقاوس: هي مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين أكثر فواكهها الجوز وما بين نقاوس والمسيلة أربع مراحل وقيل ثلاث ومنها إلى حصن سكرة مرحلتان وبينهما وبين طبنة مرحلتان، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص264.

-43 محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3،ق2،ص151-152.

-44 هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص158.

-45 نفسه.

-46 الغبريني: المصدر السابق، ص24-25.

-47 أمبيرسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق،ص317.

-48 عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج2،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1997،ص15.

-49 بلاد الجريد: وهي المنطقة التي تنقسم إلى قسمين قسم يسمى قسطيلة ويقصد به مدينة توزر وأعمالها وقسم يسمى «الزاب» يقصد به بسكرة وأعمالها وتوزر تعتبر حاضره بلاد الجريد وأم قراها، أنظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص254.

-50 قفصة: تعتبر قفصة مركز البلاد ومن القيروان إلى قفصة شمالا أربع مراحل وبين قفصة وجبل نفوسة خمس مراحل وبينها وبين نفطة مرحلتان صغيرتان ومن قفصة إلى نفزاوة جنوبا يومان وبعض يوم وهي مدينة حسنة ذات سور ونهر جار ماؤه أطيب من ماء توزر ولها أسواق ومتاجر، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص277.

-51 شرف الدين قراقوش: هو شرف الدين قراقوش التقوي مملوك تقي الدين عمر أخ صلاح الدين الأيوبي، خرج من مصر بقواته فسار إلى جهات طرابلس واستولى على بعض البلاد، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص158-159.

-52 طرابلس: مدينة حصينة عليها سور حجارة وهي في نهر البحر ومنها إلى صرت 230ميل وبينها وبين جبل مقدة ثلاث مراحل ومنها إلى جبل نفوسة ست مراحل، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، مج1،ص-297 299.

-53 هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص159.

-54 حامة البهاليل، هي نفسها بلدة الحامة في جهات طرابلس، أنظر: نفسه نفس الصفحة.

-55 بونة: هي مدينة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ولكن متوسطة المساحة وتقع على ساحل البحر وكانت لها أسواق حسنة بها الكثير من الخشب بها معادن الحديد وبجنبيها جبل يسمى يدوغ وهي مدينة

عنابة الجزائرية حاليا، أنظر: الإدريسي : المصدر السابق، مج1، ص291.

-56 هشام أبو رميلة: المرجع السابق،ص158-159.

-57 يبدو أن الموحدين استردوا أشير مع استردادهم لمدينة الجزائر ومليانة وبجاية ثم عاود علي بن غانية التفكير في الاستيلاء عليها بعد فراره من بجاية حسب ما ورد في بعض المصادر، أنظر: هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص158-159، وأنظر أيضا: ابن خلدون: العبر، ج6، ص 243.

-58ابن خلدون: العبر،ج6،ص243.